

تمثال الحرية في مرفأ نيويورك
في يده قبس كأنه ينير الدنيا كلها ويمنحها الحرية

الجزء الاول



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك اول تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ ١٠ جماد اول سنة ١٣٢٤

مقدمة السنة الخامسة

ظهور الجامعة في نيويورك

اول تحية لارض الحرية

لما دخلت بي الباخرة مرفأ نيويورك بعد مسيرها في عباب الاوقيانوس الهائل سبعة ايام كاملة كنت واقفاً مع فريق من الفرنسويين رفاقي في السفر على جانب الباخرة ننتظر الوصول الى تمثال الحرية المنصوب عند مدخل الميناء. فلما صرنا على موازاة هذا التمثال العظيم ومرت الباخرة امامه وهي تشخر وتلهث تعباً من مشقة السفر ونار الشوق الى البر تكوي احشاءها — كشفت رأسي احتراماً للمبدإ الذي يمثله التمثال. بل كشفت راسي رداً لتحيته اذ خيّل لي ان تلك المرأة المهيبة القائمة على تلك القاعدة العظمى تمدّ يدها نحونا لتنير طريقنا — انها روح نيويورك بل العالم الجديد كله جُعلت هناك على طريق السفن القادمة لتحييها عند مرورها اجمل تحية وتذكّرها بانها دخلت من ظلمة الاوقيانوس الى ميناء السلام ومن بلاد ساد فيها الجهل والجهّال والظلم والظلاّم الى جنة الامن والعلم والعدل والمدنية. — فالف سلام وتحية يا ارض الحرية

لقد جئناكِ الوفاً الوفاً عوالم في عوالم (١) يا ايتها القدر الهائلة التي تنصبُّ فيها العناصر المختلفة من جميع انحاء الكرة الارضية فتصهرها صهراً شديداً. وتجعل منها عنصراً جديداً. تارةً ذهباً وطوراً فضةً وآونة حديداً. وما لا يصير هذا ولا ذاك تبيده وتلحقه عاداً وثموداً. لقد جئناكِ يا مُنخل العناصر والقوى البشرية. يا مخزن الكهرباء والفحم والحديد للعالم اجمع. يا ارضاً فيها الفائدة العملية (٢) مقدمة على كل شيء (وتنازع البقاء) اشد فيها منه في اي ارض غيرها. لنا عندكِ قبل ان نعرفكِ وديعة ثمينة حضنتِها وعطفتِ عليها عطف الام على طفلها وان لم تكوني اماً لها. بقيةُ امة تعيسة جار عليها الجدُّ العاثر والدهر القاهر. فبعد ان كانت شعباً كبيراً يمتدُّ من بلاد الكلدان حتى غزة وعسقلان. شعباً بنى ادسيس وانطاكية ودمشق وتدمر وبُصرى وصور وصيداء — هذه الاسماء اللامعة في تاريخه لمعان الماس في اصدافه — قد اصبح اليوم وشمله شتاتاً وداره خراباً. مدنه العظيمة سقطتْ من بابل حتى انطاكية. لغته اندثرت وحلت محلها لغة اخرى. فنونه وآدابه وتجارته وصناعته دُرستْ ولم يبقَ منها الا مثل الوشم في اليد. حقوله وبساتينه جفّتْ وصارت منبتاً للشوك ومطرحاً للهشيم بعد ان كانت «الجزيرة» وحدها تغلُّ ما قيمته اضعاف واردات الدولة العلية العثمانية (٣) ولم يبقَ اليوم من تلك الجنة الزراعية الفريدة في الدنيا كلها سوى آثار الاقنية والترع يغمرها النهر الفائض الذي خرج عن مجراه كما خرج كل شيء فيها عن اصله او تغطيها الاشواك

---

(١) بواخر الاوقيانوس القادمة الى اميركا كأنها عوالم متنقلة لضخامتها وازدحامها بالمسافرين. وقد كنا في باخرتنا «لاتورين» زهاء الف راكب ٨٠ في الدرجة الاولى و١٢٠ في الدرجة الثانية والباقون في الدرجة الثالثة. ومثلها كثير يدخل الى نيويورك كل يوم قادمة من جميع انحاء العالم

(٢) Intérêt pratique

(٣) يسمي العرب الارض ما بين النهرين «الجزيرة». قال المسيو ليفني: ان الارض ما بين النهرين في العراق وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حال خصب لا يصدَّق فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك. وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة. فتكون غلة تلك الارض في كل سنة ١٢٠٠ مليون ليره فرنسوية وبما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العام فتلك

والادغال (١) فهذا الشعب الذي فقد كل شيء حتى نفسه و بلاده . هذه البقية الباقية من امة قديمة وتمدن قديم قد استودعك اياه يا ارض العمل والحرية التاريخ والقادر المتحكم في الامم والشعوب . وذلك لتصلحي اود نفسه التي شوّهتها قرون الذل والفقر والجهل . وتشحذي عزيمته التي افناها الياس وخسران كل شيء . وتملإِي بيوته سعة وثروة ليرتفع بها و يرقى لا ليسفل و يتدانى . ولقد جئناكِ يا ارض السلام والامانة فوجدنا انكِ كنتِ على تلك الوديعة التي تفرقت في انحاء بلادكِ تحت اجنحة نسرك الهائل خير حارس امين . فالرؤوس ارتفعت . والبيوت ارتقت وامتلأَت . والايدي سخت و بالمال عن سعةٍ وكرم طبعٍ جرتْ . والنفوس قويتْ ونشطتْ . والعقول دخلتْ الى قلب المدنية واخذتْ تنظر فيها ولئن كان نظرها تارة بعيون صحيحة وطورًا بعيون عليلة . نعم يا ارض النشاط والقوة لقد اعطيتِ وديعتكِ القوة والنشاط وجدّدتِ حياتها وخلقتها خلقًا جديدًا . ولكن هل اعطيتها القوة المعنوية كما اعطيتها القوة المادية . انها تقسم نفسها بسذاجة غريبة طوائف ومذاهب مذاهب . وقد تخاصم وتتنازع تنازع الاعداء والبعداء . ولكني موقن ان تمثال الحرية الواقف في الميناء كلما رأى ذاك النزاع بين الاخوة ابناء الوطن الواحد والشعب الواحد . فانه يتبسم لهذه المنازعات مع قبحها لانها دليل على القوة والحيوية . لان الميت لا يتحمس لشيء واما الحي وخصوصًا اذا كان حديث العهد بالحياة فانه يتحمس لاقل شيء . وما ابتسام التمثال سوى افتخار بان بلاده العظيمة جددت قوة ونشاط امة كانت في ادنى دركات اليأْس والضعف واعتبار ان منازعاتها كلما اشتدت وعظمت انما هي دليل على عظمة ما استفادته آخرًا من النشاط والحماسة والقوة . ولكن ما هذا ما عنيته ايها التمثال . انني لا اجهل ما نحن مديونون به لبلادك من القوة المادية . ولكن هل اعطتنا بلادك من القوة اجتماعيًا بقدر ما اعطتنا ماديًا . لست اعلم الان جوابًا على هذا السؤال لانني ما زلت ضيفًا . فالاحظ وادرس واقارن لكي استطيع الجواب عنه . وانما وظيفة مجلة « كالجامعة » في وسط مادي هائل كهذا الوسط بين مظاهر « تنازع البقاء » ونواميسه الشرسة المنكرة . هي ان لا تنسى ولا لحظة انه

الارض المهملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها اضعاف دخل الدولة اربع مرات

(١) قال المستر ويلكوكس المهندس المشهور في مصر حين زيارته ما بين النهرين في العام الماضي ان اعادة تلك البلاد الى حالتها الزراعية العظيمة الاولى لا تقتضي سوى اعادة تلك الترع والاقنية الى ما كانت عليه

يجب عليها لنفسها ولقرائها ان تكون بكل لين ورفق واحترام لجميع الآراء والاشخاص ممثلة لهذا المبدإ . مذكرةً به . داعيةً اليه . حاثة عليه . وهو هو الجامعة الذي يجمع القلوب والنفوس برباط الوداد والتساهل واحتقار اباطيل الدنيا وزخارفها اذا كان يقتضي الوصول اليها دوس تلك المبادىء التي بدونها لا يكون الانسان انساناً

حكمة ابن حزم وفلسفته

حِكَمٌ قديمة ولكنها جديدة

كان الوزير الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (بن حزم) الاندلسي الظاهري اماماً من ائمة الاندلس الاعلام. وكان الفيلسوف الاكبر (ابن رشد) يردُّ عليه في بعض كتبه كلما عرض له رأي مخالف لرأيه . وحسبنا ذلك دلالة على منزلة (ابن حزم) من الحكمة والفلسفة . وقد ورد في كتابنا ابن رشد وفلسفته) عبارة ردَّ بها هذا الفيلسوف على زميله وان كان مشاركاً له في كثير من الآراء والاحوال اخصها الاضطهاد الذي اصاب ابن حزم من اجل مبادئه وتعاليمه(١) . واتفق اننا قبل السفر من مصر شرعنا في قراءة كتاب (ابن حزم) في (مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد في الرذائل) فاعجبتنا فيها آيات باهرات في الحكمة والفلسفة . فلما شرعنا في إعداد مواد الجامعة هنا وكان الفكر لا يزال متبلبلاً . والعزم متقلقلاً . والمقل بين آثار نيويورك ومفاخرها متنقلاً . فقد رأينا من الفائدة لنا ولقرائنا ان نملأ شيئاً من فراغ المجلة بحكمة هذا المجتهد الحكيم

والمتأمل في الشذرات التالية المقتطفة بكل تروٍّ وامعان من جميع اجزاء الكتاب يعجبه منها امران ويدعوه امر ثالث الى التفكر والامعان . اما ما يعجبه فهو اولاً جمال لغة ابن حزم ولطف تعبيره ورقة اسلوبه . والامر الثاني ان كثيراً من حكمة ابن حزم ينطبق على لباب النواميس الطبيعية والشرائع العليا الادبية اتم انطباق(٢) وهذا ما يوجب الاهتمام بها اذ لولا ذلك لكانت كثيرها مما كتبه المتقدمون نسيج ترّهات وخليط خرافات . وهذا الامر هو الفارق الحقيقي بين التمدن الحقيقي والتمدن الباطل . والفلسفة الحقيقية والفلسفة الباطلة . نعني ان كل شريعة وكل فلسفة وكل مبدإٍ لا تبنى على (الناموس الطبيعي والشريعة الادبية العليا) فانما هي عبارة عن بيت من الرمال ينهدم عند هبوب اخف ريح من الجنوب

(١) قال الفيلسوف ابن رشد في كتابه (تهافت التهافت) في رده على الامام الغزالي بمسألة تلازم الاسباب والمسببات (لذلك العقل ليس بجائز فيمكن ان يخلق على صفات مختلفة كما توهم ذلك ابن حزم) (ابن رشد الصفحة ١٠٧)

(٢) وهذا لا يمنع ان يكون فيها كثير من الاوهام والآراء الضعيفة المرجوحة

او من الشمال · ألا ترى ان مؤلفي القدماء عند العرب يعدّون بالالوف ولا يُعتدُّ الأ يبضع عشرات منهم · فالفارق بينهم انما هو تخلّهم بتنخل النواميس الطبيعية والشرائع الادبية الحقيقية · وهذا سبب ارتفاع (ابن رشد) في اوروبا وسائر العالم المتمدن على جميع علماء العرب حتى الفيلسوف ابن سيناء نفسه الذي كان مشهوراً بين ابناء المشرق اوسع شهرة حالة كون علماء الافرنج لا يكرمونه اليوم نصف اكرامهم لابي الوليد

واما الامر الذي يدعو الى التفكر والامعان فهو ما يستشفه القارئ من خلال كلام ابن حزم من خصومات كان حساده يطاردونه بها وعداوات معها فعل لم يكن يستطيع ازالتها · وهذه على ما يظهر من (لزوم ما لا يلزم) عند حكماء الزمان في كل آن · وما برحت الجهالة والشناعة عدوة للحكمة والجمال · — والآن ننقل شيئاً من حكمة ابن حزم على ان نعود الى ترجمته وفلسفته في جزء آخر

١ سوء الظن يعدّه قوم عيباً على الاطلاق وليس كذلك الا اذا ادى صاحبه الى ما لا يحلّ في الديانة او الى ما يقبح في المعاملة والا فهو حزم والحزم فضيلة

٢ حدّ العدل (اي تعريفه) ان تعطي من نفسك الواجب وتأخذه · وحدّ الجور ان تأخذه ولا تعطيه

٣ اول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر · واول من يمقت شاهد الزور من شهد له به

٤ لكل شيء فائدة ولقد انتفعت بمحكّ اهل الجهل منفعة عظيمة وهي انه توقّد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سبباً الى تآليف عظيمة النفع · ولولا استثارتهم ساكني واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التآليف

٥ لا تصاهر الى صديق ولا تبايعه فما رأينا هذين العملين الا سبباً للقطيعة · وان ظن اهل الجهل ان فيهما تأكيداً للصلة فليس كذلك · لان هذين العقدين داعيان كل واحد الى طلب حظ نفسه · والمؤثرون على انفسهم قليلٌ جداً

٦ صدق من قال ان العاقل في الدنيا متعوب · وصدق من قال انه فيها مستريح · فاما تعبه فبما يرى من انتشار الباطل وغلبته دولته · وبما يحال بينه من اظهار الحق · واما راحته فمن كل ما يهتم به سائر الناس من فضول الدنيا (١)

---

(١) هذا من قبيل التزهيد في الدنيا وهو امر فات وقته

٧ ان لم يكن لك عدو فلا خير فيك ولا منزلة اسقط من منزلة من لا عدوّ له (١)

٨ لقد سألتُ بعضهم في رفق ولين عن سبب علو نفسه واحتقاره الناس فما وجدتُ عنده مزيداً على ان قال لي (انا حرّ لستُ عبد احد) فقلت له : اكثر من تراه يشاركك في هذه الفضيلة فهم احرار مثلك الاّ قوماً من العبيد هم اطول منك يداً وامرهم نافذ عليك وعلى كثير من الاحرار (٢) فلم اجد عنده زيادة فرجعت الى تفتيش احوالهم ومراعاتها فافكرتُ في ذلك سنين لاعلم السبب الباعث لهم على هذا العجب الذي لا سبب له . فلم ازل اختبر ما تنطوي عليه نفوسهم بما يبدو من احوالهم ومن مرامهم في كلامهم فاستقرّ امرهم على انهم يقدرون ان عندهم فضل عقل وتميز راي اصيل لو امكنتهم الايام من تصريفه لوجدوا فيه متسعاً ولأداروا الممالك الرفيعة ولبان فضلهم على سائر الناس : — كلما نقص العقل توهم صاحبه انه اوفر الناس عقلاً (٣)

٩ ليس من الحلم تقريب الاعداء ولكنه مسالمتهم مع التحفظ منهم

١٠ تجد فرط المودة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع العثرات

١١ الخطاء في الحزم خير من الخطاء في التضييع

١٢ من اراد الانصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فانه يلوح له وجه تعسفه

١٣ ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك ولا تثق بالمستخف وان اظهر انه على دينك (٤)

١٤ حدّ العفة ان تغض بصرك وجميع جوارحك عن الاجسام التي لا تحل لك فما

---

(١) قد يكون هذا القول صحيحاً وقد يكون باطلاً

(٢) هنا غمزة هائلة لا يُعرف مراده بها

(٣) كل من يقرأ هذه الشذرة الجميلة يظن انه يقرأ شيئاً من حكمة حكيم الفرنسويين المشهور « لابرويير » صاحب كتاب « الاخلاق » الذي قال فيه العلماء المتاخرون « انه احد كتب قليلة تشرّف العقل الفرنسوي خارج فرنسا خصوصاً عند الامم الجدية كالانكليز والاميركان » وذلك لان الفرنسويين مشهورون بالخفة كما يقولون . وتشبيهنا حكمة ابن حزم بحكمة لابرويير اعظم ثناء على ابن حزم

(٤) كان الاسبانيون واليهود في الاندلس مختلطين بالعرب اشد اختلاط وقد كان زمن عاش فيه الثلاثة « المسيحيون والمسلمون واليهود » في الاندلس بائتلاف تام وذلك في عهد الحكم كما فصلناه في كتاب « ابن رشد وفلسفته » فقد يكون في هذه الشذرة اشارة الى ذلك الائتلاف

عدا هذا فهو عهر

١٥ استبقاك من عاتبك وزهد فيك من استهان بشانك : — العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فاما تصفو واما تطير

١٦ لا تكلف صديقك الاَّ مثل ما تبذله من نفسك فان طلبت اكثر فانت ظالم

١٧ اذا ارتفعت الغيرة (يريد بين المحبين) فايقن بارتفاع المحبة

١٨ اخبرني بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه انه ما عرف الغيرة حتى ابتلي بالمحبة (١) وكان هذا المخبر فاسد الطبع خبيث التركيب الا انه من اهل الفهم والجود

١٩ « الحلاوة » دقة المحاسن ولطف الحركات وخفة الاشارات · ورب جميل الصفات « يعني جميل المنظر » على انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع · وهي ايضاً « الفراهة » — « الحسن » هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه · وهو برد مكسو على الوجه واشراق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه · وان لم تكن هناك صفات جميلة « اي اعضاء واجزاء جميلة » فكل من رآه راقه واستحسنه وقبله حتى اذا تأملت الصفات افراداً لم ترَ طائلاً · وكانه شيء في نفس المرئي يجده نفسه الرائي (٢)

٢٠ درج المحبة خمسة · اولها « الاستحسان » وهو ان يتمثل الناظر صورة المنظور اليه حسنه او يستحسن اخلاقه وهذا يدخل في باب التصادق (٣) ثم « الاعجاب » وهو رغبة

---

(١) ليس في هذا القول غرابة لانه امر طبيعي · وانما الغرابة والملاحة في ان يقول مثلاً « ما عرف المحبة حتى غار » لان الغيرة اقوى مذكيات نار المحبة

(٢) هذا ما يسميه الباريزيون (chic parisien) ومن امثالهم في وصف امرأة لا يدرَك معنى جمالها ادراكاً تاماً اذا نظر الى اجزاء وجمعها افراداً وهي مع ذلك اجمل من الجميلات

elle a (je ne sais quoi) de sublime et de beau

(٣) من الغرابة ان نجد هذا الراي في التمدن الاندلسي لان الشريعة الاسلامية تمنع « الصداقة » بين الرجل وامراة من غير زوجه واهله · اما الافرنج اليوم فهذه المسألة عندهم من المسائل العائلية المهمة وهي « هل يمكن ان تتخذ المراة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يخشى من خطر وقوع الحب بينهما »

الناظر في المنظور اليه في قربه . ثم « الالفة » وهي الوحشة اليه اذا غاب . ثم « الكلف » وهو غلبة شغل البال به وهذا النوع يسمى في التزل المشق . ثم « الشغف » وهو امتناع النوم والاكل والشرب الاّ اليسير من ذلك . وربما ادى ذلك الى المرض او الى التوسوس او الى الموت

٢١ لقد طال همّ من غاظه الحق

٢٢ رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات ينقسمون اقساماً ثلاثة « احدها » من لا يبالي فيما انفق كلامه فيتكلم بكل ما سبق الى لسانه غير محقق نصر حق ولا انكار باطل وهذا هو الاغلب في الناس « والثاني » ان يتكلم ناصراً لما وقع في نفسه انه حق ودافعاً لما توهم انه باطل . غير محقق لطلب الحقيقة لكن لجاجاً فيما التزم وهذا كثير . وهو دون الاول « والثالث » واضع الكلام موضعه وهذا اعزّ من الكبريت الاحمر

٢٣ مما ينجع في الوعظ الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله . فهذا داعية الى عمل الخير وما اعلم لحب المدح فضلاً الاّ هذا وحده

٢٤ من وعظ ببشر وتبسم ولين كانه مشير برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ فذلك ابلغ وانجع في الموعظة . وكان صلى الله عليه وسلم « يعني الرسول » لا يواجه بالموعظة لكن يقول « ما بال اقوام يفعلون كذا »

٢٥ تأملت كل ما دون السماء وطالت فكرتي فوجدتُ كل شيء فيه من حي وغير حي طبعه ان قوي ان يقلع عن غيره من الانواع كيفياته ويلبسه صفاته . فترى الفاضل يودّ لو كان الناس فضلاء . وكل ذي مذهب يودّ لو كان الناس موافقين له . وترى ذلك في الفياض اذا احال بعضها على بعض احاله الى نوعيته وترى ذلك في تركيب الشجر وفي تغذي النبات والشجر والماء ورطوبة الارض واحالتها ذلك الى نوعيتها (١) فسبحان مخترع ذلك ومدبره — ثم لا ترى احداً يشبه آخر شبهاً لا يكون بينهما فيه فرق . وقد سألت من طال عمره و بلغ الثانين عاماً هل رأى الصور (٢) في ما خلا مشبهة لهذه شبهاً واحداً . فقال لا . بل لكل صورة فرقها . وهكذا كل ما في العالم يعرف ذلك . لكن من تدبر

---

(١) ادهشنا هذا القول من ابن حزم لانه تقدّم به « درون » العالم المشهور بعدة قرون . ولكن لا غرابة في ذلك فان في كثير من مبادىء المتقدمين بزور مبادىء المتاخرين (٢) يعني صور الموجودات اي اشكالها التي تتشكل بها

الآلات وجميع الاجسام المركبات وطال تكرّر بصره عليها فانه حينئذٍ يميز بينها ويعرف بعضها من بعض بفروق (١)

٢٦ محن الانسان في دهره كثيرة واعظمها محنته باهل نوعه من الانس : داء الانسان بالناس اعظم من دائه بالسباع الكلبة والافاعي الضارية لان التحفظ من كل ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفظ من الانس اصلاً

٢٧ ما رأيت العجب في طائفة اقلّ منه في اهل الشجاعة واستدللت بذلك على نزاهة انفسهم ورفعتها وعلوها

٢٨ لعل علمك الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخرة التي لا كبير خصلة فيها كالشعر وما جرى مجراه (٢)

٢٩ لا شيء اضرّ على السلطان من كثرة المتفرّغين حواليه « يعني الذين لا شغل لهم » فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه (٣)

٣٠ العلوم الغامضة كالدواء القوي يصلح الاجساد القوية ويهلك الاجساد الضعيفة

٣١ من سرّ بشجاعته فليعلم ان النمر اجرأ منه . وان الاسد والذئب والفيل اشجع منه . ومن سرّ بقوة جسمه فليعلم ان البغل والثور والفيل اقوى منه جسماً . ومن سرّ بحمله الاثقال فليعلم ان الحمار احمل منه . ومن سرّ بسرعة عدوه فليعلم ان الكلب والارنب اسرع عدواً منه . ومن سرّ بحسن صوته فليعلم ان كثيراً من الطير احسن صوتاً منه . فاي فخر واي سرور في ما تكون فيه هذه البهائم متقدمة عليه . لكن من قوي تمييزه واتسع علمه وحسن عمله فليغتبط بذلك

---

(١) هذا القول من المدهشات ايضاً وتفسيره باللغة الفلسفية الحديثة ان المادة في جميع الموجودات واحدة في الارض كما اثبت ذلك العلاّمة برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور وانما تتخذ اشكالاً « صوراً » مختلفة . وهو ما يسمونه

La diversité dans l'unité

٢ نظن ان شعراءنا الافاضل يتعزون بعض الشيء بهذا الكلام من ابن حزم عن شعراء الاندلس في عصره . وبه يستدل على مقام الشعر يومئذٍ

٣ هذا الكلام البديع لا يحتاج الى حاشية لانه مفهوم بنفسه

بنات الازبكية الجميلات

او

آفة مصر الجديدة

(مباحثة بين ثلاثة)

كتبت تحت سماء مصر في وادي النيل العظيم

١

سمعت يوماً حديثاً جديراً بالتدوين في بطون الاوراق . فقد تسلقت مرة قمة الصخرة الصناعية القائمة في حديقة الازبكية (١) ويسميها العامة الجبلاية اعلوها كالجبل وجلست في اعلاها اقرأ كتاباً معي على موازاة رؤوس اشجار الحديقة بين نعيق الغربان التي كانت تحوم حولي . واني لكذلك واذا باثنين من طلبة المدارس قد صعدا وجلسا بعيداً عني . واني كثيراً ما دخلت الحديقة فوجدت بين اشجارها وازهارها بعض طلبة المدارس يراجعون دروسهم ويتباحثون فيها وكان ذلك يسرّني مسرّة شديدة حتى انه كان احياناً يشغلني عن الحديقة واشجارها واطيارها فاتلهى بالاصغاء الى مناقشاتهم في الطب والحقوق والصرف والنحو وانا جالس بعيداً عنهم دون ان يعلموا بانني مصغٍ اليهم . وعند كل نكتة او خلاف كان يظهر بينهم كنت ابتسم واتذكر الاوقات المدرسية الحلوة التي كنت فيها مثلهم . نعم كان يسرّني رؤية الطلبة في حديقة الازبكية يدرسون ويستنشقون هواءها النقي وهم بمعزل عن ضوضاء العالم ومشاغله الا انني لما رأيت التلميذين يصعدان الى حيث كنت جالساً وينفردان في الجهة المقابلة لجهتي في قمة الصخرة شعرت بشيء من الانقباض والاستياء . وسبب انقباضي خوفي من الطلبة الذين يطلبون الانفراد عن رفاقهم في اماكن لا تنفذ اليها العيون . نعم انني علمت ان الانفراد عن الناس في الصغر او في الكبر قد يكون في بعض الاحيان حاجة من حاجات النفس تميل اليها اما لرقة شعورها او لألم وجدته في الاجتماع او لمرض يصيبها او لكبر غريزي فيها قد يكون ضرّه اكثر من نفعه . الا ان هذا الانفراد هو

١) الازبكية اعظم احياء القاهرة وهي في قلب المدينة حول حديقة واسعة مفروسة بالاشجار الضخمة على شكل دائرة

انفراد مطلق اي انه يكون انفرادًا عن الجميع حتى عن الرفيق الصديق . ولكن متى رأيت طالبين او اكثر يطلبون الانفراد معاً في مكان مستتر فعليك ان تخاف عليهم من هذا الانفراد خوفك عليهم من الاسود والذئاب . ومما كان يثبت هذه الشبهة لديَّ معرفتي ان هذه (الجبلايه) كانت من قبل قرارة اقذار وملجأ قبيحاً لمن يريدون الاستتار عن الابصار. حتى اذا تفاقم خطبها ابطلت الحكومة القهوة التي كانت فيها واطلقتها للزائرين . ونعم ما فعلت الحكومة في هذا الشان لولا انه بقي عليها ان تقيم فيها خفيرًا يمنع دخول النساء اليها اصلاً صيانةً للشبيبة المصرية التي تتردد على الحديقة . فقد رأيت يوماً في جوف الجبلايه احد الطلبة وهو لا يناهز الواحدة والعشرين في يساره دفتر دروسه وفي يمينه يمين حسناء لعوب

٣

ولما جلس الطالبان التفت اصغرهما الى اكبرهما وقال : هوذا صاحبنا يوحنا . انظر اليه كيف اصبح لا يستطيع جرّ قدميه . لا ريب في انه يجهد نفسه كثيرًا في الدرس والسهر اليس هذا هكذا يا بطرس ؟

فتبسم بطرس وقال : كلا يا احمد ليس الدرس هو الذي فعل بصاحبنا هذا الفعل . بل هنالك سبب اخر اخجل من ذكره لك

فبهت احمد ثم قال : ما هو هذا السبب الذي تخجل من ذكره لي فقد شغلت بالي وهجت بلبالي . اتظن بعد قولك هذا انه يهدا لي بال قبل ان اقف عليه

فقال بطرس : صدقت يا صديقي فالكتمان لا يجدي نفعاً في كل حال . فانك انت قدمت من قريتك الساذجة الهادئة الى مصر منذ ثلاثة ايام فلا بدّ ان تطلع على ما فيها بعد اسبوع او سنة . وحينئذٍ تباغتك اشياؤها مباغتة الوابل للارض الظمأى التي اشتدَّ بها الاوار . فلا تجد من نفسك قوة على تحمل وقع هذه المباغتة فتستسلم اليها ويجرفك التيار . نعم صدقت يا احمد يجب ان اعطيك قوة التحمل والمقاومة لتقابل بها قوة الضعف والانحلال والا اصابك ما اصاب صاحبنا يوحنا . وهذا ما حدا بي الى التصريح لك بذلك . فاصغِ اليَّ

ليلائه عدة اسباب ولكن اهمها واكبرها سبب واحد جميعها ترجع اليه . انظر الى هذه الطريق الممتدة امامنا من فندق شبرد الى نيوبار ولاحظ حركات النساء اللواتي يسرن عليها . هؤلاء النساء هنَّ علة البلاء والجرح الدامي الذي يسيل منه الان خير ما في بدن مصر المسكينة من الدماء

انظر تَرَهنَّ كجيش يحملن على الطريق حملةً شعواء . انظرت تلك الهيفاء الممشوقة

القوام الرائعة الجمال التي في عينيها طفولية دائمة وثيابها وقبعتها من اجمل واظرف ما يكون ؟ هذه فتاة فرنسوية . انظرت تلك القصيرة الرفيقة التي تلبس رداء شتوياً طويلاً وهي كالنحلة خفة ورشاقة عيناها وابتساماتها تجذب اليها الابصار والقلوب كما يجذب الحديد المغناطيس ؟ هذه حسناء ايطالية . وتلك التي على راسها قبعة حمراء وتتجتر كأنها كليوبتره في شوارع الاسكندرية ؟ هذه سيدة المانية . ثم انظر الى اولئك فهذه انكليزية وهذه نمساوية وتلك يونانية وتلك بلجيكية . ماذا اقول لك ايضاً انك تجد بينهن حتى فتاة يابانية . نعم يا صديقي فان حسان العالم باسره يحملن اليوم على مصر المسكينة حملة عمومية . فان الرزق فيها كثير والتدبير قليل والجمال المحلي نادر وجنون الشبان وتصابي الشيوخ اكثر فيها من كل بلد غيرها حتى في الاجانب والنزلاء الذين يسكنونها . ومن اجل هذا تجد ان الفساد راج فيها اليوم رواجاً لم يُعرف فيها من قبل في اي تاريخ من تواريخها . فاذا جن الليل ترى الطالب منا يترك كتبه ومدرسته . والمتزوج يهجر بيته واولاده وزوجته . والكبير الجاه يترك جاهه ومنزله . والشاب العازب غنياً او فقيراً ينسى نفسه وجيبه وصحته . وجميعهم يتهافتون تحت جنح الدجى على صحفة العسل القذر المسموم تهافت حنزير اصاب جيفته . ان جول سيمون الفيلسوف الفرنسوي كان كلما ابصر في حياته العاملات والاولاد تفسد اخلاقهم وآدابهم وصحتهم في المعامل بما يلاقونه فيها فانه كان يصيح ملء فيه : ان دم فرنسا يفسد شيئاً فشيئاً . فنحن الآن للحالة التي وصفتها لك نصيح بحق قائلين : ان دماء مصر تفسد شيئاً فشيئاً اذا لم تدبروا طريقة لاصلاحها

فدهش احمد وقال : فهمت الان سبب انحلال قوى يوحنا . واذا اضفنا هذا الخطب الجسيم الى مقتضياته ولوازمه كالمسكرات والسهر الطويل والمقامرة لربح المال توصلاً اليه عرفنا التنين الهائل الذي يمتص اليوم دماء مصر وثروتها ويفني قوى شبيبتها . ولكن لماذا لا تتداخل الحكومة لاستئصال هذا الشر من اصله وسحق هذه الافاعي الجميلة المطيبة التي تفني قوى ابنائها

فاجاب بطرس : ان سؤالك هذا يتضمن قضيتين . الاولى استئصال الحكومة هذا الشر والثانية (سحق الافاعي الجميلة) كما سميتها . فانا لا اجيبك عن القضية الاولى لان البحث فيها يقتضي اسهاباً وتفصيلاً ليس هنا محله . بل اكتفي بان اقول لك بان الحكومة عاجزة عن مداواة هذا الداء لعدة اسباب اجتماعية وسياسية اهمها ان هذا الداء كائن في اصل الهيئة الاجتماعية نفسها . ولا يثمر الفساد الا فساداً . وهذا بحث اجتماعي فلسفي طويل ارجئ

الخوض معك فيه الى فرصة اخرى · واما القصية الثانية فانني ابحث معك فيها بحثاً مسهباً لأمر ساطلعك عليه في خاتمة الكلام اذا كنت لا تقف عليه من تلقاء نفسك · وهذا هو غرضي من كلامي معك في هذا الموضوع الان

اسمع يا احمد · انك سميت هؤلاء النساء (افاعي جميلة مطيبة) فانت اصبت واخطأت معاً · اصبت لان ضررهن قد يكون اشد من ضرر الافاعي ولسعاتهن اشد ايلاماً · واخطأت لان قولك هذا يوهم بانه يجب ان يحملن وحدهن تبعة الحالة الهائلة التي امسين فيها · ولكنك اذا بحثت قليلاً وجدت العكس · اقرأ ما كتبه عنهن اسكندر ديماس الصغير (الذي هو في الحقيقة الكبير) وابوه ديماس الاب وفيكتور هيغو والفريد دي موسه فترى ما يستدر الدموع ويجني الضلوع · فان الاول كتب فيهن (لادام اوكاميليا) والثاني (فرناند) والثالث (ماريون ديلورم) والرابع (برنت) واي انسان ذي احساس يقرا هذه الكتب الاربعة ويرى شقاء المرأة الشقية وعذابها وآلامها من خلال مظاهرها اللامعة وظواهر السرور التي تضطر الى الظهور بها ولا يتصدع قلبه كآبة وحزناً على شقاء هذه الانسانية الساقطة · بل ما لنا وللقصص والروايات فان اللورد كرومر نفسه شهد لهن في تقريره السابق شهادة بمقام الف شهادة · فانه قال ما خلاصته ان هؤلاء النساء يشتغلن في مصر بشغلهن الهائل باغراء رجال يقرضونهن شيئاً من المال ثم يقيدونهن بهذا الدين تقييد السجين بالقيود · او انهن يكن متزوجات او مرافقات فيسهل لهن رفاقهن هذا الامر لكي يعيشوا بدناءة ونذالة مما يكسبنه وهن يخفن منهم خوفاً شديداً · وهذا منتهى ما تنحط اليه الانسانية في الرجال وهي وا اسفاه درجة احط من درجة الحيوانية لانه لم يرو عن الحيوان نذالة كهذه النذالة · والغريب ان الهيئة الاجتماعية تدري بهذه النذالة وتغض الطرف عنها · ولما يكلف ذو عقل مثلك بابداء راي في هذا الامر يصب جام غضبه على المرأة وحدها ويسميها (افعى جميلة مطيبة) · ان هذه الافعى يا احمد قد تكون افعى كما تقول ولكنها افعى صغيرة ضعيفة · وهي شهيدة الهيئة الاجتماعية الظالمة التي تتركها تبيع شرفها لتأكل به خبزاً وضحية (الافاعي الحقيقية والخنازير البشرية) التي تنتفع بها · فعلى رؤوس الهيئة الاجتماعية والافاعي والخنازير البشرية يجب ان يصب الله والناس ما في الجحيم من نار ابدية ولعنات سرمدية

وربما تقول قد عرفت الافاعي الحقيقية · عرفت نذالة الرجال بل البهائم الذين يسترقون ويستثمرون المرأة الضعيفة دافعين بها الى قعر الهاوية · ولكن لم اعرف من هم

(الخنازير البشرية) الذين ذكرتهم فاصغ الي

ان هذه المرأة الجميلة النظيفة المطيبة التي تراها في الشارع وهي تبحث بعينيها بين الناس لا تخرج من بيتها الا في المساء لانها تقضي النهار في النوم وذلك لانها تقضي الليل في السهر. فتخرج من بيتها ماشية او راكبة وليس في جيبها احياناً غير اجرة المركبة . وفي خروجها من البيت قد تكون نفسها في اشد حالات الالم . فان الليل مظلم كالمستقبل الذي امامها في آخر عمرها. وترى نفسها وحيدة فريدة بين الزوابع والامطار وسط اناس سكارى باخلاق الثمورة والذئاب يزدحمون حولها في الشوارع والحانات . انك تراها تضحك وتبتسم هنا وهناك ولكن ادخل الى نفسها واقرأ افكارها تجد انها لا تفكر في شيء مما حولها . فان فكرها بعيد جداً . هي تفكر بصاحب المنزل الذي يطالبها باجرة منزلها ويتهددها بالطرد او بالحجز. هي تفكر بالخياطة التي بعثت في يوم واحد ثلاث مرات تطلب رصيد حسابها والا رفعت قضية عليها . وبصاحب الرستوران (المطعم) الذي ابى ان لم تدفع اليه قيمة اشتراكها مقدماً رفض اشتراكها . وفوق هذا وهذا — هناك في مكان مستتر شخص ينتظر آخر الليل ليأخذ منها النار المحرقة التي تكون قد باعت عرضها بها . انها فكرت في كل ذلك قبل خروجها من البيت في المساء وبكت قليلاً . ولكنها الان تضحك وتبتسم لانها في السوق . ان الابتسام يجذب اما البكاء فينفر فيجب اذاً ان تبتسم في شفتيها وان كانت تبكي في نفسها . واذا وجدت انها لا تبتسم تبسماً كافياً دخلت احد « البارات » وتناولت من الجعة « البيرة » او الويسكي او الكونياك ما يزيل كل اثر للكآبة من عينيها ووجهها . ثم تنطلق في سبيلها

فهل تعلم الان من هم « الخنازير البشرية » الذين اشرت اليهم آنفاً . هم اولئك الغلاظ النفوس الذين يرون ضعف هؤلاء المسكينات الشقيات فيغتنمون فرصة شقائهن وحاجتهن الى المال على ما تقدم لابتياع شرفهن بابخس الاثمان

ان هؤلاء الخنازير مساوون لتلك الافاعي وكلا الفريقين احط من المرأة الشقية التي يدنسونها بملادهم الخشنة . يقولون انهم يشترون بضاعة معروضة بثمن يدفعونه ولذلك يحسبون انهم قاموا بما عليهم . فلله در منطقهم . انني اترك لهم منطقهم واسلم لهم بقولهم هذا اذا شاؤوا دون ان احتج عليهم بشيء من اصول الشرائع والفضائل والآداب فان هذه كلها اصبحت على ما يظهر زياً قديماً جديراً بالبله والمخدوعين في هذه الحياة . ولكني اسأل ماذا يفعلون اذا سمعوا النداء التالي صادراً من صميم قلب المرأة التي يدنسونها وينزلونها منزلة الحيوانات . هل يسدون آذانهم دون هذا النداء . فانها مثلاً يمكنها ان تقول لهم ما يأتي :

« لما رايتك في السوق ابتسمت لك في شفق ولكني لعنتك في قلبي . فتبعتني الى البيت لتشتري شرفي . فلله ما اكرمك . انك بما تعطيني اياه الليلة سأتمكن غداً من ان آكل واشرب جيداً في هذا البرد الشديد . فشكراً لك .. ولكن بعيبيك اخبرني . لماذا العرض والشرف عندك غالٍ الى هذا الحد .. انك وضعتَ على المائدة ذهباً كاملاً فلماذا لم تكتفِ بوضع نصف ذهب .. يظهر انك تعرف قيمة العرض من انك ذو زوجة ولك امٌّ واخت .. قه قه قه .. شكراً لك . لا تؤاخذني اذا قلت لك اني حين كنتُ الآن بين يديك اقبّل شفتيك كدتُ ابصق في وجهك . ولكنني ملكتُ نفسي وحوّلت غضبي ضحكاً تضحكت الضحكت العالية التي سمعتها . ولما سالتني عن سبب ضحكي الى هذا الحد كان جوابي اني ازددت تقبيلاً لك .. قه قه قه .. لماذا تستغرب كلامي . اظنك تقول في نفسك اني كنتُ كاذبة مرائية .. مسكين انت ايها الرجل الساذج . ماذا تريد اذاً ان اكون . هل تريد ان اقول لك الحقيقة : فاسمع اذاً . اني اعتبرك (خنزيراً دنيئاً) وهذا هو اسمكم عندنا كلكم ايها الرجال لما نتحادث عنكم . اني احتقرك اكثر مما احتقر نفسي لاني اتسفل لكي آكل خبزاً وانت تتسفل لتشبع شهوةً . اني اقول لك انك نبيه جميل والحقيقة اني اراك حماراً باربع آذان وقبيحاً قبحاً يثير نفسي اشمئزازاً كلما قبّلتك . اني ابغضك واكرهك كما اكره الشيطان والجحيم لانك وهيئتك الاجتماعية الدنيئة لا تسمحون لي ان آكل واعيش الا ببيع اثمن ما لديّ بابخس ما لديكم . لماذا اراك تغضب . وماذا تنتظر مني اذاً — « هنا تبكي » — اتريد ان تاكلني واباركك . اتريد ان تهينني في عرضي وشرفي واحترمك . لو كان في نفسك مثقال ذرة شرفاً وشهامةً لما اغضبك كلامي هذا لانه حق . فلنترك الجدّ جانباً لانه مسيء . ولنبقَ في المزل . خذ واشرب معي نخب معدتي ومعدتك لانهما كلتيهما تهضمان اشياء مدهشة»

فيا صديقي الصغير احمد بماذا يجيب اولئك البشر عن هذه الشكوى الهائلة . اتعرف لهم جواباً . وهل تطاوعهم نفوسهم بعد سماع ما تقدم على اعتبار هذا الامر بيعاً وشراء لسلعة معروضة كما مرَّ بنا

وكان احمد مصغياً اشدّ إصغاء . وقد رايته مرتين يمسح بمنديله دمعتين . فلما سكت بطرس اخذ احمد يده بلهفة وصاح باهتمام شديد — شكراً لك يا صديقي والف شكر . فاني علمتُ الآن انك ما تعبت بتفصيل ما فصلته الا لالقاء درس عليَّ بصورة تأنيب وجهته الى غيري صيانةً لي . ولكن على ثقة من ان كلامك هذا لا يذهب سدى .

فاني سانشره في الجهات الاربع · وكل من وقف عليه سيستفيد ما استفدته منه وهو الفرار من الانحطاط الى هذا الدرك الاسفل · ومن لا تعاف نفسه هذا الانحطاط فلا يستحق ان يسمى انساناً

٣

وما اتمَّ احمد كلامه حتى سمعت قهقهة شديدة · فالتفتُّ فابصرت يوحنا ثالث الثلاثة واقفاً ورأني يضحك من كلام رفيقيه و يستهزئ بهما لانهما على المبادىء القديمة التي ذكراها · ولست ارى من الحكمة ان انشر ما دار بينه وبينهما بعد ذلك من الحديث لانه قال لهما اقوالاً واعترض اعتراضات يجب الاعراض عنها · الاَّ اذ وجدتُ مناسبة لذلك في مقالة تالية ·

فلسطين واشهر بلدانها

(١) لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا

— نابلس —

(هي شكيم التي وقف المسيح على بئر قريب منها وجرى له مع السامرية الحديث المشهور الذي هو اسمى ما في الانجيل)

واقعة بين جبلي عيبال وجرزيم في وادٍ عامر بالبساتين والاشجار النضرة التي تسقيها مياه ينابيع غزيرة · وتعلو ١٨٧٠ قدماً عن سطح البحر

☀ سكانها ☀ عددهم نحو عشرين الف نسمة نحو مائتي سمرة والف مسيحيين اكثرهم روم ارثوذكس والباقون مسلمون · وكثيراً ما كان ينسب لهم التعصب والتعدي حتى قال بعض كتبة الافرنج ان السياح كانوا يخافون المرور بنابلس فكانوا يسافرون من اليهودية الى الجليل بطريق يافا · غير اننا زرنا المدينة مراراً عديدة فعرفنا من اهلها انهم شديدو الاستمساك بدينهم وبصورة عمومية كرماء الاخلاق يدافعون عن الغريب · ومن

---

(١) هذه تتمة تاريخ وجغرافية فلسطين اللذين نشرهما في السنة الرابعة من الجامعة حضرة الكاتب بعد ان ساح بنفسه في تلك الانحاء سياحات طويلة

مزاياهم الحميدة منع بيع الخمرة وعدم تعاطيها في بلدهم ولذلك لم يسر سمها فيه سريانه في باقي المدن السورية

والمدينة مركز متصرفية تابعة لولاية بيروت وفيها عدة جوامع فسيحة اصل بعضها كنائس مسيحية شرقية وغربية وربما كانت هذه الكنائس مجامع للسمرة · وفيها ايضاً مكاتب عثمانية ومدارس خارجية للطوائف المسيحية وديران للروم واللاتين ومستشفى خيري لبعثة انكليزية

❋ تاريخها ❋ اسمها الساميّ (شكيم) نسبة الى شكيم ابن حامور وفيها معامل كبرى للصابون الذي يرسل الى كل البلاد العثمانية والديار المصرية وهو مشهور بجودته

وكتبة العبرانيين دعوها ماموراثا Mamoratha (الممر) لانها واقعة او بالحري كانت واقعة في الممر الضيق بين الجبلين المذكورين · الى جوارها عاد يعقوب من فدان ارام واشترى لنفسه ملكاً واقام هناك حتى دنّس شكيم ابن حامور ابنته فرحل عنها الى حبرون ولكنه بقي يرسل مواشيه لترعى بجوارها · ولما قسمت الارض بين الاسباط بالقرعة وقعت في نصيب افرايم ابن يوسف ولكنها ما لبثت ان صارت مدينة ملجأ (يشوع ٢٠ · ٧) وفيها جرت المؤامرة بين ابيمالك ابن جارية جدعون واهل شكيم على قتل ابناء جدعون السبعين وتمليك ابي مالك عليهم (قضاة ٩) وفي سنة ٩٧٥ قبل المسيح في ايام الملك رحبعام ابن سليمان انشقت عنه العشرة اسباط وملكوا يربعام خادم سليمان فبنى هذا شكيم وجعلها قاعدة مملكته (ملوك اول ١٢) وبقيت كذلك مدة تنوف عن الخمسين سنة وصارت بعد السبي قاعدة السامريين · وقد حاربتها جنود فسباسيانوس واخضعتها وسماها الرومانيون منذ ذلك الوقت فلافيا نابوليس Flavia Napolis اكراماً لطيطس فلافيوس فسباسيانوس وهي من المدن القليلة التي بقي اسمها الروماني متغلباً على الاسم الساميّ القديم · وقد بشر الرسل فيها الديانة المسيحية فانتشرت فيها حتى صارت كرسي اسقفية منذ بداءة القرن الرابع · ويظهر من وصف يوسيبيوس لها في ذلك الزمن انها كانت كبيرة جداً الا ان القسم الشرقي منها الذي كان ممتداً نحو بئر يعقوب كان خراباً

ولما امتدت الفتوحات الاسلامية دخلت نابلس في ايدي الفاتحين وبقيت الى ان اخذها تنكريد احد قادة الصليبيين · وفي سنة ١١٨٤ نهبها السلطان صلاح الدين في عودته من الكرك خاسراً وتغلبت جيوشه عليها بعد واقعة حطين الشهيرة وقتلوا جماً غفيراً من اهلها · وفي سنة ١٢٤٢ عاد المسيحيون فاستولوا عليها لمدة سنتين واسترجعها منهم بعد

ذلك ابو علي حليف السلطان بيبار . ويظهر انها بقيت تحت سلطة المسلمين منذ ذلك الوقت وكان باشاوات الشام وعكا في المدة الاخيرة يولون عليها وعلى المقاطعة عمالاً من روساء عشائرها الذين اشتهروا بحب الرئاسة والقتال

— جبل عيبال —

يقابل نابلس من الجهة الشمالية وعلوه ثلاثة آلاف ومائة قدم . ويدعى (الاسلامية او الشمالي)وفي سفحه كثير من الصبر الذي يزكو ثمره للغاية وله منظر الى بعيد فيحيط بجبال الجليل والكرمل والطور ومرج ابن عامر وجبال حوران و بلاد صفد حتى جبل حرمون . وعليه بنى الاسرائيليون مذبحاً ونقشوا كلمات الناموس وذبحوا ذبائح سلامة ووقف ست اسباط منهم ليلعنوا كل من يخالف الشريعة كما وقفت الستة الاسباط الأُخر على جرزيم لتبارك من يحفظها ويتبع سنتها (تثنية ٢٧ ويشوع ٨ : ٣١) وعلى قمته خرابات قلعة كثيفة البناء ومقام لاحد اولياء المسلمين يقولون ان جمجمة يوحنا الذي قطع هيرودس رأسه مدفونة في داخله

— طلوزه —

على التل الواقع الى الشمال من عيبال ويستدل من اسمها على انها ترصة التي كانت لمدة قصيرة عاصمة مملكة اسرائيل (ملوك اول ١٦ : ٨)

— جبل جرزيم —

جبل السامريين المشهور

ويدعى الطور والقبلي ايضاً علوه ٢٨٨٤ قدماً ويشرف على جبال جلعاد واليهودية وحرمون والكرمل والبحر المتوسط . وعلى سطحه بقايا قلعة مربعة محصنة بالابراج وكثافة جدرانها تختلف من خمس الى عشر اقدام . ويستدل من شكل بنائها انها هي نفس القلعة التي بناها الامبراطور زينو الذي قام في القرن الخامس وهي التي وضع فيها الحامية لحماية كنيسة العذراء التي بناها ايضاً من تعديات السمرة الذين كانوا شديدي الغيرة على جبلهم . اما الكنيسة فقد كانت مثمنة الشكل ولم يبقَ منها سوى الأُسس

وفي الجهة الشمالية الشرقية مقام الشيخ غانم احد اولياء المسلمين . وفي سطح الجبل عدة خرابات أُخر تدل على انه كان مأهولاً يوماً ما . بينها بضع حجارة كبيرة الحجم يعتقد

السمرة انها حجارة المذبح الذي بناه يشوع بامر موسى على جبل عيبال . ويدلون على النقطة التي يزعمون ان ابرهيم أمَّها ليقدم ابنه اسحق ذبيحة عليها في جهة سطح الجبل الجنوبية الشرقية

وقد جُعل لهذا الجبل اهمية خصوصية في التاريخ الديني منذ عودة الاسرائيليين من السبي في نهاية القرن السادس قبل المسيح وعدم رضاهم بمشاركة السمرة لهم في تجديد بناء هيكل اورشليم الثاني اذ استاء السامريون من ذلك الرفض وعدُّوه اهانة فقدسوا جبل جرزيم واتخذوه مركزًا لعبادتهم . واذ تزوج منسى احد رؤساء كهنة اليهود بابنة رجل سامري يدعى سنبلط كان وزيرًا للملك داريوس أنكر عليه اليهود ذلك الزواج المخالف لشريعتهم وخلعوه من رئاسة الكهنوت فاراد طلاق الاجنبية لولا ان اباها وعده ببناء هيكل على جرزيم متى تمت الغلبة لداريوس على اسكندر الكبير . فلما انطفأ نور الامل بفوز اسكندر قصده سنبلط واشار عليه بوجوب تفريق كلمة اليهود ببناء هيكل على جرزيم يباري هيكل اورشليم وتقليد منسى الذي كان بعضده حزب من اليهود رئاسة الكهنوت فيه . فوافق اسكندر على ذلك وامر ببناء ذلك الهيكل فبني وصار السمرة يكرمونه اكرام اليهود لهيكلهم في القدس . وبقي عامرًا مائتي سنة حتى خربه هركانوس ابن سمعان المكابي . ولم نعثر اثناء ابحاثنا على ما يشير الى اعادة بنائه غير ان السمرة لم ينقطعوا حتى اليوم عن احترام الجبل وعن تأدية فرائضهم الدينية عليه حالة كون اليهود لم يعودوا يؤدون فرائض الهيكل الدينية منذ خراب هيكلهم في الحرب الطيطسية . ولمناسبة ذكر السامرة وجرزيم نذكر شيئًا عن تاريخ السمرة واعتقادهم لتكمل الفائدة

تذكار انتقال الجامعة

منشور الانتقال من مصر. كتاب وداع وكتاب شكر. قصيدتان

نشرنا هنا بضع صفحات خصوصية في شأن انتقال الجامعة من الاسكندرية الى نيويورك. ونحن نعتذر الى حضرات القراء عن نشرها ولكنا رأيناها عبارة عن تذكار لهذا الانتقال يُحفظ في صفحات الجامعة

المنشور

قبل خروجنا من مصر (ونرجو ان لا يكون كخروج الاسرائيليين منها) وزعنا بين قرائنا المصريين الكرام منشورًا نقتطف منه ما يلي —

سبب نوم الجامعة السنة الماضية «ولكن قبل ذكرنا سبب هذا الانتقال لا بدّ ان يطالبنا مشتركوها بسبب نومها هذا النوم الطويل في السنة الماضية. فنحن نرجو منهم ان يعفونا من ذكر هذا السبب لان ذكره يؤلمنا ويؤلم غيرنا. يؤلمنا لانه يذكرنا تعطيل الاشغال وخسارة الوقت والمال بالانتظار واستهداف الجامعة لاستياء قرائها ومريديها وسوء ظنهم بها. ويؤلم غيرنا لان الكلام في ذلك يجرّ الى الكلام في مسائل خصوصية في جملتها مسائل عائلية لا علاقة لها بالمسائل العمومية خصوصًا اذا كان فيها ما يسوء اناسًا نكره اساءتهم وان اساءوا الينا. والجامعة ليس من عادتها ان تطرح المسائل الخصوصية مطرح المسائل العمومية لتجعلها منها. كما انه ليس من شأنها التذمر والشكوى مما اصابها فانه متى وقع الانسان في حبائل كهذه الحبائل ولم يحسن التملص والتفلت منها دون ان يترك ريشه فيها فليس له ان يلوم احدًا غير نفسه لان سلامة النية والثقة ليست عذرًا كافيًا له اذ هي مما يجب ان يعاقب كما يقولون اهل الاديرة والصوامع لا اهل الاشغال والمنافع. ولذلك لا نحاول تبرئة نفسنا من ذنب القصور في حق الجامعة وحق قرائها في السنة الماضية ونحمل هذا الذنب وحدنا دون ان نحمل احدًا شيئًا منه او نعطي نفسنا حق الشكوى من احد. اما خسارة الوقت والمال وتعطيل الاشغال فعلى الله التعويض في كل حال....

مسرّة وكآبة وبعد ان ذكرنا اسباب انتقال الجامعة الى نيويورك قلنا ما حرفيته « هذا ما اردنا بسطه هنا اطلاعاً لمشتركي الجامعة في مصر على السبب الذي اوجب فراقنا وتطميناً لهم عن مستقبل الجامعة . ونحن نكتب هنا كلمة (الفراق) ويتنازعنا عاملان : عامل مسرّة وعامل كآبة

« اما الكآبة فهي لتركي بلادنا الشرقية العزيزة التي نشأت فيها اخص منها بالذكر سوريا ومصر — سوريا التي رأيت فيها احسن ايام صباي . ومصر التي رأيت فيها احسن ايام شبابي . ولكن مما يخفف هذه الكآبة عندي عزمي على ابقاء الصلات بين « الجامعة » ومشتركيها من اهل الفضل والادب في مصر وسوريا كما كانت حين كانت ادارتها في مصر . ومن اجل هذا ابقيت لها ادارة في القطر المصري فكأن مركز « الجامعة » في مصر لم يتغير لان ادارتها فيها ما زالت ادارتها . وجميع مشتركيها ومراسليها في مصر يمكنهم مراسلتها ويرسل اليهم الرد على رسائلهم ويجابون الى طلباتهم بعد انقضاء يوم من وصولها . فلا يكون ثمت من فرق بين الماضي والمستقبل سوى ان الجامعة كانت تطبع في « الاسكندرية » فاصبحت تطبع في « نيويورك » وان كان هناك صعوبة او ألم فهما في جانب صاحب الجامعة الذي رحل عن بلاد يحبها وفارق بني وطنه الذين لقي من اهل الفضل والادب فيهم فوق ما يستحق من العناية والوداد

« هذا عامل الكآبة . اما عامل المسرّة فهو لانتقال صاحب الجامعة من وسط صغير الى وسط كبير . فاننا في الشرق في سوريا ومصر وغيرهما انما نحن في بلاد صغيرة ضعيفة لم تبلغ المدنية فيها بعد مبلغاً تستحق معه ان تُتخذ استاذاً لاهل العلم والادب . ولذلك نحن مضطرون على الدوام الى تحدّي الاوروبيين والنظر الى اثارهم العلمية والادبية والاجتماعية نظر التلميذ الى آثار استاذه . فالجامعة يسرّها ان تذهب بنفسها الى وسط المدنية الراقية وتغترف من منبع النهر العظيم هناك بدل ان تنتظر وصول مياهه الجارية الى هنا . فان نيويورك لا تفضلها اليوم عاصمة من عواصم العالم المتمدن غير لندن . فهي ثانية عواصم الدنيا . ومستقبلها سيكون في قول بعضهم اعظم مستقبل لاعظم مدينة في العالم

« لقد اقمنا في سوريا عدة سنوات رقبنا فيها احوال بلاد شرقية تحكم نفسها بنفسها (ان صح ان يقال هذا) فاخبرنا ما يؤثره الضعف والعسف والاهمال في احوال البلاد والعباد من خمود الهمم وتدلي الامم . ثم انتقلنا الى مصر وشاهدنا فيها تلك المدنية الشرقية الضعيفة المهملة المهملة تنفض عنها غبار الضعف والعسف والاهمال والكسل وتتردى رداء المدنية

الغربية رداء النشاط والعدل والامن والعمل · وقد اختبرنا في مصر هذا الاختلاط بين « الشرقي والغربي » تمزجه يد غربية ورأينا آثاره في الاصلاح والفساد في الخير والشر فاذا هي عظيمة في الامرين · الا ان عظمة الاصلاح هذه لم يستفد منها اهل البلاد ربع ما استفاده منها الاجانب · ولذلك كان نصيب اهل البلاد من شر المدنية الجديدة اوفر من نصيبهم من خيرها · والويل كل الويل للامة التي تختل فيها الموازنة بين الخير والشر الى هذا الحد — فبعد اختبارنا آثار مدنية « شرقية محضة » في سوريا وآثار مدنية « شرقية غربية » في مصر يسرنا ان نختبر حالة ثالثة هي خير الحالات · ونعني حالة مدنية راقية قائمة بذاتها تسن شرائعها لنفسها بنفسها وتطبقها على حاجاتها · وفي ظل هذه الشرائع الحرة السهلة العادلة تعمل في العلم والصناعة والتجارة والزراعة والسياسة اعمالاً تحسدها عليها سائر الامم حتى اوروبا نفسها : فمعيشة مجلة عربية « كالجامعة » في جمهورية الولايات المتحدة بين كلياتها ومكاتبها وجمعياتها ومتاحفها ومصانعها ومزارعها ومجلاتها وجرائدها لما يوجب لها المسرة والارتياح لانه سيؤثر عليها انفع تاثير بما تدرسه وتنشره من آثار ذلك الوسط العظيم

﴿ المهاجرون والجامعة ﴾ « وما عدا هذا فهناك سبب آخر يوجب لها المسرة اكثر من السبب الذي تقدم · وهو ارتياحها الى الظهور بين اخواننا المهاجرين في اميركا الشمالية والجنوبية نخص منهم مهاجري الولايات المتحدة الذين نستودعهم الجامعة كما يستودع الكريم الكريم اكرم شيء عنده · ولولا ما تحققناه من سرور اخواننا المهاجرين في الولايات المتحدة بانتقال الجامعة اليهم وابلاغهم هذا السرور الينا بكل طرق الابلاغ لما نهضت بنا الهمة الى قطع الاوقيانوس اليهم - والجامعة تعطيهم عهداً على نفسها انها لا تالو جهداً في خدمتهم هناك الخدمة التي يرتاحون اليها ويرون فائدة فيها اسوة برصيفاتها التي تنشر في اميركا الشمالية والجنوبية

« على ان سرورنا من تنشيط المهاجرين الى اميركا للجامعة ليس بحديث العهد ولا نحن نقول ما نقوله هنا تزلفاً اليهم فان تنشيطهم لها بدأ من عدة سنوات · ولما قامت القيامة على الجامعة منذ سنتين بسبب المناظرة التي وقعت بشان « ابن رشد وفلسفته » مع العلامة المغفور له الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية السابق قلنا ذات يوم لمن كان يثبط عزمنا عن اتمام هذه المناظرة ما خلاصته : هب ان مصر وسوريا وتونس والجزائر والهند وايران أقفلت في وجه الجامعة ولم يبقَ بلد مفتوحاً في وجهها غير اميركا وحدها فان مشتركيها في اميركا يكفون للقيام بنفقات صدورها نخص منهم مشتركي البرازيل والولايات

المتحدة · فان مشتركيها في هذين القطرين يبلغون نحو ٥٠٠ مشترك يجمع منهم ما يكفي طبع المجلة ويزيد · وقد قدَّرت جريدة الصواب في ريوجانيرو مشتركي الجامعة في البرازيل بثلاثمائة مشترك حولهم الوف من القراء وتقديرها هذا قريب من الحقيقة · ولسنا نذكر ما اقترحه على الجامعة منذ سنوات اخواننا المهاجرون في البرازيل بواسطة وكيلنا في سان باولو من اهدائهم اليها مطبعة تامة الادوات بمبلغ ٤٠٠ جنيه تجمع منهم على سبيل التذكار بمناسبة المناظرة في « ابن رشد وفلسفته » ولا الحمية الخارقة العادة التي اظهرها مشتركونا الكرام هناك في تنشيط المجلة ومساعدتها وشرب بعضهم سرها « نخبها » في القهوات والحانات وجعلها موضوع حديثهم حتى لدى الشعب الغير المتعلم · فان ذكر هذه الامور لا يليق بمجلة كالجامعة تعرف عجزها وضعفها وكونها لا تزال في اول نشأتها فضلاً عن انه يزيد التبعة التي علينا في اهمالنا مجلة نزلت لدى الجمهور هذه المنزلة · ولكننا ذكرنا ما تقدم للدلالة على ما بين المهاجرين والجامعة من صلات الوداد والعواطف · ومنذ ٣ سنوات قام بين ادارة الجامعة ومصلحة البريد المصري خلاف صغير بشان الاجزاء التي ترسل الى اميركا · فلما رأى مدير البوسطة سعادة تلوسايا باشا عدد هذه الاجزاء قال لنا مستغرباً « أَالى هذا الحد بلغ اقبال المهاجرين على العلم والادب » وليس اصدار خمسمائة نسخة من مجلة الى قطر بعيد كاميركا مما يحق لتلك المجلة ان تفتخر به فان خمسمائة مشترك ليست شيئاً يذكر في عمر مجلة · ولكننا ذكرنا هذا استطراداً الى القول بان الجامعة لقيت هذا الاقبال من اخواننا المهاجرين وهي بعيدة عنهم الوف اميال فكيف بها اذا اصبحت « مجلتهم » وباتت تصدر بينهم وتستمد قوتها منهم وتشعر بحاجاتهم وتنطق بلسانهم · لا ريب ان اعتقادنا هذا الاعتقاد هو سبب من اهم الاسباب التي اقنعتنا بالانتقال الى الاقطار الاميركية · وفي يقيننا ان ظننا لا يخيب لان مئات الوف المهاجرين الذين يقومون باكثر من خمس عشرة جريدة عربية تنشر في اميركا الجنوبية والشمالية يسرّهم على ما نظن ان يكون بينهم مجلة « كالجامعة » تساعد رصيفاتها هناك في الخدمة النافعة

الى الملتقى « والآن نقول لقرائنا في مصر والشام وباقي الاقطار الشرقية التي تصل اليها الجامعة « الى الملتقى قريباً » فان القارئ الكريم يقرأ هذا المنشور ونحن على اجنحة البحار بين السماء والماء نقصد العالم الجديد · وفي اقرب وقت ستصلهم الجامعة في حلتها الجديدة وحالتها الجديدة عائدة بشوق وحنين الى الشرق الذي كانت تصدر عنه

لقد ضحينا في سبيل الجامعة حتى الان كل شيء · فقد صرفنا عشر سنوات في الاستعداد

لها و ٦ سنوات في الاشتغال بها فانفقنا عليها من المال والوقت والتعب ما لو انفقنا نصفه في اي عمل كان لعاد علينا بالوف الاموال . وحسب القارىء ان يعلم ان كتاباً واحداً من كتب الجامعة ككتاب « ابن رشد » انفقنا على طبعه في اربعة آلاف نسخة ٨٥ جنيهاً والان نفد كله . وكذلك « اورشليم الجديدة » واني رأيت في بعض الليالي الفجر يطلع عليَّ وانا وراء مائدة العمل اسمع زقزقة العصافير بعد راحتها في الليل دون ان احسدها على راحتها لاني كنت ملتذاً بتعبي مسروراً بنتيجته . ولسنا نجهل ان الضحايا التي قدمناها للجامعة في السنوات الماضية والقوى التي انفقناها فيها اعظم كثيراً من النتيجة التي ترجى منها . وان الدنيا لا تخرب اذا ابطلناها قطعياً . ولكنا رأينا من الخرق في الرأي ترك صناعة صرفنا كل العمر في درسها واختبارها للشروع في صناعة جديدة لا سيما واننا كنا راضين كل الرضى عن صناعتنا مسرورين بنتيجتها قبل ان تركنا الضرر بنقمة عمياء يقع علينا . والضحية الجديدة التي اقدمها الان « للجامعة » فوق الضحايا القديمة هي تركي الاهل والوطن والخلان والابتعاد عن بلادنا العزيزة . ولكني اظن ان هذا البعد سيكون وقتياً . لان اقصى اماني رجل باخلاق مضرة بصاحبها احياناً كاخلاقي هي ان يجمع من عمله في حياته شيئاً يجعل منه لنفسه دخلاً صغيراً ليعيش به في آخر عمره في الخلاء والفضاء بمعزل عن عدوان الكبار وغدر الصغار . ولست اجد « انا الشرقي قلباً ونفساً » مكاناً لهذا الامر افضل من جبال لبنان او اطراف السودان حيث الانسان يستطيع ان يعيش بهدوء وبساطة وصحة في النفس والبدن معيشة الفلاحة والزراعة التي هي انفع له وللناس الذين حوله من كل المجلات والكتب والاوراق . — ولذلك اقول الان لبلادنا مصر والشام « الى الملتقى » ولا اقول لها « الوداع »

كتاب وداع وكتاب شكر (١)

الكتاب الاول

حضرة الرصيف الفاضل

نشرت اليوم بين قراء « الجامعة » في مصر وخارج مصر كتاباً ذكرتُ لهم فيه سبب انتقال الجامعة الى نيويورك وقد بعثتُ بنسخة من هذا المنشور اليكم لتتفضلوا بالاشارة اليه

---

(١) الكتاب الاول كتبه صاحب الجامعة الى صحافة مصر قبل سفره والكتاب الثاني الى صحافة نيويورك بعد وصوله

في جريدتكم الغراء لكي يقف عليه من لم يصل ذلك المنشور اليه من قراء الجامعة

وانني افارق مصر باسف شديد لفراقها لانها الوطن الشقيق الذي صرفتُ فيه احسن ايام شبابي كما قلتُ في المنشور ولقيت فيه من عناية اهل الادب والفضل وودادهم فوق ما يستحقه رجل مثلي. وسيصلكم كتابي هذا وانا على اجنحة البخار بين السماء والماء قاصداً قلب مدنية الولايات المتحدة وثانية عواصم العالم . ولكن مفاخر مدنية الولايات المتحدة مها عظمت وجلّت لا يمكنها ان تنسيني جمال الوطن الشرقي وسذاجته والامانة له لانني على قول المتنبي

خلقتُ الوفا لو رجعتُ الى الصبى لفارقتُ شيبي موجع القلب باكيا

فارجوكم ان تتفضلوا بنشر هذا الكتاب للرصفاء والاصدقاء والقراء الذين لم اقض واجب وداعهم قبل سفري فراراً من زيادة الم الفراق عندي وهو التحية الاخيرة التي اخطها لحضراتهم تحت سماء مصر العزيزة التي لا انساها وان بعدت الدار وشط المزار

هذا وانني ارجو ان تشرفوني بكل خدمة تقتضيها مصالح جريدتكم هناك لانني كصحافي نشأ في مصر ولم يضنّ عليه اكثر رصفائه فيها بالمساعدة والتنشيط يسرّني ويشرّفني ان اعتبر نفسي ممثلاً للصحافة المصرية في اميركا لدى مئات الالوف من اخواننا المهاجرين ورصفائنا هناك

وتفضلوا بقبول جزيل التحيات والاكرام

الكتاب الثاني

نيويورك في ١٩ حزيران سنة ١٩٠٦

حضرة الرصيف الفاضل

لم انتظر صدور الجامعة لاشكر حضرتكم على ما تفضلتم به عليّ في جريدتكم الغراء من عبارات الترحيب والتنشيط قبل وصولي الى نيويورك وبعده. فانا اشكر لجنابكم الان شكر رصيف يعجز عن ايفائكم حق فضلكم واسأل الله ان يقدرنا جميعاً على الخدمة النافعة في صناعتنا الشاقة

اما شكري للجالية السورية على اختلاف طوائفها في اميركا خصوصاً في الولايات المتحدة وعلى الاخص في نيويورك فان قلبي ولساني عاجزان عن الاعراب عنه . وحقاً ان رجلاً ضعيفاً مثلي لم يعمل بعد في حياته شيئاً يُذكر لا يستحق كل هذه العناية من اخواننا في دار هجرتهم. ولكني احمل منهم هذه العناية التي اخجلتني في بعض الاحيان لتجاوزها الحد

الذي كنت انتظره على محمل التنشيط والتشجيع مضافاً اليها الشعور الذي يشعر به الغريب حين استقباله الغريب

اجارتنا انَّا غريبان ههنا وكل غريب للغريب قريب

فانا اقول لحضراتهم الان بلسان صحيفتكم الغراء قولاً خارجاً من صميم القلب اني ممتنٌّ لهم اعظم امتنان شاكر ما اظهروه لهذا العاجز من الغيرة والمروءة مما لم يعتد اهل العلم والادب مثله في بلاد الشرق = ولا عجب فنحن تحت سماء اميركا ام الفضل. وهذه العناية منهم كانت اعظم منشط لي قبل ابتدائي العمل عندهم اذ صرت اشعر الان ان عزيمتي زادت اضعافاً. وهذا منهم اعظم فضل عليَّ اعترف لهم به جهراً

فارجو ان تتفضلوا بنشر كتابي هذا كشكر عمومي لحضراتهم وشهادة افتخار بما صار اليه المهاجرون بعيداً عن سوريا ومصر من الشعور الراقي والتقدم ادبياً ومادياً جرياً مع حالة الوسط الذي يعيشون فيه

وتفضلوا بقبول جزيل التحيات والسلام

غزل المتقدمين والمتأخرين

وداع — ولقاء

وقبل نشر القصيدتين التاليتين اللتين نشرتهما مرآة الغرب الغراء لا بد لنا من القول ان الفاضلين اللذين نظما هذه الابيات لم يقصدا بها سوى مجاملة صديق تخفيفاً لوحشة السفر ومرارة الغربة عنده. وقد قيل اعذب الشعر اكذبه. وان عصراً يُستجدى فيه الاغنياء بالشعر حتى اصغرهم واحقرهم غير كثير عليه ان يُجامَل فيه اهل العلم والادب مجاملةً قلما تعوَّدوها. زد على ذلك انك اذا وقفت على شعر المتقدمين من فطاحل شعراء العرب ورأيت فيه تغزلهم (بالرقمتين) و (سقط اللوا) والعقيق وغيرها خُيل لك انها اماكن عظيمة وجنات فيحاء مع انك لو شاهدتها عن كثب لما رأيتها، الا رمالاً وصخراً وارضاً حقيرة تحرقها الشمس بياض النهار. ومن هذا القبيل هذا الشعر الجميل. الا اننا حفظناه كاثر لسفرنا على سبيل التذكار

احقى الوداع ابى ان يكونا	وحق الفراق تراه فنونا
اما يتقي ربه راحلٌ	اذاب القلوب وافنى العيونا
دعاه الفراق فكان الجواب	وراح يهيج الاسى والحنينا

فيا لك يوماً شديد البلاء ويا لك خطباً ابى ان يهونا
فتى الشرق ما لك فارقته وكنا نراك بهذا ضنينا
وقت تصانع فيه الخطوب مقام اريب يسوس الشؤونا
تُسيغ الحوادث حلوًا ومرًّا وترغي الليالي بيضاً وجونا
فاي المكاره اعيا عليك واي الخطوب قضى ان تبينا
وماذا دها الشرق والساكنيه تحوّلت رحلك في الآخرينا
واطلعت شمسك في غيره وقد كنت تُطلعها فيه حينا
لمهدي به مطلعاً للشموس تضيء الظلام وتجلو الدجونا
فكيف انجلى عنه ذاك الضياء واعيا بنوه على المرشدينا
لقد دان من قبل بالمأثراتِ اخاه فما باله اليوم دينا
كفى برحيلك عارًا عليه وشجوًا لقوم به يعقلونا
تركت وجوههم شاحباتٍ واشقيت انفسهم اجمعينا
وهجت النعي فاغتدت طائرات مطار اللواتي فقدن الوكونا
وغادرت كل فؤادٍ يعاني مصاباً دخيلاً وداء دفينا
فيا لك جرماً جُزينا به وكان الجزاء على المجرمينا
شقينا بهم فسئمنا الحياة فاي شقاء اذا قد لقينا
يرون المحامد موتاً زؤاماً وطيب الاحاديث امراً مهينا
اليك اعتذاري فتى الشرق عنهم ومثلك من يعذر الجاهلينا
عليك سلام صديق طوى على صدق ودك قلباً امينا
يصون لك العهد مهما اضاع مضيع الحوادث عهدًا مصونا

دمنهور في ١ ايار سنة ١٩٠٦ (احمد محرم)

رجلٌ عمره ثلاثون عاماً كاملٌ جسمه طويل القامه
اسمر اللون ذو محياً جميلٍ كل وقت ترى عليه ابتسامه
واسع الجبهة التي يستدلُّ المرء منها على العلى والشهامه
لو تسنى جماله لفتاةٍ فعلى مثلها تقوم القيامه!
لو تأملت فيه كنت ترى في وجههِ للذكاء الف علامه

لم يكن يقتضي الكثير من الوقت لندعوه عالماً علاّمهْ
ماهر في الحديث سامعه يصغي طويلاً ولا يملّ كلامهْ
لا انتقام لا حدة عنده لا غيبةٌ لا تذمرٌ لا ملامهْ
جامعٌ من مروءة ووفاء من اباء وعفةٍ واستقامهْ

***

نحن ندري بانه ليس يرتاح الى المدح وهو ليس مرامه
فلقد قال انه واقف في خدمة الشعب سعيه واهتمامهْ
وعرفنا من المجلة في مصر رجاه وشانه ومقامهْ
ولئن نام مع مجلته ابس طويلاً نوامها ونوامهْ
فبعيد القليل ننظره في عالم الصحف ناشراً اعلامهْ
ملكاً يامر الكلام فينقاد الى عرشه بطأطىء هامهْ
وسنلقاه للصحافةِ والسلم ونشر العلوم اقوى دعامهْ

***

وصباح فيه تزاحمت الصحب ولاقاه كلهم بالكرامهْ
وهجمنا عليه !! يلثمه ها ذا وهاذا يلقي عليه سلامهْ
وبه قد تمسك الكل حتى اوشك الصحب ان يروموا اقتسامه!
فعلى الرحب ايها الضيف ان الكل يدعو لكم بطيب الاقامهْ
جئتنا بالسلام فالحمد لله لداعي وصولكم بالسلامهْ

اسعد رستم

الشيخ محمد عبده

جمال الدين الافغاني

ما بين مبادىء الشيخين من المشاركة . ما فيها من الضعف والمخالفة لمبادىء العلم الحديث . امتياز محمد عبده على الافغاني بهذا الشان . تاريخ صلات الجامعة بمحمد عبده . رايه في نهضة الشرق

تمهيد

١

لما توفي العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية السابق أبّنته جميع الجرائد العربية في جميع انحاء المعمورة تأبيناً يليق بمثله . وكان كثيرون ينتظرون تأبين « الجامعة » ورأيها في مبادئه واعماله لما قام بينها وبينه رحمه الله تعالى من الخلاف والمناظرة في مسألة « ابن رشد وفلسفته » . وبما ان هذا هو اول جزء من الجامعة يصدر بعد وفاة الاستاذ فقد راينا ان نجيب طلبهم وطلب التاريخ الذي يقضي بالنظر في آثار واعمال مشاهير المتقدمين ليُتخذ منها عبرة وعظة للمتأخرين . وقد قيل ان الرجل العظيم كالجبل العظيم فما دمتَ قريباً منه يظهر لك صغيراً فاذا بعدتَ عنك بدا لك عظيماً جليلاً

وقد اسدل الستار على محمد عبده منذ زمان ورعى الدود جسمه الضعيف دون ان يقدر على الوصول الى روحه الخالدة في بطون الصفحات التي سطرها والفتاوى التي أفتى بها ومشروعات الحكومة التي كان من مساعديها ونفوس تلامذته ومريديه الذين قال عنهم اللورد كروس في تقريره الاخير انهم حزب له وانه اذا نما هذا الحزب فانه ينفع مصر والاسلام نفعاً عظيماً . فغرضنا الان في هذه المقالات المتسلسلة بعد وفاة (الشيخ الرئيس) — وهو جدير بهذا اللقب كابن سيناء لان محمد عبده حلّ محله في العالم الاسلامي في هذا العصر — قلنا غرضنا ان نبحث في هذه المقالات في مبادىء الشيخ محمد عبده واعماله وفلسفته بحثاً يعرّف الرجل الى قراء اللغة العربية حق المعرفة شخصياً وعلمياً ودينياً واخلاقياً . وقد كان هذا الامر في نفسنا منذ زمان . فاتفق انه قبل ركوبنا الباخرة في الاسكندرية

حين كنا نعدّ كتبنا وقع في يدنا كتاب « الردّ على الدهريين » تأليف السيد جمال الدين الافغاني المشهور الذي ينسب اليه معظم الفضل في يقظة مصر الادبية في هذا العصر . والكتاب مترجم من الفارسية بقلم الشيخ محمد عبده ومساعدة احد مجيدي الترجمة . فاخذنا الكتاب لنطالعه في الباخرة ولما أتينا عليه ادهشتنا فيه امور ما كانت تخطر لنا ببال . فعزمنا يومئذٍ على ضمّ السيد جمال الدين الافغاني الى تلميذه الشيخ محمد عبده في كلامنا عن ترجمة الشيخ ومبادئه . وبذلك يجمع الكلام في كبيري علماء الاسلام في العصر الاخير : الافغاني ومحمد عبده

ولما كنا لم نعدّ الى الان جميع المواد التي يقتضيها هذا البحث المهم فقد ارجأنا الشروع فيه الى الجزء التالي . اما الآن فاننا نذكر طرفاً من تاريخ صلات الجامعة بالشيخ محمد عبده قبل المناظرة في مسألة ابن رشد وبعدها . لاننا نرجح انّ قراء الجامعة الذين تتبعوا تلك المناظرة التي كان لها ذلك الدويّ البعيد في جميع انحاء العالم العربي يلذ لهم ان يقفوا على شيء من ذلك . لا سيما وان آثار اعاظم الرجال حتى اصغر اعمالهم واقوالهم ورسائلهم يتبشها الغربيون من مطامرها بكل الطرق الممكنة . وما كل يوم في الشرق رجل كمحمد عبده

لم نجتمع قط بالشيخ محمد عبده الا انه دارت بينه وبين الجامعة رسائل تبلغ العشرين . واول رسالة كتبها بعد صدور الجزء الاول من الجامعة اول ظهورها . فانه لما اطلع على الجزء الاول عهد الى صديق له في الاسكندرية من اكابر المصريين ان يبلغ الجامعة رضاه عن خطتها وعن مشربها فبعثتُ اشكره على التفاته هذا اليها . فورد منه الجواب التالي

حضرة الفاضل المحترم فرح افندي انطون

لا تأخذ عليَّ في الابطاء بالاجابة فمن الشواغل ما لا يذكر . وقد يمنع عن الجواب واكبر . تذكر ثنائي على مشرب الجامعة وانما يثني على العامل عمله . ويحدّث عن الفاضل فضله . ورجائي ان يتمّ لك ما احسنتَ قصده . وان يصحبك النجاح فيما وجهت عزمك نحوه . والسلام

محمد عبده

١٩ ابريل سنة ١٨٩٩

ثم صدر الجزء الثالث من الجامعة لسنتها الاولى وفي صدره مقالة عنوانها « الاخاء

والحرية » فكتب الاستاذ الينا الكتاب التالي

عزيزي الفاضل

قرأت الجامعة عددها الثالث فاذا كله حسن واحسنه الكلام في خير الامرين تحفة الحرية للشرقيين قبل ان يستحقوها او اعدادهم لها قبل ان ينالوها . واختياركم الثاني . وقد ذكر في ذلك كلاماً كنتُ اقوله من اثنتي وعشرين سنة وهو تاريخ حركة اذهان الشرقيين في شؤونهم واحساسهم بما وصلوا اليه وما سيقبلون عليه . فاستحسنت ان ابعث به اليكم حتى اذا رايتم نشره في العدد الرابع تشرتموه على انه كلام سُمع عني وحفظه بعض اخواني كما هي الحقيقة لا على اني بعثتُ به اليوم لان الناس يعلمون اني لا اراسل الجرائد وليس فيما تذكرونه من ذلك شيئاً (كذا) يخالف الحقيقة . وهذا هو ما سبق قوله

وهنا اورد شذرة في عشرين سطراً من كتابته الدقيقة المرصوصة المتماسكة كانها دبيب النمل . وخلاصة رأيه ان الشرق لا ينهض الاَّ برجل (مستبدّ عادل) يفعل ما فعله بطرس الاكبر في روسيا ومحمد علي في مصر مثلاً . ومما ذكره في هذا الرأي :

« انما ينهض بالشرق مستبد عادل . (مستبد) يُكره المتناكرين على التعارف ويُلجئ الاهل الى التراحم ويقهر الجيران على التناصف . يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ان لم يحملوا انفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة . (عادل) لا يخطو خطوة الاَّ ونظرته الاولى الى شعبه الذي يحكمه فان عرض حظ لنفسه فليقع دائماً تحت النظرة الثانية . فهو لهم اكثر مما هو لنفسه

« يكفي لابلاغهم غاية لا يستطون بعدها خمس عشرة سنة وهي سن مولود يبلغ الحلم يولد فيها الفكر الصالح وينمو تحت رعاية الوليّ الصالح ويشتد حتى يصرع من يصارعه . (الى ان قال) حتى اذا عرفت الافكار مجاريها بالتعريف . وانصرفت الى ما أُعدت له بالتصريف . وصحّ الشعور بالتعليل . واستقامت الاهواء بالتعديل . أُبيح لهم من غذاء الحرية ما يستطيع ضعيف السنّ قضمه والناقه من المرض هضمه . واول ما يكون ذلك بتشكيل المجالس البلدية ثم بعد سنين تأتي مجالس الادارة لا على ان تكون آلات تُدار بل على ان تكون مصادر للاراء والافكار . تتبعها بعد ذلك المجالس النيابية . نعم لا يتيسر لرجل واحد ان يشهد الامر من بدايته الى نهايته ولكن الخطوة الاولى هي التي لها ما بعدها ويكفي لمدها خمس عشرة سنة (وما هي بكثير في تربية أُمة فضلاً عن أُمة) . هل يُعدم الشرق كله مستبداً من أهله . عادلاً في قومه . يتمكن به العدل ان يصنع في

خمس عشرة سنة [١] ما لا يصنع العقل وحده في خمسة عشر قرناً »

وفي الجزء التالي ستنشر تتمة هذا التمهيد لذي نبسط فيه تاريخ صلات الجامعة بالاستاذ ثم ننتقل الى النظر في مبادئه وارائه واعماله وصفاته ونقارن بينها وبين مبادىء استاذه جمال الدين

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

حب روسو ومدام وارين

(زيارة صاحب الجامعة بيتهما في شمبيري)

الذي ابتاعته الحكومة وجعلته مزاراً عمومياً يقصده السياح من اوروبا واميركا

سياحة صاحب الجامعة لقد شاهدت في سياحتي من الاسكندرية الى نيويورك مشاهد عظيمة ورأيت اموراً بديعة وخطر لي في اثنائها افكار كثيرة الا ان فكري لم يسترح بعد لتقييدها وتسطيرها على صفحات الاوراق. فقد زرت في سياحتي هذه مرسيليا ومعرضها الاستعماري العام وشاهدت الاقسام المراكشية والجزائرية والتونسية فيه. ثم زرت باريز وليون وكرنوبل وشمبيري وفالانس وكيلوس وحمامات اكس. وقد قطعت مقاطعة السافوى البديعة التي هي درة في عقد البلاد الفرنسوية من اقصاها الى اقصاها. ومررت فيها بين مضائق جبال الالب البديعة وسط تساقط المطر ولذع البرد وخرير الانهار وصفير البخار. فكنت في القطار كالمأخوذ انتقل من نافذة الى نافذة وانا اقول: هذه جنة الله في الارض. واحياناً احمد نسيان نفسي في القطار يجري بي مرة عشرين ساعة وانا الاحظ البلاد كأنها بانوراما تنبسط امامي الى ما شاء الله وادرس احوال الناس

---

(١) لما نشر هذا الرأي في الجامعة واطلع عليه احد جواسيس الاستانة جاء يسألنا (الا تظنون ان محمد عبده يريد بهذه المدة « ١٥ سنة » المدة التي مرت على ملك جلالة السلطان) فضحكنا وقلنا له (اذهب واستنطقه ولا تستنطقنا)

الذين يركبون القطار معي من محطة الى محطة. اما باريز فحدث عنها ولا حرج. فقد وفقني الله فيها الى صديقين اطلعاني منها في اسبوع واحد على امور ما كنت لاطلع عليها وحدي في شهر. فمتى كتبتُ هذه السياحة التي استغرقت شهراً تقريباً وجد فيها القارئ من المعلومات المفيدة والملاحظات الاجتماعية والطبيعية والادبية ما يلذّ ويفيد. وحسبك نوادر وحوادث السفر في الباخرتين من الاسكندرية الى مرسيليا ومن الهافر الى نيويورك. وسابدأ بها في الجزء التالي

اما الان فاقتصر في هذا الفصل على زيارتي لبلدة شمبيري التي هي من اهم حوادث سفري وقد قصدتها خاصةً مع انها تبعد ٥٩٢ كيلومتراً عن باريز

عهد منذ ١٥ سنة قال الفيلسوف تولستوي لبعض محدّثيه: كنت في شبابي اعتبر جان جاك روسو الهاً واعبده عبادة. وقد علقت صورته بعنقي كما تعلّق صور القديسين. قلتُ وقد اولعت في زمن الشباب — وهو زمن مرتُ اراه بعيداً وان لم يكن يبعد — بمطالعة كتب روسو ولعاً شديداً. ولما قرأت كتابه «الاعتراف» ورأيت فيه وصفه لبلدة شمبيري ومعيشته في بيت فيها هو وحبيبته مدام دي وارين وبسطه قصته معها ببلاغة كبلاغة الآلهة تحركت نفسي شوقاً الى ذلك الوادي والحرش والبيت الذي وصفه المؤلف وقلت في نفسي انني عند اول مرة تطأ فيها قدمي ارض فرنسا ساقصد بدون شك بلدة شمبيري لزيارتها وزيارة الوادي الذي عاش روسو فيه مع حبيبته. فهناك مصدر الغزل والحب والشعر. هناك الحرَم المقدس الذي لجأ اليه الفتى روسو من مصائب الدهر فوجد فيه نفساً كبيرة في جسم امرأة ناشرة خرجت عن الطريق القويم فاستمدّ كبر نفسه من نفسها وعظمته من عظمتها. فكوّنت معيشته معها بين الاحراش والازهار في وسط الطبيعة بمعزل عن الناس روحه تكويناً جديداً وجعلتها كما ظهرت بعد ذلك في كتبه التي قلبت وجه العالم وغيرت افكار البشر في الارض لان انفجار الثورة الفرنسوية يعزى اليه

شمبيري شمبيري بلدة عدد سكانها اليوم ٣٢ الف نفس وهي مركز مقاطعة السافوى. ومقاطعة السافوى هذه كانت من قبل ملكاً لعائلة سافوى المالكة اليوم في ايطاليا واليها نُسبت هذه العائلة ولكنها ضُمت الى فرنسا في سنة ١٨٦٠. واشهر ما في المدينة متحفها وكنيستها وعلى الاخص القصر الملكي الذي كان يسكنه آل سافوى لما كانت شمبيري عاصمة لامارتهم. وهي قائمة في وادٍ منعرج تحيط به جبال الالب من كل الجهات تكتنفها الاحراش والطبيعة من كل صوب. فكأنها جمعت هناك للجمال والحب. وفوقها قمة

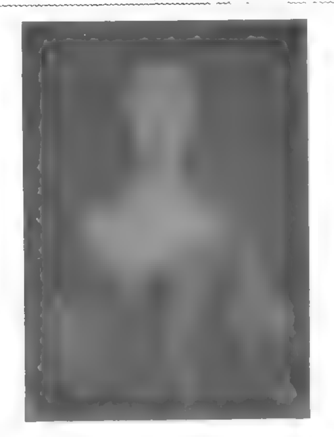


مدينة شمبيري Chambery

« جبل نيفوله » Nivolet نصب عليها صليب علوه ١٨ متراً ولكنه يظهر فوق المدينة كأنه بقدر شبر لارتفاع الجبل اذ يعلو ١٥٥٨ متراً عن سطح البحر . وبيت روسو فوق هذه البلدة الى شمالها وهو في وادٍ مشرف على البلدة مقابل جبل نيفوله (انظر يمين الرسم في الحرش)

قصتهما ليس الغرض في هذا الفصل ان نبسط ترجمة روسو ونذكر شيئاً من تاريخ حياته . فان فيلسوفاً كبيراً كهذا الفيلسوف الذي ازعج الارض كلها بمبادئه وافكاره لا يمكن ان يترجم في فصل او فصلين فنرجئ الآن ترجمته وتلخيص مبادئه وكتبه الى فرصة اخرى . وسنبتدئ ذلك في الجزء التالي اذ نلخص فيه ما كتبه عن مدام دي وارين ومعيشته معها في شمبيري . اما الآن فنقتصر على ما يلي لاطلاع القارئ على لمحة من قصتها

كانت مدام دي وارين سيدة من النبلاء يعرف ذلك من اسمها . وكانت بروتستنتية فلما تركت مذهبها واعتنقت الكاثوليكية جعل لها الملك راتباً تقبضه شهرياً وكانت تعيش في بلدة شمبيري لما قصدها صاحبنا روسو . ولسنا نصف هذه المرأة لان روسو في كتاباته سيصفها وصفاً دقيقاً وانما نقول انها لما كانت متزوجة اتخذت رجلاً يدعى المسيو دي تافل معلماً يعلمها الفلسفة . وكانت شديدة الامانة لزوجها فلما رأى هذا المعلم الشقي (كما يسميه روسو في كتابه) تدرعها بدرع الامانة الزوجية وعجزه عن افساد قلبها لاستمالتها واجتذابها اليه عمد الى طريقة اخرى تمكنه من مراده فصار يصدم « عقل » المرأة بدلاً من صدمه « قلبها » اي انه صار يلقي عليها مبادئ تحل مبادئها وتفسد عقلها حتى تمكن منها وابطل اعتقادها القديم في الواجبات الزوجية والعائلية مما لا محل لبسطه هنا

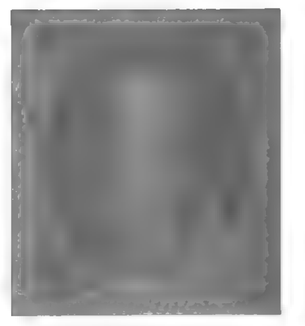


مدام دي وارين

ولما عرف روسو مدام دي وارين كان في السابعة عشرة من عمره وكان ضعيفاً ضئيلاً طاردته المصائب واذله الفقر· فانه استخدم اولاً في محل «مسجّل» ثم عند نقاش وكان فكره المطلق ورغبته في المطالعة يزهدانه بهذه الصناعة · ففرّ من جنيف مسقط رأسه (١) واستخدم في منازل الكبار كخادم ودخل احد الاديرة ليصير راهباً· وما زال تائهاً طريداً حتى

(١) لم يكن روسو فرنسوياً بل جنيفياً وقد قال عن نفسه في تاريخ حياته انه تلقى حب الحرّية والجمهورية من تراجم فلوطرخس وجمهورية جنيف وطنه

عرّفه بعض الذين اهتموا به الى مدام دي وارين وارسلوه اليها لتسعى في نفعه . فادخلته مدام دي وارين بيتها واهتمت لامره فوصل روسو الى يدي مدام دي وارين ونفسه مشوّهة تشويهاً قبيحاً ذكره في كتبه ولكن جسمه ومنظره كان لطيفاً مقبولاً . ورسمه

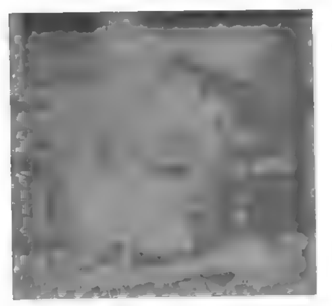


جان جاك روسو في شبابه

الموجود في هذا الفصل هو رسمه بعد دخوله الى بيتها . وكان لمدام دي وارين خادم يدعى (كلود آنه) رفعته من درجة الخدمة الى درجة الصديق وعهدت اليه زمام بيتها . فلما دخل روسو الى البيت ادرك ما كان بينها وبين وكيل اشغالها من « الصلات الخصوصية » وكان بيت مدام وارين مقصداً لاكابر الرحال والقواد الذين كانوا يزورون شمبيري في اثناء الحروب بين فرنسا وسردينيا والامارات الايطالية لان شمبيري على الحدود بين فرنسا وايطاليا . وكانت مدام وارين تعيش في بيتها بين اولئك الاقوام الذين يترددون عليها خطبة صداقتها ووادادها معيشة رجل لا معيشة امرأة . وقد اعجبها روسو ولطفه الصبياني كما اولع هو بها اول ما وقع نظره عليها . وكان يدعوها « ماما » Maman اي « يا اماه » تحبباً

وتلطفاً فتدعوه في Mon petit « يا صغيري » . وقد بقي يسميها كذلك حتى في كتبه . فلما رأت مدام وارين ان روسو بلغ العمر الذي يُخشى منه على الشاب ان ينظر الى الجنس الثاني نظراً مخصوصاً جاءته واقترحت عليه اقتراحاً غريباً . قال شاتوبريان الكاتب المشهور : ان روسو رغبةً منه في ان يكتب صفحات متناهية في البلاغة والجمال قد فضح امرأة شرّ فضيحة بما كتبه وفصّله عنها

ومن هذا الحين عاش الفتى روسو مع مدام دي وارين معيشة الزوج مع زوجته . ولما توفي كلود آنه اصبح الفتى روسو صديقها الوحيد



روسو ومدام دي وارين في القاعة

وكانت مدام دي وارين امرأة قد عتادت التبذير واثقلتها الديون فلشدة حاجتها الى المال صارت تشتغل « بالكيمياء القديمة » نعني انها كانت تطلب تحويل المعدن الدنيء معدناً ثميناً . فصار بيتها في شمبيري مقصداً لجميع المشعوذين الذين يدّعون هذا العلم . فرغبة في الفرار منهم ومن سائر القوم الذين كانوا يؤمّون البيت وسكانه اقترح روسو على خليلته ان يخرجا من البلدة ويعتزلا الناس في بيت بين الاحراش حرجاً عنها . فذهبا واستأجرا

بيتاً فوق شمبيري في الخلاء والفضاء بين الاحراش والطيور . وقد اقام روسو فيه مع مدام دي وارين من سنة ١٧٣٦ الى سنة ١٧٤٠ اي اربع سنوات ذاق في اثنائها السعادة الحقيقية اي المعيشة بنداحة وراحة في حضن الطبيعة مع نفس كريمة يحبها وتحبه

تأثيرها عليه ان الذين اكرموا بيت روسو ومدام دي وارين هذا الاكرام لم يكرموها لما كان بينها و بين فيلسوف جنيف من الحب والوداد فان هذا عادي يكون كل يوم بين الكتاب والشعراء وربات الطرف والجمال . وما برح الكتاب والشعراء خصوصاً من كان منهم ارق احساساً وادق شعوراً اكثر الناس تعرضاً لهذا الداء الذي يسمونه حباً . وانما اكرموا البيت وصاحبته لما كان لها من التأثير العظيم على عقل روسو وقلبه . فالوحدة والطبيعة غرستا فيه منذ شبابه بذور الدعوة للرجوع الى الطبيعة المشحونة كتبه بها في كل سطر من سطورها . واخلاق مدام دي وارين الكبيرة كبّرت اخلاقه وغيرت مشربه فبعد ان كان فتى مكتئباً منقبضاً منخفض الراس لاعتياده ذل الخدمة معتاداً السرقة في بعض الاحيان كما قص ذلك في تاريخ حياته واذا به قد اصبح رجلاً « بكل معنى الكلمة » . وقد قص في تاريخه عدة قصص بهذا الشان اليك واحدة منها . لما توفي كلود آنه وكيل اشغال مدام دي وارين بكى عليه روسو بكاء شديداً لانه كان يحبه . . ولكنه في اثناء بكائه فكر انه قد ورث ثوبه الاسود الجميل فاظهر لمدام دي وارين سروره بذلك . فصعقت مدام دي وارين لهذه العاطفة الرديئة فحولت وجهها وصارت تبكي . فانطرح روسو على عنقها . قال : ومن هذا الحين خرجت الى الابد كل عاطفة دنيئة من نفسي

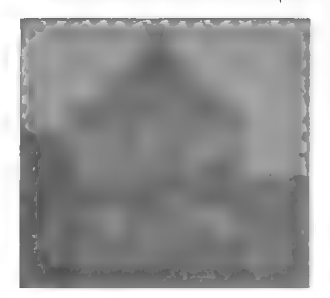
فيا سحر الحب والوداد انك لتفعل في النفوس ما لا تفعله كل قوات العالم

زيارتي بيت روسو وصلت الى شمبيري في منتصف الليل فنمت بقية الليل في « اوتل البوسطة » ومنذ وطأت قدمي ارض شمبيري صرت احس بحمى جان جاك تدب في مفاصلي . فقلت غداً سارى البيت الذي نام فيه جان جاك واتفيأ الاشجار التي تفيأها وادوس الارض التي داسها واسمع صوت الاطيار والانهار التي سمعها . فلم انم الا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل . ولما انشق حجاب الفجر نهضت مسرعاً فاستاجرت مركبة (١) وسرنا من شارع جان جاك روسو نحو الوادي والاكمة وراءه ويصعد اليها في طريق مخططة سهلة . وكانت الساعة السادسة صباحاً والنسيم يداعب اغصان الحرش على جانبي والاشجار تظللني في مسيري والطيور الغريبة الصوت الرخيمة الغناء تغرد

---

(١) الاجرة ٦ فرنكات ذهاباً واياباً مع انتظار ٣٠ دقيقة امام البيت

فيها فوق رأسي تغرّد ّاحرّك عواطفي وهاج شجني · وكنت ساكتاً مبهوتاً مدة الطريق فكلمني السائق مرتين فلم اجبه الا اشارة · وبعد ٣٠ دقيقة انتهيت الى البيت



بيت روسو

يدعى (Les Charmettes) اي الفتان وسمي كذلك لان النظرة منه في الجبال والاحراش والبلدة تفتن الالباب

ثم صعدت الطريق الضيقة المؤدية اليه ووضعت قدمي في عتبة الباب احسست بقشعريرة في بدني · جان جاك جان جاك هوذا شخص من الف او من مليون امرأته مبادئك وجاء يشكو ضرره لك · منذ ١٥ سنة كنت اتمنى زيارتك وهاءنذا في بيتك · ولا تسلني هل هذه الزيارة زيارة تثبيت ام زيارة وداع فاني جئتك ضجراً تعباً من خدمة لا يجني صاحبها اذا اخلص النية فيها سوى الاضطهاد والعدوان

والبيت تحيط به حديقة من جانبيه · وامامه حديقة كبرى تزرع اليوم بقولاً · وهو مطوّق في وسطه بشجرة تسمى « لا كايسين » ذات زهر وردي يجعل للبيت هيئة غزلية جميلة · وعلى جداره امام باب الدخول بلاطة نقشت عليها الابيات الفرنسوية التالية

Réduit par Jean-Jaque habité,
Tu me rappelles son génie,
Sa solitude, Sa fierté
Et ses malheurs et sa folie.
A la gloire, à la vérité,
Il osa consacrer sa vie,
Et fut toujours persécuté,
Ou par lui-même ou par l'envie. (1)

وهذه الابيات البديعة نظمتها على ما يُقال مدام دابساي التي ورد ذكرها كثيراً في تاريخ حياة روسو وقد نقشها وجملها هناك هيرو وسيشل في سنة ١٧٩٢ عند ابتداء الثورة الفرنسوية

ولما قرعتُ الجرس المعلق فوق الباب جاءت حارسة المكان · وهي مكلفة في ذلك البيت من قِبَل الحكومة باستقبال الزائرين وقبض اجرة الزيارة وقيمتها نصف فرنك عن كل شخص · والبيت طبقتان في الطبقة السفلى غرفتان الاولى غرفة المائدة في وسطها المائدة التي كانا يأكلان عليها وفي خزانة كبرى الى ما وراءها صحون عديدة كانوا يستعملونها · ووراء غرفة المائدة قاعة الاستقبال وفي وسطها مائدة عليها شيء كثير من الصور التي نشرناها في هذه المقالة ولا توجد في غير هذا البيت وهي تباع للزائرين · وبجانبها السجلّ الذي يقيد فيه الزائرون اسماءهم وعواطفهم · وفي الطبقة الثانية من البيت (مُصلًّى) مدام دي وارين وهو مذبح للصلاة مزين بالايقونات والصور وبجانبه غرفتها وهي تشتمل على سريرها وكلة السرير ومرآتها وغير ذلك · وان القطن المحشو به فراشها بادٍ للنظر لتقادم عهده · وارض غرفتها الخشبية قد اكلها السوس والأقدام فلا بدَّ من تجديدها او سترها بطبقة خشبية بعد ١٠ او ٢٠ عاماً · والنظرة من نافذتي غرفة مدام دي وارين الى شمبيري وما حولها من الجبال والاحراش نظرة لم ارَ مثلها في حياتي كلها لا في قمة الاهرام ولا في اعالي الارز وصنين · وبجانب غرفة مدام دي وارين غرفة روسو وفيها سريره الجميل والمرآة التي كان ينظر فيها وجهه · ولم نصف هذه الغرف كلها لانا اخذنا رسومها وسننشرها في جزءٍ تالٍ

السجلّ وفكاهاته وكان في البيت سائحان غيري واحد انكليزي وواحد فرنسوي · فلما انتهيت من الزيارة طلبت سجلّ المكان لاقرأ فيه اسماء الزائرين

---

(١) ترجمتها — يا بيتاً سكنه جان جاك · انك لتذكرني روحه العظيمة ووحدته وكبرياءه ومصائبه وجنونه · فانه اجترأ على ان يجعل حياته وقفاً للمجد والحقيقة · ولذلك كان تارة يضطهده الناس حسداً وتارة هو نفسه يضطهد نفسه

وما كتبوه . فهناك سجلان سجل هذا العام وسجل امتلأ في مدة ثلاثة اعوام . فتصفحتها كلها بدلالة المرأة حارسة المكان وهي سيدة متأدبة تحرس البيت هي وحماتها . ثم اخترت منها بضعة اسماء ونقلتها ولو اردت قراءتها كلها لاقمت في البيت اسبوعاً . واليك ما نقلته منها

رأيت في السجل توقيع المسيو «اناتول فرانس» احد رجال الاكاذيمية وهو أشهر كتاب فرنسا اليوم (١) وتحت توقيعه هذه الكلمات «الكرامة لروسو وبرجيره» والتاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٠٣ وبرجيره هو بطل كتابات اناتول فرانس . وفي صفحة اخرى توقيع المسيو ريشبين وتحته هذه الكلمات «وانا افتكر في اناتول فرانس» اي وقع وهو يفكر فيه تشبيهاً له بروسو . وهناك توقيع الكونتس دي نوايل الكاتبة الفرنسوية المشهورة وفوقه هذه الكلمات «يا عزيزي روسو . يا عزيزي جان جاك . انت الرجل الذي كنت اكثر الناس حباً له والذي اثنيت عليه واحتفلت بأمره اعظم احتفال تحت اسماء متعددة» تعني اسماءها التي تستعيرها للكتابة . — وهناك توقيع بسيط «بول باسينت لوازون ٢١ اكتوبر سنة ١٩٠٣» وهو الكاتب المشهور الذي كان كاهناً فرنسوياً وترك الكهنوت . وتوقيع المسيو موريس بارس الذي جعل في هذا العام عضواً للاكاذيمية الفرنسوية . والبارونة Kharaacé ولعلها اجنبية لا فرنسوية . وبين هذه التواقيع تواقيع لا تحصى (٢) مقرونة بعضها بشعر ونثر اطول وابرد من ليالي الشتاء وبعضها كلام موجز كايجاز الحكماء . وجميع ما قرأته منها انما هو تغزل وهتاف اصاحي المكان . منهم واحد كتب يقول «هنا دماغ فرنسا مصدر الحس ودقة الشعور فزوروا هذا المكان زيارتكم لهيا كل العبادة» ولم اعثر الا على قادح واحد واليك ما كتب «اذا عادت فرنسا الى نفسها يوماً من الايام فانها

(١) ترجمنا له خطبة في الجزء العاشر السنة الرابعة

(٢) وجدنا بينها توقيعين بالعربية احدهما قريب لسعادة بطرس باشا غالي ناظر الخارجية في مصر . ولما ابتسمنا لقراءتهما قالت لنا حارسة المكان «هل المسيو يفهم هذه الكتابة الصينية» فضحكت ولم أجب . وبما ان حمامات اكس لا تبعد عن شمبيري سوى ساعة في القطار وكثيرون من افاضل المصريين يفدون كل عام على تلك الحمامات فغير بعيد ان الذين يذوقون الادب منهم يقصدون بعد اليوم شمبيري من حمامات اكس «ليأخذوا فيها حماماً من الشعر والادب والجمال الطبيعي»

ستنقل عظام روسو من البانثيون وتطرحها في نهر السين » — قلت فتأمل البون الشاسع بين هذا الرأي والرأي الذي تقدمه واحكم بعد ذلك في ما يجب على البشر من التأني والتساهل والعقل ليعيشوا معاً بسلام ووداد دون ان يكون لتلك الخلافات العظيمة في الرأي والمعتقد تأثير عليهم

ولما اطبقت السجل كتبت فيه بالفرنسوية اسمي واسم الجامعة ووضعت بجانبهما هذه العبارة « حين مروري قاصداً اميركا » ولما كتبتها سمعت صوت بلبل يغرّد على الشجرة وراء النافذة . ذلك ان الفصل فصل ربيع وكان روسو لا يحب شيئاً في الربيع هناك مثل تغريد البلابل . فخيل لي ان بلابل روسو حين كتبت تلك العبارة تقول لي « أقم هنا ولا ترحل » فابتسمتُ واجبتها في نفسي «هذا ممكن في آخر العمر لا في أوله»

ولما عدتُ من البيت الى المركبة التي كانت تنتظر في خارجاً كنتُ ممتلئ النفس غزلاً وشعراً . فاردت قطف وردة او زهرة من الحديقة فلم اجترئ على ذلك احتراماً للبيت . فخرجتُ وبحثت خارج البيت في الطريق عن زهرة احملها تذكاراً لزيارتي الاولى . فوجدت خارج باب الدخول زهراً ابيض جميلاً فمددت يدي وقطفت بضع زهرات منه ما زلت احفظها . فاصابت كفي حين مددتها نباتاً شائكاً بجانب الزهرة شاكها وآلمها . فضحكت لانه خطر لي حينئذٍ هذا الفكر « جان جاك جان جاك . انك قضيت عمرك وانت تشكو الزمان والناس ومصائب الحياة . فاعلم الآن اننا في هذه الحياة المدنية الجديدة . التي كنت تحمل عليها حملات شديدة . والتي صار فيها « تنازع البقاء » بين الناس عبارة عن صراع بين وحوش عنيدة . صرنا نجد الآلام والمتاعب حتى حين قطف الازهار التي نراها في طريقنا

وقد اقمت في شمبيري اربعة ايام . وزرت الاحراش والحقول حول البيت وقرأت للمرة الثانية في ظل اشجارها الظليلة ما كتبه روسو عن تاريخ حياته واقامته في تلك الجهات وقصته مع خليلته مدام دي وارين وخليلات اخرى غيرها عرفهنّ بعدها . وموعدنا بنشر ذلك جزء تالٍ

اقتراح على الادباء

يُقبل الجواب نظماً ونثراً

في هذا الجزء الصفحة (١٠) السطر ٣٠ في الحاشية الثالثة « مسألة عائلية اجتماعية » نقترح الجامعة على الادباء البحث فيها والجواب عنها نظماً او نثراً . ونشترط ان لا يتجاوز الجواب خمسة اسطر في الجامعة

رَسَائِلٌ وَمَسَائِل

نَنشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلقى علينا معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة · وقد نشرنا في هذا الجزء « رسالة مصر الاولى » (١)

رسالة مصر

الالفة بين الصحافيين · اخبار الادباء · حافظ ابرهيم · المراقع والروايات التمثيلية · رواية ابنة حارس الصيد

سألتني الجامعة ان اكتب لها من القاهرة عن اخبار الادباء واني اشكر الادباء لانهم ملأُوا حقيبتي باخبارهم · الا انني احار في الابتداء والانتهاء

في الخامس من هذا الشهر (٢) اي يوم الاحد الماضي اجتمع خمسة عشر كاتباً من كتاب الصحف واحد من المؤيد واثنان من الاهرام واثنان من الظاهر وصاحب جريدة حكمت الفارسية وصاحب جريدة التمدن الاسبوعية ومؤلف كتاب اشهر مشاهير الاسلام وكاتب « دفاع بلفنا » و « تاريخ حرب اليونان » وصاحب جريدة « الكلمة الحرة » وواحد من المقطم وصاحب جريدة النيل — اجتمع كل هؤلاء الكتاب المختلفون في المشارب والمذاهب والمبادىء على ظهر باخرة قامت بهم من روض الفرج الى القناطر الخيرية وهبَّ عليهم نسيم الصباح الذي ينعش الافئدة و يعيد القوة الى الاجسام · فقضوا ساعتين في النيل وصلوا بعدها الى حدائق القناطر الخيرية التي وصفها احد سياح الافرنج بانها جنة على الارض وانها اجمل من غوطة دمشق · فجلسوا تحت شجرة كبيرة اظلتهم جميعهم وعقدت

---

(١) عهدنا الى احد الكتاب الافاضل في مصر من اصدقاء الجامعة ان يبعث اليها في كل شهر او نصف شهر برسالة وجيزة تكون عبارة عن تاريخ لحوادث مصر الادبية في كل شهر وهذه رسالته الاولى · وسيرى القراء من رسائله وسلامة ذوقه فيها ما يدلهم على ان الجامعة قد اكتشفت لهم هذا الكاتب الجديد اكتشافاً كما يُكتشف المعدن الثمين (٢) مايو « ايار » اذ وصلتنا هذه الرسالة قبل وصولنا الى نيويورك

جلستهم الاولى فكانت لجلسة فلاسفة اليونان من تلامذة ارسطو وافلاطون · ودار البحث بينهم على شؤون شتى منها ما يرقي الصحافة المصرية ويجمع كلمة منشئيها وغير ذلك مما تدعوهم اليه حرفتهم · وقد انصرف الكل بعد هذا الاجتماع وواحدهم اعلق بصاحبه من ذي قبل

والذي سرّني في هذا الاجتماع انه رمز للجامعة الكبرى التي تجمع كتّاب الصحف العربية في مصر وسوريا واميركا تشبهاً بالصحف الغربية · ولا اظن ان صحراء افريقيه والمحيط الاطلنطيكي يكونان عائقاً بين قلوبنا وقلوب اخواننا في العالم الجديد · فاننا كلنا قوة واحدة وزعتها الطبيعة في اطراف العالم · فحبذا لو كثرت الصلات والروابط بيننا وكانت صحافة مصر اكثر اهتماماً بشقيقتها الصحافة الاميركية العربية

* * *

اخبار الشعراء كثيرة وسيد شعرائنا حافظ افندي ابرهيم يجعل الانسان حائراً اذا شرع في كتابة اخباره · فقد شرع منذ نصف سنة في تعريب رواية (مكبث) من الفرنسوية الى العربية نظماً ونثراً · وكان يعدّها للتمثيل في دار التمثيل العربي وكثيراً ما كان يقول لنا « انني ارى شكسبير في كل يوم اكبر منه في اليوم السابق فانني لم اظفر بمعان اجمل ولا افكار اسمى من معاني هذا الرجل وافكاره · واذا قُسم لي في هذه الحياة عمل عظيم فلا يكون الا نقل روايات هذا الشاعر العظيم الى العربية » غير ان حسن الطالع لم يكمل جميله مع حافظ فان المسكين اجهد نفسه في التعريب وفي قرض القصائد الاجتماعية الجميلة حتى اصيب بضعف المعدة وهو داء العظماء والعلماء · فاشار عليه الاطباء بالانقطاع عن العمل فانقطع · · · ولما حان وقت الالعاب الاولمبية سافر الى اثينا فشاهد الالعاب وتمتع برؤيتها وزار آثار اثينا وبلغنا انه نظم شيئاً قليلاً في البحر ومثله عند رؤيته الاكروبول · غير انه يضن بالنظم ليظهر في الجزء الثاني من ديوانه الذي سيصدر قريباً

* * *

اما مراسحنا فعلى ما كانت عليه ولا زلنا نشاهد الروايات القديمة التي مجتها نفوسنا وسئمتها اذواقنا · وليت الشيخ سلامه حجازي الذي يُنتظر منه ترقية هذا الفن يعمل ما عمله صاحب الملعب المصري فان هذا يمثل الآن على مرسحه روايات جديدة بعضها حسن مقبول · ولكن مزيته انه في كل شهر او شهرين يمثل رواية جديدة

ومن هذه الروايات رواية ابنة حارس الصيد وهي منقولة عن الفرنسوية بقلم جناب الياس

افندي فياض وحوادثها عائلية وهذا الذي يحببها الى الرجال والنساء · غير انها في ذلك الموضوع الذي يجرح الكلام فيه كل فؤاد · انها قصة فتاة ابنة رجل فقير يحرس الصيد لغني كبير أودعت في قصر ذلك الغني لتشب على الادب والثروة غير انها راقت في عين الغني فطارحها الغرام واغواها · فاحست زوجة الغني بان الفتاة صارت حاملاً ولكنها لم تعرف من هو شريكها في تلك الجناية فطردتها وخرجت الفتاة في ديجور هذه الحياة تكافح الدهر وبكافحها بعد ان علم ابوها بالامر وغضب عليها · واخيرًا ولدت ابنها وتمكنت من حيلة اودعته بها في دار ابيها · ثم سافرت الى باريس ودخلت مع اخواتها الشقيات في وادي الهموم ودار جهنم ذات ريح السموم

وما زالت على ما كانت فيه حتى اثرت وصارت لها القصور الباذخة والاراضي الواسعة والدخل العظيم · وحدث ان الغني الذي كان سبب مصائبها وهمومها عثر بها فعرض عليها غرامه فاعرضت عنه غير انه بذل كل شيء في سبيل رضاها فقبلته وكثيرًا ما كانت تعنفه على الماضي وتنغص حياته

وفي يوم من الايام تعرفت هذه السيدة بشاب شاعر جميل وطارحته الغرام وعلم الغني بالامر فغار من الشاب واضمر له الشر · ودعت السيدة يومًا ما رجلاً يجهز لها الصيد في احد قصورها حيث ارادت ان تمضي فصل الصيف فاجتمع في غرفتها ثلاثة : حارس الصيد والشاعر الجميل والغني المذنب · وظهر اخيرًا ان حارس الصيد هو ابوها والشاعر الجميل هو ابنها فلما عرف الغني انه كان يغار من ابنه على امه اراح نفسه واراح غيره بان انتحر

وعادت السيدة الى ابيها وابنها وعاشوا بسلام · ولولا ما في هذه الرواية من هناء عيش البغي بعد ثروتها واجتماعها باهلها على اسهل سبيل لكانت الرواية من اجمل الروايات · وكان الجدير بالمؤلف ان يظهر آلام البغي في آخر حياتها وامراضها واحزانها وفقرها لا ان يظهرها بمظهر الغنى والنعيم والعز المقيم · فلعل فتيات القاهرة لا يفترن بقصة ابنة حارس الصيد فانها قصة ليس الاَّ

القاهرة (محمد لطفي جمعه)

الفرق بين مصر ونيويورك

الرسوم المنشورة في مقالة (روسو ومدام دي وارين) في هذا الجزء مأخوذة من بيت روسو نفسه في شمبيري وقد صنعها معمل الرسوم هنا مع ثلاث كليشات اخرى في يومين ولو كنا في مصر لانتظرناها عشرة ايام · · ·

الجزء الثاني



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ — ٢٤ جماد اول سنة ١٣٢٤

الشيخ محمد عبده

جمال الدين الافغاني

ما بين مبادئ الشيخين من المشاركة · ما فيها من الضعف والمخالفة لمبادئ العلم الحديث · امتياز محمد عبده على الافغاني بهذا الشان · تاريخ صلات الجامعة بمحمد عبده · قبل المناظرة وبعدها

تابع التمهيد

٣

جعلنا صدر الجامعة لهذا المقال للدلالة على اهمية هذا الموضوع · لان الكلام فيه ليس في ترجمة الاستاذ رحمه الله ولا في تاريخ حياة استاذه الافغاني ولكنه على الاخص في بسط مبادئهما وعلاقتها بعضها ببعض من جهة وبمبادئ العلم الحديث من جهة اخرى · وبما ان تأثير الافغاني ومحمد عبده على الشرق واهله تأثير عظيم فالكلام في مبادئهما كلام في النهضة الشرقية ونخص منها الاسلامية في كل بلاد يسكنها اخواننا المسلمون · وسيرى القراء في هذه المقالات المتسلسلة جانبي القوة والضعف في مبادئهما وتعاليمهما لكي لا يستسلموا اليها

بلا بحث ولا تمحيص. وانما نكتب هذه المقالات خاصةً للشرقيين الذين تهمهم الحركة الاسلامية في العالم الاسلامي ويتتبعون تلك الحركة بفكر نشيط. وقد نكون مخطئين في حكمنا في هذين العلاّمتين فان النقد سهل كما هو مشهور. ولكن سواء كنا مخطئين او مصيبين فهذا معتقدنا نبسطه للذين يقرأون الجامعة ولا غرض لنا كما يعلمون ذلك سوى البحث والتحقيق

وبما اننا ننظر في هذا التمهيد في علائق الجامعة بالاستاذ المفتي قبل المناظرة بينه وبينها وفي علائقها بعدها فاننا نوجز الكلام هنا في تتمة هذا التمهيد لنصل الى لباب الموضوع

في السنة الثالثة من الجامعة القينا سؤالاً على اهل الفهم والادب وهو « هل النهضة الادبية في الشرق نهضة حقيقية . وماذا يجب فعله لترقيتها » فاجاب كثيرون من ادباء مصر والشام على هذا السؤال اجوبة مختلفة نشرناها في تلك السنة . وقد شرّف الاستاذ يومئذٍ الجامعة بجوابين على هذا الموضوع الاول في بضعة اسطر قصد به اظهار رضاه عن الجامعة وقد وقّع عليه هكذا « الفقير الى الله وحده . محمد . . . » وقد قصد بذلك مداعبة ادبية خفيفة لانك اذا اضفت كلمة « عبده » الى كلمة « محمد » كان توقيعه مسجعاً . والاستاذ رحمه الله كان ولعًا بمثل هذه المداعبات والنكات الادبية . واما الجواب الثاني فقد كان ضافي الذيول وقد نشرناه في عدة صفحات في السنة الثالثة تحت عنوان « رأي عالم مصري وعالم سوري » وكان العالم السوري جناب جبر افندي ضومط استاذ البيان في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت والعالم المصري فضيلة الشيخ محمد عبده المفتي لذاك العهد . انما نتذكر اننا حذفنا من راي الاستاذ عدة اسطر في عدة مواضع لتضمنها قرصاً شديداً لبعض الجرائد المصرية ولعله كان يعني الجرائد التي كانت معادية له . وقد بلغنا ان هذا الحذف ساءه يومئذٍ . ومن هنا انقطعت اخبار الاستاذ عن الجامعة رأساً ولكن كان يبلغنا من عنايته بها وثنائه عليها ما قلدها منةً وفضلاً . من ذلك انه زارنا يوماً احد الاصدقاء وقال : كنت اليوم في « المحافظة » (١) وكان الاستاذ المفتي ضمن حلقة فيها يحادثهم عن الجرائد وتأثيرها واهميتها فسمعته يقول : قد يردني احيانًا البريد وفيه عشرون جريدة ومجلة . فلما ارى في بريدي « مجلة الجامعة » فاول ما امدّ يدي اليها وافتحها . وحدّثنا صديق قال « كنت اليوم عند فلان وسمى لنا باشا من اكابر المصريين كان يوماً اقرب المقرّبين الى الجناب الخديوي واول موظفيه وكاتم اسراره الخاص فسمعته يقول عن الجامعة قولاً ثلج له صدري

(١) المحافظة دار حاكم الاسكندرية ويسمونه (المحافظ) كما هو مشهور

فسألته وهل تعرف صاحب الجامعة فقال لي ولكني اني شهادتي هذه على شهادة الاستاذ المفتي فانه ما جلس في مجلس ودار فيه الكلام عن الصحافة الا واخذ يذكر الجامعة ويثني على استقامتها العلمية والادبية . فكأنه لها اعلان حيّ » — قلنا وهذا هو السبب الذي منعنا من مخاشنة الاستاذ رحمه الله في اثناء المناظرة في « ابن رشد وفلسفته » وجعلنا نضرب صفحاً عن تحريض المحرّضين على فضيلته . فاننا لم نجد من الوفاء والادب ان نجزي الاحسان بالاساءة . واذا كان الاستاذ اساء الى الجامعة مرة فقد احسن اليها مرات

ثم كانت المناظرة في « ابن رشد وفلسفته »

واصلها ان الجامعة بدأت تستخرج فلسفة العرب وتترجم اكابر فلاسفتهم وعلمائهم لتجمع تراجمهم في كتاب يكون فريداً في اللغة العربية . لانه مما يُستحيى منه ان لا نعرف نحن ابناء اللغة العربية شيئاً من تاريخ ومبادىء اساطين هذه اللغة مع ان فلسفتهم ومبادئهم نُقلت الى جميع لغات العالم المتمدن . فافتتحنا عملنا بترجمة ابن رشد في الجزء الثامن السنة الثالثة . فوجد قراء الجامعة في مصر على الخصوص ان هذه الطريقة التي اخذت الجامعة تترجم بها فلاسفة العرب وتلخص فلسفتهم بحرّية مطلقة من كل قيد طريقة جديدة مستحبّة . فكان لذلك الفصل شيء من الدويّ . ففي ذات يوم ونحن نعدّ ترجمة الامام الغزالي لنشرها كما نشرنا ترجمة ابن رشد واذ وردنا كتاب من مصر يقول مرسله فيه : ان الاستاذ المفتي كان في الاسكندرية وقد بعث اخاه يسأ لكم زيارته فلم يجدكم في الادارة فعاد الى القاهرة دون ان يراكم وغرضه من رغبته في مشاهدتكم هو ان يسأ لكم هل تريدون ان تنشروا في الجامعة ردًّا له طويلاً على المقالة التي نشرتموها في « ابن رشد وفلسفته » وهو الان يسأ لكم بواسطتي هذا السؤال . فاذا شئتم نشر الردّ فاخبروني لانسخه وابعث به اليكم

فلما قرأت هذا الكتاب (عصبت رأسي) كما يقول العامة لانني ما كنت احب ان يردّ الاستاذ رحمه الله على الجامعة في مسالة اسلامية وان كنت لا اجهل الفائدة التي تعود على المجلة من تنازل فضيلته للردّ عليها . الا انني لم اتعلم قط الفرار من البراز ولو كان الداعي اليه الامام علي افرس الفرسان . فاجبت ايجاباً وكانت المناظرة التي يعرفها القراء وهي بين ايديهم (١) ولم يقع للاستاذ مناظرة رنانة اخرى في مصر سوى مناظرته مع المسيو هانوتو وزير الخارجية الفرنسوية السابق في مسالة شرقية تافهة في ذاتها . وفي هاتين

(١) راجع كتابنا (ابن رشد وفلسفته)

المناظرتين قال شاعر الاستاذ الصديق حافظ افندي ابرهيم عفر الله له :

وانتَ لها ان قام في الغرب مرجفٌ   وانتَ لها ان قام في الشرق مرجفُ

حافظ حافظ . انك لم تحاسب نفسك لما نظمتَ عجز هذا البيت

وقد اهتمَّ العالم الاسلامي والشرقي في مصر وخارج مصر بهذه المناظرة والاخرى اهتماماً لم يرَ لمناظرة غيرها في الشرق . فبعث حاكم الجزائر يطلب الاشتراك في الجامعة وكتاب ابن رشد . وكذلك سلطان زنجبار وبعض المستشرقين في الاستانة وفرنسا . ولم يدخل كتاب ابن رشد الى العالم المستشرق في المدرسة الفرنسوية في الاستانة الا بطريقة مضحكة . فانه عين لنا عنوانًا في مرسيليا ارسلنا الكتاب بموجبه ومن مرسيليا أُرسل الكتاب اليه في الاستانة ككتاب فرنسوي لان البوسطة الفرنسوية في مصر ساحمها الله لا تقبل مطبوعات عربية للاستانة . ولست اذكر هنا تاريخ كتابتي هذا الكتاب ولا طريقة كتابته فرارًا من الاطالة فاكتفي بان اقول ان جميع قواي وحواسي تجمعت في مدة ثلاثة اشهر ليلاً ونهارًا في موضوع واحد . فقلَّ نومي وانقطعت قابليتي للطعام . وما سطرت آخر سطر فيه حتى انطرحت في الفراش لحمّى شديدة عرتني . فكأن جميع قواي التي كنتُ استحثها على العمل قد نفدت ورزحت اول ما علمت انها فرغت من عملها ولم يبقَ عليها شيء منه . وكان ظهور هذا الكتاب عبارة عن انفجار قنبلة في العالم العربي . قال لنا مراسل جريدة اسلامية كبرى في الاسكندرية انه لقي فضيلة قاضي الاسكندرية السابق فقال له انه في التشريفات الخديوية التي وقعت بعد ظهور هذا الكتاب باسبوع واحد لم يكن للناس من حديث سوى امر هذا الكتاب والمفتي . وان « الكتاب دي سيروّح مفتينا بداهيه » كذا قال . والعجيب ان خصوم فضيلة المفتي اغتنموا فرصة هذه المناظرة لتحريض الجناب الخديوي عليه حتى ان الجامعة نفسها وردها تحريض من بعضهم . فانه في اثناء المناظرة لما رأى خصومه اننا لا نواجهه الا بكل اكرام واحترام بعثوا الينا بالكتاب التالي وعليه طابع بوسطة الازهر وهذا نصه بحرفه

حضرة الفاضل الاديب

ان للجامعة لدينا منزلة رفيعة ومقاماً شريفًا ونتمنى لها الدوام والارتفاع وانا نأسف كل الاسف ان اقرانها في المناظرة الحالية يدسون لها السم في الدسم ويوسعونها حسدًا وبغضاً في زي صداقة وتعظيم وهي تريد عملهم هذا تأثيرًا بتعظيمها لاقوالهم وتقديسها لآرائهم و يعلم الله انها اقوال لا يقولها الصبيان لا أعظم فلاسفة الزمان كما تقول الجامعة وقد اردنا

بهذه الكلمات استلفتت نظرها الى امر ربما فات عليها وساق الضرّ اليها

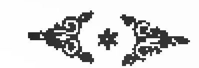
وان انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالملا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

(احد القراء)

فمن لمحة هذا الكتاب نقف على مبلغ النزاع والخصام الذي كان بين المفتي وخصومه حتى من اهل الازهر نفسه · وسترى عند تحليل مبادىء المفتي ومبادئهم انه لم يكن كل الحق في جانب المفتي وحده

اما كيف انتهت المناظرة ولماذا انقطعت بغتةً ولم يرد بشأنها كلمة في الجامعة بعد كتاب (ابن رشد) فسببه اننا لما رأينا انه كاد يتسع الخرق على الراقع وجدنا من اصالة الراي اما اقفال الباب قطعياً واما توسيع الخرق توسيعاً تاماً · فطبعنا كتاباً مفتوحاً الى فضيلة المفتي ثلاثة الاف نسخة في ١٦ صفحة بحجم الجامعة وتركنا نسخة من هذا الكتاب تصل الى فضيلة الاستاذ قبل توزيعه واشترطنا للعدول عن توزيعه ان يعدل بعض انصاره عن الشتائم التي كان يوجهها الى الجامعة · فبعث فضيلته بالحال كبيراً يعتمد عليه في الاسكندرية لايقاف توزيع الكتاب · فشرّف سعادته ادارة الجامعة بزيارة منه لايقاف توزيعه على ان يُقفل هذا الباب · فرضينا شاكرين لفضيلة المفتي عقله واصالة رأيه · ولو نُشر هذا الكتاب المفتوح الذي لم يبقَ لديَّ الاَّ نسخة واحدة منه لانني احرقته فربما كانت عاقبته سيئة جداً

وسيرد في الجزء التالي ما دار بين فضيلته والجامعة من الرسائل بعد هذه المناظرة · وفي بعضها ابحاث اجتماعية مفيدة وفي بعضها للجامعة منه رحمه الله وخزات شديدة



حال السوريين في دار هجرتهم

لما وصلنا الى نيويورك ورأينا ما عليه السوريون فيها من اليسر وصلاح الحال رغبنا في كتابة فصول طويلة توقف قراء الجامعة خارج اميركا على احوال اخوانهم فيها وتطلعهم على ما يجهلونه من ارتقائهم . الا انا لما كنا لم نقم بعدُ وقتاً كافياً لاختبار ما نريد الكتابة فيه فقد عهدنا لاحد افاضل المهاجرين ان يكتب لقراء الجامعة خارج اميركا فصلاً اجمالياً في هذا الموضوع وهذا هو الفصل الاجمالي . وفي الجزء التالي سنبدأ سلسلة فصول صغيرة نذكر في كل فصل منها حالة تجارة السوريين وثروتهم وطرق شرائهم وبيعهم وامتداد معاملاتهم واهمية متاجرهم وتاريخ تأسيسهم محالهم التجارية واصحاب الفضل في تأسيسها هذا غير وصف هيئتهم الاجتماعية وامور معاشهم وعلائقهم بعضهم ببعض من جهة وبالاميركان من جهة اخرى . وبذلك تكون الفصول التالية تاريخاً لحالتهم الاجتماعية اليوم التي تسرّ ولا شك اخوانهم خارج هذه البلاد

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها ولكنَّ اخلاق الرجال تضيقُ

لم تضق سوريا باهلها ولا نضب ماؤها القراح ولا افلت شمسها الساطعة ولا تكدَّرت سماؤها الصافية الجميلة ولا ثقل نسيمها اللطيف فهي كما كانت منذ القديم ولم تزل الى الان عروس الدنيا مناخاً وهواء . ولكن اخلاق رجالها ضاقت لاسباب يطول بنا شرحها وربما كان لا يوافق ذكرها هذا المقام . ضاقت اخلاق رجالها اذ قلّت موارد الرزق . ضاقت اخلاق اهلها بعد ما رأوا وسمعوا عنه في بلاد الناس من عظمة العمران ووفرة الثروة وما رأوا حولهم من ضيق الدائرة فطلبوا الفرج وضربوا في بلاد الله ووطئت اقدامهم كل ارض

على وجه البسيطة حتى قارتي اميركا الشمالية والجنوبية فوجدوا في الاولى ما لم يجدوه في غيرها من البلدان المتمدنة · وجدوا فيها الثروة الطائلة والمقام الشخصي الذي انكرته عليهم بلادهم الاصلية فوطنوا انفسهم على الاقامة فيها

بدأت المهاجرة منذ نيف وخمسة وعشرين عاماً وكانت في بادىء عهدها مقتصرة على افراد طلبوا الرزق من وراء الاسفار فركبوا اخطارها وتجشموا مشاقها وعادوا بالغنائم · فاستلفت نجاحهم انظار جيرانهم ومعارفهم فحذا هولاء حذو اولئك وعاد الآخرون بما عاد به الاولون فاتسعت دائرة طلاب الرزق من الاسفار وكثر عددهم واخذ بالتضاعف كل عام حتى بلغ الان الجمع العرمرم · فلم تبقَ مدينة ولا قرية من مدن وقرى سوريا ولبنان الا وهاجر من اهليها العدد الاكثر · غير ان المهاجرة التي كان القصد منها في بادىء الامر ازدياد الثروة لم يقتصر نجاحهم فيها على هذا فقط بل زادتهم تمدناً وعلماً وساوتهم بالقوم الذين كانوا سبقوهم شوطاً بعيداً في مضمار الارتقاء الادبي والمادي وبكلمة اخرى ان المهاجرة رقّت القوم مادياً وادبياً فادركوا معنى الحياة من حيث التمتع بجميع الحقوق الادبية والمدنية والسياسية

وفي الخمس والعشرين سنة التي مضت على المهاجرة بلغ من شأن المهاجرين السوريين انهم اقتبسوا عوائد القوم الذين سكنوا بينهم وتخلقوا باخلاقهم الى درجة مدهشة جداً حتى انه يحسبهم القادم الجديد من احوالهم انهم غير قومه الذين عرفهم من قبل ونشأ بينهم ويحسبهم الاميركي افراداً من افراده نظراً لانتفاء الكلفة في جميع تصرفاتهم الاجتماعية والتجارية · وليس الفضل في ذلك لذكاء السوري وحدة ذهنه كما ادعى كثيرٌ من كتابه ولكن الفضل كل الفضل للبلاد التي احتلها والرجال الذين خالطهم من اهلها · وليس السوري بالمهاجر الوحيد الذي ارتقت احواله وسمت افكاره في اميركا ولكن هناك غيره من جميع شعوب الارض فيما عدا الصيني الذي افرزته صورة وجهه فلم يستطع معها الامتزاج الاجتماعي ببقية الاقوام ووقفت صفرته حاجزاً حصيناً بينه وبين الجنس الابيض · الا انه دون شك قد ترقى في مداركه وان كان ترقيه اقل من ترقي غيره واكتسب من المجاورة معرفة قوة الاتحاد والتضافر ودليلنا على ذلك ما قرأناه ونقرأه عن قيام البوكسر على الاجانب في بلاد الصين وعن الاعتصاب لمنع المتاجرة بالبضائع الاميركية يوم سدت في وجوههم ابواب الدخول الى هذه الولايات

ربما يعارضني بعضهم اذا رأوني نفيت نسبة ارتقاء السوري الى ذكائه ولكنني تعوّدت

ان اتحاشى الادعاء الفارغ ولست في كلامي بمنكر نباهة السوري وذكاءه ولكنني اقول ثانية ان الفضل في ترقيه عائد الى البلاد التي احتلها ورجالها الذين خالطهم . لان نفوذها بلغ من العظمة والتأثير انه لا يترك مجالاً للغريب في البقاء على عوائده المستهجنة مهما كانت متأصلة فيه لان الاقتداء من طبيعة الانسان . الا ترى ان الطفل يتبع امه عاملاً عملها والصبي ينتحل عوائد ابيه والرجل يقتفي آثار رفاقه . وتلك سنة في الكون لن تجد لها تبديلاً ويسمونها (سنة الارتقاء) وهي ان ينسخ الشيء صالحاً او غير صالح بما هو اصلح منه

ومن ذا الذي ينكر تأثير البلاد على المهاجر وهو غريب حملته باخرة لا يعلم من اسرار بنائها شيئاً سوى انها تشق عباب المياه اخترقت به بحراً كبيراً وفي نهاية اسبوع القت مرساتها امام مدينة عظيمة هي نيويورك . فنظر واذا ببنايات تناطح السحاب مشيرة الى قدرة الانسان العظيمة وقطارات ملأى بالخلق تخترق قلب المدينة العظيمة من اقصاها الى اقصاها ومركبات فوق الارض وتحت الارض وملايين من الخلق في ذهاب واياب كل الى عمله وبواخر تعد بالمئات تملأ من الارزاق وتفرغ واقوام بيض الوجوه ونساء بديعات الجمال يرفلن في البز والحرير ملأوا الشوارع والمباني والقطارات والبواخر . والامن سائد والسلام باسط جناحيه والسعادة ظاهرة بابهى مجدها وسيماء البشر على جميع تلك الوجوه . لا بكاء ولا ضيم ولا خصام ولا جوع ولا عراء ولا ضوضاء غير ما يخرج عن وقع الاقدام واصطدام الحديد بالحديد وفرقعة الدواليب على ارض الشوارع المستوية المرصوفة بالحجارة البيضاء النظيفة او المرصوفة بالحمّر . كل هذا يراه ويشعر به المهاجر لاول وهلة وقد ترك وراءه وجوهاً كالحة من الذل وجسوماً ضامرة من الجوع مرتدية اثواباً رثة من الفقر وشوارع ضيقة عوجاء زادها ضيقاً اوحالها واوساخها واشغالاً تولاها الكساد وجماعات لا يجمع شملها الا المآتم والاعراس ولا تمرّ على اجتماعها ساعة حتى يعلو صياحها ويتناثر رجالها الى الخصام والضرب واقواماً خاملين يكرهون العمل ولا عمل ليكرهوه . افلا تظنه انه مد رؤية جميع هذه الامور يقف مبهوتاً متهيباً لدى حضارة هذا التقدم المدني العظيم . افلا تظنه يرى نفسه حقيراً بازاء ما حوله وغير صالح ليعدّ نفسه من افراد هذا الشعب الراقي . افلا تراه في ليله وهو على فراشه يجهد فكرته لاكتشاف الطريق المبلغة الى هذا التقدم الذي يراه حوله . وما ظنك به وقد افلت الشمس لتغيب فاستنظر الظلمة الدامسة لتسدل حجابها على هذه المناظر التي صغرت لها نفسه فاذا بالانوار الكهربائية الساطعة نابت عن شمس النهار واذا بالمدينة كانما شمسها لا تغيب فتكون حية في الليل كما في النهار . افلا تخاله حينئذ كالمولود

الجديد في عالم جديد يرى ولا يفهم ويسمع ولا يدرك

كل هذا رآه المهاجر السوري في بدء عهد المهاجرة وكل هذا اثر عليه فبدأ يتدرّج في التقدم كما يتدرّج الطفل في الفهم · وكما ان حاجة الطفل الاولى هي القوت كذلك كانت حاجة المهاجر الى المال لسد العوز · فخرج بين الناس يطلب رزقاً · فاجهد فكرته فدلته على الاقتداء · فنظر فاذا بيهودي في الشارع يحمل صندوقة مملوءة سلعاً يبيعها فقال في نفسه هذا باب من ابواب الرزق فتبع اليهودي حتى المساء · وفي صبيحة اليوم التالي اذا بصديقنا المهاجر تاجر يحمل مخزنه على ظهره · هكذا كان بدء امر المهاجرين السوريين في الاتجار حتى بلغ عددهم العشرة · فكان انه فُتح اول مخزن سوري لسد عوزهم من سلعهم · ولما تمكنوا من معرفة بعض كلمات من لغة البلاد للتعبير عن افكارهم والانتساب الى البلاد التي اتوا منها وتفرقوا في المدينة تكاثر الطلب على مصنوعات بلادهم لكونها مهبط الوحي فاشار عليهم الناس باقتنائها فاتوا باخشاب الزيتون من بيت لحم وبعض المصنوعات الصدفية الصغيرة ثم استعاضوا عنها ببضائع باريز من صوَر وصلبان ومسابح وكتب للصلاة وهلمَّ جرًّا فراجت بضائعهم هذه رواجاً عظيماً واقبل الناس على اقتنائها تيمناً بالارض التي تنسب هذه البضائع اليها

على هذه الطريقة ابتدأ المهاجر السوري في تجارته · وكانت نيويورك مركزه الرئيسي · ثم توغل في البلاد فجعل محطة تجارته الثانية شيكاغو والثالثة سان فرنسيسكو · وفي عام ١٨٩٠ كان في نيويورك اثني عشر مخزناً سورياً وفي شيكاغو سبعة وفي سان فرنسيسكو اثنان وكان عدد المهاجرين لا يتجاوز العشرة آلاف · وفي عام ١٨٩٣ فُتحت محلات اخرى في مدن الولايات الغربية وانتشر السوريون في جميع انحاء البلاد من الاتلانتيكي الى الباسيفيكي ومن البحيرة الى الخليج حتى جاء معرض شيكاغو عام ٩٣ فهناك انفتحت عيونهم فادخلوا في تجارتهم اصنافاً كثيرة من مصنوعات سوريا ومنسوجاتها اليدوية ومطرزات اسطنبول وادخلوا ايضاً صنفي السجاد والسيكارات التركية · وكان العدد القليل منهم يتجر بهذه الاصناف بكمية لا تذكر · ومنذ ذلك الحين اخذت تترقى تجارتهم وتزداد ارباحهم في كل عام زيادة تُذكر ففتحوا المخازن للبيع جملةً في كل مدينة يزيد عدد سكانها عن عشرين الفاً من مدن هذه البلاد العديدة · وكانت قاعدتهم العظمى نيويورك ولم تزل الى اليوم · ثم طلبت نفوسهم مأكولات وطنهم الاصلي فبدأوا باستجلاب كميات قليلة حتى عام ١٨٩٦ فصار الوارد يتلو الوارد منها حتى ان كثرة المقطوعية اثرت في اسواق سوريا فارتفعت اسعار المحصولات كثيراً · وكانت فائدة المهاجرة غير محصورة في المهاجرين

وحدهم بل شملت المتخلفين في الوطن القديم ايضاً · وتعلم التاجر السوري من زميله الاميركي طرق التجارة والاستنباط في البضائع الجديدة المستحدثة وللسوريين اصناف عديدة مستحدثة في التجارة الاميركية منها العباءة النسائية (كيمونا) والصدرة المطرزة (شرت ويست) وهذان الصنفان يباعان في كل مخزن من مخازن الاميركان المهمة على الاطلاق · وللمهاجرين الان البيوت التجارية العديدة في نيويورك وفي غيرها من بلدان الداخلية مما يعد بالالوف ولهم مصرفان في نيويورك ومعامل لكثير من اصناف البضائع القطنية والكتانية والسلع الثرية · ولهم تنسب اول قهوة على طراز شرقي فتحت في نيويورك انهال على صاحبها المال كالسيل الجارف · ولهم مكانة في المالية عظيمة فكثير من بيوتهم التجارية تستطيع استدانة مبالغ طائلة من مصارف نيويورك على امضاوات اصحابها فقط · والذي يقال عنهم في نيويورك يقال عنهم في الداخلية فيما عدا مداخلاتهم في السياسة فهي اعظم في بعض مدن الداخلية منه في نيويورك

ولم يتحصر ترقي المهاجر السوري بالثروة فقط بل تجاوز هذا الارتقاء الى مدنيته وآدابه · فقد كان في اول عهده خاملاً جاهلاً فظ الاخلاق وهو الان نشيط نبيه رقيق الخلق يحادثك عن علم بمواضيع شتى من ادب وسياسة وله حجة وذوق في القاء الكلام · كان يعيش مع رفاقه كل عشرة بغرفة واحدة تعلوها الاقذار وهو الان يعيش في البيوت الواسعة النظيفة مفردًا ويأكل الاطايب مهما بلغ ثمنها · كان يلبس اللباس الرث وهو الان في جديده كل يوم · كان ضيق الخلق يقوم ويقعد للصغائر وهو الان متساهل حتى في الكبائر ولم يكن ترقيه هذا الا من تأثير الزمان والمكان اللذين وُجد فيهما · لانه يعيش بين اقوام لا يستطيع مخالطتهم ما لم يتخلق باخلاقهم · فبائع السلع وبائع الحرير والسجاد والتاجر في مخزنه لا يستطيعون مخالطة الاميركيين والدخول الى بيوتهم وفنادقهم وملاهيهم واجتماعاتهم ما لم يكونوا مثلهم نظافةً وادبًا ولطفًا ولباسًا ومعرفةً · تعلم السوري حقوقه وواجباته واصبحت محافظته عليهما كليهما بعض صفاته وطبيعته · فهو الان اميركي بكل معنى الكلمة ولذلك هو راقٍ · ومما يجدر بالذكر اكثر مما تقدم ترقي المهاجر السوري بالمعرفة · وهو مديون بهذا للصحافة العربية التي لا ينكر تأثيرها على المهاجرين · ففي سنة ١٨٩٢ او نحوه صدرت جريدة كوكب اميركا ثم صدرت الايام فالهدى فالعالم فالاصلاح فمرآة الغرب فالدائرة فالصخرة فالمهاجر فالمحيط فالدليل فالمنبر · فتمكنت دعامة الادب بين ظهرانيهم وكانت هذه الجرائد على اختلاف نزعاتها مؤثرة فيهم حتى انك لا تزور بلدًا يقطنها السوريون الا

وترى آثار هذه الجرائد بينهم يقتبسون اقوالها ويحتجون بحجتها وكثيرون منهم تعلموا القراءة من مجرد مطالعتهم اياها كما ان كثيرين من التجار تعلموا الكتابة الانكليزية بعامل الحاجة اليها في تجارتهم

اما تقدم السوريين السياسي من حيث التمتع بكل حقوق الاميركي الوطني فقد جاءهم عفوًا اذ تجنس منهم بالجنسية الاميركية العدد الكثير وللمتجنس جميع الحقوق السياسية التي للوطني المولود في البلاد وله الحق ان يرشح وينتخب لجميع وظائف الحكومة فيما عدا كرسي الرئاسة ونيابتها. غير انهم ما بلغوا وظيفة مهمة بعد وربما بلغوها في المستقبل وما ذلك الا لانصرافهم الى التجارة بكليتهم فلم يتركوا لانفسهم فرصة لدرس السياسة والمداخلة بشؤونها

والخلاصة ان المهاجر السوري ارقى حالاً الان منه قبل مهاجرته . فهو الان فرد من افراد امة عظيمة تقصر عنها كل امم الارض تمدنًا وحضارةً وعلماً وادباً وقوةً . وترقيه هذا سيمحو وطنيته الاصلية وجامعته السورية لانه سيندغم في الامة الاميركية اندغاماً يمحو به آثار (الاسيوية) منه فيمحى الاسم السوري في اميركا (شبل تاصيف دموس)

فلسطين واشهر بلدانها

محاضرة نجيب افندي نصار في طبريا

السمرة او السامريون

طائفة لم يبقَ منها سوى مائتي شخص

هم فئة قليلة لا يزيد عددها عن مائتي شخص وكلهم محصورون في مدينة نابلوس . وقد جاء بهم ملك اشور من بابل وكوث وحماه الى السامرة التي اخذوا اسمهم منها بعد ما سبى اهلها الى بلاده . واليهود يسمونهم كوثيين نسبة الى كوث التي جاء اكثرهم منها . وهم قوم كانوا يعبدون المريخ فلما توطنوا في البلاد وامتلكوا مدنها تمذهبوا بمذهب سكانها وكثروا كثيرًا . ومما يُفهم من رواية التوراة وتقارير يوسيفوس انهم كانوا يرغبون في الاتفاق مع اليهود بعد عودتهم من السبي ومشاركتهم في الدين والمعبد وان يصيروا

وايام شعباً واحداً ٠ وان اليهود رفضوا قبول ذلك لان شريعتهم وتقاليدهم تحظر عليهم مخالطة ومعاملة الملل الاخرى ٠ فادى ذلك الرفض الى العداوة الكبرى الشديدة التي لم تفوّ كل هذه القرون التي مرّت حتى يومنا هذا على اطفاء جمرتها المتقدة في نفوس الفئتين ٠ فكان السمرة على الدوام يتآمرون مع اعداء اليهود ويعاونونهم عليهم حتى اشتد ساعد المكابيين فحاربوهم ودمروا هيكلهم تدميراً ٠ وتمرّدوا ايضاً على فسباسيانوس فدوختهم جنوده وقتلت منهم احد عشر الفاً وستماية رجل وادّى بهم وباليهود الضعف والضيق الى الاتحاد معاً وشقوا عصا الطاعة على سبتيميوس سفروس Septimius Severus وذلك في اول القرن الثاني بعد المسيح فحاربهم حرباً حامية مزقهم فيها فتفرقوا في مصر والشرق ونزح فريق منهم الى رومية فكثروا فيها وبنوا لانفسهم مجمعاً في سنة ٤٩٣ ٠ ومع ان بعضهم اعتنقوا الديانة المسيحية وثبتوا فيها الى النهاية منذ بداية التاريخ المسيحي بدون ان يعارضهم السامريون ويضطهدوهم كما كان يفعل اليهود فقد روى لنا التاريخ ان العداوة فشت بينهم وبين المسيحيين منذ بداية القرن الخامس اذ دخل السمرة يوماً الى كنيسة المسيحيين في نابلوس وقتلوا منهم بعضاً وقطعوا انامل مطرانهم تربنثوس Terebinthus فغضب الامبراطور زينو وطردهم من جرزيم وبنى عليه الكنيسة والقلعة اللتين مرّ ذكرهما غير ان عصابة منهم تسلقت الجبل في عهد الامبراطور انسطاسيوس من الجهة الاخرى وقتلوا الحرس واستولوا على الكنيسة فحالت حامية المدينة دون وصول المدد اليهم فحوصروا والقي القبض عليهم وقُتل زعماؤهم ٠ ثم في سنة ٥٢٩ توجوا رجلاً منهم يدعى جوليات ملكاً عليهم وجاهروا بثورة عمومية ضد السلطة الرومانية وقتلوا كثيرين من المسيحيين ومنهم المطران اموناس وخربوا الكنائس فبعث اليهم الامبراطور جوستينيانوس بفريق من الجند قتلوا ملكهم وعدداً كبيراً منهم واستولوا على مجامعهم فهرب كثيرون منهم الى بلاد الفرس وحالوا دون عقد الوفاق بين جوستينيانوس وملك الفرس ٠ ومن الغريب ان كتبة الصليبيين لم يذكروا شيئاً عنهم وربما كان ذلك لان مجد السمرة كان قد تقلص او لانهم ظنوهم شيعة من اليهود ٠ غير ان بنيامين توديلا Benyamin of Todila الكاتب اليهودي قال في القرن الثاني عشر انه كان يوجد منهم نحو الف شخص في نابلوس وبضعة في الشام وقيصرية وعسقلان اما كتبة الاسلام فلم يفرقوا بينهم وبين اليهود ٠ ثم قال بلدنسل Baldencel انهم يختلفون عن المسلمين والنصارى واليهود ويتميزون

بعماماتهم الحمراء . اما كوتيفيكوس Cotivicus في اواخر القرن السادس عشر فقال انهم شيعة يهودية وقد وصفهم موندرل Moundrel في اواخر القرن السابع عشر وذكرهم بعض كتبة القرن الثامن عشر. اما اليوم فيعرفهم رجال العلم والدين في كل اقطار المسكونة بالرغم عن قلة عددهم وبساطة حالهم . وبعدان احصل دي سانسي De Sancy على نسختين من اسفار توراتهم الخمسة في سنة ١٦١٦ واهداها الى مكتبة الاوراتوار Oratoire في باريس تنبهت خواطر رجال العلم لذلك فسعوا بالوصول على نسخ من تلك التوراة باللغتين العبرانية والسامرية حتى لم يعد وجود هذه الاسفار نادرًا في مكاتب اوربا

معتقدهم

ويعتقد السمرة باسفار موسى الخمسة من التوراة فقط . وعندهم نسخة منها قديمة جدًّا . ويحجُّون الى جرزيم في الاعياد الثلاثة العظمى عيد الفصح والاسابيع والعرش وهي الاعياد التي كان اليهود يحجون الى القدس فيها ويذبحون خروف الفصح على الجبل ايضًا كما اوصى موسى . ويعتقدون بجبل جرزيم انه هو الجبل المقدس وان كما يقوله اليهود في جبل الموريا فاسد فضلاً عن كونهم يقولون ان خيمة الاجتماع وتابوت العهد وكل الآنية المقدسة مدفونة بامر من الله في جبلهم المقدس . ويعتقدون بوجود الارواح الصالحة والشريرة ويظهر ان هذا الاعتقاد كان عموميًا في ايام المسيح فالطوائف التي لم يرقها العلم لم تزل تعتقده . وينتظرون مجيء المسيح بعد مرور ستة الاف سنة من الخليقة ولكنهم يقولون انه لا يكون اعظم من موسى ويؤمنون بالقيامة والدينونة ويتزوجون باكثر من واحدة اذا كانت الاولى عاقرًا . واذا توفي رجل عن امرأة فالاقرب اليه بعد اخيه يتزوج بامرأته

ويدعي السمرة انهم من سبط افرايم ابن يوسف وان كهنتهم من سبط لاوي وسلالة هارون ولا يبعد ان تكون سلالة كهنتهم لم تزل محفوظة من عهد منسى الذي كان من نسل هارون . غير ان التاريخ لا يعضد دعواهم بالتسلسل من افرايم وانما يمكن ان يقال انهم امتزجوا بالزواج بالافرايميين الذين تُركوا في البلاد بعد السبي لفقرهم وعجزهم

وليس لهم مؤلفات ادبية سوى ما يختص بالصلاة والترانيم والاناشيد وهم يلبسون الجبة والقفطان ويتعممون بالعمائم الحمراء

ثلاث غرائب اميركية

رآها سائح في احد شوارع نيويورك في عشرين دقيقة

لما كنا في مصر كنا نجمع باب (الاخبار العلمية) في الجامعة من مطالعتنا وقائع جلسات المجامع العلمية وتتبع مواد الجرائد والمجلات الغربية فلما اصبحت الجامعة في نيويورك اصبحنا نرى في الشوارع والاسواق تلك الاخبار العلمية والاكتشافات والاختراعات التي كنا نتعب في مطالعة فصول عديدة رغبةً في استخلاصها في عدة اسطر منها. ولا عجب في ذلك فانها الان تُكتب وتنشر وتعيش في قلب اعظم مدنيَّة في الكرة الارضية . ولذلك قلنا في المنشور الذي نشرناه في مصر ان تأثير هذا الانتقال على الجامعة سيكون عظيماً جداً

ونضرب لذلك مثلاً صغيرًا في نزهتنا ثاني يوم وصولنا الى نيويورك في شارع برودواي من نمرة ٣٩ حتى البوسطة العمومية وهي مسافة لا تتجاوز ٢٠ دقيقة. فقد رأينا في هذه المسافة القريبة ثلاثة امور مما كنا نتعب في استخراجه من بطون المجلات والجرائد . الاول (النقش بالكهربائية) ففي اول شارع برودواي الى يمين المارة بناء عظيم جديد ابوابه ونوافذه من الحجر الصلد وبجانب هذا البناء آلة لتوليد الكهرباء صوتها يملأ الفضاء وبجانب الآلة عملة في ايديهم انابيب تجري فيها الكهرباء وفي رؤوس الانابيب ازاميل يمس كل عامل باحدها الحجر المطلوب نقشه في الجدار فيغوص الازميل فيه ويفتت مكان النقش المطلوب وينقشه كانه شمع تتصرف به في يدك كما تشاء . وقد تأملنا النقوش التي تمت فاذا هي في غاية الاتقان والجمال لا ينقصها غير الصقل. وان العامل لينقش في يومه بهذه الآلة من هذا الحجر الصلد ما لا ينقشه عشرة عملة بدونها. ثم سرنا مدهوشين فابصرنا (امرًا آخر) مدهشاً. ابصرنا قطعة ارض صغيرة لا تتجاوز ١٨ قدماً طولاً و ١٨ عرضاً وهي في زاوية على الطريق العمومية . والامر الغريب في هذه القطعة التي لا يتجاوز طولها ١٨ قدماً انها بيعت بسبعمائة وخمسين الف ريال اميركي (٧٥٠ الفاً والريال الاميركي بقيمة الريال المصري) فاحسب كم يكون ثمن القدم الواحد. واذا كان اهل القاهرة يفاخرون بان ثمن الذراع من الارض قد بلغ في العتبة الخضراء في مصر ٩٠ جنيهاً (٤٥٠ ريالاً) فقارن بين الارضين وانظر رخص ارض مصر بالنسبة الى هذه الارض . وهذه القطعة الحقيرة

سيبنى فيها بناء صغير يشمل ١٢ طبقة نظير البناء القائم بجانبه و يؤجر مكاتب لتجار . ومنذ الان قبل ان يوضع فيه الاساس قد استأجر الطبقة الارضية منه (وستكون غرفة صغيرة كغرف باعة الدخان في مصر) معمل سيكار (١) بمبلغ ستين الف ريال اميركي في السنة . والمستأجر يعلم انه لا يربح من هذا الاستئجار ولكن غرضه من عرض بضاعته في هذا المخزن الصغير (اعلان اسم محله فقط) في شارع هو اهمّ واعظم شوارع نيو يورك

ومسألة الاعلان هذا تسوقنا الى (الغريبة الثالثة) فقد سرنا في هذا الشارع بضع خطوات وراء الارض التي تقدم ذكرها فابصرنا الناس يجتمعون و يتفرقون امام حانوت . ددنونا من المكان فابصرنا رجلاً في الخمسين من عمره وجهه الى الشارع وهو شاخص الى السماء شخوص تمثال لا يتحرك منه شيء حتى ولا عيناه وفي يده لوح من ورق وبين شفتيه (سيكار) يدخن وفي اللوح كتابة ملخصها (دخن مرة من سيكار فلان في محل كذا فترى الفرق) والغريب ان الناس كانوا يجتمعون على الرجل الشاخص الى السماء وينظرون الى حيث كان ينظر واذ لا يجدون شيئاً يتفرقون دون ان يضحكوا . اما نحن فلم نتمالك من الضحك

فلما يستريح البال من تراكم الاشتغال في مفتتح الاعمال نتفرغ الجامعة لدرس ونبش عجائب اميركا وغرائبها دون تعب منها لانها تجدها في طريقها



(١) هذه اول مرة نكتب بها هذا الاسم (سيكار) في الجامعة . فاننا حيثما ذهبنا في نيويورك الى السوق او المنازل او المخازن السورية والغير السورية لا نجد الا السيكار في الايدي والشفاه . والحق يقال ان منظر هذه اللفافة الهائلة لا يروقني كثيراً . وكثيراً ما شعرت بانقباض لمجرد مشاهدتها . ولعل السبب في ذلك انني لا ادخن (من سوء الحظ او من حسنه لا اعلم)

احدى روايات الجامعة

لم تُنشر قبل الان

ابن الشعب

تمهيد

اعظم جوق للتمثيل العربي في مصر جوق الشيخ سلامه حجازي كما هو مشهور. وسننشر في اجزاء تالية رأينا في التمثيل العربي في مصر واجواقها ورواياتها وما كان يدور بيننا وبين الشيخ سلامه حجازي وسائر مديري الاجواق العربية في مصر من البحث في حالة التمثيل والاجواق والجمهور المصري وكتاب الروايات . اما الان فنلخص لقراء الجامعة الرواية الجديدة التي اخذها منا الشيخ سلامه هذا العام ومثّلها قبل سفرنا من الاسكندرية في ملعبه في القاهرة وملعب زيزينيا في الاسكندرية . وقد اشترى الشيخ حق تمثيل هذه الرواية من صاحب الجامعة بسبعين جنيهاً انكليزياً وقال حين دفعه اليه : انه اغلى ثمن يدفع به رواية عربية من حين إنشاء الروايات باللغة العربية . فليت الشيخ سلامه ذكر اثمان الروايات الافرنجية حين ذكره اثمان الروايات العربية

اما موضوع الرواية فهو موضوع اجتماعي سياسي عائلي مقرون بحب طاهر كريم . لاننا لا نستحسن الروايات المبنية على الغرام والحب دون فائدة تُذكر للجمهور . بل اننا نفرّ منها كما فعلنا في جميع رواياتنا لمعرفتنا ان الكاتب الذي يستحق ان يسمى كاتباً عليه ان يتحاشى تسميم نفوس قرائه بالغرام الفاسد والحب البارد الذي تُبنى عليه اكثر الروايات . قال جول سيمون « انني اتاسف لما صار اليه كتاب الروايات من النفوذ والتأثير . وذلك انما يعتمدون على احتكاك العواطف والصراع الذي يصوّرونه بينها . والفضيلة لا يكون لها على الدوام هذه النتيجة البرّاقة » — وكم من بنات وشبان افسدت روايات الغرام والخلاعة اخلاقهم بعد الصلاح . والمحاكم في اوروبا واميركا تراًف بهم متى مثلوا لديها لجرم اقترفوه اعتقاداً على انهم ما دُفعوا الى الشر الا بتلك المطالعة الرديئة . فنرجو ان ينتبه الى هذا الامر امهات العائلات في اميركا لا من جهة الروايات العربية فقط بل من جهة الروايات الافرنجية ايضاً لاننا نرى هنا الاقبال عظيماً على هذه الروايات

١

كان للدكتور غراي طبيب بلدة درلنتن في انكلترا يطالع في غرفة المطالعة في بيته في الليل واذ قُرعت نافذة غرفته ودخل سائق ووراءه رجل متنكر وسيدة . وكانت السيدة على وشك الوضع فاخذ الدكتور يهتم لتوليدها . واذ خرج الدكتور ليدعو زوجته آنّا لتساعده على الاعتناء بالسيدة المتألمة قالت هذه السيدة لرفيقها : آه ما اشد ما اشعر به من الالم . ولكن لماذا لا ترفع الوجه المستعار الذي يستر وجهك يا روبنصن . فاجاب رفيقها . اخاف ان يكون احد من اهل المنزل قد رآني في لندن يوماً من الايام . فقالت وهل كنت ذا شهرة فيها . فقال نعم . . . ولكن دعينا من هذا الموضوع . فقالت السيدة : وابي ؟ فقال آه من ابيك . قالت لا تلمه لانه يحبني . . روبنصن روبنصن اذا وقعت عيني على ابي قبل ان اصير زوجتك متّ من الخجل والعار

وهنا عاد الدكتور بزوجته آنّا . فاصطحب الدكتور السيدة المتألمة الى غرفة عيادته لمعالجتها وبقي روبنصن مع آنّا فبعد كلام طويل اتفقا على ان يبقى لها الطفل الذي ستضعه السيدة وذلك لكي تربيه لها وفي مقابلة ذلك يبعث اليها في كل عام بمبلغ كافٍ من المال . فسالته آنّا وماذا نسميه . فسالها ما اسم هذه البلدة فاجابت « درلنتن » فقال اذا كان الطفل غلاماً فسميه ريشار او ابنة فسميه كارولين درلنتن

وانهما في هذا الحديث واذ عاد الدكتور مهرولاً وصارخاً : بشراك بشراك . فصاح الرجل ماذا ؟ فقال الدكتور : غلام غلام سمين . فصاح الرجل دعني ابكي . فقال الدكتور ليس الوقت وقت البكاء اذهب وقبّل امرأتك

ولم يكد يدخل روبنصن الى حيث كانت امرأته حتى قرع رجال الشرطة باب الدكتور وصاح صائح : افتح الباب باسم الملك والاّ كسرناه ودخلنا . فدهش الدكتور وقال : من انت ؟ فاجاب الصوت . نحن رجال الشرطة افتح يا حضرة الدكتور ولا توقع نفسك في شر عظيم . ففتح الدكتور الباب مضطرباً فدخل ضابط بوليس وجنديان ورجل عليه لوائح الكبرياء والاضطراب . ولما دخل هذا الرجل صاح : اين الدكتور غراي ؟ فاجاب الدكتور انا هو . فهجم عليه الرجل وصاح باعلى صوته : لا اطلبها الا منك لانها في بيتك

وكان هذا الرجل يدعى المركيز سيلفا وكان يحمل من الملك جورج الرابع امراً هذا

نصه « امر لحامل هذا الخط بالقاء القبض على المرأة التي يعيِّنها » فلما قرأ الدكتور هذا الامر ضحك وقال « الظاهر انك عظيم النفوذ والجاه حتى استطعت الحصول على امر كهذا الامر ضد سيدة في بلاد حرة كبلادنا »

واذ سأل ضابط البوليس الدكتور عن مكان السيدة اجابه الدكتور انها عنده . فصاح المركيز وهمَّ بالدخول اليها فوقف الدكتور في وجهه وصده عن الدخول . فصاح المركيز : ولكنها ابنتي واللئيم خدعها واختطفها . فقال الدكتور اذا كانت ابنتك فاسمح لك برؤيتها ولكن لا اسمح لك باخذها . فصاح المركيز : حذار ايها الرجل ولا تقل قولاً يدلُّ على عصيانك امر الملك ورجال الشريعة . فرفع الدكتور هنا راسه وقال : انا في هذه المسالة فوق الملك والشريعة . ولذلك اقول لك مرة اخرى انك لا تاخذها وان كنت اباها فقال المركيز وما السبب ؟ فقال الدكتور لانك اذا اخذتَ الفتاة الان كنتَ كمن يتعمد قتلها فاذا بقيتَ مصرًّا على عزمك طلبتُ من رجال الشريعة كطبيب ان يساعدوني لانقاذ حياة انا الان وحدي مسئول عنها لدى الله والناس . فقال المركيز اوضح كلامك فما فهمت شيئاً . فقال الطبيب : ان الفتاة التي تطلبونها قد وضعت غلاماً منذ بضع دقائق

فصاح المركيز بجنون : فلتكن ملعونةً اذا كنت صادقاً فيما قلته . ثم هجم على الباب للدخول وكانت السيدة قد سمعت صوته فصاحت من الداخل : ابتاه ابتاه ثم احتملت نفسها وخرجت من غرفتها منثورة الشعر صفراء اللون واهية العزم مرتجفة مضطربة كما تكون المراة بعد آلام الولادة . ولما وقع نظرها على ابيها انطرحت على قدميه صارخةً : ابتاه ابتاه . فصاحت بها آنا وكانت قد تبعتها مهرولة ماذا تفعلين الا تخافين الموت ؟ فاجابت ما احلى ان اموت تحت قدميه . فصاح بها ابوها بغضب وكبرياء : انهضي . فاجابت لا لا دعني يا ابتِ تحت قدميك دعني اقبلهما واسحقني بهما . فصاح ويلكِ يا شقية فقالت نعم انا الشقية انا اللئيمة المعقوقة افرغ كل غضبك عليَّ وحدي اما هو فلا ذنب له غير منعه اياي من اطلاعك على حبنا فقال كفى كفى هلمي واتبعيني فاجابت لا استطيع ذلك يا ابتِ فقال بضحكة صفراء : أَإِلى هذا الحد تخافين الموت فاجابت مشيرة الى روبنصن : كلا ولكني اخاف فراقه فقال ويل لكِ ما اتعسكِ أَإِلى هذا الحد تحبينه ؟ قالت نعم احبه حب روحي لجسدي فقال ولكن هذا الرجل حبه العار والشنار وجهنم النار تعالي . قالت آه وولدي فقال سيلقنا الدكتور يربيه فصاحت لا لا . . لا افارق ولدي ان الله يعطي الام ولداً لتحنو عليه وتربيه لا

لتهجره وترميه فدعني آخذ ولدي فقال هذا محال فصاحت الام : اذاً انا اصرخ وابكي انا استغيث بكل ذي شهامة ومروءة فيسمع كل ذي مروءة صراخي ويغيثني . ابي دعني آخذ ولدي ولا تحرمني فلذة كبدي فاني لم اهنأ بعد برؤيته وتقبيله بل لم امسسه بمديدي

فصاح سيلفا وقد اشار الى الرجال بحملها : ساعدوني ايها السادة فهجم روبنصن للدفاع عنها فصاحت تريد رده : حبيبي روبنصن ! فقال سيلفا بغضب تقولين حبيبك روبنصن ولكن انظري من هو حبيبك ثم انتزع من رأس روبنصن الوجه المستعار الذي يستر وجهه وقال : انظري حبيبك روبرصن هل عرفته ؟ قالت كلا . فقال : هذا جلاد مدينة لندن . فصاحت تلك المرأة المخدوعة صيحة عظيمة واغمي عليها

وقد دعوا الطفل الذي وُلد في هذا (الفصل التمهيدي) ريشار درلتن حسب وصية ابيه وهو بطل الرواية



ولما شبّ ريشار وبلغ السابعة والعشرين اصبح شاباً شديداً قوي العارضة في المعارضة فمال للسياسة واشتغل بها . وكان يظن نفسه ابن الدكتور غراي وقد رزق الدكتور ابنة دعاها (جاني) فكان ريشار يظن انها اخته . اما جاني فقد بلغت سن الرشد اخبروها انه لم يكن اخاها . ففي ذات يوم كان انتخاب في بلدة درلتن فحشر ريشار نفسه في جملة المرشحين للنيابة في مجلس النواب . فقال له الدكتور : اذكر انك لا تزال شاباً ياريشار . فاجاب ريشار : ان بيت صار وزيراً في الثانية والعشرين من عمره . ثم ذهب ريشار الى ساحة الانتخاب مع الدكتور وصديق له يدعى (ميراي) وبقيت آنا وابنتها جاني في البيت فلما خرج ريشار اخذت جاني تطيل النظر الى حيث خرج وقالت مبهوتة حزينة : ذهب لا سلام ولا كلام . وكانت امها قد لاح لها انها اصبحت تحبّ ريشار . فسألتها بماذا تفكر فبكت جاني . فقالت لها امها : امسكي دموعك يا بنية فان الله يعطي البشر الدموع ليذرفوها في المصائب الحقيقية لا في الآلام الصغيرة الوهمية . وكل انسان لا يذهب من هذا العالم قبل ان يذرف فيه ما اعطاه الله من الدموع . ثم خرجت آنا من غرفتها بعد ان القت على ابنتها النصائح التي على الام القاؤها في حال كهذه الحال . فبعد خروجها خلت جاني بنفسها واخذت تقول

احقاً ما تقول الان امي فيا حزني ويا طول اكتئابي

ايحسبني شقيق الروح اخنًا فيا ويلاه من هذا الحسابِ
قليلٌ منه حبٌ اخٍ لاختٍ وما هو غير ميلٍ وانجذابِ
لقد صدقت فليس يحنّ مثلي وليس به من التبريح ما بي
اذا اخذتْ يدي يده بجسمي لذلك في ارتعاش واضطرابِ
ويبدو عند ذلك ذا جمودٍ اروح له واغدو في ارتيابِ
ولست اراه ذا ولعٍ بشيءٍ سوى بسياسة او بانتخابٍ (١)

لكنها لم تتم كلامها هذا حتى فتح الباب بعنفٍ ودخل ريشار مضطربًا اصفر الوجه . وكان انه لما تقدم للانتخاب افشى خصمه ومزاحمه سرَّ نسبه فسقط حقه في الانتخاب . فلما ابصر ريشار جاني صاح . أكنتِ تعلمين اسمي ياجاني وكتمتِهِ عني . قولي لي ما اسمي لاذهب الى اولئك اللئام واخبرهم ان لي اسماً كاسمائهم وان لي فوق ذلك ما ليس لهم وهو عقل مفكّر وقلب متقد . قولي لي اسمي والاّ اصابني اليأس واضعت آمالي . ولكن لا لا . لا اضيع امالي . اذ كيف استطيع ان ارى ما في هذا الدماغ الملتهب خامداً . وما في هذا القلب المتحرك جامداً . خلقت لاقود امة . خلقت لاكون زعيم شعب يدوي صوته على منبر المجلس في انكلترا كلها . فويل لاولئك الذين قصوا جنحي بكلمة واحدة . غير ناظرين انه جنح نسر عظيم

وهنا قرع الباب وجاء رجل موفد الى ريشار من قِبل حزبه ليبلغه انه لم يخسر كل شيء كما ظن فانه اذا تزوّج بجاني صار ذا اسم وملك فيمكنه حينئذٍ النيابة عن اصحاب الاسماء والاملاك . وكان هذا القول في غياب جاني لانها خرجت حين دخول الرجل . فلما انصرف الرجل وعادت رأت ريشار مسرورًا . فقالت له اراك مسرورًا مع اني فارقتك مضطربًا حزينًا فضحك ريشار وقال لم ياتني بالسرور هذا الرجل ياجاني وانما وجدته في

(١) رغبةً في اعطاء هذه الرواية التمثيلية مزية خصوصية عهدنا بنظم شعرها الى ثلاثة من مجيدي النظم في مصر وهم حضرات احمد افندي محرم واحمد افندي الكاشف ومصطفى افندي صادق الرافعي وكلهم شعراء مشهود لهم بالشاعرية . وقد اختلطت انفاسهم في الرواية الاّ ان كل واقف على شعرهم يقدر ان ينسب الى الشاعر شعره من مجرد الوقوف عليه وسيرى القارئ في الابيات التالية شعرًا لا ارق ولا اصفى منه ونغتنم هذه الفرصة لشكر حضراتهم على تفضلهم بنظم هذه الابيات للرواية

نفسي . فقالت ما فهمت كلامك فقال ضاحكاً ايضاً انا لست ابن الدكتور عراي ياجاني . فقالت ضاحكة وهل يسرك ان لا تكون ابناً له ايها الابن العقوق فقال نعم يسرني ان لا اكون ابناً للدكتور غراي لانه يسرّني ان لا اكون اخا جاني

فاضطربت جاني وقالت ماذا تقول فقال اقول ويلٌ لي اذا لم تفهمي كلامي ياجاني . فاجابت بحدّ ورزانة مستر ريشار ما فهمت شيئاً وكانت هذه اول مرة دعته بها (مستر) فقال لها ما هذا الحدّ ياجاني فقالت وانت ما هذا الانقلاب يامستر ريشار فقال ريشار سببه السر الذي عرفته فقالت ولكنك كنت عارفاً بالسرّ حين دخولك الى هنا ومع ذلك كنتَ منقبضاً مضطرباً فقال ريشار . جاني اعطيني يدكِ فاخذ يدها وقال في نفسه (يدها ترتجف) ثم انشد (١)

لما عرفتُ السرَّ كان الردى	احبَّ لي من وقعهِ الفاجعِ
تخلتُ آماليَ قد ضُيّعت	وانتِ في مأمولي الضائعِ
حتى اراني القلب ان الهوى	باقٍ وحاني للفتى الجازعِ
اهواكِ ياجاني ولم يبقَ لي	غير هواكِ المالكِ الشائعِ

ولا يزال بها حتى تصرح له بانها تحبه . وفي هذا الحين دخل ابوها وصديقه ميراي ففرت جاني وبقي ريشار فسأله الدكتور لماذا تركت الانجاب وعدت بغتةً مع انك لم تخسر كل شيء . فاجاب لما علمت السرّ يا ابتِ عدتُ لاسال جاني ان تحسبني اخاها على الدوام حتى اذا رضيت بذلك سالتك ان تبقيني ابناً لك . فضحك الدكتور لانه فهم مراد ريشار . فارسل في طلب امرأته . ولما تشاورا في تزويج ريشار بجاني قالت له امرأته اني اخاف على جاني من اخلاق ريشار لانني اراه طامعاً في العلى . فاجاب وهل تخافين شهوة الطامع . فقالت بل اخافها على ابنتنا لا عليه لان هذه الشهوة قد تبلغ به الى قمة المجد . ان قلب الامّ لا يكذب يا البرت وقلبي يحدثني ان جاني لا تكون سعيدة مع ريشار . فانهما مختلفان خلقاً ومشرباً . ريشار شديد هائل كالصاعقة يصعق كل صعب يعترض إرادته

---

(١) وهذا اول نشيد ينشده الشيخ سلامه في هذه الرواية وان ملائكة السماء تنشد معه لما يقول في آخر بيت (اهواكِ ياجاني ولم يبقَ لي) ولم ينشد قط هذه الابيات مرة واحدة فانهم يستعيدونها مرتين او ثلاثاً واذا تمنع فانهم يصفقون ويجلبون ولو كسروا الكراسي والالواح حتى يعود الى الانشاد

شعب مثلها للعلى فلا يرضى غير السحاب مقعدا ، والفضاء الواسع مدىً • وجاني لطيفة هادئة متضعة كبنفسجة ترى رغدها في الاستتار بين الاعشاب لنشر شذاها دون ان ترفع راسها • والناس قلما ينظرون الى انطباق اخلاق الزوج على اخلاق الزوجة حين إرادة الزواج • فهل تريد ان نفعل كباقي الناس

ولكن الدكتور اقنع زوجته بتزويج جاني من ريشار لانهما متحابان (١) ورغبة في طمأنينتها قال لها ان صديقها (مبراي) يسهر عليها و يرعاها اذا توفاها الله اليه بعد زواجها • ثم نادى ريشار وقال له هذا القول الذي كانت تقشعر له جلود الناس في الموسم رجالاً وسيدات

— ريشار اسمع يا بني • اني امام هذا الصديق الحميم الذي هو وحده شاهد علينا • وامام الله الناظر الان من علاه الينا • اعطيك انا وامرأتي يد جاني بعد ان اعطتك هي قلبها فليكن لك عليها حقوق الزوج • ولتحل سلطتك محل سلطتنا عليها • ولكن انظر قبل ذلك الى هذه الدموع التي تترقرق في عيني امها واصغِ الى صوتي المرتجف من تأثري وانفعالي • ان ابًا واماً يضعان الان بين يديك اغلى ما لديهما في الوجود • ويمنحانك نفساً مركبة من نفسيهما • فاجعل هذه النفس سعيدة يا ريشار تحسن الينا كما احسنا اليك وعظامنا تدعو لك من تحت الثرى

فقال مبراي : ريشار ان الله يسمع الان هذا الكلام

فاجاب ريشار : وقلبي يسمعه ايضاً يا سيدي

فقالت آنا : جاني كوني زوجة صالحة

فاجابت جاني : ساقتدي بك يا اماه

وهنا ذكر ريشار الانتخاب فقال على حدة : اف لقد اضعنا الوقت في الكلام الفارغ • ثم قال اريد لوناً اتخذه شعارًا لحزبي • فدنا من جاني وحلَّ (شريطة) زرقاء كانت مزينة بها وقال : سيكون شعاري بهذا اللون

وشعاري اتخذته ازرق اللون لسرٍّ يدريه اهل الذكاء
انني ابتغي سموًا على الناس جميعاً فاخترتُ لون السماء

---

(١) هنا غرض من اغراض الرواية اي الزواج حباً دون اتفاق اخلاق الزوجين

٣

هذان فصلان من الرواية . والفصل الثالث ساحة انتخاب في بلدة درلنتن . وقد أتقن الشيخ سلامه هذا الفصل ترتيباً وملابس فكان بدعة جديدة وتحفة الملاعب العربية كما قال كل من شاهدوه . فلما صار ريشار بين حزبه في ساحة الانتخاب هتف له حزبه وكلهم يحملون شعاراً ازرق . اما مزاحمه في الانتخاب السر ستنسن فلون حزبه اصفر . فخطب ريشار في الجمع من شرفة الحانة خطبة دعا فيها الى انتخابه لتحصيل حقوق الشعب وكف يد نبلاء المملكة عن الاستبداد بشؤون الامة الانكليزية . وقد جاءت هذه الرواية في حينها فان وزير العمل والتجارة الانكليزية ألقى في هذا العام خطبة دوى صداها في جميع انحاء العالم اذ قال ان مجلس النبلاء (اللوردات) الانكليزي عثرة في سبيل الاصلاح في انكلترا لانه لا يقرر الا النظامات التي تنفع الطبقات العالية ويهمل كل ما فيه نفع الشعب . ولم يحمل وزير على مجلس اللوردات هذه الحملة الشديدة غير المستر غلادستون رجل انكلترا العظيم . ولا عجب فان المستر غلادستون كان نصير الشعب ولما راموا منحه لقب (لورد) أبى قبوله لانه يفضل عليه لقب (مستر) . ووزير التجارة والعمل الحالي انما كان عاملاً من العملة قبل دخوله في مجلس العموم وارتقائه الى دست الوزارة وقد قال ريشار في خطبته : اني انا (ابن الشعب) اخوكم وابنكم اتيت استنجدكم على اعدائكم . فان ساعدتموني رفعت شأنكم وحفظت حقوقكم . اني اطلب مساعدة الزرق لا الصفر . ايها الصفر تريدون الذهب فاذهبوا الى عائلة دربي (التي منها مزاحمه ستنسن) فانه لونهم وشعارهم . ويا ايها الزرق تريدون ردَّ حقكم المسلوب ومالكم المنهوب فامنحوني اصواتكم . انتخبوني نائباً عنكم اكن لكم سيفكم الذي به تضربون . وتكونوا لي درعي التي بها اتقي . ولا تنسوا ان يد الله مع الجماعة . وان صوت الشعب صوت الله

في اثناء هذه الخطبة هتف الزرق وصفقوا طرباً والصفر صفروا وعارضوا . فكان لذلك في (المرسح) منظر مضحك نبهقه له الجمهور مرات خصوصاً حين كان يشتبك الحزبان ضرباً ولطماً (بالبوكس) . ثم خطب السر ستنسن مزاحم ريشار فكان الزرق يصفرون له ويقطعون كلامه والصفر يصفقون له ويهتفون ورايات الحزبين تتموج في الهواء فوقها والبائعات يبعن للحزبين (شرائط) زرقاء وصفراء . ثم اعلن مأمور الانتخاب اقفال صندوقة الاوراق وعدَّها فاصابت الاكثرية المستر ريشار فاعلن انتخابه نائباً عن مقاطعة درلنتن .

فهجم حزبه وطرد الحزب الاصفر ثم جاءوا بكرسي كبير وقال احدهم لريشار

اصعد الى الكرسي انك بيننا اولى به يا اعظم الرؤساء

فاجاب ريشار بصوته الرخيم منشدًا

قد جاء يوم النصر فلنفرح بما نلناه من فوز على النبلاء
وانا عليهم بالمصائب قادمٌ ويلٌ لهم مني ومن نصرائي

ثم حملوه وداروا به وهو ما يسمونه حفلة الكرسي وكانت عادة في انكلترا بعد الانتخاب

ولما حضرنا تمثيل هذا الفصل لاول مرة كان في اللوج بجانبنا احد الاصدقاء فلما القى الشيخ سلامه خطبة ريشار على الجمع ورأى تلعثمه فيها لانه لم يحفظها جيدًا ثم سمع خطبة مناظره مستنسن وجودة حفظه لها قال لنا ضاحكًا ان الذي يسمعها ويراها يقول ان مستنسن هو الذي اقنع الشعب وأثر فيه لا ريشار فهو الذي يجب ان يُنتخب نائبًا . وقد ذكرنا هذا الامر هنا خاصة لحث صديقنا الشيخ سلامه على حفظ خطبته هذه لاننا سمعناها من بعد الليلة الاولى مرتين وفي المرتين كان يتلعثم فيها

٤

ولما اصبح ريشار نائبًا في مجلس العموم الانكليزي صارت له الكلمة العالية فيه . فاصبح مركز المعارضة للوزارة والسند الاول لحزب الشعب . فكانت الوزارة كلما رامت ان تقرر امرًا مهمًا عارضها فيه واقنع المجلس ببلاغته وحسن بيانه برفضه وارجاعها عنه . فاصبح ريشار مديرًا لسياسة انكلترا كلها فلما اعيت الوزراء الحيل في مقاومته رأوا مسالمته . قال المسيو ببل زعيم الاشتراكيين في المانيا في خطبة القاها منذ عامين في مؤتمر الاشتراكيين العام في امستردام : ان انكلترا لم تنمُ فيها المبادىء الاشتراكية نموًا يُذكر لان طبقة النبلاء فيها كلما رأوا نابغًا من الشعب قادرًا على التأثير عليهم وعلى سياستهم فانهم يستميلونه اليهم بكل الطرق حتى يجعلوه مسالمًا لهم ويزيلوا معارضته وهذا ما صوَّره المؤلف في هذه الرواية فان الوزراء اتفقوا مع صاحب بنك كبير يدعى المركيز سيلفا على ان يحابر ريشار في ترك معارضة الوزارة وفي مقابلة هذا الترك يمنحونه لقب لورد ويزوجونه من احدى بنات اللوردات ويهبونه اموالاً واملاكًا عظيمة ذلك لان ريشار كان يُظهر للناس انه عازب لا متزوّج وكان قد بعث بجاني زوجته الى بيت في البرية خارج لندن لتعيش فيه

وحدها لان نفقات العائلة كثيرة في لندن خصوصاً اذا كانت العائلة عائلة نائب في مجلس العموم وكان ريشار قد انفق كل ثروته لانه لم يتّجر بنفوذه وبلاغته وهنا النقطة المهمة في الرواية

وكان لريشار سكرتير يدعى طمسن وهو الرجل الذي جاءه في الفصل الثاني يغريه بالتزوج بجاني ليعود الى الانتخاب وكان رجل ريشار وصاحب سره فجاء المركيز سيلفا في اول الفصل الرابع يقترح عليه ان يُبلغ ريشار الاقتراحات التي ارسلها الوزراء لاقتراحها عليه فلما قصده في احد دهاليز مجلس العموم رآه واقفاً مع (مبراي) صديق الدكتور غراي والذي اقامه الدكتور حارساً لابنته جاني بعد وفاته ووفاة آنا زوجته وكان مبراي يسكن مع جاني في بيتها في البرية وقد جاء الان في رسالة منها الى ريشار فلما سمع احدى خطبه في مجلس العموم بشان معارضة الوزارة في عقد قرض عظيم قصده في احد دهاليز المجلس فلما رآه ريشار انزعج لحضوره فقال له مبراي : كان يجب عليّ ان انتظرك في منزلك لابلغك الرسالة التي جئت من اجلها ولكن رغبتي في استماع كلامك في مجلس العموم ساقتني الى هنا فلقد سمعت كلامك يا ريشار وقلت في نفسي ان الدكتور غراي رحمه الله لو رآك اليوم بهذه العظمة والسيادة في المجلس لهنأ نفسه بانه منح انكلترا رجلاً عظيماً مثلك

فاجاب ريشار بفتور اشكر لطفك يا سيدي

فقال مبراي : نعم يا ريشار انني باسم جميع محبيك اجهر بانك تجاوزت كل آمالهم بصفتك انكليزياً ولكنك خيبت كل آمالهم بصفتك زوجاً وابناً

وهنا ذكر له تألم جاني لفراقه وحزنها لمعيشتها وحدها في قرية حقيرة لا رفيق لها الا شيخ مثله يمزج دموعه بدموعها وقد مرّ عليها ثلاث سنوات دون ان تراه او يسمح لها بالقدوم الى لندن للمعيشة معه فيها

وفي هذا الحين دخل المركيز سيلفا ليقترح اقتراحات الوزارة على سكرتير ريشار فلما رآه مبراي صُعق وفرّ فراره من الاسد ذلك لان مبراي في الحقيقة هو (الجلاد) الذي تقدم ذكره في الفصل التمهيدي الاول والمركيز سليفا ورد ذكره هناك ايضاً فيكون الاول ابا ريشار والثاني جده

وبينما كان النبلاء والوزراء يتآمرون لاستمالة ريشار وتزويجه من احدى بناتهم ليصبح من حزبهم لانهم كانوا يحسبونه عازباً كانت جاني المسكينة نحيلة حزينة في منزلها في البرية تبكي وتنشد الابيات التالية

آه من طول وحدتي وانفرادي وشقائي المبرّح المتمادي
وابتعادي عن وجه زوجي حبيبي بل ظلومي الذي يحب ابتعادي
عشتُ من بعده ثلاثة اعوام طوالٍ عليَّ سودٍ شدادِ
لا رفيق ولا سمير يؤاسيني سوى الدمع والجوى والسهادِ
اشتكي لوعتي فلا يسمع الشكوى سوى ما يحيط بي من جمادِ
واعد الغيوم ملقية السمع الى كل خافق مرتاد
آه يا والدي خلفتماني لقرينٍ قاسٍ كثير العنادِ
كنتما تحسبانه صادق الوعدِ شريفًا برًّا رحيم الفؤادِ
لغرام عليك يا قلب ريشار جفاني الدي اضاع رشادي
اما لا اترك الوداد وان لا قيتني مثل ما تلاقي الاعادي

ومن هنا بدأت اهمية الرواية الحقيقية فاننا من جهة نرى صراعاً بين ريشار والوزراء وهم يطلبون استمالته اليهم بتزويجه من احدى بناتهم ومن جهة ان وجود جاني زوجته اصبح عثرة في سبيل مجد مستقبله فماذا يفعل أيقبل ام لا يقبل ؟ قال احد الفلاسفة : ان الرجل العظيم اذا لم يكن عادلاً مستقيماً كان وجوده آفة وويلاً على الجنس البشري وسنرى في الفصل التالي الهاوية الهائلة التي يجرّ ريشار نفسه اليها

(الخاتمة في الجزء التالي)



تذكار صدور الجزء الاول

في نيويورك

كاس افضل من كاس الجامعة

اراد احد اصدقاء المجلة جناب اسعد افندي رستم الشاعر الذي يعرف السوريون هنا شعره وادبه ان يحتفل بصدور الجزء الاول من الجامعة تفضلاً منه وكرماً فدعا الى مأدبة في منزله الجميل في جرزي ستي بضعة من اهل الفضل والادب وسيداتهم وكان عدد المدعوين ١٧ شخصاً وهذه اسماؤهم مرتبة بحسب ورقة الدعوة

الافندية والخواجات : نعمه تادرسْ ومدامته · يوسف بك معوشي ومدامته وحضرة شقيقته مدام رحيم · خليل فريجي ومدامته · سليم شحنه · الدكتور رزق حداد · عيد الخوري · رشيد سمعان · نجيب دياب صاحب مرآة الغرب · اسعد الملكي صاحب الدليل · امين الغريب صاحب المهاجر · الياس انطون · اسعد حاماتي محرر في مرآة الغرب · سعيد شقير صاحب كوكب اميركا · عيد ذيبه صاحب المنبر

وبعد ابيات هزلية جدّية القاها حضرة والد صاحب الدعوة أُلقيت على مائدة الطعام عدة خطب فتكلم كلٌّ من حضرات يوسف بك معوشي والدكتور رزق افندي حداد ونجيب افندي دياب واسعد افندي الملكي وامين افندي الغريب واسعد افندي الحاماتي وعيد افندي ذيبه بما يناسب المقام وحمّلوا الجامعة وصاحبها من ازهار فصاحتهم ما ناء به · وقد اشار جناب يوسف بك معوشي في خطبته الى حوادث نيويورك السورية وامل ان تكون « الجامعة » سقفاً لبناء الجرائد في اميركا ليكمل هذا البناء · فاجاب صاحب الجامعة في الختام بما خلاصته

« اعتذر اولاً عن انه كان السبب في تأخير العشاء الى الساعة العاشرة لان الخطب أُلقيت قبل الطعام · ثم بعد شكره الخطباء الادباء الذين البسوه من فضل فصاحتهم ثوباً اوسع منه اختار ان يخاطب حضرات المدعوين باللغة المصرية لان الخطباء السابقين وفوا اللغة الفصحى حقها · فقال انه لما عزم على القدوم الى نيويورك وجد وحشة في تركه مصر البلد الذي صرف فيه تسع سنوات وصار له فيه اصدقاء وخلان فضلاً عن ان مصر قطر شرقيٌّ والهيئة الاجتماعية فيها للشرقي في غاية الملائمة · ولكن لما وصل الى نيويورك ورأى

حال المهاجرين السوريين فيها زالت وحشته وانبسطت نفسه لانه وجد فيها في اسبوعين من الاصدقاء والخلان ما عرف تسع سنوات في مصر للحصول على مثله . وقد رأى المهاجرين في حال ارق بكثير مما يظن اخوانهم خارج اميركا واخذ على نفسه درس حالتهم الاجتماعية والمعاشية لنشرها اطلاعاً لاخوانهم في مصر والشام عليها . فان منازلهم الفاخرة هنا واثاثها الثمين لا تفضلها منازل اخوانهم في مصر الا فيما ندر . وظرف السيدات ولطفهنَّ وذوقهنَّ لا تقلُّ عن لطف سيدات مصر ولطفهنَّ . وهناك شيءٌ تمتاز به الجالية السورية في اميركا على جالية مصر وهو سريان النشاط الاميركي والحياة الاميركية فيهم فهم احياء متحمسون للحياة اكثر من اخوانهم في مصر وذلك ناشيءٌ عن تأثير الوسط فيهم

«ثم استطرد الى ما اشار اليه بعض الخطباء الافاضل من استعداد الجالية للاخذ بناصر الجامعة وتمهيد السبيل في وجهها فقال : اني اشكر من يهتمُّ بها ويأخذ بناصرها . لكنها اذا لم تجد من يأخذ بناصرها فذلك لا يمنعها من السير في طريقها لانها انما تعتمد قبل كل شيء على العمل والجدّ في بلاد كلُّ من جدَّ فيها وجد ولا يُخفي على تعبه فيها الذي اخنى على لبد . ثم قال مستطرداً الى ما اشار اليه جناب معوشي بك :

«لقد اشار حضرته الى انه من المأمول ان تكون الجامعة في اميركا سقفاً للجرائد العربية وداعية الى الالفة والوداد بين الطوائف المختلفة . والجامعة ستجتهد بما في امكانها لتحقيق هذا الامل . ولكن هناك شخص اكثر تأثيراً من الجامعة في هذا الشأن واقترح عليكم ايها السادة شرب كاسه — ان الجيل الشرقي الحاضر اي نحن كلنا معشر الشرقيين في اميركا لا تزال نفوسنا شرقية ومن الصعب تغييرها في مدة قريبة فاملنا الان يجب ان نضعه في اولادنا الذين ينشأون على مبادىء هذه البلاد ولذلك اشربوا معي ايها السادة كأس السيدات السوريات في اميركا اللواتي سيربينَ لنا جيلاً اميركياً يحق لسوريا الفخر به اذ في ايديهنَّ وحدهنَّ مستقبل امتنا في هذه البلاد

تذكارات مصر والشام

تنشر في هذا الباب اخبارًا ووقائع وتأملات مما يختص بمصر والشام وهو مكتوب خاصة للمهاجرين منها الذين تلذهم اخبارها

حديث لاحد اكابر المصريين

في الشهر الذي خرجنا فيه من مصر زرنا احد اكابر المصريين لشغل يختص ببيع مطبعة الجامعة في الاسكندرية قبل السفر ٠ وكانت الملة القبطية في مصر قد انتخبت مجلسها الملي لمراقبة شؤون الطائفة القبطية واوقافها وادارة ازمة الطائفة ٠ فدار الكلام عن هذه الخطوة الكبرى التي خطاها الاقباط في تقييد السلطة الاكليريكية العليا ومشاركتها في النظر في الشؤون العمومية ٠ فقال سعادته وكان الكلام بيننا وبينه لان المجلس لم يضم احدًا غيرنا

انهم سينجحون نجاحًا عظيمًا اذا سلكوا سبيل الرشاد لان في الرجال المنتخبين بضعة من اهل الحزم والعزم واصالة الرأي ٠ ثم قابل بين المسيحي السوري والسوري المسلم والمسلم المصري والمصري القبطي مقابلة نضرب صفحًا عنها وختم كلامه بقوله : اننا هنا في مصر نعتمد في كل امر على الحكومة ونطلب منها ان تعولنا كما يعول الوصي القاصر ولذلك لا يُنتظر منا خير ولا يرجى نهوضنا ٠ لقد مرَّ علينا حتى الان اكثر من عشرين سنة ونحن محكومون بشريعة حرة عادلة والابواب مفتوحة لجميع القوى والمواهب ٠ فاين الرجال الذين ظهروا عندنا ويستحقون ان يدعوا رجالاً ٠ اين الافراد النابغون الذين لا تنهض الامم الأ بهم ٠ نعتمد على الحكومة وفاتنا ان شأن الحكومة معنا شأن الوصيّ مع القاصر الغنيّ : لا هو يرضى ان يبلغ القاصر الرشد فيقلب لوصيه ظهر المجن ولا هو يرضى ان يموت فيحرم التمتع بالوصاية عليه

قلنا من الاسف ان يكون هذا التشبيه منطبقًا اتم انطباق على حكومة مصر نعني الحكومة الباطنية التي تدير شؤون الحكومة الظاهرية ٠ واذا رمنا تفسير هذا الكلام بلغة علمية قلنا ان حكومة مصر والامة المصرية تُساسان اليوم بذات المبداء الذي تُساس به انكلترا نفسها

وهو مبداء (الاستفراد) individualisme فالقوي يقوم ويزداد قوةً والضعيف يسقط ويزداد انحطاطاً وسقوطاً . وهذا ما جعل احد المستشارين الانكليز السابقين يقول في مقدمة كتاب نُشر في العام الماضي قولاً في غاية النزاهة والانصاف . وهو ان الامة المصرية الضعيفة اليوم يجب لترقيتها ترقية حقيقية ان تساس بحكومة (ابوية) يعني حكومة تعتني بالشعب الضعيف اعتناء الاب بابنائه وترفعهم اليها بدل تركهم في ضعفهم يخبطون خبط عشواء بلا مرشد ولا مساعد . فالحكومة الاستفرادية individualiste تصلح للشعوب القوية القادرة على احتمال سنة (تنازع البقاء) فيزداد افرادها الاقوياء قوة تكافيء الخسارة التي تعود على الامة من زيادة ضعف الضعفاء . ولكنها لا تصلح لسياسة الشعوب الضعيفة خصوصاً اذا كانت امتيازات وتأثيرات كالامتيازات الاجنبيـة والتأثيرات الفعالة تجعل القوة والسيادة في غير ايدي اهالي البلاد

الشيخ سلامه واسكندر فرح

اشار حضرة مراسلنا المصري في رسالته المنشورة في الجز السابق الى المناظرة التي بين جوقي الشيخ سلامه حجازي واسكندر افندي فرح في مصر ويظهر انه يميل الى الثاني دون الاول ولكن الميل لا يجدي نفعاً فان الشيخ سلامه يضع في جيبه اليوم نحو ٤٠٠ جنيه كل شهر (٢٠٠٠ ريال) ربحاً صافياً وجوق اسكندر افندي فرح لا يكاد يربح نفقاته . ولكن انظر كيف انعكست الحال . فانه لما كان الشيخ سلامه مع اسكندر افندي فرح كان يلوم اسكندر افندي لانه لا يجود بالمال لشراء الملابس التاريخية وارضاء الممثلين والمعربين او المؤلفين . وقد سمعتُ ذلك منه غير مرة فلما انفصل عن اسكندر فرح واصبح يربح ربح الوزراء نسي وجه المؤاخذة الذي كان يؤاخذ به شريكه القديم وصار يقتر على الممثلين والمعربين وان سخا على الملابس سخاء يُشكر عليه . ولكن مهما يكن من الامر فان الشيخ سلامه اقدر على ترقية هذا الفن في مصر اذا قُدِّر له وجود حقيقي وذلك لان اميال الجمهور منصرفة اليه . وقد سمعتُ كثيرين من خصومه يقولون انه عثرة في سبيل التمثيل في مصر ولكن الذين يقولون هذا القول لم يفعلوا نصف فعله حتى الان . ومن الثمرة تُعرف الشجرة . نعم ان جوق اسكندر افندي فرح بدأ يمثل روايات جديدة الواحدة تلو الاخرى ولكن اغلب تلك الروايات ركيك مشوّه مملوء بالاغلاط الا روايات الصديق الياس افندي فياض . على انه اذا قدّر لاسكندر افندي فرح ان يجتذب الجمهور الى ملعبه كما اجتذبه الشيخ سلامه فذلك لا يتم له بالروايات الجديدة ولا بجوقه الجديد مهما فعل . فاننا كلنا في الشرق لسنا في هذا

الفن الا جماعة اطفال·ومن يريد ترقية التمثيل حقيقة في مصر فعليه قبل كل شيء ان يرسل بضعة شبان الى مدرسة التمثيل في باريز (كونسرفاتوار) ليتلقى فيها اصول هذا الفن من جهة الالقاء والايماء ومن جهة البسيكولوجيا كما قلنا ذلك لنفس الشيخ سلامه · وانما الشيء المنتظر ان يجذب به اسكندر فرح الجمهور اليه ممثلة فتانة الصوت والوجه في جوقه تدعى الست ماري · فلقد شهدنا تمثيلها يوماً وكنا مع الشيخ سلامه نفسه في لوج في مرسح اسكندر فرح فرأينا عيني الشيخ تطيران من راسه تشوقاً لنقل هذه الابنة الى جوقه · ولكنه لا يقدر على ذلك لا لان الابنة لا ترضى بالانتقال كما يقول اسكندر افندي فرح فان الذهب غرار والشيخ يقدر ان يعطيها منه قبضة في كل شهر·ولكن السبب هو وجود الست ميليا في جوق الشيخ : ولا يجمع السيفان ويحك في غمد · فامل نجاح اسكندر افندي فرح محصور في هذه الممثلة او غيرها من الممثلات ذوات الوجه الجميل والصوت الرخيم ولكنه لا يريد ان يعطيها حقها من الشهرة لسببين الاول انه يخشى ان تعتز بنفسها وتطمع فيه كما يقول والثاني ان بعض ممثليه من الرجال يسوءهم ان تنصرف الافكار كلها الى ممثلة ولا يبقى لهم معها ذكر وهكذا يخنق اسكندر افندي فرح شهرة تلك الفتاة وهو لا يدري انه يخنق معها مصلحته

ليلة ابن الشعب

هي الرواية التي شرعنا في تلخيصها في هذا الجزء وهي من تلخيص صاحب الجامعة وقد مثلها الشيخ سلامه وجوقه في ملعب زيزينيا في الاسكندرية في هذا العام قبل سفرنا بمدة وجيزة وموضوع الرواية يهم المفكرين واهل الادب · لذلك كتبت جريدة اللواء مقالتين افتتاحيتين في الرواية وموضوعها ونشرت الاهرام ومصر والجهور ثلاثة فصول بشأنها وباقي الجرائد كالمؤيد والظاهر والوطن والشرق والبصير وغيرها ذكرتها ذكراً جميلاً وقد نشر البصير ليلة التمثيل في الاسكندرية ملخص اقوال جميع الجرائد فيها في نحو ثلاثة اعمدة

اما ملعب زيزينيا الذي مثلت الرواية فيه فهو افخر ملاعب مصر بعد الاوبرا الخديوية في العاصمة وقد مثلت فيه يوماً ساره برنار و كوكلين الممثل الفرنسوي المشهور ونوفللي الايطالي وكلهم شهدوا بانه معدود في جملة الملاعب الاوربية الجميلة ولما جاءت ليلة التمثيل لم يبقَ في المكان على سعته كرسي ولا لوج فارغاً وفي القاعة لم يبقَ موضع قدم لواقف خالياً فبلغ مجموع اثمان الاوراق التي بيعت ١٩٠ جنيهاً انكليزياً ولم يُبع في ليلة تمثيل عربي قبل تلك الليلة ولا بعدها اوراق بمثل هذه القيمة · وكانت الالواج غاصة باكابر العائلات وكرائم السيدات

تسطع على صدورهن المكشوفة (ديكولته) الحجارة الكريمة والحلى النفيسة والحلل الفاخرة التي كانت تنعكس عليها الانوار الكهربائية بشكل يأخذ بالالباب ويزيد السيدات الاسكندريات المشهورات بالظرف والجمال جمالاً على جمال. وكان في احد البنواربن الكبيرين الاولين اللذين على المرسح سعادتلو سابا باشا مدير مصلحة البوسطة المصرية وفي الآخر تجاهه حضرة امين افندي كرم وقرينته وبجانبه في اللوج الاول حضرات انجال المسيو جورج كرم وتلي هذه الالواج الواج اكابر المصريين والسوريين والاسرائيليين

ولما زرنا سعادة سابا باشا في لوجه لشكره على تفضله بحضور هذه الليلة قال لنا انني لا احضر الروايات عادة ولكنني لما قرأت في الجرائد ان الرواية من وضعكم طلبت لوجاً للحضور. ثم التفت الى الجمع المزدحم في الملعب وكانوا في طبقات الالواج الثلاث وفي اعلى التياترو وفي صحن القاعة كالبناء المرصوص لا تقع عينك فيه الا على رأس ويد فقال: ما هذا ما هذا؟ انني في حياتي كلها لم ارَ زحاماً كهذا الزحام. واذا كان الجمهور المصري ولعاً بمشاهدة الروايات الى هذا الحد فلماذا لا يهتمون بهذا الفن اهتماماً يحله المحل الذي له عند الاوروبيين والاميركيين. وكان المسيو طوبل التاجر المشهور في الاسكندرية مع سعادته في اللوج فبعد التعارف دار الكلام على هذا الموضوع فذكرت لسعادته ان هذا الشعب المائل لم يفد لمشاهدة الرواية فقط فان الجرائد نفعت الرواية نفعاً عظيماً باهتمامها بها ذاك الاهتمام. ولكن وفد على الاخص لاستماع نشيد الشيخ سلامه. وسيان عنده كانت الرواية من احط الروايات ومن اجلها وارقاها فانه يكفيه ان ينشد الشيخ سلامه فيهتز الجمع لنشيده اهتزاز الاغصان في الروض لنسمات الصباح. وبما الشيخ سلامه يرى تأثيره هذا فهو (ينام على اكاليله) كما يقول الفرنساويون اي يرضى بحالته ولا يسعى لاستخراج روايات جديدة يترقى بها هذا الفن

فقال سعادته اننا في حاجة قصوى الى روايات شرقية اهلية فلماذا لا تضعون روايات كهذه الروايات تصف حالة المجتمع الشرقي وتعلم الشعب تاريخه وتشخص له امراضه ودواءها. فضحكنا واجبنا: هذا المطلب يعيدنا الى ذات الموضوع الذي ذكرته لسعادتكم. وهو ان الشيخ سلامه لا يسخو على الروايات لانه يكتفي بصوته. ورواية اجتماعية شرقية يقتضي تاليفها من الوقت والتعب اضعاف التعريب والتلخيص عشر مرات. فهي لا تؤلف الا بعد البحث والدرس ٤ او ٦ اشهر على الاقل في حين ان تعريب رواية غربية لا يقتضي اكثر من ١٥ يوماً. واذا كنا نشتغل برواية نصف سنة ولا نقبض ثمنها الا ٧٠ جنيهاً فقد

اضعنا الوقت والتعب سدًى واشتغلنا بالباطل . وكدنا نذكر لسعادته ان الحكومة المصرية الكريمة مقصرة في حق التمثيل العربي لانها تجود بالوف الجنيهات اعانةً للاجواق الافرنجية ولا تجود بشيء للاجواق العربية ولكنا لم نرَ من الادب واصالة الرأْي انتقاد الحكومة على مسمع من احد اكابر موظفيها

وهذا يعيدنا الى ما ذكرناه في الفقرة الاولى عن « السياسة الاستفرادية » التي تساس بها مصر . فان الحكومة تقول اروني جوقًا عربيًا اهلاً لمساعدتي لاساعده . واما (السياسة الابوية) فانها تقضي بمساعدة هذا الجوق قبل وجوده بل ايجاده من العدم اذا كان غير موجود احياءً لفنٍ يستفيد منه الشعب لما يؤَثره فيه والكتَّاب والممثلون ومستخدمو الملاعب بما يربحونه من الاشتغال به

اما كيف مثَّل الجوق الرواية وطريقة تمثيل الشيخ سلامه دور ريشار والست ميليا دور جاني فنرجىء الكلام فيه الى فرصة اخرى نذكر فيها امورًا شتى عن تمثيل جميع الاجواق العربية في مصر ودعاويهم بعضهم على بعض مما يلذ القراء هنا ويفيدهم لاننا لبعدنا عنهم هنا نستطيع ان نقول لهم الحقيقة بتمامها دون ان يؤْلمنا عتابهم

مدرسة مختلطة

لا يزال في نفسي اثر مدرسة اسمها احب الاسماء اليَّ من جميع اسماء المدارس . واريد بها المدرسة التي ربيت فيها من السنة الثانية عشرة من عمري الى السنة السادسة عشرة . وهي مدرسة « كفتين » (١) التي كانت في دير في لبنان فوق طرابلس الشام بين الآكام والاودية واحراش الزيتون حيث يهدل اليمام ويهدر نهر ابي علي في واديه المقدس كأنه امٌّ يهمهم في اذني طفل لانامته

وليس هذا الاثر الانفعال الطبيعي الذي ينشأ في النفس من معيشتها في حضن الطبيعة على نور شمس محرقة لا نراها في نيويورك الا فيما ندر ووسط هواء نقيٍ لا اعرفه هنا الا اذا خرجت من غرفتي في بروكلن الى الاشجار والحدائق التي وراءها في جهة « كوني آيلن » كلا فان جمال كفتين الطبيعي وايام الدراسة والتلمذة وتاريخ كفتين نفسها كل ذلك ابقيت الكلام فيه الى حينه وسيكون فاتحة تاريخ حياتي متى كتبته . وانما الاثر الذي

---

(١) في زمان عزها وهو طورها الاول اما في طورها الثاني يوم اعادها سيادة مطران طرابلس فقد كانت مدرسة صغيرة

اشرت اليه اثر ادبي لم يبرح نفسي قط ولعله كان ذا تأثير على افكاري في كل حياتي

اريد بهذا الاثر صبغة المدرسة الدينية · فقد كان رئيسها بروتستنتياً ومديرها مارونياً واستاذ اللغة العربية فيها والبيان والفقه مسلماً وناظرها مارونياً · ومع انها كانت مدرسة ارثوذكسية للطائفة الارثوذكسية الطرابلسية فلم يكن فيها معلم ارثوذكسي غير واحد · ففي يوم الاحد كان التلامذة الارثوذكس ينزلون مع المعلم الارثوذكسي الى كنيسة المدرسة ويرافقهم الرئيس اليها ارهاباً لهم لكي يلزموا السكون فيها · وكان المعلمون المارونيون يصطحبون التلامذة المارونيين الى كنيسة مارونية في قرية قريبة من المدرسة اسمها (اميركا الجديدة) لان معظم سواد اهلها عادوا من اميركا وأنشأوها · اما التلامذة المسلمون فكانوا يصلّون مع شيخهم او على انفراد واحياناً كانوا يقصدون معه جامعاً في قرية قريبة ذهب اسمها عني · وفي ايام صوم رمضان كنا نرى حضرة الشيخ المحترم معهم على سطح المدرسة ينتظرون غروب الشمس للافطار امام مائدة كانت تعدّ خاصةً لهم · وكان الوداد والالفة على غاية ما يرام بين المذاهب المختلفة · ولا اتذكر انه قام بين الطلبة يوماً ما نزاع او شبه نزاع بشان معتقداتهم · نعم وقع تحزب وعداء بينهم في آخر سني المدرسة وانقسموا حزبين ولكن هذا التحزب كان بين اهل الجبل واهل الثغور وكان مع اهل الثغور بضعة من اهل الجبل يساعدونهم على بني وطنهم · وحسبك ذلك دليلاً على ان التحزب لم يكن تحزب اعمى بل تحزب عواطف واميال · وكان بطل الحزبين وناصر اهل الثغور على اهل الجبل المرحوم اديب بك شويح من قرية كفتين وهو جبلي

أَفلا يحتاج اليوم اخواننا السوريون في الولايات المتحدة الى مدرسة كهذه المدرسة ؟

وكانت كفتين في طورها هذا زاهرة نامية · فانه كان يعلّم فيها اللغة العربية والبيان والفقه حضرة الاستاذ الشيخ ابرهيم القتال الطرابلسي اشهر واعلم محامي سوريا في هذا العصر · وقد درّجنا في درس الفقه حتى حاشية ابن عابدين هذا غير البيان واللغة فكانت كفتين خير مدرسة في سوريا تعلّم اللغة العربية وآدابها · وانني لأحفظ له في نفسي مقاماً سامياً حتى انني لما قامت المناظرة بين الجامعة والمفتي بشان ابن رشد والمسائل الاسلامية التي وقع الكلام فيها كنت احسب لرأيه فيها حساب الف رأي وخشيت ان يسيء الظن تلميذه الذي يحبه ويحترمه فيصدّق فيه وشاية من الوشايات ولذلك بعثت اليه بالكتاب حين ظهوره ليتحقق بنفسه خطأ الاشاعات التي شاعت في بعض الانحاء عن تحامل صاحب الجامعة على المبادىء الاسلامية · اما الرياضيات فكان يدرّسها جناب جبر افندي

ضومط استاذ البيان اليوم في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت · وكان رئيس المدرسة جناب داود افندي عيسى يدرّس النبات والحيوان · وجناب انطون بك شحيبر المحامي في بيروت يدير المدرسة ويدرّس فيها الفرنسوية · وكانوا يدرّسون فيها ايضاً الانكليزية والتركية · ولله كم كنت اضحك من رفيق لي كان يدرس الانكليزية يومئذٍ ويعتني بها اكثر من اعتنائه بالفرنسوية · اما الان فهو يحق له ان يضحك مني لانني صرفت عمري في درس الفرنسوية وقرأت فيها ما لا يقرأه غيري في مائة سنة وها هي معي في اميركا الان قلما تفيدني شيئاً · واذا كان هذا قولي عن اللغة الفرنسوية وهي لغة عمومية تنفع الانسان في كل مكان فما القول بالاغة الروسية التي تدرّس اليوم في جميع المدارس السورية الارثوذكسية دون الانكليزية والفرنسوية · بودنا لو انتبهت الجمعية الكريمة التي تدير تلك المدارس الى هذا الامر وجعلت درس اللغة الانكليزية بعد العربية فيها · فان مستقبل السور يين هو في اميركا دون ريب وهم مصيبون بوفودهم الى هذه البلاد افواجاً افواجاً ليُخلقوا فيها خلقاً جديداً

هي

وعودتها الى الشرق

في تلك الليلة لم اتمشَّ وحدي · فانها كانت على كرسي امامي في مطعم فرنسوي كبير في (فولتن ستريت) حيث اتعشى في كل ليلة فزادت رؤيتها قابليتي للطعام · والعادة انني افرغ من العشاء الساعة التاسعة مساء مع ان اهل نيويورك يفرغون منه في الساعة السابعة ونصف · ففي هذه المرة فرغت من العشاء الساعة الثامنة لانني اكلت بسرعة ونشاط ثم اخذتها بين يديَّ وسرتُ بها نحو (البوط) اي الباخرة التي تعبر بنا من نيويورك الى بروكلن حيث انا مقيم · وقلت لها هلمي بنا يا عزيزتي الى غرفتي لاستريح فقد اتعبتني مشاغل ومشاكل النهار وما اكثر المشاغل والمشاكل في نيويورك ! وكانت الانوار بدأت تتقد حول البحر الفاصل بين المدن الثلاث نيويورك وجرزي ستي وبروكلن فقلت لها انني كتبت رواية اسمها « المدن الثلاث » قبل ان ارى هذه · فضحكتْ لانها تعرفها وقد قرأتها · فلما ركبنا الباخرة وسارت بنا تمخر اليمّ التفتُّ الى اليسار فاذا بي ارى جسر بروكلن العظيم الذي هو اعجب جسر في الدنيا كأنه ربع قوس من نار او نور للمصابيح المتقدة عليه والمركبات الكهربائية المنارة اسطع نور تسير عليه كدبيب النمل وهي تكاد لا ترى لبعدها وارتفاعها · والتفتُّ الى

اليمين فاذا بانوار مدينة جرزي تمتدُّ على خط يظهر مستقيماً الى ان يغيب في الافق . وامامنا بروكلن المصيف الربيعي الجميل . والبواخر العديدة تمخر عشرات عشرات بين المدن الثلاث مشحونة بالركاب والبضائع وتصفر صفيراً يتردد صداه في جوّ قاتم مشبع بالضباب والبخار ودخان المعامل حول البحر . وفي وسط هذا البحر بين ملايين الانوار الصفراء والحمراء والخضراء تمثال الحرية العظيم يحمل القبس في يده مشعلاً فيظهر قبسه كأنه نجم معلق في الفضاء . فالتفتُّ واياها الى هذا التمثال لانني كلما مررت به اتذكر مقدمة الجزء الاول فاذا بي ارى بجانبه احدى بواخر الاوقيانوس خارجة من المرفاء تقصد اوروبا . فقلت لعلها تقصد الهافر فرسيليا فالاسكندرية . . . والتفت حينئذٍ الى رفيقتي الحبيبة فرأيتها تنعم النظر في هذه الباخرة العائدة الى الشرق . ثم رأيت على خديها دمعتين . فضحكتُ وقلتُ لها ما بكِ اتبكين لذكرى الوطن . فابتسمتْ واجابت ليس ما ترى دموعاً بل هو رشاش البحر الذي صدم (البوط) الا ترى هياجه . ثم مسحت دموعها او رشاش ماء البحر كما قالت .

فضحكت لهذا العذر اللطيف ولا شيء الطف من اعذار السيدات وقلت لها : قولي الحق الا تحبين العودة الى الشرق . فعبست وقالت كيف تسألني هذا السؤال اني عائدة الى الشرق وان لم تعد معي . فاجبتها انك تقولين ذلك لانك تعلمين انني أذنت لك بالذهاب . فاذا لم آذن لك به فهل تعصين ارادتي . فضحكتْ بدلال وقالت انا اعلم انك وعدتَ بارسالي الى بلادنا فلماذا تجرّبني . ثم الا تهمك صحتي . فانني في عودتي الى الشرق سامرّ بفرنسا وانكلترا وايطاليا ومن هناك ازور الجزائر وتونس والهند واقطار آسيا ومراكش وايران وجنوبي افريقيا وبلاد العرب وروسيا حتى القوقاز . اما مصر والشام فانني سازور كل بلدة فيها ولا اترك قرية الا وادخلها . نعم سأتمتع هناك بالربيع الدائم والشمس المتقدة طول النهار والسماء الصافية والهواء النقي والازهار والاشجار في البرية . اما انت فستبقى مقيماً هنا تستنشق في عاصمة العواصم وام المدن الضباب والدخان والبخار . انك لأهل لاكثر من هذا لماذا تركت بلاد الربيع والنور والهواء الى بلاد الفحم والحديد .

فهنا اريتها السخط وقلتُ لها : انني من اجلكِ تركتُ كل شيء واراكِ الآن تشمتين بي . لقد انتظرتك سنوات ولم اشأ ان اخطب غيركِ وهذا الآن جزائي عندكِ . ولكن لا عجب فتلك شيمة اهل الدلال . اذهبي ياحبيبتي الى الشرق بارك الله لك في سكونه وخموله وموته . اذهبي الى بلاد تموت فيها المواهب وتُحلّ العزائم ويدوس الحسد كل عاطفة كريمة ويقتل الصديق صديقه بيده ويسود الجهل والجهال بما لديهم من المال على

اهل الفضل والعلم · اذهبي اما انا فقد طابت لي الاقامة في ارض الحركة والفوضاء والعمل والحرية

لا ريب ان القارىء علم انني لا اعني بهذه الرفيقة الجميلة غير (الجامعة) وكان ذلك الجزء الذي اصطحبته في تلك الليلة اول جزء خرج من الادارة الى نور السماء يوم صدور الجزء الاول من المجلة بعد احتجابها سنتين

باب الاخبار العلمية

اليشمك التركي في نيويورك نشرت احدى جرائد نيويورك رسماً لنقاب نصفي تستعمله اليوم السيدات المثريات في اميركا لركوب الاوتوموبيل · وهو يشبه اليشمك المصري تمام الشبه · فكأنّ اخواننا المصريين ينادون برفع الحجاب والاميركيون يعودون اليه · والصحيح ان الاميركيات لا يضعنَ هذا (اليشمك) الاَّ منعاً للغبار الثائر وراء الاوتوموبيل من الوصول الى وجوههنَّ الفضة الجميلة · ولكن من يدري انهنَّ لا يستظرفنه فيبقينه لوجوههنَّ في النزهات الطويلة والقصيرة حتى داخل المدينة · فانه من المشهور في مصر ان اليشمك يزيد جمال السيدة لانه يستر اعلى الوجه واسفله ولا يُظهر الا اجمل ما فيه اي العينين والوجنتين

شهادة ابي عائلة في اميركا قال لنا فرنسوي ابو عائلة في اميركا وقد لقيناه على الباخرة الفرنسوية في طريقنا من الهافر الى نيويورك انه يفضل ان يربي اولاده في اميركا على ان يربيهم في فرنسا لان تربيتهم الادبية تكون اصح واقوى · وهكذا فعل

شهادة كاتب مشهور للوطن الاميركي كتب المسيو بول ادام الكاتب الفرنسوي المشهور كتاباً في اميركا وشؤونها ومن جملة ما قاله في كتابه « ان الوطن الاميركي خير وطن في الدنيا » ثم بحث في ما ينسبه بعض الكتاب الى الاميركيات من الغلو في الحرية والافراط في استعمالها فقال ان هذا الغلو والافراط هو في طبقات معلومة ولكن هناك عائلات وجماعات محافظين كل المحافظة على التقاليد القديمة وهم في الحقيقة مديرو ازمة الآداب العمومية في الامة حتى ان ابنة رئيس الجمهورية نفسها لا تسلم احياناً من اعتراضاتهم

فالابنة الاميركية الحقيقية ليست كما اعتاد ان يصوّرها كتاب الروايات الاوروية بل هي ارقى واشد رزانة من ذلك

سبب شيب الشعر ومنعه يقول الاستاذ مشنيكوف الفرنسوي وكيل معمل باستور في باريز ان سبب شيب الشعر ميكروب يصعد الى الشعرة الواحدة ويأكل مادتها السوداء فيفرّغها وبذلك تصير بيضاء . وان الدواء لمنع داء الشيب قتل تلك الميكروبات بتعريضها لحرارة مقياسها ٦٠٠ درجة

اختراع اميركي جديد اخترع الاميركان آلة تمنع الوأْد اي دفن الانسان حيّاً مع ظهور اعراض الموت فيه . وذلك انهم يضعون هذه الآلة في القبر بعد دفن الميت فاذا تحرك نبهت الآلة الى حركته من داخل القبر . وقد جرّبوا هذه الآلة في احد مدافن نيويورك فانقذوا بها ستة اشخاص من ١٢٠٠ ميت جرّبت فيهم . على انهم في غراتز في النمسا يثقبون قلب الميت قبل دفنه خوفاً من بقاء بقية من الحياة فيه فتعذبه في القبر وهو عمل وحشي . ولكن هناك طريقة افضل من هذه الطريقة لمعرفة وقوف الدورة الدموية من عدمه وهي ان يُحقن الميت تحت الجلد بمحلول الفلوريسايين فاذا كانت الحركة الدموية لم تقف تماماً صار لون البشرة اصفر اصفراراً شديداً ومالت العينان الى الاخضرار

المؤتمر الاميركي في ريوجانيرو تحسب اوروبا اليوم الف حساب للمؤتمر الذي عزمت جمهوريات اميركا الشمالية والجنوبية على عقده في ريوجانيرو من اعمال البرازيل والذي من اجله طلب جناب الرئيس روزفلت تاجيل عقد مؤتمر السلم في لاهاي . وهم يخشون ان يؤدّي التعارف والاتفاق بين الجمهوريات الاميركية المتعددة الى تحالف فعلي لصد تيار اوروبا عن اميركا وتنفيذ شريعة مونرو بكل صرامة وتدقيق في الاقطار الاميركية . وسيجتمع هذا المؤتمر في اواخر تموز (يوليو)

استعمار الجزائر قال المسيو بول لوروى بوليو الاقتصادي الفرنسوي في (مجلة العالمين) انه ليس في الجزائر موضع لاكثر من مليون مستعمر اوروبي . وان عدد الاوروبيين المقيمين فيها الآن يبلغون ٦٣٠ الف نسمة نصفهم فرنسويو الاصل . وهو يقول انه لا يُخشى على الجزائر من زيادة عدد الاجانب فيها ولكن يجب سياستها بحكمة واعتدال لاجتناب كل ما يخشى منه . ثم تكلم عن تونس فقال انه يجب تعديل الضرائب فيها فان هناك ضريبة على كل وطني بالغ الرشد قدرها ٢٤ فرنكاً في السنة مع انه يجب جعلها درجات بحسب غنى السكان وفقرهم . ثم انتقد ضن الادارة الفرنسوية في تونس بالاذن

بالتجنس بالجنسية الفرنسوية فقال انها لم تمنح الجنسية الفرنسوية في تونس في سنة ١٩٠٥ الا لتسعة وخمسين شخصاً

اصل اللؤلؤ ميكروب يقول المسيو سوارت في مجلة العلم في القرن العشرين ان سبب تكوُّن اللؤلؤ ميكروب يفعل في انسجة الحيوان الذي يسكن الصدفة التي ينشا فيها اللؤلؤ . فاذا صحَّ هذا القول امكن اصطناع اللؤلؤ في المستقبل وذلك بتوليد هذا الميكروب وانمائه

رزق الاطباء قال المسيو روسل في مجلة الاقتصاديين ان في فرنسا ١٣ الف طبيب منهم ٢٥٠٠ في باريز . ومن هولاء الاطباء اثنان او ثلاثة يربح الواحد منهم ٢٠٠ او ٣٠٠ الف فرنك وعشرة يربح الواحد منهم ١٠٠ او ١٥٠ الفاً و٨٠٠ يربح الواحد منهم من ٨ الى ١٥ الفاً و ١٢٠٠ منهم يربح الواحد منهم دون ٨ الاف فرنك . ومن بين عشرة الاف طبيب في الاقاليم خمسة الاف يستطيعون ربح نفقاتهم واما الباقون فلا يقدرون ان يربحوا نفقاتهم فيحترفوا حرفاً اخرى مع الطبابة اخصها السياسة . فقد كان في مجلس النواب الفرنسوي السابق ٨٠ طبيباً

هل التجارة نزاع بين البائع والشاري قال المسيو نوفيكوف في مجلة الاقتصاديين انه من الخطاء اعتبار التجارة نزاعاً شديداً بين البائع والمشتري . وهذا الخطاء سببه اعتقادهم ان المساومة في التجارة لا بدَّ منها لكي يمتص البائع كل ما يمكنه امتصاصه من المشتري . ولكن التجربة والمشاهدة تُبطل هذا الزعم . فان مخزن اللوفر في باريز يبيع كل يوم بضائع بقيمة ثلاثة مليون فرنك باثمان محدودة . ولو عمد الى المساومة لزيادة ربحه لما استطاع ان يبيع باكثر من مليون ونصف في اليوم . فهنا اذاً تضامن تجاري بين البائع والشاري . وكذلك بين الامم فلا يجب ان يعتبر بعضها بعضاً خصوماً واعداء عند ارادة عقد المعاهدات التجارية

المدارس الفرنسوية في الشرق اقترح المسيو هنري هوزر في المجلة السياسية والتشريعية ان تكون المدارس الفرنسوية في الشرق مختلفة الصبغة . فهو يطلب ان تكون كاثوليكية للكاثوليك واسرائيلية للاسرائيليين ومدنية محضة للارثوذكس والمسلمين والارمن اي لا دخل للدين فيها . والغرض من هذا الطلب التخلص من اعتراض الذين يعترضون على الاشتراكيين حين طلبهم جعل جميع المدارس الفرنسوية في الشرق مدنية محضة بان كاثوليك الشرق يفضلون المدارس الدينية على غيرها . ولكن لو سئل كاثوليك

الشرق هل هذا الزعم صحيح فانهم يجيبون ولا شك بانهم قادرون ان يعلموا اولادهم اصول الدين بانفسهم وانما يطلبون مع باقي مواطنيهم مدارس عملية يتعلم فيها اولادهم علماً منطبقاً على حاجات الامة كصناعة وزراعة وتجارة بدل المدارس الادبية واللغوية التي لا فائدة منها غير اكثار عدد (فاقدي الطبقة) déclassés في سوريا والشرق كله الذين قال فيهم جبريل شارم انهم سيكونون عامل الثورة فيه كما هم اليوم في روسيا

دعوة المهاجرين الى كندا تدعو مجلة ميلانس كل من يروم المهاجرة من بلاده ان يقصد كولومبيا الانكليزية احدى ولايات كندا حيث الناس مفتقرون الى الايدي العاملة اشدّ افتقار للزراعة والخدمة المنزلية . ولذلك كانت الاجور فيها كبيرة مع كونهم يستخدمون لذلك الصينيين واليابانيين

الخبز الابيض يسبب فقر الدم قال المستر فرنسيس فوس الاميركي ان الخبز الشديد البياض لا يكتسب بياضه هذا الاَّ بطرق صناعية فعلى الذين يرغبون فيه دون الخبز الاسمر ان يعلموا انه يسبب فقر الدم

يرفض العفو ويريد ان يُقتل حكمت احدى محاكم باريز على رجل يدعى بول ادام بالاعدام . والعادة ان الحكم بالاعدام في فرنسا يُستبدل بالاشغال الشاقة وذلك لسببين الاول لان للاعدام خصوماً عديدين بين الفلاسفة ورجال السياسة والثاني وهو الأهم ان الشريعة الفرنسوية تقضي بان يكون الاعدام علنياً . ولما كان (الكليوتين) آلة الاعدام المشهورة قد رُفعت منذ عدة سنوات من ساحة روكت المشهورة بها فلما راموا نصبها في ساحة اخرى مانعت كل احياء باريز في قبول نصبها عندها . ولذلك جرت العادة باستبدال الحكم بالاعدام بالحكم بالاشغال الشاقة تخلصاً من مشكلة نصب الكليوتين . لكن صاحبنا بول ادام المحكوم عليه اليوم بالاعدام ابى التوقيع على طلب العفو والاستبدال حين قدمه اليه محاميه . وقد قال له لا اريد عفوهم فقد حكم عليَّ بالاعدام فاطلب ان يعدموني لان باريز لم ترَ اعداماً منذ عشر سنوات . وهو مصرٌّ على هذا الطلب اشد اصرار . وسيكون طلبه هذا باعثاً على التعجيل في تقرير احد اقتراحين معروضين الآن على مجلس النواب الاول الاذن بالاعدام في السجن كما صاروا يفعلون في مصر في السنوات الاخيرة والثاني الغاء عقاب الاعدام قطعياً . وقد سبقت روسيا فرنسا في هذا السبيل فاننا نكتب هذه السطور ومجلس الدوما ومجلس الاعيان الروسي يبحثان في الغاء الاعدام . وهو اقتراح حق لانه لا اقبح من قتل الانسان للانسان في اي سبب كان فانه ليس يجوز ان يأخذ الحياة الا الذي اعطاها

باب تدبير الصحة والمنزل

الوصايا العشر في المطبخ

على ربة البيت ان تراعي نظام المطبخ سواء كانت هي التي تشتغل فيه او الخادمات . فتلاحظ ساعة اعداد الطعام للمائدة ان لا يخل بترتيب المطبخ بل تنتبه الى اعادة كل شيء الى محله حال الفروغ من استعماله وبذلك يقتصد الوقت الطويل الذي يجب ان يصرف بترتيبه ثانية . وهنالك بعض وصايا للمطبخ يجب حفظها

١ لا تصبي الماء السخن في صحون الصيني لانها تتقلص حالاً وتتشقق

٢ لا تستعملي السكاكين لتنظيف الطاولة فذلك يعطلها

٣ لا تنظفي نقط الدهن بالماء والصابون بل بليها اولاً بمحلول الصودا ثم ارفعيها من المحلول بقطعة من الخشب ولا تمسكيها بيدكِ لان المحلول كاوٍ ثم اغسليها بماء الصابون

٤ لا تجففي اباريق القصدير على النار فيرتخي اللحام فترشح . ولا تقربي الاواني القصديرية الى الماء الذي فيه ولو قليل من الدهن فيذهب لمعانها

٥ لا تملحي الخيار او الباذنجان قبل الطبخ لان ذلك يجعله عسر الهضم

٦ لا تضعي خلاً في صحون معدنية فانه يحل شيئاً منها ومحلوله يؤذي

٧ لا تذوقي الطعام بملعقة ثم ترجعيها للقدر (الحلة) فان ذلك مضرٌ هذا عدا انه مما تشمئز منه النفس . وكذلك يستنكر تحريك الصلاتة باليد فان الخادمات يفعلنَ ذلك في غياب سيداتهنَّ ويتظاهرنَ بعكسه

٨ انتبهي ان لا تغسلي فوط السفرة والمناشف الملطخة ببقع الاثمار في ماء سخن وصابون فان ذلك مما يزيد البقع رسوخاً

٩ لا يجب ان تملحي اللحم قبل الطبخ بل اضيفي اليه الملح اثناء الطبخ او بعده ولا تغلي اللحم دفعة واحدة بل دعيه يغلي ٥ دقائق اولاً ثم اتركيه يغلي على نار بحرارة ١٦٠ فارنهيت

١٠ استعملي المكيال للطبخ فان الطبخ عمل كيماوي يجب ان تكون مواده متناسبة ليكون صالحاً ولذيذاً « مجلة السيدات »

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

رواية غريبة لمسز كلارنس ماكي

احدى كبيرات سيدات نيويورك

كاتبة وصاحبة ملايين

﴿ السيدة ﴾ هي مسز كلارنس ماكي صاحب الملايين المشهور وابن المستر جون ماكي المشهور بمد الاسلاك البرقية الترنستلانتيكية عمرها ٣٤ سنة وهي في منتهى الظرف والجمال تسكن قصرها الجميل في لون آيلن على مسافة ساعة من نيويورك وهو من اعظم واشهر قصور نيويورك اهداه اليها حموها المستر جون ماكي بطريقة غريبة . فانه لما كان يبني هذا القصر كان يسأل خطيبة ابنه المس كلارنس ان ترشده بسلامة ذوقها الى بنائه فكانت الفتاة تذكر له كل ما تحب ان يكون في القصر من غرف وقاعات ملوكية واثاث لا مثيل له وحرش يحيط به فبنى المستر ماكي القصر كما رسمت له ولما تم اخبرها انه بناه بحسب ذوقها ليجعله هدية اليها . ولها الآن بجمالها الفتان ومركزها العظيم وثروتها الطائلة وذكائها النادر المثال مقام من اعظم مقامات سيدات نيويورك

﴿ روايتها ﴾ ان هذه السيدة التي تلعب بالملايين لعباً لا سعادة لها ولا هناء الا في صناعة الكتابة . قالت يوماً لأحد زائريها من الاوروبيين وهي تريه كوخاً صغيراً في اطراف الحرش المحيط بقصرها : انني لا اشعر بانني سعيدة هنيئة البال الا حين اجلس في هذا الكوخ للكتابة

وماذا عسى ان تكتب هذه السيدة الكبيرة التي اذا شاءت جعلت لها ثروتها كلَّ شيء طوع ارادتها . وما هي المبادىء والافكار التي تختلج في نفسها فتفضلها على ثروتها ولا تجد سعادة بدونها

آخر كتاباتها رواية غريبة راينا تلخيصها هنا لما فيها من الافكار الغريبة الجديدة .

وقد مُثلت هذه الرواية في العام الماضي في قصر مستر جورج كولد الغني المشهور

الرواية بين تيوفيل وجبريلة · وكان تيوفيل من العلماء وقد اظهر ارتيابه في سر التثليث فاضطهدته الكنيسة · وكان يحب جبريلة حباً شديداً وجبريلة مشغوفة به اشد شغف وكان يستمد منها قوته في مقاومة الاضطهاد فقال لها يوماً : لقد عرفتك منذ سنة وذلك حين دُعيتُ لاكون معلماً لكِ · وكنت قبل ذلك اسير في الارض منفرداً وحدي بقلب بارد ودم فاتر فامرّ بازهار الحدائق فاستملحها ولكني كنت امسها بيدي مساً واذهب دون ان يلذ لي ان اقطف شيئاً منها (١) · ثم رايتكِ فرايت انكِ وردة باهرة بين تلك الازهار · واول ما عرفتك شغفتُ بقلبك المتقد الذي فتن قلبي · وجعلني حبك ارتمد ارتماداً · ومنذ ذلك الحين لم يبقَ في نفسي سوى امرين ولم يبقَ لي اهتمام الا بتحقيقهما وهما حبك وحب عملي · وساحبك الى الابد لانني بحاجة الى ان تكوني الى جانبي على الدوام · فارضي بالاقتران بي ايتها العزيزة · ارضي بان تكوني ملكي وامرأتي امام جميع الناس · اقترني بي من اجلك ومن اجل طفلك الآتي · وذلك لكي تكفي نفسك غداً مرارة الالم حين ترين عينين صغيرتين مثل عينيَّ تنظران اليك وتسألانك (اين ابي)

فتجيبه جبريلة : اما سمعت ما قاله القديس جيروم في الزواج · فانه قال « انه ينبغي للرجل الحكيم ان لا يتزوج مطلقاً لان الزوجة والفلسفة حمل ثقيل على الاكتاف البشرية » فهل تظنّ الاتفاق ممكناً بين المغزل والكتاب · هل يمكن ان يجتمع سرير الطفل ومائدة الشغل · هل في العالم انسان قادر على ان يجمع قواه العقلية ويحصرها في موضوع واحد بينما يسمع الى جانبه صراخ طفل في سرير وصوت امّ تنشد له لينام · كلا فان علمك وفلسفتك ينهدمان حينئذٍ وحبنا يسقط بجانب جثتها المائتة · اننا بعد الزواج لا نستطيع ان نحلم كما نحلم الان في عوالم مجهولة · وحبنا المطلق الان لا يمكن ان يعيش طويلاً بين ليالٍ وايام تمرُّ على وتيرة واحدة وسط مشاغل الحياة اليومية الحقيرة

فقال تيوفيل : اقترني بي من اجلنا ومن اجل طفلنا

فاجابت جبريلة : من اجل تقدم العلم ورغبة في بقاء الحب بيننا لا اقترن بك · انني اشد حباً لك من حبي لنفسي · ولا شيء يفصلني عنك ولكني اخشى ان الحب يستغرق قواك ويضعف نشاطك · فلا تضع حاجزاً بين نفسي ودماغك الذي يستمد منها وحيه · انني اذا اقترنت بك اصبحت كل يوم بجانبك لحماً ودماً فلا تعود تراني كما تراني الان

(١) المعاني بين السطور كثيرة في هذه الرواية

الاهة تسكن في مخيلتك كما في اثير السماء

ولكنها قبل ان تضع طفلها اقنعها تيوفيل بان تذهب الى قصره لوضعه فيه وللميشة معه . فقالت له : انني اذهب ولكن اذهب كحبيبتك لا كزوجتك . اذهبُ كزهرة انت تحب حبسها في قلبك لتكون مالكك . انني امكث معك ما دمت محتاجاً اليّ . ولكني متى رأيت انك صرت تعدّ الساعات بجانبي وتضجر من طولها فانك لا تعود تراني بجانبك

فسارت جبريله مع تيوفيل الى قصره فمكث معها عشرين يوماً . و بعد ان وضعت سار الى باريز للاهتمام بمشاغله العلمية والفلسفية . فاقامت جبريله مع طفلها تنتظر عودته عدة اشهر . ثم عاد اليها فمادا الى الكلام في الحب وطبائعه فوجدت جبريله ان في تيوفيل شيئاً قد تغير فقالت له

ـ ارى شيئاً قد تغير فيك واشاهد خطاً يجعد جبهتك فهل اضعت الحب ووجدت الفلسفة . فاجاب : لم أُضع شيئاً . فقالت : هل وجدت السعادة . فاجاب : لا توجد السعادة الحقيقية الا في الملاذ العقلية

ذلك ان تيوفيل اصبح بين قومه اول داعٍ الى مبادىء العقل والحب العذري (بلاتونيك)

و بينما هما يتباحثان واذ قدم ابو جبريله وكان قد اعياه التفتيش عنها فلما علم بامرها غضب غضباً شديداً ورام الانتقام لشرفه فقالت له جبريله بهدوء وكبرياء : احببته فاعطيته كل ما لدي . في الحب لا ذنب ولا جرم . هو لم يأخذ شيئاً ولكنني انا اعطيته . فانت تستطيع محاكمته بل قتله ولكن حبي له يبقى اقوى من بغضك له

ولكن اباها يرجو منها ان ترضى بالاقتران به اجتناباً للعار فترضى على شرط ان لا يدري بذلك احد غيرها

وفي الفصل الثالث وهو الاخير يُقضى على حب تيوفيل لان العقل والعلم اماتا هذا الحب اذ لم يبقَ في نفسه موضع لغيرها . فجاءته جبريله وكان طفلها قد توفي لانه لم يعش الا بضعة اشهر وكانت قد تغيرت هي ايضاً . فان كل ما كان يوقد نار الحب فيها زال وتلاشى فاخذت تقول : ترى هل تعود مع الربيع ايامنا الاوَل ؟ ايمكننا ان نقلب صفحة اخرى من صفحات الحياة العظمى ؟ فقال لها تيوفيل انها اذا كانت تحبه فعليها ان تدخل معه الى دير قريب منها وهناك يعيشان معاً معيشة طاهرة اساسها الحب العذري الطاهر . وكانت جبريلة لا تزال تعتقد ان الحب والشباب قادران في كل حين على التمكن من الحياة والاستيلاء

عليها · · · فعضلت سناء الطبيعة وصوت الانسانية العظيم على سلام الدير وسكونه · فاتجهت الى الباب وخرجت منه وهي تقول : اني اؤمن بالطبيعة والخالق العظيم الذي خلقها · اؤمن بالحقيقة التي تدلنا على طريقنا في هذه الارض · اؤمن بالموت الذي يدل العقل على اسرار اللانهاية · وداعاً ايها الماضي · انني ارى الشمس تسطع في طريقي فاسير في نورها وحدي مصغية الى نشيد الطبيعة العظيم الذي يدوي في اذني · الوداع يا تيوفيل · انني امشي منذ الان وحدي في طريق الحياة العظمى واسمع باذني حفيف اجنحة الحقيقة القوية وسط رياح الحرية الابدية » — ومعنى كل هذا بالكلام البسيط الخالي من إبهام الفصاحة : حبٌّ مطلق حياة مطلقة الحب حياة المرأة كلها

هذه خاتمة رواية مسز كلارس ماكي · وغريب ان تصدر هذه الافكار المطلقة من كل قيد تقريباً عن وسط كثيراً ما فاخر الناس بانه من انصار المحافظة على المبادىء الازلية العائلية القديمة

رَسَائِلٌ وَمَسَائِل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلق علينا معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

مسألة عائلية اجتماعية

اجوبة الاقتراح

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق اصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما

اقترحنا هذا الاقتراح على الادباء في الجزء السابق فوردتنا خمسة اجوبة ننشرها هنا بحسب ترتيب ورودها

١

عندي انه لا يمكن وقوع ما يُخشى منه اذا كانت الصداقة وحدها اساس حسن المعاملة المتبادلة وحيث لا محبب بهائيك الصداقة سوى خلال جميلة (حافظ)

٢

من كل نساء الذين اعرفهم لا يوجد واحدة لا يُخشى عليها من محبة الرجل ولكن سمعت بعض الناس يقولون انه يوجد نساء لا يخشى عليهم من محبة الرجال ولكن انا لست على معتقدهم واريد من زوجتي ان لا تصاحب احداً غيري (خليل حنا سمعان)

٣

المقصود بالامرأة من كانت ذات بعل ولها ابوان واخوة يسكنون في دار واحدة او متفرقين. فقد اتفقت الآراء على ان للدين تأثيراً عظيماً في الهيئة الاجتماعية فان كان لهذه العائلة دين قويم واعتقاد حقيقي بالله فبلا شك تكون عواطفهم سليمة ويمكن للمرأة (وان كانت ضعيفة الارادة) ان تتخذ لها منهم صديقاً يعاملها معاملة الصديق (او هم يتخذونها لهم صديقة) واما غير ذلك فلا يمكن (ديب نعوم ليون)

٤

ارى الانثى تكدّر بعلها اذ	تريد لغيره معها علاقهْ
وان هي صاحبت يوماً احبت	عليه وربما طلبت طلاقهْ
فللأنثى فؤادٌ مثل طيرٍ	يفرّ اذا رأى للفرّ طاقهْ !
وان تكن العلاقة عن ولاءٍ	نقيٍّ = لا تمدّ من اللياقهْ
تزيد ولاً لصاحبها الى ان	يصير لها به (جملٌ وناقهْ)
فتهديه سلاماً من بعيدٍ	وبهديها من الازهار باقهْ
وان لم يربط القلبين حبٌ	فما المعنى اذن من ذي (المرافقهْ) ؟
فانّ صداقةً لا حبٌ فيها	من(الجهتين) لا تدعى صداقهْ

(اسعد رستم)

٥

اذا كان المقصود من (الحب) ما تفهمه الطبقة السفلى من الناس فدواء هذا الداء ان لا تقبل العائلات في منازلها من يُعرَف انه لا يحترم اعراض السيدات . وطريقة معرفة ذلك امر سهل لما يُسمع عنهم في اماكن اللهو والسرور . لانه ليس من اصالة الرأي ان يُحرم الادباء والمهذَّبون الذين يعاملون بنات الغير وسيداتهم كما يعاملون بناتهم هم وسيداتهم من الالفة العائلية الطاهرة التي تكون بين العائلات متى كان رائدها التهذيب . هذا فضلاً عن ان البنات في هذا الزمان لا يجدنَ حطّابًا وازواجًا الاَّ بعد المعاشرة والاختبار . واما اذا كان المقصود من الحب ما يفهمه الشعراء واهل الاحساس الدقيق اي تعلق نفس بنفس تعلقًا اكراهيًا لا ارادة للانسان فيه فالرجل العاقل والمرأة العاقلة متى شاهدا انهما على شفا هذه الهاوية فطبيعتها الكريمة وآدابهما السليمة توقفها عن السقوط فيها . وذلك اما بضغط عواطف النفس ضغطًا لا يترك لها سبيلاً للظهور او بقطع العلائق بالحال وحينئذٍ فان غيبة اسبوع او اسبوعين قد تمنع ما يُخشى منه . فالجواب على هذا الاقتراح متوقف على طبيعة الشخص وآدابه ودرجته من تهذيب النفس . وان قيل ان ذلك وهم ومحال فقد عرفت صديقًا لي في احد بلدان الشام كان يتردَّد على منزل صديق له كان له اخت عازبة في منتهى الجمال والكمال . وكان كلما جاء للسهرة عندهم تستقبله عيناها الكبيرتان الزرقاوان اللتان تضطربان كانهما رُكّبتا فوق زئبق . فما مرَّت مدة وجيزة حتى أُولع بها ولعًا شديدًا . وكان ابوها عرابًا لصديقي المذكور فلا يجوز له الزواج بها في شريعة الكنيسة . فمع حبه لها وتعلق نفسه بنفسها ضغط على عواطفه فصار لا يذهب الى بيتهم الاَّ بدعوة وعتاب واذا جلسوا في المجلس كان يخاطب الجميع وينظر الى الجميع الاَّها . ولم تكن هي تعجب من ذلك لانها كانت مثله ادبًا وشهامةً . فلم تلبث ان ذهبت سورة الحب الاولى قبل ان تتمكن . الا انه كان يحذر دائمًا النظر في عينيها الجميلتين . ولم يدرِ احد قط بهذه الحادثة الاَّ الفتاة وصديقي وانا . وقد توفي صديقي في الشام وتزوَّجت الفتاة . وكم من مرة سمعته يقول لو كان يجوز لي الزواج بها لما تركتها تفلت من يدي . ولكن حيث لا يجوز لي ذلك فقد رأيت من الدناءة واللؤم ان أُعلقها بي واخدش صيتها او اضحك منها

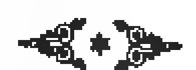
فالشبان والبنات الذين يكونون بآداب كهذه الآداب ونفوس كهذه النفوس لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (تذكار)

من ادارة (الجامعة)

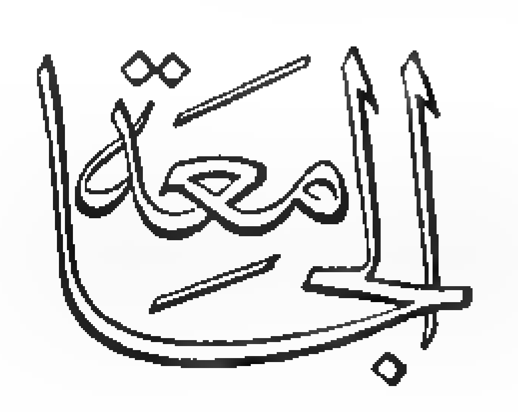
﴿ نقل ادارة الجامعة وتغيير عنوانها ﴾ نقلت ادارة الجامعة من شارع برودواي نمرة ٣٩ الى شارع برود نمرة ٦٢ وقد اعدت لها في ادارتها الفسيحة في شارع من اهم وانظف شوارع نيويورك مطبعة خصوصية لطبعها وطبع المطبوعات التجارية والقوائم واوراق المراسلات والكارت فزيت وغيرها لمن شاء الطبع فيها طبعاً في غاية الاتقان في نيويورك او خارجها ٠ وعنوانها الجديد هكذا 62 Broad St. باسم الجامعة او اسم منشئها

﴿ دفع اشتراكات الجامعة ﴾ تشكر ادارة المجلة الافاضل الذين ارسلوا اليها قيمة اشتراكهم قبل تحصيل الاشتراكات وتعيين محصل لها ٠ وقد عينّا محصلاً للاشتراكات فنرجو دفعها اليه بموجب وصولات مطبوعة من الادارة عليها توقيع صاحب الجامعة وامضاء المستلم ٠ وكل قيمة تُدفع من غير وصل الادارة فلا تحاسب الادارة بها٠ اما المشتركون خارج نيويورك فنرجو ان يقدموا اشتراكاتهم رأساً للادارة اما شك على احد البنوك او حوالة على البوسطة

﴿ مساعدو الجامعة ﴾ كتب كثيرون من افاضل المراسلين الى الادارة يعرضون عليها خدمتهم في نشر المجلة لدى معارفهم واصدقائهم فنشكر لهم هذه المساعدة في تأسيس الجامعة في طورها الجديد في اميركا٠ ولا عجب فالمجلة اصبحت (مجلة المهاجرين) وعليهم اعتمادها في هذه البلاد٠فكل من يتفضل بمراسلتها وارسال اسماء اصدقائه ومعارفه اليها فهي تقبل مساعدته وصداقته هذه بالشكر والامتنان



الجزء الثالث — السنة الخامسة



مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — اول آب (اغسطس) سنة ١٩٠٦ — ١١ جمادى الثاني سنة ١٣٢٤

التفاضل والمساواة بين الناس

الحق والبطل فيهما

في الاجتماع . والشريعة . والدستور . والاقتصاد

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

﴿ حاشية من المجلة ﴾ يعرف قراء اللغة العربية حضرة مؤلف هذه الرسالة من عدة كتب وروايات نشرها في السنوات الاخيرة. وهو احد كتاب معدودين في مصر والشام وقد نال جائزة كبرى في هذا العام في موضوع من اهم المواضيع تقدم للكتابة فيه اكثر من عشرين كاتباً مجيداً من كتاب مصر والشام. وقد كتب الموضوع المفيد التالي لقراء الجامعة واثبت فيه جميع الادلة على وجهيه

السلبي والايجابي ولم يرجح وجهاً على وجه لان هذا الموضوع ما زال من مشكلات العلم والفلسفة في العالم . والمواضيع التي ذكر فيها ارجحية وجه على وجه ذيلناها بشروح وجيزة من المجلة لتتم الفائدة بها ويقف القارئ على حقيقة هذا الموضوع الجليل

تساوي الافراد في الحقوق والواجبات مسألة يعبأُ بها الناس كلما ترقت عقولهم واتسعت معارفهم اذ يتنبهون الى التفاوت البين بين الاشخاص في الجاه والسلطة والثروة و يتساءلون ما سببه وهل هو عدل وحق؟ فالاقوياء الممتازون يزعمون انه حق محجة ان التفاوت الذي بين الافراد والامم في تلك الامور مناسب لتفاوتهم في القوى العقلية والجسدية والادبية. والصفعاء المحرومون امتيازات اولئك يزعمون انه استبداد وظلم وغبن لان الناس مشتركون في الحقوق والواجبات ومتساوون بها اشتراكهم واستواءهم في الانسانية وانه لا ميزة لانسان على انسان وانما يمتاز الانسان عن الحيوان لان بينهما فرقًا جليًا

في كل فصل من فصول التاريخ شواهد على التناقش والتخاصم والتقاتل لاجل المساواة. الاقوياء المتمايزون ينكرونها ويجاهدون في القضاء عليها والضعفاء الوضعاء يؤيدونها و يقاتلون في سبيل تعميمها. وما تغلب فريق الا تطرّف وعالى في تقويم جانبه لان مبدأ التنازع يقضي بتبليغ نتيجة الارجحية كما لو كان فريقان يتجاذبان طرفي حبل فاذا رجح احد الجانبين قليلاً جذب الجانب الآخر كله اليه . او كما لو علقت ثقلين في طرفي حبل ملتف على بكرة فاذا رجح احدهما على الآخر ولو درهماً هبط الراجح الى اسفل وارتفع المرجوح الى البكرة مع ان الفرق بينهما زهيد جدًا لا يعادل هذه النتيجة للارجحية

فتساوي الناس المطلق غير ممكن وغير عادل(١) اما انه غير ممكن فلانه مخالف للطبيعة التي لا استواء بين اجزائها في كل امر منها يوجد الراجح والمرجوح والافضل والاردأ . واما انه غير عادل فلان الاشخاص يتفاوتون تفاوتًا بينًا في عقولهم وهممهم واخلاقهم وآدابهم وسائر قواهم ومزاياهم وان كانوا متساوين في الانسانية ومتشابهين في الهيئة والتركيب

---

(١) هذا في الاقتصاد والمواهب العقلية ولكن مبدأ الديموقراطية يقضي بالمساواة في الاجتماع والشريعة والدستور

العضوي . فلا بد اذاً من التساوي في امور والتمايز في امور على شرط ان تعتدل النسبة بين مزايا الناس واهليتهم

على انه ليس من السهل وزن هذه النسبة او مقايستها بحيث تكون عادلة لانه قد يتراءى لنا ان تمايز النبلاء على العامة في بلاد الانكليز مثلاً غبن اذ لا افضلية حقيقية للنبيل على العامي مخولة ذلك الامتياز عليه . ولكن اذا انعمنا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة وفي نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان احقيته ليست في تكافوء النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي تنجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وصيانتها (١) كما سيأتي بيانه في محله من هذه المقالة

وكذلك اذا دققنا في تعليل الامتيازات التي للانكليزي على المصري او للابيض على الاسود في اميركا او للبويري (لعهد الجمهورية البويرية) على الوطني في جنوب افريقيا وجدنا انها غير مسببة عن التعاوت في عقول تلك الامم وقواها فقط بل عن الاضطرار الى صيانة الامة الواحدة من عدوان الاخرى تأييد تلك الامتيازات كما سيتضح في ما يلي

١

التفاضل الاجتماعي

يستفاد مما سبق ان الناس يجب ان يتفاضلوا في كثير من الامور ولا سيما الامور الاجتماعية والاقتصادية بقدر تفاضلهم في مزاياهم الشخصية . وطبيعة الحال تقضي على الافراد ان يسلموا بهذا التفاضل لان لذي المواهب والمزايا الكثيرة قوة يسود بها على من كان قليلها وهذا من نفسه يخضع لذلك تارة حاجته واخرى لخوفه من سطوته

فالفقير يجلُّ قدر الغني ويعظمه لكي يشفقه عليه ويستجديه ويجانب اذاه . وهذا يتغطرس عليه لانه في غنى عنه ولشعوره انه يقدر على التحكم فيه . والجاهل يجلُّ العالم لانه يحتاج الى رأيه وهذا يتعالى عليه . والصعلوك يتقرّب من النسيب عريض الجاه ويجتهد ان ينتمي اليه لكي يستقوي به . وهكذا كل ضعيف يتزلف الى قوي لكي يستنصره ويستأمنه على نفسه والقوي يشمخ ويعتزّ . وعلى هذا النحو يستقوي الغني والنسيب والحكيم ويتسع

(١) الا اذا أَلف النبلاء في وسط المملكة طبقة ممتازة يصرفون امتيازهم فيها الى نفع انفسهم واستخدام شرائع البلاد آلة لاغراضهم ومنع سن الشرائع التي تفيد الشعب وتنهض به كما هي الحال اليوم في روسيا مثلاً في منتهى شدته

نفوذه ويعرض جاهه بالذين يتقرّبون اليه ويجلونه ويعظمونه لدفع مغرم او لجرّ مغنم. وعلى هذا الاسلوب ينشأ التفاضل بين الافراد والامم وتنتفي المساواة المطلقة ويظهر الناس رتباً ودرجات ويضطرون ان يسلّموا لكل منهم بالدرجة التي وضع نفسه فيها وقدر ان يبرهن على استحقاقه لها. وذلك هو منشأ الرتب والالقاب والاوسمة ونحوها مما جعل للدلالة على مكانة صاحبه في الهيئة الاجتماعية

وهب ان السواد الاعظم من الشعب قام يطلب المساواة ويقاتل مبدأ التفاضل ونجح في جعل الافراد كلهم في درجة واحدة في القيمة والجاه والنفوذ فلا ينقضي رده من الزمان حتى يعود ذلك التفاضل لان الاقدر يجتذب اليه جانباً من الضعفاء الذين يستنصرون بقدرته وهم يرفعون مقامه ويردونه الى المرتبة التي أُنزل عنها. وهب ان امرًا من الامور نقض حال الناس الحاضر وجعلهم في حال جديد متساوين لا كبير فيهم ولا صغير ولا وضيع فلا يلبثون ان يتغربلوا ويتفرقوا ويتجمع الافراد كل رتبة في رتبتهم

تفرّد الاميركان في العصر الاخير بتأييد مبدأ المساواة في معظم احوال الهيئة الاجتماعية فنبذوا الالقاب والرتب والنشانات والملابس الرسمية ونحو ذلك مما يدل على التمايز والتفاضل وحظروا على كل فرد منهم ان يقبل رتبة او نشاناً من حاكم اجنبي ولكنهم ما لبثوا بعد حين ان شذ كثيرون منهم عن هذه القاعدة فجعلوا يتطاولون الى الرتب والالقاب ولو خسروا جنسيتهم. فالفتاة الغنية تبذل مالها لكي تتزوج من نبيل اوروبي لورد او بارون او نحوها لكي تتلقب بلقبه. وبعض الشبان المثرين يفعلون كذلك لكي يزوجوا انفسهم بين الاسرات النبيلة وبعضهم يبتاعون الالقاب بالدنانير ابتياعاً. ومع ان قانون الجنسية الاميركية ينكر القاب الشرف فلا يسعه ان ينكر الالقاب العلمية مثل دكتور فلسفة وغيره كأنه من لزوميات الاجتماع البشري ان تقوم الدلائل الحسية على تمايز الناس في مواهبهم وقواهم

ترى ان الاكابر يقيمون لانفسهم اندية خصوصية لا يؤذنون لغيرهم من الوضعاء ان يدخلها. لماذا؟ يظهر لاول وهلة ان الغرض من ذلك الا يختلطوا بفئة الاسافل او الهمج ولكن تراهم لا يستثنون وضيعاً من هذا النبذ ولو كان مثال الادب والذكاء والذوق ولا يرفضون الرفيع ولو كان قارورة سفه وبذاء فالحقيقة اذاً ان المراد من هذا الاختصاص انما هو التمايز الطبقي والمباهاة بالجاه والغنى والنفوذ. وعلى هذا النحو ولمثل هذا الغرض تقام مدارس خاصة بابناء الاعيان. ومن ذلك ان شركات السكك الحديدية المتسابقة في جهة واحدة في

اوروبا تتنافس في ارضاء الركاب بمثل هذا التخصيص كأن تمنع الطبقة السفلى من الركوب في الدرجة الاولى ولو دفع الراكب ضعفي الاجرة(١)

وليست المباهاة بالجاه او حب التمايز امرًا قليل الاهمية في الهيئة الاجتماعية بل ان كل فرد فيها يبذل الغالي فضلاً عن الرخيص لمطاولة من هم اعلى منه. الا تراهم يشترون الرتب والالقاب والنشانات المدنية شراء. لا يفعلون ذلك في مصر فقط بل في اكثر ممالك اوروبا ومن ذلك اننا نرى الناس يتنافسون في مظاهرهم حتى انهم يكلفون انفسهم اكثر من طاقتها في اللبس والفرش ونحو ذلك

بقي ان ننظر في عدالة هذا التفاضل وفي فائدته. اما من حيث عدالته فلا ريب انه عدل اذا كان جاريًا على قاعدة قويمة طاهرة من المحاباة والرئاء والشذوذ. فان لذي المزية حقًا بان يتميز على سواه لانه يبذل في الاجتماع البشري قوة اكثر من سواه فيجب ان يكافأ على هذه القوة بقدرها. واذا تساوى الناس في القيمة مع تفاوتهم في القوى او المزايا فقدوا مزاياهم حالاً لانها عديمة الجدوى لهم

على ان التفاضل غير جارٍ على قاعدة قويمة في كل بلاد واكثر قواعده اختلالاً ما كانت في الشرق فانه محصور فيها بذوي القوة المالية وبالنسب ومنتفٍ من اهل الذكاء والمعرفة والآداب فقد ترى العالم الفاضل المستقيم غفلاً من اعتبار الناس واكرامهم. والمثري الشرير مكرمًا. وما هي الحال كذلك في البلاد الغربية الراقية. ففي انكلترا أُكرم سبنسر اكرام الامراء وفي فرنسا أُكرم هيجو كذلك واما في مصر فما قليل ينسى اسم الشيخ محمد عبده وفي سوريا تنوسي اسم البستاني واليازجي

وفي انكلترا انتحر الكولونل مكدونلد (انتحر في باريس) منذ ٣ سنين لانه أُسقط من مقامه في الهيئة الاجتماعية بسبب تهمة دنيئة وفي مصر ترى الباشا فلان وهو يتلطخ بلطخ الدنس لا يزال الناس يكرمونه ويطأطئون امامه. والمثري فلان وهو ينهب الفقراء ويسلب الارامل واليتامى يتسابق الناس بالثناء عليه وباعلان فضله. والنسيب الحسيب فلان وهو اجهل من هبنقة يتبرك الناس به ويقبلون الارض بين يديه. وسبب هذا الخلل اي المراآة من جهة والغبن من جهة اخرى انما هو الضعف والجهل العامان في البلاد

(١) ظاهر من سياق الكلام ان الكاتب لا يقرر هذه المبادئ، ولا يدعو اليها ولكنه يذكرها كما يراها في العالم. فهو يشرح هنا ما كان لا ما يجب ان يكون

اما من حيث فائدة التفاضل فلا يخفى ان اعلان مزايا المتمايزين والاقرار بها او وضعهم في مكانتهم يثير روح التنافس في الناس . وعلى التنافس يقوم عمران البلاد. ثم ان التمايز يقي الكرماء من شرور اللؤماء والمتمدنين من غلاظة الهمج الى غير ذلك مما يستقر به الاديب بنفسه

ثم ان الفائدة الجلى من هذا التمايز غربلة الناس وتصفيتهم بحيث لتنقى طبقة الاشراف من الوضعاء وفئة الكرماء من اللؤماء واهل العلم من الجهلة ولا تسهل خديعة الافراد بعضهم لبعض

وفي هذه الحالة يضطر كل فرد ان يرقي عقله ونفسه وآدابه ويهتم باغناء ثروته وتعريض جاهه لكي يحرز الاهلية للمكانة التي يطمح اليها ويتبوأها باستحقاق ولا يتمتع بشرف او مجد او رفعة من غير ان يبذل في العمران القوة التي بذلها سواه ممن احرزوا مقاماتهم التي يحسدهم عليها ويطاولهم فيها

رسالة السيدات من الاسكندرية

بقلم المدموازيل (روزا انطون) صاحبة مجلة السيدات

حاشية — كما ان صاحب الجامعة قد وعد قبل سفره من مصر مجلة السيدات ان يبعث اليها برسائل مفيدة في المدنية الاميركية واحوال سيدات نيويورك والولايات المتحدة السوريات كذلك وعدت شقيقته صاحبة (مجلة السيدات) بالاسكندرية ان تبعث الى الجامعة برسائل لطيفة في اجتماعات السيدات الاسكندريات واخبارهن الاجتماعية اللذيذة وهذه اولى تلك الرسائل

حدثتني احدى الصديقات الحديث التالي وقد التقطته من مجلس خصوصي ضمّ بعض السيدات قالت :

زرت امس صديقة في الاسكندرية فوجدت جمعيتنا ناقصة بسبب سفر كثيرات الى مصايفهن فقلت لم يبقَ غيرنا من جمعيتنا يحتمل حرّ هذا الصيف .

ثم التفت الى سيدة اعتادت ان تصطاف كل سنة وقلت :ـ لماذا لم تذهبي يامدام في هذه السنة خلافاً لعادتك · فاجابت :ـ ان ابنتي مخطوبة ونحن نهتم الآن بالجهاز · فقلت :ـ لم اسمع هذا الخبر المفرح من قبل · والتفت الى الفتاة المخطوبة وقلت لها : «مبروك يامدموازيل» فنظرت وجهها مقطباً وعينيها تغرورقان بالدموع فاستغربت حتى لاحظت امها استغرابي ولكنها اغضت عنه

وبعد انصرافها سالت عن سر المسالة فقيل لي ان الفتاة غير راضية بخطبتها مع ان خطيبها لا ينقصه الا ان يكون اوروبياً كما تريد هي فكانت تقول انها لا تقترن الا باوروبي على ان اهلها يابون ذلك فوقع النزاع بينها وبينهم مدة ثم انتهى بخطبتها بالرغم منها · فقالت احداهن :ـ وباي حق يجبرها اهلها على زواج من لا تريده · كان الاولى ان لا يخطبوها لاحد اذا لم يسمحوا لها ان تخطب من تريد فاجابتها ثانية :ـ ولو سمحوا لها بمن تريد لكنا نقول ايضاً انهم غلطوا اذ لم يمنعوها عن زواج غير موافق · ولو رفضوا ما ترغبه كما رفضت ما يرغبون وبقيت بلا زواج لقلنا الى متى تنتظر · وحاصل القول لا يخلص احد من سهام السنتنا الحادة ولا يعمل احد عملاً مهما كان نوعه الا قلنا انه اخطأ من الوجه الفلاني بالامر الفلاني ولا نجلس في جمعية الا ونسمع كلاماً على فلانة وحديثاً عن فلان وهذه قالت كذا وتلك فعلت كذا وهلم جرا

فقالت صاحبة البيت :ـ اعملي معروف اخفضي صوتك لئلا يسمعك زوجي الآن فانه يمقت الاحاديث عن الناس واخبارهن · والكلام بسرك ان مدام فلان ذهبت من عندنا مستاءة لانه انبها حين كانت تقص علينا قصة عروس الاسكندرية وملكة اسبانيا العروس

فسألتها عن هذه القصة فاجابت: تقول حضرتها انه في يوم زفاف ملكة اسبانيا وفي الساعة نفسها اتفق انه كان زفاف المدموازيل ٠١ في الاسكندرية فحين سمعت عروس الاسكندرية بحادثة القنبلة التي رماهـا الفوضوي تأثرت لهذا الحادث فارسلت تلغرافاً للملكة تهنئها بالنجاة فارسلت الملكة تلغرافاً تقول فيه اشكرك واحسدك فانك كنت بالحقيقة ملكة حينما كنت اتمنى ان اكون كاحدى الفقيرات . فقلت عرفت ناقلة هذا الخبر اما هي فلانة . فقالت نعم

فقلت ان هذه السيدة مشهورة بنقل الاخبار و باختلاق قصص غريبة مدهشة فترينها تفرّ من محل الى آخر وتحرك الجميع بلسانها ولا يهنأ لها عيش الا حين ترمي شرّاً بين اثنين وقد سماها البعض «بام الاخبار والحركات» والجميع يخافونها ويهابونها كأنها عزرائيل . ومع ذلك فانها محبوبة ودمها خفيف لا يستاء منها احد بالرغم من طول لسانها وحينما كنا نتحدث عنها دخلت فقلنا: «اذكروا الذئب ...» فاننا كنا نذكرك الآن فقالت اعترفوا بالحقيقة ماذا كنتم تتحدثون عني فقلت كنا نقول الذي فيك قلنا انك محبوبة ودمك خفيف فضحكت وجلست فسألتها ربة البيت ما عندك من الاخبار اليوم فاجابت الاخبار عندكم فقد بلغنا انه كان عند جيرانكم امس جمعية بوكر وخسرت مدام فلان البوكرية الشهيرة قيمة عشرة جنيهات ورفيقتها مدام فلان ثمانية والاخرى التي تدعي انها لا تحب اللعب ١٢ جنيهاً . و يقولون ان الخسارة كلها بلغت ٧٠ جنيهاً

فقلت من العجيب ان يكون هذا في بيت فلان وهو يكره البوكر و يمنع زوجته من اللعب فاجابت «ام الاخبار» وهل علمت ماذا جرى بعد هذه اللعبة فانه حدث بينه و بين زوجته خصام حتى وصل صراخهما الينا واظنهما سيبقيان متخاصمين حتى

نترك المدام لعب البوكر ولا اظن حضرتها تتركه اذا لم تنجح مساعي تلك الجمعية القائمة الآن لمحاربة البوكر. اما هذه الجمعية فمؤلفة من السيدات الغنيات الكارهات للبوكر يعضدهن ازواج السيدات اللعبيات ويجتمعن كل يوم للتفكر وتدبير وسائل لمنع اللعب. وقد بلغني ان بعض الجرائد تساعد هذه الجمعية بهذا الامر لان اضرار البوكر اصبحت كثيرة وهو ينتشر كل يوم بعد يوم

فقلت ياليت نبوءة «ام اخبار» تتم فكم قد كتبت الجرائد وكم احتمل البوكر من الاضطهادات وكم نكد عيش عائلات. وافنى قوى سيدات وهو لم يزل معزوزاً محترماً وويل لمن يذكره امام نصيراته بغير المديح والثناء. فقالت احداهن وكانت من اللعبيات: وما هي اضرار البوكر وما هي خسائره فانها لا شيء يذكر. فاجبتها حين تتكلم عن اضرار البوكر لا تقصد السيدات الغنيات اللواتي لا تهمهن اكبر خسارة فانا نعلم جيداً انك لو خسرت ١٠٠ جنيه مثلاً لما همتك فالسيدات الغنيات محلل لهن كل شيء... واذا كان ازواجهن لا يرضون بذلك فان لهن مالاً خاصاً ينفقن منه... وقد قالت احدى السيدات حين كان ينهاها زوجها عن لعب البوكر «حتى الآن لم اصرف من مالك ولا مليماً واحداً فان كل خسارتي من دوطتي وغيرها ومتى خسرت كل ما عندي احوّل على ابي بالمبلغ وليس عليك فماذا يهمك ان لعبت»

فمن امثال هذه السيدة لا نتكلم لانهن اعلى من ان يُصبن باسهم اللوم... وهن بمعزل عن التنكيت والتانيب... وكل ما يفعلنه يعد جائزاً ولا قوة على الارض يمكنها ان ترجعهن عن انفاذ ارادتهن وبقدر غناهن تعظم ارادتهن وويل لمن يغضبهن

ولكن حين نذكر اضرار البوكر نقصد هؤلاء السيدات اللواتي ينتظمن في سلك

جمعية البوكر تشبهاً بالغنيات ولقصد ان تضم اسماؤهن لجمعية الاكابر لظنهن انهن يزددن رفعة . وقد سمعت احدى هولاء تقول لرفيقتها وهما يتماتبان انظري واعلمي انني اجلس انا واغنى واشرف السيدات على طاولة البوكر ولا تجتمع جمعية بدوني . وبهذا الغرور تضطر السيدة من اولئك ان تقتر على نفسها واولادها وتخاصم زوجها وتهجر بنيها رغبة في مجاراة الغنيات في البوكر

وقد سمعت عن سيدة اعرفها جيداً طلبت من زوجها ١٠ جنيهات لتشتري قسطاناً للصيف فتردد زوجها لخلو يديه من المال وبعد الجدال ضيق على نفسه واعطاها المبلغ فلعبت به على ان تربح فخسرته كله فطلبت ثمن القسطان من زوجها ثانية فلم يعطها فانحبست عن الاجتماعات لعدم وجود فسطان يليق ان تقابل به البوكريات . فاستفادت هذه السيدة من خسارتها فائدة تذكر وعسى ان تستفيد بقية السيدات مثل هذه الفائدة

فلسطين واشهر بلدانها

بقلم جناب نجيب افندي نصار في طبريا

سباسطية

عاصمة عظيمة قديمة

هي المدينة العظمى التي أنشئت من العدم وصارت دفعة واحدة في عداد عواصم الملوك . فقد انتقى موقعها الملك عمري في سنة ٩٢٤ قبل المسيح دون نابلوس التي وان كانت بهجة الملوك ومرتع الكبراء برياضها الغناء ومياهها الصافية الغزيرة ومطمح انظار الامة بخيراتها الوافرة ومركز آمالها بما جرى فيها وحواليها من الحوادث التاريخية والدينية لم تكن حصناً يرتاح فيه قلب الملك وتطمئن قلوب الرعايا من هجمات الاعادي التي كانت متواترة في تلك الازمان . ودون (ترصة) ايضاً التي كانت في معزل عن الشعب الفينيقي المتمدن

الذي كان في اغلب الاحيان حليفاً لاسرائيلي الشمال . اما موقع هذه المدينة فهو تل اعزل يعلو اكثر من ثلثمائة قدم عما حواليه من الاودية والسهول اشتراه الملك المذكور من رجل يدعى شامار وبنى قصره والمدينة عليه ودعاه (سامرة) على وزن بائعه . وقال آخرون ان كلمة سامرة العبرانية تعني (المرصاد) والجبل يشرف على الجبال التي تقابله من الجهات الثلاث ومن الجهة الغربية على السهل والبحر المتوسط فضلاً عن كونه على الطريق الممتدة من الشمال والجنوب وهي طريق الآراميين والاشوريين والمصريين السهلة الى السامرة . وقد تقلصت عظمة تلك العاصمة (سباسطية) حتى صارت اليوم قرية صغيرة يسكنها قوم قلائل من الفلاحين في بيوت صغيرة حقيرة . اما اخاب ابن عمري فبنى فيها هيكلاً لبعل اله امراته ابنة ملك الصيدونيين . وفي سنة ٩٠١ قبل المسيح حاصرها بنهدد بجيوش الاراميين فعاد عنها خاسراً فعاودوا الكرة عليها في السنة التالية ولم ينجحوا . ثم استأنفوا محاصرتها بعد ذلك بخمس عشرة سنة وبعد ان ضيقوا عليها الحصار حتى اشتدت فيها المجاعة وعمَّ الويل اهلها انهزموا عنها راجعين . وقد كانت مظهراً لاعمال النبيين ايليا واليشع فيما يتعلق بالمجاعات (ملوك اول ١٧ و١٨ وملوك ثاني ٦ من العدد الرابع والعشرين الى نهاية الاصحاح السابع) وقد تنبأ عنها النبيان اشعيا (٩:٨-٢١) وارميا (١٣:٢٣) وفي سنة ٧٢٤ قبل المسيح زحف عليها شلمناصر ملك اشور بجيش جرار ولكنه لم يرَ في مهاجمتها سبيلاً للنجاح فاقام عليها الحصار مدة ثلاث سنوات متوالية اضطر اهلها في نهايتها الى التسليم من جراء ما قاسوه من الضيق الشديد والجوع الاليم فساقهم وجميع سكان المملكة ماعدا العجزة والمساكين الى بلاده وراء الفرات وجاء بقوم آخرين وهم الذين صاروا فيما بعد يدعون «سمرة» واسكنهم في البلاد . ومنذ ذلك الوقت عادت نابلوس فصارت تربو عليها واخذت تسترد منها مجدها الذي سلبه الملك عمري . ثم وقعت في ايدي الاسكندر الكبير فاسكن مكدونيين بين اهلها لاضعاف قوتهم . وفي ايام المكابيين اساء سكانها معاملة احدى المستعمرات اليهودية فغضب هركانوس المكابي وجاءها بجيش وحفر حولها الخنادق وبنى سوراً واقام عليها الحصار فلقي مقاومات شديدة ومتاعب كبرى مدة سنة غير ان نفاد المؤن واليأس من النجاة اضطر اهلها الى فتح ابوابها والتسليم فدكَّ هركانوس وابناه حصونها واسوارها وجميع ابنيتها ولم يبقوا فيها للعمران اثراً (اخبار يوسيفوس كتاب ١٣ فصل ١٠ قطعة ٢ و٣) ويستدلُّ من عدم تمكن اعدائها منها بغير الحصار ان موقعها كان حصيناً جداً ولذلك كانت قلوب الناس معلقة على مناعتها على الدوام في تلك الازمان الحرجة فكانوا

كما خربت يعيدون بناءها وتحصينها. فقد ذُكرت بعد ان ضربها هركانوس وابناه بقليل بانها مدينة حصينة في ايدي اليهود وبكون بومبيوس القائد الروماني اخذها منهم واعادها لاهلها الاولين. وبعد وفاة كليوباترا وهبها اوغسطس قيصر لهيرودس الكبير الذي شاقه موقعها الحصين وبُعدها عن مراكز القوة اليهودية فاحاطها بسور منيع جداً حصنه بالابراج القوية وخصص بها حامية من الجنود البواسل وهكذا اعدّها ليتمنع فيها عند الضرورة لانه كان على الدوام مرتاباً باخلاد اليهود الى السكينة فلم يكن يأمن من هبوبهم الى الثورة شأنهم مع الذين تقدموه. وقد بنى فيها عدا ما ذكرنا هيكلاً انيقاً في مكان هيكل اخاب اقامه على اعمدة طويلة منحوتة القواعد مزينة رؤوسها بالنقوش الحفرية. وبنى على اعمدة كاعمدة الهيكل على جانب الجبل الجنوبي سوقاً يقارب طولها الميل ممتدة من الشرق الى الغرب وعرضها ١٦ قدماً لم تزل عدة من اعمدتها واعمدة الهيكل قائمة في امكنتها شاهدة بان هيرودس هذا كان بناء عظيماً. ويوجد عند اسفل الجبل من الجهة الشمالية عدة اعمدة على ارض مستوية يقول بعضهم انها كانت ملعباً للخيول. وبنى لنفسه قصراً على قمة الجبل وحصنه بالابراج ودعى المدينة بعدما فرغ من بنائها على هذه الصورة سباسط Sebaste وهي الكلمة اليونانية (لاوغسطا) فبقي اسمها الروماني عليها الى اليوم ويقول رجال الدين ان فيلبس الرسول بشر فيها وان كثيرين آمنوا بكلامه من اهلها (اعمال الرسل ٨:٥-٩). وقد حولها الامبراطور سبتيميوس سفروس في بداية القرن الثالث الى مستعمرة رومانية. ولم يطل عليها المدى بعد ذلك وهي زاهية لان يوسيبيوس لا يعلق اهمية كبرى على ذكرها بخلاف جيروم ومعاصريه الذين قالوا انها منذ اوائل القرن الرابع صارت كرسي اسقفية ودخلت في ايدي المسلمين اثناء فتحهم البلاد فاستردها الصليبيون منهم وجعلوها كرسي اسقفية كاثوليكية. ولم يتغاض بنيامين توديلا عن ذكر مناعتها ووصف الجنائن والاشجار الكثيرة حواليها. اما فوكاس وبروكاردروس فذكرا كنيسة فوق قبر باسم يوحنا المعمدان

كنيسة يوحنا المعمدان

هي الكنيسة الصليبية القائمة على اثر كنيسة شرقية من عهد جوستينيانوس او من قبله وقد حول المسلمون القسم الذي لم يزل قائماً منها الى جامع وهي واقعة على طرف التل الشرقي وتحتوي على مدافن يوحنا والنبيين اليشع وعوبديا كما يزعمون. غير ان يوسيفوس

في اخباره (١٨:٥ـ٢) يقول ان يوحنا سُجن في ما كيروس(١) الواقعة شرقي الاردن ويوسيبيوس ينقل هذه الرواية ولا يزيد عليها شيئاً. ولكن جيروم يقول ان السامرة مشهورة بوجود مدافن يوحنا واليشع وعوبديا فيها. وقد راتها بولا وشاهدت كيف يؤتى بالمجانين لزيارتها فينالون منها الشفاء العجيب كما قالت. ويُقال ايضاً ان الوثنيين فتحوا سنة ٣٦١ هذه المدافن واخرجوا العظام واحرقوها وذروا رمادها. اما الاعتقاد بكون هيرودس سجن يوحنا وقطع راسه هنا ايضاً فلم يقل به احد حتى القرن الثامن. ومما تقدم يمكن ان يُقال ان يوحنا سجن في ماكيروس واما جثته فدفنت في سباسطه. ويوجد على جدران الكنيسة رسوم صلبان بشعار فرسان ماري يوحنا من الصليبيين. وقد اكتشفت حديثاً في الكنيسة تماثيل اشخاص وحيوانات عديمة الاتقان. وشمالي الكنيسة بناء مربع يظن بعضهم انه كان قلعة فرسان ماري يوحنا

دوثان

الجب الذي طُرح فيه يوسف

الحفيرة او الحفائر ـ استدل الكتبة من اسمها هذا الذي أُطلق عليها بسبب وجود الماء قريباً من وجه الارض اذ يحفر الرعاة آباراً ويبنون عليها (الجوابي) ليسقوا مواشيهم. ومن كونها غير بعيدة عن شكيم. ومن كونها ايضاً مراعي حسنة. ان رواية التوراة المذكورة في سفر التكوين (ص٣٥ من العدد١٧) تنطبق عليها فقالوا هي دوثان حيث طُرح يوسف في الجب وبيع من قافلة المصريين رقاً وهي تبعد نحو اثنى عشر ميلاً الى الشمال من نابلوس ونحو خمسة اميال الى الجنوب الغربي من جنين

جنين

واقعة على طرف مرج ابن عامر الجنوبي اما طريقها المستقيمة فتبعد نحو ثمانية عشر ميلاً الى الشمال بانحراف قليل الى الشرق عن نابلوس وهي قرية كبرى ومركز قائمقامية تابعة لنابلوس واهلها مسلمون وفيها نبع ماء غزير وهي عين جنيم التوراة وجينيا التي يقول يوسيفوس انها على حدود السهل الكبير في نواحي السامرة وذكرها كثيرون من كتبة العرب وقالوا ان صلاح الدين مرَّ عليه بجيوشه وقال بروكاردروس انها على الطريق بين عكا والناصرة الى نابلوس

---

(١) ❋ الجامعة ❋ ورنان في كتابه « تاريخ اليهود » يثبت رواية يوسيفوس

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في مصر في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعـة

(تابع ما قبله)

(تركنا ريشار في الجزء السابق وقد اصبح يدير ببلاغته وذكائه سياسة انكلترا كلها من منبر مجلس العموم · وقلنا ان الوزارة الانكليزية بعثت الى سكرتيره ورجله الخاص صاحب مصرف عظيم يدعى المركيز سيلفا ليتوسط لدى ريشار بان يقنعه بترك معارضة الوزارة ومجاراتها في رغائبها وفي مقابلة هذا الترك والمجاراة يمنحونه القاباً شريفة واملاكاً واسعة ويزوجونه من احدى بنات النبلاء لانهم كانوا يظنونه عازباً · وقلنا ان زوجته جاني باتت تندب سوء حظها في بيت صغير مع مبراي الذي اقامه ابوها وامها قبل وفاتها وصياً ورقيباً عليها · وذلك لان ريشار اقصاها عنه وعاش دونها في لندن تخلصاً من نفقات العائلة وانصرافاً الى السياسة لان نفسه اشتغلت بها عن كل شغل · ولم يبقَ فيها مكان للاهتمام العائلي)

٤

بعد ان تحادث المركيز سيلفا وطمسن سكرتير ريشار جاء طمسن الى ريشار وسأله الانفراد به · فاجابه ريشار وقال له لماذا طلبت ان تخلو بي هل لديك اخبار عن امرأتي · فاجاب كلا ولكن لدي اخبار عمن اصبحت اطوع لك من امرأتك · فقال ومن تعني · قال الوزارة الحاضرة · فضحك ريشار وقال هل خفضوا رؤوسهم الشامخة · قال لم يخفضوها ولكنهم يمرغونها بالتراب تحت قدميك · فقال وماذا يطلبون · قال يطلبون ان تعدل عن المعارضة في عقد القرض الذي يرومون عقده لحاجتهم اليه · فاجاب ريشار بنزق : هذا محال لانني لا اخون الشعب الذي انتخبني واتخذني رجله · فاجاب طمسن : كأن فوزك قد اسكر لبك ايها السر ريشار انسيت مراتب اللى فقال ريشار وماذا اطلب اكثر مما بلغت

اليه فاني ادير الان سياسة انكلترا كلها من منبر هذا المجلس · فقال طمسن نعم ولكنك قد انفقت ثروة امراتك كلها تقريبا لان مقامك يقتضي نفقات طائلة وقدمضت على نيابتك ثلاثة اعوام وبقي ثلاثة اخرى فماذا يبقى لك بعد ان تنفق ما بقي من ثروة امراتك فيها

فاجاب ريشار : يبقى لي فقر شريف واسم منزه عن كل وصمة

فقال طمسن · ولكن الفقر والاسم لا ينصران في الانتخاب القادم وانت لا تجهل ما يقتضيه الانتخاب من المال

فقال ريشار : ان الشعب لا ينسى نصيره

فقال طمسن : الشعب قصير الذاكرة ياريشار وقد شبهوه بقلب المراة لسرعة تقلبه وهو قادر على الوضع لا على الرفع · اما مراتب العلياء فلا تنال الا بالملوك والوزراء

وما زال طمسن بريشار حتى الان حديده فوعده ريشار بان يفكر في هذا الامر · وعلى ذلك كان وجود هذا الرجل بجانب ريشار آفة له وويلاً · وما برحت هذه وظيفة الصغار المتملقين لدى اكابر الناس الذين يقرّبونهم اليهم لاستخدامهم في بعض المنافع فيؤثرون عليهم شرّ تاثير ويقودونهم الى الهاوية

ولما راى طمسن ان حديده قد لان بعض الشيء عاد الى المركيز سيلفا وساله ان يبسط له اقتراحاته فاجابه اننا لكي نكون على ثقة من دوام الوداد والصداقة بيننا وبين السر ريشار قد راينا ان نزوجه مس ويلمور فقال طمسن مخفياً باحترام حفيدة جنابكم فقال المركيز نعم فان ابنتي كارولين (١) اقترنت باللورد ويلمور فولدت منه قبل وفاته هذه الفتاة وهي وحيدتها ودخلها السنوي من املاكها مائة الف جنيه انكليزي وفوق ذلك في نفسي ان التمس من الملك ان يعطي الرجل الذي يقترن بابنة اللورد ويلمور لقب ابيها فيكون لورداً مثله

وكان ريشار يسمع هذا الكلام من وراء الباب فلما ذهب المركيز قال طمسن لريشار ما رأيك في ما سمعت فقرع ريشار كتف طمسن بكفه وقال له انسيت زواجي بجاني فضحك طمسن ضحكة شيطانية واجاب وانت انسيت الطلاق · — ومن هذا الحين خطر لريشار ان يذهب لمشاهدة جاني المسكينة

---

(١) يذكر القراء ان المراة التي وضعت ريشار في الفصل الاول كانت تدعى كارولين وهي ايضاً ابنة المركيز سيلفا

وكانت جاني في بيتها في البرية تبكي فراق ريشار على ما تقدم وكانت في ذلك اليوم تنتظر عودة مبراي الذي ارسله الى لندن ليلين قلب ريشار عليها فلما رات مركبة ريشار تقف امام بابها جنت فرحاً وابتهاجاً · وان الست ميليا الممثلة الاولى في جوق الشيخ سلامه التي تمثل دور جاني تمثل هذا الفصل باسلوب مستحسن جداً وقلما مثلت ممثلة في الملاعب العربية عواطف هذا الفصل كما تمثله الست ميليا

فلما دخل ريشار على جاني صاحت وانطرحت بين يديه وهي تبكي فقال لها ريشار بفتور مؤلم ما بك ياجاني فصاحت جاني والدموع تخنق صوتها : يسألني ما بي · بي انني ابكي واذوب شوقاً اليك · بي انني لم ارك منذ سنة كاملة · أفهمت ما بي ؟ فقال ريشار كفكفي دموعك وهدئي روعك فاجابت جاني بصوتها الناعم الرقيق

نم اصوت دموعي وانتهي عن ولوعي
فقد رجعت الى من تهواك خير رجوع
بعد ابتعادك عاماً احرقت فيه ضلوعي
وليس لي من معين وليس لي من شفيع

فقال ريشار نعم عدت اليك ياجاني واغتنمت فرصة غياب مبراي لاخاطبك على انفراد · فاجابت : على انفراد ؟ وهل لديك سرٌّ تروم اطلاعي عليه · فاجاب لدي مسألة اطلب منك الموافقة عليها فقالت موافقتي انا ؟ فيالسعادتي مرني بما تشاء أأنت في حاجة الى المال لابيع احدى مزارع ابي · اجلس اولاً ياحبيبي فقال ريشار لا استطيع الجلوس لانني ساعود الساعة قالت تعود دون ان تاخذني فقال لااستطيع اخذك الآن هل تضجرين في هذا المكان فاجابت لا اضجر من الوحدة ولكني اضجر لكوني بعيدة عنك لا سيما وانك لا تجاوبني على رسائلي فقال اظنك تعرفين السبب فاجابت

لا تعتذر لا تعتذر اني بشغلك داريه
لكننا نحن النسا ء نرى الحياة الغاليه
موجودة للحب لا الحادثات القاسيه
ولذاك كنت نسيت سمـ ـيك في الامور الجاريه
حتى فطنت لما عليك به بلادك قاضيه
فشكرت صنعك كلما اتلو الجرائد نائيه
وطربت لاسمك حين تذكره بحمدك داعيه

فلقدهززت الارض يا لحطب الغوالي الغاليه
ياليتني قد كنت ما معة هنالك رائيه

فاجاب ريشار ولكنك تعلمين ان حالتنا المالية لا تساعدنا على ذلك فقالت جاني نعم وهذا ما جعلني انتظر واصبر ولكن اصدقني ايها الحبيب اما من مانع يمنعك من اقامتي معك في لندن غير رغبتك في الاقتصاد فقال هذا اهم الامور فقالت اسمع اذن ياريشار اني اريحك واستريح معاً فانني اتنازل عن كل حقوق الزوجة وارضى بان اعيش سرًّا في المنزل الذي تعيش فيه دون ان يدري احد انني امراتك وبذلك تقتصد ما تريد اقتصاده ايرضيك هذا الشرط ياريشار فقال ريشار وقد هزَّ راسه لا ريب انك مجنونة فقالت جاني بانكسار فلندع اذاً هذا الحديث وقل لي ما هو الامر الذي قلت انك جئت من اجله

فقال ريشار وقد تامل هنيهة ان هذا الامر يعيدنا الى الحديث الذي كنا فيه فقالت جاني وما هو فقال متردداً مقطعاً كلامه هو ان مركزي السياسي في لندن .. وبعض الاحوال الوزارية الخصوصية . صارت تقضي بزيادة البعد بيننا

فصاحت جاني حينئذ بدموع

اما كفاك اغترابي عنك من زمنٍ قاسيتُ فيه ضروب الهمّ والاسفِ
فاي حد له ترضى اما انقطعت بيني وبينك سبل الودّ والشغف
ولست اسمع عما انت فيه سوى ما بتُّ اقرأه في سائر الصحف
ريشار: هل ذاك عتب وتانيب اردتِ به غيظي لتنتقمي مني وتنتصفي
جاني: كلا ولكنها شكوى ابوح بها واستعين بدمعي المغدق الوكف
ريشار: مالي على هذه او تلك مصطبر
جاني: فكيف اصنع ياويلي ويالهفي
واي امر اذاً قد جئت تطلبه فبح بسرك يا ريشار واعترف
اترك انكليترا وهي التي حفظت عظام آبائي الماضين والسلف
ماذا تريد وماذا ترتضي والى متى ابتعادي عن زوج به شرفي

فاجاب هنا ريشار ببرد اشد من برد طين الشتاء اخطأتِ ياجاني فانا لا اريد اكراهك على الخروج من انكلترا بلاد آبائك واجدادك وليس لي حق في ان اطيل هجرك ونفيك .. لقد اخطأ الدهر اذ ربطني واياك برباط واحد مع ما بيننا من تفاوت الاخلاق وتباين الطباع ولكن يجب ان لا تقع تبعة هذا الخطأ على راسك بل يجب عليَّ ان أُعيد

لك هناءك وحريتك

فقالت جاني بدهشة لم افهم حرفاً واحداً مما تقول فقال ريشار متماً حديثه ومع ذلك ياجاني فان الذي جئت اقترحه عليك الآن امر موجود بيننا وانما انت تحملين مضاره دون ان تتمتعي بمنافعه

فصاحت جاني تكلم تكلم كل كل لانني لا افهم شيئاً .. آه بل اسكت اسكت لانني بدأت افهم

فقال ريشار فلو كان بيننا انفصال . فقالت جاني: كلمة اخرى ايضاً. فقال (شرعي) فصاحت كلبوءة جرحت: الطلاق؟ فقال ريشار نعم الطلاق فصاحت جاني باكية آه ياالهي آه يا ابي وامي . فاتم ريشار قائلاً فلو كان بيننا طلاق فقالت آه ما اقساك اسكت والا قتلتني فقال ريشار لماذا تخافين الطلاق ياجاني مع اننا نعيش الآن في حالة كحالته فهل تخافين كلام الناس فاجابت انا لم انظر الى السلاح ولكني شعرت بطعنته . فقال ريشار ببرادة الثقلاء ولكنها طعنة يشفيها الزمان ياجاني فانك لا تزالين فتاة فاذا احببت حباً آخر ..

فصاحت هنا جاني بجنون بالغ مبلغه— حباً آخر. آه يالَلعار .. تقول حباً آخر؟ ... اقتلني ولا تهني .. انا احمل عذاب القتل ولكني لا احمل الاهانة

فقال ريشار لا قتل ولا اهانة ياجاني.وما هذه سوى الفاظ فارغة واشارات باطلة لا ترجمني عن غرضي . واجابت باكية انه غرض فظيع

غرض فظيع ان وصلت اليه لم	تسلم من التقريع والتأنيب
أتريد تطليقي كأني لم اكن	ادعوك قرة ناظري وحبيبي
أتريد حرماني من السند الذي	ارجوه عند الحادث المرهوب
ونسيت ما قد كنت تبدي من رضى	وعناية بي راجياً تقريبي
هلا ذكرت مواثقاً أكدتها	لابي وامي يوم كنت خطيبي
هلا رثيت لزوجة مسكينة	محرومة من ناصر وقريب
وكفيتني نكد الحياة لانني	لا استحق مرارة التعذيب

فقال ريشار: ومن قال انني اعذبك ياجاني فانني لا ادع احداً يعرف بامر طلاقك وان كنت تخافين تشهير المحكمة وتفاصيل المحاكمة فاعلمي انني لا ارفع قضيتنا الى المحكمة ابداً لان ذلك يضر بمصلحتي

فقالت وكيف اذن تريد الطلاق فانني لم اعد افهم شيئاً

فقال اننا نتفق ياجاني معاً على الطلاق ومتى رضيتِ به لم يبقَ من حاجة الى المحكمة طبقاً للقانون

فصاحت هنا جاني بغضب شديد : ماذا؟ اتحسبني لئيمة الى هذا الحد ؟ هل خطر في بالك انني اوقع من تلقاء نفسي على صك اقول فيه انني ساقطة غير اهل لان اكون زوجة السر ريشار. اذاً انت لم تعد تعرف اخلاقي . فان الدموع والمصائب قد غيرتها وجعلت في نفسي ارادة قوية قادرة على الصبر والثبات . وهذا من سوء معاملتك. هذه نتيجة عملك. فلننظر الآن من منا الاقوى . انا الضعيفة ام انت القوي ؟ ايها السر ريشار انا ارفض ما طلبت

وقد قالت ذلك برأس شامخ وصوت مرتجف من الغضب والانفعال

فبهت ريشار ثم قال بسكينة : ايتها السيدة لم اتخذ معك الى الآن غير اللين والمسالمة

فقالت بغضب : جرب غير اللين اذا اردت

فدنا ريشار منها بثبات جاش وتجهم وقال: جاني

فخطت جاني خطوة نحوه وقالت بجد وتجهم ايضاً : ريشار

فقال ويلك ايتها التعيسة أتعلمين ماذا افعل بك اذا اصررت على الرفض

فقالت ربما فطنت الى ذلك

فقال اولا ترتعدين اذاً

فقالت ارتعد ؟ ولماذا. انظر اليّ

فقبض ريشار على يدها بقوة وقال ايتها المرأة عودي الى رشدك

فجثت جاني بانكسار لفروغ غضبها وانتهائه وصاحت : آه يا رباه . فانهضها ريشار قائلاً لماذا تجثين ؟ فقالت رفقاً به يا الهي لانه لا يعلم ماذا يفعل. فهنا غضب ريشار وصاح بها : بل ادعي الله ايتها المرأة ان يرفق بكِ انتِ لانكِ احق بالشفقة مني. انا ذاهب وهذا آخر عهدي بكِ. قال هذا واندفع نحو الباب يريد الخروج. فوثبت جاني وتمسكت به وطوّقته بذراعيها صارخة ريشار ريشار بعيشك لا تذهب

فحاول ريشار التملص من ذراعيها فدفعها وهو يقول : دعيني دعيني. فقالت باكية ريشار ريشار آه لو تعلم كم احبك

فقال برهني على حبك لي بخضوعك. فقالت جاني تناجي نفسها. آه يا اماه لقد صدقت

بقولك عن اخلاقه

وكان ريشار قد سئم تعلقها به فقال : اسالكِ للمرة الاخيرة اتتركينني ام لا ؟

فاجابت المسكينة مستعطفة : حبيبي . روحي . اسمع لي

فقال ريشار بضجر بل اسمعي لي انتِ . ارضي بما طلبته منكِ . اياكِ ان تكتبي لي بعد اليوم حرفاً واحداً او يعرف احد بوجودك . اودعكِ الان

قال هذا وهمَّ بالخروج . فانطرحت جاثية ثانيةً عليه وامسكت به قائلة : لا . لا تذهب

فغضب ريشار غضباً شديداً وصاح : افٍّ من هذا الدلال . فقالت وهي ممسكة به انك لا تسافر الان ولو قتلتني

فلما رأى تعلقها به دفعها عنه دفعة شديدة بكل قواه فسقطت على الارض ورضَّ رأسها فاغمي عليها وسال دمها

وبعد ذلك خرج ريشار غاضباً وهو يقول ويل للوزراء فانني ساناقشهم الحساب على ما قاسيته من العناء في هذا المكان

(البقية للجزء التالي)

اجداد السوريين القدماء

خلاصة من تاريخ الفينيقيين

مدنهم . حكومتهم . عاصمتهم . بناؤهم قرطجنة . ديانتهم . صناعتهم . بحريتهم بضائعهم . تاثيرهم على العالم

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقه ومجارٍ حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج . تعبث بها العواصف الى آخر الربيع اما في الصيف فينضب ماؤها الا ما خزن منه في الآبار والصهاريج . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم

ارز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالقة شاطئ البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان

مدنها تتألف عن بعد على طول الشاطئ الصخري رؤوس من البحر او جزر منه تكون منها مراف‌ء طبيعية ففي هذه الموانئ اقام الفينيقيون مدنهم . فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل . وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلبون الماء في القوارب . اما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس . ولم تكن ارض هذه البلاد لتقوم باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة

الخرائب الفينيقية لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة . ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم الا في البلاد المهملة المتروكة . على ان السوريين عنوا كثيرًا بالخرائب فانتهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى وهدموا العمارات ليستعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبقَ اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر . اطلال قلما تجدي نفعًا وتأتي العلم بفوائد . وليس ما عرف عن الفينيقيين الا ما علمناه كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقيين لم تكن فينيقية مملكة قائمة براسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقلّ بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى اعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر . واذ لم يكن الفينيقيون امة حربية خضعوا لسطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية

صور كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من اهم المدن الفينيقية ضاقت على اهلها فانشئت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد اسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا وسلع العالم القديم اجمع . دعاها اشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب واوب . وطلب سليمان الى حيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس

﴿ قرطاجنة ﴾ كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطىء افريقية بالقرب من تونس بعثتهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) . ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها الا مسافة تكفي لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فاقامت هي ايضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطىء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

﴿ الجيش القرطاجني ﴾ اقتضى لقرطاجنة ان تدرّب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثمّ كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها الا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشرّدي كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملوّنة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به تخالف بزة رصيفه واسلحته . فترى فيهم النوميديين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً . كما كنت ترى فيهم الليبيين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد . وغاليين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدباً يمسكونه بكلتا يديهم . وجماعة من البالياريين مدرَّبين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . اما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن امم وربما صلبتهم اذا غُلبوا او لم يحرزوا نصراً مؤزراً

﴿ القرطاجنيون ﴾ كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من اغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهى بها الى الحكومة مسالة تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم ولما كان لهم اسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراني شعوب بربرية منشقة على نفسها مختلفة كلمتها

الديانة الفينيقية للفينيقيين والقرطاجيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر. والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت. ولكل من المدائن الفينيقية ربان. فلصيدا بعل صيدون « الشمس » وعشتروت « القمر » ولقرطاجنة بعل عمون وتانيت وللجبيل بعل تموز وباليت. ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدماً وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم مولوخ ويعتبر عدماً. وقد تنوب عن هذه الارباب اصنام ولها معابد ومذابح وكهنة يعظمون من شانهم ويقيمون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم موجدين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربين. وتعبد عشتروت ربة الصيد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويرسم بعل مولوخ في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القلز باسطاً ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالاً تسقط للحال في هاوية من نار. وقد قدَّم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوخ في خلال حصار اغاتوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمون بها فكان يذبح اليهود لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبعل ملخارت من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

اشغال الفينيقيين عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام اقدامهم في بقعة ضيقة من الارض ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والطليان) عهد بركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على تجشم البحر فصح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة البيع والشراء يبتاعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد الاخرى. تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً

القوافل اعتاد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والخمر والاحجار الكريمة والماء المعطر

وحرير الصين · وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاواني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز»

بحريتهم بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باشرعة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابدًا على مقربة من الشواطىء في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال · ولقد فطر الفينيقيون على الاستخفاف بركوب اليمّ فالقوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هرقل » فيجتازون البحر المحيط الى شواطىء انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج · سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر · وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطىء افريقية الى خليج غينة · وقد كتب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع كان الفينيقيون يبتاعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاصيل · يصطادون الصدف من شاطىء بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغًا احمر وهو الارجوان · وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة ملابس للملوك والامراء · ويجلبون الفضة التي يستخرجها اهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصدير من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا اثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه ويشدونه حتى في شواطىء انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد · وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه تارة كما كان يبتاع النخاس العبيد في ساحل افريقية · اذ الشعوب القديمة كلها كانت تتجر بالرقيق · وينزلون طورًا في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال ويتقلبون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية · واذا واتتهم الحال ينقلبون قرصانًا ولا يتحامون اطالة يد التعدي على الاغيار

سرّ اختص به الفينيقيون لم يقلق الفينيقيون الأ من قيام تجارة الامم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار وتجاراتهم في الملاحة والاتجار فمن ثم كانوا يكتمون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من الاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزائر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير · وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا

التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعمد. وكانت قرطاجنة تغرق من تصادفهم التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق. حتى ان ربان احد المراكب اغرق سفينته ذات يوم عندما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

﴿ مستعمراتها ﴾ انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجة وفخار وحلي واصنام فيأتي اهل تلك البلاد بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين زنوج افريقية. فقام امثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما اقاموها في بلاد الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سيتير. والرب ملقارت كما في كورنت. ورب ذو جبهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في اقريطش

﴿ نفوذ الفينيقيين لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما اسسوا مكاتبهم التجارية الا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت مستعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن امم الشرق وكانت اكثر منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا نعاكاتها. مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

﴿ الابجدية ﴾ حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج. على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على كلمة برمتها. لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة ابسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً. فقد كتب اليهود من اليمين الى

الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف الا قليلاً . والخط الفينيقي على التحقيق اصل الابجديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي واتروسكي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة (المقتبس)

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

ترجمة جمال الدين الافغاني

الذي تنسب اليه يقظة مصر والشرق الادبية

بقلم تلميذه العلامة الشيخ محمد عبده

« يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل ما رأيناه من تخالف الناس في امره وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتباين صوره في مخيلات اللاقفين لخبره حتى كانه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه او قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله والرجل في صفاء جوهره وزكاء مخبره لم يصبه وهم الواهمين ولم يمسه حزر الخراصين وانا نذكر مجملاً من خبره نرويه عن كمال الخبرة وطول العشرة

هذا هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الافغان ينمى نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين ابن علي ابن ابي طالب كرّم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة * كنر * من اعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة ايام ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادة على جزء من الاراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جد الامير الحالي وامر بنقل ابي السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل

« ولد السيد جمال الدين في قرية (اسعد آباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفي السنة الثامنة من عمره اجلس للتعلم وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرته واشراق في قريحته وذكاء في مدركته فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهايتها · تلقى علوماً جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان و بيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح · اخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سنة وبضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة واتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو يتنقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها في سياحته واكتنه اخلاقهم واصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ولما زحف الامير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان احمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى ان توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلاً · وتقلد الامارة ولي عهدها شير علي خان سنة ١٢٨٠ واشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً من هو اكبر سناً منه ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وأبوهم للفساد طلباً للاستبداد بالامارة · وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد اعظم ومحمد اسلم ومحمد امين · وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم فلما احسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير اسرعوا الى الفرار وتفرّقوا الى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل ابيه ليعتصم بمنعته فيها وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية · وبعد مجالدات عنيفة عظم امر محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن (الامير السابق) وتغلبا على عاصمة المملكة وانقذا محمد افضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه اميرًا على افغانستان ثم ادركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد اعظم خان وارتفعت منزلة الشيخ

جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها (على خلاف ما تعوده امراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم) وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد اعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته حمله على تفويض مهمات من الاعمال الى ابنائه الاحداث وهم حلو من التجربة عراة من الحنكة فساق الطيش احدهم وكان حاكماً في قندهار على منازلة عمه شير علي في هرات ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجراءة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي واخترق بها صفوف اعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي فوجد ذلك الغر المتهور منقطعاً عن جيشه فكرّ عليه واخذه اسيرًا فتشتت جند قندهار وقوي الامل عند شير علي فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شير علي وبذلوا له قناطير من الذهب ففرّقها في الرؤساء والعاملين لمحمد اعظم فبيعت امانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى (وعاد الى بلاده رحمه الله) وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر في مدينة نيسابور وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسه الامير بسوء احترامًا لعشيرته وخوف انتقاد العامة عليه حمية لآل البيت النبوي . الا انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا راى السيد جمال الدين خيرًا له ان يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فاذن له على شرط ان لا يمر ببلاد ايران كيلا يلتقي فيها بمحمد اعظم وكان لم يمت فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة اشهر فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها ولم تاذن للعلماء في الاجتماع عليه الا على عين من رجالها فلم يقم اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين يومًا تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسالوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحوّل عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة وبعد ايام من وصوله امكنته ملاقاة الصدر الاعظم علي باشا ونزل

منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله واقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة عجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وادبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم و بعد ستة اشهر سمي عضواً في مجلس المعارف فادى حق الاستقامة في ارائه واشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه ومن تلك الطرق ما احفظ عليه قلب شيخ الاسلام لتلك الاوقات حسن فهمي افندي لانها كانت تمس شيئاً من رزقه فارصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقي فيها خطاباً للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فالح عليه تحسين افندي فانشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل القائه وعرضه على وزير المعارف وكان صفوت باشا وعلى شرواني زاده وكان مشير الضابطية وعلى دولتلو منيف باشا ناظر المعارف وكان عضواً في مجلس المعارف واستحسنه كل منهم واطنب في مدحته

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة واعيان اهل العلم وارباب الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة والقى ما كان اعده وارسل حسن فهمي افندي اشمة نظره في تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقاً ولكن كان الخطاب في تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حيّ وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي من المنفعة في المعيشة ما يؤديه العضو في البدن فشبه الملك مثلاً بالمخ الذي هو مركز التدبير والارادة . والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين ومضى في سائر الصناعات والاعضاء حتى اتى على جميعها ببيان ضاف واف ثم قال هذا ما يتألف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم اما النبوة وإما الحكمة ولكن يفرق بينهما بان النبوة منحة الهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالاته . اما الحكمة فما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات وبان النبي معصوم من الخطأ والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه . وان احكام النبوات آتية على ما في علم الله لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فالاخذ بها من فروض الايمان اما اراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها الا من باب ما هو الاولى والافضل على شريطة ان لا تخالف الشرع الالهي . هذا ما ذكره متعلقاً بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الا ان حسن فهمي

افندي اقام من الحق باطلاً ليصيب غرضه من الانتقام فاشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة واحتج لتثبيت الإشاعة بانه ذكر النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة (وهكذا تكون حجج طلاب العنت) ثم اوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكروا ذلك محفوفاً بالتفنيد والتنديد فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمي به ورأى ان ذلك لا يكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام (وكيف يكون ذلك) واشتد في طلب المحاكمة واخذت منه الحدة مبلغها واكثرت الجرائد من القول في المسالة فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ومنها اعوان لشيخ الاسلام فاشار بعض اصحاب السيد عليه ان يلزم السكون ويغضي على الكريهة وطول الزمان يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف اثرها فلم يقبل ولج في طلب المخاصمة فعظم الامر وآل الى صدور امر الصدارة اليه بالجلاء عن الاستانة بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء . ففارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوباً لحدته وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في اول محرم سنة ١٢٨٨ هذا مجمل امره في الاستانة

مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام واجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلاً اكرمته به لا في مقابلة عمل واهتدى اليه كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فاورى واستفاضوا بحره ففاض دراً وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الاعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم يذهب الى الازهر مدرّساً ولا يوماً واحداً . نعم كان يذهب اليه زائراً واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الاخذ عنه واعجبوا بدينه وادبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكري وخيري باشا ومحمد باشا سيد احمد على ضعف فيه ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فاما

ساجعون في المراسلات الخاصة واما مصنفون في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها

ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم واغلبهم احداث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من اخذ عنه او عن احد تلامذته او قلد المتصلين به ومنكر ذلك مكابر وللحق مدابر ٠ هذا ما حسده عليه اقوام واتخذوا سبيلاً للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية اخذاً يقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ اما الثابتون في ايمانهم فلهم النظر في علوم الاولين والآخرين من موافقين لمذاهبهم او مخالفين فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة في دينهم وقوة في يقينهم ٠ ولنا في ائمة الملة الاسلامية الف حجة تقوم على ما نقول ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما اودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل واذاعوا ذلك بين العامة ثم ايدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون في النقل عنه ولا يشعرون غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شانه في ارتفاع والقلوب عليه في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر حضرة خديويها المغفور له توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا ان بعض المفسدين ومنهم (مستر فيفيان) قنصل انكلترا الجنرال سعي فيه لدى الجناب الخديوي ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوي عليه فاصدر امره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر آباد الدكن وفيها كتب هذه الرسالة في نفي مذهب الدهريين ٠ ولما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دُعي من حيدر آباد الى كلكته والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى امر مصر وتطفأت الحرب الانكليزية ثم ابيح له الذهاب الى اي بلد فاختار الذهاب الى اوربا واول مدينة اصعد اليها مدينة لوندره اقام بها اياماً قلائل ثم انتقل عنها الى باريز واقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات وافيناه في اثنائها ٠ ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشىء جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ايدها الله سألني ان اقوم على تحريرها فاجبت ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً وقد اخذت من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ما لم ياخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه وذلك لخلوص النية في تحريرها وصحة المقصد في تحبيرها ثم قامت الموانع دون

الاستمرار في اصدارها حيث أقفلت ابواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية في اعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقيماً في اوربا اشهرًا في باريز واخرى في لوندره الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

اما مذهب الرجل فحنيفي حنفي وهو وان لم يكن في عقيدته مقلدًا لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم وله مثابرة شديدة على اداء الفرائض في مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه في مصر ايام اقامته بها ولا يأتي من الاعمال الا ما يحل في مذهب امامه فهو اشد من رأيت في المحافظة على اصول مذهبه وفروعه اما حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها احد يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله

اما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه افكاره واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما اصابه من البلاء اصابه في سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شانه وللدين الحنفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول شرحها

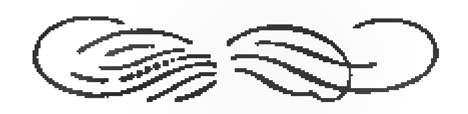
اما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها. لهذا الرجل سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له. وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها. كل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه. واذ تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها. ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع كأن ذهنه عالم الصنع والابداع. وله لسن في الجدل وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه فيها احد الا ان يكون في الناس من لا نعرفه. وكفاك شاهدًا على ذلك انه ما خاصم احدًا الا خصمه ولا جدله وعالم الا الزمه. وقد اعترف له الاوربيون بذلك بعدما اقرّ له الشرقيون. وبالجملة فاني لو قلت ان ما اتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدّر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

اما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته وله حلم عظيم يسع ما شاء الله ان يسع الى ان يدنو منه احد ليمسّ شرفه او دينه فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب. فبينما هو حليم أوّاب اذا هو اسد وثّاب. وهو كريم يبذل ما بيده قوي الاعتماد على الله لا يبالي

ما تأتي به صروف الدهر عظيم الامانة سهل لمن لاينه صعب على من خاشنه طموح الى مقصده السامي الذي قدمناه اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيرًا ما كان التعجل علة الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بعظائم الامور عروف عن صغارها شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه الا انه حديد المزاج وكثيرًا ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة الا انه صار اليوم في رسو الاطوخاد وثبات الاقتاد لخور بنسبه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لايعد لنفسه مزية ارفع ولا عزًّا امنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر وبالجملة ففضله كعلمه والكمال لله وحده

اما خلقه فهو يمثل لناظره عربيًا محضًا من اهالي الحرمين فكأنما قد حفظت له صورة آبائه الاوّلين سكنة الحجاز حماه الله . ربعة في طوله وسط في بنيته قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه عظيم الراس في اعتدال عريض الجبهة في تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل في النظر هش بش عند اللقاء قد وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه

بقي علينا ان نذكر له وصفًا لو سكتنا عنه سألنا عن اغفاله وهو انه كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المتنزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجلسه في تلك المواضع لا يخلو من الفوائد العلمية فكان بعيدًا من اللغو منزهًا عن اللهو وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وارباب المقامات العالية واهل العلم . وهذا الوصف ربما عدّه عليه بعض حاسديه لكن الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واي غضاضة على المرء المؤمن في ان يفرج بعض همه بما اباح الله له



اقتفاء الاثر
LA PISTE

رواية غرامية اجتماعية عائلية تاليف ساردو
تذكار من سياحة صاحب الجامعة

﴿المؤلف﴾ فيكتوريين ساردو هو اشهر مؤلفي الروايات التمثيلية الفرنسوية اليوم اذا وضعنا الشاعر ادمون روستان مؤلف (الاكاون) جانباً . وهو شيخ يربي عمره على السبعين وقد صرف حياته في هذا الفن وجعلته مكانته فيه رئيساً لجمعية مؤلفي الروايات التمثيلية. والمشهور ان جميع الملاعب التمثيلية في جميع العالم المتمدن تنسج على منوال الملاعب الفرنسوية وتنقل رواياتها لان الفرنسويين مشهورون وممتازون بالفنون الجميلة وسلامة الذوق فيها كما هو معروف

﴿الرواية﴾ فلما وصلنا الى فرنسا كان من جملة الامور التي عزمنا على درسها فيها بتدقيق وامعان ملاعبها وممثلوها لاننا ممن اشتغلوا بوضع الروايات التمثيلية ولنا في جوق الشيخ سلامه روايتان (البرج الهائل) و (ابن الشعب) فعلمنا حين وصولنا الى مرسيليا ان ساره برنار الممثلة المشهورة غائبة في الولايات المتحدة ولكن مناظرتها (ريجان) تمثل تلك الليلة في مرسيليا رواية La Piste للمؤلف ساردو. فابتعنا احدى اوراق الدخول ودخلنا الى مرسح غاص باكابر سكان مرسيليا. ولا تسل عن جمال المكان والسكان

وكنا قد قرانا هذه الرواية في مقالات الناقدين الفرنسويين حين ظهورها في العام الماضي فلما شهدناها لم تكبر ولم تصغر في عيننا بل رأيناها كما هي لان نقدة الفرنسويين يحسنون تلخيص ونقد المواضيع

واليك موضوع الرواية

تزوج رجل بمطلقة وهي سيدة جميلة من سيدات باريز الجميلات في ذات

يوم بينما كان يبحث في (درج) عثر على رسالة الى امرأته من عاشق لها· والرسالة تدل على ان زوجته قد خانته الخيانة الكبرى· فلما رأى ذلك طار صوابه وهمَّ بطلب الطلاق· وكانت امرأته تحبه حباً حقيقياً وهو يحبها كما تحبه· فتوسط في الامر بعض الاهل فاعترفت الزوجة بان ذلك الامر وقع على زمن الزوج الاول والرسالة من ذلك التاريخ فلاحق للزوج الثاني اذ يناقشها الحساب عما سلف في زمن سلفه· فسألتها احدى صديقاتها ولماذا فعلتِ ذلك فاجابتها هذا الجواب النسائي البسيكولوجي الصحيح : كنتُ متضجرة فاتخذتُ خليلاً · وقد صدقتْ فليس شيء كالضجر يفسد قلوب النساء· فذهبت السيدة المتهمة وصديقة لها الى زوجها الاول ورجت منه ان يشهد بوقوع هذا الامر قبل زواجها الثاني اذا سُئل عنه· تعني ان يشهد انه وقع على زمنه· فاستقبلها الزوج الاول باشاً ضاحكاً ووعدها بهذه الشهادة وهو يظن انها لم تطلبها منه الا تخلصاً من الطلاق· اما الزوج الثاني فانه سار يقتفي اثر الرسالة لمعرفة تاريخها الحقيقي وذلك ليعلم أكان الامر في زمنه ام في زمن الزوج الاول· والتقاء الزوجين في احد الفصول غاية في المجون والاستهزاء· واذا كان الحاضر متزوجاً فانه يشمئز من الزواج واذا كان عازباً فانه يكرهه ويحمد الله على انه ليس له زوجة تخونه وهذا عيب في الرواية لانها تنفر الناس من الزواج· ولكن عذر المؤلف انه يصوّر الحياة كما هي لا كما يجب ان تكون وهو ما يسمونه الروايات الاجتماعية الاخلاقية· وبعد ان بحث الزوج الثاني كثيراً في اثر تاريخ الرسالة تعترف الزوجة ان الجريمة وقعت في فندق صغير في اطراف باريز· فيهرع الجميع الى الفندق للاطلاع على تاريخ اليوم في السجل· فيلتقي عند الفندق الزوج الثاني وزوجته والزوج الاول وبعض الاهل ويأتي ايضاً قريب للزوج الاول وهو ابن اخيه على ما نظن· فلما ينفرد الزوج بزوجته تبكي الزوجة وتقول له انني احببتك بكل جوارحي وكنت امينة

لك بكل قوى نفسي وانظر كيف تعاملني · انك عند اول شبهة تطرحني على قارعة الطريق · فقال لها اذا كان ما تقولين حقاً من ان الامر وقع في زواجك الاول فلماذا لم تطلعيني عليه حين زواجنا فان ذلك كان من واجباتك · فاجابته هذا الجواب النسائي : لماذا اعكر صفو فكرك وحبك اني كذبت كذبة قصدت بها راحتك وهناءك · ففي الكذب ما ينجي ويريح · قلنا وهذا قول لا يرضى عنه فلاسفة العمران وعلماء الآداب اذا رضي عنه مؤلفو الروايات

والحاصل انهم يكتشفون في الفندق ان الجريمة حصلت في زمن زواجها الاول فيتنفس الزوج الثاني الصعداء ويقبلها من فرحه · ويظهر ان شريكها في الجريمة ابن اخي الزوج الاول فلما يعلم زوجها الاول ان الجريمة كانت حقيقية في زمنه يغضب غضباً شديداً ويمسك بابن اخيه · وتختم الرواية بكلمة دقيقة معناها ان الانسان خاضع للوهم على الدوام ·

وكأن جميع مغزى الرواية في هذه الكلمة · والرواية كلها انما هي تهكم واعتراض على الطلاق كما رأيت · فان الزوج الثاني لم يعتبر الفاحشة فاحشة لوقوعها في غير زمنه والمرأة من حقها ان تقول له : كنت امينة لك فليس لك حق في ان تسألني عما وقع مع غيرك

﴿ريجان وساره﴾ وبعد التمثيل القت ريجان نوادر وفكاهات على الحاضرين فضحكوا كثيراً لحركاتها ومزاحها · ولكنها تهكمت على ساره برنار كثيراً في خلال هذه الفكاهات وقلدت كلامها لتضحك الناس منها · وعذرها في ذلك انها تهكمت هي نفسها على نفسها في بعض تلك الفكاهات ولكنها لم تضحك الناس منها الا قليلاً واضحكتهم من سارة كثيراً · وبالاجمال انا وجدنا ريجان تمثيلاً والقاء وتاثيراً دون شهرتها

الشيخ محمد عبده والجامعة

بعد المناظرة

وقبل وفاة الاستاذ بعام ذهب في الصيف الى بلاد الانكليز ومن هناك عرج على الجزائر وتونس فلقي في بلاد انكلترا والاقطار التونسية والجزائرية من الاجلال والاكرام ما لا يلقاه الا العظماء والامراء . وقد استقبله علماء الانكليز واساتذتهم استقبالاً يفوق استقبالهم استاذه جمال الدين الافغاني . لان الاستاذ المفتي سار اليهم وهو لا يحمل فقط قبس العلم الشرقي بل كان يحمل ايضاً وظيفة الافتاء الكبرى للمسلمين في جميع الاقطار

وقبل عودته من سياحته هذه اذاع بعض مناظري « الجامعة » في مصر في الصحافة المصرية انه قبل وصول المفتي الى الجزائر وتونس أُرسلت وشايتان من مصر الى حاكم الجزائر في حق فضيلته واحدة من مصر « وواحدة من الاسكندرية » ومضمونهما تحريض حاكم الجزائر الفرنسوي على الشيخ محمد عبده بتهمة انه صديق للانكليز وانه في سياحته هذه في المستعمرات الفرنسوية سيبشر نفوذهم و ينفر الجزائريين والتونسيين من الحكم الفرنسوي و يدعو الى عصبة عربية لمقاومتهم . وقد نشرت احدى الجرائد السورية المصرية اليومية الكبرى يومئذ هذا الخبر كما اذاعه مناظرو الجامعة . فعلمت من قولهم « وواحدة من الاسكندرية » انهم يعنون به « الجامعة » وبما ان نفسي لا تشمئز من شيء في الدنيا اشمئزازها من تهمة الوشاية والسعاية رأيت من واجباتي بعد عودة المفتي من تونس ان اكتب اليه الكتاب التالي . ونسخ الكتب التي كتبتها لفضيلته مكتوبة عندي بقلم رصاص وقد غاب معظم الكتابة الآن

« لحضرة الاستاذ الكريم فضيلتلو الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية المحترم نفعنا الله بعلمه

« بعد ان اهنئكم بالعودة سالمين من سياحتكم ارجو ان يكون الزمان ومداخلة اصحاب الاغراض لم يغيرا ما أفتخر به من ودادكم لي وللجامعة . واغتنم هذه الفرصة لاستاذن فضيلتكم في نقل درسكم البليغ الذي ينشره المؤيد في « العلم والتعليم » (١) الى صفحات الجامعة مع الالمام بشيء من سياحتكم في المغرب التي فيها شرف للشرق . ولي في ذلك غرضان الاول

---

(١) هو الدرس الذي القاه الاستاذ في جامع تونس الكبير بطلب بعض علمائها الافاضل

الدلالة على بقاء المجلة على الاخلاص لفضيلتكم مع كل ما وجه اليها من السب والقذف وتعمد الضر. والثاني لكي تعلموا فضيلتكم انما نشره « فلان » عن ارسال وشايات بسيادتكم الى الجزائر واحدة من مصر « وواحدة من الاسكندرية » هو اولاً نقض للعهد (١) وثانياً اختلاق محض يظن انه خدمة لفضيلتكم مع انه مضر باسمكم الجليل الذي صار اليوم يضره المدح بصورة كهذه الصورة لانه يدل القارىء على وجود خصوم له ينكرون عليه فضله. وغني عن البيان انه لو « أرسلت رسالة وشاية في فضيلتكم من الاسكندرية » لما تسنى « لفلان » ان يدري بها لان رئاسة غرفة حاكم الجزائر الوطنية مشتركة في الجامعة والرسائل بينهما لا يطلع عليها احد. ولم اذكر ذلك لتبرئة الجامعة لديكم من كذب عليها لانكم تعلمون فضيلتكم ان الخصوم الكرام لا يتسفلون الى هذه الدركات بل اذا ارادوا سوءاً جهروا به وطعنوا في الصدور لا في الظهور. ولكن ذكرته لعله يكون في هذا الحادث ما يجعل « فلاناً » يرعوي قليلاً ويفيق من نشوته. وانا في كل حال من اخلص الناس لفضيلتكم واعرفهم بفضلكم »

وكان هذا الكتاب اول خطاب بيننا بعد المناظرة. فاجاب فضيلته عليه بالكتاب التالي :

« الآن وصلني رقيمك واشكرك على التهنئة وعلى الميل الى استدامة الصلة. واحب ان تعرف ان ما يسمى وشايات لا سلطان له عليّ واني لا آخذ بالكلمة تلقى اليّ الا اذا قام عليها من الادلة ما يحصل اليقين. ثم ان قلبي لا يسع ما يسميه الناس عداوة وليس فيه مكان لذلك. ولكن قلبي قد يحتقر ما لا قيمة له. احياناً يظهر ما يجد من ذلك واحياناً لا يبالي باظهاره ولا كتمانه. وما ذكرتَ مما ذكر « فلان » لم اطلع عليه او لم التفت اليه ولا وقت عندي لتحقيقه على انه ان لم يكن فيه الا « وواحدة من الاسكندرية » فليس فيه لا تلميح ولا تصريح بذكرك فلم حملته على نفسك. على اني قد علمت حق العلم ان وشاية او تقريراً او ما شئت فسمه ذهب من الاسكندرية الى الجزائر ولكنك لم تخطر ببالي عندما تحققت ذلك فلم تسيء الظن لمجرد ذكر لفظ يشمل مدينة بتمامها فيها من يشتغل بهذه السفاسف كثير لا يليق بهم ان يكونوا في عمل مثل عمل مجلتك

« وانك لو راجعت دفاتر اعمالك لوجدتَ من اكبر ما يصح لقلبي ان يتأثر له ذلك

(١) اي العهد الذي أُبرم بالخروج من المناظرة واقفال بابها بين الجامعة ومناظريها

المطبوع «١» الذي ارسلته الي وبعثت به الى (فلان) «٢» ولكيلا يبق منه اثر في نفسي لم أبقِ له اثرًا عندي. وعلى كل حال فلا تجعل لهذه الامور سلطة على نفسك ولا اظن ان عنفوان الشبيبة يمنعك من بذل الجهد فيما احب لك ولكل من يعمل عملاً يرجى منه الخير ويخشى منه الشر في الشرق

«اما ذكرك لجمل ما القيته في تونس فاليك من ذلك ما تحب غير اني اوجب ان ينسب الى جريدة (الحاضرة) التي تنشر في تلك المدينة لامرين الاول انه من حقها والثاني انه بعبارة صاحبها وفيها ما لا يصدر من قلمي العربي عادة. واذا اشرت الى شيء من سياحتي فليكن بعد تحري ما تعلم من ذلك»

فانت ترى ان الاستاذ رحمه الله وضع في جوابه خلاً وخمراً. وقد ابتسمت لما قرأت قوله فيه عن (عنفوان الشبيبة) مع ان الجامعة كانت مدافعة لا مهاجمة ولم يبدر من قلمها كلمة خارجة عن حدود الادب. ولكن المناصب العليا تصيب اصحابها بنوع من الدوار كما يقول الفرنسويون في امثالهم فاذا آنسوا اقل جراءة وثبات جاش من احد عدوه تحاملاً وتهجماً عليهم. ولكني اذا كنت قد ابتسمت لعبارة الاستاذ في (عنفوان الشبيبة) فانني استأت حقيقة من كلمة وردت في السطر الرابع. فاجبته بالحال بالجواب التالي

«مولاي الاستاذ

«تناولت كتابكم بسرور واني اشكر لفضيلتكم ما ورد فيه على انه ظهر لي من بعض عبارات اقبلها رغماً عني احتراماً لكم ان الزمن الذي ستنصفون فيه الجامعة فيما يختص بالحوادث الماضية لم يحن بعد (ثم بعد كلام طويل ورد فيه شرح الاسباب التي اوجبت على الجامعة الدخول في هذه المناظرة) هذه عبارات وجدت من واجباتي ان اعرضها على فضيلتكم

---

(١) يريد المنشور الذي لم يوزع وقد ورد ذكره في آخر المقالة السابقة في الجزء السابق

(٢) لم ترسل المنشور الى فضيلته رأساً ولكن كاتب ادارة الجامعة كتب بتوقيعه كتاباً الى سكرتير المفتي يقول له فيه ان يبلغ فضيلته المنشور حسماً للنزاع اذا كان فضيلته يروم ايقاف توزيعه على الشرط الذي تقدم ذكره. وفضيلته لم يرسل المنشور الى «فلان» لان سعادته الح ضاحكاً بطلب نسخة منه ليقف عليه فلو أرسل الى سعادته لما طلب من الجامعة نسخة منه

بعد تشرفي بقراءة كتابكم وانا على يقين من انكم « تحتقرون » الجامعة حقيقةً اذا لم تصدر عنها بعده. واذا كانت فضيلتكم حتى الآن لا تعتقدون بحسن نيتي من جهتكم وحرصي على ودادكم في كل ما جرى فانني اضيع وقتكم عبثاً واخطب ودادكم على غير جدوى

« اما ما تفضلتم بذكره بشأن « رسالة الاسكندرية » فانني اشكر فضلكم عليه. ولكن انكار فلان انه لا يعني الجامعة لا يمنع انه كان يقصدها لان الناس فهموا ذلك من كتابته وقد سألني ثلاثة من الاصدقاء عن ذلك عند قراءتهم الخبر في جريدة « كذا » « احدى الجرائد اليومية » وهذا من قبيل قوله حيناً بعد آخر « تلك المجلة البروتستنتية » يعني مجلة للبروتستنت يناظرها وتناظره وغرضه من ذلك ان يوهم السذج انه يقصد الجامعة وهو لا يقصدها في الحقيقة. وأرجو من فضيلتكم ان تسمحوا لي ان اقول ان اكابر المسلمين المتقدمين كانوا يجتذبون القلوب الى الاسلام بمكارم الاخلاق وحسن السيرة والسريرة. « وهذا الاسلام » الذي يتحذ الفضائل الخلقية مناراً له وكل دين يحذو هذا الحذو انما نعشقه نحن معاشر طلاب الحقيقة بالعقل دون سواه لانه انما يكون مبنياً على الطهارة القلبية المطلقة. ولكن متى خرج عنها بالافتراء والمواربة فان ذلك يكون داعياً الى تنفير الناس منه بدل اجتذابهم الى مبادئه »

فيظهر ان الاستاذ اراد ان يزيل من نفسي اثر كلمة وردت في كتابه الاول فاجاب بكتاب آخر رفع به الكلمة المقصودة ولكنه غمز ولكز بكلام غيرها وهذا كتابه بحرفه

« حضرة الفاضل

« لو احتقرتك ما كتبتُ اليك كلمةً وانك لتسيء الظن بنفسك اكثر مما يسيئه غيرك وكنت اود لو كنتَ لنفسك افضل مما انت لها اليوم ولكن اللهم عرّفنا باقدار انفسنا فذلك اللهم انفس ما تعطي وافضل ما تهب »

فاجبته بالجواب التالي

« مولانا الاستاذ

« زادت ممنونيتي لفضيلتكم بعد ان علمت من كتابكم الاخير انكم لا تريدون بالكلمة الواردة في كتابكم السابق سوءاً بهذا الداعي وهذا ما كنت انتظر من فضيلتكم ايضاحه «١»

---

(١) لما كتبت هذه العبارة ترددت في كتابتها لانها تجعل كتابه الاخير عبارة عن اعتذار

فان مولانا الاستاذ هو اليوم امير الفكر الشرقي والمفكرين . والامراء والملوك يكونون على الدوام فوق الاحزاب لانهم يحسبون الجميع رعية لهم وعليهم العدل والمساواة بينهم . فاذا حدث ما يسوءهم من احدهم كان لهم فضل تناسي ما مضى مرة واحدة وطمره لا نبشه بالعودة اليه لان نبشه يدفع كل واحد الى التمسك بحقه ليكون مستريح الضمير مع نفسه . وعندي ان الاستاذ اذا راى من بعض تلامذته ومريديه كهذا الداعي شيئاً من الاباء عن الضيم وان كان الضيم في عبارة واحدة او عبارتين فقط فانه يحق له ان يسر بذلك لما يشاهده من آثار دروسه في نفوس الناس وانتفاعهم بها . فياليت مولانا الاستاذ اوّل كتابي الماضي هذا التاويل بدل التاويل الذي ورد في كتابه

« واني في كل حال شاكر لفضيلته عنايته والتفاته الى هذا الداعي وتشريفي بكتابيه واسأل فضيلته المعذرة لاشغالي وقته الثمين بهذا الموضوع والسلام باحترام »

ثم مرّت شهور على هذين الكتابين وظهر لنا انهما تركا في نفس فضيلته شيئاً من الاستياء لان فضيلته لم يتعوّد قط ان يقابل من احد بلهجة كهذه اللهجة . فان التمليق سائد على الاخلاق في الشرق ومتى ارتفع شخص انحنت امامه الهام ورُفعت اليه الصلاة والصيام . واذا كان كالاستاذ ممن يضرون وينفعون ويخفضون ويرفعون فانه لايجد امامه الا قوماً يتملقون ويستجدون . ولكن الاستاذ رحمه الله كان ذا نفس كبيرة تفهم العواطف الكبيرة ولذلك كان استياؤه من الجامعة ممزوجاً على الدوام بالميل اليها تفضلاً منه وكرماً . أضف الى ذلك انه كان رحمه الله يرعى شهرته واسمه رعاية شديدة وكان يعلم ان للصحف تأثيراً شديداً في هذا الشان فكان يبذل جهده في مسالمتها واتقاء اذاها . وكنا لا نجهل عواطفه هذه فرغبة في ازالة كل اثر سيء للكتابين من نفسه اغتنمنا فرصة سنحت لاستفتائه في موضوع اسلامي اجتماعي هام فبعث فضيلته الى الجامعة بفتوى رسمية موقعة كذا (محمد عبده مفتي الديار المصرية) وسنشرح هذا الموضوع الهام وملخص فتوى الاستاذ في الجزء التالي

مراقب الجامعة

كتب صاحب الجامعة قبل انتقاله من مصر الى نيويورك فصلاً بشأن مجلة السيدات وهذه صفحة منه

« واذا كان احد يخسر في هذا الانتقال فهو انا. ولست اريد بذلك انني افقد الوطن والاهل والخلان فقد تكلمت عن خسارتي هذه باسف وكآبة في المنشور الملحق بهذا الجزء . وانما خسارتي التي اريد ان اشير اليها هنا في صدر مجلة السيدات هي فراق شقيقتي صاحبة المجلة .

« ان بعض ذوي الصحف والالسنة المازحة الذين لا يعرفون صاحبة المجلة ضايقوها في المدة الماضية باشاراتهم تلميحاً او تصريحاً الى انني انا الذي اتولى تحرير المجلة برمتها وان صاحبتها ليس لها شيء فيها غير الاسم كما كان ذلك لبعض من تقدمنها من الكاتبات العربيات . وقد كانت هذه التهمة تؤلمها في بدء الامر ثم تعودت عليها . فنعم انا اساعد صاحبة المجلة في ترتيب المواد وتنقيحها وكتابة الفصول الموقعة بهذه العلامة *** اي ثلاثة انجم كما يعلم قارئات هذه المجلة . ولكن الذين يذكرون مساعدتي هذه لها لا يعلمون انني مديون لها بمساعدة ان لم تكن اكثر منها فمثلها . فليعلموا الآن انني لم اطبع سطراً حتى هذا اليوم في الجامعة وكتبها الا بعد ان اطلعت عليه ونظرت فيه . وكم من مرة في المناظرات الصعبة والمواقف المخيفة غيرت عزمي من شيء الى شيء . واقرب مثال لذلك منشور الجامعة الذي في هذا الجزء . فانني كتبت اولاً نصفه بطريقة غير هذه فلما اطلعت على بعضه لم يعجبها ما جاء فيه فقالت . لا ريب عندي في انك ستغيره . فضحكتُ لبراعة هذا الطلب . وفي كل يوم كانت تقول لي لحقي على تغييره . لا ريب عندي في انك ستغيره . ففي ذات يوم كان دماغي صافياً ونفسي ساكنة فقرأت المنشور فشعرت بانها مصيبة في ملاحظتها . ولكن عزة نفسي ككاتب بقيت متمسكة به . ولكي اوفق بين اقناعي الاخير وتلك العزة الكاذبة اغتنمت ساعة استيائي من امر وكان المنشور في يدي فمزقته بغضب . وبذلك اضطررت الى كتابته مرة اخرى بخطة وافكار لا اندم عليها في المستقبل . والآن اشعر انني احسنت في ما فعلت وان الفضل في ذلك لها . وما برح هذا تأثير الجنس اللطيف علينا نحن معاشر الجنس الخشن

هذه هي الخسارة التي خسرتها الآن وان كانت وقتية . ولقد كانت تقول مازحة في

كل فرصة: ليس المراقب في بيروت فقط بل هنا مراقب ايضاً . فالجامعة الآن انتقلت الى نيويورك دون مراقبها . فعسى ان لا تكون خسارتها هذه مما يشعر به قراؤها

« ثم اني اذكر خسارة اخرى . انني لا انسى ابداً في كل حياتي لطف معاملات مشتركات المجلة . فان جميع رسائلهن الى المجلة كانت تمرّ في يدي فاقرأ فيها آثار الرقة واللطف واقلب نظري باسماً مسروراً بين عواطفهن وافكارهن اللذيذة (١) والطف واوقع من هذا عندي كان زيارتهن للادارة ليدفعن قيمة الاشتراك في المجلة ومباحثاتهن في مواضيعها . لا ريب في ان لهذه الصناعة التي نشتغل بها مآزق ومصاعب اكثر من كل صناعة اخرى . ولكن لها ايضاً في مقابلة ذلك من عناية ووداد الناس وخصوصاً الجنس اللطيف ما يسر ويعزي اكثر من كل صناعة غيرها »

---

(١) يظهر ان لهذه الخسارة عوضاً فان بعض سيدات نيويورك اللطيفات يزرن ادارة الجامعة فيها للاشتراك في الجامعة او في مجلة السيدات وبعضهن حتى من اميركا الجنوبية يكتبن الى مجلة السيدات ويرسلن رسائلهن بواسطة الجامعة في نيويورك وقد سرني كثيراً قول بعض سيدات نيويورك ان الجامعة تحت رعايتهن وحمايتهن . وقد جاء في الامثال : من كان النساء معه فالله معه

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تلقى علينا معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

داء السل ودواؤه

(نيكستون ــ اوهايو) سليمان افندي اندراوس

✹ سؤال ✹ ما هو داء السل وميكروبه واحسن دواء له وهل ينتقل ميكروب السل الى انسان لأكله لبن حيوان مصاب به او شربه من لبنه

✹ الجامعة ✹ لاحظ احد اطباء المهاجرين الافاضل كثرة داء السل بين المهاجرين وعدم معرفتهم الطرق المؤدية الى تجنبه ورد غاراته فوعد الجامعة قبل ان يردنا سؤالكم هذا بمقالة مسهبة في هذا الشان . ولا شك انه ينفعهم بها نفعاً يستحق عليه منهم كل شكر وثناء ولذلك لا نسهب في بيان حقيقة هذا الداء وطرق التوقي منه فقد قيل (اعطِ القوس باريها) واصحابنا الاطباء اولى الناس بالبحث في هذه المباحث . وفضلاً عن هذا فان صحة المهاجرين وسلامة ابدانهم مطلوبة عرفاً ان لم يكن شرعاً من اطبائهم الذين تبعوهم الى هذه الديار . والجامعة تفتح صدرها لهم لنشر كل ما يرون نشره واجباً لخدمة المهاجرين صحياً وهيجينيا . وما عرفناه من همة اطبائنا وغيرتهم على بني وطنهم في هذه البلاد يجعلنا نؤمل منهم القيام بوظيفتهم هذه خير قيام

فنكتفي اذاً الآن بان نجيبكم على سؤالكم جواباً مقتضباً فنقول

ميكروب السل منتشر في كل مكان في الشوارع والاسواق والمخازن والغبار المنتشر على الارض وفي الهواء . ذلك ان المسلولين يبصقون على الارض وتجف نفثاتهم في الغبار فتنتشر معه . ولهذا احسنت اميركا كل الاحسان بان تقدمت جميع امم الارض بتقريرها منع البصق في المركبات العمومية . وقد فرضت عقاباً شديداً على ذلك حتى اننا قرانا في سياحة احد السياح انها فرضت عقاب خمسمائة دولار على من يبصق في بعض الاماكن . ولكننا لما قدمنا الى هنا راينا انهم مع ذلك يبصقون ولا محاسب . ومما احسنت فيه ايضاً وضع

مباصق خصوصية في المخازن والمنازل والاماكن العمومية والفنادق وهي عادة حميدة جدًا.
وتتذكر ان المجلس البلدي في باريز اقتدى باميركا منذ بضع سنوات فنشر اعلانًا يرجو فيه
الناس ان لا يبصقوا في الشوارع. فصوَّرت احدى الجرائد الهزلية الفرنسوية الشرطي في
السوق واقفًا امام احد المارين يقول له (لا تبصق هنا يا خواجا) فاجاب الرجل (واين
بصق اذًا أعلى راسك) والحقيقة انه في غنى عن ان يبصق على راسه اذا كان في جيبه
منديل يبصق فيه بكل ادب وبلا صوت تشمئز النفس منه

فهذا الميكروب الذي يمتزج بالغبار وينتشر معه لا يسلم منه احد منا نحن سكان المدن.
وقد فحصت جثث كثيرة للذين ماتوا فوجدت ميكروبات السل في اجسامهم ولم يكونوا
مصابين به. فالامر المهم اذًا ان يكون الجسم قويًا على الدوام ليتمكن من هضم هذه
الميكروبات وقتلها دون ان تؤثر فيه. ولكن اذا أضعف الجسم باي سبب كان (كالمسكرات
والسهر الطويل وما وراءهما من اسرار الليل والافراط في العمل والاغتمام وغير ذلك)
فالميكروب حينئذٍ يقوى على الجسم ويتمكن منه. فدارِ اذًا صحتك وتغذَّ جيدًا ونم طويلاً
وروّض جسمك كل يوم بالرياضة البدنية الشاقة في هواء مطلق نقي وعرّض جسمك لنور
الشمس في غير ايام الحر الشديد. فهذه هي الطريقة الوحيدة لقتل الميكروب الذي يتعلق
بك وانت لا تدري

اما انتقال ميكروب السل من حيوان مسلول الى انسان يأكل من لحمه ويشرب من
لبنه فامر ثبت في العام الماضي بعد ان انكره الدكتور كوخ الالماني في مؤتمر الاطباء. وذلك
ان طبيبًا فرنسويًا لقح نفسه بميكروب السل البقري ردًا على العلامة كوخ فظهرت بالحال
اعراض السل فيه وكان ذلك احسن جواب لكوخ. فالحذر الحذر من البقر المسلولة لانها
كثيرة والناس يأكلون لحم البقر كثيرًا في هذه البلاد

اما دواء السل فبسيط جدًا اذا تداركه المصاب اول اصابته. ودواؤه الراحة التامة
الغذاء الجيد القوي والهواء الجاف النقي وترك كل ما يتعب الجسم. واما الادوية والعقاقير
فهي تضرُّ المصاب ولا تنفعه كما قال كثيرون من مشاهير الاطباء. وقولهم ثقة

مسألة عائلية اجتماعية

اجوبة الاقتراح
(تابع للجزء السابق)

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما



يمكن ذلك مع الطبقة المتنورة المتمدنة العارفة ما هو التمدن الحقيقي والحرية هذا اذا كانت رابطة الحب والوداد معقودة بين الزوجين وعفة النفس وحفظ عهود الصداقة موجودتين مع ذلك الصديق . ومن الصعب عدم وقوعه بين الطبقة المنحطة التي لا تعرف من التمدن والحرية الا ظواهرها الخارجية (يعقوب نخله الحايك)

٧

المرأة لحم والرجل هرٌّ ضارٍ فلا تقربوا الهرّ من اللحم ابداً (١)

(شرقي لا يصدّق مبادىء الغرب)

---

(١) جائزة ـ عند العرب بيت بهذا المعنى وقد جعلنا جائزة قدرها خمسة ريالات اميركية لمن يبعث بهذا البيت الى الجامعة ويدل على مصدره عندهم ونرجح ان شعراء مصر قادرون على نبش هذا البيت

باب التقريظ والانتقاد

لو اردنا ان نقرظ جميع المطبوعات التي وردتنا منذ انقطاع الجامعة الى اليوم لاستغرق تقريظها جزءا بتمامه فنكتفي بجمعها والاشارة اليها في جزء تالٍ. اما الآن فنشير الى المطبوعات التي وردتنا حديثًا بعد انتقال الجامعة الى نيويورك

﴿ المقتبس ﴾ كانت مجلة المقتبس اول جريدة عربية وردتنا من مصر بعد انتقالنا منها. اما باقي الجرائد اليومية والمجلات فكانت تُرسل مبادلاتها للجامعة الى الاسكندرية ليبنما تقرر الجامعة عنوانها النهائي . ومجلة المقتبس التي نحن بصددها مجلة من المجلات المفيدة في مصر وهي ممتازة باطلاع صاحبها الرصيف جناب محمد افندي كردعلي على آداب العرب ومؤلفاتهم وشؤونهم وقلما يجاريه كاتب في هذا المضمار. ويلوح لنا انه لو كان الامر اليه لفضل الانصراف الى هذه المباحث في مجلته الغراء ولكنه يعلم ان المجلات في الشرق مضطرة ارضاء للقراء ان تخوض في جميع مباحث العلم والادب وان المجلات الاخصائية لا تقوم لقلة قرائها . وبذلك يخسر المقتبس قوة فيه كنا نود لو امكن ان لا يخسرها . والجامعة ترحب بالمقتبس ترحيبها بمجلة عاقلة وجودها يفيد وعدم وجودها يُفتقد. وكرصيفة تقدمته في تاريخ الصحافة ترجو ان تكثر في مصر المجلات التي على شاكلته بين اخواننا المصريين المسلمين لان المقتبس بروحه المعتدلة العاقلة التي اقام عليها في صفحاته حتى الان دلائل عديدة لجدير بان يكون مثالاً للمجلات والجرائد الاسلامية

﴿ الحب المكتوم ﴾ هي رواية غرامية ادبية تأليف المستر بولس لستر فور الاميركي وتعريب جناب امين افندي الغريب صاحب جريدة المهاجر وقد نشرت تباعًا في هذه الجريدة وثمن النسخة نصف ريال اميركي وتطلب من المهاجر في نيويورك

﴿ ثلاث رسائل ﴾ اهدى الينا جناب فيليب افندي فارس ثلاث رسائل (الاولى) ذكرى فريد وهي تتضمن التأبين والمراثي واقوال الجرائد وبعض آثار المأسوف عليه المرحوم فريد انطونيوس عوض وكان رحمه الله من الشبان السوريين الذين لو امدَّ الله في حياتهم لنفعوا بني وطنهم . وقد نشرت هذا الكراس جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت تذكارًا للفقيد (والثانية) مجموعة فكاهات بقلم جناب فليكس افندي فارس اهداها

الى صديقه المرحوم فريد عوض ومما قاله في المقدمة «كتبت كثيرًا يافريد وها أنذا على منحدر قمة الصبا ارى الافق لم يزل بعيدًا امامي . ونجوم آمالي تترجرج في سماء مدلهمة يغطيها سحاب الجهل في امة ما زال فيها الالمعي غريبًا. اتخطى الصراط الوعر الى شفير الهاوية بجسد نحيل يحمل ما كتبت يتاه الى حيث يسود السكون والثالثة مغني المهاجر عن السمسار وهي رسالة تفيد المهاجرين في طريقهم من الشرق الى هذه البلاد وتحذرهم من السماسرة في الطريق

☀ السوريون واتقاء الاعتداء ☀ لما حدثت حوادث العدوان والنزاع المشومة بين السوريين في هذا العام (تُذكر ولا تُعاد ان شاء الله) قررت ادارة الشرطة في نيويورك منع السوريين من حمل السلاح ولم تأذن لمن طلبوا الاذن بحمله ردًا للعدوان عنهم ايًا كان . ولكن بعض كبارهم لجأوا الى طريقة قد يستغربها المقيمون خارج اميركا. فانهم بواسطة بعض من اصحاب النفوذ حصلوا على اذن من الشرطة بحمل شارة الشرطي واذن خطي لهم بالقبض على كل من يروم الاعتداء عليهم. فبعد اخذهم هذه الشارة وهذا الاذن يحق لهم ان يقبضوا كواحد من الشرطة على اي شخص رام الاعتداء عليهم وسوقه الى محل الشرطة واذا قاومهم ومانعهم بعد ان يظهروا له الشارة المذكورة والاذن الخطي حق عليه عقاب الذي يعصى الشريعة ونظام البوليس. وهو عقاب صارم في اميركا كما هو معلوم . وهذه ثقة خصوصية من الشرطة لا ينالها الا الذين لهم نفوذ خصوصي . وقد ارانا بعض معتبري السوريين هنا شارته وهو لا يزال يحملها في جيبه كلما خرج من بيته في الليل. ولكن من حسن الحظ ان آثار النزاع القديم آخذة في الزوال والامحاء بفضل عقلاء الطوائف المختلفة الذين صاروا الآن يسدون آذانهم عن كل تحريض وتحريش . وما برحت العواطف الكريمة في المهاجرين تتغلب على العواطف الرديئة. فاننا لسنا هنا الا ابناء شعب واحد ودم واحد وامة واحدة تعيسة



الجزء الرابع السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — اول ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٦ ١٣ رجب سنة ١٣٢٤

فلسفة جمال الدين الافغاني

هل للافغاني فلسفة

قد يستغرب القارئ قولنا ان لجمال الدين الافغاني فلسفة . لان العلماء لا يسمون الرجل فيلسوفاً الاّ اذا كان صاحب مذهب خاص مبني على العلم الطبيعي انفرد به واخرجه للناس وصدقه خاصتهم . ولكن العالم النمساوي تيودور غومبز الذي وضع في هذا العام كتاباً في (فلاسفة اليونان) قال انه يسمي فيلسوفاً كل رجل مفكر في الحياة وشؤونها وكان لفكرته قوّة . ولذلك عدّ في جملة فلاسفة اليونان كثيرين من مفكريهم الذين يعدّون في الدرجة الثانية والثالثة بعد اساطين الدرجة الاولى . والافغاني رحمه الله لم يكن ذا مذهب فلسفي جديد يؤخذ منه ويؤثر عنه وانما كان طالب اصلاح ديني . ولكن القوة التي ابرزها من نفسه في مطالبته بهذا الاصلاح . والطريق الذي سلكه اليه . وتأثيره على الذين خلفوه وقرأوا عليه . وامتداد امواج الحركة الفكرية التي دفعها في حياته الى هذا الوقت بعد مماته بقوة تلامذته وعميدهم الشيخ محمد عبده — كل هذه امور تجعل له في تاريخ المشرق الادبي (مكاناً سنياً . ووساداً مثنياً) كما يقول الغزالي . وتحدو بالمفكر تفكيراً سطحياً ان يعدّه كما يقول كثيرون مصدر الحركة الاصلاحية الاسلامية الحديثة

خصلة لبني المشرق

ولبني المشرق خصلة مستقبحة وهي مـا يسميه الافرنج (داء الاشخاص) نعني انهم يقدّسون كل شخص يرتفع بجاهه او علمه او رئاسته ويحنون الهام لدى كل شيء يصدر عنه دون ان يفكروا بتمحيصه وتحقيقه . واذا خطر لاحد منهم ان يجرأ على هذا الأمر الصعب وركب هذا المركب الخشن عدّوا عمله اعتداء وتهجماً . ولا غرابة في هذا الاعتقاد لانه شيمة قوم نشأوا في الذل والصغار وعبادة الامراء والرؤساء ونتيجة (التصورات الشرقية) المشهورة عند الافرنج بكونها تكبر الصغيرة وتصغر الكبيرة . او ان شئت فقل انها نتيجة ندرة (الرجال) عندهم فاذا قام بينهم (رجل) غاروا عليه وضنوا به ضنّ الشحيح بدرهمه . وهذه الخصلة لولا ما ينشا عنها من تأخير سير العلم وعرقلة سبيل الارتقاء وخلط المبادىء غثها بسمينها وصحيحها بباطلها لما كان لاحد ان يشكو منها

فغرضنا الآن في هذه المقالات كما اعلنا في الجزء الاول ان ننظر في الفلسفة (الافغانية والعبدية (١) نظراً مجرداً بقطع النظر عما يجب علينا من الاحترام والمراعاة لرجلين كبيرين صرفا حياتهما في خدمة مبادئهما وبذلا في هذا السبيل كل مرتخص وغال حتى راحتهما وحريتهما في بعض الاحيان . ونحن نعيد هنا ما قلناه في الجزء الثاني من اننا قد نكون مخطئين في حكمنا ولكن شفيعنا سلامة النية والرغبة في تمحيص وتحقيق مبادىء يتوقف عليها حياة ام المشرق ونحن في جملتها

كتب الافغاني وعقمه

ولو كان بحثنا في مجرد حياة جمال الدين واعماله لكان هذا البحث مما يُشك في فائدته او صحته لان كل فريق يمكنه ان يؤوّل مبادىء صاحب الترجمة واعماله بحسب ما تقتضيه امياله . ولكن بحثنا هنا في مبادىء جمال الدين في كتبه . وقد قلنا كتبه ولا نظن انه ألف غير رسالته في (الرد على الدهريين) وهذا ما حمل مجلة المقتطف على ان تقول يوماً اذ سئلت لماذا لم تترجم جمال الدين الافغاني ـ انها لا تعرف شيئاً عنه لتبسط مبادئه وآراءه . وكانت لذلك العهد قد كلفت بهذه الترجمة الشيخ محمد عبده رحمه الله وكان يومئذ مستشاراً للمحاكم المصرية تخلصاً من الخوض في امور قد تعود باللائمة عليها . ولكن الاستاذ اعتذر يومئذ باعتلال صحته . ولعله كتب الترجمة التي نشرناها في الجزء السابق بعد

(١) نسبة الى الافغاني ومحمد عبده

ذلك التاريخ . او انه كتبها قبله في حياة الافغاني كما يفهم من بعض عبارات وردت فيها ولكن كره ارشاد المقتطف اليها اما لتبدل رأيه في كثير مما ارتآه فيها او مجاملة لوسط سياسي جديد كان رحمه الله بعد نفسه لان يفوز بالقدح المعلى فيه لان روح تلك الترجمة كانت ضد السلطنة الانكليزية كما يتضح لمطالعها

فما نرويه ونستدل به في هذه الفصول على مبادىء الافغاني انما هو مأخوذ بلا شبهة من مبادىء الافغاني نفسه . والكلام كلامه الا الثوب العربي الجميل الذي نسجه له محمد عبده تلميذه مترجم الرسالة التي نحن الآن في صددها لان اصلها فارسي . وجدير بنا هنا ان نستغرب عقم الافغاني الذي لم يكتب سوى هذه الرسالة الصغيرة . لان من كان بهمة كهمته . وحماسة كحماسته . واقدام على انهاض الامم الاسلاميـة في الشرق كاقدامه . يُستغرب منه ان يرضى بهذا العقم ولا يختط في كتب مخصوصة الخطة التي كان قد رسمها للشرق في ذهنه . ولكن هذه الملاحظة تعيدنا الى القول السابق من ان الناس في الشرق يقيسون كبر الشخص وصغره بمقياس فاسد . فلو كان الافغاني في الغرب لما قعد عن ان يكتب في كل عام او عامين كتاباً يبرز فيه ما تحدثه به نفسه ويجول في فكره من نتائج علمه واختباره . لان قيمة الانسان هناك (١) ما يحسنه ويبرزه من آثار القوة والنشاط والعلم النافع . والذي لا تبدو منه عندهم هذه القوة لا تدوم له شهرة ولا يعدونه مبرزاً

سؤال من هند للافغاني

لما انتشرت المدنية الانكليزية في اقطار الهنـد واقبل متأدبو الهنود من مسلمين وغير مسلمين على مطالعة كتب الانكليز العلمية والفلسفية كثر بينهم عدد القائلين بصحة المبادى الطبيعية وسموا انفسهم (طبيعيين) . وهذه الحالة لازمة عن دخول العلم الطبيعي الى البلاد وقد ظهرت آثارها في بلاد الشام ومصر ولم تنفرد الهند بها . وهي عبارة عن نزاع بين مبدأين . الاول مبدأ (العلم الحسي) الذي يقضي بان لا يسلم الانسان بشيء الا متى قام عليه برهان عقلي . والثاني مبدأ (الدين) وهو التصديق بالشيء وان لم يقم عليه دليل عقلي وهو ما يسمونه (التسليم) وان بين هذين المبدأين ما بين الارض والسماء

فلما استشرى خطب الطبيعيين في الهند كتب احد ادباء الهند الى السيد جمال الدين

(١) لما كنا في مصر اعتدنا عند الكلام عن الغرب ان نقول (هناك) اما والجامعة اصبحت تُنشر في الغرب فالواجب ان نقول (هنا بعد الآن

يستفتيه في مذهبهم. وكان ذلك في ١٩ محرم سنة ١٢٩٨ ومما قاله في كتابه اليه « لا تخلو بلد او قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب «نيشري» ويظهر لنا ان من تعلق عليهم هذا اللقب ينمو عددهم على امتداد الزمان خصوصاً بين المسلمين . ولقد سألت اكثر من لاقيت من هذه الطائفة ما حقيقة النيشرية وفي اي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوم عماد المدنية ولا تعدو هذا القصد اولها مقاصد اخرى . وهل طريقتهم تنافي اصول « الدين المطلق » او هي لا تعارضه بوجه ما . واي نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية . فان كانت هذه الطريقة من النحل القديم فلمَ لم تنتشر بيننا ولم تمهد لها دعاة الا في هذه الاوقات . وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها واي اثر يكون عن الاخذ بها

« ولكن لم يفدني احد منهم عما سألت بجواب شافٍ كافٍ . ولهذا التمس من جنابكم العالي ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام »

الاحتكاك

بين الغرب والشرق . المبدأ الحديث والمبدأ القديم

فيلسوف لم يُذكر اسمه باللغة العربية

ويخيل للناظر نظراً سطحياً ان هذا السؤال كان عبارة عن استفتاء من السائل في نفع العلم الطبيعي او ضره . ولكن الناظر في اعماق الامور يرى ان هذا السؤال اهم من ذلك كثيراً . لانه كان نتيجة اول احتكاك بدا في العصر الحديث بين العلم والمدنية الاوروبية الحديثة من جهة والاديان الشرقية ومدنياتها القديمة من جهة اخرى . فالجواب عن هذا السؤال يشمل امرين عظيمين عليهما يتوقف خراب الشرق او عماره . الاول علاقة العلم بالدين . وهذا الامر وان كان في اقصى درجات الاهمية للشرقيين لان مدنياتهم القديمة اكثرها ديني محض الا انه مع ذلك اقل اهمية من الامر الثاني الذي نبسطه هنا

كلنا نعرف الشرق لاننا ابناؤه . واذا انتقل الانسان منه الى وسط كالوسط الاميركي والاوروبي مثلاً فانه يزداد علماً بسر انحطاطه وضعفه . فكم من مرة ونحن في مصر قرأنا للسياح والسائحات الاوروبيين والاميركيين في الشرق انتقاداً مراً على اخلاق ابنائه . ولا نزال نذكر جواب احدهم وقد سئل ما الذي ادهشك في سياحتك في الشرق اكثر من كل امر فاجاب : الذي ادهشني وضحكت له كثيراً جلوس الناس في النهار والليل في

القهاوي والاماكن العمومية بسكينة الفلاسفة وسذاجة الاطفال وهم يدخنون ويتحادثون كأنَّ بلادهم اعز البلاد منالاً وكأنهم انعم اهل الارض بالاً . واصلحهم حالاً . واوفرهم مالاً . مع انهم هم وبلادهم على ما نعلم من الضعف والوهن والانحطاط . فهذا الجواب الذي كوى به السائح الغربي احشاء الشرق كما بفولاذ محمي جواب صحيح ينبش علة الشرق من مدفنها ويذكّرنا المبادىء التي يجب ادخالها اليه والجرائيم التي يجب قتلها فيه

ولسنا نبحث هنا في علل المشرق لنفيض في هذا الموضوع بل بحثنا هنا في ان جواب الافغاني على ذلك السؤال كان جواباً يقطع سبيل الارتقاء على امم المشرق الاسلامية ويناقض مصلحة المدنية فيه ويحل عزائمها . سئل احد علماء الالمان بماذا ارتقت امتكم بعد انحطاطها وقويت بعد ضعفها . فاجاب انها قويت وارتقت برجلين: بسمارك ونيتش(١) والناس في الشرق يعرفون بسمارك جامع الامم الالمانية ومنشيء وحدتها وصارع فرنسا في حرب السبعين . ولكنهم لم يسمعوا اسم « نيتش » حتى الآن على ما نظن

وليس غرضنا في كلامنا هنا عن فيلسوف الالمان الاكبر ان نبسط مبادئه و ترجمته فاننا ارجأنا هذا الامر الى فرصة اخرى ريثما نفرغ من مطالعة اهم كتبه وجمع مبادئها التي نشتغل بجمعها وغربلتها منذ سنتين . فنكتفي الآن بان نقول ان فكر « نيتش » هو الذي دفع المانيا ذلك الاندفاع في سبيل الرقي . وقد ظهر تاثير افكار نيتس في اكثر فلاسفة المتاخرين انكليز وفرنسويين ومشاهير الكتاب العصريين في اوروبا واميركا فصاروا يسمون « نيتشياً » كل كاتب تظهر في كتاباته آثار فكر فيلسوف الالمان . ولا نتعرض هنا لمبادئه الدينية لانه تطرف بها تطرفاً قبيحاً لا نظنه صدر عن رجل عاقل قبله ولا بعده(٢) فانه يسمي الاديان نسيج خرافات وترهات ويحمل على العاطفة الدينية حملة المجانين لسحقها وافنائها . وبودنا لو وقفنا على راي الفيلسوف رنان بشير العاطفة الدينية في اوروبا في مبادىء هذا الفيلسوف . ومن اقواله في الدين انه هو الذي افسد العالم وافنى نشاط البشر وعوّدهم الخمول والكسل وانه لولا الدين لكان العالم اليوم ارقى منه الآن . الى غير ذلك من الاقوال الواهنة الصادرة عن طبيعة قوية شرسة لا تفهم ان العاطفة الدينية اي اتجاه المخلوق نحو الخالق المجهول وتأمله في مبداه وحاله ومصيره امر مغروس في فطرة الانسان وطبيعته ولكن اذا كانت مبادئه الدينية واهنة ضعيفة فمبادئه السيولوجية غاية في المتانة .

---

(١) Nietzche

(٢) نيتش توفي بعد ان جن

ونقول غاية في المتانة والغرض من قولنا هذا انها متينة عند الفلاسفة الماديين والرياليست لا الايديابليست . وهي قائمة على دعامة واحدة «القوة والنشاط» (١) يجب على الانسان ان يكون قوياً نشيطاً . فكل ما يزيد قوته ونشاطه حسن صحيح وكل ما يضعف قوته ونشاطه باطل قبيح . يجب انماء قوى الانسان العقلية والبدنية واعطاؤها مداها وكل ما يوقف نموها هذا باطل يجب تركه . نحن نريد اقوياء اصحاء اما الضعفاء والخاملون والكسالى فادفعوهم من طريقكم واذا اقتضى الامر تغييبهم من هذا الوجود فساعدوهم على هذا الغياب (٢)

والسفاء . اننا لا نقول ان هذه المبادىء مبادىء كالية جدير بالانسان العاقل ان يتبعها ولكن نقول ان الشعب او الفرد الذي يريد الحياة في هذه الدنيا لا بد له من مراقبتها والاحتياط لها لئلا يدوسه اصحابها . لان الخرفان لا يعيشون في هذه الدنيا واذا عاشوا فيها فللسلخ وجز الصوف ودر اللبن . وهذه الامم الاوروبية مندفعة من كل جهات اوروبا واميركا بمبادىء نيتش هذه تدوس في الشرق وغير الشرق كل ضعيف يعترض سيرها . فماذا يفعل تسليمنا الخرفاني في الشرق وسكينتنا الفلسفية وجمودنا البوذي وتأملنا الكونفوشيوشي وايماننا الاسلامي ورفقنا المسيحي — ماذا تفعل كل هذه الفضائل السلبية بمزايا الغربيين الايجابية التي غرضها الاستيلاء على الارض (بالقوة والنشاط) عقلياً وبدنيا بقطع النظر عن عاطفة النفس وقوتها الدينية

وان قيل ان الآلة المراد بث روح القوة والنشاط بها في نفوس امم المشرق الاسلامية ودفعها في طريق العمل كما اندفعت اليه امم المغرب بمبادىء نيتش وغيره انما هي هذا الدين . اذ لا مؤثر فعال في الشرق مثله . فهذا الاعتراض مقبول عند المفكر في الامور تفكيراً سطحياً ولكنه مردود عند الناظر فيه بامعان . فانه اذا كان المقصود من تحميس الامم للدين جمعها بهذه الجامعة فبلوغ هذا الغرض امر ميسور . ولكن نريد ان نسأل ما هي الفوائد التي تنجم عن هذا التحميس وهذا الجمع . اننا لا نرى هناك الا فائدة واحدة وهي اتخاذ الجامعة الاسلامية آلة لمقاومة اوروبا مقاومة سلبية . ونعني بالمقاومة السلبية مقاومة تزعج المقاوَم (بفتح الواو) دون ان تبطل مقاصده وبالتالي دون ان تنفع المقاوِم (بكسرها) نفعاً حقيقياً . فهي آلة للازعاج لا للفائدة . وازعاجها هذا يشمل الفريقين اي الخصمين

---

(١) Force, energie

(٢) كتاب نيتش (بدء الظلام عند الاصنام) يعني عند المعبودات

La Crepiscule des idoles

الا اذا وجد وراءها قوة حربية تنفذ المراد الحقيقي منها وهذا حلم وهم في حالة العالم الحاضرة .
اما القول بأن الامم الاسلامية يمكنها باجتماعها حول لواء الدين ان تبلغ ما بلغت اليه الامم الغربية عند اخذها باصول العلم الطبيعي فقول من لا يعرف شيئاً من تاريخ العمران في الارض وطبيعة البشر فيها . فان هذا القول ينتج شرّين . (الاول) تثبيط العزائم عن العلم الطبيعي الذي عليه بناء المدنية في هذا العصر . فيصبح الفرد اذا كان مؤمناً ايماناً حقيقياً مكتفياً بهذا الايمان عن كل شيء سواه لاعتقاده انه متى تمّ الايمان لشخص اقبلت عليه الدنيا بعد ذلك عفواً من تلقاء نفسها . فيصبح ويبيت قائلاً (الحمد لله انني مؤمن) ويرى نفسه كبيراً بهذا الايمان وان كان اصغر رجل في الدنيا . او اذا كان ممن اجتذبته مبادىء القناعة والرضى بالكفاف اكتفى بسذاجته القلبية وطهارة سيرته وسريرته عن كل عمل وكل اقدام في الدنيا . ما الفائدة من هذا السعي اذا كانت الارزاق مقسمة بين الناس والحياة باطلة والدنيا زائلة . اذا فاته خيرات الارض فانه سيتمتع بخيرات الآخرة . فيا طبيعة البشر لله ما اجملك حين تكونين مخلصة طاهرة طهارة حقيقية . ولكن هذا الجمال من سوء الحظ ينشىء الضعف في النفس بدل القوة والنشاط والحماسة المطلوب انشاؤها كما تقدم . بقي (الشر الثاني) وهو ينتج عادة عن اختلاف مشارب الناس باختلاف طبائعهم الوراثية وتربيتهم الخصوصية والعمومية وحوادث حياتهم . فانك بينما ترى الشعب مثلاً منصرفاً الى الدين بتلك المبادىء التي تقدم ذكرها باذلاً في سبيلها كل مرتخص وغالٍ حتى حياته في بعض الاحيان ترى رؤساءه واكابره واصحاب الاثرة فيه ورجال العمل الذين ينشأون على مبادىء غير تلك المبادىء منصرفين عن الدين في الباطن وان كانوا مقبلين عليه في الظاهر وهمهم استخدام ذلك الشعب الديّن المسكين في تحصيل ثروة لهم وخدمة مقاصدهم السياسية والدينية والاجتماعية . فهل تقوم امة هذه حالها

وان قيل ان المدنية الاسلامية القديمة جمعت بين « القوة » والدين معاً وأنشأت بها سلطنة واسعة وتمدناً عظيماً فنحن لا ننكر انه يمكن الجمع بين الامرين ولكننا ننكر قيام امة وامتداد رواق عزها اذا كانت تجعل امورها الدينية مقدمة على امورها المدنية اي تجعل انماء العاطفة الدينية في النفس مقدماً على انماء نشاط الفرد وقواه العقلية والبدنية . اما الامم الاسلامية التي انشأت في ما غبر مدنيات عظيمة فقد كانت مسوقة الى ذلك بامرين الاول حب الفتح لاكتساب الثروة والثاني نشر الدين بين الامم طوعاً او كرهاً بحق الجهاد . « فحب الفتح وحب الجهاد » كانا اعظم مثير للهمم واكبر شاحذ للعزائم . وكأن مبادىء نيتش

كانت يومئذٍ تخلل نفوس الامم الاسلامية من طريق ديني فيؤثر فيها الدين ما تؤثره اليوم مبادىء نيتش في اصحابها . ولكن في هذا الزمان وقد تغيرت الارض ومن عليها لا تؤثر السياسة الدينية في بني الشرق غير زيادة ضعفهم وحلّ عزائمهم بازاء الحيتان الهائلة المندفعة عليهم لابتلاعهم . فجواب الافغاني للسائل من الهند بان علماء الطبيعة ضلوا السبيل وبان الاصلاح لا يرجى الا بالدين جواب يؤخر تقدم الشرق لو كان لكلام الافغاني تأثير كلي عليه

جواب الافغاني

وانظر بماذا اجابه . انه مثلاً كان يقدر ان يقول له ما يلي او مثله . وهو قريب من الجواب الذي كان ابن رشد يجيب به خصومه

« العلم الطبيعي من الامور المعقولة المحسوسة . والدين من الامور الالهية فلا تخلطوا هذا بذاك . استعملوا العلم الطبيعي في انماء قوة العقل والبدن والوقوف على اسرار الطبيعة وتقوية نفس الانسان وشحذ عزائمه بنواميسها واصلاح الارض بقوتها . واستعملوا الدين لسلامة النفس من الادران . كل واحد من هذين العلمين « علم الطبيعة وعلم الدين » لازم لهذا المجتمع البشري . فيجب التوفيق بينهما لا تفريقهما . واذا رايتم في اهل العلم الطبيعي الذين تسمونهم « نيشريين » او في اهل الدين الذين تسمونهم ما تسمونهم به نقائص ورذائل وموبقات فهذه الصغائر تنشأ في طبائع اصحاب العلم واصحاب الدين « لا في العلم والدين» اذ مثل رجل العلم ورجل الدين مثل اناء فيه ماء زلال . فاذا فسد الاناء وافسد الماء فما ذنب الماء »

ولكن الاستاذ جمال الدين رحمه الله لم يجب بمثل هذا الجواب بل اجاب جواباً آخر يدهش قارئه . فانه خلط متقدمي فلاسفة اليونان مثل ديموقراط وابيقور وديوجينوس بعلماء العصر الحديث مثل دروين وفولتير وروسو واندفع عليهم وعلى جميع من اشتغل بالعلم الطبيعي اندفاعاً ما كان يخطر لاحد ببال (١) فتصورنا حين قراءة ذلك الجواب المدهش

(١) اليك نصاً مما قاله في جوابه « النيتشر اسم للطبيعة وطريقة النيشرهي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد ارباب هذه الطريقة محو الاديان و وضع اساس الاباحة والاشتراك في الاموال والابضاع بين الناس عامة » فلذا وهذه التهم التي الصقها الافغاني بالطبيعيين لا يجهل صبيان المدارس

الافغاني رحمه الله طفلاً ثائرًا في يده فأس يحاول بها ان يهدم اساس العلم الطبيعي لرده عن الشرق . ولكنه لا يؤثر فيه قطعياً

اسباب هذا الجواب

وبعد قراءة هذه الرسالة فكرنا طويلاً في الاسباب التي حملت الافغاني على هذه الحدة والشدة التي لم تجرِ العادة بصدورها عن حكماء الزمان . فلاح لنا منها عدة اسباب

اولاً — ان الافغاني رحمه الله كتب رسالته هذه في الهند بعد اخراجه من مصر . وكان خصومه في مصر قد اتهموه بالكفر والزندقة والمروق من الدين لتحليله جزئيات كانوا يحرّمونها . ولما كان طامحاً الى امامة المسلمين الكبرى في جميع الاقطار الف هذه الرسالة التي حمل بها على العلم الطبيعي تلك الحملة المنكرة تبرؤاً من تلك التهمة . ولو لم يكن هذا من اهم اغراضه في كتابة رسالته لما جعل هذه الاهمية لذلك السؤال الصغير الذي القاه عليه سائل من الهند . فان خصومه لم يكونوا فولتير وروسو ودروين وديموقراط وابيقور والطبيعيين بل كان خصومه وخصوم بيته وخصوم الشرق باسره المستعمرين الذين اكتسحوا المشرق وتسلطوا عليه

اليوم انها باطلة . وقال عن العلامة دروين « وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الاوهام ومرامه الخرافات الا قرب المشابهة بين القرد والانسان وكأن ما اخذ به من الشبه الواهية ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية » وقال في موضع آخر عن علماء الطبيعة « كانوا يظهرون في اوقات بدعوى السعي في تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات و تارات يتمثلون في صورة محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين » وقال في صفحة اخرى « وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها اوهاماً باطلة ومجعولات وضعية » قلنا . مع ان درون و روسو وفولتير الذين حمل عليهم حملته المنكرة لم يكونوا ملحدين فانهم كانوا يؤمنون بالله ايماناً صريحاً ظاهرًا في كتبهم . ومنتهى الغرابة في قوله ان الفرنسويين كانوا شعباً عظيماً حتى ظهر فيهم فولتير وروسو « يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر ابيقور الكلبي واحييا ما بلي من عظام الناتور اليسم « الدهريين » ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما ان الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعما ان الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانساني وجهر كل منهما بانكار الالوهية ورفع

ثانياً ـ ان المستعمرين الاوروبيين في دخولهم الى الشرق لامتلاكه وتعميره انما يحملون بين ايديهم شعلة العلم الطبيعي الذي يصلحون به الارض فيحفرون الترع و ينشئون الجسور والسكك الحديدية و يبنون المنازل الفاخرة ويجلبون البضائع النفيسة و يقيمون المعامل النافعة . وغني عن البيان ان هذه النعم العديدة التي لا ينكرها الا «كل مكابر وللحق مدابر» كما كان يقول محمد عبده من مزاياها ان تجتذب اليها والى اصحابها الناس الذين انتفعوا بها و نخص منهم الناشئة الجديدة التي تكره وهي في اول عمرها الوقوف والجمود الذي اعتاده الناس في الشرق ولذلك تتحمس للاصلاحات الاجتماعية النافعة تحمساً شديداً . وظاهر بذاته ان المتأدبين من ابناء الهند وفارس وافغانستان الذين ادهشتهم اصلاحات المدنية الغربية الداخلة عليهم بدءوا يميلون الى المبادىء الغربية . ومتى مالوا اليها ميلاً تاماً زالت او نقصت سلطة ائمتهم عليهم . فاصبح من مصلحة هؤلاء الائمة ان يبرهنوا لهم ان هذه المدنية الغربية كلاشيء وان النهضة الحقيقية التي ترجى لهم انما تكون

كل عشيرته بالتشنيع على الانبياء » قلنا من العجب ان يجهل السيد الافغاني التاريخ الى هذا الحد فاولاً ان الشعب الفرنسوي بعد الثورة اي بعد فولتير وروسو كان اعظم واقوى من قبلها لانه على زمن نابوليون الاول بلغ اوج العظمة والسيادة . وثانياً ان ما نسبه الى فولتير وروسو يدل على ان الاستاذ الافغاني سمع بمبادئهما ولم يقرأ كتاباً لهما لان الاثنين يؤمنان بالله ايماناً جهرا به في كل صفحة من كتبهما . ولفولتير بيتان مشهوران باللغة الفرنسوية وقد ترجمها صاحب الجامعة لما كان في صباه ينظم شعراً ترجمة حرفية في بيتين هما على ما نظن اول وآخر شعر بنشر له في الجامعة واليك البيتين

يحار عقلي بهذا الكون حيرته ... بساعةٍ في رمال القفر ملقاةِ
فما نصدق منا قول من زعما ... بانها وجدت من دون ساعاتي

وزد على ذلك ان روسو كان في زمنه الخصم الاكبر والعدو الالد للماديين الفرنسويين وله مناظرات شديدة معهم وهم معروفون بفرنسا بالانسكلوبيذيين . فما كان يخطر لنا ببال ان رجلاً كالافغاني رحمه الله يري الكلام على علاته هذا الري وينسب ما نسبه الى اناس محوا مثله راحتهم وقواهم وحريتهم في سبيل خدمة بني الانسان في الارض ومنتهى الاعجاز في قوله « لا جرم ان مزاج الانسان الكبير «يعني عموم النوع» بما اودع الله فيه من الشعور الفطري وهو اثر الحكمة الالهية العامة يمج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم في باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة ! او الذنانة من المنخر او النخامة من الصدر »

على ايدي ائمتهم. فقد يمكن ان تكون رسالة جمال الدين صوتاً صارخاً بالهنود والايرانيين والافغانيين وربما الاتراك والمصريين ايضاً لتفهيمهم ان الاصلاح الذي يأتي على يد السيد جمال الدين خير من الاصلاح الداخل على ايدي الانكليز

ثالثاً — لا نتعرّض لعقيدة السيد جمال الدين لاننا لا نعرف شيئاً عنها . وتكفينا شهادة الاستاذ تلميذه ورفيقه الشيخ محمد عبده بانها « كانت صحيحة » وما رماه به خصومه يوم كان في الاستانة من انه قال في خطبة القاها « ان النبوّة صنعة كباقي الصنائع » انما هو سلاح يحارب به الخصوم خصومهم حين تقصر الحجة . وكذلك ما رماه به بعضهم في مصر من الكفر لا يصح ان يُتخذ دليلاً على حقيقة عقيدته لانه من ذاك القبيل . ولكننا نلاحظ هنا ملاحظة لا نحجم عن ذكرها وهي تشمل جميع الاديان الحية الان . فان المستنيرين في كل امة وكل دين عند نظرهم في امور دينهم يجدون فيها اشياء يودّون لو انها لم توجد ويدعون الى غض النظر عنها . اي انهم يعتقدون في اعماق انفسهم — في اماكن لا يخرج منها راي لاحد ولا يدخل اليها راي احد — بصحة بعض المبادىء وبعدم صحة بعضها . ومتى وقع هذا الفصل والتفريق بين مبادىء الدين كان وقوعه بمنزلة وقوع الشك في الدين نفسه . ومتى وقع شيء من هذا لرجل عاقل صناعته النظر في شؤون الناس والتفكير والبحث لهم فانه يختط للدين في نفسه ونفوس سامعيه وقارئيه خطة جديدة فيدعو حينئذٍ الى « نفع » الدين لا الى « صحته » اي انه يبني الدين على مبدا «النفعيين» فيبحث في آثاره وفوائده لا في مبادئه وقواعده . وآثار هذا القصد ظاهرة في رسالة الافغاني رحمه الله . فانه في كل صفحة تقريباً يقول « لا ريبة في ان الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعي » . لن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة . ونحن لا ننظر هنا في ما يعود من الضرّ على الدين نفسه بجعله . نفعياً . فان مبدا . النفعيين . الذين يجعلون . النفع . قاعدة كل مبدا ومقياسه هو مبدا مردود عند الفلاسفة الايديالبست الذين يعتقدون بوجود . الخير بذاته . و . الادب بذاته . بصرف النظر عن منافع الناس بل عن وجودهم نفسه . فانهم يقولون ان الخير بذاته والادب بذاته موجودان ثابتان وان لم يوجد في الارض انسان . واذا اضمحلت الكرة الارضية غداً ونشأ منها بعد اضمحلالها كرة جديدة وعاش عليها بشر من جديد فان الخير بذاته والادب بذاته ينبتان في هذا المجتمع البشري الجديد كما كانا قبل اضمحلال الارض . هذا مبدا القائلين بوجود الخير بذاته والادب بذاته وهو يناقض كل المناقضة مبدا النفعيين الذين يعلقون المبادىء على نفعها لا على

صحتها. والدين متى تدهور في «هاوية النفع» فانه يغيب فيها ولا يعود يخرج منها. فاذاً نفع سنة او جيلاً او نصف قرن او قرناً كان نفعه هذا بمثابة خروج دمه من جسمه ولا يعقب هذا الخروج حياة. فالدعوة الى «نفع الدين» دعوة لقتل الدين غداً وان انتفع به اليوم. وهنا نصل الى المقصود من هذه الشذرة فاننا نميل الى الترجيح بان السيد الافغاني رحمه الله كان مخلصاً في دعوته هذه ونعتقد انه اذا لم يكن مخلصاً فيها كلها فلا شك انه كان مخلصاً في نصفها مثلاً انه حين يدعو هذه الدعوة الشديدة الى الدين الاسلامي ويذكّر امراء الشرق بسابق مجدهم وعزهم قد يكون غرضه جمع كلمتهم وتاليف قلوبهم على المستعمرين الداخلين عليهم فهو معذور في اتخاذه الدين آلة سياسية لجمع الشرق على الهاجمين عليه الطامحين اليه ولكن اذا لم يكن مخلصاً في دعوته من هذا الوجه فانه مخلص فيها من وجه آخر

ان السيد الافغاني ربي في بيت الامارة وعاش في وسط طبيعة عظيمة حراً متعوداً السيادة، وهو فوق ذلك ذو طبيعة متحمسة شديدة. قال مترجمه الشيخ محمد عبده «ففارق الاستانة مظلوماً في حقه معلوباً لحدته» وقال في موضع آخر «طموح الى مقصده اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيراً ما كان التعجل علة الحرمان» فلما ساح الافغاني في اوربا وشاهد فرنسا وانكلترا لم تفته المقابلة بين حالة الغربيين وحالة بلاده فانه راى في الغرب ازدحام المنازل وقذارة احياء العملة واكدرار الجو بالبخار والدخان والضباب وشاهد قوماً يصارعون العناصر والطبيعة طول النهار فيركضون ويعملون ويتعبون في بناء اعظم مدنية قامت في الكرة الارضية. شاهد علماء وساسة وكليات ومجالس شورى ومتاحف ومكاتب ومصانع ومزارع وجرائد وملاهي. وشعباً كنجوم السماء يدور حولها ويعيش منها وبها. ثم التفت فماذا راى؟ راى ان الرذائل التي تركها في قبائل افغانستان والهند وايران فاشية في قلب تلك المدنية الراقية العظيمة ابصر القتل والسرقة والغش والعدوان والظلم والغدر والطمع والقسوة الخ.. بل راى منها في قلب المدنية العظيمة ما لم ير مثله في القبائل الضعيفة العائشة في سذاجة الطبيعة. فقال في نفسه حينئذٍ ان هؤلاء الناس يتعبون في بناء المدنية على غير هدى وكان رحمه الله يعيش بالفكر من اجل الفكر كجميع المتحمسين الايدياليست. والدهر وان اناخ عليه بكلكله وكواه بنار اختباراته لم يجعله «نفعياً محضاً» ويصرف فكره الى الفوائد العملية بدل الفوائد النظرية. فعاد من اوروبا وصاح بقومه في هذه الرسالة تلك الصيحة يقصد بها تفهيم اهل الشرق ان

مدنيتهم المبنية على الدين خير من مدنية اوربا المبنية على لا دين · فهو مخلص ولا شك في صياحه هذا · ولكن هذا الحكم في راينا حكم سطحي لان جميع المدنيات الدينية التي قامت في الارض قبل الاسلام و بعده لم تخلُ في اي زمن من ازمانها من تلك الرذائل والموبقات التي تحق الشكوى منها· فليست الرذائل والموبقات في المدنية ولا في الدين ولكن في الطبيعة البشرية الضعيفة · ولم يثبت حتى الان ان الدين في اي زمن من الازمان قدر على استئصالها الا في بعض خواص الناس · والمدنية الحقيقية تفعل مثل هذا الفعل في الخواص ايضاً · فالاصلاح الديني والاصلاح المدني في الارض لا يثمران الثمر المطلوب اي لا ينشئان انسانية صالحة جديدة الا بعد « اصلاح اجتماعي عام » يمحو الفقر والظلم والجهل من بين الانام· وهذا عمل علمي اجتماعي سياسي لا عمل ديني

هذا ما نقوله في الاسباب التي حملت الافغاني على كتابة رسالته · و يرى القارىء منها اننا بدأنا في الدخول في لباب الموضوع والنزول الى اعماقه · وسنشرع في الجزء التالي في تلخيص هذه الرسالة تلخيصاً يدل على قوتها وضعفها · وسنرى حين المقارنة بين الافغاني وتلميذه محمد عبده ان التلميذ كان خيراً من استاذه من عدة وجوه

التلغراف اللاسلكي

و زيارة سوري له في بلدة برنت روك ماس (١)

* لطف الاستاذ فسيندين * اسعدني الحظ وقادني الاتفاق الى بلدة برنت روك ماس التي فيها ادارة التلغراف الاسلكي · فقصدت مكان الادارة ولما هممت بالدخول وجدت على الباب كتابة خلاصتها (ان الدخول ممنوع لغير المامورين) فاسفت لذلك كثيراً وعدت خائباً · وفيما انا اقلب طرفي في عمود

---

(١) كانت الجامعة فيما نظن اول من سمى « التلغراف بلا سلك » « لاسلكي » قياساً على « اللانهاية » و « اللاادرية » وذلك في مقالة عنوانها « افريقيا والمسيو هانوتو » في سنتها الرابعة · و يظهر ان الكتاب اصطلحوا اليوم على هذه التسمية

التلغراف الشاهق حانت مني التفاتة فشاهدت رجلاً بالقرب مني وعلى عينيه نظارة يراقب بها جهة البحر · فدنوت منه وسلمت عليه فرد التحية بلطف و بشاشة · فقلت له وقد ازددت جرأة ما قولك في هذا الاختراع العجيب اختراع مركوني · فاجاب انه لعجيب ولكنه لم يتم الا بعد دخوله الى الولايات المتحدة · فاستغربت هذا القول · وكان الرجل في اثناء ذلك لا يزال يراقب بنظارته حركات المراكب الشراعية في البحر · فبعد هنيهة سألني الي اي بلاد تنتسب فاجبته الي تركيا · فضحك لما ذكرت له اسم تركيا وقال اتحسن لغتك · فاجبت نعم · فقال اتبعني · ومن حسن الاتفاق ان هذا الرجل كان الاستاذ فيسندين مدير المكان

﴿التلغراف اللاسلكي لمكة والحجاز﴾ فتبعته الى منزل بسيط والناظر اليه من الخارج لا يظن ان هذا المكان يحتوي على اكبر عجائب العصر · فدهشت للبساطة التي يسكنها العلم بازاء القصور المزخرفة الشاهقة التي يسكنها اهل البطالة والترف من الاغنياء

ولما دخلت الى الغرفة تلطف الاستاذ وقدم لي كرسياً وناولني سيكاراً · ثم قال لي انني مسرور لانك من تركيا اذ انني ساطلعك على امر يهمك · ثم تناول من جيبه كتاباً باللغة الفرنسوية وعليه التوقيع باللغة التركية وهذا ملخصه

الاستانة (تركيا) ـ حضرة الاستاذ فيسندين : في واشنطون

لقد بلغنا انكم كملتم اختراع ماركوني فاشتاقت نفسي الى معرفة عملكم · وقد بلغني منذ مدة انه يوجد في لندن محل كمحلكم فذهبت الى لندن وعجبت كثيراً · واني اود ان يكون لنا في تركيا نصيب من هذه النعمة · فاذا كان بامكانكم ان تؤلفوا لجنة من تلامذتكم و ترسلوها الينا لتنظر في الاماكن التي نريد نصب التلغراف اللاسلكي فيها فاننا نكون لكم من الشاكرين · وهذه الاماكن هي من

الاستانة الى مكة ومن مكة الى المدينة وصنعاء والحديده · ونحن مستعدون لبذل كل ما يجب بذله من المال في سبيل هذا المشروع وجمع الاموال من اغنياء تركيا

الامضاء

« هنا كلمة لم نحسن قراءتها » باشا

اسلامبول تركيا

ادارة البريد

فلما اطلعت على هذا الكتاب داخلني الشك في صحة الامضاء لانه لو كانت تركيا ترغب في اقامة هذا التلغراف في بلادها فانها اولاً لا موجب لان تذكر استنجادها باغنياء بلادها وثانياً انها لو ارادته لكلفت سفيرها في واشنطون بالمخابرة بهذا الشان · فغلب على ظني انه اقتراح رجل يريد الاتفاق مع الاستاذ فسيندين على نيل امتياز بهذا الاختراع في بلاد الدولة العثمانية · والدولة العثمانية محتاجة الى هذا الاختراع خصوصاً لمكة والحجاز حيث اعتاد ثوار العرب قطع الاسلاك البرقية ولكنها لا يمكن ان تسمح لاحد بامتياز به لان الدول تجعله احتكاراً لنفسها كما فعلت مصر في هذا العام وذلك اتقاء لنشر الاخبار السرية في اثناء الحرب

وبعد قراءتي هذا الكتاب سالت الاستاذ فسيندين هل اجبت الباشا على كتابه فاجاب نعم اجبته بانه لا يمكنني ان ارسل تلامذة فاذا احببتم الاطلاع على ما ادخلناه الى هذا الاختراع من الاتقان فنؤمل تشريفكم لتشاهدوا ذلك بعينكم هنا

﴿مكان الآلات﴾ ثم اراني الاستاذ غرف الآلات · فهنا يقف القلم قاصراً عن وصف ما حوته · وبقينا ننتقل من غرفة الى غرفة حتى بلغنا العمود الذي يقتبل من الهواء تموجات الكهرباء التي تحمل الاشارات التلغرافية وعلوه ٤٢٠

قدماً · ووصف حقيقة هذا الاختراع و تفاصيله مما يقتضي فصلاً مفرداً · وبعد ذلك ودعت الاستاذ وسرت شاكراً لطفه واتضاعه · وزاد احترامي لبلاد علماؤها بهذا الاتضاع

جرجي ابرهيم
الحداد

﴿ الجامعة ﴾ جميع بواخر الاتلانتيك التي تمخر في الاوقيانوس بين اوروبا واميركا تحمل آلة للتلغراف اللاسلكي لمخاطبة البر به وهي في عرض البحر · وفي بعضها لا في كلها جرائد تنشر لركاب الدرجة الاولى والثانية الاخبار التجارية والسياسية ترد عليها بالتلغراف المذكور · وقبل وصولنا على الباخرة لاتورين الى نيويورك بيومين بينما كنا خارجين من قاعة المائدة عند الظهر وجدنا على المرآة فوق السلم تلغرافاً لاسلكياً وارداً على الباخرة محصله ان الذي القى القنبلة على الملك الفونس والملكة يوم زفافهما انتحر حين اكتشف البوليس امره · وقد كنا ونحن في الشرق نستغرب هذه الغرائب · فما اجمل ان يراها الانسان بعينيه ويمسها بيده

حال السوريين في دار هجرتهم

بقلم جناب الفاضل شبل افندي ناصيف دموس

٢

حالة التجارة السورية في الولايات المتحدة · اصنافها وتجارها وثروتهم · الصناعة الزراعة · السياسة

اصبحت تجارة السوريين في الولايات المتحدة غير محصورة في اصناف معلومة انما في قد تجاوزت الى كل متاع يتاجر به على الاطلاق · واهمها بكثرة المتاجرين بها تجارة السلع النثرية والبضائع القطنية والكتانية والصوفية من لباس وقماش على اختلاف انواعها وكثرة عددها وهي ما يسمونه بالانكليزية Dry Goods · فمخازنهم المختصة بهذه الاصناف تربو عن الالف عدًا ما بين محال حصت ببيع الجملة وهي الاكثر واخرى خصت ببيع المفرق وهي الاقل · فمركز الاولى الاكثر اهمية هو نيو يورك · ومركز الثانية هومدن الداخلية · واذا قلب القارئ صفحات كتابي « R. G. Dun » و « Bradstreet » يرى تحت اسم كل مدينة من مدن الولايات المتحدة اسماء سورية كثيرة والى جانبها اشارات وحروف تدل على مراكزهم التجارية وتذكر قوتهم المالية · فصغيرهم تقدر ماليته ما بين خمسة الاف ريال و ١١ الاف ريال وكبيرهم ما بين ١٥٠٠٠٠ ريال و ٢٠٠٠٠٠ الف ريال(١) وهذه القوة لم تكن لهم منذ خمس سنين اعني ان ثروتهم اخذت بازدياد في السنين الخمس الاخيرة ازديادًا مدهشًا جدًا · ولذلك اسباب مهمة وكثيرة · منها الاقتصاد وهو طبيعة اكثرهم وطول الاختبار والبلوغ بعد العناء الكثير الى موضع الثقة العمومية حتى توفرت رؤوس اموالهم بالاستدانة من المصارف الوطنية · ثم هناك امر آخر اعظم اهمية من جميع ما ذكر الا وهو غنى البلاد العظيم وتوفر الذهب والفضة بما يزيد كثيرًا عن حاجة الاهلين حتى لم يبقَ فقير في هذه البلاد التي تفيض خيراتها كالبحر الطامي · والسبب في انحصار اهمية تجارتهم في البضائع المذكورة هو انصبابهم على المتاجرة بها منذ بدء تاريخ هجرتهم اقتداء باليهود الذين يتاجرون باحتياجات الناس الضرورية · فكل سوري قدم هذه الارض منذ خمس سنين فما وراءها كان اول عمل باشر فيه هو حمل هذه البضائع وبيعها متنقلاً من بيت الى آخر · وهذه البضائع عبارة عن ملبوسات للرجال والنساء

(١) الريال الاميركي بقيمة الريال المصري وهو اكثر قليلاً من خمس الليرة الانكليزية

والاقمشة كتانية متنوعة يستعملها الناس في بيوتهم على اختلاف طبقاتهم . وكبار المتاجرين بهذه الاصناف يعدون بالعشرات . ومن هذه التجارة تولدت معامل سورية تصنع بعض اصنافها . وهذه المعامل تزيد عن العشرين عداً . ثم هناك تجارة البضائع الحريرية والمطرزات ومصنوعات اليد من شغل الابرة مما يسمونه بالانكليزية Lases . وتجار هذا الصنف وان قلوا عن اولئك عدداً فليسوا دونهم في الاهمية التجارية . فهم المتاجرون * بخفيف الحمل وغالي الثمن * يستجلبون بضائعهم من ممالك اوربا ويدفعون عنها رسوماً طائلة من جمرك وغيره ولهم العمال الكثيرون من السوريين المتفرقين في داخلية البلاد الذين يدخلون بيوت ذوي الثروة والوجاهة بضائعهم هذه ويستبدلونها بالذهب والفضة. وهي بضائع تختص بالسيدات دون الرجال وبعضها تزان بها البيوت الفاخرة الاثاث . ويتولد عن هذه التجارة معامل خصت بصنع بعض هذه الاصناف منها . الكيمونا . العباءة النسائية والصدرة المطرزة . . شرت و يست . وقد ذكرناها في المقالة الاولى . ولا ريب هذه التجارة الفضل الاكبر في تحسين شأن التجارة السورية لانهم عانوا مشقات جمة حتى استلفتوا اليهم انظار التجار الاميركيين الذين اقبلوا على معاملتهم بثقة وارتياح . اما عمالهم في الداخلية فهم تجار مستقلون يصرفون بضائعهم للاهالي من ذوي اليسار واكثرهم متنقلون بين المصائف والمشاتي حيثما يكثر وفد الاغنياء . ولهم مدن يأوون اليها في فصلي الربيع والخريف ومنهم يتألف معظم الطبقة السورية الراقية نظراً لوجودهم في وسط الفئة الراقية من الامة الاميركية يعاملونها ويخالطونها ويصرفون معظم اوقاتهم بينها*

ثم تجيء تجارة السجاد العجمي وهذه اقتبسها السوريون عن الارمن وهي تجارة رائجة سوقها كثير ربحها الا ان المتعاطين بها قليلون ولكنهم كبار المنزلة بين السوريين والاميركيين على السواء . ثم تجارة السمانة السورية صرفاً ومعها التنباك العجمي والمشروبات الروحية وعدد تجارها يتراوح بين العشرين والثلاثين ولكنها باتساع دائرتها تكاد تحسب في الدرجة الاولى نظراً لتهافت مائة وخمسين الف سوري على ماكولات بلادهم الاصلية . وتجار هذه الفئة يسكن كثيرهم وهم الاوفر ثروة في نيويورك وبوسطن وشيكاغو وبعض المدن الثانوية . ثم هناك تجارة اخرى متسعة الدائرة هي التجارة الخارجية التي تصدر جميع مصنوعات البلاد الى ممالك العالم وخاصة اميركا الجنوبية وجزائر الهند الغربية وارباها يقيمون في نيويورك لانها المركز الرئيسي لجميع تجارة الولايات

ثم تجارة الاملاك والعقارات وهذه لم يخصص السوريون اوقاتهم بمزاولتها صرفاً ولكنهم

فيها مزيج من جميع تجار الاصناف الانفة الذكر يبتاعون بفضلات اموالهم العقارات في المدن الكبرى التي تتعالى اسعارها كل يوم ومنهم ما يبلغ مدخول املاكه الشهري الف ريال اميركي وهو على زيادة في كل عام

ثم تجارة الاغلال والحبوب يخزنها اربابها في الصيف ويبيعونها في الشتاء بارباح طائلة وهي تجارة مضمون ربحها يكاد لا يتهددها خطر الخسارة . ثم تجارة الاثمار والخضرة فاربابها قسمان قسم يبيع بالجملة وهو الاوفر ثروة وقسم يبيع بالمفرق وهو ايضاً في نعمة من حيث المالية وهؤلاء التجار يعدون بالمئات

ثم تجارة الخيول والمواشي وهذه لم يبلغوا منها شأواً عالياً بعد

ثم تجارة الدخان التركي فاهلها قليلون جداً يعدون على الاصابع ولكنهم على تقدم في الثروة عظيم . لان سيكاراتهم تدخن في كل مدينة على الاطلاق وطلابها كثيرون حتى ان نموها العظيم استلفت انظار شركات الاحتكار فهم يطلبون ضمها الى معاملهم الواسعة باثمان باهظة

ثم يوجد فئة اخرى في داخلية البلاد تتجر بجميع مصنوعات البلاد في مخازن كبيرة جداً تبيع بالمفرق وهم يحذون حذو تجار المدن الكبرى وقد اتخذوا الولايات الغربية مسكناً نظراً لقلة المزاحمة . وقد بلغوا درجة عالية من الاهمية حتى انك ترى في المخزن الواحد مائة مستخدم وفوقها

فيرى القارئ ان تجارة السوريين واسعة الدائرة متنوعة الاصناف جرعها في نيويورك واغصانها في جميع الولايات خصوصاً وباقي الاقطار الاميركية عموماً . وثروتهم كبيرة جداً بالنسبة لعددهم فهم وان لم يبلغ غنى الواحد منهم مليوناً بعد (١) ولكن اذا تفرقت اموالهم بينهم كان نصيب الفرد الواحد منهم مائتي ريال . واذا تفرقت اموال البلاد وهي في اعلى درجات الغنى على اهلها لا ينال الفرد اكثر من اربعين ريالاً فتأمل

وليست موارد الرزق بينهم محصورة في المتاجرة فمنهم خمسة وعشرون الف عامل في معامل البلاد «فباركا» يصنعون المنسوجات على اختلافها . وجميع المعامل الحديدية

---

(١) يعني حضرة الكاتب مليون دولار ولكن اذا حسبنا ثروتهم على حساب الفرنسويين الذين يسمون «صاحب مليون» من كان يملك مليون فرنك اي «٥٠ الف ليرة فرنسوية» اى اكثر من ٢٠٠ الف ريال قليلاً جاز القول بحسب تقديره السابق ان بينهم اصحاب ملايين

ومركبات القطارات الحديدية . ومنهم مائتا عائلة تحرث الارض وتستدر خيرها في ولايتي داكوتا الشمالية واوكلاهوما وغيرها من الولايات . ومنهم الف عامل في الحقول يتقاضون اجوراً حسنة ومنهم خمسة الآف مستخدم في السكك الحديدية وفي الادارات والمكاتب والمخازن الاميركية في المدن وفي الولايات . وما تبقى مما يزيد المائة الف عداً يعملون في التجارة ما بين مقيم في مخزن و بين من يحمل بضائعه الى بيوت الناس بين الفلاحين والحضريين في عربات كبيرة تجرها الخيل او على عاتقه

وقد بقيت تجارة اخرى خاسرة لم اذكرها وهي تجارة البورصة فمنهم من زاولها وعاد فشلاً لان المتاجر هناك ابداً تحت رحمة ارباب الاموال الذين تسميهم اميركا « كلاب البحر المفترسة » فهؤلاء يرفعون الاسعار ويخفضونها حسب اهوائهم وصغار المتاجرين في شارع « وال الاسود » يذهبون فريسة لا تقوى على الدفاع عن نفسها

هذه حالهم من حيث التجارة وقد ذكرت في عرض الحديث ان نجاحهم فيها ظهر باجلى بيان في الخمس السنين الاخيرة اذ بلغوا موطن الثقة من زملائهم . واذا بقيت احوال البلاد كما هي فلا يعجبنَّ القارىء اذا بلغ منهم عدد الى مصاف اهل الثروة الكبرى ممن تقدر اموالهم بالملايين لان ثروتهم في ازدياد كل عام

اما في السياسة فهم افضل في الداخلية منهم في نيويورك . لان الداخلين في الجنسية الاميركية يتألبون جماعات في المدن الصغرى ويضمون اصواتهم بعضها الى بعضها في الانتخابات فحيثما مالوا في المدن الصغرى امالوا كفة الميزان معهم . ولذلك ترى الاحزاب السياسية في المدن الصغرى المذكورة التي عدد الاميركيين فيها لا يستغرق عددهم كثيراً يسعون في استمالتهم اليهم لنيل اصواتهم . فمتقدمو السوريين في الداخلية مسموعو الكلمة نافذوها لا يضام فقيرهم ولا يظلم

وقد بلغ من شان السوريين عام ١٩٠٤ ان الحرب الريبلكاني « الجمهوري » الذي رشح الرئيس روزفلت لمنصبه الخطير اعتمد واحداً من السوريين وسيره الى جميع الولايات الشمالية الوسطى لاستمالتهم اليه . ولما تمَّ له الفوز في الانتخابات لم يغفل عن ان شكرهم علانية على صفحات جرائدهم

اما المناصب السياسية المهمة فلم يبلغوها بعد لاسباب منها انصبابهم جميعاً على التجارة . وقد بلغني ان في نيومكسكو سورياً انتخب الى مديرية احدى الكونتات وهذا لم يسبق له مثيل بعد . وقد كان المرحوم نجيب عربيلي واحداً من المديرين الثلاثة في ادارة المهاجرة غير

انه لم ينتخب الى هذا المركز بل كان معيناً له تعييناً وهذا اعظم منصب شغله سوري الى هذا اليوم

تاريخ السوريين المؤسسين والنافعين

في دار الهجرة

﴿الجامعة﴾ بعد ما ورد في هاتين الرسالتين المشبعتين فوائد للقراء من بسط اجمال احوال السوريين في الولايات المتحدة تجارياً وصناعياً ستشرع الجامعة في التفصيل الذي ذكرته في مقدمة الرسالة الاولى اي انها بعد البيان الاجمالي الذي تقدم ستتكلم بالتفصيل عن كل بيت تجاري وكل سوري نفع في هذه الديار بتجارته او صناعته او زراعته او غير ذلك « نفعاً حقيقياً » وتخصص لكل بيت نصف صفحة او صفحة بحسب اهميته . وتخص من بينهم بالكلام المؤسسين الاوّل الذين قدموا الى هذه الديار في مفتتح الهجرة فكان لهم فضل التأسيس للذين تبعوهم بعدهم . وبذلك تكون الفصول التالية عبارة عن « تاريخ المهاجرة السوريين » وتاريخ اعمالهم وطرق شرائهم وبيعهم ومقدار نجاح اعمالهم في هذه البلاد تبقى مسطرة على صفحات الجامعة ناطقة بهمتهم وجدّهم

وتوصلاً لذلك قد طبعنا في اول صفحة من صفحات الاعلانات في هذا الجزء عدة اسئلة نطلب الجواب عليها للوقوف على تاريخ المحل التجاري او الصناعي وتاريخ هجرة صاحبه الى هذه البلاد سواء كان ذلك في اميركا الشمالية او الجنوبية . فنرجو ممن يتفضل بالجواب على تلك الاسئلة ان يجيب عليها في ذات الورقة ثم يقطعها ويبعث بها الينا واذا رأى فيها اسئلة لا يريد الجواب عليها فليضرب صفحاً عنها . ولا شك ان هذه هي اول مرة يُكتب بها تاريخ اعمال السوريين في اميركا فنرجو ان يساعدنا حضراتهم على استيفاء هذا الموضوع الذي يسجل فضلهم ويسرّ اخوانهم خارج اميركا الذين لا يعرفون شيئاً كبيراً عن فضلهم واجتهادهم

التفاضل والمساواة بين الناس

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني



التفاضل بازاء القانون (١)

مع ان التفاضل في الامور الاجتماعية اساس التفاضل في سائر الاحوال الاخرى بل ان كل نوع من انواعه ناشيء عن النوع الاجتماعي لان القانون مبنيٌّ على العادات الاجتماعية او مستخلص منها — مع ذلك نرى ان التفاضل بازاء القانون اقل انواع التفاضل وفي البلاد المتمدنة يكاد الناس يتساوون امام القانون . وكما ارتقت البلاد في الحضارة استوى الناس لدى القضاء بالرغم من تفاوتهم في قوام او مزاياهم . ولعل سرَّ ذلك ان الشرائع الادبية والاجتماعية اختيارية بالنظر الى تنازع الناس البقاء . اي ان الفرد حرٌّ في ان يجري عليها او لا يجري ولكنه لا يرى بدًّا من الجري عليها حفظاً لبقائه. ولما كان الشيءُ الاختياري في مجراه الطبيعي والطبيعة تقضي بالتفاضل اقتضى ان يتفاضل الناس في الامور الاجتماعية كما مرَّ بيانه . بخلاف ذلك الشرائع المدنية فانها اجبارية اي ان كل فرد مُلزَمٌ بان يجري عليها رضي او لم يرضَ . ومتى كان القانون محتوماً وجب ان يجوز على الجميع بالتساوي والا عصاه الذين يجحف بهم

ومع ذلك لا نرى القانون والقضاء سالمين من التمييز والتفضيل . ففي انكلترا مثلاً يختلف موقف اللورد امام القانون عن موقف موقف العامة اختلافاً جوهرياً . وقد كانوا في العصور الوسطى متميزين عن العامة لدى القانون تمييزًا عظيماً جدًّا . وفي حين من

---

(١) نشرنا هذه المقالات المتسلسلة مع مخالفتها رأي الجامعة ومبدأها في هذا الموضوع وذلك لسببين . الاول انها تبسط باجلى وضوح وجوه القائلين بمبدإ التفاضل وتفصل مذهبهم تفصيلاً بديعاً . والثاني انها مكتوبة بيراع قويٍّ ولفكر سليمة جيلة . والمجلات كالمنابر يُنشر منها كل مبدإ ويسمع فيها كل صوت . ولذلك نستحسن ان تنشر المجلة كل ما يستحق النشر وان خالف مبدأها . وقد وردتنا مقالة من احد افاضل المهاجرين ردًّا على هذه المقالات فرأينا ارجاءه فتح باب الرد على هذا الموضوع الى ما بعد فراغ الكاتب منه

الاحيان لم يكونوا ليعاقبوا على جريمة القتل . وقد حفظ التاريخ بعضاً من اخبار هذا التفاضل امام القانون لعهد دولة الفراعنة اذ كان الناس طبقات اشهرها الكهنة والجنود والعامة ولكل طبقة معاملة قانونية تمتاز على الطبقة التي هي دونها . وكان مثل ذلك في ايام زهو الدولتين اليونانية والرومانية مع ما اشتهرت به تانك الامتان من بث روح الديمقراطية

والان ترى الغربيين يتعمدون هذا التفاضل في كل بلاد يستعمرونها ففي الترانسفال كان البوير يميزون ابناء جنسهم على السود الوطنيين تمييز الانسان على الحيوان تقريباً . فكانوا يحظرون عليهم ركوب الدراجات « البيسكلت » وركوب الدرجتين العليين في السكة الحديدية والمشي على ارصفة الشوارع . والانكليز يفعلون شيئاً من ذلك في السودان الان . والاميركان يعاملون السود عندهم شيئاً من مثل هذه المعاملة والانكليز يجرون في الهند مثل هذا المجرى ويأتون في مصر ما يقاربه . والجندي الانكليزي في مصر مميز على الجندي المصري تمييزاً قانونياً فان سمو الخديوي اصدر امراً عالياً بتاليف محكمة مخصوصة لمحاكمة كل وطني يعتدي على جندي انكليزي . وفي هذه الاثناء حدثت حادثة في دنشواي اعتدى فيها بعض الاهالي على اربعة ضباط انكليز فأرت هذه المحكمة المخصوصة هول يوم القيامة . هذا واكثر حكومات الشرق تعامل الامراء معاملة قانونية تختلف جداً عن معاملة العامة

ثم ان القانون نفسه ينصر في بعض الاحوال على التمييز بين فئة وفئة . مثال ذلك قانون برانجه الذي أُدخل في المدة الاخيرة الى القانون المصري ومن مقتضاه ان يُسامح المتهم بجنحة من تنفيذ العقاب عليه اذا لم تكن له سابقة حتى اذا كرَّر الجنحة في مدة خمس سنين ينفذ فيه العقابان معاً

ذلك في القانون واما في القضاء فان القضاة يراعون في احكامهم الاشخاص وحالتهم ومنزلتهم في الهيئة الاجتماعية وكثيراً ما يستعملون الرأفة بالنظر الى حالة المجرم لا الى نوع جرمه والقانون نفسه يسوّغ لهم ذلك

بقي ان نرى هل يسوغ التفاضل القانوني في حال من الاحوال اي هل هو عادل وهل ترجح فائدته الاجتماعية على ضرره

رأينا في ما سبق ان التفاضل الاجتماعي اذا انتهج نهجاً قويماً كان عدلاً لامحالة بالنظر لتفاوت الناس في مراياهم العقلية والادبية ولما كان القانون مستمداً من الشرائع الادبية

والعادات الاجتماعية وجب ان يستمد روح التفاضل ايضاً لانه من الظلم ان يتساوى المتهذب والمتشرد امام القانون والقضاء اذا افضى احتكاكهما الى الشجار والقتال

اشتريت مرة شمامة من بائع شمام طواف على شرط ان يقطعها فان كانت حلوة صح البيع والا فسد . فقطعها فكانت تافهة . فرفضتها فحتم عليّ ان آخذها وشفع تحتيمه بالكلام المهين لكي يستفزّني الى الشجار ويجرني الى المخفر فاعتصمت بالحلم وحاولت ان اصرفه بالحسنى فأبى واذ رأى ان بذاءته لم تفضِ الى مبتغاه في مخاصمتي حتم ان آخذ الشمامة او يختصم معي وغمز رفيقه ـ وسل الشمام على راسه ـ ان يدفعه لكي يقع الشمام ويتكسر فيدعي اني المعتدي . واتفق ان كان الشرطي قريباً منا فاستدعيته في الحال فصرفه من امام منزلي بالرغم منه

كان بائع الشمام يبتغي ان يشتجر معي لكي يضطرني الى دفع ثمن الشمامة لانه يعلم اني استنكف الذهاب الى المخفر وهو لا يستنكفه ولا يخشاه مهما كانت النتيجة . وكثيراً ما يلجأ الحمارة والحوذية ومساحو الاحذية في مصر الى هذه الطريقة لنيل مطامعهم من الناس . ولاقل خلاف بينهم وبينك يهينونك لكي يستفزوك الى ضربهم وحينئذٍ يستدعون البوليس ليجرك معهم الى المخفر . وكثيرون منهم يفتخرون بذلك ولا سيما اذا كان حكم القاضي مذنباً لخصمهم ولكن المهذبين يفضلون احتمال الاهانة على الوقوف معهم امام القضاء

ولا يغرب عن ذهن اللبيب ان هؤلاء الذين يتحككون بالناس ويستفزونهم الى الخصام لكي ينالوا منهم مآربهم هم من اسافل البشر واحط الناس فلا يسوغ ان يساووا الناس المهذبين المتأدبين امام القانون لكي يتسلحوا ضدهم بهذا التساوي على الاسلوب الذي سبق بيانه . وكنت كلما حدثت لي حادثة كحادثة الشمامة بل افظع منها اشعر ان هذه المساواة القانونية خطاء في هذه البلاد التي يتباين الناس فيها كل التباين في ادبياتهم وقلتُ في نفسي ان الانكليز المسيطرين على الحكومة المصرية قد تسرعوا في تعميم المساواة في البلاد لانه كان الواجب عليهم ان يعمموا التعليم والتهذيب اولاً لكي تترقى اخلاق العامة وتتدمث طباعهم وتتنشأ فيهم بعض الفضائل وثمَّ اذا عمموا المساواة القانونية وغيرها كانوا صائبين ومصلحين حقيقةً . ولعمر الحق لو كان عامة الشعب ارقى منهم الان لما دفع الجهل اهل دنشاوي في تيار غضبهم حتى ضربوا الضباط الانكليز وعوقبوا بالشنق والليمان ولو كنت صاحب اللواء او المؤيد او الظاهر لما لمت الانكليز على قساوة حكم المحكمة المخصوصة لانهم مضطرون ان يقسوا هذه القساوة لحفظ مركزهم بل كنت الوم الحكومة المصرية التي

لم تزل تاركةً الفلاحين يخوضون في عباب جهالتهم ومع ذلك تلقي عليهم المسأولية التي تلقيها على فئة راقية

فترى ان تساوي الناس امام القانون مع تباينهم في المعرفة والاداب خلل فاضح لانه ينشط المتسفل الذي يستطيب مناخ السجون ويستلذ بقصاط الحبس الى التعدي على المتادب الراقي واهانته وضربه لكي ينال وطرًا منه كما تقدم الاستشهاد عليه

« تأتي البقية »

شيء عن الجامعة

﴿ الجامعة في اميركا ﴾ تحت هذا العنوان ورد في رصيفتنا جريدة المحيط التي تطبع في نيويورك ما حرفيته

اجتمعنا بحضرة الرصيف الفاضل فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة واذ اردنا معرفة حقيقة ما صادفته هذه المجلة الزاهرة بفوائدها من الاقبال في العالم الجديد وعواطف القراء من نحوها استطلعنا رايه في ذلك فاجابنا بما خلاصته :

« ان الاقبال على الجامعة الذي وجدناه بين اخواننا في اميركا الشمالية والجنوبية منذ صدور اول جزء منها الى الآن خصوصاً في الولايات المتحدة والبرازيل يقضي علينا باعادة الشكر والثناء على افاضل المهاجرين الذين ينشطون العلم والادب في هذه الديار ويأخذون بناصر المشروعات العمومية النافعة . ومما زاد امتناننا اننا راينا افاضلهم يقدرون عمل الجامعة الجدي قدره ولا يجهلون التعب الذي يُبذل في مجلة كالجامعة تأليفاً وطبعاً في بلاد بعيدة عن مركز المطابع العربية . وقد وردت على الجامعة عدة كتب من قرائها في اميركا اظهر كتابها مسرتهم ببقاء الجامعة في مركزها العلمي الادبي الذي كانت عليه خارج اميركا وبعدم تحويلها الى مجموعة قصص وفكاهات لا سيما وان عدد النسخ التي يرسل منها الى خارج اميركا يعادل الآن ما يرسل منها الى اميركا نفسها اي انها مجلة عمومية منتشرة في جميع اقطار الكرة الارضية من اقاصي الهند حتى مصر والشام ومنها الى اقاصي الاوقيانوس . فالمقالة التي تكتب في نيويورك تقرأ وتحفظ في كل قطر . وهذا يوجب عليها ان تكون

مواضيعها وطريقة تأليفها مما يلذ ويفيد العناصر العديدة المختلفة التي تقرأها بين سوريين ومصريين وعرب وجزائريين وتونسيين وهنود وايرانيين الخ . والمهاجرون ولا شك يسرهم ان يكون عندهم مجلة بهذا الانتشار وهذا التأثير في خارج اميركا اولاً لرغبتهم في قراءة المواضيع المبتكرة العالية التي اعتادت الجامعة نشرها وحفظهم الجامعة ككتاب نفيس يجلدونه ويحفظونه في مكاتبهم لهم ولأولادهم كتذكار من المجلة . وثانياً لتكون الجامعة صلة بين الشرق وجميع المهاجرين الذين يتكلمون اللغة العربية في هذه الديار . ومعلوم ان مقياس نجاح الاعمال ورضى القراء عن الصحافة انما هو رسائل مشتركيها الافاضل . ورسائل المشتركين صارت عندنا تعد بالمئات حتى ان موزع البريد كان يضحك كلما القى الرسائل الى الادارة ويقول (كثير كثير . والامر الاكثر دلالة على ارتياح قرائنا الافاضل ان هذه الرسائل ٩٠ في المئة منها ممتلئة (شكات) بقيمة اشتراكات دون ان تطالب الادارة بقيمة الاشتراك . ولا يزال المشتركون والغير المشتركين يقدمون انفسهم لمساعدة الجامعة على الانتشار في جهاتهم ويرسلون قيم الاشتراك دون طلب . وتلك شيمة اهل الفضل والادب . الذين لا تضيع عندهم خدمة ولا تعب . ويسلكون في مكافأة من يجهد نفسه فيها كل سبيل وسبب . وحسبنا للدلالة على المنزلة التي اصبحت الجامعة فيها لدى اهل الفضل والادب في اميركا ان اول يوم سار فيه محصل الادارة الى مشتركي الجامعة في مدينة نيو يورك نفسها عاد وقد حصل من اشتراكاتها نحو ثلاثمائة ريال في يوم واحد . وهذا لا يقع لجرائد مصر اليومية الكبرى نفسها

« فلما رأينا هذا الاقبال العظيم على الجامعة وشهامة المهاجرين في تنشيط المجلة التي انتقلت اليهم لخدمة العلم والادب بين ظهرانيهم جرّأنا هذا التنشيط على ابلاغ الجامعه وادارتها المبلغ الذي نريده لها لان الريال الذي يبذر في هذه البلاد يعود اضعافاً . فاتفقنا نحن وبضعة من اهل العلم والادب في مصر والشام ومنهم كتاب يحملون اسماء كبيرة في عالم العلم والادب على مساعدة الجامعة بمقالاتهم المفيدة التي ستظهر في الجامعة قريباً . والجامعة تنشر المقالات المفيدة لغيرهم باجرة تتفق مع صاحبها على نشرها اذا كانت مما يفيد نشره ولا تضن بالمال في هذا السبيل ارضاء لقرائها

« ويسرنا ان الجامعة اصبحت في طورها الجديد في اميركا قوة للمهاجرين تخدم افاضلهم واذكياءهم كما يخدمونها واذا كانت الى الآن لم تبرز كل قوتها ومبادئها

فالمستقبل واسع امامها . وعن قريب سيسمعون عنها اخباراً تسرهم وتحقق املهم فيها . » انتهى

﴿ الجامعة في الشرق ﴾ ولقد عتب بعض القراء والوكلاء على المجلة في مصر والشام على الخصوص لانها لم ترسل اليهم من الاجزاء قدر عدد المشتركين الذين كانوا يقراونها لما كانت في مصر . فانا مثلاً للبلدة التي فيها خمسون مشتركاً لم نرسل الا ٢٥ اي النصف وفوضنا الوكيل ان يطلب حاجته من اجزاء الجامعة من فرع اداراتها في الاسكندرية او من فرعها في مصر القاهرة . وليس السبب في هذا الفعل عدم اهتمام الجامعة بقرائها الافاضل خارج اميركا بعد الاقبال الذي وجدته في اميركا فانهم ولا شك يعلمون ان منزلتهم عندها لا تضاهيها منزلة لانهم كانوا المؤسسين الاول للجامعة فضلاً عن ان لآرائهم و رضاهم عندها قيمة خصوصية . ولكن فعلنا ذلك لان الاخبار علمتنا ان في بعض الجهات خصوصاً في جهات الشام (ونذكر ذلك باسف) بعضاً من المشتركين في الصحافة لا يهمهم رضى الصحافة عنهم فيشتركون فيها و يتحكمون في دفع اشتراكاتها كاملة او ناقصة كما يريدون في السنة التي يريدونها متجاهلين ما يبذله اصحاب الصحف في سبيلها من التعب والمال . فكان غرضنا مما تقدم ذكره غربلة مشتركي الجامعة في الشام ومصر وعلى الخصوص في الشام لان المشترك الواحد في اميركا هو الان عند المجلة من الجهة المالية خير من مشتركين او ثلاثة في غيرها لعدة اسباب منها غلاء اجرة البوسطة خارج اميركا بالنسبة اليها في داخلها واتباع القراء هنا خطة يحمدون عليها وهي دفع قيمة الاشتراك مقدماً كاملة لجميع الصحف تشبهاً بالقراء في الغرب وعدم ذهاب شيء منها عند احدهم الا النادر جداً الذي يكون في اشتراكه مشكلة كأن ترسل اليه المجلة او الجريدة دون طلبه . وهذه شهادة نؤديها عن طيبة نفس في حق القراء الافاضل هنا . وليس عبثاً يستبدل الوسط الصغير بوسط كبير وتسلط العادات القوية على العادات الضعيفة . و بناء على ذلك قطعنا المجلة باسف عن كل من كانت الادارة تتعب معه في الشرق فقطعنا عن مصر والشام وغيرها عدة مئات من الاجزاء مكتفين من الشرق بالجمهور الغفير الخاص الذي اعتاد قراءة الجامعة بامعان وايفائها حقوقها في اوقاتها والذي هو المؤسس الحقيقي لما بل هو خلاصة الجمهور الشرقي الراقي الذي يحب المطالعة ويراها من حاجات النفس

﴿ مصر والجامعة ﴾ وقد كان بعضهم في الشرق يتدلل على الجامعة فاصبحت هي اليوم تتدلل عليه . فقد وردنا من القاهرة من احد الادباء المحبين للجامعة انه بعد وصول الجزء الاول منها الى مصر عزم مع وكيل الجامعة فيها على ارسال تلغراف الى نيويورك يطلب فيه

٣٠٠ نسخة من كل جزء صدر منها لكثرة طلب الجامعة هناك . وهو يطلب سرعة ارسال هذه الاجزاء حال وصول الكتاب اجابة للطالبين . فارسلناها حسب الطلب فوق عشرات الرزم الكبرى التي سبق ارسالها حين صدورها. ووردنا من وكالة الجامعة في الاسكندرية انه حين اعلنت الجرائد في مصر خبر وصول الجزء الاول من الجامعة اصبحت الكتب الواردة على الوكالة بالاسكندريه بطلب الاشتراك ترد عشرات عشرات وبعض القراء الذين غيروا محل اقامتهم ارسلوا بالتلغراف عنوانهم الجديد الى وكالة الادارة في الاسكندرية لكي ترسل المجلة اليهم بسرعة . فالجامعة يسرّها بنوع خاص ان مصر الكريمة حققت املها فيها لانها كانت على ثقة بان قراءها المصريين الكرام لا ينسونها بل يزدادون اقبالاً عليها بعد بعدها عنهم لا سيما وانها وهي في قلب المدنية الاميركية تستطيع ان تنشر لهم من الفوائد ما لا تصل اليها وهي في مصر . فهي المجلة العربية الوحيدة التي تخدمهم من هذا القبيل خدمة كلفتها عناء الانتقال ووحشة الغربة بازاء رصيفاتها الجليلات التي تخدمهم في مصر من وجه مفيد آخر . هذا فضلاً عن انه لا شيء كالبعاد يزيد اميال الفؤاد . كما تعرف الجامعة الآن ذلك من نفسها . ولكن هنا لا نزيد كلمة في موضوع مصر وميل الفؤاد اليها لئلا يشمت بنا هناك من فارقناهم على كره منا ويتهمنا اصدقاء الجامعة وقراؤها هنا بنكران الجميل لاستمرارنا على الحنين الى مصر مع ما لقيته الجامعة عندهم من الترحاب والاقبال . فنكتفي اذاً بقول ابي تمام

وكانت لوعة ثم اطمأنت   كذاك لكل سائلة قرارُ

❋ امل الجامعة ❋ وقد ذكرنا في ما تقدم آنفاً ان الجامعة تحقق امل المهاجرين فيها عن قريب باستعدادها لخدمتهم خدمة يرتاحون اليها وينتظرونها منها وابلاغها مبلغاً يسرُّ قراءها . وهي كما تبذل منتهى الجهد في خدمتهم ترجو ان تستمرّ معاملاتهم معها على السهولة التي لها الآن من القيام بوفاء حقوق المجلة دون مطالبة منها

❋ اصلاح خطإ ❋ في الصفحة ١٥٤ في الحاشية في صدر البيت الثاني لام مكسورة عند الطبع وصحته (فهل نصدق منا قول من زعموا)

مختارات من فلسفة نيتش

الوارد ذكره في المقالة الاولى للدلالة على مذهبه

كل مصيبة تصيبني في مدرسة الدهر ولا تقتلني انما هي قوة جديدة لي

اول مبادىء حب القريب هذا المبدأ : ساعد نفسك يساعدك جميع الناس .

قالت امرأة لامرأة اخرى تطلبين الحقيقة كانك لا تعرفينها . الا تعلمين انها خرق لحرمة حيائنا

طلبتُ رجالاً عظاماً فلم اجد الاّ قروداً يقلدون تصوراتهم

لقد كانوا سلّماً لي فصعدت عليهم ولذلك اضطررت الى دوسهم لاتمام سيري اما هم فحسبوا انني استخدمهم للصعود للاستراحة عندهم

تعريفي السعادة : القول لا أو نعم (١) خط مستقيم اسير فيه . غاية اسعى اليها

قال سقراط قبل شربه السم المريض من كان حياً لان الحياة مرض فانا مدين للسم بانقاذي منها . نعم لا بدَّ ان يكون في هذا القول شيء من الحقيقة . والحقيقة هي ان المريض هو سقراط نفسه . وما المبادىء التي دعا الناس اليها وسموها حكمة الا مبادىء مريض ضعيف لا قبل له على اقتحام الحياة

الرغبة في اقتحام شهوات الانسان وغريزته لاخضاعها او اماتتها انما هي رغبة في افناء الحياة نفسها

على الانسان ان يكون شديد الحب لان يكون معارضاً ومعارضاً . بالفتح والكسر فهذا هو الشرط الاول لنجاحه . وليست تدوم للانسان قوة وشباب اذا بدا منه ميل للراحة والسلام . وما « السلام المسيحي » الاّ ضعف ووهن لا محل له في هذا العصر

ان الآداب كما اتفق عليها الناس في هذا العصر انما هي صورة لحياة منحطة ضعيفة تعبة محكوم عليها بالزوال . هي « غريزة الانحطاط »

---

(١) يعني حكمه في الامور حكماً جازماً وقد كان هذا مواضع الخلاف بينه وبين جميع الفلاسفة الذين يترددون في الحكم في المبادىء او يقولون « لا أدري » او غير ذلك . وقد اوسعهم نقداً وتهكماً في كتبه

ان رغبة المريض في البقاء مع حكم الاطباء بانتهاء اجله امر يوجب احتقاره . وعلى الاطباء ان يدفعوا من امامهم بلا رحمة ولا شفقة هذه الحياة المنحطة « زه زه زه »

انني اعتبر مبدأ « الاشتراكيين » مبدءاً مخطأ ولكني اعتبر مبدأ المستر هربرت سبنسر مخطأ ايضاً لانه يرضى عن انتصار « مبدأ الغيرية » في العالم

ما المبداء الصحيح ؟ هو كل ما يثير في الانسان حب القوة و يدفع ارادته الى حب السيادة

ما المبداء الفاسد ؟ هو كل ما يكون ضعفاً ورفقاً

ما هي السعادة ؟ هي شعور الانسان بازدياد سلطته وقوته . واحساسه بتغلبه على العثرات التي في سبيله

ليست السعادة رضى النفس والقناعة ولكنها السلطة والقوة . ليست السلام بل الحرب . ليست الفضيلة « كما يفهمها اهل النهضة » Renaissance بل هي القوة

عندنا اول مبادئ محبة الناس هذا « فليفن الضعفاء والمخذلون في هذه الحياة ولا راحتهم ساعدوهم على هذا الفناء »

ما شيء ضرره اشد من ضرر اية رذيلة كانت ؟ هو الرفق المسيحي الذي يقضي بالشفقة على هؤلاء الضعفاء والمخذولين « بخ بخ بخ »

تعريف المذهب البروتستنتي : هو المسيحية والعقل مصابان بداء الشلل من جهة واحدة

الالمان اعداء ي الالداء (١) واني احتقر فيهم كل قذارة في الفكر وكل جبن في الحكم سلباً او ايجاباً . وانهم منذ الف سنة يشوهون و يعرقلون كل ما وصلت اليه ايديهم . فعليهم تلقى تبعة المبادئ التي اوروبا مريضة بها الآن (٢)

---

(١) لا تنس ان نيتش فيلسوف الماني

(٢) يعني مبادئ الفيلسوف قنت وشوبنهور وهجل وجوت ولوثر وكلهم من اعاظم الالمان

عقاب الحب وصفح الحنو

بقلم حضرة الشاعر الناثر نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

في انه يجب على الام ان لا تترك حنوّها يحول دون ما يجب عليها من التهذيب لولدها (١)

غرَّ زهوُ الصبا صبياً لعوبـا   فنسي أمرَ امهِ المطلوبـا
فأرتهُ وجهاً عبوساً ولكنْ   كتمتْ في الحشى حنوًّا عجيبا
رامَ تقبيلهـا كما عوَّدتهُ   حين ان يدعوهُ الكرى فيجيبا
اعرضت عنهُ لا لِقِلىً او جفاءٍ   بل عقاباً لهُ عسى ان يتوبا
وصدودُ المحب اقسى عقابٍ   اذ يشا الحبُّ ان يربّي الحبيبا
فانثني عنها كاسفَ البال لما   عوَّضتهُ من بِشرها تقطيبا
صانت الكبرياء في مقلتيهِ   ادمعَ الحزن حين راح كئيبا
شيعتهُ الحاظها وكانَ الـ   وَجدَ يبدو في ناظرَيها لهيبا
واقتفاهُ فؤادُها مُستطيراً   حولهُ وَهوَ موشكٌ ان يذوبا
عوقب الابن لكن الامُّ قاست   ألماً في جفاهُ يفري القلوبا
ان يَنم ظامئاً لرشف لماها   فهي اظما منهُ وادجى كروبا
قصدته مدفوعةً بحنانٍ   نحوَهُ هبَّ كالنسيم هبوبا
وجثت عند مهدهِ وهو غافٍ   ثمَّ ألوت واستنشقت منهُ طيبا
لم يكن دمعُ عينه جفَّ لما   قبلت خدَّه الندي الرطيبا
قبلتـهُ وقبلتـهُ مراراً   وهي تسقي خديه دمعاً صبيبا
ثمَّ قالت رباه هل انت تسقيـ   ـنا دواء الرضا لتشفي الذنوبا
يومَ نُلقى على سرير المنايا   وتوافي شمس الحياة المغيبا
قبلما تنشفُ الدموعُ وتكسو   لفحةُ الموت كل وجهٍ شحوبا
اي نعم انتَ راحمٌ وغفورٌ   فأعفنـا رباه حتى نتوبـا
ونغض الاجفان عن كل عيبٍ   في سوانا ونحنُ اوفى عيوبا

---

(١) من هذه القصيدة الرقيقة يرى القراء ان حضرة ناظمها شاعر مطبوع كما انه كاتب مجيد

تنبيه

من ادارة الجامعة

﴿ مطبعة الجامعة وصدور هذا الجزء ﴾ اصدرنا من الجامعة الجزء الاول والثاني والثالث وبعد صدور الجزء الثالث اخذنا مهلة عشرة ايام لترتيب ادارة الجامعة وتقطيع حروفها الجديدة وتركيب الادوات والآلات الجديدة التي استجلبناها لها. ورغبة في اجتناب العطلة وعدم التثقيل على مطابع نيويورك العربية التي كل واحدة منها مشغولة بشغلها ابتعنا من نيويورك نفسها حروفاً عربية بمضاعف ثمنها الاصلي لكي لا ننتظر ورود الحروف من مصر وسوريا . واشترينا فوق الآلات الصغيرة آلة للطباعة كبرى تدار بالكهرباء وقوتها ثلاثة احصنة وزنتها ٦ آلاف بون . وبعد نقلها الى الادارة من نوافذ المحل بآلات رافعة لتعذر نقلها من السلم حضر مفتش البلدية وقرر عدم تركيبها لكبرها وثقلها على مكان الادارة لان أكثر المطابع هنا في الطبقات الثانية والثالثة لا في الطبقات الارضية كما في مصر . فاضطررنا الى تأخير تركيبها والانتقال من محل الادارة الى محل جديد استأجرناه وهو اوسع منه واقوى لحمل الآلة . وهذا سبب تأخير هذا الجزء . اما الآن وقد استوفت مطبعة الجامعة معدّاتها ولوازمها وفرغت من ترتيبها وتنظيم حروفها العربية والافرنجية واستحضار مرتبي حروف لها يتولون ترتيبها وطبعها باتقان تام كما يرون في هذا الجزء الذي طبع بها فقد اصبحت مطبعة الجامعة مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من اوراق تجارية وكتب وجرائد وغيرها كما يرون في الاعلان في ملزمة الاعلانات في الصفحة الثانية

العالم الجديد

او

مريم قبل التوبة

هي رواية غرامية اجتماعية تاريخية فلسفية تأليف صاحب الجامعة على نسق « اورشليم الجديدة » له ايضاً . وقد وقعت حوادثها في فلسطين قبل ظهور السيد المسيح بعشر سنوات وتمتد حوادثها الى ما بعد ظهوره . وستكون هذه الرواية افضل ما كتبه صاحب الجامعة الى الآن . ونبدأ بنشرها في الجزء التالي

تذكارات مصر والشام

محمد عبده ورايه في المسالة الاجتماعية
وراي اللورد كرومر فيها

وعدنا في الجزء السابق بعد الفروغ من الكلام على ما كان بين العلامة الشيخ محمد عبده والجامعة من الصلات ان نلخص الفتوى الاجتماعية التي افتى بها الشيخ للجامعة .
وتفصيل الخبر ان النزاع القائم الان في العالم المتمدن في اوروبا واميركا انما اصله سبب واحد وهو: ان التجارة حرة وكذلك الصناعة والعمل . فالصانع مطلق الحرية في ان يعمل او ان يعتصب كما ان صاحب الصناعة او التجارة مطلق الحرية في ان يقبله او لا يقبله في صناعته او تجارته . واذا قام نزاع بين العملة واصحاب الاعمال لم يكن للحكومة من وظيفة غير (حماية الاشخاص والنظام) ويدخل تحت ذلك ثلاثة امور (١) حفظ الأمن والنظام في الشوارع اذا وقع من العملة اعتداء (٢) حماية المعامل اذا اعتدى عليها العملة المعتصبون (٣) حماية العملة الذين يريدون العمل حين يكون رفاقهم معتصبين .
وفيما خلا هذا لا تتداخل الحكومة بين اصحاب الاعمال والعمال في شيء اذ ليس ذلك من وظيفتها كما يقولون . والذين يقولون ذلك هم اصحاب الاعمال . اما العمال فيطلبون منها المداخلة ولا عجب ففيها مصلحة الضعيف . وعلى المداخلة وعدم المداخلة تدور الحرب الاجتماعية في كل مكان

ولما وقع اعتصاب عملة السكائر في مصر وكاد الاعتصاب يخل بالامن العام اجاب اللورد كرومر وكيل انكلترا السياسي في مصر على كتاب سُئل فيه رايه ان الحكومة لا وظيفة لها سوى حماية حرية الصناعة وحرية العمل وحفظ الامن الا اذا اتفق الفريقان المختلفان على تحكيمها . قلنا ولكن اصحاب الاعمال لا يحبون هذا التحكيم لانهم يعتبرونه مداخلة في شؤونهم ومصالحهم الخصوصية

فبينما كنا نطالع في ذات يوم مقالة لاحد اقتصاديي الفرنسويين في العملة والعمال في الجزائر راينا ان هذا الاقتصادي يقول ان الشريعة الاسلامية حلت هذه المشكلة حلاً

جميلاً . فانها توجب على الحكومة المداخلة بين اصحاب الاعمال والعمال والتحكيم بينهما . فلم يدهشنا هذا القول لعلمنا ان المدنيات القديمة الدينية اسلامية ومسيحية لم تكن فيها الحرية العمومية مصونة من كل الوجوه وكانت الهيئة الحاكمة فيها تجوز لنفسها التداخل في ما لا يعنيها احياناً . ولكن قلنا انه اذا كان ذاك القول صحيحاً وكانت اوروبا تطلب اليوم « ايجاب التحكيم » (١) بين الفريقين حلاً للمسالة الاجتماعية فانه يحق للشريعة الاسلامية ان تفتخر بانها تقدمت اوروبا بهذا الحل المعقول . و بعد ان بحثنا في كل المصادر التي لدينا ولم نهتدِ الى اثر لهذا المبدا بعثنا نستفتي الاستاذ المفتي فيه . فتفضل فضيلته على الجامعة بجواب مسهب يستغرق صفحتين . وقد قال في مطلعه (ان التحكيم كما يُفهم من لفظه يلزم ان يكون باتفاق الخصمين اللذين يريدان ان يُقضى في النزاع بينهما) و بذلك وضع اساس التحكيم الاختياري لا الاجباري على ما تقدم ذكره . ولكن بعد عدة اسطر يقول هذا القول الخطير « انما يوجد في اصول الاحكام الاسلامية ان القيام بالصناعات من فروض الكفاية اي يجب على الامة ان يكون منها من يقوم بالصناعات الضرورية لقوام المعيشة او للدفاع عن حوزتها فاذا تعطلت الصناعات وجب على القائم بامر الامة ان يتخذ السبيل الى اقامتها بما يرفع الضرورة والحرج عن الناس وكذلك اذا تحكم باعة الاقوات و رفعوا اثمانها الى حد فاحش وجب على الحاكم في كثير من المذاهب الاسلامية ان يضع حدًا للاثمان التي تباع بها وهكذا يدخل الحاكم في شؤون الخاصة واعمالهم اذا خشي الضرر العام في شيء من تصرفهم

« فاذا اعتصب العمال في بلد واضربوا عن الاشتغال في عمل تكون ثمرته من ضروريات المعيشة فيه وكان ترك العمل يفضي الى شمول الضرر كان للحاكم ان يدخل في الامر وينظر بما خول له من رعاية المصالح العامة فاذا وجد الحق في جانب العمال وان ما يكلفون به من قبل ارباب الاموال مما لا يستطاع عادة الزم ارباب الاموال بالرفق سواء كان بالزيادة في الاجر او النقص في مدة العمل او بهما جميعاً »

---

(١) حين قدوم المستر بر بن المرشح الديموقراطي لرئاسة الجمهورية الاميركية من سياحته في اوروبا وآسيا في هذا الشهر كان في جملة ما دعا اليه في خطبته يوم استقباله في نيو يورك « ايجاب التحكيم بين العمال واصحاب الاعمال »

فانت ترى اهمية هذا القول وخطارته خصوصاً ما جاء فيه عن حكم الحاكم بالزيادة في الاجر والنقص فيمدة العمل. وهذا القول مناقض كل المناقضة لمبداء اللورد كروم الذي تقدم بسطه وقريب من المبداء الذي اشار اليه الاقتصادي الفرنسوي . وعلى ذلك كان في مصر سلطتان متجاورتان متناقضتان السلطة المدنية التي تنادي بفم اللورد كروم بمبداء الـ individualistes الذي بسطناه في الجزء الثاني (١) والسلطة الدينية التي كانت تنادي بمبداء التعاون . والله اعلم بمصير الانسانية في الارض بين هذين المبدأين

على ان الاستاذ المفتي يوجب في آخر فتواه التحكيم بين الرجل وامرأته اتباعاً لما جاء في القرآن الكريم (واذا خفتم شقاقاً بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما) قال (والذي يظهر من لفظ الآية ايجاب التحكيم على اولي الأمر) ثم قال (وعلى كل حال فايجاب التحكيم في امر الزوجين معقول) لانه لم يقل بايجابه مطلقاً بين العملة ثم قال (فان كان ذلك الكاتب الفرنسوي يعني هذا الاصل ويشير اليه ويريد ان يقيس به ما يقع بين العملة فذلك رأيه وحده والسلام

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

وفي ذيل الفتوى هذا السطر الرقيق (اجب ان تدقق النظر في الخط كيلا يقع خطأ فاذا اشتبه شيء رجوت مخابرتي فيه)

فاعجبتنا هذه الفتوى لان فيها شيئاً مما كنا نطلبه خصوصاً الاسطر المطبوعة بالحرف الكبير ولكن اردنا ان نستخرج من الاستاذ فتوى اعظم. وكان غرضنا ارسالها الى نفس الاقتصادي الفرنسوي الذي تقدم ذكره لانه ظهر لنا من مقالته نفسها انه هو نفسه على غير هدى في هذه المسألة. فقلنا للاستاذ في كتاب ثان ان قوله الذي جعلناه هنا بحرف كبير غاية في الاهمية والخطارة . وبناء عليه فانني اسأله سوءالاً يحل هذا المشكل ويزيد الايضاح . وكان بحارة البواخر الفرنسوية في مرسيليا قد اعتصبوا في ذلك الحين وانقطع ورود البواخر على مصر واختل البريد الفرنسوي بين فرنسا ومستعمراتها. وكان انصار العملة يطلبون من الحكومة المداخلة لدى الشركات لاجبارها على قبول التحكيم ارضاء للبحارة . فلم تتداخل الحكومة الفرنسوية في ذلك ولكن وزير التجارة وكان لذلك العهد المسيو ترويو كتب الى الشركات كتاباً اخبرها فيه انه قطع عنها الاعانة التي تدفعها الحكومة اليها لنقل

(١) راجع تذكارات مصر والشام الجزء الثاني

بريدها وذلك لاخلالها بشروط هذا النقل . فكان ذلك من الحكومة مداخلة متينة . فسألنا الاستاذ : هل كنتم فضيلتكم تجبرون هذه الشركات على الرضى بالتحكيم . لان انقطاع البريد عطل الاشغال واضرّ مصالح الامة . فلما علم الاستاذ رحمه الله اننا علقنا اهمية عظمى على جوابه الاول واننا استكبرناه اضعفه في جوابه الثاني بعض الشيء . اي انه بدل ان يزداد تقدماً فيه ويخطو خطوة اخرى الى الامام تأخر وخطا خطوتين الى الوراء . ومن سوء الحظ قد فقد من عندنا هذا الكتاب ونحن نأسف لذلك لاننا نحفظ كتب الاستاذ عندنا كأثر من انفس الآثار

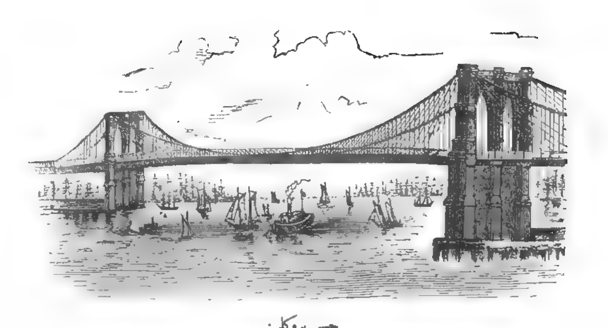
ولكن الاستاذ رحمه الله معذور لهذا الحذر . وهو عنده دليل على العقل واصالة الراي لان خصومه كثيرون وكانوا ينتظرون سقطاته . وقد افتى بمسألتين (مسألة الموقوذة كما سموها ومسالة صناديق التوفير) وكان الحق في جانبه في المسألتين . فقامت عليه القيامة وكانت بعض الجرائد الاسلامية تصدر كل يوم وصفحتها الاولى مشحونة بالحملة على الاستاذ . فكان لذلك ضجيج في مصر لم يسمع بمثله حين كتابة وفاق مصر والسودان . وقد كان حذره هذا في محله فانه ما انتشرت فتواه هذه في مصر حتى تصدّى لها احد شيوخ العلم الذين يترددون على الازهر ويحررون الجرائد . فكتب مقالة اولى في احدى الجرائد السورية اليومية عن لسان الجريدة نفسها نخص فيها فتوى الاستاذ للجامعة ووعد ان يردّ عليها لاظهار (حدود الله في هذه المسالة) . فلما اطلع صديقنا صاحب الجريدة على الثورة الجديدة التي يراد اثارتها على الاستاذ في جريدته هرع الى كاتب المقالة وشكره وسأله سدّ هذا الباب

مشاهدات في اميركا

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

الآن وقد صفا الفكر من شواغل تاسيس الجامعة وتاسيس مطبعتها في اميركا واستيفاء اعمالها المادية فقد صار في الامكان التفرغ لاعمالها الادبية . وقد ذكرنا اننا سنشرع في الجزء الآتي برواية (العالم الجديد او مريم قبل التوبة) وكذلك سنشرع فيه ايضاً بدرس المدنية الاميركية درساً مبنياً على المشاهدة العيانية . وتحليل روح هذه المدنية ومبادئها وذكر عجائبها وغرائبها . واذا كانت الجامعة هي اول من يكتب بالعربية في المدنية الاميركية كتابة جدية مبنية على الاخبار والمشاهدة فهي لا تفخر بذلك لانها اشترته بثمن غالٍ وهو فراق قومها وبلادها وتحمل عناء الانتقال من قارة الى قارة كشجرة تقتلع من روضة لتغرس في روضة



جسر بروكلن

بين نيويورك وبروكلن

وهو ابدع واعجب جسر في الدنيا

الجزء الخامس



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — ١٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٦ — ٢٧ رجب سنة ١٣٢٤

صوت من بعيد

اذا تصفحنا الصحف الاوروبية والاميركية . واصغينا الى مجالس الشورى وكلام الخطباء فيها . وقرأنا اخبار مصر في صحفها . خيل لنا ان مصر قائمة قاعدة في هذا الوقت وافريقيا وآسيا وراءها تشد ازرها . فنتساءل قائلين : ماذا اصاب الحبيبة بعد فراقنا لها . ولكن من عاش في مصر دهراً طويلاً وخبر ما ظهر وما بطن من احوالها علم ان هذه الضوضاء ناشئة عن تجسيم الكتاب الاوروبيين والمصريين لحوادثها جرياً على العادة

﴿ كتاب من مصر ﴾ وقد كان هذا معتقدنا واذا بالبريد المصري يحمل الينا كتاب صديق معروف في مصر بكونه دكتوراً ومؤلفاً . واليك شيئاً من هذا الكتاب ننشره بلا حذف ولا تبديل

« حالة مصر عدم . وندم . تعصب في الدين . وكره للاجانب قتال . واستبداد في المحتلين . ورشوة في العمال . ضغط على القضا . وفلاح مقيم على الهوان . وادارة تدار بالقدر والقضا . وصحافي بعده الطوفان — كروم كنا يا ابن ابي سلمى من يصبه لا يسلم . ومن اخطاه يهرم . دفعه الخرق في السياسة لامل ان يجني من الشوك عنباً . وقاده الى ان يفتل من العنكبوت طنباً . فاذل من القوم زعيمهم فاهاج غضبه . وعزز لئيمهم فرفع عليه عقبه .

وليّ الامس تاجر والمؤتمر امير والعالم عندهم كافر والجاهل مشير. القاضي محابي والحاكم جابي. وعامل الترك يستر حركته النفص والاشتغال. وبعدم صرف الوزارة زاد الاعتلال . لا تسمع الا « المسلمون والرسول » والكل زعيم غير مسئول . هذا ما اتمه محمد عبده واسسه رياض. والآن الامير يعضده والحال في المخاض. فصر اليوم ضد الحجاج بالامس . فان انجبت كان ولا شك بغل علينا عليقه ولنا الرفس. وان اجهضت فربما يعتري اهل الفتن التعب ويزول عنا النحس. فنحن بين شافونين . اتخذنا الوطني دخلاء مزاحمين . واعتبرنا المحتل جواسيس عليه مأجورين . فاصبحنا بفضل جرائدنا الكل اعدانا . وصح فينا « ما بين حانا ومانا » . . .

ولم ننشر هذا (الكتاب الشعري) لموافقتنا على ما ورد فيه فانه لا شيء ادعى الى المبالغة من الشعر بل غرضنا من نشره اولاً ان ندل على حالة النفوس اليوم في مصر وثانياً ان ندخل منه الى موضوع نريد الكلام فيه لانه من اهم المواضيع للشرق وابنائه . واذا كانت الجامعة قد بعدت عن الشرق فان قلبها لا يزال فيه. وهي انما تنشر له

المواضيع الثلاثة

كلامنا في هذا الفصل عن ثلاثة مواضيع اشتغلت بها الصحف الاوروبية والمصرية في هذا الصيف

(الاول) هل في مصر تعصب

(الثاني) هل في مصر حزب وطني وله زعيم

(الثالث) هل الحركة الاسلامية موجودة في افريقيا وآسيا ومركزها مصر

اما الموضوع الاول فقد بحثت فيه الجرائد المصرية بعد قول وزير خارجية انكلترا في احدى خطبه ان حادثة دنشواي نشأت عن تعصب ديني بعد حادثة طابه (١) فلم تبقَ

---

(١) حادثة طابه هي الخلاف الذي وقع بين الدولة العثمانية وحكومة مصر بشأن الحدود المصرية ولما فازت حكومة مصر بما طلبته بمساعدة انكلترا تهيجت الافكار في مصر فتعرض بعض الاهالي في قرية دنشواي لضباط من الانكليز كانوا يصطادون الحمام فقتلوا احدهم وجرحوا رفاقه . وقد حوكم المتهمون في محكمة عسكرية مخصوصة فحكم على بعضهم بالشنق وعلى بعضهم بالسجن وبرئ بعضهم. اما الاهالي فيقولون ان الضباط هم الذين اعتدوا عليهم لانهم كانوا يصيدون حمامهم فضلاً عن ان النار اضطرمت في احدى عششهم من رصاص البنادق فظنوا ان الضباط تعمدوا احراقها

جريدة في مصر الا ونفت عن مصر تهمة التعصب . واما الموضوع الثاني فقد بحثت فيه جرائد مصر بعد قول جرائد اوروبا ان « زعيم الحرب الوطني في مصر هو مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء » واما الموضوع الثالث فقد كان مجال اقلام اكثر الصحف الاوروبية المهمة كالطان والدبيا وغازت دي كولونيا والتيمس وذلك بعد قول السر ادوارد غراي ناظر خارجية انكلترا ان حادثة طابه في مصر اثارت افكار المسلمين ليس في مصر فقط بل في ما وراءها من الاقطار الاسلامية في افريقيا وآسيا . قالت تلك الصحف : وقد اصبحت مصر مركز تلك الحركة

هل في مصر تعصب

١

التعصب الجنسي

قبل ان ننظر في وجود التعصب وضره او فائدته يجب ان ننظر في ماهيته وحقيقته . فالتعصب في اللغة او الاعتصاب اجتماع الناس عصبة . و« تعصب لفلان » مال اليه و « على فلان » مال عليه . و« تعصب الرجل في دينه ومذهبه كان شديداً غيوراً فيهما ذابّاً عنهما » فيدخل اذاً في ذلك نوعان من التعصب «التعصب الجنسي» و« التعصب الديني » ويظهر في هذا العصر ان التعصب الجنسي امر مستحسن مباح فان كل امة من الامم تعلم اليوم ابناءها في المدارس انها خير الامم واعظمها والغرض من ذلك اثارة حماستهم لوطنهم وزيادة وطنيتهم . ونحن لا نقول ان هذا الامر ممدوح ولكن هذا ما يقع اليوم في جميع العالم الذي يسمونه متمدناً . فالانكليزي يقول رافعاً رأسه انا انكليزي . والفرنسوي يقول بكبرياء انا فرنسوي . وانك لترى ابناء اصغر الامم الاوروبية والاميركية يفتخرون بجنسيتهم و يفضلونها على اكبر جنسية . وما ذلك الا نتيجة تربية العصبية . وقد عدّ المؤرخ ابن خلدون من المتقدمين مبدأ « العصبية » في جملة المبادىء الفعالة في انشاء الممالك والامم وترقيتها والنهوض بالافراد

ويظهر ان قادة الامم وملوكها يبالغون احياناً في هذا المبدأ ويحولونه عن الغرض الذي وُضع من اجله وهو النفع العام اذ يستعملونه في نفعهم الخاص . مثلاً كأن يتخذوا العصبية والوطنية آلة يدوسون بها حقوق الناس في داخل اممهم او حقوق الامم الأُخرى باثارة حروب عدوانية عليها . وكل من اجترأ من رعيتهم على ان يرفع صوته

بالشكوى أثاروا عليه من يتهمه « بخيانة الوطنية » ولذلك يتالف في داخل الامة حزب جديد يقف في وجه هذه المطامع • وقد ظهرت هذه الحالة باجلى مظاهرها في فرنسا في السنوات الاخيرة • فان حزب الناسيونالست الجامع بين اناس من انصار الملكية وخصوم الجمهورية من الجمهور بين انفسهم المستائين من بعض مبادئها يتخذ « مبدأ الوطنية » سلاحاً يخدم به مآربه • فاذا انتقد بعضهم بعض قواد الجيش او كان ممن يتنصرون لدريفوس في اثناء الحادثة او قال بتنقية كتب المدارس من اطراء المجازر البشرية التي يسمونها حروباً فانهم يحملون عليه حملة شعواء باسم الوطنية • فكان هذا « التمسك الغالي » بالوطنية تمسكاً لا يُقصد به الا خدمة حزب دون حزب داعياً الى رغبة الحزب المعارض لذاك الحزب في مبادئه ان يقول لهم : تعالوا معنا لننظر في مبدأ الوطنية نظر الناقد البصير كما نظرنا في كل مبدأ وكل تعليم • ثم وضعوا ان هناك وطنيتين • واحدة باطلة وهي التي مدارها على احتقار باقي الاوطان واتخاذ مبدا الوطنية سبيلاً لكتم المساوىء والاثام وتشجيع الظلم والظلام واثارة الحروب التي يخرج منها الغالب على الدوام شراً من المغلوب • ووطنية صحيحة وهي التي مدارها على الجد والعمل ضمن دائرة السلم والعقل لانماء مواهب الوطن وقواه دون اعتداء على احد او كراهة لاحد وبذلك تحبه باقي الاوطان وتتقرب منه بدل ان تنفر عنه

فانت ترى ان مبدا الوطنية شبيه بالمبدا الديني من حيث انه يرتقي بارتقاء الشخص الآخذ به • وبعبارة اخرى نقول ان « التعصب الجنسي » اذا كان المراد به « ميل الانسان الى بني جنسه » والسعي في نفعهم على قدر طاقته فلا غبار عليه • ولكن اذا كان المراد به كراهة باقي الاجناس والامم فهو تعصب مذموم • وضرره اكثر من نفعه لان ضرره عام ونفعه خاص • ونفعه الخاص نفسه لا يدوم

التعصب الديني
ثلاث آفات له

هذا من حيث التعصب الجنسي • واما « التعصب الديني » فيختلف عن « التعصب الجنسي » اختلافاً عظيماً من عدة وجوه • منها وهو اهمها ان كل امة هي مختلفة المذاهب والاديان وليس في الارض امة واحدة ساكنة في بقعة واحدة وهي على دين واحد • « فالتعصب الجنسي الشديد » اذا وقع في امة فانه يقع من

نفسها على غيرها فهي قد تستفيد منه وتجني نفعاً· واما «التعصب الديني الشديد» فاذا وقع في امة فانه يقع من نفسها على نفسها لتنافر المذاهب التي فيها · وهناك الطامة الكبرى

وبعبارة اخرى نقول ان التعصب الجنسي يصح ان يكون سلكاً لنظام امة لانه مدعاة الى جمعها بعضها الى بعض · واما التعصب الديني فلا يصح ان يكون سلكاً لنظام امة لانه مدعاة الى تفريقها · وفي تفريقها ضعفها وانحطاطها وتداخل الاجنبي في شؤونها

ومن آفات التعصب الديني غير ما ذكر آفة هي شر الآفات لانها تفسد النفوس والقلوب وتشغل الناس عن المصالح والمنافع · فالامة في هذا الزمان لا تكبر ولا تعظم الا بالعمل والجد واستخراج خيرات الارض واثارة النشاط والقوة العملية في النفوس والانصراف الى الصنائع والمتاجر والفنون · وهو عمل يقتضي في الامة ان تستجمع له كل قواها وتنفذ فيه كل نشاطها · وكل المنازعات والمنافسات التي تقوم بشانه انما تزيد هذا النشاط وهذه القوة · فالتعصب الجنسي لا يضر من هذا الوجه بل قد ينفع الا من حيث استياء باقي الامم من هذا التعصب والتشديد على صاحبته عند عقد المعاهدات التجارية · اما التعصب الديني فانه يفسد جو افكار الامة اذ يلهيها بالمجادلات الدينية العقيمة والمناظرات التافهة السقيمة عن العمل لمصالحها ومنافعها · واي شيء كالمجادلات الدينية والمنافسات الملية يثير النفوس ويفني نشاطها سدىً ويشغلها عن كل شغل · ان عند الافرنج رسماً مشهوراً يرمزون به الى حالة كهذه الحالة· وهو رسم اهل بزنطيه (١) يتخاصمون ويتنازعون

(١) في القسطنطينية قديماً و « الاستانة » اليوم

في خلافاتهم الدينية التافهة بينما ترى محمد الفاتح بجنده الجرار تحت اسوار مدينتهم يشدد عليها الحصر لفتحها · وقد فتحها واستولى عليها ولا بدع فما برحت قوة العمل قاهرة قوة الجدل

ثم نذكر للتعصب الديني شراً عظيماً آخر · وهذا الشر هو قيام دولة الضعفاء والجبناء والكسالى في الامة وتفوّقهم على اهل الذكاء والجد · فكل قاصر ضعيف الهمة قليل الادراك صغير النفس يمكنه ان يتصدر في الامة ويعلو على اهل الذكاء والجد فيها بمجرد دعواه الافراط في التقوى وشدة التمسك بدينه · لان هذا الامر لا يقتضي تعباً ولا نصباً ولا عقلاً ولا ادباً ولا فضة ولا ذهبا · سيادة عظمى تشرى بثمن بخس وهو قليل من الشعوذة · فتصبح الامة التي تسود بها مبادىء التعصب الديني امة الكسالى والمرضى والعجزة والقاصرين لان هؤلاء هم المقربون واما القادرون النافعون الذين لا تطاوعهم نفوسهم على اتيان الصغائر فبعيدون او مبعَدون · هؤلاء يريدون شد الامة الى فوق واولئك يشدونها الى اسفل · ومن نواميس الطبيعة انه اذا استوى جذب جسم من جانبيه بقي الجسم في موضعه الى الأبد

أثرها في مصر

هذا ما نقوله في التعصب الجنسي والتعصب الديني على وجه الاجمال · وهو يطلق على كل قوم في كل بلد · فلنعد الآن الى مصر لنرى آثارها فيها

ولو كان غرضنا مس هذا الموضوع مساً بطرف الاصبع لكي نختمه بقولنا لاخواننا المصريين مجاملة وتزلفاً ان لا تعصب في مصر او لو كان غرضنا التحامل عليهم بنسبة التعصب اليهم لما كتبنا في هذا الموضوع الصعب حرفاً واحداً · ولكن مصر تعرف الجامعة كما ان الجامعة تعرفها · وقولنا هنا (مصر) نريد به قراء الجامعة في مصر وهم من نخبة اهل الفضل والوجاهة والادب فيها · فهم يعلمون ان الجامعة لا غرض لها في ما تنشره الا بسط ما تعتقده وتراه صواباً · ولما بلغتنا الى هنا اصداء تلك الجلبة التي ثار غبارها في الصحف الاوروبية

والمصرية جالت في نفسنا امور رابنا من الفائدة نشرها دون تزلف ولا تحامل حسب عادتنا.
ونحن على ثقة من ان قراء الجامعة في مصر يرضون عن اللهجة التي نخاطبهم بها هنا . لان العقلاء يعلمون ان (صديق الانسان من صدَقه لا من صدَّقه) فان الذي يَصدقه انما يهديه خلاصة اخلاص قلبه واما الذي يصدّقه دون ان يَصدقه فقد يكون تصديقه مقروناً بالرياء في اكثر الاحيان

فنقول . ان المراد بالتعصب الذي تتهم به الصحف الاوروبية مصر هو (التعصب الديني) وهي تسميه Fanatisme ومعنى (فناتيزم) عندهم (حماسة شديدة لتغليب دين على دين) فهذا التعريف للكلمة الفرنسوية اشد من التعريف العربي كما تقدم اذ تعريف التعصب في اللغة (كون الانسان شديداً غيوراً في الدين ذاباً عنه) . والفرق بين التعريفين ان التعريف الفرنسوي يجعل المتعصب مهاجماً والتعريف العربي يجعله مدافعاً . ولكن التعريف اللغوي قلما يهمنا عند نسبة الاوروبيين التعصب الى مصر اذ المراد ان نعلم ما يقصدون به من هذا (التعصب) لا ان نعلم تعريفه عندنا او عندهم . فان التعريف العلمي او اللغوى لا يخرج عن كونه كلاماً في كلام والمهم ان نقف على المعنى الذي ينسب اليه ذلك الكلام . فالساسة الذين يهمهم ان تظهر مصر لدى اوروبا والعالم بمظهر التعصب انما يريدون بقولهم هذا المراد

(ان المصريين ثاروا على الاجانب قبل دخول الانكليز الى مصر لتعصبهم في الدين اي لرغبتهم في تغليب دينهم على باقي الاديان وكراهتهم كل من لم يكن منهم . وهم حتى الآن متعصبون اي يكرهون من لم يكن على دينهم . فاذا سُلطوا عليه او اذا القيت اليهم مقاليد انفسهم جاروا وشطوا . فهم غير اهل لان يحكموا انفسهم بانفسهم)

هذه التهمة قد يكون فيها شيء صحيح من وجه ولكنها فاسدة من وجوه . فالجواب عليها يحتمل وجهين متناقضين . سلباً وايجاباً

لقد عشنا في مصر نحو عشر سنوات خبرنا في اثنائها اشياءها واشخاصها حق الخبرة . فقد سحنا في حقولها النضيرة ومزارعها القطنية الجميلة ورابنا الفلاح المصري المسكين محنياً الى الارض امه الحنون يعمل في الحرث والزرع طول النهار بلباس رث وقوت لا يتجاوز البصل وخبز الذرة . فهو يعرق و يتعب و يضنى وراء جاموسه لكي يجمع غيره من عرق جبينه الثروات الطائلة . تغيب عليه الشمس وهو وامرأته وراء المحراث فيوقف العمل لان الله اطفأ مصباحه ثم يتوضأ و يفرش عباءته فيصلي عليها ثم يأخذ خبزه و بصله ومشه و يأكل

مع امرأته وبعد ذلك يرقد حيث اكل الى الصباح لاستئناف عمله . فكانه صنف من الناس تنبته الارض فيبقى لاصقاً بها . ولا شبيه له الا بعض فلاحي فرنسا في عصر لابروبير حيث وصفهم يقول : اقتربت من الحقول فرايت فيها حيوانات تسعى . هي سوداء تدب في عملها على الاربع . ولم ادر انهم بشر مثلنا الا حين رايتهم يقفون منتصبين وشاهدت وجوههم . وقد ذهب وصفه هذا مثلاً

ان عدد سكان مصر عشرة ملايين نفس وربما كان منهم ثمانية ملايين من هؤلاء الفلاحين السذج المساكين الذين مرت على رؤوسهم جميع زوابع التاريخ من زمن الفراعنة حتى اليوم فاجترفت كل شيء في سبيلها وابقتهم هم يتوارثون خلفاً عن سلف حالتهم وصبرهم ورضاهم بالقليل وخضوعهم للهيئة الحاكمة عادلة كانت او ظالمة . وما اهالي دنشواي الذين اعتدوا على الضباط الانكليز وفتحوا على مصر هذا الباب الا من اولئك الفلاحين

فالآن اذا سألنا هل هؤلاء السذج يفهمون (التعصب الجنسي) نرى الجواب بيناً بنفسه . فان هؤلاء السذج لا يملكون شيئاً من ملاذ الحياة العقلية والادبية . وكل حياتهم نصب مادي وشقاء . فالدين عندهم هو عبارة عن حياتهم العقلية والادبيـة وكنز نفوسهم ولذة قلوبهم . فاذا قلت لهم قدموا عليه . العصبية الجنسية . او . العصبية الوطنية . لم يفهموا شيئاً من قولك . فاذا كان تعصبهم . دينياً . لا . جنسياً . فهم معذورون للسذاجة والفطرة . والذنب ذنب الهيئة الحاكمة وكبرائهم الذين لا يرفعونهم من وهدتهم

كنت منذ ثماني سنوات في حديقة الازبكية في القاهرة واذا بفلاح من الريف جلس بجانبي . فسألته ما رايك بالانكليز يا عم . فهز راسه وقال . وماذا عمل لنا الانكليز من الشر يا خويي . هم فتحوا لنا الترع وساووا الزراعة ودبروا الفلوس . فما عملوا الا كل خير . وكانت الضوضاء يومئذ شديدة في مصر بسبب منع الحج وجريدة المؤيد تقيم مصر وتقعدها بصرخات عالية كادت تؤدي الى اقفالها لولا مداخلة الجناب العالي يومئذ . فلما حادثت فلاحي المذكور شان الحج اشتد وقال والله اننا نجتمع الوفا ونذهب الى الحج بالقوة رغماً عنهم -- ومعنى هذا للمتأمل فيه ان هذا الرجل الساذج لا يبالي ان يذهب وطنه ولكنه يغضب ويثور اذا منع من الحج

وهذه الحالة شاملة جميع الشعوب التي تتركها حكوماتها في ظلمات السذاجة ولا تخلو منها روسيا وفرنسا وانكلترا نفسها . ولا نزال نذكر ثورة اهل ولاية بريطانيا الفرنسوية على الحكومة منذ سنتين بسبب مسائل دينية تافهة وجهر بعض غلاتهم بالرغبة في الانفصال عن فرنسا من اجلها

ولكن هل هذه مصر كلها ؟ كلا ثم كلا . وهنا الجواب السلبي الذي اشرنا اليه آنفاً.
ففي مصر اليوم طبقات مرتقية تفهم « العصبية الجنسية والوطنية » حق الفهم وتريد تقديمها على
العصبية الدينية . فيها علماء وقضاة ومحامون وكتاب واطباء وتجار وادباء وطلبة علم وكلهم متحمسون
للاصلاحات المدنية الاجتماعيه تحمساً شديداً . واذا قيل انك لا تسمع في صحفهم الا
الدعوة الى « العصبية الدينية » فالجواب يقتضي تحليلاً . فنقول ان لذلك سببين « الاول »
انزواء اكثر اهل الفضل والعقل في الزوايا لانفتهم الاشتغال بالسياسة اليوم او سجنهم
انفسهم في مناصب عليا لا تسمح لهم باسماع الناس اصواتهم في الصحف . وان محاكم
القاهرة العليا تضم منهم بضعة يحق لمصر ان تفتخر بهم حقيقة . ولسنا نذكر هنا العلامة
المرحوم الشيخ محمد عبده لان وظيفته والمهمة التي جعلها لنفسه دينية محضة فلا ينتظر منه
رحمه الله ان يعمل اكثر مما عمل لمبداء العصبية الوطنية . « والسبب الثاني » ان الذين
يدعون في الصحف الى « العصبية الدينية » اكثرهم ونريد بهم الذين يديرون الحركة من
مبدئها يكتبون ما يكتبون ولا غرض لهم غير انشاء راي عام ديني يقدرون على تحريكه
وادارته حينما يشاءون لاستخدامه في السياسة . اي انهم يحاولون جمع « العصبية الدينية »
وحصرها في منتهى الشدة لاستعمالها آلة لخدمة « العصبية الجنسية » حين الحاجة اليها .
والذي ابتدع هذه السياسة هو جلالة السلطان بعد يأسه من عدالة اوروبا يوم اخذت
اليونان تساليا وفرنسا تونس وانكلترا مصر(١) فاكثر الذين يكتبون في الصحف المصرية
في الاسلام والجامعة الاسلامية والعصبية الاسلامية يكتبون وهم مقتنعون بعكس ما
يكتبون . والذين يمثلون الرأي العام المصري الصحيح منهم قليلون . وكم من مرة كنا نحادث
بعض الرصفاء في مسائل كهذه المسائل فكانوا من راينا في كل وجوهها ثم نراهم عند الكتابة
يكتبون عكسها . فالجامعة الاسلامية ليست اليوم في مصر آلة دينية كما تفهمها جرائد
اوروبا بل هي آلة سياسية . ولكن من سوء الحظ ان الشعب لا يفهم ذلك فيزداد تمسكاً
بمبادئ الساذجة

وقد قرأنا في جرائد مصر ان بعضاً من اكابر المصريين الفوا شركة لانشاء جريدة
جديدة كبرى . فالجامعة تتمنى ان يكون بدء تاريخ هذه الرصيفة الجليلة الجديدة بدء
عصر جديد لمصر ينزل فيه اهل العقل والفضل من ابنائها الى ميدان العمل لايقاف تيار في
الافكار وانشاء تيار آخر فيه مصلحة جميع سكان مصر خصوصاً مصر نفسها (ستأتي البقية)

---

(١) راجع كتاب « مستقبل تركيا » للسياسي الفرنسوي غبريل شارم وهذا رأيه

التفاضل والمساواة بين الناس

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

التفاضل بازاء القانون

(تابع لما قبله)

هذا من حيث التفاضل بين طبقات الامة الواحدة اما من حيث التفاضل بين الامم المختلفة المتواطنة فيتراءى انه عسف ولكنه في بعض الاحوال واجب لحفظ الامن والراحة العمومية . لما كان البويرحا كمي الترنسفال كانوا يعاملون الاهالي السود معاملة السيد للعبد كما تقدم ذكره فكان هؤلاء يهابونهم جدًّا حتى انه اذا راى الاسود بويريًّا على بعد وقف له اجلالاً وبقي واقفاً حتى يتوارى . ولما تسيطر الانكليز هناك خففوا من غلواء تلك المعاملة لظنهم انهم يكتسبون ولاء السود بعد ذلك الهوان الذي ذاقوه تحت سلطة البوير فكانت النتيجة عكس ما انتظروه لان السود متمردون الان ولا يجسر احد البيض ان يلتقي بهم خارج البلد

والانكليز يعتمدون هذا التمييز لانفسهم في سائر مستعمراتهم كما في مصر وغيرها بغية الارهاب لكي يستطيعوا التغلب. فلو ساووا بينهم وبين الاهالي لدى القضاء لما هاب هؤلاء القضاء في مكايدهم ومشاجراتهم كما يهاب اولئك لان في صدورهم حزازات لما هو معلوم من العداء الطبيعي بين الدخيل القوي والوطني الضعيف . ولا يتسنى التساوي بين الفريقين الا متى اصطلحا بان يقتنع الاهالي ان الدخلاء اقوياء يتعذر طردهم وانهم راسخون في البلاد لا يتزعزعون فيستسلمون لحكم القدر ويرضون بما قسم به القضاء المنزل ويصالحون نزلاءهم الاقوياء . اما ان النزلاء يطلبون المصالحة فعبثٌ لان القوي لا يطلبها اولاً لانه لا يأمن خداع خصمه ولئلا يحسب الخصم طلبها مبعوثًا عن ضعف من الطالب

ولا ريب ان يسال القارئ هل من العدل ان تسطو امة على بلاد امة اخرى ثم تحكمها بالشدة والعنف والقساوة لكي تؤيد سلطتها ؟ — اقول اذا كانت طبيعة العمران تقضي ان تستعمر امة راقية بلاد امة خامدة كسولة ولم يكن بدٌّ من الشدة في الحكم لاجل التمكن من الاستعمار فالشدة جائزة

مثال ذلك كان السودان نحو عشرين عاماً تحت سلطة التعايشي فلم يعمر بل كان مقفلاً في وجه المستعمرين من تجار وصناع وزراع . ولو بقي تحت حكم ذرية التعايشي عهداً طويلاً لبقي على حاله وبقي العالم محروماً غلاله وبقي جانب من الناس محروماً الاسترزاق منه . فتحه الانكليز « بقوة مصر » وتسلطوا عليه فاذا شاؤوا ان يساووا بين انفسهم وبين السود ويعاملوهم بكل شيء معاملتهم لانفسهم لما امنوا جانبهم لحظة ولذلك اضطروا ان يعاملوهم بالعنف والشدة لكي يستطيعوا ان يؤيدوا نفوذهم وسلطتهم ويصلحوا البلاد كما يبتغون لينتفعوا منهم هم وغيرهم . في مثل هذه الحال يعد تمييز الانكليزي وسؤدده على السوداني عدلاً بالنظر الى مصلحة العمران والاجتماع الانساني

بقي سؤال آخر وهو هل يعد عدلاً ومفيداً ان يتميز نبلاء البلاد على عامتها ؟ — يغلب ان يكون منشأ التساوي او التفاضل لدى القانون الاداب والاخلاق فكلما تقارب الافراد في ادابهم وتشابهوا في اخلاقهم ومبادئهم يجب ان يقل تفاضلهم وان تفاوتوا في قواهم العقلية والمالية وفي المعرفة . وكلما تباينوا في ادابهم وجب ان يتفاضلوا للاعتبارات التي مر شرحها

واذا تساوى امام القضاء نبلاء البلاد الراقون مع عامتها المنحطون كان اولئك عرضة للهوان وعز استواء الحكم في البلاد

٣

التفاضل لدى الدستور

تفاضل الناس امام دستور البلاد اي نظاماتها الاساسية اكثر منه امام القضاء واقل منه في الامور الاجتماعية . ففي كل بلاد ديموقراطية الحكم اي ذات حكومة نيابية تجد ان لكبراء البلاد النفوذ الاول واليد الطولى في ادارة الاحكام

ففي انكلترا لمجلس اللوردات امتيازات جوهرية ليست لمجلس العموم النائب عن عامة الشعب . وفي فرنسا لمجلس الشيوخ « السناتو » الخاص بكبراء البلاد من اغنياء ووجهاء امتيازات ليست لمجلس النواب النائب عن العامة . ولهذا ترى ان حكومة فرنسا ليست جمهورية بحتة اي ان حق الحكم الذاتي (١) فيها ليس موزعاً على افراد الشعب بالتساوي بل ان معظمه في جانب الاعيان فهي حكومة ارستوقراطية اكثر منها جمهورية . حتى ان

(١) اي حكم الامة نفسها بنفسها

حكومة الولايات المتحدة التي يقضي دستورها بان يتساوى افراد شعبهم بحق الحكم الذاتي لا تخلو من روح الارستوقراطية لما للوجهاء والاغنياء فيها من النفوذ الكبير في الانتخابات وان كان هذا النفوذ غير قانوني بيد انه فعال . والذي اراه انه مهما اجتهد الناس في هدم الحكم الارستوقراطي بتأييد الحكم الجمهوري فيستحيل عليهم ان يمحوا اثره تماماً والى الآن لم ترَ حكومة جمهورية قد استوى افراد شعبها في النفوذ فيها على اختلاف طبقاتهم . وهذا يدلك على ان تفاوت الناس في قوام العقلية والادبية والمالية لا بد ان يظهر في الهيئة الحاكمة ايضاً كما ظهر في الهيئة الاجتماعية مهما اجتهد عامة الشعب في نبذ امتيازات الخاصة لانهم اذا نجحوا في محوها من نصوص الدستور فلا يستطيعون محوها من دائرة النفوذ الفعلي . فاغنياء الولايات المتحدة مثلاً لا يمتازون على الفقراء امام الدستور ولكنهم يقدرون ان يميزوا انفسهم عليهم في ادارة الحكم الفعلية وذلك بان يرشوا بعض العامة لكي يرجحوا صوتهم في انتخاب الاشخاص الذين يبتغون ان ينيبوهم عنهم لكي ينفذوا مآربهم

ولما كان متعذراً ان تنتفي امتيازات الخاصة من الدستور ومستحيلاً ان ينتفي نفوذهم من الحكم فلا بد ان تكون الحكومة متحيزة الى جانبهم في الادارة والقضاء معاً فتراها تتساهل معهم وتتسامح لهم في جميع المشروعات المالية ونحوها مما يستأثرون بفوائده وتراعي مصلحتهم في التنظيم والعناية الصحية الى غير ذلك من الشؤون العمومية التي تتولى الحكومة ادارتها . حتى ان التشريع نفسه الذي هو اساس الملك لا ينجو من نفوذهم البتة . فاذا امعنت النظر في القانون الفرنساوي الذي هو مصدر اكثر قوانين اوروبا وتركيا ومصر وجدت انه يراعي مصلحة الخاصة اكثر من مصلحة العامة . خذ مثالاً لذلك من قانون العقوبات فانه في كثير من الاحوال يجعل عقاب سرقة غرش واحد اضعاف العقاب على قتل نفس اي انه يعاقب المتشرد الجائع اذا سرق رغيفاً بحبس ثلاث سنين لان السرقة جنحة ولان المتشرد ذو سوابق ويعاقب الوجيه اذا قتل نفساً عن غير عمد بنصف سنة لان القتل عن غير عمد يعد جنحة كسرقة الرغيف ولان الوجيه لا سابقة له . ثم يعفيه من تنفيذ العقاب بحسب قانون براءته . وكيفما قلبت قانون العقوبات وجدت انه احرص على الاموال منه على الارواح لماذا ? — لان الاموال في ايدي الخاصة وهم لا يقدرون ان يصونوها الا اذا كان القانون عنيفاً . واما ارواحهم فمصونة في قصورهم وفي مدنهم ومجتمعاتهم ومحفوفة بخدمهم وصنائعهم الذين يحرسونهم فلا يخافون عليها . المال اهم شيء عندهم واكثر عرضة للضياع من الارواح فشددوا النكير في الشريعة على من يمد اليه يده خلسة . وهناك امور كثيرة في القانون

تدلك على ان المشترع راعي مصلحة زملائه الكبراء الاغنياء الذين كانت لهم اليد الطولى في انتخابه لوظيفة التشريع واغفل مصلحة العامة ذوي النفوذ الضعيف

ولا جرم ان هذا التفاضل بين افراد الشعب في النفوذ والتأثير على القوة الحاكمة يؤدي لا محالة الى غبن الكبراء للصغراء وظلم الاقوياء للضعفاء كما مرَّ الالماع اليه . وكلما فتحت المعرفة بصائر العامة ادركوا هذا الغبن وسخطوا على الخاصة وقاموا يحاولون الغاء نفوذهم بالطرق والصيغ المختلفة وشر طرقهم الفوضوية . ومهما جاهدوا يستحيل عليهم ابطال نفوذ الاغنياء والوجهاء لانهم اقوى منهم . ولكن لنفرض انهم استطاعوا ان يجعلوا النفوذ في الحكم موزَّعاً بالتساوي على افراد الشعب فماذا تكون النتيجة ؟ — لا ريب ان يكون حينئذٍ للعامة الصوت الاقوى في الحكومة لانهم اكثر عدداً وبالتالي يضطر رجال الحكم ان ينفذوا مآربهم ومن ثم تكون اموال الاغنياء تحت خطر لانها مطمع لشهوة الفقراء ويكون شر سؤدد العامة اشد من شر سؤدد الخاصة

وبناء على ذلك ارى ان التفاضل الدستوري الواقع الآن في جميع الحكومات الديموقراطية انما هو طبيعي وان كان فيه غبنٌ للعامة وبالتالي افضل لانه اسلم عاقبة ولانه كلما ترقت افكار العامة امكنهم ان يقللوا هذا الغبن برفع عقيرتهم واعتصابهم ضده كما يجري الآن في كل بلاد حية

على اني مع ذلك ارى لهذا التفاضل الدستوري فائدة خاصة في بعض الاحوال . ارى منه فائدة للحكومة نفسها كما في انكلترا مثلاً فاني اعتقد ان وجود مجلس اللوردات مما فيه من الامتيازات هو سبب رسوخ الدولة الانكليزية . ذلك لان الاعيان مستوفو الجاه فضلاً عن الغنى فلا يهمهم الا بقاء جاههم العظيم . ولما كان هذا الجاه مستمداً من صولة الدولة وبقاؤه مترتباً على بقائها فيصوبون كل همهم الى حفظ كيانها في مجدها وعزها ولا يفرطون بها بمال ولا بثمين . اي انه يستحيل ان يتساهل اللورد الانكليزي من ذوي النفوذ في الدولة باي حق من حقوق دولته ولو اغري بقناطير الذهب لان المال مهما وفر بين يديه لا يعوض له الجاه الذي يخسره بسقوط دولته . والجاه اهم من المال . فكان مجلس اللوردات في انكلترا حصن الدولة ومجلس العموم حصن الامة . ومن ذلك ترى ان مبدأ التفاضل سبب عزّ الدولة الانكليزية ومجدها

٤

التفاضل في الامور الاقتصادية

بقي البحث في موضوع التفاضل في التموُّل وهو بحث اقتصادي عظيم الاهمية ويشغل افكار العالم المتمدن الآن وعليه سافرد له مقالة ضافية ان شاء الله

فلسفة جمال الدين الافغاني

وعدنا في الجزء السابق ان نبدأ بتلخيص رسالة المرحوم جمال الدين الافغاني . وهذا اوان الشروع في هذا التلخيص . قال

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الايام واصبحت هذه الكلمة دائرة في المحافل سيارة في المجامع وللعامة والخاصة فيها مذاهب . فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها في غفلة عن اصل وضعها

لهذا رأيت من الحق ان اشرح مفهومها واكشف المراد منها وارفع الستار عن حال النيشريين من بداية امرهم واعرض للناظرين شيئاً من مفاسدهم

الرأيان

الالهيون — الطبيعيون

اثبت ثقات المؤرخين ان حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين . ذهبت « احداها » الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها واثبتت ان سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرأ الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه . وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت او مادية . واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين « الخاضعين لله » (١) ومنهم فيثاغورث وسوقراط وافلاطون وارسطو ومن اهل مذهبهم كثير . وذهبت « اخرى الطائفتين » الى نفي كل موجود سوى المادة والماديات وان وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً وراءه

(١) يسميهم علماء الافرنج المبين Deistes والمراد بها القائلون بالله اي بوجوده تعالى ولكنهم ينكرون الوحي فترجمتها « الخاضعين لله » ترجمة ضعيفة

وعرفت هذه الطائفة · بالماديين (١) ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها نسبه الاقدمون منهم الى طبيعتها واسم الطبيعة في اللغة «ناتور» وفي الانكليزية « نيشر» ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين · وعند الفرنساويين باسم « نتوراليسم » أو « ماتيرياليسم » الاول من حيث هي طبيعية والثاني من حيث هي مادية

القول بالصدفة

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتقاد اصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الى ان وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى انما هو من الاتفاق واحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها واحكام نظامها لا منشأ له الا الصدفة · كانما ادت بهم مخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح وقد احالته بداهة العقل

ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس ومن رايه ان العالم اجمع « ارضيات وسماويات » مؤلف من اجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت اشكال الاجسام وهيئاتها بقضاء العماية المطلقة

القول بالقدم

وذهب فريق آخر الى ان الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من ازل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا ان في كل بزرة

---

(١) لبسط هذا الكلام بايضاح ننقل هنا فقرة من كتابنا « ابن رشد وفلسفته » وهي «كل الفلاسفة والعلماء من حين نشأة الفلسفة والعلم الى اليوم تحصر آراؤهم عن الخلق والخالق في رايين · الراي الاول « وجود خالق حرّ مختار في اعماله يهب متى شاء ويمنع متى شاء · وله عناية الهية تدبر العالم · وهو سبب قوى الطبيعة اي ان هذه القوى موجودة فيه لا فيها · ووجود نفس بشرية جوهرها خالد لا يفنى » والراي الثاني « ان المادة ازلية اي لا بداية لها · ونشأة الكون انما هي من تحوّل دقائق هذه المادة بقوتها الخاصة تحولاً ترتقي به من حالة الى حالة اسمى · وذلك يقتضي وجود طبيعة ثابتة ونواميس ووجوب الوجود وعقل تبنى عليه النواميس وفناء الانسان في الكل الذي اخذ منه مع الاعتقاد بوجود خالق ولكن اعتقاداً مبهماً » — هذان هما الحزبان اللذان تنازعا ويتنازعان العلم والدين

نباتاً مندمجاً فيها وفي كل نبات بزرة كامنة ثم في هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الى غير النهاية . وعلى هذا زعموا ان في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيواناً تام التركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة اخرى يذهب كذلك الى غير نهاية

وغفل اصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية في مقدار متناه وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص ولكن لا شيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزوز النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبزرة اخرى

وفاتهم ملاحظة ان كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها او زائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام في البيان فقالوا ان انواع النباتات والحيوانات تقلبت في اطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهورة لنا واول النازعين الى هذا الرأي « ايقور » احد اتباع « ديوجنس الكلبي » ومن مزاعمه ان الانسان في بعض اطوار كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف(١) ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلاً ولم يستند الى برهان فيما زعمه من ان مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقي الانواع

القول بالتولد

ولما كشفت علوم الجيولوجيا « طبقات الارض » عن بطلان القول بقدم الانواع رجع المتاخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا في بحثين . الاول بحث تكوّن(٢) الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة الى ان جميع الجراثيم على اختلاف انواعها

---

(١) وهو راي العلماء اليوم ايضاً

(٢) يريد بهذا مبدأ « التولد » المشهور في كتابات الفيلسوف ابن طفيل وقد سماه كذا « التولد » بدل تسميته « التولد الذاتي » التي اصطلح عليها اليوم كتاب العربية اذ لا حاجة لنسبته الى الذات ولا الى تاكيده لان كلمة التولد تؤدي معنى الكلمة العلمية الفرنسوية Generation Spontanee وقليلاً ما راينا اللغة العربية اخصر من اللغة الفرنسوية كما في هذه التسمية

تكونت عند ما اخذ التهاب الارض في التناقص ثم انقطع التكوّن بانقضاء ذلك الطور الارضي وذهبت اخرى الى ان الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة (١)

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية او حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم ان الحياة فاعل في بسائط الجراثيم موجب لالتئامها حافظ لكونها وان قوتها الغاذية هي التي تجعل غير الحي من الاجزاء حياً بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس وهو ظن عجيب لا ينطبق على اصلهم من ان الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمحَ صورها في تلك النيران المستعرة

القول بالتحول والنشوء

والبحث الثاني من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج « النقص » الى ما نراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة . فمنهم قائل بان لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها في الاطوار الحيوية و تجذب اليها ما يلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزءاً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه . وقد غفلوا عما اثبته التحليل الكيماوي من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلاً (٢) وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة . فما منشأ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها . ومنهم ذاهب الى ان جراثيم الانواع كافة خصوصاً الحيوانية متماثلة في الجوهر متساوية في الحقيقة وليس بين الانواع تخالف جوهري ولا انفصال ذاتي ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية اخرى بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية

---

(١) هذا الراي لعلماء العرب ولذلك جعل الفيلسوف ابن طفيل موضع حوادث رواية « حي بن يقظان » في خط الاستواء وجعل « حياً » المذكور يتولد تولداً من غير اب ولا ام بل بنضج حرارة الشمس وتفاعل العناصر الطبيعية عند اتحادها بصلصال الارض

(٢) لا نعلم من اين جاء بهذا . وهب انه صح فانه يكون دليلاً على وحدة اصل الانسان والحيوان وهو ما يريد الافغاني نقضه من كل وجه

رده على درو ين

ورأس القائلين بهذا القول« درو ين » وقد الف كتاباً في بيان ان الانسان كان قرداً (١) ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج على تتالي القرون المتطاولة و بتاثير الفواعل الطبيعية الخارجيه حتى ارتقى الى برزخ « اوروان اوتان » ثم ارتقى من تلك الصورة الى اول مراتب الانسان فكان صنف اليمم وسائر الزنوج ومن هنـاك عرج بعض افراده الى افق اعلى وارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي

وعلى زعم درو ين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلاً بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثاً كذلك

فان سُئل درو ين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من ازمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظناً واصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته واشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فاي فاعل خارجي اثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء . اظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه

وان قيل له هذه اسماك بحيرة اورال و بحر كسبين مع تشاركها في المأكل والمشرب و تسابقها في ميدان واحد نرى فيها اختلافاً نوعياً وتبايناً بعيداً في الالوان والاشكال والاعمال فما السبب في هذا التباين والتفاوت فلا اراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر (٢)

---

(١) لم نشر الى جوانب الخطاء في ما تقدم من كلام الافغاني عن فلسفة المتقدمين لان الكلام في ذلك يدعو الى الملل والاطالة فنكتفي بالاشارة الى خطاءه في فلسفة المتأخرين فان قوله ان درو ين يذهب الى ان الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته قول غير صحيح والصواب ان درو ين يقول ان القرد والانسان من اصل واحد . و بين القولين فرق عظيم . ويظهر ان الافغاني رحمه الله كان ككثيرين من اهل هذا الزمان لم يطلع على ذات المصادر التي يتكلم عنها في امهات كتبها بل سمع بها سمعاً او قرأ عنها . وليس هناك امرٌ كهذا الامر مدعاة الى الخطل والزلل

(٢) لا نفهم ماذا يريد الافغاني ان يقرره في رغبته في هدم جميع المذاهب القديمة والحديثة . في مسألة الخلق مثلاً نرى ان ابن رشد الذي عاش قبله بقرون عديدة هو

« بالتحريك العجز عن الكلام »

كأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الاوهام ومهامه الخرافات الا قرب المشابهة بين القرد والانسان وكأنّ ما اخذ به من الشبه الواهية الية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئاً مما تمسك به

فمن ذلك ان الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية اطول واغزر شعراً من الخيل المتولدة في البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها او هو علة النحافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن في اهل البلاد الباردة بما يعتري البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة

ومن واهياته مـا كان يرويه « دروين » من ان جماعة كانوا يقطعون اذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قروناً صارت الكلاب تولد بلا اذناب كانه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت اذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان الوفاً من السنين لا يولد مولود حتى يختن والى الآن لم يولد واحد منهم مختوناً الا لاعجاز

مذهب آخر

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم نبذوا آراءهم واخذوا طريقاً جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدراً لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والاشكال المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر اثره

افضل منه واجرأ . فانه يعد مسألة التحول في الكائنات امراً معقولاً ومن اعتراضاته قوله « قال المتكلمون من مذهبنا الاسلام) ان الفاعل يوجد الكائنات بلا واسطة وبذلك يكون كمن يعمل في وقت واحد عملاً واحداً جامعاً لعدة اعمال متناقضة متقابلة . وهذا المذهب يقتضي ان كل شيء في الكون مفتقر الى مداخلة الخالق مباشرة فالنار لا تحرق والماء لا يجري الا بخلق خاص وهلم جراً » قلنا وهو قول في منتهى السداد ولو اراد الاعماني ان يرد عليه لما وجد سبيلاً الى ذلك الا بمثل الاقوال المقتضبة المبهمة التي يرد بها هنا لايهام السذج انه هدم جميع تلك المذاهب . ومع ذلك فالهدم سهل ولكن ماذا تضع موضع الشيء المهدوم

ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور والمقدر لاشكالها واطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء « متير » و « فورس » و « انتليجانس » اسيء مادة وقوة وادراك

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكرو الالوهية (١) الزاعمون ان لا وجود للصانع الاقدس وهم المعرفون بين شيعهم او عند الالهيين بالطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت نيشريين وناتوراليسميين وماتيرياليسميين

ولا يظن ظان أنا نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء « الباجوات » ؟ المنديين « الباجو اسم ايطالياني اشتهر في المندلين بقلد الماهر في اللعب بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه في العربية بالخلابيس واصله الشيء لا نظام له والطبيعيون في الهند يمثلون احوال الدهريين في اوروبا تمثيلاً مضحكاً » كلا ان هؤلاء لا نصيب لهم في العلم بل ولا من الانسانية ؟ فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض . نعم لو اريد انشاء تياترو « ملهى » او « كمليتلي » « نوع من اللعب يشخصون فيه احوال ملوك الهند الاقدمين » لتمثل فيه احوال الامم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء ؟ لاقامة هذه الألاعيب ؟ وانما غرضنا الاصلي اعلان الحق واظهار الواقع . والآن نعتمد مشروع الشروع في بيان المفاسد التي جلبها الماديون « النيشريون » على نظام المدنية والمضار التي تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشاؤها فشو افكارهم

﴿ دفع قيمة الاشتراك ﴾ دفع قيمة الاشتراك في الجلة يكون اما حوالة على البوسطة او شك على بنك او اوراق مالية في كتاب مسوكر

﴿ رسوم الجلة ﴾ تاخر نشر الرسوم الجيلة التي جلبناها للجلة الى الجزء التالي

---

(١) كثيرون ممن يقولون ببعض المذاهب التي تقدمت لا ينكرون وجود الله بل يعتقدون بوجوده تعالى من ذلك كثيرون من انصار مذهب دروين وهم يقولون انه اذا صح هذا المذهب كان دليلاً على حكمته تعالى في خلق الكون خلقاً بديعاً بالتدريج والتحول . ومن هؤلاء كثيرون من علماء ورؤساء الكنيسة الانجيلية والكاثوليكية

شيء عن الجامعة

﴿ صوت العقل في الاتحاد المصري ﴾ « ولقد طالعنا الجزء الذي ورد الينا فرأينا الاعتدال باديًا في كل ما كتبه صديقنا الفاضل محرر الجامعة وعلى الخصوص مسألة الخلاف الذي يمزق شمل الجالية السورية في نيويورك فان البعض كان يخشى ان ينحاز صاحب الجامعة الى فريق دون آخر ولكننا رأيناه اكتفى بالكلمات الآتية موجهة الى تمثال الحرية العظيم في مرفاء نيويورك حيث يخاطبه قائلاً :

« انني لا اجهل ما نحن مديونون به لبلادك من القوة المادية ولكن هل اعطتنا بلادك من القوة اجتماعيًا بقدر ما اعطتنا ماديًا . لست اعلم الآن جوابًا على هذا السؤال لانني ما زلت ضيفًا . فسالاحظ وادرس واقارن لكي استطيع الجواب عنه . وانما وظيفة مجلة . كالجامعة . في وسط مادي هائل كهذا الوسط بين مظاهر تنازع البقاء . ونواميسه الشرسة المنكرة . هي ان لا تنسى ولا لحظة انه يجب عليها لنفسها ولقرائها ان تكون بكل لين ورفق واحترام لجميع الاراء والاشخاص ممثلة لهذا المبدإ مذكرة به داعية اليه حاثة عليه . وهو هو الجامعة الذي يجب ان يجمع القلوب والنفوس برباط الوداد والتساهل واحتقار اباطيل الدنيا وزخارفها اذا كان يقتضي الوصول اليها دوس تلك المبادىء التي بدونها لا يكون الانسان انسانًا »

« وفي هذا الكلام دليل على ان محرر الجامعة لم يمل مع حزب دون آخر خلافًا لما اتصل بنا من مصدر خصوصي يوثق به كل الثقة . ونحن يسرنا ان نرى صديقنا الفاضل يسير على خطة الحياد بل يسرنا ان لا يشير الى الخلاف بين الاحزاب حتى ولا من طرف خفي لان مجلته لم تجعل لمثل تلك الاختلافات والانشقاقات بل جعلت لخدمة العلم والادب والتاريخ والمبادىء السامية الفلسفية التي اشتهرت بها منذ ظهورها » (جريدة الاتحاد المصري)

رواية ابن الشعب

(التي مثلها جوق الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(في كيف يتسلط النبلاء على الشعب ويستولون عليه)

تركنا في الجزء الثالث جاني مغمى عليها بعد مقابلتها لريشار . اما ريشار فسار الى قصر الوزراء وكان الوزراء مجتمعين في جلسة خصوصية ورئيس الوزارة يذكر لهم ان ريشار رضي بمقابلته وان الصلح سيتم قريباً بينه وبين الوزارة اذ يترك معارضتها . فسأله احد الوزراء وان ابى السر ريشار ذلك فاجاب رئيس الوزارة . يبقى عليه مقابلة ذات خطر وخلوة لا يخرج منها الا راضخاً .

وما اتم الوزير كلامه حتى اعلن الحاجب قدوم ريشار . فدهش الوزراء لانهم لم يتفقوا معه على الحضور الى نفس المجلس . ثم دخل ريشار فقال

سلام يا اصحاب الدولة

وزير المالية — اهلاً ومهلاً بالسر ريشار

ريشار — ترحب بي من قلبك ام من شفتيك

وزير المالية — كيف لا اقول ذلك من قلبي فانك جئت في حينك

ريشار — اذاً كنتم تنتظرونني

وزير المالية — ما كنا ننتظر ولكن كنا نؤمل

ريشار — ولكن اتعلم يا سيدي ان هذا الامل لا ينطبق على عظمتكم وعلى حقارتي

وزير المالية -- وكيف ذلك

ريشار — ذلك اني اعهدكم ممن يزعمون سيادة النبلاء على الشعب . فانتم اعاظم الرجال الذين يحرسون عرش المملكة . وما انا فلست الاّ نائباً حقيراً من نواب الشعب فكيف تؤملون فيّ

وزير المالية — ولكن الشعب يا سيدي صار مساوياً للنبلاء والمملكة منذ اصبح يحب الفريقين ويخدمها كما يخدمانه

ريشار — كلا يا سيدي وانما حقوق الشعب اشد رسوخاً واكثر قدماً مما تظن فانها تنتهي الى كرومويل الذي جعل شعاره . تاجاً من طين . بازاء . فأس حديدية كبرى وسندان من خشب . التاج رمزٌ الى الملكية والفأس والسندان رمز الى قوة الشعب

وزير الداخلية — هل هذا تهديد ايها السر ريشار

ريشار — كلا ياسيدي ولكنه تاريخ .

الوزير الاول — حسن ما قلته عن الشعب والملكية يا سر ريشار . ولذلك انشأوا بينهما طبقة النبلاء لتكون حاجزاً بينهما . فانا نحن ترس يقي الشعب كبرياء الملكية . والملكية الحاح الشعب ومطامعه . وفي ايدينا ايدي الفريقين فيجب ان نضمها معاً رغبة في الاتحاد والمسالمة

ريشار — الشعب يا سيدي لا يسالم ولا يعقد اتفاقاً في هذا الزمان ولكنه يأمر امراً

الوزير الاول — ولكن ما هكذا وعدتنا ياسر ريشار

ريشار — وعدتم ومن هو الوغد الذي وعدكم عن لساني

الوزير الاول — ان لم يكونوا قد وعدونا فانهم جعلونا نؤمل ..

ريشار — جعلوكم تؤملون انني اخون حزبي ؟

الوزير الاول — كلا ولكننا ظننا ....

ريشار — ماذا ظننتم . أظننتم انني ارتشي . اهذا هو السبب الذي جعلك يا حضرة الوزير تطلب مقابلتي في هذا المساء مقابلة سرية

الوزير الاول — ولكن هذا كلام ....

ريشار — هذا الكلام القيه في وسط المجلس بلا خوف ولا وجل . لقد جئتم اليَّ تعرضون عليَّ هدايا الملك ونعمه فانا الآن ادفع بقدمي هداياكم ونعمكم . افهمتم ؟ .

الوزير الاول لرفاقه — لم تبقَ لدينا الا الوسيلة الاخيرة

ريشار متماً حديثه — فماذا تقولون غداً اذا وقفت في منبر مجلس العموم وصرخت منه في وجه الامة كلها انكم تطلبون رشوتي . ماذا تقولون ؟

الوزير الاول — واي برهان لديك علينا . اليس في وسعنا الانكار

ريشار — كل من ينكر منكم اصفعه بهذه الكلمة : انت كاذب

الوزير الاول بغضب — فاذاً لاقنا غداً في مجلس العموم يا سيدي . نحن نريد السلم وانت تريد الحرب . فليكن ما تريد

ريشار — نعم وغداً نلتقي

والمرسح في هذا الفصل قسمان . قسم منه قاعة الوزراء التي عقدوا فيها جلستهم والقسم الثاني غرفة الملك والملك فيها يتنصت ويسمع كلام ريشار والوزراء. فلما اشتد النزاع دخل على الوزراء حارس واسرّ كلمتين الى الوزير الاول . فقال الوزير لريشار: مرر يشار تفضل وانتظر قليلاً في هذه القاعة لشأن خصوصي . ثم خرج الوزراء فاخذ ريشار يقول مفكراً

ولكن ما عساهم ان يريدوا	واية حاجة لهم وامر
فهل راموا خداعاً واحتيالاً	لا يدأني الذي طلبوا وضري
ولكن لا اخاف ولا ابالي	بكيد من جموعهم ومكر
فان الشعب اجمعه ورائي	يقوّي ساعدي ويشد ازري
وهذا قادم اخذته عيني	فمن هو في الصحابة ليت شعري

وكان القادم هو الملك نفسه وقد ستر رأسه بقبعة كبرى وغير زيه ثم دخل من الباب الفاصل بين الغرفتين . وهذه هي الخلوة التي قال عنها رئيس الوزراء (ان ريشار لا يخرج منها الا راضخاً) فافتتح الملك كلامه بقوله :

الرجل المجهول — انك تعجب من رؤيتي لانك لا تعرفني ايها السيد . اما انا فاعرفك . فانت سكرتير هذا المجلس

فيحاول ريشار الانكار فيتمم الرجل كلامه

الرجل المجهول — دع الانكار فانني . اريد . ان تكون سكرتيراً لمجلس الوزراء

ويظهر ان ريشار فهم مراد الرجل بالحال وعلم حقيقته فابتدأ الانحلال في عزيمته . فقال — اما كما تقول يا . ميلورد .

الرجل المجهول — حسن . قد فهمت كلامي . تفضل الآن يا حضرة السكرتير واجلس الى هذه المائدة واكرم بفحص هذه الاوراق

ثم ان الرجل دفع اربع اوراق الى ريشار واحدة بيضاء لا كتابة عليها وثلاث مكتوبة . الاولى امر ملكي بمنح لقب مقاطعة كرلستن وما يتبعها في اقليم ديفونشير الى . . . . وهنا مكان الاسم بياض . والثانية . امر ملكي بمنح لقب كونت على وجه الارث الى . . . . وهنا مكان الاسم فارغ ايضاً . والثالثة صورة صك الزواج المعقود بين المس ويلمور ابنة اللورد ويلمور وحفيدة المركيز سيلفا وريشار درلتن الذي اصبح يسمى الكونت دي كرلستن .

وشروط الزواج هي اولاً ان مس ويلور تمنح زوجها الجديد مائة الف جنيه دخلاً سنوياً. ثانياً ان المركيز سيلفا اوصى لحفيدته مس ويلور بكل ثروته فهي وارثه الوحيدة . ثالثاً ان لقب لورد الذي كان لأبي مس ويلور يعطي لزوجها ولاولادها بحق الارث .

ولما فرغ ريشار من تلاوة هذه الاوراق قال له الرجل المجهول ان يملأ مكان الاسم فيها باسم (ريشار درلنتن) ففعل ريشار مذهولاً مدهوشاً . فقال له الرجل المجهول

— لا ريب انك رجل قوي لانك تصرّ الى هذا الحد . ولا شبهة في انك ستكون رجلاً نافعاً للملك والمملكة. وانت تعلم ان الوزارة قد فقدت شهرتها ولذلك فانها ستسقط . ومتى سقطت فان الملك يؤلفها من العنصر الديموقراطي . بل قد سمعته يقول منذ حين انه سيختارها من اصغر اللوردات سناً ليكونوا اكثر نشاطاً . وانت صغير السن ولورد بحسب هذه الاوراق . أفلا تظن ان الانسان يخدم وطنه وهو في مقاعد الوزراء خدمة انفع من خدمته لهوهو في مقاعد النواب

ريشار مذهول — اخلاص لا حد له . ونعم لا عدد لها

الرجل المجهول — بقيت لديك ورقة

ريشار — نعم ولكنها بيضاء لا كتابة عليها

الرجل المجهول — الا تفهم المراد بذلك

ريشار — فهمت فهمت . وهذا توقيعي عليها ارهنه لديك دلالة على الاتفاق بيننا

الرجل المجهول — اما انا فانني عائد الى الملك لاخبره اننا تعارفنا وتصادقنا

ثم خرج الملك وبقي ريشار وحده في غاية الذهول ثم انشأ يقول —

الآن قد نلتُ المنى بل فوق ما … قد كنتُ آمله من الايام

نلت الوزارة في نهار واحدٍ … فانا عميد الملك في الاقوام

(ثم يشير الى كرسي رئاسة الوزراء)

والامر امري ثم هذا مجلسي … اقضي على قومي به احكامي

تمتد من هذا المكان ارادتي … في الارض من دانٍ ومن مترامِ

وتسير في الاقطار نافذة بما … ابغيه من نقضٍ ومن ابرامِ

من ذا يحاكيني ويملك سلطتي … بل من يباري رتبتي وبسامي

ليس المليك اليوم الا آلةً … والفصل للوزراء والحكام

يا خير مملكةٍ يعظم قدرها … بين الممالك ايما اعظام

اني انا مولاك فاحني رأسك الا   عالي لديَّ وطأطئيه امامي
ماذا ارى من ذا الذي هو قادم   نحوي... تعال تعال انت مرامي

(هنا يدخل طمسن سكرتيره)

ريشار- أعرفت ماذا قد جرى لي...

طمسن - نعم جاءت امرأتك

ريشار- اي امراة ؟

طمسن - جاني . انسيتها ؟

ريشار بغضب شديد - ويل لها من غضبي وانتقامي

ثم خرج قاصداً مقابلتها لطردها والتفرغ منها

فيا ايتها الافعى التي خدعت آدم وكنت سبباً في سقوطه . يا افعى الاثرة واللذة والسيادة والطمع التي دعا اليها الفيلسوف نيتش كما يُدعى الى الاهة قادرة مقدسة . انك لا تزالين تستغوين اعاظم الناس حتى هذا الزمان   (ستأتي البقية)

مشاهدات في اميركا

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

١

سقياً لك ايها العمل

حين وطأت قدمي ارض اميركا الشمالية وجدت فيها عدة كتب من مصر والشام واميركا الجنوبية وغيرها يذكر فيها اصحابها أسفهم لانتقال الجامعة من مصر مقروناً بالمسرة لذلك الانتقال لان الجامعة ستتمكن به من درس اعظم مدنية في العالم ونشر آثارها عبرة وعظة للامم الشرقية . فاجبت مراسليَّ الافاضل ان اميركا قد اكتُشفت منذ زمن بعيد وما جئتُ لاكتشافها . ولكني مع جوابي هذا الجواب كنتُ اشعر بانني ما اجبت به الا على سبيل الاتضاع الكاذب الذي يعمد اليه الانسان حين ارادة تكبير الثناء الموجه اليه

بدل تصغيره وزيادته بدل انقاصه . . فانني في الساعة التي كنت فيها في الاسكندرية أتراوح بين الانتقال وعدم الانتقال . في الدقيقة التي احتك فيها هذان الامران في نفسي احتكاكهما الاشد ولزم الترجيح بينهما، لم تتغلب في نفسي ارادة الانتقال على ارادة البقاء في مصر الا بسببين . احدهما ذكرته في المنشور الذي وزعته من مصر وهو الرغبة في ضم عمل تجاري الى عمل صحافي والثاني وهو الذي كان داعياً الى تحميس النفس واثارة الفكر الرغبة في مشاهدة اميركا ودرس احوالها . فاذا كانت هذه الرغبة قد هوَّنت عليَّ اصعب الامور لديَّ فلا عجب ان تكون في مقدمة رغائب قراءي اليَّ

ولما قطعت البحر المتوسط الى فرنسا حسبت نفسي انني ما زلت في وطني . وقد قال الفرنسويون في امثالهم التي بعضها لا يخلو من الغلو والمبالغة « لكلّ انسان وطنان وطنه الذي ولد فيه وفرنسا » بجلتُ في فرنسا جولة ابن البلاد الذي يعرف اشياءها واشخاصها حق المعرفة . ويحضرني الان في هذا الصدد نادرة صغيرة . فانني لما دخلت الى متحف كريفين في باريز مع اثنين من الاصدقاء اخذ الدليل يسرد لنا تاريخ مشاهير الرجال الممثلين بالشمع في هذا المتحف . واندفع في ذلك يخبط خبط عشواء . فلما رآني أراجعه بلطف في (تاريخه) واذكر اسماء الرجال مجيباً باسماً اول ما يقع نظري على تماثيلهم ثاب الى التؤدة والتأني وصار لا يذكر لنا شيئاً الا اذا سألناه عنه . ولكني لما وصلت الى الهافر وجلستُ اكتب الى الاسكندرية آخر كتاب من العالم القديم قبل ركوبي الباخرة الى العالم الجديد بساعة واحدة شعرت حينئذٍ بوحشة حقيقية وزاد ألم الغربة في نفسي زيادة ما كنت اتوقعها . فشعرت حينئذٍ شعوراً شديداً بلذة البلاد التي فارقتها في الشرق وبخطارة الامر الذي اقدمت عليه من تفريق عائلة مجتمعة منذ ستين سنة وهدم ادارة في قارة لبنائها في قارة وضغط على عواطف عائلية وعادات خصوصية . وربما كانت هذه الدقيقة عندي اصعب الدقائق من يوم سفري . ولكن هل يعلم القارئ ماذا كان تسليتي الوحيدة في وثبي هذا الوثوب من معلوم الى مجهول؟ ان تسليتي الوحيدة التي كانت تخفف عندي مرارة كل ألم هي تلك الرغبة التي ذكرتها في مقدمة الكلام — الرغبة في مشاهدة اميركا والمعيشة فيها حيناً من الدهر . فتصورت شاتوبريان تائهاً في احراش اميركا العذراء بين قبائل الهنود يدرس الطبيعة والناس ويتعزّى بهذا الدرس عما لقيه في وطنه هو وآباؤه في ابان الثورة الفرنسوية من الاضطهاد والعدوان . تصورتُ مكسيم غوركي يصيح هذا العام قبل قدومه الى العالم الجديد (اميركا اميركا متى اضع قدمي على ارضك) ويقول

انه قادم اليها ليستمد من روحها قوة جديدة تزيد قوته على محاربة الاستبداد والجهل والاثرة في بلاده . واي شيء في الدنيا كالعمل والسياحة والدرس يقوّي نفس الانسان ويزيدها معرفة بالاشياء والاشخاص في هذه الدنيا ويحملها على زيادة التسامح والمعذرة لفهمها اخلاق الناس حقّ الفهم . اي نعم ايها العمل المقدّس يامعزّي الانسان ومسليه عن كل امل ذاهب وظن خائب. لقد قمتَ في نفسي في تلك الدقيقة الصعبة مقام كل شيء . ان عاطفة العائلة والوطن والصداقة والالفة الراسخة بحكم العادة والمصلحة وكلام الناس وغريزة اتقاء الالم والضرر كل هذه قد انحنت وخضعت امامك في نفسي باشارة من يدك

٢

النظرة الاولى

ثم هوّن الله السبيل ووصلت الى نيويورك بعد ان قطعنا في الاوقيانوس مسافات عمق الماء فيها ٥٠٤٧ قدماً وهو اعظم عمق (١)

قال الهمزاني . اعيذك من النظرة الخادعة . وهو يعني بالنظرة الخادعة النظرة الاولى التي ينظر بها الرائي ويحكم بحسبها حكماً فاسداً لعدم تأنيه وامعانه . واجتناباً لهذه النظرة الخادعة . لا اذكر هنا تاثراتي وانفعالاتي في حين وصولي الى نيويورك بل اكتفي بان اصوّر الوسط الذي اصبحت فيه تصويراً فوتوغرافياً واترك الحكم الى حين آخر . ولكن هذا لا يمنعني من ان اذكر الان ما رايته هنا من . قوات عظمى . تكيف اخلاق هذا الشعب العظيم وتجعل له المكان الاسمى بين شعوب العالم

واني ابدأ اولاً بالصورة ثم اعود الى ذكر القوات العظمى واردفها بعد ذلك بالمشاهدات المظيمة والفوائد العلمية والاجتماعية الجليلة والفكاهات المطربة التي رأيتها في هذه البلاد

قبل وصولنا بيومين الى نيويورك ارتفع الضباب فغطى وجه الاوقيانوس وصارت باخرتنا تسبح في بحرين من الماء والضباب . فهرع ربان الباخرة الى موقفه في المقدمة وجمع نفراً من البحارة هناك استعداداً للطوارىء . ثم اخذت الباخرة تصوّت ببوقها البخاري تصويتاً مزعجاً متصلاً فيه شيء من الشكوى والانين كصوت غول هائل يصيح منادياً صغاره (٢) وقد

---

(١) هذا العمق كائن في ما وراء . نيوزيلاند . بين الدرجة ٤٥ و ٥٠

(٢) اختراع جديد — راينا في الجرائد الاخيرة ان ضابطاً ايطالياً اخترع آلة تمنع اصطدام السفن التي يكتنفها الضباب في البحر فتى اصبحت السفينة على مسافة ٦٠٠ يرد من

استمر الضباب حتى ليلة وصولنا . ففي الليل انقشع الضباب وكنا في السفينة قد شعرنا برائحة البر لانهم اعلنوا اننا سنصل في الساعة التاسعة مساء . فقبيل الساعة التاسعة لحنا النور منبعثاً من منارة نيويورك فصاح الركاب صيحة الفرح والابتهاج واجتمعنا في جانب الباخرة ننتظر عودة امواج النور . ثم حانت منا التفاتة فابصرنا مركباً شراعياً اميركياً صغيراً فحققنا اننا اصبحنا على مقربة من البر فاندفع جميع الركاب نحو جهة المركب وصاروا يصيحون ويهتفون ويحيون بحارة المركب والبحارة يحيونهم بمثل تحيتهم . وكانت حمى البر – حمى الوصول الى البرّ بعد مشقة السفر سبعة ايام كاملة تدبّ في مفاصلنا دبيب الحمى . وصار كل منا يشعر بان التضامن الذي كان بيننا نحن الركاب قد اخذ ينحلّ واصبح كلٌّ يفكر في نفسه وفي شغله في الغد

ويظهر ان سماء نيويورك ارادت ان تستقبلنا استقبالاً عظيماً فبعثت في تلك الليلة بزوبعة هائلة بصحبها رعد يصمّ الآذان وبرق يخطف الابصار . فضحكنا لهذه الزوبعة لاننا اجتزنا موضع الخطر وحمدنا الله انها لم تصبنا ونحن في عرض الاوقيانوس لان الجو كان هادئاً والبحر ساكناً طول الايام السبعة . وبينما نحن منبسطون آمنون واذا بصوت هائل من الجو ترتعد له الفرائص . وشعرنا بهزة في الباخرة . وكان السبب ان صاعقة وقعت على مقربة من الباخرة واشبع الجوّ حول الباخرة كهرباء حتى امر الربان بدخول الركاب الى اماكنهم في السفينة . فسرتنا خشية لاننا لم ننجُ من الخطر غرقاً لنقع في الخطر حرقاً . فدخلنا قاعة الاستقبال في ظهر الباخرة وقلنا لرفيقين معنا موسيقيين واحد روسي قادم من فلادفستوك في الصين وواحد اميركي كانا يشنفان آذان الركاب في اثناء الطريق ان يوقعا على البيانو والكمنجه توقيعاً يسكّن اعصاب الزوبعة او يغطي صوتها على الاقل بصوت اعلى منه . فاندفع الموسيقيان يوقعان الحاناً شجية والسيدات يرقصنَ الرقصة الاخيرة . وفي اثناء الرقص والغناء التفتُّ من نافذة القاعة فابصرت في الجو امراً ادهشني . ابصرت لاول مرة كيف تقع الصاعقة . فانني رأيت في الجوّ فوق سطح البحر بمائتي متر خطاً هائلاً لولبياً من نار يأخذ جماله الابصار مقروناً برعد هائل صمت له الآذان . ولست انسى هذا المنظر البديع في حياتي . ان العالم الجديد اراد ان يرينا عظمته وشدة عناصره قبل وصولنا اليه

وقد رست السفينة تلك الليلة خارج الميناء فبقيت وحدي على ظهر الباخرة اروح واجيء

سفينة اخرى خرج من كل واحدة منهما مجرى كهربائي قوي يضغط على آلة في السفينة الاخرى وهذا الضغط يتصل الى آلات الباخرة فيوقفها فتقف السفينتان معاً

واتأمل في انوار المدينة حولي وانا غير مصدق انني وصلت الى نيويورك سيدة مدن العالم الجديد التي كنت اراها في تصوراتي وآمالي . فبقيت على ظهر الباخرة حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل لان الكرى هجر جفني . ولكن لا بد من النوم اجتناباً لضعف القوى في الصباح . فنزلت الى غرفتي ونمت اربع ساعات . وفي الصباح دخلت الباخرة بنا الى مرفاء نيويورك اعظم مرافيء العالم

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلقى علينا معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

اجوبة الاقتراح
(تابع للجزء الثالث)

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما

٨

يمكن للمرأة المتمدنة حقيقةً والمهذبة والمحبة لزوجها ان تصادق رجلاً من غير عائلتها دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما هذا اذا كانا كلاهما فوق الثلاثين من العمر . والعكس بالعكس .

ماريدا يوكانان نقولا سمعان

٩

الله خلق آدم ثم صنع امرأة منه له . البارود والنار لا يلتقيان

مونت كليمنس نسوم مرعج

١٠

الجواب موجود في ذات العبارة التي أُخذ منها السؤال في حكمة ابن حزم « اس الصداقة الاستحسان وهذا اول درجات الغرام » ولو فرض ان الصداقة لا تؤدي للتهور افليس بها عارٌ على الزوج . أليس ذلك دليلاً على انه عارٍ عن الوداد الذي تطلبه المرأة عند غيره . سل المرأة هل تريد ان يكون لزوجها صديقات ؟؟ . . اذا جاز للمرأة ان تجود بودادها فما يبقى لزوجها يا ترى ؟ اذا كانت صداقة الزوج لا تكفي المرأة فذلك دليل الخلاف وباب الهاوية . .

بيروت فيلكس فارس

البيت المطلوب نبشه في الجزء الثالث

١١

طلبتم من القراء نبش بيت مما قاله العرب يتفق مع قول القائل في الجزء الثالث

« المرأة لحم والرجل هرٌ ضارٍ فلا تقربوا الهرّ من اللحم ابداً »

فاليكم جوابي :

قد علق بذاكرتي قول العَرْجي واظنه منطبقاً تمام الانطباق على اقتراح الجامعة وهاءنذا اورده ليرى الأدباء فيه رأيهم

قال العرجي

تقول وقد دبّ الكرى في جفونهم وهوّم وسنانٌ وغطّ نيامُ
فديتك هذا الليلُ ولى مخلفاً لعينيك سمّلاً هل اراك تنامُ
فقلت وهل يُبقي القطلس جائعاً وفي قربه شاةٌ وفيه أُدامُ

نيو يورك ١٠ آب اسعد الحاماتي

١٢

لم تنظم الجائزة (١)

لحمٌ هي المرأةُ الحسناء ذو دسمٍ والمرء هرٌّ وهذا المرءُ ذو نهمٍ

---

(١) قد تفضل ايضاً حضرة الشاعر الخواجه رستم بابيات في منتهى الرقة والجذالة تقريظاً للجامعة وتاريخاً لانتقالها الى نيويورك فلحضرته جزيل الشكر ولولا ان الجامعة تجتنب نشر مديحها على صفحاتها لزينا صفحاتها بهذا التقريظ الذي يدلّ على فضل ناظمه وحسن ظنه بالمجلة

لو امتلأ البيت من دبسٍ ومن عنبِ | وزاره بدويّ السحرا فلم ينمِ
وان دنا مغنطيسٌ من حديدٍ قضي | يجذبه كحبيبٍ بالغرام رُمي
او تدنُ نارٌ من البارود محرقةٌ | فانها تجعل البارود ذا ضرَم
وهكذا كم على الاصحاب من خطرٍ | لانهم من لحومٍ كوّنوا ودمِ

نيو يورك — مخايل رستم

١٣

اظن ان البيتين التاليين خير ما ينطبق على اقتراحكم في مجلتكم الغراء في جزئها الثالث. وقد عثرت عليهما بعد البحث ولكني لم اوفق الى معرفة قائلها

ان النساء ولا عدمتك سائلاً | فيما يظاهرُ في الامور ويكتم
لحم اطاف به سباع جوّع | ما لا يزادُ فانه يتقسم

بروكلين — حبيب عنبش

١٤

رأي النساء — الحديدة حامية

اظن قراء الجامعة يشكّون في كون الذي يكتب هذا الراي امرأة . وسواء عندي شكوا او صدّقوا فانه لا بد لي من ابداء رايي في هذا الموضوع وهو راي النساء وان لم يجهرنَ به . ان اصحابنا الرجال المحترمين حينما يعرض لهم بحث نسائي كهذا البحث يندفعون فيه ملء اقلامهم واشداقهم لا سيما وانهم يعلمون ان النساء لا يمكن ان يجاوبنهم فينطبق على اصحابنا الرجال قول الشاعر

واذا ما خلا الجبان بارض | طلب الطعن وحده والنزالا

ولكنا هنا في بلاد الحرية والعمل يمكننا نحن النساء ان نردّ عنا تهم الرجال ومزاعمهم الباردة

اولاً — « الاقتراح » اقترحت الجامعة هذا الاقتراح فاجابها المراسلون « وكلهم من الرجال طبعاً » اجوبة مختلفة . والحال ان الجواب على هذا الاقتراح يجب ان يطلب من النساء لا من الرجال . وحيث ان الرجال قد اجابوا فلننظر في اجوبتهم . فان كثيرين منهم قالوا انه ممكن والارجح عندي ان هؤلاء غير متزوجين . وبعضهم قالوا غير ممكن وبذلك حكموا على انفسهم حكماً شديداً يصعب علينا التصديق بانهم يقبلونه لانه يسيء الظن بهم . واذاً ما هذه القشور اللامعة والطلاء المزخرف في الظاهر الذي يعدّون به

انفسهم متمدنين اذا كانوا لا يقدرون على حفظ ابسط قواعد النظام الاجتماعي والفضيلة العائلية . واي فضل يكون لعصرنا هذا الذي يسمونه عصر نور وارتقاء على عصر الهمجية الاول . فليسمع حضراتهم ما قال احد ابناء عصر الهمجية . قال عنترة فارس بني عبس

واغضّ طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

افلا يخجل ابن القرن العشرين حين يرى نفسه انه غير قادر على بلوغ درجة هذا العفاف والسمو الذي بلغ اليه بدوي كعنتره نشأ في خشونة الهمجية

ثانياً — هذا في الاقتراح واما في البيت المطلوب نبشه فالمصيبة اعظم وعماء البصيرة اكبر . اذا كان الرجال ينزلون المرأة هذه المنزلة ويشبهونها بلحم والرجل بالهرّ الضاري فهذه الشهادة منهم في حق انفسهم لا تصدق الا عليهم وحدهم . فنحن نسلم لهم انهم هررة ضارية كما يقولون عن انفسهم. اما نحن فاذا كنا لحماً فلحمنا مرٌّ لا يؤكل. وانني استغرب من الجامعة كيف تأذن بنشر اقوال كهذه الاقوال ضدَّنا وتعطي الرجل خصمنا حق المرح فيها كما يريد . بل استغرب كيف اننا انتقلنا الى الغرب واتخذنا جميع عاداته واخلاقه واكتسبنا منه اللغة والثروة ولا نزال نحافظ على المبادىء التي كانت تدور عليها هيئتنا الاجتماعية في الشرق . فهناك «المرأة لحم والرجل هرّ» لا وظيفة لها الا ان تؤكل . واما هنا فالمرأة مساوية للرجل بل فوقه فلها الحق في ان تتصرف بمواهبها العقلية والادبية كما تشاء ولها الحرية المطلقة في ان لا تسجن نفسها في سجن « العادات الشرقية » التي تعتبرها ملكاً للرجل . وبناء عليه لها كل الحق في ان تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي وتروح وتجيء وتبدي افكارها في جميع المسائل المختصة بعائلتها وشغل اخيها او زوجها او ابيها. فبدلاً من « سجن المرأة في سجن ضيق » اي ابعاد اللحم عن الهرّ يجب ان يقال « ان الهرّ الضاري يجب تهذيبه وتأديبه » وهذا هو الحل الحقيقي للمسألة

اذا قيل يوماً ان اسراباً من الهررة الضارية هجمت على مدينة نيويورك فهل نقول الحكومة للناس اختبئوا منها وعطلوا اشغالكم ومواهبكم ام نقول لهم ادبوها

وكما ان صاحب امضاء « تذكار » ذكر قصة صغيرة عن صاحبه للدلالة على ان في الرجال قوماً افاضل فالى القارىء قصة صغيرة وقعت لاحدى صديقاتي للدلالة على ان الهر قد يأكل احياناً ولكن لحماً . . فقد ذكرت لي صديقتي المشار اليها ان شاباً كان يتردد على بيتهم وكان صديق العائلة فكانت صديقتي تلاطفه وتمازحه . فاغترّ الرجل بلطف السيدة ومزاحها وفي ذات يوم كانا في غرفة في البيت حيث وجدا وحدهما اتفاقاً في اثناء الحديث

والمزاح المألوف نسي الشاب نفسه واخذ بسرعة يد صديقتي وقبلها فكان جوابها انها بذات اليد التي قبلها صفعته على وجهه صفعة شديدة ثم خرجت من الغرفة بكبرياء السيدة التي اهينت . ومنذ ذاك الحين لم يعد يقع نظره على نظرها . فاذا كان هذا ما يأكله المرء دوماً فهنيئاً مريئاً .... (قارئة)

باب الاخبار العلمية

❊ جسر بروكلن ❊ « انظر رسمه في صدر هذا الجزء » طوله ٦٥٣٧ قدماً وقد ابتدئ بانشائه في ٢ يناير « كانون الاول » سنة ١٨٧٠ وجرى افتتاحه في ١٤ مايو « ايار » سنة ١٨٨٣ وعلوّ قواعده عن سطح الماء ٢٧٨ قدماً وعلوّ الجسر نفسه عن سطح الماء ١٣٦ قدماً وقوة كل سلك من اسلاكه ١٢ الف طن ومجموع القوة التي تحملها الاسلاك ١٤ الف طن و ٦٨٠ طناً . وعرض الجسر ٨٥ قدماً والطول من قاعدة الى اخرى ١٥٠٥ اقدام . وعلى الجسر خطان للسكة الحديدية وخطان للتراماوي وطريقان للمركبات وللمشاة طريق عرضها ١٣ متراً . ومن تحته تمرّ السفن التي علوّ سواريها ٤٠ متراً . وقد انفق على بناء هذا الجسر ١٤ مليون ريال و ٧٥٠ الف ريال

❊ تمثال الحرية ❊ « انظر رسمه في صدر الجزء الاول » نصب في مرفاء نيويورك في ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٦ وهو هدية من الشعب الفرنسوي الى جمهورية الولايات المتحدة . وقد صنعه النقاش الفرنسوي اوغوست برتولدي باكتتاب جمعه الفرنسويون . علوّ التمثال وحده من اعلى القاعدة حتى القبس الذي في يمينه ١٥١

قدماً وعلوّ القاعدة وحدها ١٥٥ قدماً وقد جمع الاميركيون ثمنها باكتتاب بلغ ٢٥٠ الف ريال · ورأس التمثال يقف فيه اربعون شخصاً براحة تامة فتأمل · وعلى شاطىء نيويورك بواخر تنقل الزائرين اليه ويُصعد الى رأسه بسلم في باطنه واجرة النقل ربع ريال · ويظهر ان هذا التمثال اخذ في التداعي لثقله ولذلك يهتمون اليوم بترميمه وتقويته وزيادة النور الذي في قبسه لينفع السفن في الليل نفعاً حقيقياً

❊ فعل الديناميت في البيض ❊ يشكو الناس في جهات فنجو وكلارين في بنسلفانيا من ان الديناميت الذي يستعمله الفعلة في انشاء السكة الحديدية هناك يقتل الجنين في البيض قبل تكونه وخروجه من البيضة وذلك عند اهتزاز الارض من فعله ولذلك قد لا يجدون في الاعياد القادمة من الدجاج وديك الحبش والاوز والبط ما يكفي الناس واذا وجدوا منها فيكون ابن سنتين

❊ اكل الكلاب ❊ قالت البرلنر تاجبلاط انه في مدة ثلاثة اشهر في المانيا ذبح ٢٤٠٥ كلاب وبيع لحمها للطعام · واكثر المدن ذبحاً للكلاب مدينة مونيخ حيث الايطاليون يستلذون لحمها

❊ امه ❊ دخل رجل وامرأة الى فندق كران يونيون اوتل في نيويورك ومعهما صندوق للامتعة فباتا هناك ليلة وفي الصباح وجد صاحب الفندق ورقة على المائدة جاء فيها انهما تركا له خمسة ريالات ليأخذ منها اجرة الغرفة والباقي للطفل · وكان في الصندوق الذي معهما طفل عمره سنتان تركاه في الغرفة · والتوقيع على الورقة «امه» فتأمل في هذه الهمجية من الام · اما الطفل فارسل الى دار اللقطاء

❊ مضار التلغراف اللاسلكي ❊ تهدّد بعض التجار في شيكاغو المجلس البلدي باقامة دعوى عليه اذا لم يرفع من جنوبي المدينة مكتب التلغراف اللاسلكي لان

هذا التلغراف يجذب المجرى الكهربائي فيمنع آلات التلفون من العمل · وقد توقف عن العمل الف تلفون لهذا السبب كلما استعمل التلغراف اللاسلكي

﴿ قانون لمنع الاولاد من التدخين ﴾ ان اللجنة التي عينها مجلس العموم الانكليزي لفحص مشروع منع الاولاد من التدخين قد وافقت على هذا المشروع · وهو يحكم بالسجن على كل بائع دخان يبيع منه شيئاً لولد منه دون السنة السادسة عشرة · ويجيز للبوليس والمعلمين ان يضبطوا كل دخان يجدونه مع ولد دون هذا السن

تدبير الصحة والمنزل

الصحة وغذاء الاميركان الغريب

لا يخفى ان « المعدة بيت الداء » كما ورد في الحديث واثبته الاطباء · ومداراتها من اهم مبادىء الصحة · ومن شروط هذه المداراة امتناع الانسان من عمل اي عمل متعب حين الطعام وبعده مباشرة · لان المعدة تحتاج الى الدم لمساعدتها على الهضم فاذا اشتغل الانسان بشغل عقلي او بدني متعب انتشر الدم في الجسم متراميًا نحو العضو الذي يعمل ويتعب فينشأ عن ذلك عسر الهضم وتكدير صفو المزاج تكديرًا مضرًّا

وقد كان المهاجرون هنا يشتغلون منذ بضع سنوات ليلاً ونهارًا بلا انقطاع ويأكلون وهم يشتغلون ولا يقفلون مخازنهم حتى الساعة التاسعة او العاشرة مساء واحيانًا حتى منتصف الليل · فمن جراء هذا الاجهاد المضني أُصيب كثيرون منهم بعسر الهضم وضعف المعدة وخسروا صحتهم · ويظهر ان هذا المثال قد اثر في الباقين او ان نجاح اشغالهم في السنوات الخمس الاخيرة افسح لهم مجال الراحة فاصبحوا يقفلون مخازنهم في الساعة السادسة مساء كباقي مخازن الاميركان · الاَّ انه بقيت لديهم عادة مضرَّة هم فيها مسيرون لا مخيرون لانهم مضطرون الى مجاراة الاميركان فيها · ونريد بها عادة « الغداء » في نيويورك

ان اصحاب الاشغال في مصر وكثير من اقطار اوروبا يقفلون مخازنهم عند الظهر للاستراحة ساعة او ساعتين او اكثر حسب العادة الجارية . ففي مصر مثلاً تقفل البنوك والمحلات الكبرى عند الظهر ساعتين او اكثر او اقل . والبنوك في القاهرة والاسكندرية مثلاً لا تفتح بعد الظهر الا في الساعة الرابعة . فيذهب اصحاب الاشغال عند الظهر الى بيوتهم فيأكلون بتأنٍ على موائدهم واكثرهم ينامون بعد الغداء برهة لتجديد القوى التي فقدوها في اعمال الصباح . ثم يعودون الى محلاتهم اكثر نشاطاً واقداماً على الاعمال . اما في نيو يورك فالبنوك تفتح من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة الثالثة بعد الظهر دون انقطاع وبعد ذلك تقفل باقي النهار . ولذلك يضطر اصحاب الاشغال الى ابقاء مخازنهم مفتوحة بلا راحة في اثناء النهار

اما طعامهم الظهر فهو من الغرابة بمكان . ويكفي للدلالة عليه ان نصف لك احد مطاعمهم « المستجلة »

تدخل الى المطعم فتجد الناس وقوفاً ينتظرون نوبتهم . وكل واحد منهم يتناول طبقاً « صينية » فيمسكه بيده، ثم يمر على اطباق الحلوى والاثمار فيختار منها صحناً او صحنين ويضعها في الطبق الذي في يده . ثم يمر بآنية فيها ملاعق وشوكات وسكاكين فيأخذ واحدة من كل منها ويضعها في الطبق . وفي طريقه يجد قطع الخبز محشوة بالزبدة او اللحم فيتناول منها ما يشاء . ثم يصل في طريقه الى مكان فيه رجل واقف وامامه قدور الطعام في منتهى النظافة والاتقان فيشير طالب الطعام الى نوع الطعام الذي يطلبه فيصبّ له الرجل منه في صحن ويضع الصحن في الطبق الذي في يده . فيأخذ طالب الطعام الطبق ويذهب به الى احدى الموائد التي هناك . فيمرّ في طريقه امام سيدة وفي يدها اوراق . فتنظر السيدة من بعيد الى ما في الطبق وتحسب ثمنه كلمح البصر ثم تضع له في الطبق ورقة مطبوعة عليها القيمة التي يجب دفعها . فيجلس الرجل ويأكل . واذا احتاج الماء نهض الى حنفية قريبة تحتها كؤوس الماء فيتناول كأساً منها ويعود . وبعد فراغه من الطعام يأخذ الورقة التي فيها ثمن « الغداء » ويخرج فيجد عند الباب سيدة تأخذ منه الورقة وقيمتها . ويمكن للانسان بهذه الطريقة ان يتغدّى غداء جيداً بقيمة ربع ريال وفي مدة « خمس او ست دقائق »

وهناك اغرب واعجب . وهم الذين لا يجلسون للطعام اذ لا وقت لديهم للجلوس بل هم يقفون وراء « البوفه » ويطلبون « سندويج » وكأس لبن فيفرغونه افراغاً في اجوافهم في وسط زحام شديد وسرعة الداخلين والخارجين سرعة لا يتصوّرها ابن الشرق بل ابن اوروبا

نفسه . ثم يهرعون الى مكاتبهم واوراقهم . ولا بدع ولا عجب فان الوقت هنا من ذهب ولكن اذا كان الوقت من ذهب فان المعدة من لحم ودم . ولله كم تألمنا في الشهر الاول من عادة هذا الغداء السريع والشروع في العمل بعده مباشرة . ولكن كل شيء يهون بحكم العادة . على اننا نرى ان هذه العادة مضرة اذ لا بد من الراحة بعد الغداء ساعة على الاقل . ولكن ابطالها امر مستحيل الا عند الذين يجودون بساعة من وقتهم وهو امر صعب عند اصحاب الاشغال . ولا ريب عندنا ان الصحة في نيويورك تكون اقوى منها الآن لو كان الناس يستريحون بعد الغداء. ولكن لا ريب ايضاً ان الاشغال تكون اضعف. وانك اذا حسبت اجرة الساعة المطلوبة للراحة في جميع محلات نيويورك ومعاملها فربما كانت قيمتها كل يوم مئات الوف ريالات

باب التقريظ والانتقاد

*** ديوان الرافعي *** وردتنا الملزمة الاولى للجزء الثالث من « ديوان الرافعي » الذي يعرف قراء الجامعة شعره وادبه. وقد قدم له مقدمة في « نوع من نقد الشعر » وسنعود الى هذا الديوان بعد صدوره لنتحف قراء الجامعة في هذه الاقطار بشعر لا اقوى ولا اصفى منه . وقد استشهد على روح الشعر الذي يعذب نفوس الشعراء بنادرة جميلة قال. ذكروا ان كسرى سمع الاعشى يتغنى ذات يوم بقوله

ارقتُ وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقمٍ وما بي معشقُ

فقال : ما يقول هذا العربي ؟ قالوا يتغنى بالعربية فامر ان يفسروا قوله فقالوا زعم انه سهر من غير مرض ولا عشق . فقال هذا اذاً لص ... ؟ قلنا وجدير باهل النفوس الحديه المادية الذين همهم الفائدة العملية ان لا يفهموا عذاب الشاعر الروحاني فان كلا منهما ابن عالم يختلف عن عالم صاحبه

وقد قال لنا يوماً احد نوابغ شعراء القاهرة من اصدقاء الجامعة ان الجامعة هي التي وجهت انظار الناس في مصر الى الرافعي وشعره واعطته شهرته . ونحن نقول ان شعر

الرافعي هو الذي اعطاه شهرته ولم تكن الجامعة سوى آلة لاظهار فضل صاحب فضل . ويسرنا ان الجزء الثالث سيكون من الادلة على ان الرافعي كان اهلاً لشهرته وان كنا نرى ان اشتغاله بامثال هذه الدواوين مما لا فائدة كبرى فيه كما ذكرنا ذلك له غير مرة

﴿ حوّاء الجديدة ﴾ هي رواية غرامية اجتماعية تأليف جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني صاحب الفصول المفيدة في الجامعة . وموضوع الرواية يُعرف من عبارتين وردتا على غلاف الرواية الاولى . دنس يطلب عفيفة طاهرة ويلتمس ملاكاً كريماً . وعذراء وديعة لا تجد الاّ خاطباً انفق شبابه في الفساد . والثانية . ينسب الناس شقاء الجنس البشري الى حواء القديمة لانها اغوت آدم القديم مرة . فلماذا لا ينسبون الآن هذا الشقاء الى آدم الجديد وهو يغوي حواء الجديدة كل يوم الف مرة . يعني حضرة المؤلف بذلك فساد الجنس القوي الذي يستدرج الى الفساد والفاحشة الجنس الضعيف وبذلك يوجد الطبقة الشقية المعروف امرها

وسنعود الى هذه الرواية في فرصة اخرى وهي تطلب من ادارة الجامعة في نيويورك وثمن النسخة الواحدة نصف ريال

﴿ مَن الملوم ﴾ هي رواية غرامية حدثت حوادثها . بين شاب سوري وفتاة افرنسية . وهي بقلم جناب الاديب مخائيل افندي ناصيف زربطاني وقد طبعت في مطبعة جريدة المحيط في نيويورك وتطلب منها او من ادارة الجامعة وثمنها نصف ريال

﴿ تاريخ اشغال السوريين في اميركا ﴾ اجتمع لدينا عدة اجوبة على الاسئلة التي القيناها بشان اشغال السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية . وقد عهدنا الى احد الادباء المشتغلين بالتجارة والادب معاً ان يرتب هذه المواد ويزور حضرات التجار واصحاب المعامل في نيويورك ليأخذ منهم المعلومات اللازمة ويتولى كتابة هذه الفصول التي هي عبارة عن تاريخ اشغال السوريين في هذه البلاد . وسيبدأ بها في الجزء التالي

العالم الجديد

او

مريم قبل التوبة

وهي رواية اجتماعية غرامية تاريخية فلسفية

وقعت حوادثها في مجدل وطبريا والناصرة وجنيسارة واورشليم قبل ظهور المسيح بعشر سنوات وتمتد حوادثها الى ما بعد ظهوره وصلبه

(موضوعها)

احتكاك مدنية الرومان واليونان في ذاك العهد بالمدنية اليهودية من جهة وبالمدنية المسيحية التي كانت آخذة في الظهور من جهة اخرى . وذكر آثار الاحتكاك في النفوس التي احتكت بها . وتصوير (العالم الجديد) الذي كان يطلبه كل منها وماذا بقي منه الى هذا الوقت مما يصح ان يكون (العالم الجديد) الذي تنشده الانسانية الراقية وتتمناه الفلاسفة

وبذلك يكون موضوع هذه الرواية (العالم قبل صلب المسيح) كما ان (اورشليم الجديدة) كانت (العالم بعد صلبه)

(اهم اشخاص الرواية)

هو (مريم المجدلية) المعروفة بمريم الخاطئة الوارد ذكرها في الانجيل والتقاليد المسيحية . ولذلك جعلنا الرواية قسمين الاول (مريم قبل التوبة) والثاني (مريم بعد التوبة)

تاليف

فرح انطون

صاحب الجامعة

وسنبدأ بنشرها في الجزء التالي

الجزء السادس



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٦ ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤

صوت من بعيد

هل في مصر حزب وطني وله زعيم

٢

حزب الناسيوناليست في مصر

قبل البحث في هذا الموضوع نشير الى خطاء في الترجمة يقع كما بحثت الجرائد الاوروبية في « حزب مصر الوطني » فهي تسميه Nationaliste والمترجمون الى العربية يترجمونها « وطني » وهو خطاء لان كتاب اوروبا وساستها يريدون بهذه الكلمة معنى آخر . فعندهم كلمتان الاولى Patriote او National والثانية Nationaliste فمعنى ناسيونال عندهم ما يُخص بالامة (Nation) كالراية والجيش والحكومة وباقي المصالح . ومعنى (باتريوت) (وطني) من (Patrie) وهو الرجل الذي (يحب وطنه ويسعى في نفعه) واما كلمة Nationoliste فمعناها (الحزب الذي يتألف في الامة من أُناس غرضهم تفضيل وطنهم على باقي الاوطان) (١) ولا نعلم بماذا تترجم هذه الكلمة (ناسيوناليست) ولذلك نبقي لهذا الحزب هذا الاسم

ففي فرنسا وانكلترا مثلاً كل الناس Patriotes نعني (وطنيين) يحبون نفع وطنهم

(١) تعريف لاروس

وما كلهم(ناسيوناليست) لان الناسيوناليست في انكلترا م الحزب الايرلندي الذي يسعى في استقلال ايرلندا والناسيوناليست في فرنسا هو الحزب (الكثير الحركة القليل العمل) الذي تألف حين ظهور حادثة دريفوس وكان زعيمه ديروليد وهابار وجول ليمتر وفرنسوى كوبه . وقد تألف يومئذٍ هذا الحزب لمقاومة الحكومة الجمهورية فانشأ « عصابة » دعاها « عصابة الوطنيين » او « الوطن الفرنسوي » وغرضها مقاومة نفوذ اليهود وسلطتهم ومنع اي تداخل من الاجانب في الشؤون الفرنسوية . وكان هذا الحزب يضم حزب ديروليد وحزب الملكيين والامبراطوريين وخصوم اليهود معاً . وكانت الجرائد الكبرى كالطان والدبا « وهذه مالت اليه بعض الميل آخراً وكانت ضده اولاً) تهزأ به لانه لم يكن يسمي « وطنياً حقيقياً » الا من كان على رأيه . ومنذ اسبوعين كتبت جريدة الطان فصلاً افتتاحياً موضوعه طلب الصين دستوراً ومجلساً نيابياً فافتتحته بقولها ان في بعض « المراسح » في الصين نشيداً هذا مطلعه « يا اهل الوجوه البيض لا تظنوا انكم ستعذبون الجنس الاصفر بعد اليوم دهراً طويلاً » قالت الطان « ولكن هذا التحمس تحمس شبان والناسيوناليست موجودون في كل مكان »

فاوروبا حين كلامها عن حزب مصر انما تريد به « حزب الناسيوناليست المصري » لا « الحزب الوطني » اذ بين التسميتين فرق عظيم . ولذلك تسميه Nationaliste لا Patriote وتمثله في ذهنها كالاحزاب الناسيوناليستية التي في بلادها (١) لانها لا تجهل انه يكون عادة خلو هذا الحزب في كل امة اناس عقلاء يغارون على مصالح اوطانهم غيرة هذا الحزب ولكنهم لا يرون رأيه في الطرق المؤدية اليها

نظرنا في ما تقدم في معنى كلمة « وطني وناسيوناليست » فلننظر الآن في معنى كلمة « حزب » . الحزب في السياسة . « تألب جماعة على جماعة اخرى لاختلاف آراء الفريقين ومصالحها » (٢) فيلزم اذاً لاستيفاء شروط الحزب امران . الاول وجود « الجماعة » التي تريد مقاومة اراء ومصالح لا تنطبق على آرائها ومصالحها والثاني « تألب هذه الجماعة » اي اجتماعها عصبة واحدة وتعاضدها توصلاً الى بلوغ مرادها . فلننظر الآن هل في مصر شيء يحق له ان يسمى « حزباً »

---

(١) اخصها حزب الناسيوناليست البولوني في النمسا والمانيا وحزب التشك في النمسا والحزبان الفرنسوي والايرلندي المشار اليهما آنفاً

(٢) تعريف لاروس

اذا كان في مصر حزب ناسيوناليستي كما تقول صحف اوروبا فلا شبهة في انه ليس فيها « حزب » بالمعنى الحقيقي الذي لهذه الكلمة. فان مقتضيات الحزب كما ذكرنا امران « الجماعة » و « تأليها » فالجماعة موجودة في مصر وكراهة القوة المحتلة متأصلة فيها ولكن ينقصها « التألب والاجتماع » فهي عبارة عن اعضاء متفرقة لا جامعة حقيقية بينها غير الجامعة الدينية ولا مقدرة لها على التعاضد لرسم خطة محدودة وتنفيذها بطرق محدودة للوصول الى غرض معلوم محدود

ولبيان ذلك نقول :

بدء حكم أمير

لما توفي الخديوي توفيق عاد الى مصر نجله الاول سمو الامير عباس الثاني من اوروبا حيث كان يتمم دروسه لكي يجلس على عرش الامارة في مصر خلفاً لابيه . وكان سموه في ريعان الشباب والشبيبة مشهورة بالحماسة والمخاطرة والاقدام على الامور المعظام . فاستقبله شعبه في مصر استقبالاً لم يرَ له مثيل . فان شعباً هائلاً احاط بمركبته حين نزوله من الباخرة احاطة الهالة بالقمر فحلّ خيل المركبة واخذ يجرّها بنفسه . وكان الحماس بالغاً حده حول ذلك الشاب الجميل الشامخ الرأس . الممتلئة عيناه من كبرياء وآمال الشباب. الذي كل حركة من حركاته تدلّ على انه ملك شرقي كبير اعتاد الامر والنهي. الذي رُفع بغتة كما بخطف خاطف من بين الكتب والاوراق — اي من وسط عالم فكري محض — ووُضع بغتة وسط عالم عملي مضطرب. لقد قرأ في المدرسة تاريخ رجال الثورة الفرنسوية الذين جهروا في العالم « بحقوق الانسان » وكتابات روسو في حرية الشعوب وتاريخ استعمار الاوروبيين لبلاد المشرق . لقد ربى في جسمه في اثناء درسه روحاً غريبة محضة قوّاها الدرس والعلم وكبرت مطامعها ووسعت افقها السياسة والرئاسة واثار طبيعتها قبس الحرية وجملتها وزينتها الموسيقى والفنون الجميلة . وبعد ذلك كله جيء بها لكي تجلس على العرش جامدة ساكنة لا وظيفة لها الا الموافقة على ما تفعله في بلادها سلطة اجنبية احتلت بلادها

لو سئل رجل ذو نظر ثاقب حين نزول سموه على الرصيف يومئذٍ ماذا تكون وظيفة هذا الشاب الممتلىء قوة ونشاطاً الذي جاء للجلوس على عرش اجداده لاجاب على سبيل التخمين ان سموه سيسلك طريقين . الاول الوقوف في مقدمة شعبه والصعود به من « الحالة الشرقية » الى « الحالة الغربية » التي اشربت نفسه جميع شؤونها . فانه يجعل نفسه بمنزلة نواة تلتف وتجتمع حولها جميع العناصر القوية النافعة في الامة وتندفع معه الى

امام تاركة وراءها من يريد الاستمرار على البقاء وراء او صاحبة اياه معها طوعاً او كرهاً .
وهذه افضل الطرق لتقوية عروش الملوك والامراء الذين يخشون على عروشهم من شعب
يتنبه لعدم فائدتها . لان الشعب على الدوام انما يساق بعقول اهل العقول الذين بها يثيرونه
وبها يسكنونه . فتقديم اهل الاقدام والعمل وجمع كلمة اهل الذكاء والرأي والنزاهة والاخلاص
في الامة لدفعهم جميعاً في سبيل واحد وهو اثارة نشاط الامة ودلالتها على طريقها سياسياً
واجتماعياً تلك هي واجبات كل رئيس امة . واي رجل غير ملك شاب خارج من ارقى
كليات اوروبا يصح ان يكون مصدراً لهذه القوة الاجتماعية وهذا النشاط . والطريق
الثاني تنفيذ المبادىء التي تلقاها الملك الشاب في كليات اوروبا نفسها وهي ان الحرية
والاستقلال للامة بمنزلة الدم للجسم ولا حياة حقيقية لها الا بهما . لان الامة اذا لم تكن
قابضة بيدها على ازمة شؤونها لتديرها بلا قيد ولا شرط حيثما ترى مصلحتها فلا يرجى لها
نهوض وتبقى في درجة الرق . فالذي رأى سمو الخديوي يوم قدومه من اوروبا للقبض
على ازمة بلاده لم يكن يلزمه كثير من الفطنة والذكاء ليحكم بان سموه سيسلك هذين
الطريقين : معارضة الروح الشرقية التي تؤخر امم الشرق ومعارضة الاحتلال

اما معارضة الاحتلال فقد فعل فيها الجناب الخديوي في بدء ملكه كل ما يجب ان لم
نقل اكثر . فيومئذٍ كان في مصر « حزب وطني » الخديوي رأسه . وليس يصح ان يسمى
هذا الحزب « ناسيوناليست » لسببين . الاول ان صاحب السلطة في البلاد زعيمه نفسه
والثاني انه كان ذا صبغة سياسية محضة لا دخل فيه لصبغة دينية فضلاً عن ان هذا الحزب
الوطني كان يعتمد على فرنسا صاحبة المصالح الكبرى في مصر وعدوة انكلترا القديمة . وكفى
برهاناً على ذلك ان جريدة هذا الحزب كانت يومئذٍ جريدة الاهرام المسيحية السورية
وكانت الصحف الانكليزية تحرق الارم عليها وتتساءل من اين تأتي هذه الجريدة باخبارها .
وكانت تتساءل ذلك وتعلم ان صاحبها المرحوم تقلا باشا كان يستقيها من نبع ذلك الحزب
اي من زعيمه نفسه . فيومئذٍ اختلجت حقيقة روح مصر وخفقت خفقاناً شديداً في صدر
الملك الشاب عباس الثاني كما ان روحه خفقت في صدرها . وبلغ اشد المعارضة في « حادثة
الحدود » المشهورة التي اضطر الجناب الخديوي فيها ان يرجع في ملاحظات ابداها حين
استعراض الجيش المصري وقدم اليه السردار كتشنر باشا استعفاءه بسببها وقامت قيامة
الاحتلال من اجلها . فعرف الحزب الوطني يومئذٍ حقيقة حاله من الضعف وهول القوة
التي أقدم على معارضتها . ولما وقعت حادثة « فشوده » ذهب آخر امل له . فان كتشنر

باشا بعد فتحه ام درمان وابادة سلطة الدراويش سمع بان قوماً من البيض احتلوا فشوده فركب السفن الى فشوده مع فريق من جيشه فوجد ان القائد الفرنسوي مرشان سبقه اليها. فطلب منه كتشنر باشا باسم جلالة السلطان صاحب السيادة على السودان المصري ان يخلي فشوده لانها من املاك مصر . نعم انك تقرأ هنا كلاماً ليس فيه غلط مطبعي ان كتشنر طلب من مرشان هذا الجلاء . باسم جلالة السلطان . ولما ابى مرشان الخروج من فشوده بحجة . ان الارض في افريقيا للسابق اليها . مدّ سفير انكلترا في باريز يده الى جيبه ليخرج منها للمسيو دلكاسه وزير خارجية فرنسا . انذاراً نهائياً . بعده الحرب . ولكن المسيو دلكاسه رجل نبيه فلما فهم اشارة السفير قال مازحاً لا لا اننا لا نتقاطع الى هذا الحد من اجل افريقيا فاذا كانت فشوده . عزيزة . عندكم الى هذا الحد فاننا نتركها لكم . ثم اخلى فشوده

ان الباب العالي اتى غلطتين لا يغفرهما له التاريخ . الاولى رفضه طلب انكلترا في بدء الاحتلال ان تتعهد بالجلاء عن مصر بعد سنتين على شروط اشترطتها. والثاني سكوته يوم حادثة فشوده عن الاحتجاج الذي احتج به كتشنر باشا باسمه . فانه اذا كان حقيقة في نيته ان يثير المسألة المصرية يوماً ما فقد كان يجب اثارتها يومئذٍ بحجة فشوده لا بالامس بحجة طابه

وبعد حادثة فشوده علم الحزب الوطني في مصر ان فرنسا لا تحارب انكلترا من اجل مصر وان مصر ضعيفة بنفسها عن مقاومة انكلترا ومعارضتها. فاختار الجناب الخديوي سياسة المسالمة كرهاً لا طوعاً فزار لندن وقابل جلالة الملك ادوار فقوبل فيها بحفاوة نادرة المثال. ولا نزال نذكر صراخ جريدة المؤيد يومئذٍ بشأن حديث لسموه وهو في اوروبا اظهر فيه رغبته في سياسة المسالمة والاتفاق . فانها لم تحجم عن القول لسموه . أ ابن محمد علي يقول هذا القول . واسفاه ايها الاستاذ . انك اضطررت بعد الاختبار ان تقول مثل هذا القول في المأدبة التي ادبها لك اصحاب الصحف الانكليزية في عاصمة بلادهم منذ ثلاث سنوات. ولقد سمعتَ من مصر من يصيح بك مثل ذلك الصياح . لقد سمعت . اللواء . يقول : هل الشيخ علي يقول هذا الكلام . اذاً لقد باع وطنه بذلك الطعام

فلما تخلى الجناب الخديوي في الظاهر عن معارضة الاحتلال انفرط عقد الحزب الوطني القديم لعدم وجود راس له وفقده النواة التي يجتمع حولها ويكون له قوة بها. فاصبحت الآراء في مصر بشأن الاحتلال يمكن حصرها في اربعة

الاحزاب في مصر

(الرأي الاول) رأي الذين سمتهم جريدة الاجيبت الفرنسوية التي تطبع في مصر «الافاقين» قالت هذه الجريدة يوم عقد الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على مصر ومراكش ما خلاصته : يجب على زعماء المصريين ان لا يدهشهم تخلي فرنسا عنهم لانهم اثبتوا انهم لا يقدرون على عمل جدّي لان جهدهم كان في نيل الرتب والنياشين وجلبة فارغة · ثم قالت ما معناه ان مصر لا تنال حريتها واستقلالها بجماعات الافاقين الذين يملأون مصالحها وادارتها ولا همّ لهم غير الحرص على رواتبهم وجر النفع لانفسهم · وان انكلترا بامثالهم تنشيء المستعمرات الخصيبة

ومعنى ذلك ان القوي يستميل الناس ويستأسرهم بالمنافع التي يمكن ان ينالوها عن يده فيقيمون على خدمته ما بقيت لهم هذه المنافع · ومصر ملأى باصحاب هذا الرأي من غرباء ومصريين

(والرأي الثاني) رأي اهل المسالمة · فهم يرون ان اوروبا قد تخلت عن مصر ومصر ضعيفة بنفسها عن مقاومة الاحتلال · فاذا استمروا على هذه المقاومة كان مثلهم مثل ضعيف يقاوم قوياً فلا تفيده المقاومة بل تضره · ولذلك رأوا المسالمة لتستفيد مصر من الاتفاق بينهم وبين الاحتلال كل ما يمكن استفادته · فهم يضعون مسألة الحرية والاستقلال الى جانب ويقولون للمحتلين تعالوا لنعمل معاً على خدمة مصر وترقيتها بدل ان نتعادى ونتقاطع دون فائدة لنا او لكم · وحجتهم هذه قوية في حد ذاتها متى كان الاحتلال مخلصاً في قبول هذا الاتفاق ولا يقصد به استغراق الامة والاستيلاء عليها · ورأس هذا الحزب عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار والمرحوم الشيخ محمد عبده · واليوم تمثله جريدة المؤيد على ما نظن

(والرأي الثالث) رأي اهل المعارضة في الاحتلال الى ما شاء الله · فانهم يقولون ان المستعمرين لا يقصدون من المستعمرات الا جعلها بقرة حلوباً لهم · فاذا وافقناهم وسالمناهم سهلنا لهم هذا السبيل وربينا اليأس والاستماتة في نفوس اهل الامة فتصبح رمة بين ايديهم · اما اذا عارضناهم فنربي الامل والرجاء في نفوس الناس للاستفادة به في اطوار التاريخ ومفاجئات الزمان التالية اذ من يعلم ما سوف يجيء به التاريخ والزمان · ولئن ماتت مصر وهي محاربة معارضة فذلك موت الكرام وهو خير لها من ان تموت موت الجبناء · أفلا يهزأ بنا الغربيون ويضعفنا اذا لم يسمعوا منا صوتاً يصرخ ولم يروا فينا عرقاً ينبض ونحن تحت النير · المثل هنا درسنا وتعلمنا وذقنا بالفكر حلو الحريـة والاستقلال عند الشعوب — نقول وهذه الحجة قوية ايضاً لولا الاعتراض الذي يُعترض به عليها وسيرد ذكره فيما يلي

(الرأي الرابع) رأي الذين يكرهون الاحتلال والمحتلين بعواطفهم لا بعقولهم لانهم على دين غير دينهم وقد زادت هذه الكراهة عندهم بما يقرأونه في جرائدهم · ونريد بهؤلاء جمهور السذج الذين اشرنا اليهم في المقالة الاولى في الجزء السابق · ويدخل في ذلك الناقمون على الاحتلال اما لعدم تمكنهم من الاستخدام في مصالح الحكومة واما لرفتهم منها واما لخسارتهم دعاوي كانت لهم في المحاكم وكان الحق فيها معهم او عليهم واما لكونهم زراعاً وراوا باعينهم مياه الري تباع بالذهب الوهاج لجارهم بينما زراعتهم تحترق بحر الشمس وهم ينظرون او غير ذلك

هذه هي الاحزاب الموجودة في مصر اليوم · على ان هنالك « حزباً خامساً » لم نشر اليه بعد وهو اعظم تلك الاحزاب قوة وسلطة وان كان قليلاً عدده · ونريد به حزب الشركات والبنوك والتجار واهل الاطيان والاموال فاكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم راضون عن الاحتلال كل الرضى لان وجوده خير ضمين لاموالهم ·

فهم الحيتان التي تصطاد في كل مكان فيه نظام وامان « اي النظام الذي يريدونه » و٩٠ في المائة منهم اجانب غير مصريين · وانك لترى الاموال الاوروبية تنهال على مصر انهيال السيل الجارف بعد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وانكلترا بشأن مصر ومراكش لان هذا الاتفاق يوطد قدم الاحتلال في وادي النيل · ويمكن ضم « حزب سادس » الى الاحزاب التي تقدم ذكرها وهو حزب الطوائف والامم الصغيرة التي ترى في وجود الاحتلال في مصر سبباً لوجود العدل والمساواة المطلقة بينها و بين العنصر السائد الكبير · وهي ترى الاحتلال بمنزلة « حكم عادل » بين جميع العناصر والجنسيات والمذاهب يمنع بعضها من الجور على البعض الآخر

فاذا عدنا الآن بعد هذا البيان الى الحزب الذي تعنيه جرائد اوروبا وانكلترا عند كلامها على « حزب الناسيوناليست المصري » وجدنا انه الحزب الثالث المشار اليه آنفاً · وكان يمثل هذا الحزب من قبل دولتلو رياض باشا ولكن الخطبة التي القاها منذ نحو سنتين امام الجناب الخديوي في احدى الحفلات والتي ادهشت اهل مصر جميعاً تدل على ان دولته عاد الى مبداء عطوفة مصطفى باشا فهمي (١) ولكن لما كان رياض باشا يمثل هذا الحزب كان الحزب كبيراً موجوداً بالحقيقة · وكان له رؤوس يديرونه وينفقون عليه الاموال الطائلة · وكان مركزه كما تقدم قصر عابدين وقصر الوكالة الفرنسوية · اما الآن فالحزب المذكور بعد ان نحي الكبار عنه لا مركز له ولا مال ولا خطة · وان جريدة اللواء التي تمثله اليوم قلما تجد لصوتها صدىً الا في صدور الطبقات التي لا اهمية لها الا في التحمس · على ان تاثيرها عظيم في هذه الطبقات · ولو قدرت ان تؤثر مثل هذا التأثير في

(١) في اخبار مصر الاخيرة انه شاعت فيها اشاعة عن تبديل بعض الوزراء ودخول سعادتلو محمود باشا رياض نجل دولتلو رياض باشا في الوزارة

الطبقات العليا لكان يصح ان يقال ان في مصر حزباً وطنياً حقيقياً . وسيرد الكلام في المقالة التالية على العلاقة التي لهذا الموضوع بالجامعة الاسلامية التي هي الغرض الثالث من هذه المقالات والسبب الاول في كتابتها (ستأتي البقية)

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني (١)

كانت الضرائب في القديم تؤخذ من غلة الارض عشوراً ونحوها لان الزراعة كانت حينئذٍ ام موارد الرزق واساس كل دخل تقريباً ولما نمت الصناعة والتجارة وصارتا بابين للدخل مهمين استنبط الحكام والساسة والمشترعون رسوماً جديدة على المصنوعات والمتاجر كالرسوم الجمركية ونحوها ولكن بقيت الحكومات تتوكأ في جباية الضرائب بالاكثر على غلة الارض ولم تزل كذلك الى الآن في اكثر الممالك

ولما وفرت في العهد الاخير موارد الصناعة والتجارة والملاحة والصرافة وسائر الاعمال المالية وربت جداً على الموارد الزراعية تنبه علماء الاقتصاد وساسة الممالك الى ان القاء معظم الضرائب على عاتق الزراعة وحدها حيف بها واجحاف بالزراع واصحاب العقار فنشأت

(١) حاشية من المجلة -- البحث في الضرائب وطرقها بحث من اهم المسائل الاجتماعية في هذا الزمان فان « الضريبة على الايراد او على الدخل » تشغل افكار الساسة في كل مكان . وهوذا البرلمان الفرنسوي يستعد للبحث فيها وتقريرها تخفيفاً عن عاتق الصغار وزيادة لدخل الحكومة من دخل الكبار زيادة تتمكن بها من انشاء المشروعات العمومية النافعة للشعب . ولما عاد المستر برايان من سياحته في اوروبا في هذا العام اشار في خطبته المشهورة في نيويورك الى وجوب « ادخالها الى الولايات المتحدة » فعارضته الصحف بان هذه الضريبة « فكر اجنبي غريب عن اميركا » ولكن ذلك لا يمنع انها من اهم المسائل التي تساعد على حل المسألة الاجتماعية

مسألة عدالة الضرائب واصبحت موضوعاً مهماً لابحاث الاقتصاديين واشتغل كثيرون منهم في وضع نظامات مختلفة لتوزيع الضرائب على عواتق الاهالي بحيث يتساوون جميعاً في ايفاء الحكومة الاموال اللازمة لسياسة البلاد وخدمة الشعب وحمايته وتدبير شؤونه العمومية

ولكي يتضح للقارىء الحيف الناجم عن القاء الضرائب على عاتق العقار وحده نضرب مثلاً : ورث كل من زيد وعمرو — "قل" — الف جنيه ذهباً اما زيد فاشترى بنقوده عقاراً للزراعة وجعل يستغله والحكومة تقاسمه جزءاً من غلته واما عمرو فجعل يتاجر بماله ويد الحكومة لا تصل الى فلس من ربحه اذ لا ضريبة على المتاجر ولا على مجرد الدخل . فلماذا تجبي الحكومة جزية من زيد ولا تجبي شيئاً من اخيه عمرو مع ان اصل ثروتهما واحد وكلاهما يثريان في ظل حماية الحكومة ويتمتعان بخدمها ونتيجة تدبيراتها العمومية

لذلك وضعت اكثر حكومات اوروبا وغيرها مما حذت حذوها نظامات جديدة متنوعة للضرائب بحيث تشترك كل فئة من الاهالي على اختلاف اعمالها في ايفاء نصيب من الاموال الاميرية لكيلا يتحمل الزراع وحدهم هذا العبء . وقد اشار جناب اللورد كرومر في تقريره في هذا العام عن مالية مصر الى وجوب تعديل الضرائب المصرية في المستقبل على نحو ما جرت عليه حكومات اوروبا وهاك نصه بهذا المعنى : —

« لا ادعي ان النظام المالي المصري كامل او قريب من الكمال بل فيه نقائص شتى يسهل اظهارها واشهرها ان عبء الضرائب واقع اكثره على الاطيان ولا يقع على اهل المدن (يريد بهم اصحاب المتاجر والصنائع والمشروعات المالية المختلفة) قدر ما يجب . والمأمول اننا نتمكن من زيادة الاصلاح في المستقبل من هذا القبيل »

وقد اختلف الباحثون في عدالة الضرائب والمشتغلون في نظاماتها على القواعد الاساسية القويمة التي تُبنى عليها تلك النظامات فبعضهم رأى ان تؤخذ الضريبة من الثروة الحقيقية نفسها وبعضهم زعم ان تجبى من كلٍ حسب قدرته وآخر ارتأى ان تضرب على الناس بنسبة تمتعهم بحماية الحكومة وخدمها وغيره ان تضرب بالنسبة الى دخلهم الى غير ذلك من الآراء المتضاربة . وعليه نلم في هذه الرسالة بصفوة تلك الآراء حتى نهتدي الى اصوبها

قاعدة آدم سمث وتفنيدها

واول من خاض عباب هذا الموضوع ملياً الاقتصادي الشهير آدم سمث ووضع له هذه القاعدة : —

« على رعايا الحكومة ان يدفعوا اكثر ما يمكنهم من دخلهم لعضدها جملاً يناسب

طاقتهم . اي ان يدفعوا لها على نسبة دخلهم الذي يتمتعون به تحت حمايتها»

ولكن المستر ووكر الاقتصادي الاميركي قال: «ان هذه القاعدة تحتمل التفنيد الشديد وان تراءت لاول وهلة منصفة لان بين اجزائها تناقضاً بيناً . فما معنى قوله «تحت حمايتها» فان كان الغرض منه ان تكون « حماية الحكومة » قياساً لما يجب على الرعايا ان يدفعوه لها من الجزية فهو غير منطبق على القول الذي قبله لان الافراد الذين يجب عليهم ان يدفعوا للحكومة جزية بنسبة ما يستفيدونه من حمايتها او بنسبة الخدمة التي تخدمهم الحكومة بها لا تناسب بين طاقتهم وما يستفيدونه من الحماية المذكورة . فاكثر الناس احتياجاً الى خدم الحكومة وحمايتها هم الفقراء والضعفاء من نساء واحداث وعجزة وسفهاء وجهلاء ونحوهم واما الغني فيقدر ان يحمي نفسه الى حد ويخفف عن عاتق الحكومة قسماً كبيراً من هذا الواجب . وهو في مساعيه الى منافعه الشخصية بعيد عن الخطر وفي مقامه يستخدم الآخرين لحمايته في حين ان الضعفاء يتعذر عليهم ذلك او يستحيل

واذا كان مقدار انتفاع الافراد من حماية الحكومة وخدمها هو القياس الذي بحسبه تجبي المكوس فعلى الاغنى معدل من الجزية اقل لان ثروة الفرد كلما نمت كلفت حمايتها اقل بالنسبة الى مقدارها والعكس بالعكس . فاسهل على الحكومة ان تحمي ١٠٠ الف جنيه في يدٍ واحدة من ان تحميها في عشرين يداً . والذي يتمتع بمقدار كبير من الحماية يجب ان يدفع ثمنها بسعر اقل كثمن البضائع التي تُشترى بالجملة . وزد على ذلك ان الحكومة تعاني في جمع الرسوم من يد واحدة اقل مما تعانيه في جمعها عن ايدٍ كثيرة

واظن ان المستر ووكر متطرّف في هذا التفنيد لما يتضح من مقابلة شعب منظم الحكومة عادلها بشعب مختلها وخاومنها . فان الغني المستظل بظل حكومة ضعيفة مختلة يضطر ان يبذل كثيراً من ثروته لحمايتها في حين ان الغني المستظل بظل حكومة منظمة عادلة تغنيه حكومته عن معظم تلك النفقات او كلها . وزد على ذلك ان الفقير ليس عنده ما يستلزم الحماية كما عند الغني . ثم ان خدم الحكومة للغني اكثر منها للفقير فالحكومة تفتح المدارس المجانية للاثنين معاً . وفي حين انها تنشيء الملجأ للعاجز والمستشفى للعليل الفقير تمهد الشوارع لمركبة الغني وتنشيء المتنزهات لتنزهه وتسهل طرق التجارة للتاجر الى غير ذلك

واذا انعمت النظر في اعمال الحكومة رأيت ان معظمها انفع لمصلحة الغني منه لمصلحة الفقير ولمنائه . ولهذا تجد ان عامة الامم المتنبهة المتيقظة يتذمرون كثيراً من حكوماتهم الارستوقراطية اذ يرونها متحيزة الى الخاصة في جميع اعمالها وهذا هو السر في تقلص ظل

الاحكام الاريستوقراطية وانبساط ظل الاحكام الديموقراطية بقدر ما تنقشع ظلمات الجهالة عن عيون العامة

ولا ينكر ان الفقراء الضعفاء ينتفعون من خدم الحكومة وحمايتها اكثر من الاغنياء الاقوياء بالنسبة الى مقدار ثروة الفئتين وطاقتها على عضد الحكومة . هذا اذا كانت الحكومة ساهرة على راحة الشعب وهنائه . ولكني اظن ان هذا التفاوت النسبي زهيد جداً لا كما صوّره المسترووكر في تفنيده الآنف

ثم استرسل المسترووكر في تفنيده فبعد اذ خطأ جباية المكوس من الافراد بنسبة انتفاعهم من حماية الحكومة عاد الى تخطئة جبايتها بنسبة طاقتهم المالية فقال : — « على اي قاعدة يجب ان يبنى نظام ضرب المكوس اعلى مقدار الانتفاع من الحماية ام على طاقة الافراد المالية ؟ . اي هل تجبي المكوس منهم بنسبة انتفاعهم من حماية الحكومة او بنسبة طاقتهم على الدفع ؟ فان وجب ان تجبي بحسب الامرين جميعاً فكيف يمكن توفيقهما معاً ؟

« اذا حذفنا من قاعدة المستر آدم سمث الفقرة الاخيرة « تحت حمايتها » لاعتبار انها مناقضة لمعنى ما قبلها و بقيت القاعدة هكذا : « على رعايا الحكومة ان يدفعوا اكثر ما يمكن من دخلهم لعضدها جملاً يناسب طاقتهم اي ان يدفعوا لها على نسبة دخلهم الذي يتمتعون به . — فلا نزال نجد هذه القاعدة تحتمل النقد

« هل يمكن ان تكون طاقة الاشخاص على دفع الرسوم للحكومة مناسبة لدخلهم دائماً ؟ هب ان رب اسرة يكسب في عامه ٥٠٠ جنيه فيعول زوجته واولاده باربع مئة جنيه منها وان رب اسرة اخرى مساوية لاسرة ذاك في كل احوالها يكسب في عامه ١٠٠٠ جنيه ويعول اسرته باربع مئة جنيه فقط فهل تعتبر طاقة الاول على دفع الجزية للحكومة كنصف طاقة الثاني في حين ان ما وفره من دخله السنوي لا يتجاوز سدس ما وفره الثاني ؟ طبعاً لا . فاذاً الطاقة على الدفع لا تصح قاعدة لضرب الضرائب بحسب قصد المستر سمث

« واذا حذفنا ايضاً من قاعدته الفقرة الاخرى الاخيرة وهي : « اي ان يدفعوا لها على نسبة دخلهم الذي يتمتعون به » وبقيت القاعدة هكذا : « على رعايا الحكومة ان يدفعوا اكثر ما يمكن من دخلهم لعضدها جملاً يناسب طاقتهم » بقي ثم محلٌ للنظر لان القاعدة المذكورة وان خلت من التناقض لا تحل العقدة الصعبة التي في ضرب الضرائب »

وسيرى القارىء في ما يلي ان الطاقة لا يجوز ان تكون قاعدة لنظام الضرائب

(ستأتي البقية)

المهاجرون في الداخلية

بقلم جناب يوسف افندي جرجس زخم في اوماها

⁂ اقسام اميركا الشمالية ⁂ تقسم اميركا الشمالية الى ثمانية اقسام في الولايات المتحدة والمكسيك (١) واميركا المتوسطة وجزائر الهند الغربية وكرينلاند والاسكا ونيوفوندلاند . وتحكم هذه الاقسام السبعة الولايات المتحدة . اما كندا فتحكمها الدولة الانكليزية . وكلامنا التالي مقتصر على الجوالي السورية في داخلية الولايات المتحدة

⁂ تاريخ المهاجرة السورية الى اميركا ⁂ بدأت مهاجرت السوريين الى اميركا منذ نحو ٣٥ سنة . واخذت المهاجرة بالازدياد منذ ١٥ سنة . والسوريون اليوم منتشرون ليس في الولايات المتحدة فقط بل في اميركا الجنوبية والمكسيك والهند الغربية وكندا والمكسيك وسواها . وقد جاء السوريون نيويورك العظمى فلم يكتفوا بسعة حضارتها وضخامة عمرانها وفخامة مدينتها فيمموا غيرها من مدن الولايات واقاموا في كثير من قراها ودساكرها في الداخلية وعلى الشواطىء البحرية

⁂ السوري في داخلية الولايات المتحدة ⁂ للسوري في داخلية الولايات اعتبار ونفوذ اكثر مما لاخينا الساكن في نيويورك وغيرها من المدائن الكبرى . وذلك لثلاثة اسباب يصح الاستناد اليها . ١ً لان السوري كان اقدر على التعرف الى اهل الوجاهة والنفوذ في البلدان الصغرى مما هو في المدن الكبرى . ٢ً حيث يقل عدد السوريين فهناك يكثر اعتبارهم ونفوذهم وحيث يكثر عددهم فهناك يقل اعتبارهم . ٣ً لان للسوريين في مدن وبلدان الداخلية مداخلات سياسية . وهي ولئن تكن ضعيفة بالنسبة الى الحاجة المطلوبة الا انها كانت اقوى واسطة لنفوذ السوري في الداخلية

خذ لك مثالاً اوماها . نبراسكا . فجالية السوريين كانت مقسومة حزبين في ايام الانتخابات المحلية الاخيرة . حزب من جانب الحزب الجمهوري . وحزب من جانب الحزب الديموقراطي . ومع انها كانت منقسمة فانها تمكنت من تعيين عدة موظفين في دائرة البلدية

(١) استقلت المكسيك تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢٤ . حاشية للكاتب .

بعد الانتخاب . وكثيرًا ما ظهر نفوذهم في محاكم المدينة

✻ تجارة السوري في الداخلية ✻ للسوري في الداخلية تجارة واسعة مع باعة السوريين المتجولين ومع الاميركيين . وهم غالبًا في حالة راضية من حيث النجاح المادي . ولقد بلغت رؤوس اموال كثيرين من افراد تجارنا في الداخلية ثلاثين الف دولار او ستة الاف ليرة انكليزية . واحقر تاجر في الداخلية لا يقل رأس ماله عن خمسمائة ريال

ولكثيرين من تجار الداخلية مقدرة غريبة على شراء البضائع بارخص من مصادرها الاصلية وقد تحققت ان بضعة تجار سوريين في بلدان متنوعة في الداخلية قد تمكنوا من حصر التجارة فيهم فاضطر تجار الاميركان الى الرحيل عنها

✻ السوري والزراعة في الداخلية ✻ للسوريين في الداخلية مئات مزارعين في ولايات مختلفة . ويوجد عشرات منهم في ولايتي داكوتا الشمالية والجنوبية . وقد استخرج اكثرهم من التراب تبرًا وصاروا على جانب من الثروة . وغنيٌّ عن البيان انه لو وجهت الجالية السورية عنايتها الى الزراعة والفلاحة منذ اول عهد المهاجرة السورية لكانت ثروة السوريين في اميركا اضعاف ما هي الآن (١) وكان اعتبار حكومات الولايات لهم عظيمًا . فحكومة العم سام تعتبر الفلاح كثيرًا وتساعده وتحسبه من اهل البلاد . وحقًا ان حياة فلاحنا النشيط حياة سعادة واستقلال وصحة ونشاط . وحبذا ان يزداد عدد المزارعين بين الجاليات السورية فكلما كثر عددهم تقوَّت منزلتهم لدى القوة الحاكمة وتوفرت ثروتهم

✻ علاقة سوريي الداخلية بسوريي نيويورك ✻ للسوريين في الداخلية علاقة شديدة بسوريي نيويورك من حيث التجارة والصحافة . والهيئة السورية العاملة في العالم الجديد عبارة عن تجارة وصحافة . فنجاح تجارة اخواننا في نيويورك متوقف على تجارنا وباعتنا في الداخلية .

---

(١) ✻ الجامعة ✻ توافق حضرة الكاتب على ما ذكره هنا بشأن الزراعة وفي نية الجامعة ان توجه في فصول تالية انظار المهاجرين الى مسألة الزراعة في الولايات المتحدة خاصة وان كان كثيرون منهم يرون ان ربحها قليل وعرضة لخطر العناصر الجوية خلافًا للتجارة . ونرجو من كل ذي عمل في الزراعة في هذه البلاد ان يتحف الجامعة بما لديه من المعلومات عن زراعة المهاجرين تسهيلاً لنشر ما نريد نشره بهذا الشأن الذي نود توجيه انظار المهاجرين اليه ودفع الافكار نحوه

ولولا هؤلاء لما كانت قامت قائمة لتجارتنا النيويوركيين . وما يقال في التجارة بهذا الشأن يقال بالصحافة . فاذا كفَّ سوريو الداخلية عن امداد صحافيينا وقطعوا اشتراكاتهم بالصحافة العربية ماتت صحافتنا بلا مدافعة . فالفضل في نجاح تجار الجالية واصحاب الجرائد العربية في نيويورك راجع معظمه الى النزالات السورية في الداخلية

❊ مستقبلنا في الداخلية ❊ اما مستقبل تجار الداخلية فربما يكون افضل من مستقبل تجارنا في نيويورك اولاً لان «الكشة» لا بد ان تموت في المستقبل وتجارة سوريي نيويورك متوقفة غالباً على هذه التجارة . وثانياً لان اكثر تجار الداخلية اصبحوا قادرين على استجلاب البضائع من مصادرها الاصلية كما يفعل تجار نيويورك انفسهم . وثالثاً لان اكثر باعة الكشة في الداخلية يتعاملون مع تجار الداخلية . اما باعة الحرير في الداخلية فيتعاطون مع تجارنا النيويوركيين

❊ طلاب العلم في الداخلية ❊ للسوريين في الداخلية بعض الاهتمام لتهذيب الناشئة . فاكثر اولادنا يتعلمون في المدارس العمومية وبعضهم في المدارس العالية . اما عدد طلبة الطب في الداخلية فيقدر بعشرين طالباً . وعندنا في الداخلية لا اقل من ١٠ اطباء سوريين

❊ عادات سوريي الداخلية ❊ السوري في عاداته مع السوري كسوري ومع الاميركي كأميركي . فهو قادر على درس عوائد الاميركان وقادر على البقاء على عوائده . على ان الذين ولدوا وترعرعوا وشبوا في سوريه يفضلون عاداتهم على العادات الاميركية والذين شبوا تحت سماء اميركا هم اشد ميلاً الى العادات الاميركية مما الى العادات السورية . وهذا مما يدل على ان عادات السوريين لا بد ان تزول من اميركا

❊ جمعيات السوريين في الداخلية ❊ للجوالي السورية في الداخلية بضع جمعيات حية مفيدة وهي تمثلهم لدى الاميركان كجوالي عاملة . وكثيراً ما اعتبرت الحكومة بعضها في جانب الاهمية وشاركها في احتفالاتها بعض رجال السياسة والحكام واهل الوجاهة

فلسفة جمال الدين الافغاني

وبعد تفصيله مذاهب الطبيعيين على ما تقدم في الجزء السابق انتقل الى بيان آثار الدين في البشر وآثار الطبيعيين فقال ان الدين أكسب عقول البشر ثلاث عقائد وثلاث خصال . اما العقائد الثلاث فاولاها . التصديق بان الانسان ملك ارضي وهو اشرف المخلوقات . والثانية . يقين كل ذي دين بان امته اشرف الامم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل . والثالثة . جزمه بان الانسان انما ورد في هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع واوسع من هذا العالم الدنيوي والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة بان تسمى بيت الاحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات لا تنقضي سعادتها ولا تنتهي مدتها .

واما الخصال الثلاث . فاحداها خصلة الحياء . والثانية . خصلة الامانة . والثالثة . خصلة الصدق . ثم قال وهؤلاء النيشريون . في اي امة وباي لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع اساس هذا القصر المسدس الشكل قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران : . ثلاث عقائد وثلاث خصال . ثم استطرد الى ذكر الامم التي ظهرت فيها النيشرية فقال ان . الكريك . اي اليونان كانوا اقوياء اعزاء مع قلة عددهم فلما ظهر فيهم ابيقور واتباعه متسمين بسيماء الحكمة دالت دولتهم . وكذلك دولة فارس بعد ان ظهر فيهم مزدك النيشري على عهد قباد وجعل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم . وكذلك الامم الاسلامية لما ظهر بعد القرن الهجرة النيشرية بمصر تحت اسم الباطنيه وخزنة الاسرار الالهية وانبثت دعاتهم في سائر البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران . قال . وقد ذهب المؤرخون الى ان بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كانت من حروب الصليب والاليق ان يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية . قال وكذلك الشعب الفرنسوي فانه كان قوياً عزيز الجانب حتى ظهر فيه فولتير وروسو . يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم . والاضاليل التي بثها هذان الدهريان هي التي اضرمت نار الثورة الفرنسوية المشهورة وفرقت اهواء الامة وافسدت اخلاق الكثير من ابنائها . . وكذلك الامة العثمانية . انما رقت حالتها في الازمنة الاخيرة بما دب في نفوس بعض عظمائها وامرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا اثم الخيانة في الحرب الاخيرة بينها وبين الروسية كانوا

يذهبون مذهب النيشريين

ثم استطرد الى الامور التي يمكن بها الزام النفس حدود العدل فقال انها اربعة . اما ان يحمل كل ذي حق آلة حربه فتصبح الارض قتالاً وجلاداً بين الناس . واما شرف النفس « ولا يليق بذي عقل ان يجعل شرف النفس ميزاناً للعدل ولا مكان للنظر بان هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف النفوس عن غصب الحقوق » واما الحكومة «فليس يخاف ان قوة الحكومة انما تأتي على كف العدوان الظاهر ورفع الظلم المبين . اما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه ارباب الشهوات فمن اين للحكومة ان تستطيع رفعه . على ان الحاكم واعوانه قد يكونون بل كثيراً ما كانوا ممن تملكهم الشهوات فاي وازع يأخذ على ايدي اصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم واي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المكنة منهم من شره اولئك المتسلطين وحرصهم . لا جرم قد يكون الحاكم في خفي امره رئيس السارقين وفي جلي امره قائد الناهبين » « فاذن لم يبق للشهوة قامع ولا للاهواء رادع الا الامر الرابع اعني الايمان بان للعالم صانعاً عالماً بمضمرات القلوب ومطويات الانفس » ثم استطرد الى تفصيل في محامد الاسلام وفضله

تلك خلاصة فلسفة الاستاذ جمال الدين . هذا هو الاساس (المدرسي) الذي يريد الاستاذ بناء نهضة الشرق عليه : الصدق . الحياء . الامانة . الايمان بالله وبالآخرة . اعتقاد كل انسان ان دينه افضل الاديان وان جرّ ذلك الى الحروب بين جميع الاديان . وقد سميناه « مدرسياً » لان جميع الطلبة في جميع الملل يتلقون هذه المبادىء في المدارس منذ نعومة اظفارهم

اجاب الافغاني هذا الجواب للسائل من مسلمي الهند وقد انقضى اليوم على جوابه ٣٦ سنة . وكان يومئذٍ المسلمون في الهند والهندوس الغير المسلمين متساوين في الحالة الاجتماعية والادبية تقريباً . اما اليوم فالهندوس تقدموا المسلمين بمراحل وارتقوا عن اخوانهم ومواطنيهم ارتقاءً عظيماً شهد لهم به اخوانهم المسلمون انفسهم . ولا شك في انه لا نسبة ولا مشابهة بين دين الاسلام الراقي ودين الهندوس الذي يسمونه وثنياً . اذاً ما سبب هذا الارتقاء عند قوم دينهم اضعف من دين الاسلام والضعف والبقاء على حالة واحدة عند اهل الاسلام الراقي . هل يحمّل التاريخ السيد جمال الدين وكل من حذا حذوه وتلا تلوه من ائمة المشرق هذه التبعة الكبرى . سنذكر في جزء تالٍ جوابنا على ذلك ورأينا في ما يعترض

به على فلسفة جمال الدين التي تقدم تلخيصها وربما استطردنا منها الى آراء وافكار يصعب على الجامعة نشرها اذا لم يقابلها قراؤها في مصر والهند وغيرها من الاقطار الاسلامية بسلامة نية كما تكتبها بسلامة نية

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

اشهر الرسوم واعظم الرسامين وتاريخ مرسوميهم

هذا باب جديد نفتحه في الجامعة وننشر فيه اشهر الصور واعظم الرسوم الموجودة في متاحف اوروبا واميركا والقصور الكبرى . والنسخة الاصلية لكل واحدة من هذه الصور المنشورة في هذا الباب قد يبلغ ثمنها مئات الوف فرنكات . ورب صورة بلغ ثمنها مليون فرنك او اكثر . وفي اثنائها ننشر تاريخ الرجال الذين يرد الكلام عليهم وشيئاً من ترجمتهم . المصوَّرين والمصوِّرين

✵ عاطفة الجمال ✵ قال ايمه مارتين في كتابه « تربية امهات العائلة » : متى رأيت الفلاح يعتني بالزهرة ويضعها في شباك كوخه فاعلم ان نفسه اخذت في الارتقاء لاتجاهها نحو الجمال » . وقد عدَّ فلاسفة العمران « عاطفة الجمال » في مقدمة البواعث على ترقية النفوس وتنقية الاذواق وتهذيب العواطف . ولذلك يضعون الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى والشعر والادب والحب والنقش في مقدمة وسائل تهذيب النفس . وقال الفيلسوف نيتش في كتابه « ما وراء الخير والشر » مع كونه فيلسوفاً رياليستياً محضاً انها خير ما في الدنيا مما يستحق ان يحيى الانسان من اجله . وبدونها لا قدر ولا طعم للحياة

والرسوم التي سننشرها في هذا الباب حيناً بعد حين من اشهر الرسوم التي اجتمعت فيها عاطفة الجمال في اشد مظاهرها واسمى معانيها . نعم ان جمالها السامي لا يظهر الا في حالتها

والوانها الاصلية ولكن ملامحها ولوائحها تبقى مصونة مع ما طرأ عليها من التصغير والنقل والطبع بمطابع هائلة خشنة بدل قلم راسمها اللطيف النحيف المصوغ من جمال الحي كأنه شق من قوس قزح وغط في نور الجنان

﴿ ملاحظة مضحكة ﴾ وعلى ذكر هذه الرسوم المشهورة في جميع العالم المتمدن لا نتمالك ان نذكر فكاهة لبعضهم . فقد كان بعضهم ينزل نفسه منزلة الناقد البصير في كل شيء . فبينما كان يوماً ينتقد كتاباً من ارق واسمى ما كتب ويقول انه كتاب اعتيادي كباقي الكتب ابرز له احد السامعين صورتين وقال له اذا كانت عاطفة الجمال قد بلغت عندك مبلغاً يجيز لك ان تضع نفسك موضع الناقد لمحاسن الادب الكتابي اي انك اصبحت قادراً على التمييز بين الجميل والغير الجميل فاحكم لنا اي الصورتين اجمل . فتأمل صاحبنا في الصورتين تأمل رجل واثق بعلمه وصدق نظره ثم قال . لا شك ان هذه اجمل ثم اشار الى احدى الصورتين وكانت تمثل جبال الالب وثلوجه . فضحك سائله وقال هذه صورة لمصور عصري من اصغر المصورين . والصورة الثانية التي لم تر فيها شيئاً من الجمال هي صورة « النهار والليل » لميشل آنج اشهر المصورين بعد رفائيل وهي من اشهر الصور . ولم يكن ينقص صاحبنا الا ان يثبت ان مصوّره الصغير ابرع في التصوير من ميشل آنج — هذا درس للذين يحكمون في اشياء لا يفهمونها وهم يدعون انهم يفهمونها ويقدرون على التمييز بينها

﴿ ينبوع جوفانس ﴾ قال بوزانياس (١) ان في (الموره) في بلاد اليونان ينبوعاً يرد الشباب والجمال الى من فقد شبابه وجماله . وقد وضع هذا الينبوع في (نوبلي) « اركوليده اليوم » وهي بلدة في الموره في خليج نوبلي عدد سكانها نحو عشرة آلاف نفس . والسبب في ان هذا الينبوع يعطي الشباب والجمال للمستحم فيه ان الالاهة جونون زوجة جوبيتر كبير الآلهة كانت تستحم فيه ليبقى لها جمالها فتنة لزوجها جوبيتر . وغيره من المؤلفين القدماء يقولون ان جوبيتر حوّل احدى العذارى نبعاً وخص هذا النبع بمزية رد الجمال والشباب . وكانت هذه العذراء تدعى « جوفانس » فسمي النبع باسمها . وكلمة « جوفانس » في اللغة الفرنسوية Jouvence معناها (الشباب)

ومن الغريب انه انتشر خبر هذا الينبوع بين الناس في العصور الوسطى وصدّقوه واخذوا يبحثون عنه . ولما اكتشفت اميركا قالوا ان الينبوع المذكور موجود فيها . والاغرب ان

---

(١) مؤرخ وجوغرافي يوناني عاش في القرن الثاني للميلاد المسيحي

ولاية فلوريده في الولايات المتحدة قد اكتُشف في اثناء البحث عن هذا النبع . فكان سبباً في الوصول اليها . ولذلك كان يجب ان تدعى (ولاية جوفانس)

والرسم الذي ننشره هنا هو رسم هذا النبع كما تصوّره الرسام Ehrmann . وهو يمثل نبعاً في اكمة تحيط بها الاشجار والنساء مقبلات عليه يشربن من مائه ويستحممن فيه استرداداً لشباب زائل وجمال ذابل . هذا في الخيال ولكن الحقيقة تقول لمن

يامن يردّ عليَّ ما فقدت يدي
هيهات ليس يُردّ امس الى غد

ولسنا نجد موضوعاً شعرياً يسبح فيه خيال الشاعر افضل من هذا الموضوع . فاذا كان احد من الشعراء يطلق خياله فيه . جاءت مصبوغة بماء حسنه قوافيه . وراسم هذا الرسم هو فرنسوي اميل ارمان Ehrmann ولد في سنة ١٨٣٣ واشتهر بكثرة رسومه واتقانهــا معاً . وتاريخ رسمه هذا سنة ١٨٧٣

نبع جوفانس
حيث يستحم النساء فيعود اليهن
شبابهن وجمالهن المفقود
La Fontaine de Jouvence

❋ ايوب ❋ بلايا ايوب مشهورة في التوراة في سفر ايوب . ويقول بعضهم ان هذا السفر رواية فلسفية وضعية ويقول غيرهم ان ايوب رجل عاش في ارض حوران في الشام بعد ابرهيم الخليل وقبل موسى . وكان غنياً ففقد امواله واملاكه ومات اولاده فجلس على مزبلة ضعيفاً قريحاً وهو يردد قوله المشهور : الله اعطى والله اخذ . فلما راى الله منه هذا الصبر على بلاياه عوَّضه خيراً مما كان فيه فعاد الى سابق عزه وثروته ورزق عدة اولاد

وسفر ايوب يمكن قسمته الى ثلاثة اقسام . القسم الاول ايوب قبل محنته والقسم الثاني بعد محنته . والاهمية في هذا القسم انما هي في الجدال بين ايوب واصدقائه . فان اصدقاءه كانوا يثبتون له ان ما وقع له انما وقع بسوء تدبيره وفساد عمله . اما هو فكان

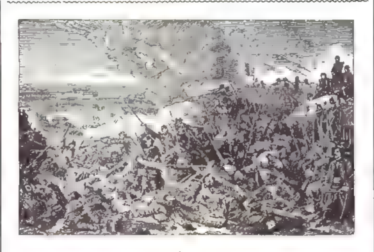
ينكر ذلك بحجة ان تلك ارادة الله . وفي القسم الثالث يفصل الله بين الفريقين بقوله انه اذا كان اصدقاء ايوب مصيبين على وجه الاجمال فقد اخطأوا بقسوتهم على ايوب واضطهاده . ومن ذلك يظهر ان مدار هذه القصة على (اختبار الانسان وعدم اختياره) ولعلها اول قصة في هذا الموضوع الفلسفي

والرسم الذي نشرناه هنا هو للرسام بونا Bounat وقد عُرض في معرض باريز سنة ١٨٨٩

ايوب في محنته

وقد ذهب ايوب مثلاً في اللغات الحية فصاروا يقولون . صبر ايوب . اصدقاء ايوب . امرأة ايوب . يريدون بها امرأة تحب الخصام والنزاع لان زوجة ايوب كانت شديدة الخصام له بعد محنته

☙ مضيق ملاكوف ❧ كان الاستيلاء على سباستوبول اصعب الامور على جيش اوروبا المتحدة على روسيا في سنة ١٨٥٤ لمساعدة تركيا عليها ورد الجيوش الروسية عن الاستانة . وهو يشبه من هذا القبيل الاستيلاء على بور ارثر . لان المهندس الروسي تودلبين الذي تولى تحصين حصن ملاكوف الحامي سباستوبول جعله امنع من عقاب الجو بانشائه امامه خطي دفاع منيعين . فهجم الفرنسويون في ٧ يونيو «حزيران» بقيادة الجنرال بوسكه تحت امرة الجنرال بليسيه فاستولوا على موقعين . وفي ١٨ منه شرعت الجيوش المتحدة في الهجوم على حصن ملاكوف نفسه فدحرها الروس وقتلوا منها ثلاثة آلاف نفس في جملتهم الجنرال ميران والجنرال برونه . فاقتصروا بعد ذلك على الهجوم تدريجاً حتى كان يوم ٨ سبتمبر فعاودوا الكرة على الحصن فلم يدخل الظهر حتى ظهرت جنود الزواف وراء الاستحكامات وتسلقوا الجدران حيث نصبوا العلم الفرنسوي . فاصبحت الحرب التحاماً بين الفريقين اسيد ضرباً بالمعاول وخشب البنادق والفؤوس . ولما قيل لمكماهون القائد العام ان يرتد لان الروس قد جاءهم المدد والحصن ممتلئ بالالغام اجاب بكلمته المشهورة : مهما يكن . هنا وصلت وهنا اقيم . وفي الساعة الرابعة تم استيلاء الفرنسويين على الحصن



مضيق ملاكوف

هجوم الجيش الفرنسوي على الحصن
الفرقة الجزائرية الى اليمين وفي مقدمتها
صف ضابط وطني يلبس طربوشاً يُنفخ لها بالمزمار الحاناً محمسة

والرسم الموجود هنا يمثل هجوم الجيش الفرنسوي على الحصن حين مروره في «مضيق ملاكوف» اي المضيق الموصل الى الحصن . ففي اعلى الرسم الى اليمين الجنرال فتوى واقف يدير حركة الهجوم والراية الفرنسوية امامه تعبث بها الريح بين الدخان المنتشر . وتحت الراية فرقة الرماة الجزائريين الوطنيين يهجمون بحماسة الشرق وفي مقدمتهم «الصف ضابط» مصطفى ينفخ في المزمار الجزائري لحناً جزائرياً حماسياً لتحميسهم . وهذه الصورة موجودة اليوم في متحف فرساليا ومصورها ادولف ايفون

﴿ راسمها ﴾ هو ادولف ايفون المصور الفرنسوي ولد في سنة ١٨١٧ وتوفي في باريز سنة ١٨٩٣ . وكان في بدء حياته فارساً يحرس الاحراش ثم كره حرفته ودخل في معمل المصور ديلاروش . ولما بدأ في التصوير طارت شهرته فساح في روسيا ورسم «معركة كوليكوف» فابتاعها منه امبراطور روسيا ولا تزال في قصر كريملين حتى اليوم . وقد ظهرت براعته بالاكثر في تصوير وقائع القتال . فلما نشبت الحرب بين روسيا من جهة والدولة العثمانية

واوروبا من جهة اخرى عهد اليه الامبراطور نابوليون الثالث ان يرافق الجيش الفرنسوي ويصوّر وقائعه . فصوّر في هذه الحرب ثلاث صور الاولى استحكامات ملاكوف . الثانية مضيق ملاكوف . الثالثة سقوط ملاكوف . وافضلها الصورة الثانية التي نشرناها لانها ترسم الواقعة كما كانت تماماً بلا زيادة ولا نقصان خصوصاً حالة المكان والجو ساعتئذٍ . اما الصورة الثالثة فقد غالى فيها اظهاراً لعظمة قومه الذين فتحوا الحصن

﴿ يونان ﴾ قصته مشهورة في التوراة لانه من انبياء اسرائيل وهو من قبيلة زبولون . اوحي اليه الله على ما جاء في التوراة ان يذهب الى اهل نينوى الذين تمادوا في الشر ليدعوهم الى التوبة فتردّد يونان وركب البحر من يافا قاصداً الفرار في مركب فينيقي . فطرحه البحارة في البحر لانهم وجدوا انه علة الزوبعة التي كادت تودي بسفينتهم . فابتلعه حوت وقذفه على شاطىء جبه بعد ان اقام يونان في جوفه ثلاثة ايام . فبعد نجاته من الحوت ندم يونان على تمرده فذهب الى نينوى ووعظ اهلها فتابوا الى التوبة . وهذا الرسم يمثل الحوت حين لفظ يونان من فيه . وهو رسم ابوليت فلاندرين رسمه على جدار كنيسة سان جرمين دي بره في باريز . ولرفائيل تمثال بديع يمثل يونان وهو قائم اليوم في كنيسة سانتا ماريا في رومه . وكذلك ميشل آنج رسمه على جدار كنيسة سيكستين في الفاتيكان

يونان

حين لفظه الحوت من جوفه

﴿ ارميا الحزين ﴾ هكذا صوّره ميشل انج المصور المشهور . وهذه الصورة موجودة على جدار كنيسة سيكستين في الفاتيكان

يقول كثيرون ان ارميا لم يوجد في التاريخ وانه شخص خيالي ولكن سفر ارميا يدل على انه تاليف ارميا نفسه الا بضع فقرات فيه . وكان ارميا بحسب التقاليد من اكابر

انبياء بني اسرائيل وهو من قبيلة بنيامين ولد حوالى سنة ٦٥٠ قبل الميلاد وتوفي في مصر على الارجح سنة ٥٩٠ وكان ابوه من الكهنة . وكانت مملكة اليهود في فلسطين واقعة بين عدوين مصر وبابل . فكان ارميا يعارض في الاتفاق مع مصر ويدعو الى الاتفاق مع ملوك بابل . وقد اشتدّ يوماً في المعارضة فالقي عليه القبض في حكم الملك سيديسياس وطرح في بئر ولولا مداخلة احد ضباط الملك لقضى نحبه فيها . ثم حمل البابليون على اورشليم واخربوها واسروا شعبها فجاء ذلك محققاً ظن ارميا . ولما خربت اورشليم بقي ارميا بين اخربتها يندب عز اسرائيل ولكن بعض الاسرائيليين حملوه بالرغم منه على السفر الى مصر فجاءوا به الى مقربة من بلدة بلوزه (بور سعيد اليوم) ويقال ان اليهود قتلوه هناك لضجرهم من شدة ملامته لهم وحملته عليهم

ارميا الحزين
احدى صور ميشل انج في الفاتيكان

رسائل ومسائل

هل يزول اختلاف العلماء والفلاسفة

اشابيولا « اوهايو » حنا افندي بولس الدبس

هل من يوم تجتمع فيه آراء العلماء والفلاسفة ويبطل الخلاف في مذاهبهم . وهل هذا الاختلاف ناجم عن تفاوت العقول او ماذا

※ الجامعة ※ الخلاف في مذاهب العلماء والفلاسفة اما خلاف علمي او خلاف فلسفي . فالخلاف العلمي يمكن زواله في المستقبل لان العلم الطبيعي مبني على الامتحان والتجربة والمشاهدة . والعلماء انفسهم يقولون اليوم انهم اطفال على شاطىء بحر العلم العظيم . وقد قال تولستوي انه لا يجوز ان نسمي « العلم الحاضر » علماً حقيقياً لان « العلم » المطلق يقتضي

ان يكون صاحبه قد ادرك كنه كل شيء . فمتى « كل العلم » اي متى تمكن الانسان من جميع اسرار الطبيعة فالخلاف في المسائل العلمية الاصلية يبطل بين العلماء دون شك لثبوتها او نفيها بالتجربة او المشاهدة

اما الخلاف الفلسفي فاعظم خطراً من الخلاف العلمي واشد صعوبة. فان كان الغرض من الفلسفة معرفة الانسان « في اين والى اين ومن اين » فهذا امرٌ سيبقى على ما نظن مثار الخلاف بين الناس الى الابد. لان موضوعه ما وراء الطبيعة فهو لا يستغني عن الافتراض والتخمين . وكل المذاهب التي تقوم بشأنه ينقض بعضها بعضاً . واما اذا كان الغرض من الفلسفة معرفة الانسان « افضل المبادىء الفلسفية الاجتماعية لسياسة الافراد والشعوب والعمل بها » فهذا امرٌ يمكن ان يزول الخلاف بشأنه بالتجربة والاختبار مع مرور الزمان. فان المبادىء شديدة الاحتكاك اليوم في الكرة الارضية بعضها ببعض فبعد الف سنة مثلاً او الفين سيظهر ولا شك ايها الافضل لسياسة الافراد والشعوب. وبالاختصار ان الفلسفة الاجتماعية سيظهر افضلها بالتجربة في الناس . والفلسفة الغير الاجتماعية كالدينية مثلاً لا ينسخ افضلها مفضولها الا باحد امرين اما وحي جديد يُسكت المعارضين واما اكتشاف علمي جديد هائل يثبت عكسه

اما سبب الاختلاف فقد ظهر مما تقدم. فانه ناشئ اولاً عن « ان الانسان لا يزال جاهلاً » وثانياً « ان الامور التي لا تقع تحت حواسه لا يمكنه ان يحكم فيها حكماً واحداً لتشعبها وتناقضها واختلاف تربيته ومصالحه واحواله الوراثية والاجتماعية

عذاب الشبيبة الشرقية

التي لم تجنح بعد الى المبادىء المادية

(الاسكندرية) . . . . . .

لا يخفى على فطنتكم ان الانسان مفطور على حب معرفة الحقيقة . ولذا كان الناس لا يستريح لهم فكر ولا يستقر لهم قرار الا اذا بحثوا وتقبوا توصلاً اليها. ولكن الناس ينقسمون الى قسمين . الاول وهم الذين لا غرض لهم سوى البحث عن الحقيقة . والثاني وهم الذين لا غرض لهم سوى تأييد آرائهم سواء كانت مبنية على حقيقة او على غير حقيقة للحصول على اغراضهم وآمالهم . وبما ان الخبرة دلتني على ان الجامعة من رجال القسم الاول فاحب ان اقف على حقيقة امرٍ دينيٍ على يدكم لتكشفوا لي الستار عن الحقيقة وتوضحوا لي الامر

اتم وضوح . ولما كانت مجلتكم تتحاشى الخوض في الامور الدينية فقد جئتكم مستفهماً عما اذا كان يمكنكم افادتي بخطابات بيني وبينكم (الامضاء)

❋ الجامعة ❋ تألمنا جداً حين وردنا هذا الكتاب وهو من مصري اديب لا نسميه لخطارة الموضوع فضلاً عن انه لم يكتب للجامعة هذه الفقرة لتنشر فيها كما يظهر في السطر الاخير منها . وانما نشرناها للدلالة على عذاب نفوس الشبيبة الشرقية في هذا العصر من الوجه الديني . وقد رأينا اثر هذا العذاب في رسائل عديدة وردتنا في السنوات الثلاث الماضية من عدة جهات منها رسائل شاب هو اليوم صديق حميم للجامعة أثارت فينا شجناً شديداً فرأينا من واجباتنا ان نكتب اليه عدة رسائل تلطيفاً لتلك الحدة والعذاب النفسي . وقد قال ان تلك الرسائل نفعته وسكنت ثائرته بعد ذلك . ولذلك ستنشر في اول فرصة مقالة خصوصية للشبيبة على ذلك المثال . شبيبة . شبيبة . انك لم تخلقي في الشرق لتفني قواك وعزائمك في امور وشؤون لا طائل تحتها . ان لديك وظيفة سامية وعليك تبعة كبرى . انظري الى امام لا الى وراء

❋ الاستاذ جبر دومط والجامعة ❋ الاستاذ جبر دومط مدرس البيان في الكلية الاميركية في بيروت من اساتذة صاحب الجامعة . وقد سألت الجامعة حضرته شيئاً من قلمه لسنتها الخامسة في جملة الافاضل الذين سألتهم مثل ذلك فوردها منه ما يلي ضمن كتاب خصوصي

« انا الآن مشتغل بتاريخ بلاد العرب ودولها قديماً واصل قريش خصوصاً وسبب قيام هذه الدولة . والبحث يقتضي وقتاً و يستغرق كراريس ولا ازال اهيئ له بالمطالعة والتحقيق . فان صبرت عليَّ خصصت الجامعة به ونشرته فيها . ولربما ترجمت كل ذلك الى الانكليزية وقدمته لاحد مجامع العلم في انكلترا او اميركا

« كنت اظن اني استطيع شيئاً في اثناء الصيف فاذا بي قد اكتهلت او بلغت آخر هذا الطور . وليس لاهل هذا السن ما للشبان من الهمة والنشاط »

فالجامعة تبشر قراءها بهذا الكتاب الجديد الذي تنتظر الملزمة الاولى منه في وقت قريب

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

ولما عاد ريشار الى منزله سأل الخادم اهنا سيدة تنتظرني فاجابه انها في القاعة فدخل ريشار بغضب الى القاعة فوجد فيها لادي ويلور ام المس ويلور التي عزم على الاقتران بها. وكانت جاني وميراي في المنزل فلما رأى ميراي المس ويلور صاح بنفسه مدهوشاً: كارولين. الهي ما جاء بها الى هنا . ثم اسرع واختبأ منها في غرفة مجاورة . ولما دخل ريشار على لادي ويلور قالت له بعد التعارف جئتك يا سر ريشار لاطلعك على امر قبل عقد الزواج بينك وبين ابنتي . ان ثروتي الخصوصية ليس في وسعي ان اهبها اليها . وذلك .. وذلك .. آه اني اخجل من نفسي اذا ذكرت ذلك . ولكن لا بد منه . ذلك لان لي ولداً غيرها يا سر ريشار

فقال ريشار مدهوشاً انتِ ؟

فقالت

نعم لي غيرها ولدُ　　ولكن ما دري احدُ
نتيجة ذلة فرطت　　عداني عندها الرشدُ
اذا ما رحت اذكرها　　عناني الهم والكمدُ
واستر عندها وجهي　　وذاك لهول ما اجد

ريشار -- ولكن الم يدرِ به زوجك

لادي ويلور -- نعم لم يدرِ زوجيّ ما　　قضاه الواحد الصمدُ
قضى بالهند وهو اذاً　　لأهل الهند معتمد
فمذ اصبحت ارملة　　فلا عضدٌ ولا سند
حننت اذاً الى ولدي　　ورقت مني الكبد
اردد ذكره وجوا -- نحي بالهمّ تتقد
اردد ذكره اذ عاش　　دوني وهو منفرد

فـلا امٌّ ترقّ له فينعم ذلك الخلد
ولا يحنو عليه ابٌ فيقوى ذلك العضد
اري حقـاً عليَّ له (وهذا عيشه النكد)
يملك كل مـا تحوي يدي وجميع مـا اجد
اجود به فـلا سبدٌ اؤخره ولا لبـدٌ
عسى ان كان يلعنني لاني عنـه ابتعدُ
سيجمل في ترحمه عليَّ اذا انقضى الامد
الستَ تظنُّ يا مولا — ي ذا حسناً وتفتقدُ

ولا شك ان القارىء قد علم من صراخ مبراي : (كارولين) ان لادي ويلور ابنـة المركيز سيلفا هذه انما هي السيدة التي خطفها الجلاّد (مبراي) في بدء القصة ووضعت في قرية درلنتن الطفل ريشار . فهي اذاً ام ريشار وهو الولد الذي كانت تتكلم عنه

فاجابها ريشار لا شك في ان رأيك حسن يا سيدتي فهبيه كل ثروتك وخذيه الى قصرك ليعيش معك . فقالت ولكن هذا محال يا سيدي . فقال لماذا قالت لان ذلك يقتضي ان اعرفه بنفسي وهذا امرٌ مستحيل . فقال لماذا . فقالت آه هذا سرٌّ آخر . ذلك انه متى عرفني فانه يطلب مني معرفة ابيه وانا لا استطيع ذكر ابيه

فقال ريشار فالافضل اذاً ان لا يعرفك الولد . فقالت نعم وهذا ما رأيته ولذلك جئت اتخذك وسيطاً بيني وبينه . فاني اطلب منك ان تذهب اليه وتقول له ان امك التي تحبك ولا تنساك قد بعثت اليك بجميع ثروتها فعش سعيداً بها . فقال ريشار سأقوم بهذا الواجب بكل رضىً يا سيدتي . وثقي ان ولدك اذا كان اصغر سناً مني اعتبرته ابناً لي واذا كان يسني اتخذته اخاً لي

فصاحت آه شكراً لك ودعني اقبل قدميك

فصاح ريشار عفواً عفواً يا سيدتي . (ثم انهضها) ولكن في اي مكان يقيم ابنك لاذهب اليه في هذا الاسبوع

فاجابت هو مقيم في قرية .. .. وهمت بذكر الاسم

واذا بصوت من الباب يصيح بها : ميلادي ويلور هذا سرٌّ لا يجوز لك ان تبوحي به لانه لغيرك

فالتفتت لادي ويلور نحو الصوت وصاحت (الهي هذا روبرصن) وكان المتكلم هو

مبراي نفسه

فقال لها مبراي : الزمي الصمت واتبعيني

فتبعته لادي وبلور مضطربة مرتجفة . وكان ريشار حينئذٍ في اشد حالات الدهشة . فسألها وهي خارجة : والحديث الذي دار بيننا ايتها السيدة ؟ فاجابت : لا تذكره بل انسه انسه يا مسر ريشار

وبعد دقيقتين عاد مبراي فوجد ريشار يرغي ويزبد فطرده ريشار من بيته بغضب شديد فخرج مبراي وهو يقول : يا لك من تعيس فاستعدّ الانتقام

ولما فرغ ريشار من مبراي صاح ابن جاني وكانت جاني تنتظره في احدى الغرف فقال لها تعالي ايتها السيدة . فمشت جاني نحوه خائفة مضطربة وسألت اين مبراي

ريشار . واي دخل لمبراي بيننا فقد طردته كما تطرد الجواسيس لانه يتداخل في ما لا يعنيه ويكدر صفو عيشك بما يقوله لكِ عني

جاني : كلا يا ريشار فانه لا يقول عنك الا كل خير

ريشار : اف . قلت لكِ انني سئمت منه ومن مراقبته فابعدته عني اولاً

جاني : ثم تبعدني انا ثانياً أليس كذلك ؟

ريشار : وهل تحسبين انني لم اضجر بعد من مطاردتك لي

جاني : اذاً انت تطردني من بيتك . . من يقي . . آه ما اقساك

ريشار : انكِ تبكين ولكن اذا بدأتِ بالبكاء فبماذا تنتهين

جاني : انطردني ايا ريشارُ طرداً كأني في عداد الخادماتِ
وانت طلبتني واخذت قلبي فهل تنسى العهود الماضيات
وللزوجات بين الناس حقٌ يعدُّ من الحقوق الواجبات
تكاشفني الهوى حتى اذا ما هويت طرحتني في الماويات
وقد فاتحتني بالحب قبلاً فمالك سؤتني في الخاتقاتِ

ريشار : ولكن ماذا تطلبين . ماذا تريدين

جاني : ريشار جئت اسألك جزءا من حبك القديم

ريشار : حبي القديم انك مجنونة ايتها المرأة

جاني : ولكن اذكر الماضي يا ريشار

ريشار : الماضي هو العدم

جاني : اذاً لم تحبني قط في حياتك ؟

ريشار : اما وقد وصلتِ الى هنا يا جاني ، فاسمعي ، نعم لم احبك قط في حياتي ، وانما كنت محتاجاً الى زوجة والى مركز فوجدتك امامي

جاني — يا للدناءة

ريشار — ولو وجدت يومئذٍ امامي امرأة غيرك بمركز كمركزك لاقترنت بها كما اقترنت بكِ ، لان الهيئة الاجتماعية تضع حول نوابغ الرجال آلات ليستعينوا بها على الوصول الى اغراضهم

جاني — آه ، ما افظع هذا القول

ريشار — فاعلمي اذاً الآن اني ما احببتك ولا احبك

جاني — اسكت اسكت فقد قتلتني

ريشار — واحكمي بعد ذلك في سفرك او اقامتك

جاني — بل اسافر اسافر يا سيدي

ريشار — (صائحاً بالخدم) اعدوا خيلاً للسفر

جاني — نعم اسافر لاذهب وابكي مصائبي

اسافر يا ظلوم وما ابالي	فمن شقيت بمثلك لا تقيم
لاندب سوء حظي في خلاءٍ	يساعدني به المولى الرحيم
وما طب الهموم سوى انفرادٍ	تخف به عن القلب الهمومُ
لعلك ان تعود الى صوابٍ	فقد يأسى على الظلم الظلومُ

ريشار — اعدوا خيلاً للسفر ..

جاني — ولكن ان ندمتَ عليَّ يوماً	وعادك طبعك الماضي الحليم
وعدت تريدني من بعد هجر	وهاج بقلبك الودُّ القديمُ
فسل عني الحوادث والليالي	هناك يجيبك العظم الرميم

ثم سألته مع من تريد ان اسافر فقال مع سكرتيري طمسن ، قالت ولماذا لا اسافر مع مبراي ، قال لا احب ان اسمع اسم هذا الرجل ولا اعلم اين هو . فقالت جاني بنفسها حزينة وهل اسافر هكذا يا رباه بلا كلمة تخفف يأسي وعذابي

اني اطيعك ما امرتَ فقد غدا	قلبي كمثل الثوب في اخلاقه
اماه قد صح الذي نبأتني	عما اراك الغيب من اخلاقه

ثم دخلت لتستعد للسفر ولما عادت لم تجد ريشار بل وجدت طمسن ينتظرها ليذهب بها فقالت بانكسار : ذهب دون ان يودعني . ما كان ينقصني غير هذه

تولى لا يودعني ولا يلوي على احد
فلم امتع به نظري ولم امدد اليه يدي
وابقى خلفه كمدًا تذوب لحره كبدي

ثم التفتت الى طمسن

هلمَّ بنا فان الوجـ ـد لم ينقص ولم يزد
وخير من حمى الانـ ـسان عندي ملجأ الاسد

(ستأتي البقية)

باب التقريظ والانتقاد

﴿ المنبر ﴾ هي جريدة يومية جديدة صدرت في مصر القاهرة لصاحبيها حضرات محمد افندي مسعود واحمد افندي حافظ عوض اللذين زاولا صناعة القلم في جريدة المؤيد الغراء دهرًا طويلاً وكانا القوة العاملة فيها . والمنبر جدير بالنجاح اذا كان نجاح الصحافة اليومية يتوقف على مادتها الادبية والسياسية لان صاحبيه الفاضلين من ابرع كتاب مصر ومقالاتهما في جريدة المؤيد مشهورة بين قراء اللغة العربية . فالجامعة كمجلة تقدمت المنبر في تاريخ الصحافة ترحب به وترجو له كل نجاح

﴿ الاقلام ﴾ هي مجلة « عمومية تبحث في كل فن ومطلب » لمنشئيها حضرات جورج افندي طنوس ومحمد افنـدي ابو حسين وهي تصدر في القاهرة مرة في الشهر وسميت « الاقلام » لان كثيرين من ابرع الكتاب والشعراء يكتبون فيها . والاقلام طافحة بالفوائد الادبية والاجتماعية ومنظومات الشعراء المجيدين . منها قصيدة للشاعر البليغ مصطفى افندي المنفلوطي الذي يُعدُّ في الطبقة الاولى بين شعراء مصر موضوعها « الاقلام » واليك

منها هذه الابيات الجميلة في القلم

كان غصناً فصار عوداً ولكن	لم يزل بعد يحمل الأثمارا
كان يستمطر السماء لخال الأ —	ـمر فاستمطر العقول الغزارا
ارفيق المحراث يحيي سعيداً	ورفيق البراع يقضي افتقارا
حاسبوه على الذكاء وقالوا	حسبه صيته البعيد فخارا
اوهموه ان الكلام ثراء	فغدا يسحب الذيول اغترارا
يحسب الند للقصيدة نقداً	ويرى البيت في القصيدة دارا
فاللبيب اللبيب من ودّع الطر —	ـس وولى من البراع فرارا

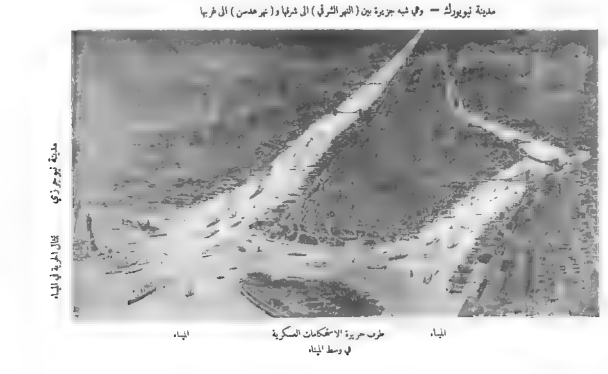
﴿ آفات المدنية الحاضرة ﴾ هو كتاب ادبي اجتماعي نال جائزة جمعية شمس البر في بيروت بقلم جناب جرجي افندي نقولا باز وقد طبع بنفقة جمعية شمس البر وخصص ريعه لاعمالها الادبية . وموضوع الكتاب تعداد آفات المدنية الحاضرة كالقمار والسكر والبراز والانتحار والبورصه والاحتكار والافلاس والزي « الموضة » والمشد والسل والداء الزهري وغيرها والكتاب مفيد للشبيبة فنثني على حضرة مؤلفه

﴿ الدليل الى البرازيل ﴾ هو عبارة عن سياحة الى البرازيل تأليف حضرة الخوري جرجس توما في الحدث وكان حضرته قد سافر اليها قبل دخوله في السلك الاكليريكي . وفي الكتاب كثير من الفوائد للمسافر الى البرازيل والمقيم فيها

﴿ دليل الفردوس ﴾ هو كتاب خطب ومواعظ انشأها وجمعها حضرة الخوري افرام ايض وكيل غبطة بطريرك السريان في مصر واهدانا نسخة منها فلحضرته الشكر . والكتاب مطبوع في ٤١٤ صفحة بحرف صغير

﴿ ابو الهول ﴾ هو جريدة جديدة صدرت في البرازيل لصاحبها جناب شكري افندي خوري وموضوعها فكاهة وادب وانتقاد وقد حذا فيها حذو الجرائد الغربية الهزلية التي لا تدع موضوعاً محلياً وغير محلي الا وتبحث فيه . لكننا نرجو من الرصيفة ان تقلل من الكلام العامي والشعر العامي في صفحاتها وان كان ذلك يلذ بعض القراء . فاننا نحن هنا في اميركا « ونريد اصحاب الصحف » وظيفتنا ان نرفع القراء الينا لا ان ننزل اليهم

مدينة نيويورك — وهي شبه جزيرة بين (النهر الشرقي) الى شرقها و (نهر هدسن) الى غربها



العالم الجديد

رواية اجتماعية غرامية فلسفية تاريخية

القسم الاول

مريم قبل التوبة

تأليف

فرح انطون

صاحب الجامعة

نيويورك — اول اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠٦

موضوع الرواية

وقعت حوادث هذه الرواية في مجدل وطبريا والناصرة وجنيساره واورشليم وغيرها قبل ظهور المسيح بعشر سنوات وتمتد حوادثها الى ما بعد ظهوره وصلبه . واهم اشخاصها (مريم المجدلية) المعروفة في الانجيل بمريم الخاطئة . وهي قسمان القسم الاول (مريم قبل التوبة) والقسم الثاني (مريم بعد التوبة) . وموضوع الرواية ذكر الاحتكاك الذي حدث بين مدنية الرومان واليونان في ذاك العهد بالمدنية اليهودية من جهة وبالمدنية المسيحية التي كانت آخذة في الظهور من جهة اخرى . وتصوير (العالم الجديد) الذي كان يطلبه كل منها وماذا بقي منه الى هذا العصر مما يصح ان يكون (العالم الجديد) الذي تنشده الانسانية الراقية ويتمناه الفلاسفة

وسيظهر في هذه الرواية السيد المسيح وتلامذته

في فصول عديدة

وبذلك يكون موضوع الرواية (العالم قبل صلب المسيح) كما ان روايتنا (اورشليم الجديدة) كانت (العالم بعد صلبه)

مقدمة الرواية

﴿ في التينة تحت النخلة ﴾

قالت الحمامة الوديعة « اني ارى
الفجر . وأشمُّ في الهواء ريح العطر »

اجل هذا ما قالته يومئذٍ حمامة الخلاء لرفيقها في ليلة اشتدَّ بردها وسوادها وهي مختبئة بين الاغصان قرب عشها على شجرةٍ من شجر النخيل قائمة وسط غابة بين بحيرة طبريا وقرية مجدل . كانها رقيبٌ جعل في ذلك المكان الشاهق لرقابة الافق والانباء عما يحدث فيه

فرفع رفيقها الزوج رأسه الذي كان مدفونًا بين جنحيه وانتفض لتنبيه دمه واعصابه لا لنفض الغبار والهوام عن ريشه ثم قال وهو يسرّح عينيه الذابلتين من النعاس في الافق امامه . انني لا ارى شيئًا ولا اشمُّ شيئًا ايتها الحبيبة

فاجابته : انك طول عمرك لا ترى شيئًا . وكانه كُتب لكم يا معشر الذكور ان تبقوا عميانًا وكُتب لنا معشر الاناث ان نكون السابقات الى اكتشاف كل امر ذي علاقة بجمال الروح ولطفها . ولقد كان مثلك في هذا مثل زوج احدى نسيباتي التي بعث بها سيدنا نوح عليه السلام من فلكه لتعود اليه ببشارة انقضاء الطوفان . فانها قبل ان عهد اليها نوح بهذه المهمة قالت لميرا زوجها وهما في الفلك انها حلمت بان سيدها وسيدنا نوحًا سيعهد اليها بمهمة تجعل اسمها خالدًا على ممرّ الدهور . فضحك واجابها انها دخلتْ في طور الخرف . وانا اقول لك الآن يا فيرا : لا اعلم كنه الامر الذي أُحس الآن به . ولكني ارى الفجر . واشم في الهواء ريح العطر

فاجاب شحرور كان بائتًا تحتها في تينة : لقد صدقت سيرا يا فيرا فاني ارى ما رأَت واشمُّ ما شمت . يا جارنا الهدهد اسمعت مقالة الحمامة

فاجاب الهدهد اني شيخٌ ضعيف البصر ولكني قويّ حاسة الشم . حقًا اني اشم هذه الرائحة الغريبة . ثم انظر انني اكلت الآن من هذه التينة فلم اهنأ زماني بطعم طيّب مطيّب

كطعمها . فماذا جدَّ في الارض وجوّها حتى صار لها هذه المزية . هل جاءت الساعة المنتظرة التي يُرفع فيها عنا نير الوحوش الحيوانية والبشرية (ويعيش الذئب والحمل) معاً

ولم ينقضِ نصف ساعة حتى انتشر الخبر بين جميع الطيور اللاجئة في الليل الى تلك الغابة . فاجتمعت الطيور المحلية والطيور الغريبة المارة بفلسطين في طريقها من هزار وكناري وبيغاء وعندليب وبلبل وغراب وسماني وزرزور وحجل وغيرها وعقدت جلسة في التينة تحت النخلة . وكان هذا يقول ما هذا الطعم العطري الذي لهذه الثمرة . وذاك يقول انني زرت بلاد العرب والهند في هذا العام فلم اجد لمسكها وعودها ريحاً كهذا الريح . وغيره يقول ان الليل لا يزال دامساً والفجر بعيداً ومع ذلك نرى في الافق الشفق فياللعجب . وغيره يقول الا تشعرون بان اجسامنا خفت عن ذي قبل والهواء لطف ورق والنفس بانت منبسطة مرتاحة الى المعيشة في الارض

وكأن جلبة الطيور في التينة نبهت في الغابة وخارج الغابة جميع الحيوانات التي كانت هناك فاتجهت جميعها تقصد التينة لترى سبب هذا الصياح . فزحفت الافعى تسعى . وجاء الثعلب يتبختر ويقول : يا واهب يا فتاح افتحها في وجهنا . وجاءت الضبع من ورائه من بعيد لان علماء الحيوان يقولون انه لقصر نظرها وضعف شمها تتبع الثعالب من بعيد وتلازمها لتهتدي بهديها الى الجيف والفرائس لما هو مشهور من دقة نظر الثعلب وقوة حاسة الشم عنده . ثم نُظر سرب من الغربان يحط في تلك الغابة . وفوقه باشق يحوم ليسمع ويرى لعله يقدر على صيد هناك . وفوق الباشق سلطان الجوّ وملك الطيور النسر الهائل وهو باسط جناحيه وجامد في مكانه في الهواء كشخص جالس على السحاب لا يتحرك منه شيء غير عينيه ينظر بهما مزدرياً تلك الحيوانات الحقيرة التي تجلب وتلعب تحته

ولما علمت هذه الحيوانات الضارية بسبب هياج الطيور ضحكت الافعى وقهقه الثعلب حتى استلق . وبينما هو يقهقه سمع صوتاً وحشياً من رمانة بعيدة من التينة . وكان هذا الصوت صوت البوم . فسمعه الثعلب يقول . لقد صدقت يا طيور النهار الجميلة . ودليلاً على صدقك اليك هذا الفار الذي التقطته الآن من طرف الغابة : فانني آكله واجد له طعماً مسكياً . فقالت الافعى في نفسها ما احسن حظ البوم لقد وجد في هذه الجهات احد الفيران التي يسمونها مسكة . وقد سال لعابها لذكر هذا الفار . اما الطيور فانقبضت لذكر الفار واظهرت الكراهة والاشمئزاز . فقال لها البوم وقد القى الى الارض قطعة من الفار الذي كان في فيه . تعالي وشميه . فرفعت الطيور اجنحتها ودفعت جسمها الى ورائه كما تفعل حين

اباتها امراً تكلف به وصرفت وجهها عن البوم

فلما رأى الثعلب فعل البوم مال نحوه وتبعته الافعى . فالتفت اليها الثعلب وقال ضاحكاً . يا عجوزتي تفضلي وابقي بعيدة عني . فضحكت الافعى وقالت لا تخف فنحن لا نفترس بعضنا بعضاً وما لي غرض في لحمك القذر . فاجاب الثعلب . قولي حامض لا قذر كما قال لي شاعر خبيث يوناني في شأن عنقود عنب لم استطع الوصول اليه . ولما صار الثعلب عند الشجرة التي كان عليها البوم التفت الثعلب اليه وقال : انت يا اخانا البارد . يا شيطان الليل الشنيع وروحه الخبيثة ما لك ولهذه الطيور . لقد فهمت مرادك يا شقي من القائك اليها قطعة الفأر . انك تعلم ان حكمها بشأن العطر والفجر مبني اكثره على التصوّر والتخيل . فلم تجد ايها الروح المادية الخبيثة وسيلة لرفع هذا التصوّر دفعة واحدة الا بصدمه بدليل ليس للتصوّر سبيل اليه . فهي اذا جئتها بكل اعشاب الارض واثمارها تقول لك الآن انها كلها عطرية مسكية . ولكن لا يصل تصورها هذا الى حد وجدانها للفأر القذر رائحة طيبة . فانا اخوك الثعلب العاجز احمد طريقتك يا خبيث الليل في الجدل ولكني لا احمد غرضك . دع يا بارد هذه الطيور الوديعة اللطيفة في تصوّراتها الجميلة . قل لها كما نقول وزيادة . ثبتها في اعتقادها بالفجر والعطر واللطف والسلم والحب والرفق فاننا لا نصطاد منها اكثر ما يمكننا اصطياده الا حين رقادها بامان واستسلام تحت اجنحة هذه الكلمات الطريفة اللطيفة . واذا كان اليوم هو فجر العصر الذي (يعيش فيه الذئب والحمل معاً) كما قالت نوافرحاه . اننا نحن معشر الحيوانات القوية المفترسة يمكننا حينئذٍ ان نختار بحسب قابليتنا من نريد افتراسه منها لانه يعيش معنا على مقربة منا . ولذلك يجب ايها الجاهل ان نصيح معها : حقاً اني ارى فجراً . واشم عطراً

ولما أتى الثعلب على كلامه رفعت الافعى رأسها معجبة وقالت : لله درّ الثعلب . نعم نعم : اني ارى الفجر واشم ريح العطر . يا بوم الشر لا تقطع رزقنا . دع الخرفان في معاشها الجميل . ثم التفتت نحو التينة حيث كانت الطيور تتباحث وتتذاكر في موضوعها وقالت : يا اخوتنا سكان الهواء يا ادلتنا في مملكة النور والسماء لله دركم ودر نظركم الثاقب ورأيكم الصائب . انظروا امامكم ألا ترون الفجر في الافق يزداد شروقاً والعطر عبوقاً

فالتفتت حينئذٍ الحمامة سيرا نحو زوجها ميرا وقالت له : أسمعت مقال الافعى . الا تحصل من ان الحيوانات الدنيئة التي تزحف بذل وصغار على تراب الارض القذر قد ادركت ما لم تدركه انت يا ابن النور والسماء ورأت ما لم ترَ

ولكن الحمامة لم تفه بهذا الكلام حتى علت صيحة الطيور تحتها في التينة وفرّت جميعها في كل الجهات فرارها من صوت بندقية تُطلق عليها . وكان السبب ان النسر سلطان الهواء قد نزل من الجوّ نحو التينة اما طلباً للصيد في ذلك الصباح واما تلذذاً بمشهد فرار الطيور منه خوف بطشه . فلما رآه فيرا وسيرا هلع قلباهما واختبأا في راس النخلة بين طلعها وفيرا يقول لزوجته صباحك مبارك ياباردة اذا كانت مخالب النسر في نحرك وعطرك .

اما النسر فلما بلغ التينة جثم على اعلى اغصانها وصار يسرّح نظره الحاد في ما حوله . ثم حانت منه التفاتة فابصر رمانة على مسافة مائتي قدم وعليها سرب من الغربان تنظر اليه من بعيد . فعبس النسر وحدّق فيها تحديقاً شديداً . فانبرى له مقدم الغربان وقال

ـ لا تعبس فانك لا تخيفنا . اولاً لانك يا ملك الجو لا تأكل لحمنا . وثانياً لاننا هنا خمسون وانت واحد . وثالثاً لان (الفجر) قد اشرق كما قالت الحمامة وهبت على العالم روح جديدة ستقضي على قوة امتيازك . اي نعم يا ملك الطيور قد زالت مملكتك . اي نعم يا صاحب القوة والسيادة المبنية على مزاياك الخصوصية قد زالت قوتك وامتيازك . لقد جاءت مملكة الصغار والخاملين والضعفاء بحجة المساواة والاخاء . فاصبح اصغر واضعف واحد منا مساوياً لك ومعدوداً في منزلتك . اتراك يا ملك الطيور تشمّ هذا الريح الذي وجدته الحمامة في الهواء ؟ ان هذا الريح العطري اللطيف سيكون ديناميتاً يثلّ العروش ويثير الشعوب ويقلب الامم (عقباً على راس لا راساً على عقب) ويبني الكرة الارضية على مبادىء الصغار الجديدة

وما اتمّ مقدّم الغربان كلامه حتى علت جلبة من جهة الارض تحت الشجرة . فالتفتت الغربان فابصرت الثعلب يعدو مسرعاً والافعى تنساب الى وكر تختبىء فيه والضبع تعود القهقرى . وكان سبب فرارها رؤيتها الاسد ملك الوحوش قادماً من بعيد يتبختر تبختر الجبابرة الصناديد

ولما بلغ الاسد شجرة التين انفثأت كبرياء النسر ونسي حديث الغربان . وقد بقي الملكان (ملك الجوّ وملك الغاب) برهة ساكنين ينظر احدهما الى الآخر بلا سلام وكلام . لانهما لم يتعلما آداب الملوك من ملوك هذا الزمان .. وكانت الطيور في الاشجار البعيدة والوحوش في اطراف الغابة تتطاول وتشرئب اعناقها لترى ماذا يقع في جهة التينة

وكانت الساعة الرابعة بعد منتصف الليل بحساب هذا الزمان . وكان الجوّ صافياً كمرآة الغريبة كأنّ ملائكة السماء احسنت تنظيفه وتنقيته في ذلك الصباح . وكانت كواكب

السماء تنظر الى الارض بملايين العيون المنيرة المنتشرة في قبة الفلك كأنها تتوقع في الارض امرًا خطيرًا . والنسيم يهبّ باردًا فيداعب اغصان الاشجار . والشفق يبدو في جهة المشرق كأنه انعكاس مصابيح تُنار . استعدادًا لركوب غزالة الصباح هودج النهار

وبينا كان سكان الغابة في تلك الحالة يتمتعون بسناء ذلك الصباح البهي واذا بالحمامة سيرا في اعلى النخلة قد ابرزت رأسها من مخبائها وقالت لزوجها بلسان متلجلج وقلب مختلج : انظر انظر

وكان بجانب الغابة طريق تؤدي الى بحيرة طبريا على ما تقدم . فمد فيرا زوج سيرا بصره من اعلى النخلة نحو الطريق حيث اشارت سيرا فرأى على الطريق شبح انسان قادم . وكان الرجل يسير ويخيل للناظر اليه ان الطريق تنار امامه في مسيره بمجرد مروره . فقال فيرا : من هذا القادم منفردًا في هذا الظلام وراسه منكوس الى الارض وقدماه تتنقلان ببطء كأنه في نزهة لا في سفر . فقالت سيرا : يا فيرا الا ترى هذا النور . الا ترى ان ريح العطر قد اشتدّ عن ذي قبل

ولما اقترب الرجل القادم من النخلة رأت سيرا انه شاب في نحو العشرين نحيل الجسم طويل القامة يمشي منحنيًا قليلاً الى امام ونظره في الارض كأنه يفكر في امر ويباحث نفسه . ويظهر ان جميع حيوانات الغابة قد انتبهت الى هذا القادم الغريب وصارت تنظر في جهته . وقال البوم في نفسه لقد وجد ملكانا الاسد والنسر طعام يومين فما اشقى حظ هذا المسافر . وكان الاسد قد افعى عند سماعه صوت قدمي الشبح من بعيد والنسر فوقه هيأ نفسه لمشاركته في فريسته : فلما مرّ الرجل القادم امام الغابة شخصت جميع الطيور والوحوش نحوه ثم نظرت الى الاسد لترى كيف تكون وثبته . وكانت الحمامة سيرا في اعلى النخلة ترتعد خوفًا على هذا القادم لانها علمت بطش الاسد من بطش النسر

وكانت تلك الدقيقة دقيقة يتوقف عليها مستقبل الارض والانسانية . وهي في تاريخ (حكمة الحيوانات) تعدل قرون الزمان كله . فيا فجرًا شهدت انتصار الحمامة لتكاسل الاسد وشبعه انك كنت فجر دنيا جديدة

فمرّ الشاب بالغابة حزينًا كئيبًا دون ان يلتفت اليها او يعلم بالخطر الذي كان على حياته . وقد تتبعته حيوانات الغابة بابصارها الى بعيد وهي ساكنة خاشعة لهول تلك الدقيقة التي انقضت بسلامة . وكان على الطريق من الجهة المقابلة لطريق الشبح المذكور مكاريان قادمان وامامهما بغلان يحملان ظروف زيت . فلما مرّا بالشبح المذكور قال احدهما للآخر :

هذا يشوع النجار من الناصرة ، ما جاء به الى هنا في ظلمة هذا الليل

فيا حمامة النخلة بين مجدل وطبريا ، يا سيرا الجبلة ، انك كنت اول من بشر العالم في الارض بالفجر والعطر ، ولو علمت بك الكنيسة المسيحية يا مخلوقتي العزيزة لرفعتك الى مرتبة قديساتها كما رفعت مريم المجدلية التي بشرت بالقيامة وكانت سبباً في هذه المقيدة . اننا سنقص يا حمامتي قصة هذه المرأة في هذا الكتاب وهي ولئن كانت اجمل واحلى من قصتك الا انها ليست باطهر واصدق منها وان كان (الفجر والعطر) بطهران كل شيء . وسترين في ما يلي ان في البشر ثعالب وافاعي وغرباناً يقولون ما قاله ثعلبك وافعاك وغرابك على مقربة من التينة . واسفاه يا سيرا الجبلة . لقد انقضى على العالم من تاريخ قصتك هذه حتى الآن نحو ١٩ قرناً والمبادىء التي بسطت امامك على السنة هذه الحيوانات لا تزال في الارض مشتبكة متصادمة لعدم انتصار احدها بعد انتصاراً نهائياً . فهل نصيبنا نحن البشر في الارض نصيب رفاقك الحيوانات كالنمل مثلاً (١) ـ الذين مدنيتهم محدودة وفهمهم محدود فاذا بلغوا حدهم وقفوا عنده او عادوا ادراجهم . ام سيخرج في المستقبل من احتكاك هذه المبادىء شيء ما لتوحيد الانسانية وبناء قصر سعادتها بمبادىء راسخة تكون شريعتها الحقيقية النهائية

---

(١) ربى المسيو برتلو العالم الكيماوي المشهور طائفة من النمل واختبر طباعها فظهر له ان معيشتها الاجتماعية في مدن تبنيها ومؤن تذخرها ومعاملاتها بعضها لبعض غاية في الدقة والعلم والذكاء والفهم . ولكنها متى بلغت فيها حداً محدوداً قصرت ووقفت . فالسؤال هنا هو : ترى هل نصيب البشر كنصيب النمل

الجزء السابع



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٦ ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٤

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

النظرة الاولى

٣

﴿ نيويورك ﴾ يرى القارئ في الرسم المنشور بجانب هذه الصفحة ان نيويورك ثلاثة اقسام · مدينة نيويورك نفسها · ومدينة بروكلن التي يجمع بينها وبين نيويورك جسر بروكلن المشهور الظاهر في يمين هذا الرسم · ومدينة نيوجرزي التي يفصل بينها وبين نيويورك نهر هدسن في غربي نيويورك وان كانت هذه المدينة غير تابعة لها · وقد كان اسمها قديماً (نيو امستردام) اي امستردام الجديدة وقد سميت كذلك لان الهولانديين الذين اكتشفوها في سنة ١٦٠٩ سموها باسم عاصمتهم (امستردام)

وولاية نيويورك نفسها شبه جزيرة بين النهر الشرقي في شرقها ونهر هدسن في غربها ·

وسمي هذا النهر بهذا الاسم نسبة الى هنري هدسن الانكليزي احد عمال هولانده في سنة ١٦٠٩ لانه هو الذي اكتشف هذا النهر . ولما حلّ الهولانديون في ارض نيويورك كانت هذه الجزيرة تسمى (جزيرة مانا تان) وقد ابتاعها اول حاكم هولاندي من سكانها الهنود الاصليين بقيمة ٢٥ ريالاً ..

وفي سنة ١٦٦٤ اغتنم الانكليز احدى الفرص واستولوا على مستعمرة هولانده في هذه الجهات وكانت تدعى (هولانده الجديدة) فسموا (امستردام الجديدة) باسم (نيويورك) نسبة الى دوق اوف يورك شقيق ملك انكلترا شارل الثاني . ولما قام الاميركان لحرب الاستقلال بقيت (نيويورك) آخر حصن للانكليز ولم تسلم الى الاميركان الا بعد التوقيع على شروط الصلح . وقد جعلها جورج واشنطن محرر اميركا عاصمة الولايات في ذلك العهد

☀ موقعها ومساحتها ☀ هي واقعة بين الدرجة ٤١ و٤٢ من درجات العرض شمالاً وفي الدرجة ٧٦ من درجات الطول غرباً . وطول نيويورك وحدها اي شبه جزيرتها بين النهرين ١٦ ميلاً وعرضها يختلف بين اربعة اميال ونصف . وثلاثة ارباع الميل . ومساحتها ٢٢ ميلاً مربعاً . فليس في الارض لها بقعة ضيقة من الارض كهذه البقعة تحتوي على ما تحتوي عليه نيويورك من زحام السكان وضخامة العمران وتزاحم الاشغال وكثرة الاموال

☀ ميناؤها ☀ يبتدئ ميناء نيويورك عند مصب نهر هدسن حول المدن الثلاث وينتهي عند الاوقيانس الاتلانتيكي . والمسافة بينهما ١٨ ميلاً . ويصل بينه وبين الاتلانتيكي مضائق ماين وسويش وشيز سوت وجدنيز . ومساحه الميناء كله ٤٠ كيلومتراً مربعاً تدخل اليه وتخرج منه السفن التجارية لمائة شركة اميركية وغير اميركية . وان منظر ازدحام البواخر الماخرة فيه ذهاباً واياباً عشرات عشرات تحمل الثروة والركاب منها اليها ومنها الى اوروبا وسائر الاقطار لمنظرٌ لا يشعر بعظمته وجماله الا من رآه رأي العيان

☀ سكانها ☀ كان عدد سكانها في سنة ١٦٥٠ يوم كان اسمها (امستردام الجديدة) نحو الف نفس يشتغلون بالزراعة وتجارة الجلود مع الهنود سكان البلاد الاصليين . وفي سنة ١٧٩٠ اصبح عددهم نحو ٣٤ الفاً وفي سنة ١٨٦٠ — ٨٣ الفاً وفي سنة ١٨٩٠ — مليوناً و ٥٠٠ الفاً وفي سنة ١٩٠٠ — ثلاثة ملايين نفس و ٤٤٠ الفاً . وفي هذا العام كان عددهم

ثلاثة ملايين و ٩٠٠ الف نفس . منهم ١٥ الفاً من الفرنسويين و ٩٠ الفاً من الايطاليين و ٢٩٠ الفاً من الايرلنديين و ٣٥٠ الفاً من الالمانيين و ٧٥ الفاً من الروس و ١٦ الفاً من المنغاريين و ١٢ الفاً من اهل كندا و ٢٥ الفاً من اسوج ونروج و ١٨ الفاً من الاسكوتلانديين هذا غير الاسبان واليونان والسوريين وغيرهم . ولذلك يقولون عن نيو يورك « انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها » اشارة الى ان كل غريب يحل في ارضها يصبح كواحد من اهلها . وهذه مزية عظمى لشريعة اميركا الرحبة السهلة

﴿ صورة المدينة ﴾ اذا ذكرنا لك هنا شيئاً عن معيشة نيو يورك اليومية وقفت على مجمل معيشة الاميركان سكان المدن العظمى . فالداخل الى نيو يورك من شارع وست بعد نزوله من الباخرة الى شارع « برودواي » اعظم شوارع المدينة ينتقل فجأةً من سكون اوروبا والشرق الى حركة هائلة لا مثيل لها . وشارع برودواي (١) هذا يقسم المدينة قسمين ويمرّ في وسطها فكأنه المحور الذي تدور عليه المدينة كلها . وهو يبتدىء من جنوب المدينة قرب الميناء ويمتد مع ملحقاته الى مسافة ١٨ او ٢٠ كيلومتراً نحو شمالها . وما كان من الشوارع الى جانبه الغربي سمي باسم الغرب وما كان الى جانبه الشرقي سمي باسم الشرق . فيقال مثلاً « الشارع العاشر شرقاً والشارع التاسع غرباً » وارقام هذه الشوارع مرسومة على زجاج فوق عمود من حديد عند كل شارع وبناء على ذلك يكون الاهتداء الى تلك الشوارع من اهون الامور ما دام المسافر يجعل شارع برودواي بمثابة بوصلة يهتدي بها . واذا مررت في برودواي خصوصاً في الشارع الثالث والاربعين منه حيث يتقاطع برودواي والجادة السادسة (6 Ave.) فترى ان الحركة هناك تبلغ مبلغاً تضايق الذي لم يعتد عليها . فمركبات الترمواي تمرّ مزدحمة بالركاب مسرعة نحو جهات المدينة الاربع وفي كل ٤ او ٥ دقائق تمرّ مركبة . والسكة الحديدية المرتفعة في الهواء ارتفاع المنازل تمرّ عليها القطارات كالبرق الخاطف فيسمع لها دويّ يصم الآذان لاهتزاز دقائق الواح الحديد المبنية عليها والقوائم الحديدية القائمة تحتها . وتسمع تحت قدميك هديراً شديداً فتسأل عنه فيقال لك انه صوت القطار في نفق تحت الارض يسير كلمح البصر . وعدا هذا مركبات الاوتوموبيل

---

(١) معنى برودواي « الجادة » اي الطريق الواسعة ولم يسمَّ كذلك لسعته لان كثيراً من شوارع باريز اوسع منه ويقرب ان يكون عرضه عرض شارع شريف باشا بالاسكندرية وربما كان شارع شريف باشا انظف منه في كثير من الجوانب



بارك رو بلدن

ذو ثلاثين طبقة وهو اعلى مباني نيويورك . ارتفاعه ٣٨٧ قدماً

والخيل ومركبات البضائع تتفرق في الشوارع المختلفة كأنها طيور تُطلق فيها . وبين هذه الوسائط المائلة للنقل السريع الوف من الناس الغير الراكبين فيها يهرعون الى اعمالهم بنشاط الشباب وقلما تجد فيهم من يمشي منهم على مهل . واذا نظرت الى الابنية حولك ترى ما يدهشك في ارتفاعها . فانك تجد بينها ما ارتفاعه من عشر طبقات حتى خمس وعشرين حتى ثلاثين طبقة كالبناء الذي نشرنا رسمه في الصفحة السابقة . وان الصناع الاوروبيين الذين يرون هذه المباني الشاهقة لا يرون فيها شيئاً من جمال الصناعة الحقيقية . وهم مصيبون في رأيهم هذا اذا كانوا يريدون قياس جمالها على جمال بن البناء الروماني واليوناني والغوتي في اوروبا . ولكنهم اذا تأملوا ملياً وجدوا لهذه المباني التي اخترعها الاميركان للقيام بحاجات المدينة جمالاً خاصاً بها وهو جمال العظمة والضخامة . فهنا كل شيء يعدُّ جميلاً انما يكون جماله بعظمته وضخامته ومتانته لا برقته ونحافته ودقته . ولعل هذا هو الفارق الحقيقي بين جمال الفن الاوروبي والفن الاميركي . وكل ما رأيناه في اميركا حتى الآن يثبتنا في هذا الرأي

نحو اربعة ملايين نفس تتنقل كل يوم بنشاط غريب بين تلك المباني في تلك المركبات على الارض وفوق الارض وتحت الارض بين قرقعة وضوضاء تزهق منها نفس المسافر في اول يوم . واذا حللت هذه الضوضاء وجدت انها ناشئة عن اصوات القطارات والمركبات واجراس الترمواي واحتكاك الحديد واقدام المارة وفراغ الهواء وامتلاؤه عند مرور القطارات وصوت آلات البناء التي تبني الابنية الجديدة . اما الناس فقلما تسمع بينهم صوتاً . فترى واحدهم يمشي بثياب نظيفة جديدة مصقول الشعر احمر اللون حليق الشارب وفي فيه سيكار ضخم يعض عليه فيصبح فمه مفتوحاً ويظهر ديه لسانه يداعب عقب السيكار. فاذا كنت ممن لا يدخنون عراك اشمئزاز من هذا المنظر . وهو يمرُّ مسرعاً لانه اعتاد سرعة السير وان كان سائراً لغير شغل . وتجد على وجهه وفي عينيه من دلائل الحماسة للعمل ما يدلك على انه في منتهى النشاط الحيوي وان لم يكن على شيء من الرقة واللطف . وقلما تجد في النهار جماعة يمشون معاً لان الوقت وقت عمل . واذا دخلت الحانات وجدتها خالية خاوية الا عند الظهر وفي المساء . وقلما تجد في هذه الحانات اماكن للجلوس لان الناس يشربون الوسكي او البيره وقوفاً ثم ينطلقون في سبيلهم . وقد قابلنا بين هذه الطريقة وطريقة قهاوي اوروبا والشرق حيث يجلس الناس بكسل في القهاوي ساعات طويلة فرأينا ان طريقة اوروبا مدعاة الى تسهيل سبيل الكسل وحمدنا الطريقة الاميركية . وقد ذكرنا

معيشتهم عند طعام الظهر في الجزء الخامس فلا فائدة من العودة اليه

واذا دقت الساعة السادسة مساء اندفعت الالوف ومئات الالوف من الناس قاصدة منازلها ويبدأ حينئذٍ الهجوم على القطارات والمركبات للسبق الى الركوب فيها · واذا هجمتَ معهم وفتحت لنفسك طريقاً الى المركبة وصدمت في اثناء مرورك رجلاً او رجلين فلا تلتفت ولا تعتذر لان كلامك يذهب سدىً لان من صدمته لم يبالِ بصدمك ولا التفت اليك · فهو يرى هذا الصدام في الحياة مظهراً من مظاهر الحياة والنساء يهجمنَ مع الهاجمين نحو المركبات فلا يفسح لهم الرجال الطريق اذا لم يفتحنها فتحاً بقوتهن · واذا بلغنَ المركبات وجدنها مزدحمة ووقفنَ فيها فقلما يقوم رجل لاجلاس احداهنَّ في محله الاَّ ما ندر

قوات اميركا العظمى

﴿ اسباب عظمة الامم ﴾ قد ذكرنا آنفاً طرفاً من تاريخ نيويورك وعدد سكانها وحالة مينائها وطرق الاعمال والمعيشة اليومية فيها وقد كان الغرض منه الالمام بشيء من ذلك لا استيفاء تاريخ عمرانها لان القواميس وكتب الجغرافيا طافحة باخبارها التاريخية والجغرافية والعمرانية ومرمانا في هذه الفصول درس مدنية اميركا لا ذكر تاريخها · لان تاريخها شيء ثانوي قد مضى وانقضى فقلما نجد فيه فائدة · اما درسنا هذا الدرس في المدنية الاميركية من الجهة الاجتماعية فهو اكبر فائدة واجزل عائدة لانه يرينا الطريق الحقيقية الى الارتقاء الاجتماعي ويدلنا على اسباب نهضة اميركا هذه النهضة السريعة · وما التاريخ سوى عبارة عن ذكر حوادث خلت وامور مضت يستقيها كل قارىء من مصادرها في الكتب والقواميس التاريخية للتفكه بها بلا فائدة اجتماعية · ونريد الآن في هذا العصر الذي يدعى « العصر الاجتماعي » ان نعرف ما يقع امامنا وبعدنا لا ما وقع قبلنا

واننا نتذكر ان رصيفنا المقتطف الاغر قال منذ عدة سنوات جواباً على سؤال القته الجامعة يومئذٍ على اهل العلم والنظر بشأن « النهضة الادبية في الشرق » ما خلاصته انه يتمنى لو يذهب قوم من شرقنا الى اليابان ليدرسوا اسباب نهوض تلك الدولة · ولا شك ان درس حالة اليابان يفيدنا فائدة كبرى ولكن درس حالة اميركا اشدّ فائدة لانها اجمع واوعى للقوات التي بها تنهض الامم · ومظاهر هذه القوات اوضح فيها منها في غيرها

وهذه القوات هي في الحقيقة خفية كأثير السماء لا تصل اليها الا العيون التي اعتادت النظر في الخفاء · واستخراج مبادىء الارتقاء مما يحيط بها في المعيشة العمومية اليومية من

غشاه . سل التاجر ما سبب عظمة اميركا يجبك انها عظيمة لانها بلاد تجارية واسعة كثيرة السكان فاذا صنعت فيها شيئاً من تراب الارض وعرضته فيها وجدت من يشتريه منك . وسل الزارع ما سبب عظمة اميركا يجبك لانها بلاد زراعية واسعة تخيرات الارض تغني اهلها . وسل الصانع يجبك لانها بلاد صناعية . وسل الكاتب يجبك لانها بلاد الحرية وهلم جرًا . ولكن هذه الاجوبة كلها اجوبة « سطحية » . فان كثيرًا من بلاد الشرق كمصر والاناضول والهند وفارس والصين مثلاً انما هي بلاد زراعية تجارية . وعدد سكان الهند مئات ملايين من النفوس ومع ذلك فهي لا تزال في الدرجة السفلى بازاء الامم النازلات في الدرجة الاولى . والصواب ان هناك اسباباً رئيسية خفية ترفع الامم وتحطها . وهي فوق تجارتها وصناعتها وزراعتها

السبب الاول

﴿ النواة الاولى ﴾ واول تلك الاسباب ما نسميه « النواة الأُولى » التي تجتمع حولها الامم وتتكوَّن بها شيئاً فشيئاً . قالوا في الرأْي السديمي في خلق الكون ان الكون كان في مبداءِ امره سديمًا (١) منتشرًا في الفضاء ثم تحرَّك هذا السديم بفعل محرّك مجهول فجمدت منه نواة وصار سائره يجتمع ويجمد حول هذه النواة حتى جمد كله واصبح جسماً واحدًا تفرَّق بعدئذٍ وصار اجرامًا. فهذه النواة هي الشرط الاول في جود جميع الاجسام السائلة . والامم تَمثلها تَمثل هذه الاجسام

والنواة الاولى التي تتكون بها الامم ﴿ جامعة عادلة قوية ﴾

ونريد هنا بكلمة « الجامعة » عهدًا يرتبط به جماعة نازلون في بقعة واحدة من الارض ويفوضون الى ممثليه بينهم بمطلق اختيارهم حماية ورعاية شؤُونهم العمومية ولذلك يفرضون على انفسهم الطاعة لهم وتأْدية الضرائب اللازمة في عملهم هذا . وحيث ان ممثلي ذلك العهد وظيفتهم حماية ورعاية مصالح تلك الجماعة فعملهم يشمل امرين : الاول دفع كل ضرّ عنهم والثاني جلب كل خير لهم . لانهم اقيموا لهذا الغرض

ونريد بكلمة « عادلة » في قولنا « جامعة عادلة » بناء ممثلي ذلك العهد جميع اعمالهم على مبادئ القسط والانصاف بين الجميع ليتمكن كل واحد من تلك الجماعة من العمل النافع له دون ان يخشى عدوان احد عليه لحرمانه ثمرة عمله او اضعاف همته او الحيلولة دون نموّه

(١) يعنون بالسديم هنا ضباباً غازيًا رقيقاً عامًا

ونريد بكلمة « قوية » في قولنا « جامعة عادلة قوية » ان يكون لدى ممثلي ذلك العهد قوّة مادية غير القوّة الادبية تلزم بها من يريدون الخروج عن دائرة العدل والانصاف بالرجوع عن عدوانهم . وربما كان هذا الشرط اهم شروط هذا التعريف لانه اذا لم يكن لممثلي ذلك العهد « هذه القوة » عجزوا عن اجراء العدل لان اهل العدوان لقوتهم عليهم يتمكنون من تجاوز الحدود المرسومة فيضيع العدل . ولسنا نقول الآن ان ثوار كوبا في الايام الاخيرة قد خرجوا عن حدود الانصاف والعدل بثورتهم على حكومتهم لاننا لا نعلم هل الحق في جانبهم ام في جانب حكومتهم . ولكننا نرى الآن ثورتهم هذه خير مثال لهذا الموضوع . واكثر ما يحتاج الى هذه القوة في الامم الصغيرة خصوصاً الشرقية حيث تكثر الدسائس والفتن ويمكن لاي رجل يريد اثارة الناس ان يثيرهم بالتحمس الديني . فان الحاكم الذي هو ممثل ذلك العهد اذا لم يكن له قوّة على كبح جماح هذا الفريق عند ارادته ادخال الاصلاح في بلاده فانه يضطر الى مجاملتهم والجري في تيارهم لكراهتهم هذا الاصلاح الذي يبطل امتيازاتهم ويضرّ مصالحهم

وقد ضربنا في ما تقدم مثلاً في ثورة كوبا الاخيرة وهنا نضرب مثلاً في مسائل الشرق . فان اكثر بلايا الشرق مصدره أمران . الاول ضعف ملوكه وامرائه « ممثلي ذلك العهد الذي تقدم ذكره » من حيث شخصيتهم وكفائتهم والثاني كونهم اسراء حاشيتهم وحملة غاشيتهم فاذا أرادوا اصلاحاً حالت هذه الحاشية بينهم وبينه في اكثر الاحيان اما مباشرة بمقاومتهم سرّاً واما ضمناً بكتمانها الحقائق عنهم . واذا وجد منهم من يريد « الاصلاح قبل كل شيء » ولم يكن ذا كفاءة لوظيفته السامية ومزايا شخصية كبرى تمكنه من الاستبداد برأيه كما فعل بطرس الاكبر في روسيا يوم ادخل الاصلاح الى روسيا بالعنف والشدّة فانه يسهل على الحاشية او من يكرهون هذا الاصلاح لمخالفته مصالحهم او آراءهم مقاومته باثارة الشعب كما كان يفعل بطاركة بزنطية بامبراطرتها والفاتيكان بملوك اوروبا . فالسلطة التي تمثل ذلك « العهد » ان لم يكن لها مطلق الحرية والقوّة لتنفيذ الشرائع التي سنتها الجماعة باختيارها ورضيت بها فانها لا تصلح لان تكون نواة يجتمع حولها خيار الامة ليسيروا معها في سبيل الارتقاء . فالنقص الاول في بلاد المشرق هو عدم وجود « نواة قوية عادلة » تقبض على ازمة الحكم وفي يمناها سيف من نار لمقاومي الاصلاح في الامة وفي يسراها غصن من الزيتون ــ علامة الامن والسلام ــ لمريدي هذا الاصلاح . فحاجة الشرق الاولى هي الى « شخصية عظمى » ومن سوء الحظ ان هذه الشخصية لا تشرى ولا

تباع بين الناس . ولكنها هبة من الطبيعة كالماس

فاول سبب من اسباب انحطاط الشرق كون « ممثلي ذلك العهد » في بلاده من الملوك والامراء يرثون حق الرقابة على ذلك العهد ارثاً بدل ان تختار الامة من ابنائها من تراه اقدر واقوى على تمثيله وتنفيذ شروطه والقيام بعبئه . وبناء على حق الارث تصبح ازمة السلطة العليا عرضة للصدفة والاتفاق . فاحياناً يكون الذي القيت اليه بحق ذلك الارث اهلاً لها وهو النادر جداً واحياناً يكون اي رجل في رعيته اكثر اهلية لها منه . وقد كان اعظم الاسباب في قيام دولة العرب في صدر الاسلام واتساع ملكها وعزها ان الامارة « التي تمثل ذلك العهد » انما كانت تعطى بحق الانتخاب لأفضل واقدر رجل في الامة . قال الفيلسوف نيتشه ان الاسلام يحق له ان يفاخر برجاله الأول الذين اسسوا دولته الاولى . ولولاهم لما كان قدر ان يفعل شيئاً

فالنواة الاولى التي اجتمعت حولها الولايات المتحدة في بدء نشأتها كانت شخصية جورج واشنطن الكبرى محرر اميركا . وهي اليوم شخصية الرئيس روزفلت ممثل « ذلك العهد » في جمهورية الولايات . وانك لتسمع الناس احياناً يشبهون الرئيس روزفلت بالامبراطور غليوم من حيث افعاله واقواله في خطبه . على ان الرئيس روزفلت اهدا وارزن من امبراطور المانيا كثيراً ولكنه يضطر الى الظهور بهذا المظهر لانه يعلم انه « مصدر حركة جماعته » وعليه ان يكون في افعاله واقواله اول مثير فيهم للنشاط والقوة والفضل

السبب الثاني

❊ ناموس بقاء الفضل ❊ قال الفيلسوف ابن رشد في كتابه « تهافت التهافت » :

ان الافضل يُنسخ بما هو افضل منه . وهو الناموس الذي اثبته وبسطه العلامة داروين بعد ابن رشد بعدة قرون ويسمونه اليوم (بقاء الانسب او بقاء الاصلح) ونسميه نحن (بقاء الافضل) متابعة لابن رشد واضع هذه الكلمة . ومقتضى هذا الرأي ان الاشياء والاشخاص في الاجتماع والطبيعة تحتك وتصطدم والزمان بمروره عليها يضعف مفضولها ويميته ويبقي افضلها وينميه . وهذا الرأي صحيح في البيولوجيا (علم الحياة) وفي الطبيعة الجائرة المتروكة للفطرة والقوة البدنية . فالحيوانات الضعيفة في عرض البرّ تنقرض بجانب الحيوانات الضعيفة . ونوعها الضعيف من الجنس الواحد ينقرض بجانب نوعها القوي . فهناك لا نظام ولا شريعة غير شريعة الفطرة والغريزة الحيوانية . واما في الاجتماع فقد اصبح له في هذا الزمان خصوم

كثيرون خصوصاً في الحزب الحرّ في انكلترا وطن هذا الرأي . فان كبار مؤلفي هذا الحزب وعلمائه يقولون انه قد ثبت الآن في المدن الكبرى المزدحمة بالسكان والغاصة بالرذائل والفظائع ان الضعيف السافل لا ينقرض بازاء القوي الصحيح ولكن يعديه ويجعله ضعيفاً مثله . فان دائرة احياء الفساد والمسكرات في لندن مثلاً آخذة في الاتساع بدل ان تضيق . واشغال البورصة مبنية على الصدفة والمجازفة فقد يسقط فيها الاقوياء ويقوم الضعفاء . ولهم على ذلك ادلة وشواهد عديدة . ولكن اذا كان هذا الرأي مرجوحاً في الاجتماع سيولوجياً وبيولوجياً فهو صحيح على الأرجح من حيث (الآداب السياسية والاجتماعية) التي هي موضوع الكلام هنا

ونريد (بالآداب السياسية والاجتماعية) مفعول الطرق التي تنفذ بها شرائع البلاد ومفعول الطرق التي تكوّن بها اخلاقها

قد ذكرنا في ما تقدم ان (اول نواة) تجتمع حولها الجماعة هي (شخصية الرجل الموكول اليه تمثيل ذلك العهد) . ولكن هذه الشخصية وحدها لا تكفي مهما كانت عظمتها ونشاطها ان لم يكن لها اعوان . واعوان هذه النواة الذين بدونهم لا يستقيم حال امة ثلاثة (الاول) المجالس النيابية . (والثاني) قوة المعارضة لبقاء الافضل . (والثالث) حرية الجرائد

فلا يخفى ان لكل ولاية وكل امة مصالح خصوصية وعمومية . والتصرّف في شؤونها يجب ان يكون على ايدي نواب منها درسوا حالاتها وعرفوا حاجاتها وآراءها . ولها هذا الحق بحكم الطاعة والضريبة التي فرضتها على نفسها للسلطة التي وكلت اليها حق السيادة عليها . فلزم عن هذا ان يكون لها نواب في المجلس التشريعي الذي يسنّ الشرائع النافذة فيها وذلك اولاً للمشاركة في سنّ هذه الشرائع وثانياً لحماية مصالحها من ان يصيبها ضرّ سواء كان هذا الضرّ من نفسها على نفسها او من استبداد ذات الهيئة الحاكمة بها او من اعتداء ولاية اخرى عليها . ومجموع نواب الولايات (الذين هم السلطة التشريعية) يكونون بمنزلة الوسيط بين مجموع الشعب وممثل العهد الذي مرّ ذكره الذي هو (السلطة التنفيذية) . فاي ضر او ظلم اصاب ولاية طيّرت خبره الى نوابها فيتولى نوابها الدفاع عن مصالحها في المجلس النيابي ويكشفون ظلاماتها . وهكذا يتعذر على الهيئة الحاكمة ممثلة ذلك العهد ان تحلّ السلطة التشريعية لتستبد بالامة . لان عملها كما تقدم في السبب الاول قاصر على السلطة التنفيذية اي تنفيذ الشرائع التي يسنها المجلس النيابي صاحب الحق وحده في السلطة التشريعية

وان اعظم ابتداع واكتشاف في تدبير الامم وسياسة الشعوب في العصر الحديث كان هذا الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية . وكل امة فيها هذا الفصل امة راقية . وكل امة عُدم هذا الفصل فيها امة ضعيفة تدور في دائرة الانحطاط . وبناء على هذا الفصل وما يتبعه من حماية مصالح الولايات وحقوقها ينفسح لاهلها مجال العمل والأمن والعدل والارتقاء . اذ لا قيد يقيد حينئذٍ حرية الفرد غير قيد الشرائع العادلة المسنونة بالانصاف للجميع . فتثور الهمم للعمل لأمنها على ثمرة اعمالها ووجود من يحميها لها في الداخل والخارج . ويصير حينئذٍ (لكل امرء ما سعى)

فرغنا من امر المجالس النيابية . والأمر الثاني (قوة المعارضة لبقاء الافضل)

ونعني (بقوة المعارضة) الاحزاب التي تتألف في المجلس النيابي لادارة سياسة الامة . وسبب تألف هذه الاحزاب اختلاف آراء النواب في طريقة السياسة وان كانت متفقة في المبادىء الاصلية . ووظيفة كل حزب امران . الاول مراقبة اعمال الحزب الآخر ومعارضته في كل ما لا يرى فيه خيراً للامة . والثاني وضع بيان بمطالبه ومبادئه والاصلاحات التي يريد اجراءها والسعي الى تحقيقها بجد ونشاط . فينشأ عن ذلك تنافس حميد عليه المعوَّل اليوم في السياسة الداخلية في جميع الامم الحية . ويصبح كل حزب متفانياً في تحقيق مبادئه بانياً اعماله على العدل والسداد لخوفه من معارضة الحزب الآخر فيمتنع الاستبداد بذلك . وهنا وصلنا الى مبداء « بقاء الافضل » فنقول ان هذا الاحتكاك بين آراء الاحزاب الفاضل والمفضول . والراجح والمرجوح . لا يبقي منها بعد حين غير افضلها واصلحها للامة . وما يثبت بعد تنفيذه انه ضعيف او مضرّ بمصلحة الامة او بمصلحة جماعة منها يعدل عنه اما طوعاً او كرهاً لان الشعب منتخب النواب يلزمهم بهذا الرجوع اذا اصروا عليه . ولا نجهل الاعتراضات التي يُعترض بها على هذه الطريقة النيابية وتشعب آراء الاحزاب خصوصاً في الممالك الصغيرة التي لا قوة فيها للرأي العام ليحترمه نوابها وحكامها او التي لا جامعة حقيقية تجمع احزابها المتنافرة لانها من اجناس مختلفة . ولكن اوروبا واميركا لم تنمُ هذا النمو العظيم ولم توضع شرائعها الاجتماعية العادلة التي رقت شعوبها الا في ظل الطريقة النيابية ومعارضة الاحزاب . ولما كان اللورد سالسبري رئيساً للوزارة في انكلترا وكبيراً لحزب المحافظين وشهد اختلاف الحزب الحرّ وانقسامه قال في احدى خطبه انه يأسف لضعف الحزب الحرّ لان المعارضة القوية ضرورية لحسن سياسة الامة . ولكن تألف الاحزاب كما تقدم لا يوجب ان يكون اعضاؤها خرفاناً يتبعون بعضهم بعضاً . فانه لما كان المسيو

كومب رئيساً للوزراء في فرنسا وشرع في منع رجال الدين من التعليم خطر له ان • يحتكر • حق التعليم للحكومة وحدها ويمنع الجمعيات والافراد من هذا الحق • فتصدى له المسيو كليمنسو وهو راديكالي من حزبه ونصيره في سياسته ضد الاكليروس وقال له في جريدة الاورور : لا تُدخل سفينة الحكومة بين هذه الصخور فانك بعملك هذا تعطي الحزب المعارض لنا الحق بان يقول انك دست مبداء الحرية في التعليم ونقضت دستور الجمهورية فتقوى حجته علينا • فعدل المسيو كومب عن ذلك واحتالوا يومئذٍ لهذا الامر بان تركوا التعليم حرّاً ولكنهم وضعوا قيوداً توصلهم الى غرضهم من اخراج الاكليريكيين منه وهذه القيود لا تمس الحرية بشيء • لانهم يبيحون لهم التعليم على شرط ان يكون للحكومة حق المراقبة على تعليمهم وعلى نظاماتهم • و٩٥ في المائة منهم يأبون ذلك كل الاباء

واشدّ ما تبدو • قوة هذه المعارضة • وتأثيرها في حسن تدبير الامة انما هو في جمهورية فرنسا وجمهورية اميركا وهما الشعبان الكبيران اللذان يحكمان نفسها بنفسها حكماً حقيقياً • ولولاها لكان الحزب القابض على ازمة الاحكام يتكاسل ويخمل ويستبد بالامة على هواه كما يقع في البلاد الشرقية فتفسد احوال الامة بلا ريبة

ولكن هذه المعارضة لا تكون قوة حقيقية فعالة الاّ بالامر الثالث الذي اشرنا اليه آنفاً • وهو حرية الصحافة • وهنا نصل الى وظيفة الصحافة في الامة

للصحافة في الامة وظيفتان • الاولى اجتماعية والثانية سياسية • فوظيفتها الاجتماعية قائمة بان تنشر للناس ما يفيدهم في رفع نفوسهم واثارة نشاطهم ودلالتهم على طريقهم وتدبير شؤونهم الزراعية والصناعية والتجارية • ويدخل في ذلك محاربتها الشرور الاجتماعية التي تحلّ عزائم الامة وتفني نشاطها وتفسد امور معاشها • ووظيفتها الثانية ان تنشر لهم اعمال الحكومة ومقاصدها وما تتضمنه من الخطاء والصواب • فكأنها صلة غير رسمية بين الهيئة الحاكمة والمحكومة كما ان المجلس النيابي صلة رسمية بينهما • وانما يكون للصحافة هذه الوظيفة متى كانت لحزب او شركة لا لفرد واحد يديرها بحسب مصالحه واهوائه ويكون غرضها تأييد مبادىء وافكار لا الارتزاق منها والاتجار • ومتى كان لكل حزب جرائد تؤيد رأيه وتعضده نشأ عن هذا الاحتكاك المستمرّ بناء على ناموس • بقاء الافضل • زوال الآراء الضعيفة المضرّة وبقاء الآراء القوية النافعة • فكأنّ قوة المعارضة في المجلس النيابي • منخلٌ ينخل آراء المجلس ولا يبقي منها الا صحيحها ونافعها • والصحافة منخل آخر ينخل آراء الاحزاب على نور الحرية الساطع • وآخر مثال لتاثير الصحافة في اميركا

مسألة مجازر شيكاغو في هذا العام . وكل الاصلاحات التي تجري هنا وفي غير بلد انما تجري على هذه الطريقة . وقد سموا الكتّاب الذين يشنون الغارة هنا على المفاسد الاجتماعية . ملتقطي الوحل . اشارة الى انهم يتتبعون وحل الفساد لجرفه حيثما وجدوه

هذه هي الاسباب الاول التي تحتاج اليها كل امة لتتمكن بها من التهوض . وهي مستوفاة في اميركا اكثر من غيرها وان كانت الطريقة النيابية في اميركا تختلف عن الطريقة النيابية في اوروبا مما سنفصله في حينه . وقد ذكرنا في ما تقدم هذين السببين الاصليين في نهضة اميركا . وفي الجزء التالي سنذكر تتمة الاسباب مما خصت به هذه البلاد دون غيرها

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني (تابع لما قبله)

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

دعهم كما تجدهم

ثم اشار المستر ووكر بعد ذلك الى فقرة من مقالة نشرت في مجلة ايدنبرغ سنة ١٨٣٣ عدّها اصح قول بشان جباية الضرائب بحسب الطاقة وهي : « لا جزية عادلة الا الجزية التي بعد ما تجبى من افراد الامة تتركهم في تناسبهم من كل قبيل كما وجدتهم » ثم جعل يبحث في القواعد الاساسية التي بني عليها نظام ضرب الضرائب الماضية والحاضرة ويمحصها ليتوصل الى اصح تفسير لهذه الآية . فلاحظ ان هناك اربع قواعد وهي : —

١ً الضريبة التي ضربت على الثروة الحقيقية اي على رأس المال النقدي او العقاري
٢ً الضرائب التي ضربت على الدخل او الريع السنوي
٣ً الضرائب التي ضربت على نفقات المعيشة او على استهلاك الفرد للثروة
٤ً الضرائب التي ضربت على القوة المستنفدة في العمل

هذه هي القواعد الاربع الاساسية التي بني عليها نظام الضرائب في ما مضى من عمر

العمران وقد بحث المستر ووكر في كل واحدة منها ليرى كيف كان الافراد يدفعون الجزية ويظلون على نسبة واحدة . وهذه هي مباحثه :ــ

الضريبة على الثروة الحقيقية (١)

« الثروة مجموعة من موفرات الدخل . فاذا جعلت الضريبة على الثروة وحدها تكون بالحقيقة مضروبة على الموفر وتكون الحكومة شريكة الفرد في موفراته التي حرم نفسه التمتع بها لا في دخله . ولا مشاحة في ان الحكومة تجور كثيراً او قليلاً اذا كانت تجمع ضرائبها من الثروة التي وفرتها الامة من اصل نفقاتها بالبخل على نفسها لكي تحفظها الى حين الحاجة والعسر في المستقبل او لكي تثمرها بالاعمال المالية التي تزيد يسرها وبحبوحتها . نقول ذلك من وجه اقتصادي لانه اذا كان دخل الفرد يخصه وله حق التصرف المطلق به وانه اذا لم ينفقه كله في سبيل نعيمه وهنائه تشاركه الحكومة به وتقاسمه جزءاً منه فلماذا يستبقي قسماً منه ليجعله ثروة تشاركه الحكومة بها ؟ فضرب الضريبة على الثروة الحقيقية قصاص للناس على عدم استهلاكهم كل مكاسبهم او باوضح عبارة مثبط لعزمهم على التوفير للتثمير وبالتالي مستوقف لثروة الامة عن نموها . هذا هو ضرره الاقتصادي وهو ولا ريب ضرر بين »

وهنا اظن ان المستر ووكر لم يهتدِ تماماً الى الجانب الركيك من هذه القاعدة . نعم ان ما تأخذه الحكومة من الضريبة على الثروة انما هو مما وفره الفرد من دخله وحرم نفسه التمتع به ليثمره اي ليجعله ثروة ذات ريع ولكن لا اظن ان ما تجبيه الحكومة من اصل هذا الموفر الآئل الى ثروة يثبط عزم الفرد على التوفير ويزهده بجمع الثروة ويزين له افضلية استهلاك دخله كله لان الموفر قلما يشعر بنقص ثروته بعد ما تأخذ الحكومة نصيبها القليل منه الا اذا كان نصيبها كبيراً تبلص الامة به بلصاً . ثم ان الفرد لا يصعب عليه ان يدفع القسم الزهيد من ثروته متى عرف انه وسائر افراد امته سواء في تحمل هذه الضريبة وان مؤداها لفائدة العموم ومصلحة الجمهور وان نصيبه من هذه الفائدة مناسب لما تجبيه الحكومة منه

وانما تسفه هذه القاعدة بان هناك قواعد اخرى افضل منها كالضريبة على دخل الثروة لا على الثروة نفسها وبان الثروة التي لا قبل لصاحبها على انمائها وتثميرها باضافة ربعها اليها تتعرض شيئاً فشيئاً اذا كانت الحكومة تختزل كل عام جزءاً منها . هذا اهم اضرار هذه القاعدة وهو اشد من الضرر الذي المع اليه المستر ووكر على ما اظن

1 Taxes on Realized wealth

الضريبة على الدخل السنوي (١)

والغريب ان المستر ووكر يسفه قاعدة « الضريبة على الدخل السنوي » في حين انها في نظر معظم الاقتصاديين اقرب القواعد الى العدالة حتى جرت عليها انكلترا والمانيا وهما تريانها ملائمة . وقد مثل على تخطئة هذه القاعدة بقوله : ـ « هب ان رجلين متعادلين في القوة الطبيعية احدهما نشيط مجتهد يبكر الى عمله و يواظب عليه تمام المواظبة فينال دخلاً وافرًا تشاركه الحكومة بقسم منه والآخر يهمل قوته الطبيعية فلا يستعملها ليسترزق بواسطتها بل يقضي حياته بالكسل والتواني قانعًا ببساطة العيش . فهل يحق للحكومة عليه اقل مما يحق لها على الاول ؟ فان كان الامر هكذا فكيف يجوز ان كسله يبخس الحكومة حقها الواجب عليه بالنسبة الى قوته وطاقته على العمل ؟ وكأنَّ الحكومة وهي تضرب الضريبة على الثروة بدل الدخل تضع عقابًا على التوفير وتجازي المسرفين خيرًا . وكذلك في ضربها الضريبة على الدخل بدل الطاقة تجازي الكسالى خيرًا وتعاقب المجتهدين

وهنا اظن ايضًا ان المستر ووكر مغالٍ في تخطئة هذه القاعدة لاني لا اعتقد ان المجتهد الذي يحق للحكومة نصيب كبير من دخله الوفير يحسد الكسول الذي لا يحق لها من دخله الزهيد الا النزر اليسير . ولا يثبط عزمه على العمل او يقلل اجتهاده كون الحكومة تقاسمه جزءًا من دخله بل هو يتمنى ان يكون دخله اوفر ولو كان للحكومة منه نصيب اكبر . اعتقد ذلك واراه واقعًا في البلاد التي تجبي الحكومة العشور منها بالعدالة فان جباية العشور لم تثبط عزم الفلاحين عن الفلاحة والزراعة . والحكومة المصرية تتقاضى من اتعاب الفلاحين اكثر من سائر الحكومات ومع ذلك لم تثنِ هممهم عن العمل

وزد على ذلك ان معظم المكاسب التي يكسبها كبار المتمولين وعظماء الاغنياء مغنوث من قوة العملة الذين يستخدمهم اولئك الاغنياء فاذا تقاضت الحكومة جزءًا من مكاسبهم الطائلة لتبذله في خدمة الجمهور وحماية الامة فلا تعتبر مقاصة لهم على اجتهادهم ولا مجازية الكسالى خيرًا

ثم ان هناك كثيرين متساوين في المواهب والقوى والاجتهاد ولكنهم متفاوتون أي تفاوت في الكسب لاختلاف ظروفهم . فاختلاف هذه الظروف هو سبب اختلاف حقوق الحكومة عليهم

1 Revenue as the lasis of taxation

الضريبة على الانفاق (١)

قال السير وليم بتي منذ قرنين : « من المسلم على العموم انه يجب على كل فرد من الرعية ان يدفع للمصلحة العامة (التي تديرها الحكومة) بنسبة حصته من الامن العام وفائدته منه اي بحسب حاله وغناه . والاغنياء نوعان غنيٌّ بالفعل وغنيٌّ بالقوة . فالاول يعتبر غنياً بحسب ما ياكله ويشربه ويلبسه ويأوي اليه ويتمتع به فعلاً . والآخر يعتبر غنياً اذا كانت له قوة الاغنياء اي عنده مال للانفاق ولكنه لا ينفق على نفسه منه الا الضروري فما هو اذاً الا صيرفي تمرّ الاموال في يديه مرّاً فقط كأنه واسطة لتبادلها بين اولئك الذين يتمتعون بها . وبناء عليه يجب على كل فرد ان يدفع من ماله للحكومة القيّمة على المصلحة العامة بحسب ما يأخذه منه لنفسه ويتمتع به »

وبالنظر الى هذا القول يعتبر كل فرد من افراد الامة ذي ثروة معدة للتثمير لا للانفاق قيماً على ثروته بالمعنى الذي المع اليه السير وليم بتي . وعليه قال « ارثريننغ » : « الضرائب العادلة لا يجوز ان تمس الا نفقات الفرد على معيشته فان مست نوعاً آخر من نفقاته (كالنفقة على المشروعات العملية) سلبته جزءاً من العدة التي يعمل بها ما وجب عليه من اعمال البلاد العمرانية »

وقد سفه المستر ووكر هذه الاقوال كلها بقوله : « هل الاكل والشرب واللبس وسائر لوازم المعيشة هي كل ما يختصه الانسان بنفسه ويستهلكه من غير ان يثمره بحيث يتسنى للحكومة ان تضرب الضريبة على ثمنه فقط ؟ هب ان مثرياً اخرق الرأي مولعاً بالفخفخة او مجازفاً على غير دراية او روية بذل ثروته على مشروع يبتغي منه الكسب ولكن هذا المشروع واهي الاساس متداعي البناء غير منتظم على قواعد العمل القويمة بحيث لا شبهة في خسرانه وضياع المال فيه جزافاً . فلا ريب ان هذا المال الضائع لا تنال الحكومة منه نصيباً البتة لانه حينما أوجد وكان دخلاً لم ترَ انها ذات حق بنصيب منه لتنفقه على المصلحة العامة اذ لم يكن حينئذٍ معداً لتمتع صاحبه الشخصي بل كان تحت نية التوفير ليعمل ثروة . وحينما وفر من اصل الدخل وصار ثروة لم يعد للحكومة حق بشيءٍ منه اذ لم يجتز في دائرة المستهلكات الشخصية ليكون لها حصة فيه . وكذلك لما بذل على مشروع فاسد لم تجسر ان تمد اليه يداً لان انفاقه لم يكن لاجل تمتع شخص بل لاجل عمل يقصد الى الكسب منه وان كان هذا

1 Expenditure as the lasis of taxation

العمل عقيماً لا يرجى منه ربح البتة . فترى ان هذا المال منذ اوجد الى ان استنفد لم يكن للحكومة حصة فيه مع انه وجد واستنفد تحت حمايتها . وكذلك لم يتمتع به صاحبه ولا احد من افراد الرعية مع انه في الاصل ثمن تعب وتقشف

وبناء على ذلك يرى ووكر انه اذا كان رأس المال او الدخل يعفى من الضريبة لسبب انه لم يصر بعد مالاً للنفقة الشخصية بل يحتمل ان ينفق في طريقة عمرانية تفيد البلاد فللحكومة حق ان تسأل عما اذا كانت هذه الثروة تنفق في طريقة عمرانية تفيد البلاد على غاية ما يمكن ان تفيدها به

فللفرد من الرعية ان يعترض على الحكومة قائلاً « ليس لكِ حقاً ان تضربي ضريبة على مالي هذا وتختزلي شيئاً منه لاني الى الآن لم انفق منه قرشاً على نفسي واني لعازم على ان اثمره في مشروع يفيد البلاد . ولكن الحكومة ترد اعتراضه قائلة : نعم ولكن يجب ان نقتنع بصحة هذا الوعد فيجب ان نحكم نحن في ما اذا كنت تثمر ثروتك في ما يفيد البلاد حقيقة . فادفع ما عليك من الضريبة وثم لك ان تتصرف بثروتك كما تشاء والا فاذا شئت ان تعفى من الضريبة بناء على انك تخدم البلاد بمالك خدمة عمومية وجب ان تعمل عملك تحت رقابة الحكومة وسيطرتها » ثم استتلى ووكر موجزاً بما معناه : —

ولكن سيطرة الحكومة على اعمال الناس بحيث لا يبقى اصحابها الا وكلاء مؤتمنين عليها تفضي الى خطر جسيم كما انها تنافي احكام العقل . ووجه الخطر في ذلك انه اذا جعلت الحكومة تتسيطر على اعمال الرعايا المالية لكيلا تذهب تلك الاموال جزافاً ولا يصيب نصيب الحكومة مما يتمتع به صاحبها من ريعها اصبحت الحكومة صاحبة الثروة بالفعل ولم يبقَ صاحب الثروة الاصلي اذ ذاك الا وكيلاً على ثروته يثمرها بمشروعات تخص الحكومة حتى اذا لم يقم بحق الوكالة كما تريد عزلته منها وقامت مقامه في استعمال ثروته . ولكن الاختبار قد اثبت ان الاشغال في يد الحكومة اقل كسباً منها في يد الشركات او الافراد . فمصلحة السكة الحديدية المصرية مثلاً يتضاعف ربحها اذا كانت في يد شركة لان الشركة لا تنظر الا الى مصلحتها فقط ولو قضت مصلحتها بظلم الجمهور والاجحاف به . واما الحكومة فارحم من الشركة بالجمهور ولذلك تلاحظ مصلحته قبل مصلحتها حين تدير السكة الحديدية بنفسها وذلك لان مديري السكة الحديدية الذين يديرونها باسم الحكومة ليس لهم غير رواتبهم . فلا يهمهم ان تربح المصلحة او ان تخسر وبالتالي لا يخافون بمراعاة مصلحة الجمهور قبل مصلحة الحكومة لكي يكسبوا ثناء العموم . ولكن اذا كانت المصلحة بيد شركة فمديروها

يضحون مصلحة الجمهور لاجل نفع الشركة لان لهم نصيباً من هذا النفع باعتبار ان لهم معظم الاسهم

(ستأتي البقية)

شرٌ اقوى من الحب

عروسان * فرّقت بينهما بنت الحان * ثم جمعتها الاحزان

هي قصيدة لحضرة « نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني » وهي من الشعر الراقي الصحيح لفظاً ومعنىً · ومما يزيدها جمالاً استيفاء الناظم فيها شروط القصة من حيث « وحدة السياق مع تنوع الموضوع والملاحظة البسيكولوجية الصحيحة » وهذا الفن لا يدركه الاَّ اهل النظر والعلم · وما كل شعر يُنظم جدير بأن يسمى شعراً · وكم من قصيدة بليغة نظمها من امتن ما يكون ولكنها عديمة الفائدة ضعيفة القوى لعدم استيفائها تلك الشروط

هو الحبُّ في عهد الشبيبة يعذب ولكنما حبّ العروسين اعذبُ
ولم يروَ في الاسفار أعجب من هوى (جميل وليلاه) ولا بعد يُكتبُ
عروسان والحب الوثيق مكللٌ حبيبان والخلق الجميل محببُ
فوآدان في مهد الولاء توسدا تُظللها روح الكمال وترقبُ
لقد مرحا في رحبة الصفو برهةً يزينها ثوب العفاف المطيبُ
اذا غابَ عنها برهةً في مهمةٍ يذوب حنيناً قلبها الملهبُ
وتنحه عند اللقا بابتسامةٍ فتطفي جوى احشائه وترطبُ
وتأخذ كفيه اشتياقاً وتنثني اليه دلالاً وهو جذلانُ مطرَبُ
تُرجي به عوناً وغوثاً ونصرةً وتحسبه الترس الذي ليس يعطبُ
اذا ما دعت لبي جميلٌ دعاءها وجاد بعينيه اذا هي تطلبُ
كأني به قيسٌ يضحي بنفسه لما تبتغيه منه ليلى وترغبُ
فكانا بفردوسٍ من الحب والونا ضحوكين والدنيا تجد وتلعبُ

وقد سكرا من خمرة السعد والهنا — وقد غفلا والدهر يقظان يرقبُ

***

وفي ذات يوم اشعلت جذوة الهوى — فؤاديهما والرشد اوشك يذهبُ
فكان يناجيها باسرار قلبه — ويروي أحاديث الغرام ويعربُ
فقرئه في مقلتيها رواية — لها الحب يملي والملاح تكتبُ
تكلمه الحاظها وفؤاده — سميع وصوت اللحظ للقلب مطربُ
وداما يثيران الصبابة والجوى — ونجواهما تذكي الحشى وتلهبُ
الى ان اباح الحب كل رغيبة — واضحى على العقل الهوى يتغلبُ
فمازحها مستمتعاً بدلالها — ولذ لها استصباؤه والتحببُ
ولاح لها ان تستزيد سروره — بكاس من الصهبا فقالت «اتشربُ»
فقال لها : «حسبي بحبيك نشوة — وان تسقني كفاك مرًّا فيعذبُ»
فقالت له : «لا بأس منها بجرعة» — وجاءت بكاس من شذاها تطيبُ
وقالت له : «هذي المدامة مهجتي — أُذيبت فدعها في فؤادك تسكبُ»
كذا جرعته الكاس وهو استطابها — ومهما يكن عيش الهوى فهو اطيبُ

***

وصار يعيدان الرواية ليلة — على ليلة والشيء للشيء يجلبُ
فكانا اذا فاضت عيونهما هوى — وقلبهما في وجده يتقلبُ
يطالبها بالكاس من كفها التي — تعوّد منها انها لا تخيبُ
فتسقيه كأساً ثم تأبى استزاده — عليه ولكن لا يني يتطلبُ
وتمنحه اخرى لرقة قلبها — وتخشى اذا لم تستجبه فيغضب
فبات اسير الكاس معبوده الطلى — وصار له في سنة الشرب مذهبُ
واشغله عن حب ليلى كؤوسها — وعن وجده فعل الخمور المغلبُ
اذا حادثته كان كالطفل هاذياً — وان مازحته فهو للنزق اقربُ
كذا حرمت ليلى لذيذ حديثه — وقد جعلت تأسى لذاك وتنحبُ
وزهرة ذاك الحب مرَّ ريعها — وبانت رياض الدل والزهو تجدبُ
وبهجة ذياك المحيا قد انقضت — وصارت مياه البشر واللطف تنضبُ
يروح صباحاً كاسف البال ذابلاً — ويأتي مساءً والجبين مقطبُ

فشق على ليلى شكاسة بعلها وحيرها استنكافه والتقلبُ
فكاد غمام الغم يخنق قلبها وطامي اساها ادمعٌ تتصببُ
لذلك آلت ان تخيبَ قصده وتحرمه الخمر التي هو يشربُ
وان عُرّضت عفواً لثائر سخطه فنكبتها فيه من السخط اصعبُ
فكسرت الاقداح اهرقت الطلى وقالت : «كفى اني اداري وارهب»

***

ولما درى عند المساء بما جرى تغيظ منها واستوى يتعتبُ
فقامت تراضيه وتبغي انتصاحه فزاد استياء وانثنى يتغضب
وراح الى الحانات يرتاد نهلة فرشفها صهباء في فيه تعذبُ
وافعم جوفاً من برود مزاجها فكانت لظى في قلبه تتلهب
ودبت الى اللب المصون وقد غدت تزعزع في اركانه وتقلب
الى ان تدجى في بصيرته المدى واصبح لا يدري الى اين يذهب

***

فقفاه رجلاه الى البيت صدفة فلاقته ليلى بابتسام ترحبُ
فبادرها كالصل ينفث سمه شتائم مثل السيل تهمي وتسكبُ
ومال عليها وهو يشهر مدية واغمدها في زندها وهي تهرب
وراح الى مقصورة النوم لا يعي وغادر ليلى بالدما تتخضبُ
صريعان هذي من بلاغة جرحها وذا من حمياه غدا يتقلبُ

***

ولما نضا الصبح البهي حلة الدجى وسال عن الافق الشعاع المذهبُ
افاق جميلٌ خائر العزم والقوى يغشي على تذكاره الامس غيهب
وجاء الى ليلى ليسأل حاجة شاهدها في مهدها تتعذب
تئنُّ من الآلام تبكي من الاسى وترثي نعيماً زال عنها وتندبُ
واذ اعلمته ما جرى ذاب قلبه واوشك عنه لبه يتغيبُ
وقد عضّ كفيه ومزّق ثوبه واصبح من فرط التأسف ينحبُ
وقال لها : «نفسي فداك وها دمي اذا شئته كفارة فاقربُ »
فمدّت له ليلى يد الصفح والرضى وقالت له : «لا تبك ما انت مذنبُ

لقد كنتُ حوّاء وقد كنتَ آدماً — لدن كان ابليس الغرام يجرب
فاول كاس من يدي قد جرعتها — وفي الجرعة الاولى البلاء المحجب
وهذا عقابي منك بالعدل نلته — فحسبك من حالي المريع مؤنب
فصالحها والدمع يغسل جرحها — فيا لك حباً بالدموع تطبب
وعاهدها الا يذوق مدامة — وقد تاب حتى لم يكن منه اتوب
ومرّضها حتى استتمت شفاءها — وعاشا تمام العمر والعيش اطيب

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(تابع لما قبله)

وكان سفر جاني على ما تقدم في الجزء السابق بعد مؤامرة بين ريشار وسكرتيره طمسن . فان طمسن اوهمها انه ذاهب بها الى منزلها في البرية والحقيقة انه كان ينوي السفر بها الى فرنسا لاخراجها من انكلترا . ومن هناك يعرّج على بلدة درلنتن حيث عقد زواجها بريشار فيترل ضيفاً على كاهن القرية ويحاول التوصل الى سجل الكنيسة لتمزيق عقد الزواج . وبينما كانت المركبة التي تقل طمسن وجاني سائرة في الاحراش خارج لندن كان شخص في ظلمة الليل يرصد الطريق ويقول

لقد ابعدوها ولم تجترم — وهبت لها عاصفات العذاب
لينعم من بعدها زوجها — بمجدٍ وجاهٍ بغير حساب
اجانيَ ان النجى آفة — ولوان اهل النجى في السحاب
واين العدالة والعادلو — ن فشيمة كل امرىء ان يحابي
لقدضقتُ ذرعاً بهذا المصا — ب فماذا اعدّ لهذا المصاب
دهاني المشيب ولكنني — ارى في قواي نشاط الشباب
وقد اغمض الليل اجفانه — لكيلا يعزّ عليّ طلابي
وها تلك مركبة علها — بجانيَ آخذة في اقتراب

وقد قربوا يا الهي فكن   بفضلك عوني في كل ما بي

وكان قائل هذا القول ميراي نفسه وقد رصد هناك لانقاذ جاني . فلما وصلت المركبة هجم ميراي لانقاذها فقاومه طمسن فتبارزا فقتل ميراي طمسن ثم سار بجاني في المركبة الى منزلها القديم في البرية خارج لندن

وهنا وصلنا الى فصل الرواية الاخير . فان ريشار كان قد عزم في تلك الليلة على عقد قرانه بابنة المركيز سيلفا وقرر اجراء العقد في منزله في البرية الذي سارت اليه جاني بعد مقتل طمسن . فلما وصل ميراي بجاني الى هذا المنزل قالت جاني باكية . ما الحيلة يا رباه فانه لم يبقَ لديَّ ريب في انه يرغب في اخراجي من انكلترا ليتخلص مني . بل ربما كانت حياتي نفسها ثقيلة عليه . فقال ميراي تعزي يا جاني فقد بقيت لديَّ وسيلة لم استعملها بعد ولكنني متى استعملتها سحقتُ بها كبرياء ريشار سحقاً واعدته الى الطريق القويم . فقالت جاني مدهوشة وما هي هذه الوسيلة . فقال هي كلمة واحدة اقولها له ومتى قلتها اصبح ريشار تعيساً الى حد لا تذكر عنده تعاستك بجانب تعاسته . فقالت جاني آه فدع ذلك اذاً بحياتك لاني اكره تعذيبه وافضّل ان اتعذب وحدي . فقال كلاّ يا جاني فانك لم تطلعي بعد على جميع مقاصد ريشار . فانه كما قصر في ما يجب عليه لك قد اخذ يقصر في ما يجب عليه لوطنه . واني اخشى ان يكون لفعله تأثير سيء على مستقبل انكلترا كلها . فقالت جاني فاصنع اذاً ما تراه حسناً

فسار ميراي بقصد لندن . وجلست جاني بعد مسيره بازاء النافذة في ظلمة ذلك الليل تندب حظها وتقول :

أأندب حظي او زماني الذي مضى	فما حرج ان اليتيمة تندبُ
دهتني صروف الدهر ما غادرت اخاً	ولا تركت اماً ولا دام لي ابُ
عجبتُ وهل في الناس مثلي شقية	على ان حالي لو درى الناس اعجبُ
يريح الدجى هذه العناصر كلها	واسهر وحدي في الدجى اتعذّبُ
وما نفس الليل الذي مرّ بارداً	عليّ كانفاسي التي تتلهبُ
وما هو الاّ الهمّ ان حلّ بامرىءٍ	فسيّان ما يأتي وما يتجنبُ

ثم قالت : ما اجمل هذه الطبيعة الهادئة تحت جنح هذا الظلام الدامس . كم قد وقفت في هذه النافذة اعد نجوم السماء واتامل في العمق الذي تحتها . آه عفواً يا اماه عما خطر احياناً في بالي وانا واقفة هنا . فانني كم قلت انني اذا القيت بنفسي من هذا العلو الشاهق

متُّ واسترحت من عذابي. ترى متى يعود ميراي .. ما هذا اني ارى مركبة على الطريق

وكان القادم ريشار نفسه وقد تقدم العروس واهلها مصطحباً خادمه لاعداد المكان قبل وصولهم. فلما رأته جاني يدخل من باب الحديقة ارتعدت فرائصها لانه كان يظن انها سائرة على طريق فرنسا. فاندفعت نحو احدى الغرف واختبأت بها من وجهه

ولما دخل ريشار امر خادمه فانار المصابيح والشموع ثم فتش في القاعه فوجد فيها قبعة جاني. فقال لقد احسنت في انني تقدمتهم للتفتيش في المنزل. ثم اخذ القبعة وقال اذا القيتها من النافذة فانهم سيرونها غداً في الحديقة وهذه الخزائن مقفلة فاين اضعها. فخطر له ان يضعها في الغرفة الداخلية فتقدم الى الغرفة ففتحها لوضع القبعة فيها وكانت هي الغرفة التي جعلتها جاني مخبأ لها. فلما فتح بابها صاحت جاني مذعورة:

فذعر ريشار وخطا الى وراء ثم تقدم وصاح من هذا. فاجابته: انا.. انا. استحلفك بالله ان لا تؤذيني. فقال وقد بلغ الغضب منه مبلغه: انتِ هنا؟ انت هنا؟ اي شيطان يردّك اليّ كلما ظننت انني تخلصت منكِ. من اعادك الى هنا. تكلمي تكلمي

جاني ــ ميراي ميراي

ريشار ــ ميراي؟ دوماً ميراي. اين هو لاصبَّ غضبي على راس رجل لا على راس امرأة

جاني ــ قد سار الى لندن فعفواً عنه وعني

ريشار ــ وماذا جرى

جاني ــ لقد اوقف المركبة ..

ريشار ــ وبعد وبعد. قولي فقد كاد ينشقُّ صدري

جاني ــ وبعد ذلك تبارزا. وقتل ميراي طمسن

ريشار ــ ويلٌ له

جاني ــ عفواً عفواً

ريشار ــ جاني جاني احميّ

جاني ــ ها. هذا صوت مركبة

ريشار ــ نعم وهي قادمة بزوجتي واسرتها

جاني ــ (بجنون) زوجتك وانا من انا اذاً

ريشار ــ بغضب شديد) انت.. انتِ ملاكي الشرير. انت الهاوية التي ستبتلع

جميع آمالي . انت الشيطان الذي يدفعني الى ارتكاب جناية

جاني ـ آه يا الهي

ريشار ـ وليس الذنب ذنبي بل ذنبك لانني سالتك الرضى بالطلاق فأبيت . سالتك السفر من انكلترا فلم تسافري

جاني ـ الآن ارضى . ارضى بكل ما تريد

ريشار ـ الآن قد فات الوقت

جاني ـ فماذا تصنع اذاً ؟

ريشار ـ لا اعلم وانما صلي . .

جاني ـ (مذعورة) ريشار . ريشار ماذا تقول

ريشار ـ اسكتي . الا تسمعين صوت اقدامهم . آه . انهم سيدخلون ويجدون امرأة عندي . . فماذا اقول لهم

ثم هجم ريشار على جاني فصاحت جاني : المعونة المعونة . . اليَّ اليَّ . فامسك بها ريشار وقال : اسمعي . يجب حين دخولهم الى هنا ان لا يجدوك في هذا المكان

جاني ـ ارحمني . ارحمني

ريشار ـ رحمتك كثيراً فلم تنفع رحمتي

ثم اخذها كالوحش الكاسر فسدَّ فاها بكفه وحملها وهي تضطرب وتختلج للتخلص منه ثم تقدم بها من الشرفة المطلة على الحديقة والقاها منها الى الارض من ذلك العلو الشاهق . وبعد ذلك عاد من جهة الشرفة وصفرة الموت تعلو وجهه والعرق يكسو جبينه

وان القلم ليقصر عن وصف هذا العمل الوحشي فنكتفي بما ذكرناه في احد الفصول السابقة وهو : اذا لم يكن الرجل العظيم عادلاً مستقيماً كان وجوده آفة وويلاً على الجنس البشري

ولم يكد ريشار يلقي الشهيدة جاني من الشرفة الى الحديقة حتى قُرع الباب . وكان القادمون المركيز سيلفا وامرأته وابنته العروس ووزير المالية وقد جاءوا لكتابة عقد الزواج فلما دخلوا عليه قال له المركيز عفواً اذا كنا قد ازعجناك ايها السر ريشار لاننا راينا الباب مقفلاً عليك . فاجاب ريشار متلعثماً اهلاً وسهلاً . . لا لم اقفل الباب . وانما لا اعلم كيف كان المفتاح في الداخل . فقدم اليه المركيز زوجته وابنته ثم قال له : اني اراك اصفر اللون فهل تشكو ألماً . فاجاب متلعثماً . انا اصفر الوجه ؟ . هذا امر عرضي . تفضلوا

واجلسوا . فقال المركيز لقد تفضل سعادة الوزير ورضي بان يكون شاهداً للعروس فهل لديك شاهدك . فقال ريشار لسنا في حاجة الى شهود . فلنوقع على صك الزواج . ثم تناول قلماً للتوقيع . فقال المركيز . ما ليدك ترتجف ياسر ريشار . فاجاب . يدي ترتجف؟ لا ولكنك انت ترى ذلك

ولما همَّ ريشار بالتوقيع على صك الزواج واذا بصوت من الباب يصيح به : ينقصك شاهد للزواج يا ريشار . فهاءنذا

وكان صاحب الصوت ميراي نفسه وقد عاد من لندن . وفي اثناء مروره بالحديقة رأى فيها جاني المسكينة جثة باردة ففهم السبب وهرع بجنون ليرى قاتلها

. فالتفت اليه ريشار وقال بثبات جأش : سواء لدي انت ام رجل سواك . ثم دنا منه وقال همساً اياك ان تلفظ كلمة

ميراي ــ لا تتهدد . بل اترك التهديد لي

ريشار ــ « بغضب » وماذا تريد يا رجل ؟

ميراي ــ اخفض صوتك

ريشار ــ « بغضب » باي حق تطلب هذا الطلب

ميراي ــ انظر الى الشرفة ...

ريشار ــ « مذعوراً » اخفض صوتك

ميراي ــ انت تعلم ماذا اقدر ان افعل بك بكلمة واحدة

ريشار ــ ولكنك لا تقولها

ميراي ــ لماذا

ريشار ــ لانه لو لم يكن هناك مانع يمنعك لقلتها

ميراي ــ ريشار ــ لا اسكت عنها الاَّ على شرط واحد

ريشار ــ وما هو

ميراي ــ ان تعدل عن الزواج بهذه الفتاة لامرٍ ذي شأن وتستعفي من مجلس العموم ثم تهجر لندن وتذهب معي الى مكان منفرد . انت لتندم . وانا لابكي

ريشار ــ انني ارفض طلبك

ميراي ــ رفضاً قطعياً ؟

ريشار ــ « ملتفتاً الى المركيز» وقع على الصك يا سيدي المركيز

وقد كان هذا الجدال بين ريشار ومبراي على انفراد فلم يسمعه احد غيرهما من الحاضرين فلما سمع مبراي كلام ريشار قال له : قف وعد الى رشدك والا ندمت حين لا يجدي الندم

ريشار ــ (للمركيز) وقع يا سيدي

فصاح هنا مبراي باعلى صوته : مركيز سيلفا مركيز سيلفا

المركيز ــ ما تريد ؟

مبراي ــ اتذكر قرية درلتن

المركيز ــ ماذا تقول ؟ . . .

مبراي ــ اتذكر تلك الليلة التي وصلتَ فيها الى تلك القرية وانت تفتش عن فتاة مخطوفة

المركيز ــ الزم الصمت يا سيدي . . .

مبراي ــ لا تخف فانني لا اذكر اسمها لانني احترمها . اتذكر انها وضعت في تلك القرية غلاماً

المركيز ــ وبعد

مبراي ــ انك لم تشاهد ابا ذلك الغلام الا برهة ولكن ذلك كاف لان تعرفه . . انظر اليّ

المركيز ــ آه . انت هو . .

مبراي ــ نعم انا هو .

المركيز ــ فاذاً انت . . .

مبراي ــ الجلاّد . (ثم اشار الى ريشار) وهذا ابني

فقامت هاضجة في المكان . والتفت ريشار مصعوقاً نحو مبراي وقال بغضب : انت ابي ؟ وكيف تثبت ذلك بل اي فخر لي بان تكون ابي . وهل من دلائل الابوة ان تقف كل يوم في وجهي لمعاكسة اعمالي وتخييب آمالي . كلاّ انا لا اعرفك يا رجل ولا اريد ان اعرفك

مبراي ــ كان لي عليك ايها الشاب حق الاحترام لشعري الابيض فقط . اما الآن فصار لي عليك حق الابوة ايضاً . فاخفض من كبريائك يا ريشار درلتن الطامع المتكبر واحترم حقي الطبيعي

ريشار ـ ولكن اذا كنت ابي فاين امي . اين تلك المرأة الملعونه التي هجرتني منذ ولادتي
وكانت اللادي ويلور زوجة المركيز سيلفا ترتعد ارتعاداً في اثناء الكلام المتقدم .
فلما سمعت ريشار يقول هذا القول انطرحت جاثية امامه وصاحت : ريشار لا تلعني
فصاحت ابنتها المس ويلور ـ ريشار اخي
فقال مبراي ـ نعم هذه امك وهذه اختك من امك وكادت تكون زوجتك وهذه
زوجتك الحقيقية . وهنا دخل ثلاثة من الخدم يحملون جاني مضرَّجة بدمائها وهي مغمى عليها
ولما وضعت على المقعد افاقت وقالت بصوت ضعيف ـ آه انني اموت
ريشار ـ (وقد دنا منها) جاني جاني احيي فاني احبك (١)
جاني ـ (منتبهة وقائلة بصوت ضعيف) ريشار . هذا انت؟ تحبني ؟ . وزوجتك
الجديدة ؟
ريشار ـ هذه اختي لا زوجتي
جاني ـ كيف ؟
ريشار ـ نعم اختي اختي وليس لي من زوجة غيرك
جاني ـ آه هنيئاً لك . فانك وجدت اهلك . اما انا فانني ذاهبة الى اهلي . . آه
يا امي
ريشار ـ جاني هل تغفرين لي
جاني ـ آه . قل لي اولاً . احقيق انك صرت تحبني
ريشار ـ بدون شك
جاني ـ « بصوت ضعيف متقطع » اذاً اموت مستريحة . . راضية . . غفر الله لك ياحبيبي
قالت هذا القول ثم اغمضت جفنيها ولفظت روحها
فقال احد الحاضرين ـ هكذا فليكن حب الزوجات وطاعة النساء
وقال قائل آخر ـ ان عيناً خفية تسهر على حرية الشعوب
وقال قائل ثالث ـ (مشيراً الى جثة جاني) ولكن قد تسقط في هذا السبيل ضحايا
تتصدع لها القلوب « تمت الرواية »

---

(١) هنا كان الجمهور يضحك بالرغم منه لكلام ريشار الثقيل . وهذا الضحك وان كان في غير محله الا انه يدل على ان روح الجمهور وان كانت ساذجة قد فهمت ما في هذا الكلام من الدناءة واللؤم

صوت من بعيد
٣
هل في افريقيا وآسيا حركة اسلامية مركزها مصر

الجامعة الاسلامية

هذه تتمة البحث الذي بدأنا به في الجزئين السابقين بشأن مصر واحوالها السياسية

❋ مزيتان لهذا العصر ❋ يمتاز هذا العصر بحركتين . الاولى حركة عمومية والثانية حركة خصوصية . اما الحركة العمومية فهي قيام فريقين من الناس للدعوة الى تآخي الشعوب وابطال الحروب . غير ان لكل فريق منهما طريقاً تخالف طريق صاحبه . فاحدهما وهو حزب الاشتراكية يقول ان الناس في كل امة آكل ومأكول . وظالم ومظلوم . فطبقة النبلاء واصحاب المال تسخر لمصالحها طبقة الشعب والعمال وتستقطر دماءها استقطاراً في مقابلة اجور تافهة . وهي لا تحجم عن اثارة الحروب وايقاظ الفتن اذا كانت مصالحها المالية تقتضي ذلك وفي زمن الحرب تجلس بجبن في قصورها عاكفة على ملاهيها في حين ان الشعوب تتناحر وتتجازر في ساحة القتال . فعلى الشعوب اذاً ان تصحو من رقادها الطويل الذي دام قروناً عديدة وتتحد في كل امة وكل مملكة لمقاومة هذه المطامع والفظائع . وقد وضعوا لهذه المقاومة طريقين . الاولى داخلية ومقتضاها اجتماع العمال وتأليفهم جمعيات يسمونها « سنديكا » لتكون المدافعة عنهم لدى اصحاب الاعمال والوسيط لديهم في كل ضرر ينال عمالهم . وقد اضطرت الشرائع الاوروبية والاميركية الى الاعتراف بسلطة هذه الجمعيات واعتبرتها ممثلة للعمال وان ساء ذلك اصحاب الاعمال . والسلاح الاحد في ايدي هذه الجمعيات انما هو مسألة الاعتصاب المشهورة التي تُرغم بها اصحاب الاعمال على الرفق بعمالهم وتحسين احوالهم وكف الاذى عنهم . والطريقة الثانية خارجية وهي ان الشعوب والعمال لما رأوا ان عدوهم واحد وهو طبقة الاقوياء الذين يبتزونهم ويسخرونهم كالحيوانات وجدوا ان مصلحتهم هي في تضامنهم واتحادهم على اعدائهم في الداخل . فاصبحوا يمدّون ايديهم بعضهم الى بعض من امة الى امة من فوق الحدود والاسوار التي تفصل الممالك والامم بعضها عن

بعض. ولذلك سموا انفسهم « امميين » والفوا لجنة دائمة دعوها « اللجنة الاشتراكية الاممية » لادارة شؤونهم المختلطة . ومن حين الى حين يعقدون مؤتمرًا عامًا يمثل جميع الاشتراكيين من الامم ويتباحثون في هذا المؤتمر كاعضاء حزب واحد. ولا يزال يدوي في الآذان حتى اليوم صدى خطبة بيل زعيم الاشتراكيين الالمان ضدّ جوريس زعيم الاشتراكيين الفرنسويين وذلك في مؤتمر امستردام منذ عامين حيث اخذ بيل على جوريس اتفاقه مع طبقة اصحاب المال في فرنسا لسن الشرائع الديموقراطية . فهو لا يرضى بهذا الاتفاق وان اثمر شرائع ترضى عنها الاشتراكية . وقد رأى هذا المؤتمر رأي بيل فغير جوريس بعد قراره هذا شيئًا من سياسته العمومية . وكلما اعترض على الاشتراكيين خصوصًا في فرنسا بانهم موالون للالمان اعداء وطنهم ومخدوعون بهذا الولاء الذي يجرّ على فرنسا البلاء ويضعف وطنية نابتة الفرنسويين فيجيبهم جوريس اننا في الازمات الصعبة بين فرنسا والمانيا سنؤثر على المانيا باتفاقنا مع اشتراكييها تاثيرًا لا تؤثره عشرة جيوش حربية لانهم سيكونون اعوانًا لنا ضدّ الحرب اذا خطر لالمانيا اثارة حرب عدوانية علينا اذ من مبادئ الحزب الاشتراكي مقاومة كل حرب تقصد بها الامة الاعتداء على امة اخرى لا الدفاع عن نفسها. واليك دليلاً اوضح من هذا على قوّة هذه الحركة فان المسيو جوريس زعيم الاشتراكيين في فرنسا كتب منذ بضع سنوات كتابًا الى صديق له اشتراكي في ايطاليا يقول فيه : ان المحالفة الثلاثية « بين ايطاليا والمانيا والنمسا » كانت ضرورية لموازنة حماسة الحزب الفرنسوي الذي يريد الحرب . فلما نُشر هذا الكتاب ادمت صاحبه جرائد فرنسا الغير الاشتراكية طعنًا ونقدًا

هذا احد الفريقين اللذين يدعوان الى السلم العام. واما الفريق الثاني فانه يدعو هذه الدعوة ولكن من طريق أُخرى اسلم واحكم . ونريد بهذا الفريق اعضاء « حزب السلم والتحكيم العام » الذي يرى ان جميع المشاكل التي تقوم بين الحكومات وتثور بسببها الحروب يمكن فضها بالتحكيم الدولي بدل اراقة الدماء وتعطيل مصالح الناس . وانصار هذا الحزب آخذون في الازدياد وهم من خيرة الساسة والعلماء والاقتصاديين في كل امة. واول اغراضهم اليوم (ايقاف التسليح عند حده الحالي اولاً . ثم عقد الدول مؤتمرًا لتقرير تركها السلاح تركًا نهائيًا جميعها معًا) . وان في هذه الكلمة (جميعها معًا) امرًا خطيرًا لان خصوم هذا الحزب يقولون كلما دعا الحزب الى مبادئه ان دعوته هذه الى تجريد وطنه من السلاح تؤول الى جعل بلاده طعمة لكل آكل ولذلك يقول لهم (جميع الاوطان معًا)

هذه هي الحركة الاولى العمومية المزدوجة التي هي من مزايا العصر الحاضر . وهي حركة سلم واخاء . اما الحركة الثانية التي تقدمت الاشارة اليها وتُعد ايضاً من مزايا هذا العصر فهي حركة تكاد تكون ضدّها . ونعني بها حركة (الجامعات) ففي العالم الآن عدة حركات مرماها الى تاليف جامعات خصوصية . فهناك (الجامعة السلافية) و (الجامعة الجرمانية) (والجامعة اللاتينية) و (الجامعة الانجلوسكسونية) « والجامعة الصفراء » اي بين الجنس الاصفر في الصين واليابان . « والجامعة السوداء » في افريقيا « والجامعة الاسلامية » التي عليها مدار الكلام في هذا الفصل

❋ غرض هذه الجامعة ❋ وقبل البحث في نفع هذه الجامعات او ضرّها يجب ان نبحث في غرضها . واننا نرى غرضها يختلف باختلاف عناصرها ومبادئها وكيانها السياسي . فغرض الجامعة السلافية ضمّ جميع الشعوب التي هي من اصل سلافي تحت جناحي النسر الرومي وهذا هو السبب في احتضان روسيا السرب والبلغار . وللمانيا غرض مثل هذا الغرض من جامعتها الجرمانية في النمسا على الخصوص . واما الجامعة الصفراء فغرضها التعاون على كف ايدي اوروبا عن المداخلة في شؤونها . واما الجامعة اللاتينية والسكسونية فغرضها اتفاق معنوي او محالفة فعلية بين العناصر التي تتالف منها كل واحدة من هاتين الجامعتين . وبناء على ذلك يكون في هذه الجامعات ما هو جائز في عرف السياسة والعدل كالجامعة الصفراء والجامعة اللاتينية والسكسونية لانها لا تعتدي على حقوق الامم ولا تخالف عرف السياسة والعدل ومنها ما هو غير جائز كالجامعة السلافية والجرمانية التي يقتضي العمل بها المداخلة في شؤون داخلية لدولة أُخرى مما يجلب الاضطراب ويثير الفتن بين البشر

فانت ترى في ما تقدم انه من الجائز للامم ان تتفق فيما بينها على غيرها دفاعاً عن مصالحها . وان « الجامعة الاسلامية » التي كثر الكلام فيها في هذا الصيف في اوروبا ومصر ليست ببدعة جديدة في الارض . ونحن ناظرون الان نظراً اجمالياً لنرى باي شيء تتفق مع تلك الجامعات وباي شيء تختلف عنها . لان الحكم في جوازها او عدم جوازها انما يتوقف على الحكم في هذا الامر

❋ وجوه الوفاق والخلاف ❋ يظهر لنا ان الجامعة الاسلامية تتفق مع اكثر تلك الجامعات في اشياء وتختلف عنها في اشياء . اما الوجوه التي تتفق فيها مع تلك الجامعات فاخصها وجهان الوجه الاول ان غرضها اولاً الدفاع عن نفسها وثانياً الرغبة في

السيادة الدنيوية بواسطتها (١) فهي آلة دفاع وهجوم . والوجه الثاني كونها مثلهـا متفرقة بين عدة امم اسلامية وحكومات مختلفة وافرادها يُعدون بالملايين . واما الوجوه التي تختلف فيها الجامعة الاسلامية عن تلك الجامعات فاخصها وجهان   الوجه الاول من حيث اسمها وروحها. فان اسمها يجعل صبغتها دينية محضة . خلافاً للجامعة الجرمانية مثـلاً التي هي جامعة جنسية محضة . واذا كانت الجامعة الاسلامية آلة سياسية لا دينية كما ذكرنا ذلك في المقالات السابقة فانما هي كذلك عند الخواص الذين يديرون حركتها وهم قلما يجسرون ان يجهروا بذلك لانهم يقطعون الطريق على انفسهم اذا جهروا به لان الحكومات التي تحكمهم او التي لمصالحها التصاق بمصالحهم تتصدى لهم بحجة اثارتهم الافكار واستعمالهم المبادىء الدينيـة وسيلة لغرضهم السياسي . بل هناك امر اعظم من هذا . وهو ان كلامهم لا يؤثر في جمع الشعوب الاسلامية المختلفة المصالح والعواطف الا من الوجه الديني . فاذا علم الشعب ان غرضهم السياسة لا الدين والدفاع عنه واعلاء كلمته على كلمة اي دين غيره فانه قلما يتأثر لكلامهم او يتبعهم . فالخلاف بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجرمانية خلاف عظيم من هذا القبيل . ولعلّ هذا هو السبب في ان اوروبا تجد الجامعة الاسلامية امراً مستقبحاً عندها مع كونها تجد الجامعة الجرمانية امراً معقولاً . وكلما قالـــ لها اصحاب الجامعة الاسلامية ان عملهم مبنيٌّ على العدل والحق لانهم انما يطلبون انهاض انفسهم واسعاد احوالهم ليكون لهم اسوة بسائر الامم اجابتهم ان مطلبكم معقول مقبول وهو من حقكم ولكن طريقكم اليه طريق غير مقبولة لاننا نحن الاوروبيين لا يمكننا ان نفهم كيف يمكن انهاض الامم بالدين ولا عقولنا تُدرك كيف يمكن ان تكون علاقة بين الفارسي مثلاً والعربي مع كونهما من جنسين مختلفين محكومين بحكومتين مختلفتين مستقلتين . فيلزم عن ذلك ان يكون لكم غرض غير طلب الاستقلال وتأييد جنسيتكم وتاريخكم ونظن ان هذا الغرض هو اجتماعكم علينا كما في سنة الضعفاء مع الاقوياء . ففي هذه الحالة لا نلومكم لان الحياة جهاد يفوز بها الاقوى . وانما نعتبر جامعتكم هذه ضدّنا وعملكم لربط بعضكم ببعض عملاً لا تقصدون به غير العدوان علينا. فلا تلومونا

---

(١) المراد بقولنا « الدنيوية » ترجمة كلمة Mondial التي وضعها الامبراطور غليوم في احدى خطبه اصلاً لسياسته حيث قال ان سياسة المانيا Mondial ومراده سياسة السيادة في الدنيا

اذا نظرنا الى جامعتكم شزرًا

ووجه الخلاف هذا يجرنا الى الوجه الثاني من وجوه الخلاف بين الجامعة الاسلامية وتلك الجامعات . فالجرمانيون في النمسا مثلاً انما يتمسكون بالجامعة الجرمانية لرغبتهم في الانضمام الى جرمانيا لانهم من اصلها وتمنيهم ان يكونوا محكومين بالشرائع الجرمانية والروح الجرمانية والتاريخ الجرماني لانها شرائعهم وروحهم وتاريخهم . واما الجامعة الاسلامية في فارس وتركيا وامارات الهند المستقلة وافغانستان ومراكش فليس لها غرض كهذا الغرض لانها محكومة بشرائعها الخصوصية وباحكام تاريخها. فلها اذًا غرض آخر غير الرغبة في المعيشة بحسب مزاجها وارادتها . وفضلاً عن ذلك فهي من اجناس مختلفة بين عجمي وعربي وتركي وهندي ولا مصلحة تربطها بعضها ببعض غير ضغط اوروبا ورغبتها في النهوض من عثرتها. وافترض انها خلصت من ذاك الضغط ونهضت من عثرتها فانها لا تلبث ان تتفرق كلمتها وتتخالف وتتنافر وتتحارب كما كانت في الزمن القديم يوم كانت سائدة قوية ولم يكن امامها اقوياء ينازعونها البقاء . فرغبتها اذًا في الانضمام بعضها الى بعض انما هي رغبة وقتية لا دائمة كما هي الحالة في جرمانيا

﴿ تاريخ نشأة الجامعة الاسلامية ﴾ ان السياسي الفرنسوي غبريل شارم يرجع تاريخ نشأة الجامعة الاسلامية الى عام ١٨٨٠ . فانه قال في تاريخه «مستقبل تركيا» ان اوروبا كانت يومئذٍ تحرّض اليونان سرًّا وتمدّها بالمال والسلاح لمحاربة تركيا توصلاً الى سلخ ولاية تساليا عنها قبل تحديد التخوم بينهما . وبينما كانت اليونان تهدّد الباب العالي بقطع العلائق السياسية اذا لم يعتبر ولاية تساليا داخلة في الحدود اليونانية كانت امارة الجبل الاسود تهدده بمثل ذلك التهديد اذا لم يسلّمها مدينة دلسينو في حدودها . واساطيل الدول تستعد لمظاهرة حربية ارغامًا للباب العالي على هذا التسليم . وفوق ذلك تحركت الصرب واخذت في حشد جيشها لتصطاد في الماء العكر . وكان الباب العالي يمانع اشد ممانعة ويدافع عن املاكه دفاعًا شديدًا . ولكنه لما رأى الفتنة في تونس واستعداد فرنسا للمداخلة الفعلية فيها هان عليه التسليم بكل شيء لليونان والجبل الاسود تفرغًا للمسألة التونسية . ولما احتلت فرنسا تونس وجاءت انكلترا تحتل مصر ضاعت ثقة جلالة السلطان باوروبا وبعدالتها فاخذ يلتمس له سندًا قويًا في آسيا ضدّ القوة الاوروبية التي كانت عازمة على اكل مملكته كما يؤكل الخرشوف ورقة ورقة . فاصبح الناس يقرأون في التلغرافات اليومية اخبارًا

كالخبر الآتي « يقال ان شريف مكة قد اشار على جلالة السلطان بنشر اللواء النبوي واعلان الجهاد » ولكنهم لم يلبثوا ان كذبوا هذا الخبر . على ان هناك خبراً آخر اقتبسناه من جرائد سنة ١٨٨٠ وهو رسمي لانه ورد في التلغراف عن لسان وكيل وزارة الخارجية الانكليزية وهذا نصه :

« لندن ٢٨ اغسطس (آب) »

« اثبت السر شارلس ديلك وكيل وزارة الخارجية وجود جريدة تطبع في المطبعة السلطانية بالاستانة تنشر في بلاد الهند خاصة متضمنة مقالات مهيجة للشعب على الحكومة الانكليزية وان الجناب السلطاني ينفق عليها من ماله . ولكن اجابة لطلب المستر غوشن الشديد « وهو السفير » امتنع الجناب السلطاني من اداء النفقة المذكورة فتعطلت الجريدة »

فيظهر من قوله « الهند خاصة » ان المقاومة كانت موجهة بالاكثر الى الدولة الانكليزية لانها كانت اشد الدول على الدولة العثمانية . واليك ايضاً خبراً آخر مقتبساً من جرائد تلك السنة (١٨٨٠)

« روت جريدة الطان عن مراسلها في برلين ان احد كبار الدولة وضع تاريخ الخلافة الاسلامية ورفعه الى الجناب السلطاني فسرّ بتلاوته وتأثر منها تأثراً شديداً حتى انه عزم على مقاومة اوروبا ورفض تداخلها في امور مملكته . وقد تم تعريب هذا الكتاب وأُرسل منه عدة نسخ الى البلاد الحجازية وآسيا الصغرى فتولد عنه ما شاع من ان امير المؤمنين سينشر العلم النبوي ويأمر بالجهاد المقدس للدفاع عن الوطن »

على انه ولئن كان في هذه الاخبار شيء من المبالغة الا ان مستقرئ تاريخ حوادث ذلك العام وما يليه لا يُحسب بعيداً من الصواب اذا حكم بان فكرة (الجامعة الاسلامية) انما نشأت في تلك السنة (ستأتي البقية)

﴿ الى حضرات المشتركين ﴾ ترجو دارة المجلة من المشتركين الذين لم يبعثوا اليها بقيمة اشتراكهم في المجلة سواء كان ذلك في اميركا الشمالية والجنوبية او خارجها ان يتفضلوا بارسالها اما حوالة على البوسطة او شك على بنك او اوراق مالية اميركية في كتاب مسوكر او حوالة على احد تجار نيويورك ولهم الشكر مقدماً

﴿ اصلاح خطأ ﴾ ورد في الصفحة ٢٨٣ السطر الثاني (زوجة المركيز سيلفا) والصواب (ابنته)

رسائل ومسائل

دعوة للمهاجرين في اميركا

زارع سوري يدعو المهاجرين الى الزراعة
والجامعة تعضد دعوته (١)

حضرة صاحب مجلة الجامعة الغراء

اطلعتُ في الجزء السادس على حاشية من الجامعة تطلب فيها افادات بشأن الفلاح السوري في اميركا . ولما كنت ممن لهم معرفة بحالة الزارع السوري الاميركي لانني اتخذت الزراعة حرفة لي مدة سبع سنوات في هذه البلاد فقد بادرت الى اجابة طلبكم

الامتلاك بحق الاقامة قدمت الى هذه المقاطعة « Oklahoma » او « ارض الجمال » حيث بلغني من بعض الاميركان انها بلاد فتحت حديثاً ورغبة من الحكومة في تعميرها وجلب الناس اليها اعلنت ان كل شخص بالغ الرشد يحق له امتلاك مئة وستين فداناً من الارض اذا سكن فيها خمس سنوات دون ان يدفع شيئاً ثمناً للارض . بل انه يصلحها ويغرسها بالاشجار ويجني ارباحها بجده وتعبه وبعد السنوات الخمس المذكورة تسجلها الحكومة باسمه اي تجعل له حق ملكها ليتصرَّف بها كما يشاء . فحين حضوري وجدت خمس عشرة عائلة سورية في هذه الانحاء وهم مسجلون اسماءهم على اراضٍ فسيحة فسجلت اسمي مثلهم . وقد جاء مهندس الحكومة المعين لهذا الغرض ورسم لنا حدود الاراضي التي

(١) ان الجامعة بعد شكرها حضرة المراسل لرسالته المفيدة ترجو من جمهور المهاجرين في اميركا والذين ينوون القدوم من الشرق اليها ان يطالعوا هذه الرسالة بتأمل وامعان . ونكرر رجاءنا ثانية الى الذين يشتغلون بالزراعة في هذه البلاد ان يتحفوا الجامعة بكل ما يعلمونه بشأن هذا الموضوع فيكون لهم الفضل في اثارة مسألة يجب ان توجه افكار المهاجرين اليها خصوصاً اصحاب رؤوس المال الصغيرة

رشحت لملكيتنا فعرف كلٌ منا نصيبه وحده . ومنذ ذلك الحين شمرنا عن ساعد الجد فبنينا بيوتاً لاقامتنا وسيجنا اراضينا وبدأنا بالعمل . وبما اننا كنا نجهل فن الزراعة فقد كنا نستشير فيه جيراننا الاميركان فتدرب القسم الاكبر منا عليه وارينا الاهالي والحكومة نشاطنا ومقدرتنا على العمل فنظر الينا اولياء الامور بعين الاكرام واصبح لنا رأي عندهم

﴿ بعد السنوات الخمس ﴾ في السنة الاولى والثانية من شروعنا في الزراعة لم نجن شيئاً يذكر لاننا كنا مهتمين باصلاح الارض . وفي السنة الثالثة غرسنا البساتين وزرعنا القطن والذره والبطاطا والبصل وغيرها فنتج لنا منها حاصلات غزيرة وارتفعت اسعار الاراضي وعمرت تلك الجهات بالسكان بعد ان كانت خاوية خالية لا يسكنها انس ولا جن . ولما رأت شركة السكة الحديدية اننا بحاجة لنقل حاصلاتنا مدت سكة حديدية من تشاكشه الى منغم على بعد ثمانية اميال من اراضي السوريين فزاد هذا الامر في تحسين قيمة الاراضي وتسهيل نقل الحاصلات . وفي السنة الرابعة شحنت بشركة احد الزراع كاراً من البصل زنته خمسمائة بشل وذلك لمدينة دنفر كاليردو . وهو اول كار من حاصلات « كرار » Greer Co. شحن للخارج

وفي السنة الخامسة دخلنا في الجنسية الاميركية وسجلت لنا الحكومة من تلك الاراضي لكل واحد ١٦٠ فداناً . وكانت اغلال تلك السنة اغزر من الاولى . فباع البعض منا اراضيهم وسافروا للوطن . والبعض باعوا وسافروا لجهات تكساس للتجارة . وهذه حالة اغلب السوريين في هذه الجهات . فهم متى تيسر حالهم يسافرون للوطن فاما انهم يبنون المنازل فيه واما انهم يتزوجون هناك ويعودون الى هذه البلاد لتعاطي التجارة . وبذلك يرتكبون خطأين الاول اضاعتهم في سياحتهم هذه اموالهم التي جمعوها بعرق القربة اما على بناء منازل لا فائدة منها ولا ربح او بالاسراف في النفقة في مسقط رأسهم . والثاني قطعهم اعمالهم واشغالهم بعد ان يكونوا قد وصلوا فيها الى درجة يمكنهم الاستفادة منها في المستقبل فائدة كبيرة لو لم يقطعوها

﴿ هواء مزارعنا ﴾ هو هواء نقي موافق للصحة « والمناخ » عندنا يشبه مناخ اراضي الجولان في سوريا ومياهنا عذبة وان كان بعضها مالحاً

﴿ حاصلات زراعتنا ﴾ حاصلات زراعتنا هي القطن وهو المعتمد عليه بالاكثر والقمح والشعير والذره الصفراء والحمراء والبيضاء وقصب السكر والمكانس والبصل والبطاطا والبطاطا الحلوة . وكل ما يزرعه الانسان ينمو في هذه الاراضي ويجود . اما اشجارها فقليلة

ولا يوجد فيها اشجار غير التي غرسها سكانها كالدراق والمشمش والاجاص والعنب والسفرجل والتفاح والخوخ والحور واللوكس . وقد كانت غلال السوريين في سنة ١٩٠٥ من القطن مائتي بالة زنة البالة محاولة ٥٠٠ بوند وقد بيعت باسعار جيدة من ٩ سنس الى ١٢٫٥ كل بوند . اما الذره الصفراء فكانت غلتهم منها الي بشل ومن البيضاء والحمراء ثلاثة آلاف . وقد زرعنا في هذه السنة القمح والشعير فعاد علينا منها غلة جيدة . فقد كانت غلة آكر الشعير من ٤٠ الى ٨٥ بشلاً . وآكر القمح من ٢٥ الى ٣٥ بشلاً . اما القطن والذره الصفراء فلم نجنها بعد وغلتها في هذا العام اضعاف غلتها في السنة الماضية

﴿ المتاجرة بالاراضي . دعوة الى التجار ﴾ ولقد ارتفعت اسعار الاراضي هنا وفي كل بلاد زراعية تعمر من جديد ارتفاعاً هائلاً فصارت القطعة ١٦٠ آكراً تباع من الفي الى خمسة آلاف ريال بحسب موقعها بعد ان لم تكن شيئاً مذكوراً . وعليه فالفلاحة في هذه البلاد تأتي بثمرة جيدة اذا كان الرجل رجل حزم وعزم ولا يعرف الكسل . والعكس بالعكس . ويا حبذا لو انتبه تجارنا الاغنياء الى احد امرين الاول — الاقدام على احياء الاراضي المائتة هنا وامتلاكها باتفاقهم مع بعض الافراد فان ذلك يعود عليهم بارباح هي اضعاف فوائد اموالهم . فانهم كلهم من الكبير الى الصغير لا يفكرون بغير التجارة باصناف محدودة معلومة كثرت المزاحمة فيها وقلت ارباحها . ويعيشون بين اربعة جدران كل حياتهم بتعب ونصب وركض واهتمام يضني الجسم . اما الزراعة فاذا احسنت ادارتها خصوصاً بحسب الطرق العلمية الحديثة كانت اربح لهم فضلاً عن معيشتهم في هواء نقي يطيل العمر وينمي الجسم وينقي الخاطر وسط المزارع الخضراء والاشجار والازهار والطبيعة الجميلة . والامر الثاني الذي ادعوهم اليه اذا تعذر عليهم الميل الى الامر الاول مع ان كثيرين من اكابر الاغنياء الاميركيين هم من اكابر المزارعين هو المتاجرة بالاراضي المذكورة . فان ارتفاع اثمانها عاماً عن عام يجعل ربح التاجر من تجارته بها في عام واحد من ٢٥ الى ٧٥ في المائة . وهذا امر اختبرته بنفسي . وقد قدم الى هنا منذ سنة شقيق لي في نيويورك وابتاع ارضاً بقيمة ثمانمائة ريال . والآن ارتفع ثمنها الى ثلاثة آلاف ريال . فتأمل

Mangum Oklahoma, T. شاكر سالم الخوري

﴿ الجامعة ﴾ نؤمل من حضرات القراء اذا كان لاحدهم اعتراض على ما تقدم نشره في هذه الرسالة ان يبعث به الينا ونسدي الشكر لحضرته مقدماً . ثم نرجو من حضرة المراسل او غيره ان يجيبنا على الاسئلة التالية افادة للذين يهتمون بهذا الموضوع «١» ما هو رأس

المال اللازم لاصلاح وزراعة المائة وستين اكرًا التي تمنحها الحكومة لطالبها «٢» هل يستطيع الزارع اذا لم يكن في يده رأس المال المذكور ان يستقرض المال على الارض المذكورة او على تعبه فيها من اناس قريبين منها «٣» هل الامن سائد في جهاتها ولا خوف على حياته وعلى ثمرة تعبه هناك من سطو او اعتداء · «٤» اذا اراد الزارع ان يأخذ لنفسه اكثر من ١٦٠ اكرًا لاصلاحها وزراعتها فهل يؤذن له بذلك «٥» هل من ضريبة للحكومة على تلك الارض وما هو مقدارها «٦» بكم نقدر نفقة الشخص الواحد في السنة هناك بقطع النظر عن نفقة الارض والزراعة «٧» هل يمكن لمحترف الزراعة هناك ان يحترف حرفة اخرى معها

هذا وبعد الاخذ والرد في هذا الموضوع بين حضرات المراسلين اذا رأينا الخلاف شاسعًا بين آرائهم وسنحت لنا الفرصة سنذهب خاصة الى بعض مزارع السوريين في الداخلية لدرس حالتها ونشر ما يهم نشره عنها لعلّ الجامعة توفق الى خدمة المهاجرين اصحاب رؤوس الاموال الصغيرة خدمة تغنيهم عن الكشه واحوالها والاستخدام المميت القوى بتشجيعهم على عمل زراعي ينمي عقولهم وابدانهم ويصون آدابهم في بلاد انما هي قبل كل شيء بلاد زراعية تعطى فيها الارض مجانًا

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

هذا باب جديد نفتحه في الجامعة وننشر فيه اشهر الصور واعظم الرسوم الموجودة في متاحف اوروبا واميركا والقصور الكبرى · والنسخة الاصلية لكل واحدة من هذه الصور المنشورة في هذا الباب قد يبلغ ثمنها مئات الوف فرنكات · ورب صورة بلغ ثمنها مليون فرنك او اكثر · وفي اثنائها ننشر تاريخ الرجال الذين يرد الكلام عليهم وشيئًا من ترجمتهم · المصوَّرين والمصوِّرين

☼ نابوليون في يافا ☼ مطعونو يافا او نابوليون في يافا اسم رسم ثمين من اجمل الرسوم الفرنسوية · وقد رسمه الرسام كرو Gros الذي كان مرافقًا نابوليون في حملته على الشرق

وتفصيل الخبر ان نابوليون بعد ان فتح مصر زحف الى سوريا لفتحها ففتح بضع بلدان فيها حتى بلغ عكا فاستعصى عليه فتح حصنها . ولو تسنى له فتحه فربما كان تغير وجه المشرق. وقد كان في هذا اضعف من ابرهيم باشا المصري الذي تمكن من فتحه حين زحفه الى سوريا. ولما ارتد نابوليون خائباً كان التعب قد اضنى جنوده وفشا الطاعون بينهم في يافا وجدَّت امور وراءه فعزم على الجلاء عن سوريا والعودة الى مصر . فأمر بقتل المطعونين من جنده بحجة انهم لا يجدون بعد سفره في يافا غير العذاب والقتل . وقد عدَّ التاريخ هذا الامر الفظيع نقطة سوداء في تاريخ اعماله . اما هو فقد تمحل لنفسه غير مرة العذر ليبرىء نفسه من مسبة القسوة والهمجية

والرسم المنشور هنا رسم بضعة من اولئك المطعونين . وهو يمثل جامعاً في يافا حيث كان مستشفاهم وقد وقف نابوليون امام احدهم يجس باصبعه دمل الطاعون تحت ابطه كما ترى . ووراء نابوليون القائدان دي برتيه ودي بسيير .



مطعونو يافا

ونابوليون يجس باصبعه دمامل الطاعون في اجسامهم

والى يمينه مطعون عاري الجسم يسنده احد اهالي يافا وبجانبه طبيب عثماني من اطباء يافا يبدل لفائف جروحه . وفي الصف الاول الى اليمين في زاوية الرسم مطعون يلفظ روحه على ركبتي ماسكلت وهو جراح فرنسوي شاب صديق لكرو صاحب الرسم. وقد توفي بعد مدة بالطاعون . وقد عُرض هذا الرسم في معرض الرسوم في باريز في عام ١٨٠٤ فعدَّ من اخر الآثار التصويرية . وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز



يوسف يبيعه اخوته

وهو ينظر اليهم مستعطفاً حزيناً

✻ يوسف يبيعه اخوته ✻ قصة يوسف مشهورة في التوراة . فان اخوته باعوه لقافلة من الاسماعيليين حسداً له ثم ادعوا لدى ابيه يعقوب ان الذئب اكله . والاسماعيليون باعوه في مصر الى فوتيفار رئيس خصيان ملك مصر ووكيل اشغاله . وقصته مع زوجة فوتيفار مشهورة . وكذلك قصة سجنه وتعبيره حلم فرعون والقاء فرعون بعد ذلك ازمة الوزارة في مصر اليه . ثم مجيء اخوته الى مصر يطلبون القمح لاعمال ارضهم وتعريفهم بنفسه . والراجح ان حادثة يوسف هذه وقعت في زمن دولة الهكسوس في مصر . والرسم الذي نشرناه هنا يمثل اخوة يوسف وهم يبيعونه للقافلة الاسماعيلية ويوسف ينظر اليهم مستعطفاً حزيناً . وقد رسمه فلاندرين وهو موجود اليوم في كنيسة سان جرمين دي بره في باريز

✻ اجمل صورة نُشرت باللغة العربية ✻ هي صورة نيويورك المنشورة في صدر هذا الجزء مأخوذة بالفوتوغراف من منطاد في اعالي الجو . وتظهر فيها المدن الثلاث بتمامها وتبدو مباني نيويورك الشامخة والسفن التجارية الكبرى الراسية في احواضها في شاطيء النهر والمرفاء باقل من سنتيمتر . ويرى قراؤنا الكرام في ما ادخلناه على المجلة من التحسين من حيث رسومها وورقها وطبعها وزيادة صفحاتها واصدارها مرتين كل شهر بدلاً مرة واحدة اننا نبذل منتهى الجهد فيها . وكل ذلك نراه شيئاً قليلاً بازاء ما نراه من اعتنائهم بها واقبالهم على مساعدتها سواء كان ذلك بوفاء المجلة حقها من غير طلب من الادارة او بحث اصدقائهم على اقتنائها وارسال اسمائهم الينا . وقد وعدناهم في الجزء الرابع انهم سيسمعون عنها قريباً اخباراً تسرّهم وربما ذكرنا ذلك في الجزء التالي او الذي يليه على الكثير

صدر هذا الجزء من الجامعة زائداً عن حجمه الاعتيادي . فهو في ٦٠ صفحة

تدبير الصحة والمنزل

النساء وتدخين الرجال

قالت احدى السيدات لا اعلم كيف يمكن الرجال الذين يدّعون احترام السيدات ان يجلسوا بينهنّ ويضايقوهنّ بالتدخين واغيظ من ذلك ان بعض « الظرفاء » يخرج السيكارة من جيبه او يتناول « ليّ الشيشة » بيده ويلتفت الى السيدات ويقول « اكسكيوز مسز » اتسمحنّ يا ستات ؟ فماذا ينتظر ان يكون الجواب ؟ . . . فيشرع يدخن والسيدات يكاد يغشى عليهنّ من رائحة الدخان ولكنهنّ يكظمن غيظهنّ محتملات كعادتهن في كل الامور . وكم من السيدات يتركن الحفلة لشدة تضايقهن

والبعض يكرهن المدخنين كرهاً شديداً . من هؤلاء ان فتاة نظرت خطيبها يدخن ثاني يوم للخطبة فاشمأزت ونفرت واخذت تفتكر فاستاء الخطيب من سلوك خطيبته المجهول وظن انها نادمة فادّى ذلك الى نقض الخطبة

قالت احدى السيدات انا لا اكره الرجل الذي يدخن بشرط ان لا يدخن لدى سيدة سواء في الطريق او في العربة او في الترامواي او في القهوة او في البيت . لانني لا استطيع ان انظر رجلاً جالساً الى جانب سيدة سواء كانت امه او اخته او زوجته او اجنبية عنه وهو يدخن فان ذلك يدل على عدم اعتباره لها وعدم اكترائه براحتها . فان معظم الوقت له فيجب ان يخصص كل مدة وجودها معه لها ولراحتها . والسيدات لا يطلبنّ ذلك من الرجال الا لاعتقادهن بتمدن رجال هذا الزمان

يروى ان سيدة كارهة التدخين طلبت من زوجها ان لا يدخن في البيت فامتنع واكتفى ان يدخن في القهوة حين يكون وحده فقط . فكان حين يدخل البيت يلاحظ ان زوجته تخرج باسلوب خفي من الغرفة التي هو فيها فحين سألها سبب ذلك قالت انها لا تستطيع ان تشم رائحة الدخان ولا تريده ان يمتنع عنه لانه مغرم به . فلم تحتج اكثر من هذه الاشارة ومن ثم ترك التدخين بتاتاً

ولكن هناك فائدة واحدة للتدخين لكنها بغاية الاهمية تظهر من الحكاية الآتية وهي : بلغنا ان سيدات البوكر سيمتنعن عن اللعب لسبب مضايقة الرجال لهنّ بالتدخين على طاولة اللعب . ولقد قالت لي احداهنّ لا يكفي ان قلوبنا تحترق بسبب الخسارة والمماكسة حتى

يزيد الدخان عمي عيوننا · وربما كان التدخين احسن علاج لابطال البوكر فان صح ذلك فلا نعلم اي افضل ان يبطل لعب البوكر او التدخين ؟ (مجلة السيدات)

اجتذاب العالم الجديد

ابناء العالم القديم

نقولا افندي حداد في نيويورك يعرف قراء اللغة العربية حضرة الكاتب الفاضل نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني من عدة كتب اجتماعية وادبية وروايات مفيدة نشرها في السنوات الاخيرة · وهو من الكتاب المجدين النادرين الذين يهذّبون نفوسهم وقراءهم بالدرس والبحث والتأمل تشهد له بذلك كتاباته السهلة الرقيقة التي تشف عن اطلاع واسع ودقة نظر وكرم خلق · وهو من متخرجي الكلية الاميركيه في بيروت ونائلي شهادة الصيدلية منها · فلا عجب ان يختار البلاد الاميركية مقاماً له لانه يجد من اللذة والارتياح في الاقامة فيها ما لا يجده الذين لم ينشأوا على المبادىء الاميركية · ويسرنا ان ننشر لحضرات القراء وجمهور الادباء في الولايات المتحدة انه قد وردنا قبل صدور هذا الجزء كتاباً من حضرته يقول فيه انه اختار السفر من مصر الى نيويورك للاقامة فيها · اولاً لرخاء وجمال المعيشة في بلاد عظيمة كاميركا وثانياً لمزاولة صناعته الصيدلية في اجزاخانة ينشئها في احد الاحياء السورية هنا · ولا ريب عندنا في ان جمهور المهاجرين ويخص منهم رصفاءنا اصحاب الاقلام نظماً ونثراً يسرهم انتقال كاتب حقيقي وشاعر حقيقي من كتاب مصر والشام المعدودين الى دار هجرتهم لاننا بحاجة هنا الى رجال جد وعمل يكونون دماً قوياً جديداً في جسم الهيئة الشرقية المهاجرة · والجامعة على الاخص يسرها هذا الانتقال سروراً شديداً للصداقة التي بينها وبينه فضلاً عما تنتظره من قلمه من الفصول المفيدة والمباحث الجليلة لقرائها الافاضل

وقد وصل حضرته الى باريز قادماً من مصر منذ عشرة ايام وسيقيم فيها مدة قصيرة لمشاهدتها وتفقد آثارها · وربما يصل الى نيويورك بعد صدور هذا الجزء باسبوع

روايتان في كل جزء تمت رواية ابن الشعب في هذا الجزء وسنشرح مغزاها الاجتماعي والسياسي والادبي في مقالة تالية · وفي الجزء التالي سنبدأ بنشر رواية جديدة ادبية غرامية اجتماعية غاية في الطلاوة والجمال لكاتب فاضل · هذا غير رواية (مريم قبل التوبة) التي تنشر في ذيل المجلة من تأليف صاحب الجامعة

باب التقريظ والانتقاد

﴿ دليل لبنان ﴾ اهدى الينا حضرة الرصيف الفاضل صاحب جريدة لبنان الغراء نسخة من كتابه المفيد (دليل لبنان) وهو كتاب جدير بكل لبناني وسوري ان يقتنيه لما فيه من الفوائد المختصة بلبنان وجميع شؤونه . وهو يُطلب من (ادارة جريدة لبنان في بيروت)

﴿ مكارم الاخلاق الاسلامية ﴾ هي مجلة دينية تهذيبية تاريخية لجمعية الملاجىء العباسية في الاسكندرية التي يرئسها سعادتلو خليل حمدي باشا حماده امين جمرك الاسكندرية . وقد أُدخلت فيها عدة تحسينات في هذا العام فاصبحت من المجلات التي تبحث ابحاثاً يُلتفت اليها . وقد قرأنا فيها ترجمة للامام مالك (رضه) وهي من افضل ما كُتب . فنثني على القائمين بامرها وعلى محررها الفاضل الذي كتابته فيها تنمّ عليه

﴿ الصحة العجيبة ﴾ الصحة العجيبة في تطهير اناء الشبيبة . رسالة للقس ماير الانكليزي عربها حضرة عيسى افندي الحلو وموضوعها غاية في الفائدة للشبان صحياً وادبياً فنحثهم على مطالعتها

﴿ رواية بورت ارثور ﴾ هي رواية لمؤلفها جناب اسعد افندي منصور الحاماتي محرر جريدة مرآة الغرب الغراء وقد بسط فيها وقائع بورت ارثور في الحرب الاخيرة بين الروس واليابان باسلوب رواية تلذ قارءها وزيّنها برسوم بعض القواد والوقائع . وهي تطلب من حضرته في ادارة مرآة الغرب

﴿ مكسيم غوركي وثلاث من رواياته ﴾ عربها عن البورتغالية جناب ابرهيم افندي شحاده فرح صاحب الاثار الادبية في جرائد البرازيل . ومما قاله في المقدمة بعد بيان تاثير غوركي في شؤون روسيا الداخلية (ليس غوركي باعظم من كبار كتابنا المصلحين في مقدرته الكتابية والاصلاحية ولكن الامة الروسية هي غير الامة العثمانية . عندنا كتاب مصلحون ولكن ليس عندنا اناس يسمعون و يشعرون »

﴿ الرفيق ﴾ وردنا الجزء الثاني من مجلة « الرفيق » الهندية التي تطبع باللغة الاوردية في عليكده بالهند فنرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها النجاح

الفصل الاول

﴿ كنوز سليمان ﴾

واوهام العوام

كانت قرية « مجدل » او « مجدله » كما يقول كتاب الافرنج قرية صغيرة شبيهة بقرى لبنان في هذا الزمان (١) منازلها مربعة كمنازل فلاحيه الاصاغر واكواخها كاكواخهم وطرقها ضيقة غير منتظمة ولا نظيفة كطرقهم . وكانت القرية منبسطة في ارض تعلوها اكمة لا يعلم التاريخ كيف كان تكونها . فلعلّ الرومان واليونان والفرس حفروا الارض في جوار القرية يطلبون فيها كنزاً كان قد شاع ان الملك سليمان دفنه هناك . او ان الطبيعة نفسها اخرجت من الارض اثقالها بفعل زلزال رفع بقعة وخفض بقعة كما رأينا ذلك رأي العيان في وادٍ الى غربي قرية فيع منذ نحو ١٩ سنة

وفي ذلك النهار الذي جلبت في صباحه الطيور والحيوانات جلبتها التي تقدم ذكرها في المقدمة وصل المكاريان اللذان مرّ ذكرهما هناك الى قرية مجدل . وكان طريقهما بجانب هذه الاكمة . فقال احدهما وهو يخز بغله بقضيب في يده . يا يوسف هل ترى هذه الكروم الجميلة والتين الخصب والقمح النامي في هذه الاكمة وما حولها . حقاً ان الله خصنا بنعمة عظمى حين وعد سيدنا موسى بارضٍ هذا خصبها . فاجاب يوسف . يابولس . نعم ان ارضنا خصيبة اما قرأت في كتبنا المقدسة قصة الجاسوسين اللذين أُرسلا الى هذه الارض قبل امتلاك ابائنا اياها لتجسس احوالها واخبارها ثم عادا بعنقودي عنب لم يستطيعا حملهما الاّ بمشقة وتعب . ولكن هذا الخصب الذي تراه امامك في هذه الاكمة لم ينشأ عن طبيعة الارض وحدها بل هنالك سرٌّ لا شك في انك سمعت به . فقال بولس كلاّ يا اخي في الايمان لم اسمع شيئاً . فقال يوسف : ان سيدنا سليمان حين ضاقت خزائنه بالكنوز التي

(١) رنان

اجتمعت عنده رأى من الحكمة ان يفرّقها ويخزنها لحين الحاجة . فاختار سرًّا عشرة اماكن في ارض الميعاد وخبأ في كل واحد منها احد كنوزه . ثم رغبة منه في ان لا يضل مخبأها هو وابناؤه بعده دعا للارض التي خبأ بها كل واحد من كنوزه بمزية تميزها عما حولها . فاستجاب الله دعونه وخص تلك الارض بخصب عظيم يختلف عن خصب الارض الاعتيادي . وقد جمع سليمان يومًا اولاده وقال لهم « يا ابنائي حيثما تجدون في مملكتنا بعد موتي ارضًا ممتازة بخصبها فاعلموا ان هناك كنزًا من كنوزي ينفعكم اذا انقسمت الامة عليكم او تمكن من وطنكم المحروس من الله اعداؤه الذين يحاربونكم » وهذه الاكمة التي تراها امامك هي احد كنوزه

فقال بولس وقد اشرق وجهه لله در سيدنا سليمان ما كان اوفر عقله واظهر فضله . ولكن اما خشي سيدنا سليمان ان يلتفت الناس من غير ابنائه التفاتًا خاصًا الى تلك الاراضي لما يرونه من الخصب الممتاز فيها . وماذا يمنعهم بعد شيوع هذا السر من ان يحفروا اليوم الارض لاستخراج تلك الكنوز

فضحك يوسف وقال وهل تظن ايها الساذج انك اعقل وافهم من سيدنا سليمان ملك العقل والفهم والحكمة . فانه لا شك قد فطن الى هذا الخطر ولذلك جعل في كل مخباء من مخابئ كنوزه حيوانًا هائلًا يرصد الكنز ولا يدع احدًا يدنو منه . اما نظرت ذلك الاسد الهائل الذي لقيناه اليوم عند الفجر في الغابة في طريقنا الى هنا رابضًا تحت التينة بغضب وكبرياء وفوقه نسر جاثم على احد اغصان التينة وهو ينظر في جهة الاسد . لا شك عندي ان هناك احد مخابئ سليمان . لان الارض ممتازة ايضًا بالخصب في ذلك المكان . وفي سفرة اخرى كنت مارًّا في اول الليل بجهة جنبارة وانا انشد وراء بغلي لاخفف مشقة السير والتعب عنه وعني فرأيت حيوانًا هائلًا برأسين وهو تنين مخيف جعل للرصد هناك . فهل تظن احدًا يقدر على الدنو من هذه الكنوز وهذه الحيوانات الهائلة ترصدها

فوقف بولس هنا وقال ارحمنا يا رب . وهل رأيت الحيوان الهائل الذي يرصد هذه الاكمة في سفراتك الى مجدل

فضحك يوسف ضحكة ذات معنى مخصوص وقال نعم رأيته . ما لك وقفت تقدم ولا تخف فان الوقت نهار . وهذا الحيوان لا يسرح الا في الظلام ..

ثم ضحك هنا ضحكة اشد من الاولى

فقال بولس وقد تابع المسير بوجل . وما شكل هذا الحيوان الهائل اهو اسد ام تنين

ام غيرها

فقال يوسف . هو افعى هائلة يا بولس . هي من الافاعي التي تبتلع البشر كما نبتلع انا وانت حب هذا العنب

قال هذا ثم وثب عن سياج الطريق الى كرمة في بستان هناك فقطف منها عنقود عنب ثم عاد مسرعاً وهو يا كل منه

وكان بولس في اثناء ذلك يفكر بخوف ووجل في الافعى الهائلة . فلما عاد اليه رفيقه قال : انك بعد ذكرك هذه الافعى لو وهبتني بملك على ان ادخل هذا البستان لقطف هذا العنقود لما فعلت . لانني اعلم ان الافاعي لا يلذ لها شيء كالاختباء والزحف بين الكروم. ولكن اخبرني ما شكل هذه الافعى التي تبتلع البشر . انني اتذكر ان احد رفاقنا في جنيساره قص علينا في احدى السهرات قصة افاعي هائلة توجد في بلاد بعيدة لم يتمكن احد من الوصول اليها حتى هؤلاء الخنازير الرومان الذين بلغوا اطراف الدنيا . وقد قال ان الواحدة منها اذا اصابت خروفاً او عجلاً فانها تبتلعه بسهولة(١) فما هي هيئة هذه الافعى

فقال يوسف ضاحكاً . رأسها كرأس امرأة . وجسمها كجسمها

فدهش بولس وقال . لا شك في انك مازح . يظهر انك لم ترها وتزعم انك رأيتها

فقال يوسف . بل رأيتها رأيتها غير مرة . وان شئت ان تراها معي فهلم الى مكانها

فقال بولس . واين مكانها

فمد يوسف اصبعه نحو بيت في منتصف الاكمة بين سطحها وسفحها وقال : انظر هذا البيت الاسود القائم هناك فانها تقيم في هذا البيت

فقال بولس ضاحكاً . مالي اراك راغباً في المزاح في هذا الصباح . يظهر انك راضٍ عن اجرة الحمل الذي يحمله بملك اليوم . انني ما عهدت الافاعي تسكن المنازل . ولا ارى هذا البيت اسود كما تقول فانه ذو لون احمر

فقال يوسف اسمع يابولس . انني سميت هذا البيت كما يسميه اهل هذه القرية . فهم يسمونه اسود مع كونه احمر . وهم واولادهم يخشون من الدنو منه ويفرون من قربه فرارهم من الشياطين لانهم يعتقدون ان الافعى التي تسكنه يسكن في جوفها سبعة شياطين . ولذلك ترى مكان هذا الكنز محروساً مصوناً كما لو كان جيش يحرسه . وان اولاد القرية يعبثون بجميع الحقول والكروم الا الكروم التي حول هذا البيت لاعتقادهم نجاستها .

---

(١) هي افعى في الهند معروفة باسم (بوا)

ولجهلهم اسباب هذا الخصب الممتاز هنا يعتقدون ان الارض لم تخصب هذا الخصب الا بفعل الشياطين الذين يسكنون بينها . اما الافعى التي تسكن في هذا المنزل—— فافهم ايها اللبيب انني اردتُ بها افعى بشرية لا افعى حيوانية . اما سمعت بصيت (مريم المجدلية) التي يسكن فيها سبعة شياطين

وكان المكاريان في اثناء هذا الكلام قد تجاوزا الاكمة ودخلا القرية يسوقان بغليهما ويتمان حديثهما . ولم يكادا يتواريان عن النظر حتى انفتحت في البيت المذكور احدى نوافذه بقوة وشدة وظهر في النافذة وجه امرأة تنظر بامعان في جهة الطريق المؤدية من اورشليم الى مجدل

الفصل الثاني

﴿ في البيت الاسود ﴾

ألم مريم الخفي غير المها الظاهر

كان البيت الاسود مبنياً في منتصف الاكمة بين الكروم والزروع . وكان مؤلفاً من ثلاث غرف صغيرة مربعة يُدخل من احداها الى الاخرى وكانت احدى الغرف مطبخاً والثانية مقعداً والثالثة غرفة نوم . وكان في غرفة المقعد سرير من خشب وعليه فراش . وكانت هذه الغرفة مزينة بسلامة ذوق الا ان الزينة الجميلة كانت لغرفة النوم . فقد كانت الازهار الطبيعية والصناعية منظومة باقات باقات ومصفوفة في زوايا هذه الغرفة ورفوفها وعلى مائدتين فيها فاذا فُتحت نافذتان كانتا في جدارين فيها ونُظرت منها الاشجار حول البيت تتدلى باغصانها نحو النافذتين وهي مثقلة بالزهر والثمر وشوهد النبت الطبيعي والزهر البري الذي كان يغطي الارض حوله خُيل للناظر ان داخل الغرفة المذكورة مختلط بالحديقة في خارجها وكأنه جزء منها وتتمة لها

وكان في سرير غرفة النوم في ذلك الصباح امرأة راقدة على جنبها الايمن ويدها اليمنى في اثناء رقادها تستر وجهها . وكان لها في رقادها منظر يشبه منظر الاطفال لو لم يكن يمازجه شيء من لوائح الالم والاضطراب . او ان شئت فقل ان منظرها كان كمنظر طفل

رقد وهو باكٍ متألم فانطبعت دلائل الألم في سحنته في الساعة الاولى من رقاده

ويظهر ان المرأة عقدت النية قبل رقادها في الليل ان تنتبه باكرًا ولذلك ما فتحت جفنيها وتمطت قليلاً حتى وثبت بغتة كانها نسيت امرًا وخافت فوات وقته · فاستوت في فراشها وصاحت باشد صوتها : حنة حنة

فدوى صوتها في فضاء الغرف الثلاث برخامة وبحة لانه كان اول صوت خرج من حلقها بعد رقاد بطلت فيه حركته واستعماله · وكأنها قد اطالت السهر ليلة امس لان الضعف كان ظاهرًا في وجهها لذبول عينيها وارتخاء جسمها فضلاً عن بحة صوتها

ولما رأت المرأة انه لم يجاوبها احد على صراخها صرخت ثانية بصوت اشد : حنه حنه · قد انتصف النهار

فاجاب هذه المرة صوت خارج من غرفة المقعد · صوتْ صوتْ · ثم سُمع لصاحبة هذا الصوت تأوه وتأفف لا يُعلم هل كان ناشئًا عن تحسر لامر فيه الم او عن تمطٍ لاعادة اعضاء جسمها بعد الرقاد الى حالتها الطبيعية من الخفة والمرونة

فقالت المرأة الاولى بصوت رفيع ايضاً · اني مريضة في هذا النهار انهضي وانظري من النافذة لعلك تربنه قادماً

فنهضت حنه من فراشها في غرفة المقعد وهي تتثاءب وتترنم بنشيد هذه ترجمته

صحت الازهار والطيور * وهو لم يصحُ بعد
ليس ذا من دمه الثقيل * ولكن من السهر الطويل
يا حياتي يا قصيرة * امتلئي ملا فراغ
لحياتي في فنائي * وفنائي لي حياة

ولما بلغت حنه النافذة فتحتها واطلت منها ثم قالت · انني لا ارى على الطريق احدًا غير مكاريين وراء بغلين يتحادثان ويلتفتان الى هذا المكان

فقالت المرأة الاولى لله ما اثقل هذا الروماني · الم يعدك انه باقٍ في هذا اليوم

ولكنها ما اتت على هذا الكلام حتى مُدَّت من احدى نوافذ البيت في الخارج عنق رجل وقال : ليس جميع الرومان ثقلاء · اسمحان لي بالدخول لأذهب عنكما ملل انتظار بوليوس

فضحكت حنه واما المرأة الاولى فضحكت ضحكة اغتصابية ثم قالت · هذا انت يا شيشرون · ادخل حقاً ليس جميع الرومان ثقلاء

فسارت حنه وفتحت الباب فدخل منه شاب في نحو الثلاثين من العمر والذي لم يرَ هذا الشاب من قبل يعجب لشكله الغريب . فقد كان نحيف الجسم قصير القامة كانه من الاقزام وكان جسمه الصغير مشوهاً تشويهاً مضحكاً فقد كان محدوباً كانه يترامى نحو الارض قبل الاوان وبين كتفيه دملة كبرى طبيعية تظهر من وراء ثيابه اما راسه فكان ضخماً ووجهه اصفر لحياً ولا تناسب بينهما وبين جسمه الصغير الضئيل . وقد كان فمه اذا فتحه للكلام اشبه شيء بمغارة واسعة تحت انف ضخم مفلطح وشاربين ليس فيهما سوى بضع شعرات صغيرة . الاّ ان عينيه الكبيرتين الحادتين فوقهما كانتا تدلاّن على ان الطبيعة التي خصته بذلك الجسم المشوه القبيح قد عوضته قوة في نفسه كانت تظهر في كل نظرة من نظراته . وكان في يده عصا من رمان يتوكأ عليها موازنة لجسمه المترامي نحو الارض

فلما دخل هذا الشاب قالت له المرأة الاولى بعد السلام كيف ترى نفسك يا شيشرون في بلادنا هل انستك رومه

فتاوه الشاب وكان يدعى شيشرون كما رايت وقال . جميع البلاد سواء لديّ فانني ابن الارض لا ابن رومه . ولم يلذ لي في حياتي شيء كجلوسي حيناً بعد حين تحت صنصافة قريبة من هذه الاكمة حيث اطالع مؤلفات سنيكا وايخيلوس وازوب

فهنا صاحت حنه بضجر لا تبدأ بالفلسفة يا صديقنا شيشرون . اذهب وادعُ دعوتك خارج هذا البيت . اما هنا فان شئت بسطنا وشرح خاطرنا فحادثنا عن زهرة جميلة قطفتها من البرية او امرأة ظريفة شاهدتها في طريقك وابتسمت لك . او نادرة من بعض سيدات اورشليم الفاضلات .. اسمعت ايها الفيلسوف المضجر

فنظرت المرأة الاولى هنا الى حنه نظرة سآمة ثم التفتت الى شيشرون وقالت لا تعبأ بكلام هذه المرأة الخفيفة عقلاً وروحاً يا عزيزي شيشرون فانت تعلم من حديثي الطويل معك اول امس في ظل النخلة التي هناك اني ارتاح الى الاصغاء الى حديثك في اي امر كان . فاخبرني هل عزمت على الاقامة في بلادنا ام تنوي العودة الى رومه بلاد العظمة والعظماء

فقال شيشرون : انني افضل ان اكون اول انسان في هذه البلاد الصغيرة على ان اكون آخر انسان في تلك البلاد الكبيرة . ولست اعتب على اختك حنه لضجرها من كلامي ومواضيع حديثي ذلك لانني اعرف قلب النساء . اي نعم اني اعرف قلوبهن ونفوسهن الخفيفة الطائشة التي لا يلذ لها شيء كالاشتغال بالعواطف والاوهام . ولذلك ترين على

الدوام مسافة الخلاف بين اذواقهن وذوقي . واميالهن واميالي شاسعة جدًا . عفوًا اذا ساءكِ كلامي ايتها السيدة مريم . انني استغرب حكمة الآلهة السخيفة التي خلقت في الارض كائنًا كالمرأة خفيفًا طائشًا هاذرًا هاذيًا على الدوام . ولذلك لا احترم النساء الا المرأة التي تكون لها صفات جدية قوية كصفات الرجال . مثلك مثلاً ايتها السيدة مريم

وكانت مريم « وهي المرأة الاولى » قد اصبحت مبهوتة مفكرة في اثناء كلام شيشرون . اما حنه فكانت تنظر اليه وهي تضحك بازدراء كانها تقول له بضحكها هذا : لو رأيت في حياتك يا صاحب الجسم القبيح امرأة تحبك او تنظر اليك لتبدل رأيك في النساء من طرف الى طرف

وفي هذا الحين سُمع في الخارج على الطريق بجانب البيت صوت ركض جواد فهرعت مريم وحنه نحو النافذة وبعد نظرهما فيها صاحتا معًا . هذا يوليوس . ولما صار الفارس وفرسه على موازاة البيت في الطريق مرّ كالسهم بين بضعة اولاد من القرية كانوا يلعبون هناك . فقال احدهم لآخر بعد مروره هذا خنزير روماني . ولما عطف الفارس وفرسه صاعدًا نحو البيتُ الاسود بهت الاولاد وصاروا ينظرون بعضهم الى بعض . ثم قال احدهم : لو لم يكن هؤلاء الرومان شياطين لما كانوا يجسرون على الدنو من بيت يسكنه سبعة شياطين

وكان الفارس القادم شابًا في آخر دور الشباب لانه كان يناهز الثامنة والثلاثين . وكان طويل القامة منتصبًا على ظهر جواده كانّ جسمه الفٌ الهجاء . وكان ذا لون ناصع البياض وشاربين اشقرين جميلين وعينين زرقاوين فيهما قوة وكبرياء تدل على انهما من سلالة جنس الفَ السيادة والعظمة ولم يجز عليه نير . واذا كان ذلك لا يكفي الناظر اليه للدلالة على انه كان رومانيًا لا شك فيه فقد كان انفه السري الدقيق يثبت له هذه الصفة . وكان التأثير الذي ينبعث من وجهه وجسمه اجمالاً مما يروق النظر ويشيء في النفس ارتياحًا الى منظر كهذا المنظر جامع لقوة الرجولية وعزتها وخفة الشباب ورقته بين حنس بدأ يحني عنقه للذل

وربط الفارس فرسه في غصن كرمة بجانب البيت ثم دخل اليه . فاستقبلته مريم وحدها . اما حنه فكانت قد اختبأت بسرعة مع شيشرون في غرفة المقعد

فقالت له مريم ضاحكة وهي تصلح شعرها بيدها . لقد ابطأت علينا ايها العزيز هل شغلتك سيدات اورشليم عنا

فقال الشاب . انك ترين في وجهي ايتها العزيزة انني في اشتغال بال . فلا سيدات اورشليم ولا ممازحاتنا الاعتيادية تشرح صدري في هذه الايام . فقد دهتني مصيبة

منعتني من زيارتك منذ ١٥ يوماً وليس لي قوة على ان اذكرها لك الآن ..

فدهشت مريم وقالت بحزن . كل شرٍّ يصيبك ايها العزيز فانما يصيبني . لقد شغلت بالي وهجت بلبالي . ما هذه المصيبة يا يوليوس

فقال يوليوس . وردتني من رومه اخبار سيئة جداً . فان ابي خسر جميع امواله واعدائي هناك لا يكفون عن الوشاية بي لدى اولي الامر وربما تمكنوا من عزلي من المهمة السرية التي أُنفذتُ الى هذه البلاد من اجلها كما تعلمين . ولذلك اصبحت مضطراً للعودة الى رومه . وهذه آخر زيارة مني لك ايتها العزيزة

فهنا ازدادت دهشة مريم وعضت شفتيها من الغضب والغيظ . ولكنها تغلبت على نفسها وقالت . اتذهب وتتركني وحدي . لماذا لا تصطحبني

فضحك يوليوس ضحكة حزن وقال : ان في رومه كثيرات من السوريات واليهوديات الجميلات ايتها العزيزة لان الرومانيين يحبون هذين الجنسين . فلا مانع يمنعني من اصطحابك . ولكن تذكّري ان ابي قد خسر جميع امواله واني ساصبح مضطراً الى الاستخدام لاتمكن من المعيشة اذ من الراجح لديَّ اني ساعزل من وظيفتي . وقد جئت الآن اودعك واؤدي لك آخر واجب عليَّ

قال هذا ثم مدَّ يده الى جيبه فاخرج منه كيساً مملوءاً بالنقود فوضعه على مائدة هناك ثم قال ارجو ان تقبلي هذا الكيس تذكاراً مني . ثم اخذ يدها بين يديه وقال . كما تنزَّهت هناك على سطح الاكمة في الليالي المقمرة بين الكروم والنخيل والتين والرمان ارجو يا مريم ان تذكريني

وكانت مريم جامدة مبهوتة في اثناء هذا الكلام لا يتحرَّك منها شيء حتى عيناها . ويظهر ان حديث يوليوس قد احدث ثورة في نفسها ولذلك ذهب منهما الفتور والذبول اللذان كانا فيهما منذ نحو نصف ساعة وحلت محلها الكبرياء والحماسة . وقد نظر يوليوس دمعة تترقرق في تلك العينين الزرقاوين الجميلتين فاثر دمعها في نفسه . فلم يتمالك ان تنهد وقال :

لماذا تبكين ايتها العزيزة . اني ما زلت احبك كما كنتُ من قبل . واعدك اني اذا اصلحت اشغالي وتمكنت من العودة الى هذه البلاد فان اول عمل اشرع فيه هو كما وعدتك سابقاً ان نبني بيتاً لنا في جوار اورشليم لنعيش معاً بشرف وراحة وسلام . فامسحي دمعك ايتها العزيزة فانه يصدع قلبي ويؤلمني في سفري

الجزء الثامن



السنة الخامسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخيّة

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٦ ١٥ رمضان سنة ١٣٢٤

الآثار الشرقية في اميركا

حديث مع مسز سمث السائحة والكاتبة الشهيرة

هي والجامعة

دبلن نوهمشير — هو مصيف خاص بالاغنياء ومنازلهم فيه مزخرفة ومزينة بالآثار القديمة وحول كل منزل حديقة تظلها انواع كثيرة من الاشجار والازهار . فاذا دخلت الى اي منزلٍ من تلك المنازل شعرت انك تشهد الدنيا كلها بما فيها من محاسن وزخارف ومصنوعات الامم المختلفة القديمة والحديثة

والى جانب هذا المصيف الانيق جبل « ويس » اي جبل العلماء وحري بهذه الاكمة ان تسمى بجبل العلماء لانها ملتقى الفلاسفة والمخترعين ومحرري الصحف ومراسليها وغيرهم من اهل العلم فانهم يقضون فيها بضع اسابيع لاجل الراحة من عناء الاشغال . وكذلك يقصد هذا المكان باعة السجاد والحرير وبعض البضائع الشرقية على اختلاف نحلهم من سوريين وارمن واتراك ومعظمهم سوريون

كنت ذات يوم اطوف في هذا المصيف فصادفت منزل السائحة الشهيرة والكاتبة

المعروفة مسز سمث وزوجها المستشرق الشهير وهو المستشرق الذي ارسلته لجنة العلماء الى الديار المصرية والسورية للبحث عن الآثار القديمة ونسخ الرسوم واحرف الكتابة عن جدران المدن القديمة الخربة . فنزلت من عربتي وقرعت باب المنزل فما هي هنيهة حتى وافت سيدة جميلة باسمة وهي في مقتبل العمر ونضارة الشباب وكلمتني بالعربية الفصحى قائلة : « ادخل انما نحن شرقيون » فدخلت الى قاعة الاستقبال وهناك شاهدت شيخاً جالساً على كرسي وفي يده كتاب عربي فحققته وعرفت انه مقامات الحريري . فلما شعر بدخولي قال (اهلاً . على الرحب يا شرقي) . فرددت صدى مجاملته وجلست بالقرب منه وجعلنا نتحادث . وبعد قليل دخلت عقيلته وفي يدها علبة سيكارات مصرية وخيرتني بينها وبين السيكار فاخبرتها اني لست في عداد المدخنين

وبعد ما جلست افتتحت حديثها عن علماء سوريا ومصر وقالت : « اني آسفة كثيراً على ذهاب قوة هذين القطرين وعظمتها ولكن القطر المصري ارق حالاً من السوري . وعجبت من ان علماء سوريا يهاجرون الى مصر حتى ان معظم الجرائد المصرية ينشئها ويحررها سوريون مع ان الواجب يقضي عليهم ان يبقوا في وطنهم ليفيدوه . وقد علمت منذ مدة ان الدولة العثمانية منعت دخول بعض المجلات والجرائد المفيدة الى سوريا . فما هذا الظلم ! الا يشفق هؤلاء الحكام على رعاياهم السوريين . ولقد توغلت في نواحي لبنان وسوريا ووجدت قرى كثيرة لا مدارس فيها الا مدارس رعي المواشي والنفخ في القصب ولعب الدبكة مع نسائهم . فما بال الحكومة غافلة عن فتح المدارس وارسال المعلمين لكي يهذبوا الصغار ويعلموهم . وما بال رجال الدين لا يرسلون الى هناك مرشدين »

وقد استرسلت مسز سمث بهذا الحديث حتى قالت : — « عندما كنت في ذات يوم جالسة مع احد علماء مصر انا وزوجي وزوجة العالم المصري شعرت ان الرجل مهتم بامر ذي بال فقلت له مالي اراك قلقاً اليوم وغاضباً خلافاً لعادتك ؟ فقال : — ايها السيدة نشأت في هذه الايام مناظرة بين المفتي الشيخ محمد عبده والجامعة بشأن ابن رشد وهو فيلسوف مسلم كما تعلمين وقد تفضي هذه المناظرة الى عاقبة وخيمة لان الظاهر من امر صاحب الجامعة انه قدير ومطلع ولا نعلم ماذا يجد . ولما سمعت منه هذا الكلام تقت الى مطالعة الكتاب والجامعة ولما ذهبنا من عند هذا الشيخ وقصدت الاسكندرية سألت هناك عن ادارة الجامعة حتى اهتديت اليها واشتريت منها اورشليم الجديدة وتاريخ المسيح والرد على فلسفة ابن رشد وانصرفت . وقد قرأت رواية اورشليم الجديدة وهي لو قرئت على صخر لتكلم وتفتت لما هي

عليه من الحب الطاهر المحزن . واظن ان صاحب الجامعة قاسي القلب والاَّ لما قدر ان يفيج رسائل الموت الاخيرة . وساهتم بترجمة هذه الرواية (١) في قالب تمثيلي واقدمها للمؤلف هدية اذا عرفت محل اقامته . واني مجتهدة كل الاجتهاد بترجمة « الخطبة على الجبل » التي فيها . وبعد ذلك سافرت من مصر وما عدت علمت شيئاً عن الجامعة

وعند هذا الكلام تناولت من جيبي مجلة الجامعة وقدمتها لها وقلت ان صاحب الجامعة الآن في نيويورك يصدر مجلته منها . فسرّت بذلك سروراً لا مزيد عليه

وبعد ذلك ارتني غرفة المطالعة . ولا اقدر ان اصف الكتب التي فيها . ولكن لما كان كل انسان يعبأ بلغته ارتني على الخصوص ما عندها من الكتب العربية واليك اسماء بعضها

ابن خلدون كامل الاجزاء . مقامات الحريري . مجمع البحرين . تاج العروس . لسان العرب . الكشكول . ابن خلكان . ابو الفداء . القرآن الشريف . تاريخ سوريا . معجم البلدان . ابن رشد . وهناك كتب اخرى كثيرة من تاريخية وفلكية وعلمية وادبية وشعرية وطبية وخلافها وكل هذه الكتب طبع اجانب كالهند وبرلين واكسفورد وتونس

وارتني نسخة من الكتابين اللذين تطبعهما الآن وهما من قلمها احدهما يسمى « الرحلة الافريقية » والآخر « الرحلة الشرقية » وهما مزينان برسوم بعض المشاهدات العجيبة والعادات الغريبة . ومن جملة رسوم « الرحلة الشرقية » رسم يمثل لفيفاً من الدروز في جبل حوران وامامهم حلة فوق الموقد وهم ملتفون حولها من رجال ونساء وبنات واولاد وامرأة ممتطية على جمل واخرى على ثور وغير ذلك . وهناك رسم آخر يمثل دروزاً مع نصارى في بعض قرى لبنان وبينهم عروس راكبة على فرس وبعضهم رافع جرن الكبه بقبضته اليمنى على ارتفاع ساعده . وهناك رسوم اخرى لسائر العادات في المآتم والحفلات المتنوعة

« والرحلة الافريقية » مزينة برسوم من هذا القبيل منها رسم يمثل عبيد افريقيا عراة

(١) شرع في اميركا الجنوبية احد ادباء السوريين المتخرجين في كلية عليا في الارجنتين بترجمة « اورشليم الجديدة » الى اللغة البرتغالية . وفي هذا الشهر شُرع ايضاً في مكان آخر بترجمتها الى اللغة الفرنسوية بمراقبة مؤلفها . ومن ذلك يظهر ان في العزم ترجمتها الى اللغة الانكليزية ايضاً فاذا انتظرت حضرة السيدة الفاضلة مدة قصيرة اصبحت في غنًى عن عناء ترجمتها

هاجمين برماحهم على جاموس برّي يريدون قتله . وهؤلاء العبيد كانوا بمعية مسز سمث عند رحلتها في تلك الصحارى وهي ممتطية جملاً وواقفة بعيدة عنهم

ثم خرجنا من غرفة المطالعة وطفنا الغرف الاخرى وعلى باب كل منها اسم البلاد التي تمثلها محتويات تلك الغرفة واخصها « اورينتل روم » اي « الغرفة الشرقية » وهنا حدّث ولا حرج فهي مزينة بالرمح والسيف والدبوس والترس والدرع والكوفية والعقال والعباءة والجبة (القنباز) وادوات القهوة والنقود القديمة من بني امية والعباس وما اشبه

ولما كانت الشمس قدقاربت المغيب خرجنا الى القاعة وابتدرتها بسؤالي كيف استطاعت التضلع باللغة العربية فقالت انها درست اصول اللغة عن مستشرق في مدرسة اكسفورد ومن بيروت ومصر حتى بلغت هذا المبلغ منها . وزوجها درسها في برلين واتمها في مصر

ثم ودعتها وشكرت لطفها وخرجت افكر في ما سمعت ورأيت

جرجي ابرهيم الحداد

٢٢ ايلول (سبتمبر) سنة ٩٠٦

بوسطن ماس

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني (تابع لما قبله)

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

الطاقة قاعدة الضريبة (١)

لم يبقَ الاَّ الطاقة اي القدرة على العمل اساساً لضرب الضريبة وذلك « لان الناس مكلفون ان يخدموا المملكة بقدر ما عندهم من القوة لخدمة انفسهم . وفي ما يلي اظهر المستر ووكر جلياً ان الطاقة هي الاساس الطبيعي لضرب الضرائب فقال : « تصوّر امة في اول تحضرها وهي قليلة العدد واعمالها العمرانية بسيطة والثروة الحقيقية عندها في ادنى معدلها وافرادها يكادون يتساوون في معظم الاعتبارات وحاجات البلاد محدودة . وافرض حينئذٍ ان عملاً عمومياً لازماً لحياة البلاد كانشاء خزان مثلاً يتلافى فيه شح المياه وطوفانها او

1 Faculty as the basis of taxation

حفر ترعة لري الارض او نحو ذلك فكيف يتوزع هذا العمل على الافراد ؟ لا ريب ان طبيعة الحال توجب على كل افراد الامة القادرين على العمل ان يتعاونوا على المشروع وان يعمل كل منهم بملء طاقته على الاسلوب الذي يكون هو به انفع للعمل » ثم اوجز جداً بما مفصله :ـ

وفي هذه الحال نلاحظ امرين مهمين الاول انه ليس لاحد ان يستعفي من الشغل بدعوى ان لا نفع شخصي او خصوصي له من هذا المشروع الذي حكم الراي العام بانه مشروع عمومي نافع للبلاد اجمالاً ولا بحجة انه يتنازل عن نصيبه من منافعه لقناعته بعيشة بسيطة قشفة كأن بقتات من الصيد ونحوه . وذلك لان واجبات الانسان وهو واحد من الجماعة تختلف عن واجباته وهو فرد مستقل غير منتظم في سلك قبيلة او عشيرة او امة . فمتى تألفت جماعة او هيئة اجتماعية وكان ذلك الفرد عائشاً في وسطها قضت طبيعة الحال ان يندمج بها حتماً ويكون واحداً منها وان عنى في را يه وعمله غير ذلك وجب ان ينفصل عن الجماعة ويعتزل مكانها الى مكان آخر لئلا يكون عثرة في سبيلها او مادة غريبة عنها فيفسد عملها وان لم ينفصل من نفسه اضطرّ ان يطاوعها

واذا لم يكن بدٌّ من اندماج الافراد المتساكنين المتواطنين حتى يؤلفوا جماعة لم يكن بدٌّ ايضاً من اشتراكهم في المنافع وبالاولى اشتراكهم في التعاون على تحصيل تلك المنافع فاذا جعل الواحد يتخلف عن التعاون على العمل بعد الآخر بحجة استغنائه عن منافعه انحلت الجماعة اخيراً وكان اولئك الافراد اجزاء منفصلة في مكان واحد يتقاطعون ويتضاربون في مصالحهم ويتنافون في منافعهم ويعرقل الطالح منهم الصالح ويفسد الكسول عمل المجتهد . والفرد القائل لا اعمل مع الجماعة لأني لا اطمع بالمنفعة بل اجتزىء عنها بما اناله بنفسي لنفسي يجب ان ينفصل عن الجماعة انفصالاً تاماً ويعتزلها الى مكان آخر لكيلا يكون عضواً عاطلاً فيها وعثرة في سبيلها فيجب ان تمحى ارادته لاجل ارادة الجمهور

ثانياً انه لا فرق بين المشتغلين من حيث المدة التي يشتغلونها مهما تفاوتوا في القوى العقلية والجسدية التي يبذلونها في العمل . اي لا يجوز ان يقول القوي او المجتهد او الذكي اشتغل نهاراً كلما اشتغل الضعيف او الكسول او البليد نهارين لانه بقدر ما يمتاز الواحد على الآخر بالقوة والاجتهاد في العمل المشترك يمتاز عليه في الانتفاع من ذلك العمل . واذا كان مجتهداً في العمل العام فهو بالاحرى مجتهدٌ في تحصيل المنفعة منه . ثم استرسل المستر ووكر قائلاً :ـ

« على ان هذه القاعدة ـ اي ضرب الضريبة بالنسبة الى الطاقة ـ خيالية في عهد المدنية ولكن تلجأ اليها القبائل التي في بدء تحضرها بحكم السليقة . وهي القاعدة التي لولا ما يقف في سبيلها من العقبات الفعلية نظرًا لتشعب الحركات العمرانية لكانت احسن قياس واصحه للزومية كل فرد بما عليه للمملكة وكل ضريبة تحيد بجوهرها عن هذه القاعدة لا بد ان يضحّى بها الانصاف ولو قليلاً . والضريبة التي تحيد بشكلها لا بد ان تكون حائدة بجوهرها ايضاً

« ومما لا بد من ملاحظته في هذا المقام هو ان اثقل الضرائب في هذا العصر حتى الخدمة العسكرية الالزامية في ارقى الممالك وافضلها نظاماً مفروضة بحسب هذه القاعدة . وفي ممالك اوروبا كلها تقريباً تجب الخدمة الشخصية في اثناء المصائب العمومية على الجميع من غير تمييز بين الغني والفقير والكبير والصغير . ولا ينكر ان هناك اشخاصاً معفين كأهل العلم ولكن اعفاءهم مبني على فرض انهم يخدمون البلاد خدمة اعظم ببقائهم في اشغالهم الشخصية المعتادة

« وليست هذه القاعدة خيالية فقط بل يكاد يستحيل وجودها الفعلي في ما اذا اقتصر عليها وحدها في البلاد الراقية المتشعبة الاعمال . فحيثما يكثر عدد الاهالي وتتنوّع المصالح وتتعدد الاعمال يستحيل على الحكومة ان تمرّ بكل فردٍ من افراد الامة لتنال نصيبها من خدمته عن يوم او عن سنة . ولذلك اقتضت السياسة ان تستنبط ضرائب مختلفة بعضها على النفقة وبعضها على الدخل وبعضها على راس المال الخ . وهذه الضرائب وان لم تكن عادلة نظريا تمام العدالة قد اختيرت بغية تخفيف ثقل الضريبة على اشخاص الامة انفسهم ولاجل تمهيد العقبات من سبيل التجارة والصناعة

عودة الى ضريبة الدخل

« الساسة الحاليون ينفرون جدًّا من المجاهدة في جمع الضرائب العمومية المضروبة بحسب الطاقة . فاعدل ضريبة بعد « الضريبة بحسب الطاقة » انما هي « الضريبة على الدخل » فهي في نظر الرجل المالي تجبى من دخل كل طبقة من طبقات الامة . ومن رأْي بعضهم ان نفقة المعيشة الضرورية لكل عامل مع اسرته الماخوذة من دخله يجب ان تعفى من الضريبة المذكورة لكيلا يضنك الفقير الذي لا يكسب الاَّ القوت الضروري . ويستحيل من وجه اقتصادي ان تؤْخذ ضريبة على طبقة الفقراء الذين لا يكادون يحصلون على حاجياتهم . والدخل الذي لا يكاد يكفي معيشة صاحبه لا يمكن ان يستمل

منه جزء صغير للصلحة العامة لان الحكومة وهي تجبي الضريبة من الفقير باليد الواحدة يجب ان تحسن عليه من اليد الاخرى

« فمن اجماع الاقتصاديين على اعفاء الدخل الذي لا يكاد يفي بضروريات المعيشة من الضريبة لاسباب اقتصادية قد نشأت مسألة مهمة من المسائل العمرانية الحيوية في العالم المالي وهي : كيف تضرب الضريبة على الدخل الذي يزيد على حاجة صاحبه الضرورية ويمكنه ان يبذر منه او ان يوفره ؟ أتؤخذ الجزية منه على معدل واحد بلا فرق بين وفرته وقلته ام على معدلات متفاوتة بالقيمة بحسب تزايده ؟ - « اي كلما زاد الدخل زاد معدل الجزية المئوي المأخوذ منه كأن يؤخذ من كل من المئات الاولى واحدٌ مثلاً ومن كل مئة من عشرات المئات اثنان ومن كل مئة من مئات المئات ثلاثة وهلمَّ جرًّا »

(ستأتي البقية)

انشاء الروايات العربية

معاني رواية ابن الشعب

١

كثر في السنوات الاخيرة وضع القصص العربية فقلما يمرُّ شهر الا وتصدر بضع منها في البلاد التي فيها مطابع عربية . وهم يسمونها « روايات » وهذا خطاء في التسمية لان « الروايات » في اللغة الاحاديث المنقولة بالتواتر من فلان عن فلان عن فلان . فيلزم ان يكون هناك راوٍ ومروي عنه وحديث مروي . فاسمها الحقيقي اذًا « قصة » لانها عبارة عن احاديث ووقائع يتخيلها المؤلف ويقصها على قرائه . ولكن هذا الخطاء - اذا كان هناك خطاء - كان الاصمعي المشهور اول من وقع فيه في قصة عنترة . فانه يقول هناك في كل صفحة تقريباً « قال الراوي » وقصة عنترة اكثرها اختراع وابتداع كما هو معلوم . والخطاء او الاصطلاح الذي يجيزه رجل كالاصمعي يجوز ان يُعدَّ من الصواب المقبول

﴿ ما يلزم الرواية ﴾ على انه لو لم يكن في الروايات التي تنشر في اللغة العربية غير هذا الخطاء الاصطلاحي الصغير لكان الخطب هيناً . ولكن هناك مآخذ لا يصح السكوت

عنها وقد كثر انتشارها . فان كل من امسك قلماً في هذه الايام يرى نفسه قادراً على وضع رواية لان كل انسان يقدر على قص قصة وسرد حوادث يتصورها . وجميعهم يعلمون ان فن الروايات « علم باصول » ولكنهم يجرأون مع هذا على وضع هذه الروايات لثلاثة اسباب . الاول انعدام حرية النقد او بعبارة اخرى الجهل بحقيقة هذا الفن للاقدام على نقده . والثاني اعتبار القراء في الشرق الرواية عملاً خيالياً يُلهى به ساعة او نصف ساعة فلا يطلبون فيه غير قطع الوقت . والثالث قلة القراء في اللغة العربية فالروايات التي تظهر فيها لا يستفيد منها مؤلفوها فائدة حقيقية الا اذا كانوا اصحاب مكاتب ومطابع صناعتهم التجارة بالكتب . ولذلك قلما ترى كاتباً يجهد قريحته ويكد فكره وينضج رأيه في وضع رواية مهمة لانه يعلم ان الفائدة التي تنشأ عنها لا تعدل التعب الذي يُبذل في تأليفها وطبعها والجمهور لا يفهم منها سوى قصتها . واذا قيل ان حافظ افندي ابرهيم الشاعر المشهور قد عرب جزءاً صغيراً من رواية الميزرابل فجنى منه على ما قال الف جنيه (٥٠٠٠ ريال) فالجواب ان ما جناه المعرّب من هذه الرواية لم يكن ثمناً للرواية ولا جزاء تعبه فيها ولكنه كان تنشيطاً له من بعض سراة المصريين الذين دفع بعضهم ثمن النسخة الواحدة ٥٠ جنيهاً (٢٠٠ ريال)

وقد يظن بعضهم ان الروايات الموضوعة تعريباً تسلم من تلك المآخذ التي تقع في الروايات الموضوعة تأليفاً . لان شروط الرواية مستوفاة في الروايات الافرنجية الكبرى وما على المعرّب الا ان ينحو نحوها وينسج بردتها العربية . والحقيقة ان بعض الروايات الموضوعة تعريباً قد تجد فيها من التشويه وفساد الوضع والخرق في الرأي ما لا تجد مثله احياناً في الروايات الموضوعة تأليفاً . وسبب ذلك ان المعرب يتناول قلمه ويغير على تلك الرواية فيتصرّف فيها حذفاً واضافة فيقطع سلسلة اخلاقها البسيكولوجية ويشوه طبائع اشخاصها وينقص فيها ويزيد عليها من الحوادث ما لو رآه مؤلفها لقطع اذنه وجدع انفه ورضّ ساقيه وبقر بطنه تشويهاً له وتمثيلاً به كما شوه روايته ومثّل بها . وما زلنا نذكر مباحثات كثيرين ممن شهدوا تمثيل رواية (ابن الشعب) في مصر وقولهم في الجرائد وغير الجرائد انهم لم يفهموا اغراض هذه الرواية ومرامي مؤلفها . وحقهم ان يقولوا ذلك لان الذي ينظر في هذا الفن ولا يكون من اهله لا يدرك منه سوى سياق القصة وتفوته اغراضها الحقيقية التي بنيت الرواية عليها وكانت سبباً في انشائها

وقبل بيان اغراض المؤلف في هذه الرواية نأتي على بيان الصفات اللازمة للروائي ليصح ان يكون ما يكتبه معدوداً في جملة الروايات الحقيقية اي عوالم خيالية تنطبق صفاتها

واخلاقها على العوالم الحقيقية انطباقاً كلياً كانها صورة لها وكان اشخاصها اشخاصها مع زيادة في الصبغة الايديالية فيها ليكون غرضها رفع النفوس بدل انحطاطها

١ قوة الاختراع — اولى تلك الصفات قوة الاختراع والمراد بها ان تكون مخيلة الكاتب قادرة على اختراع حوادث واخبار تجعل في الرواية فكاهة ولذة . وبهذه القوة تنشأ في الرواية المشاهد والمواقف الكبرى التي تحتك فيها العواطف والاميال والمبادئ احتكاكاً شديداً تستاسر لب القارئ . وكان دياس راس المبرزين في هذه القوة . الا انه يجب ان لا تجاوز هذه القوة حد المعقول المقبول والا عدت من سقط المتاع كروايات بونسون دي ترايل . ولما سئل تولستوي منذ مدة عن رايه في رواية غوركي (الطبقة السفلى) التي جعلت له بين كتاب اوروبا منزلة سامية اجاب انها جيدة ولكن ينقصها قوة الاختراع . ولكن كثيرين يقولون عن روايات تولستوي نفسه مثل هذا القول لانها انما تمتاز بمبادئها وآرائها وصبغتها الفطرية لا باختراع حوادثها

٢ قوة الحركة — والقوة الثانية (قوة الحركة) فان تلك الحوادث التي يجيد المؤلف في اختراعها اذا لم يجعلها (متحركة) سئم قارئها ومل قراءتها . والحركة كانت مزية دياس الكبرى . فانك تعرف تاريخ اشخاص روايته واخلاقهم ومزاياهم وماضيهم وحاضرهم مما يقوله غيرهم عنهم في الرواية لا مما يقوله المؤلف نفسه . وكل من قرأ رواية لا يجهل انه يفضل ان يقرأ مباحثات اشخاصها على قراءة تعليقات مؤلفها . والاجادة هنا هي في جعل « حوادث » الرواية منبئة عن اخلاق اشخاصها . وكم من مرة قرأنا فصولاً لكبار نقاد الروايات الفرنسوية يقولون فيها عن فصل في احدى الروايات ان حوادثه غاية في حسن الاختراع ولكنه « جامد » تنقصه الحركة . وهم يعتبرونها في مقدمة شروط الروايات الجيدة

٣ وحدة السياق وتنوع الموضوع — والشرط الثالث في تأليف الرواية « وحدة السياق وتنوع الموضوع » والمراد بوحدة السياق رسم طريق للرواية تبتدئ في اولها وتنتهي في آخرها دون ان تخرج الرواية عنها في اثناء تقلباتها . فكأنها سلك يمده رجل بين طرق ضيقة وشوارع واسعة فيوغل فيها ولكن السلك في يده وهو يعرف من اين ابتدأ والى اين ينتهي . والمراد « بتنوع الموضوع » جعل مواضيع الرواية التي تتفرع من ذلك السياق متنوعة متفرعة لاجتناب ملل القارئ اولاً واستيفاء البحث في اخلاق اشخاص الرواية ثانياً . ومن اقوال الفلاسفة ان الطبيعة واحدة من حيث مادتها ونواميسها ولكنها متنوعة من حيث صورها واشكالها . وهم يسمون هذا باسم ورد ذكره في الجزء الاول لهذا العام وهو « التنوع

في الوحدة »· وما يقال في الطبيعة يقال في الرواية لان « الوحدة المقرونة بالتنوع » اساس قوة كل شيء وجماله في العالم · وبدونها تكون الحياة مضطربة مضجرة

٤ قوة البسيكولوجيا والسيولوجيا ــ يصح ان يقال ان هذه القوة اهم القوات الضرورية للرواية · ولما كانت مواضيع الرواية تشمل جميع الحوادث والحالات التي تطرأ على اشخاصها وعلى الوسط الذي يعيشون فيه كانت الرواية محتاجة الى اكثر اصناف العلوم · فهي تحتاج الى علم الطبيعة لكي تبنى آراؤها ومبادئها واخلاق اشخاصها على دعامة علمية اي على النواميس الطبيعية والاَّ كانت نسيج اوهام وخرافات · وتحتاج الى علم تقويم البلدان « الجوغرافيا » لمعرفة البلاد التي يُكتب عنها وطبائع اهلها وهوائها · وتحتاج الى علم التاريخ خصوصاً اذا كانت تاريخية · وقد تحتاج الى سائر العلوم اذا كان لمواضيعها اتصال بها · ولكنها اذا احتاجت الى جميع هذه العلوم احياناً وامكنها الاستغناء عنها جميعها احياناً فهناك علمان لا يمكنها ان تستغني عنهما اصلاً وهما علم البسيكولوجيا وعلم السيولوجيا

علم البسيكولوجيا او « علم النفس والاخلاق » اول شيء يجب على الروائي الاطلاع عليه · وهو قسمان مصنوع ومطبوع اي اكتسابي وغريزي · فالبسيكولوجيا الاكتسابية يستفيدها الكاتب من مصدرين · الاول درس كتب البسيكولوجيا والثاني مراقبة الطبيعة والبشر لملاحظة اخلاقهم واحوالهم في جميع اطوارهم · وقد كان موليير الروائي المشهور يصرف مدة من وقته كل يوم في الجلوس في دكان حلاَّق حيث يحتشد الناس عادة من طبقات مختلفة وهناك يراقب اخلاقهم ويسمع احاديثهم · والبسيكولوجيا الغريزية هي قوة غريزية تكون في نفس الدارس يقدر بها على استنباط مكنونات النفوس واستنتاج اخلاقها وتصوير حالاتها دون ان تدري هي بها · وهي هبة من الطبيعة لتلك النفس وان كان بعض علماء الاخلاق يقول ان الدرس والاختبار قد يؤديان اليها : قال بوفون العالم الطبيعي الفرنسوي ان نبوغ اعاظم الرجال ناشئ عن تعبهم وصبرهم على الدرس (١) قلنا هذا قول صحيح في العلوم الطبيعية التي لا يستلزم الاكتشاف والاختراع فيها قوة نفسية بل قوة عقلية · واقرب شاهد على ذلك باستور وسبنسر وقد عدَّ الفيلسوف نيتش نفس سبنسر في جملة النفوس الاعتيادية (٢)· ولكن علم النفس والاخلاق وعلم الادب والفنون الجميلة لا تقاس بتلك

1 Le Genie C'est la patience

2 Mediocre اي متوسط بين الكبير والصغير

العلوم . فان ملتن وشكسبير وهيغو ورنان وجوت وواتيير لولا ان الطبيعـة خصتهم بنفوس كبيرة جميلة راقية لما قدروا ان يبرزوا شيئاً مما ابرزوه في تآليفهم من آيات الجمال والكمال ولو قطعوا اعمارهم درساً . وهل يصير غير الشاعر شاعراً حقيقياً بمجرد الدرس وقرض الشعر

فالبسيكولوجيا الاكتسابية والغريزية اهم ضروريات الرواية لانها تصون المؤلف من الوقوع في الاغلاط الفاضحة بشأن اخلاق الاشخاص الذين يتكلم عنهم وتمكّنه من تصوير اخلاق بشرية حقيقية منطبقة على اخلاق البشر في الدنيا بسيكولوجياً . وكم من مرة تصفحنا بعض الروايات التي تنشر بالعربية حتى اهمها واشهرها فرأينا الكاتب يصوّر اخلاق اشخاصه في اول الرواية تصويراً لا ينطبق على اخلاقهم في آخرها من الجهة البسيكولوجية . فانـه مثلاً يجعل مزاج الشخص في البدء عصبياً ثم تراه في الخاتمة يجعله يسلك مسلك ذي مزاج دموي محض . واغرب من هذا انك تراه يجمع في نفس اشخاصه صفـات متقابلة متناقضة تتبرأ البسيكولوجيا منها . واحياناً تراه يجعل (شخصه) يجيب اجوبـة لو اطلع عليها اصغر كاتب ملمّ بمبادئ البسيكولوجيا بعد اطلاعه على الاخلاق التي صوّرها المؤلف له لقـال (هذا تحريف لا تأليف) والحوادث المستخرجة من تلك الاخلاق فما تكون لازمة عنها خارجة منها بحكم البسيكولوجيا وانما هي مجذوبة جذباً لتكون نتيجة لها وما هي بنتيجة لها . وهذه العيوب الفاضحة لا تظهر في الشرق لانها لا تظهر الا لعين الناقد البصير . ولذلك يعجب بعض القراء السذج بتلك الروايات . ولو نشرت في الغرب حيث الجمهور يميز بين الفاسد والصحيح لكانت في جملة الروايات الضعيفة التي لا يلتفت اليها احد من افراد الجمهور الراقي

وما قلناه في البسيكولوجيا نقوله في السيولوجيا اي علم الاجتماع البشري . وهذا العلم ضروري لمؤلف الرواية لسببين الاول ان جميع الروايات المهمة في هذا العصر اصبح غرضها (اجتماعياً) واذا كان الفيلسوف اوغوست كونت واضع الفلسفة الحسية او الوضعية قد اثبت ببراعة مشهورة قبل تلميذه سبنسر ان جميع العلوم من اكبرها الى اصغرهـا تنتهي الى السيولوجيا وان السيولوجيـا هي غرض تلك العلوم فاحرِ بالروايات ان يكون غرضها السيولوجيا ايضاً اي البحث في حالات المجتمع البشري لترقيته وانماء قواته النافعة وافناء قواته المضرّة . والروايات بعد الصحف او قبلها من اهم ذرائع هذه الترقية . بل هي في الشرق اشد تأثيراً من الصحف في هذا الشان لان الوفاً من عامة القراء لا يقرأون الجرائد ولكنهم يقرأون الروايات . فهنا للرواية وظيفة اجتماعية عليـا دونها وظيفة جميع الصحف والمدارس والكليات . لانها المدرسة الاولى للشعب الساذج الجاهل . واننا نشفق من

صميم قلبنا على هذا الشعب حين نرى السمّ الزعاف المدسوس في بعض الروايات العربية التي يقرأها

٥ً درس هذا الفن — كما ان العالم لا يصير عالماً الاّ بالدرس والبحث والصانع لا يصير صانعاً الا بالاكباب على صناعته فكذلك الروائي لا يصير راوياً الاّ بدرس فنه . ولكن ليس للروايات مدرسة تعلم فيها اصول هذا الفن وانما مدرسته امران . الاول (مطالعة روايات اكابر المؤلفين) والثاني (مطالعة كتابات مشاهير نقادي الروايات)

اما الامر الاول وهو مطالعة روايات اكابر المؤلفين فاظهر دليل على انه المدرسة الحقيقية لمؤلفي الروايات ما كتبه اسكندر دياس الكبير عن نفسه . فقد قال ما خلاصته انه لما عقد النية في شبابه على ان يكون مؤلف روايات اخذ يطالع جميع الروايات المشهورة لاكابر المؤلفين فرنسويين وغير فرنسويين . فصرف وقتاً طويلاً في درسها والتأمل فيها وتدبر اغراضها ومراميها . فاتى عليها كلها حتى انطبعت في ذهنه اساليبها وطرقها واختلطت في فكره وقائعها ومذاهبها . وبعد ذلك شرع في الكتابة . فكتب الرواية الاولى واحرقها لعدم رضائه عنها . ثم كتب الثانية والثالثة واحرقها ايضاً . ولما كتب الرابعة دفعها للتمثيل فكان لها دوي في باريز . وقد حضرها احد امراء العائلة المالكة وكان دياس مستخدماً عنده فلما ذُكر اسم المؤلف للجمهور نهض الامير من مجلسه ورفع قبعته لمستخدمه دياس اكراماً وتنشيطاً له

فالروايات المشهورة الجيدة هي خير مدرسة لمؤلف الروايات لانها خلاصة الاختبار والعلم في هذا الفن . ولكن هذه المطالعة وحدها لا تكفي الراغب في التأليف فيه اذا لم يكب على الامر الثاني (درس اقوال نقادي الروايات) اكبابه عليها

من تصفح الجرائد الفرنسوية الكبرى وغيرها وجد فيها فصلاً مخصوصاً ينشر في كل يوم اثنين في ذيل الجريدة لاحد النقدة المشهورين وموضوعه نقد الروايات التي تمثل في خلال الاسبوع . ورب احد هؤلاء النقدة تدفع له الجريدة اجرة للمقالات الاربع في الشهر راتباً يعدل راتب وزير . وقد كان سارسي كبير النقادين في القرن التاسع عشر بعد سنت بوف يكتب في جريدة الطان وكان الممثلون والمؤلفون اذا رأوا في وجهه وهو في لوجه دلائل الاستياء وعدم الرضى ترتعد فرائصهم خوفاً لانه كان على رأيه المعوّل . فدرس كتابات هؤلاء النقدة وغيرهم من نقدة اوروبا من اهم واجبات كاتب الروايات . لانه يستفيد من كتاباتهم نتيجة اختبارهم هذا الفن واختبار مشاهير النقدة الذين تقدموهم فيه منذ نشأته .

وقد كنا نقرأ نقد سارسي في الطان بلذة كبرى فلما توفي اصبحنا نقرأ نقد المسيو اميل فاكه في جريدة الدبا وهو من رجال الاكاذمي واشهر النقدة الفرنسويين اليوم . على ان كتب النقد الروائي كثيرة في اللغة الفرنسوية لمن يطلبها . وهي اهم واصح من الكتب الغير الفرنسوية لان الفرنسويين ما زالوا منفردين في هذا الفن في اوروبا كلها

٦ عاطفة الجمال — والشرط السادس والاخير من شروط وضع الروايات التزام (عاطفة الجمال) فيها لان تأثيرها وحلاوتها متوقفان على ذلك . ويدخل في هذا امران . الاول (جمال موضوعها) والثاني (جمال سبكها) اما جمال موضوعها فتوقف على الاجادة في الصفات الخمس التي تقدم بسطها . واما جمال سبكها . فالمراد به نسجها بلفظ عذب ومعنى طلي وروح جلي فيجد القارئ حين مطالعتها من الحلاوة والعذوبة ما يستأسر لبه . واذا كان الجفاف والجمود في الانشاء مما يغتفر في المباحث العلمية والتاريخية لان الغرض منها تقرير الحقائق سواء كان لباسها من نضار او كان عليها اطمار فان ذلك مما لا يقبل في الروايات اصلاً لان العمدة في الروايات انما هي على التأثير في نفس القارئ لجذبه الى مبادئها وشرح صدره بحلاوتها . وهذا الجذب والتأثير لا يتمان الا . بعاطفة الجمال .

هذا ما رأينا بسطه في هذا الفصل لعل فيه فائدة . وفي الفصل التالي سننجز ما وعدنا به من شرح مغزى رواية ابن الشعب ومراميها

﴿ رجاء الى المشتركين ﴾ نرجو من كل من يراسل الجامعة ان يجعل عنوانه في كتابه بخط واضح باللغة العربية والانكليزية معاً اجتناباً للخطاء وتسهيلاً للعمل وله الفضل

❋ شيء عن رأيهم في الجامعة ❋

« نفس لطيفة ونفس حار يتسربان الى القلوب فتضمها من غير تردد · يقرأُها الرجل وهو متكئٌ على فراشه قبل الرقاد على ضوء الشمعة · يقرأُها في الوقت الذي لا يريد ان يزعج تأملاته شيء من ضوضاء هذا العالم فينقبض وجهه و ينفرج صدره وتبدو عليه علائم التأمل والافتكار وقلما يمضي عليه دقيقتان او ثلاث دقائق من وقت المطالعة بدون ان يتوقف عن المطالعة و يتنهد او يعيد قراءة ما اطلع عليه و يجمد متأَملاً · ولكي يطلع صاحب الجامعة على ما يوجب التنهد والجمود نقول له ان القارىء حينئذٍ يقرأُ له في كتابته عاطفة كانت تجول في صدره ولا يقدر على تعليلها وهي مشروحة شرحاً وافياً كأَنه اذ كان يكتب كان يشعر بقلب المطالع

« والذي حدث لي انا من هذا القبيل كان اذ كنت اطالع وصايا استير في روايته اورشليم الجديدة خصوصاً الوصية التي تخوف بها تلك المسكينة من رقص الوحوش والضباع على قبرها · اني انا ايضاً قبل ان طالعت الرواية كنت ارى من نفسي انقباضاً ان أُحصر بعد الموت في قبر ضيق بعيداً عن الانس في وحشة مظلمة

« قلب به الم من الهيئة الاجتماعية ينفر من مخالطة الناس و يستأْنس بالوحدة ليلهو بافكاره الرقيقة ولا يقاطعه في تأَمله شيءٌ من ضجيج المجالس · وكأَني به الآن على اثر مطالعتي الجامعة وانا في البرازيل وهو في الولايات المتحدة وما بيننا بحور طويلة عريضة اراه يضاحك الناس تكلفاً و يماشيهم مضطرباً الا ما ندر ولا يصدق ان يُترك لوحده حتى يعود الى ملذته

« صدر واسع ولكنه لكثرة ما يضمُّ من العواطف قد ضاق على صاحبه فهو وان يكن هادئاً في ظاهره فهو مضطرب في داخله و يلذ له ان يكون مفكراً لان في الفكر سروره » (جريدة ابي الهول)

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

قوات اميركا العظمى

﴿المدرسة﴾ ذكرنا في المقالة السابقة بعض الاسباب الرئيسية التي تنشئ قوات اميركا العظمى وهي ١ً جامعة عادلة قوية ٢ً المجالس النيابية ٣ً قوة المعارضة بين الاحزاب لبقاء الافضل ٤ً حرية الجرائد . ولكن هذه الاسباب كلها لم تكن لتؤثر تأثيراً فعالاً في انهاض الامة وترقية شؤونها اذا لم يكن هناك عنصر قوي يمدّها بالقوة اللازمة لقيامها وقوتها . ورب امة اجتمعت فيها هذه الاسباب الاربعة ولم تبلغ من العز والارتقاء مبلغاً يستحق الذكر وذلك لفقدها هذا العنصر القوي . ونريد بهذا العنصر . المدرسة .

ان القول بان المدرسة اساس نهضة الامم قول مألوف بين الكتاب والقراء في الشرق . وقد نقلنا منذ سنين قول بسمارك حين سئل بماذا تغلبت امتكم على الامة الفرنسوية في سنة ١٨٧٠ فاجاب . بمعلم المدرسة . . وقد رأينا هذا القول بعد ذلك على شباة كثير من اقلام الادباء وفي صفحات كثير من الجرائد . وقد قامت في مصر وغيرها من اقطار الشرق في السنوات الاخيرة ضجة تصمّ الآذان بشأن الكليات والمدارس والكتاتيب . فبعض الادباء ينشئ الكتاتيب ليجعلها مورداً للرزق وبعض الاغنياء ينشئها طلباً للشهرة وبعض الجمعيات ينشئها ليكون لها غرض تجتمع حوله . ولا تزال نهضة الكتاتيب وضجتها قائمة في مصر حتى هذه الايام لان الذين ينشئونها قد سمعوا من قادتهم ان انشاء المدارس خير من انشاء الجوامع والكنائس . ولا نزال نذكر قولاً لجريدة المؤيد بهذا الشان حين طلب بعض من اهالي الريف من المرحوم منشاوي باشا المثري المصري الشهير ان يتبرع باصلاح جامع بلدتهم المتداعي . قالت ما خلاصته . ان كثيراً من الجوامع في الريف متداعية متقلقلة . فاذا طلب اهل كل قرية مثل هذا الطلب من منشاوي باشا اضطرّ ان يوزع ثروته على هذه الجوامع بلا فائدة . لان المسلم يمكنه ان يصلي في كل مكان والدنيا كلها جامع له .

وانما حاجته الاولى الى المدارس فيجب تقديم انشاء المدارس على اصلاح الجوامع او انشائها ٠

وحقاً ان الكاتب الذي في نفسه اقل حب للحقيقة والاخلاص وارتقاء الشعوب يشعر بارتياح وقشعريرة في نفسه حين يقرأ قولاً جيلاً كهذا القول من جريدة اسلامية او مسيحية ٠ واذا كان بعيداً عن مصر وسمع اقوالاً كهذه الاقوال ورأى في جرائدها المقالات والاحتفالات بشأن الكتاتيب ومدارس الجمعيات خيل له ان مصر قد بلغت منها الغاية التي ما بعدها غاية ٠ وقد رأينا اثر هذا الوهم في كثير من الجرائد التي لم تعرف مصر الا بما قرأته عنها ٠ والحقيقة ان الكتاتيب والمدارس الاهلية التي تنشأ اليوم في مصر وجودها وعدمها سيان ٠ بل قد سمعنا بعض اكابر وفضلاء المصريين ممن لهم علاقة ببعضها وهم اعرف الناس بها يقولون ان وجودها اشد ضرراً من عدمه وانه خير لهم لو انها لم توجد ٠ وسبب ذلك ان هذه المدارس والكتاتيب لا تقوم بشيء من وظيفة ٠ المدرسة الحقيقية ٠

وليس في الدنيا بلد تظهر فيه وظيفة المدرسة الحقيقية ظهوراً جلياً كالبلاد الاميركية ٠ وانك اذا رفعت هذه المدارس من الولايات المتحدة فقدت اميركا اساس قوتها واول مبادئها الفعالة في نهضتها

ونرجو من القارئ ان يلاحظ اننا لا نريد هنا ٠ بمدارس اميركا ٠ كلياتها العلمية ومدارسها الزراعية والصناعية والتجارية فاننا نعرف في اوروبا وعلى الخصوص في انكلترا والمانيا وفرنسا كليات ومدارس ارقى واعظم من الكليات والمدارس الاميركية من الجهة العلمية والفنية ٠ وانما تفضل الكليات والمدارس الاميركية الكليات والمدارس الاوروبية بامر واحد شديد الاهمية وهو جعلها التعليم فيها منطبقاً كل الانطباق على حاجات الشعب ومقتضيات العصر الحديث الذي اصبحت المعيشة فيه جهاداً هائلاً بين الناس ٠ فهي تلقن طلبتها كل ما ينفعهم في هذا الجهاد ويقويهم عليه وذلك اولاً بتقوية ابدانهم وتنشيط نفوسهم بالرياضة والالعاب البدنية التي اشتهرت بها اميركا دون سائر الامم وثانياً بتعليمهم تعليماً عملياً Pratique فبينما ترى المدارس الفرنسوية مثلاً تدرّس طلبتها شعر بوالو وراسين وكورنيل واللغة اللاتينية طبقاً لبروغرام التعليم في القرن السابع عشر والثامن عشر ترى الاميركان يضعون كتباً Pratiques لاثارة الحياة والنشاط في نفوس ابنائهم ودلالتهم على طرق معيشتهم ٠ فاذا خرج تلميذهم من المدرسة ودخل مدرسة الزمان كان قادراً على المعيشة فيها بسهولة لان مدرسته سلحته بجميع الاسلحة اللازمة للفوز في هذه المعيشة ٠ اما التلميذ الاوروبي فيخرج من مدرسته مشحون الذهن بمبادئ خيالية وافكار

كتبية (١) لا تنفعه في مدرسة الزمان بل ربما جرت عليه ضرراً شديداً. وكنا في الشرق قد عرفنا ذلك حق المعرفة اما من انفسنا او من الطلبة الذين نراهم يخرجون من مدارسه امامنا. وهذا واسفاه العلة الاولى في بلائنا وضياع قوى شبيبتنا وآلامها الشديدة قبل ان تتمكن من اصلاح ما افسدته المدرسة الشرقية في نفوسها

كلا ليس مرادنا في كلامنا هنا عن (المدرسة الاميركية) الكليات والمدارس الفنية التي تقدمت الاشارة اليها وانما نريد بها (المدرسة الابتدائية). وانك لتعلم (حقيقة وظيفة) هذه المدرسة في هذه البلاد مما يلي

﴿ كيف يكون الامتزاج والاستغراق ﴾ كلنا نعلم ان الشعب في هذه الجمهورية العظمى قد تألف من عدة عناصر مختلفة بين انكليز والمان وايرلنديين وهولانديين ونروجيين وايطاليين وفرنسويين وغيرهم. ولا يزال يهاجر اليها في كل عام نحو مليون نفس من عناصر مختلفة. فانظر ماذا تفعل (المدرسة الاميركية) هنا. انها تأخذ ابناء هذه الملايين الضعيفة القاصرة الفقيرة المهاجرة اليها وتعلمهم تعليماً واحداً . وهذا التعليم الزامي فاننا نكتب الآن هذه السطور والحكومة المحلية تنشر بين اهالي نيو يورك وملحقاتها وفي جرائدها منشوراً تطلب فيه منهم ان يذكروا لها عدد الاولاد عندهم وسنهم وفي اية مدرسة يتعلمون. والاب الذي يبلغ ابنه السنة الثامنة من عمره ولا يبعث به الى المدرسة الابتدائية تحق عليه الغرامة وقدرها ٢٠ ريالاً او السجن شهراً . وعليه ابقاؤه في المدرسة حتى السادسة عشرة على انها تعفي الولد من المدرسة في السنة الرابعة عشرة اذا اثبت لها الاب انه يستعمله عند بلوغه هذا السن في عمل نافع له ولمستقبله . وليس غرض الحكومة في هذا نفع الولد فقط لانها القيمة الشرعية عليه بل لها من ذلك غرض لمنفعتها ايضاً . فانها لا ترمي فقط الى رفع هذه النفوس الصغيرة القاصرة الضعيفة بتعليمها القوي الى مرتبة النفوس العزيزة القوية لتجعل منها رجالاً بل غرضها ايجاد امرين. الاول توحيد اهلها وسكانها بتربيتهم تربية واحدة وجعلها

---

(١) تنبه الاوروبيون الى هذا الامر في السنوات الاخيرة فقام كثيرون منهم يدعون الى اصلاح بروغرام التعليم. ولما شرعت فرنسا في ذلك منذ بضعة اعوام عارضها فيه اساتذة الحزب القديم بحجة ان (الجمال) الموجود في التعليم القديم لا يجده الطلبة في التعليم الجديد. وكتب يومئذ الاستاذ الفريد فوليه من مشاهير الاساتذة في مجلة العالمين يقول ان (المبادئ الانسانية الجليلة القديمة) ستموت بهذا التعليم. ولكن الحكومة تغلبت على هذا الحزب بجعلها بروغرامها وسطاً بين التعليم العملي التجاري المحض والتعليم الايديالستي المحض. وهو الصواب

لهم جامعة واحدة وهي الجامعة الاميركية . وبذلك تأمن الانقسامات الجنسية التي تمزّق احشاء الامم الاوروبية لا سيما وان هذه الانقسامات قد تبلغ هنا اشدها اذا لم تتلافها وذلك لتعدد الجنسيات والاقوام الذين يعيشون فوق ارضها . والامر الثاني انها تعلم ان الامة بافرادها فاذا كانوا رجالاً اقوياء اذكياء مدرَّبين على الحياة استفادت الامة من قواهم البدنية والعقلية واذا كانوا ضعفاء جهلاء بلداء كانوا حملاً ثقيلاً عليها وسبباً لاضعاف الاقوياء فيها . ومنذ مدَّة اقترح بعض النواب الاميركان على مجلسهم تضييق باب المهاجرة على المهاجرين بفرض ضريبة عليهم قبل دخولهم وايجاب امتحانهم في القراءة والكتابة والحساب وبعض الدروس الادبية . ولا يزال هذا الاقتراح في دائرة البحث . فقامت على اصحاب الاقتراح قيامة بعض الجرائد وفي مقدمتها « الجورنال » في نيويورك . وكان من اهم حجج « الجورنال » ان هؤلاء المهاجرين الذين تبغون مضايقتهم انما يمنحون الامة الاميركية رجالاً لا تستغني اميركا عنهم . فان الواحد منهم يحمل الاثقال والتراب والآخر يعالج الحديد في المعمل والثالث يموت ويحيي في النهار بعمله الشاق – وكلهم لا يتعبون و يضنون و يسقمون الا وغرضهم تعليم اولادهم . واولادهم بعد ان يتعلموا هم لنا خير الرجال لانهم يصبحون اميركيين قلباً وقالباً

❋ ظهور هذا الاثر في السوريين ❋ ادخل اية مدرسة شئت من المدارس الاميركية هنا وقف عند اي ولد من اولادها . قف مثلاً امام فتىً اسمر اللون اسود الشعر والعينين عصبي المزاج حاد النظر كأنَّ عينيه من نار وسله من اي قوم انت ؟ ولا ريب في انك تلقي عليه هذا السؤال وانت لا تجهل انه سوري او يوناني او اسباني (١) لان صفات جسمه تدل على ذلك . فتسمعه يجيبك وقد ازداد اتقاد عينيه ورفع رأسه بكبرياء كانه على قصره يريد ان ينطح به السماء « انا اميركي » ولا يستثنى من « هذه الكبرياء الوطنية الاميركية » ولد حتى ابناء الانكليز والفرنسويين انفسهم . فان جميع الاولاد الذين دخلوا المدرسة الاميركية وذاقوا حلاوتها واعتادوا نظافتها و ترتيبها وتعليمها السهل المفهوم واناشيدها الجميلة والاعيبها الرياضية المقوية ورفق معاملتها وحماسة التربية القومية فيها كلهم لا يريدون ان يكونوا الاَّ اميركيين . حدَّث احد الآباء السوريين قال . انني على مذهب كذا (وهنا سمى مذهباً مسيحياً) وابني في الثانية عشرة من عمره يتعلم في المدرسة الاميركية . وكنت

(١) كثيرًا ما سمعت بعضهم في فرنسا يسألني قائلاً « اظن انك اسباني » ذلك لان الاسبان شديدو الشبه بالسوريين واليونان . وقد اخذوا هذا الشبه من الدم العربي الذي امتزج بدمائهم من دول الاندلس العربية

الح عليه ان يرافقني الى كنيستي للصلاة فيها فيجيبني اننا نصلي في المدرسة . وفي ذات يوم تغلبت عليه واقنعته برافقتي فذهب معي الى كنيستي . ولما عدنا منها سألته عن رأيه ، فاجاب ضاحكاً لم افهم شيئاً وانني استغرب هذه الصلاة وهذه آخر مرة ارافقك اليها (١)

وحدّث اب آخر قال : لما حمي وطيس الخلاف والنزاع بين السوريين هنا اخذت بعض الصحف تطعن عليّ طعناً شديداً . ففي ذات ليلة قصدت منزلي مضطرباً ثائراً فسألني ابني وهو فتىً في الخامسة عشرة ما سبب غضبك . فاخبرته عن السبب . فضحك وقال (« انتم » ايها السوريون تشتغلون دوماً بالسفاسف والصغائر . فماذا يهمك او يضرك ان تطعن الصحف عليك . ان هو الا كلام ذاهب في الهواء . اما رأيت ان الصحف الاميركية تطعن على «رئيسنا» روزفلت نفسه) قال الاب وانني الآن نادم لانني لم افعل طبقاً لرأي ابني

قلنا وان مدرسة تعلم صبيانها تعليماً يجعلهم اهل فهم ورزانة وعقل يفوق فهم الكبار وعقلهم ورزانتهم لجديرة بكل احترام وشكر من المهاجرين السوريين . ومصلحتهم الكبرى ومصلحة امتهم في مستقبلها في هذه البلاد انما هي في ان يجعلوا المدرسة الاميركية على الدوام المربية الوحيدة لابنائهم دون ان يفكروا بانشاء مدارس وطنية شرقية تبقي وتخلّد في نفوس الابناء ذلك الارث القبيح الذي تركه لهم الآباء وهو ارث النفس الشرقية وما يتبعها من قصور فاضح في التعليم والتربية والانقسامات المعلومة

واننا كلما جلنا في شوارع نيويورك وبروكلن ورأينا ابناء السوريين وبناتهم يلعبون مع ابناء الاميركيين وبناتهم ولا فارق يفرق بين الفريقين في النشاط والقوة والذكاء واللغة واللباس والنظافة غير السحنة الشرقية الجميلة لا نتمالك ان نقول ونحن مارون في طريقنا.

ـ اي نعم ايتها المدرسة الاميركية الصغيرة . انتِ قوّة اميركا الكبيرة واساس عظمتها وسلك وحدتها . بكِ تُبزر في نفوس ابناء هذه الامة اول بزور القوة والشهامة والشجاعة والاخاء بين الشعوب والادب والجمال . منكِ تبتدئ الخطوة الاولى في سبيل العظمة الاجتماعية وجميع المدارس الكبرى والكليات العظمى والجامع العلية والمحافل السياسية التي تأتي بعدكِ انما تبنى على اساسكِ . فيكِ العناصر والجنسيات والمذاهب المختلفة تجد الحكم العادل بينها المسكّن نفوسها وآلامها والمحرّك العظيم الذي يمزجها بعضها ببعض مزجاً لطيفاً دون اصطدام ولا احتكاك ويُخرج منها في النهاية شعباً جديداً يطيب له هذا الامتزاج والاستغراق لانه يرقيه وينقذه من نقائصه الاولى

(١) لا نستحسن هذا الانقسام المذهبي في العائلة ولكننا ذكرنا هذا المثل لبيان تأثير هذه المدرسة

نبوغ واختلال

او

﴿ رواية قان ﴾ (١)

تعريب « احد الكتاب المجيدين »

هي رواية غرامية ادبية فكاهية سياسية وضعها اسكندر دياس الأب وعربها الجامعة
(احد الكتاب المجيدين) وموضوعها بيان ما يرافق نوابغ الرجال من اختلال
الاحوال ووصف بعض طبقات الانكليز العليا وما كان يقع بينها من
الحوادث الغرامية والخلاعة . ومدار الرواية على « قان » Kean
اشهر واعظم ممثلي الانكليز في القرن التاسع عشر (ولد سنة ١٧٨٧
وتوفي سنة ١٨٣٢) وكان شمس انكلترا وقمرها في تمثيل
الروايات الجدية ومناظر البرنس دي غال ولي عهد
انكلترا لذاك العهد في تفقاته وحوادثه الغرامية .
والرواية مبنية على تنازعها قلب حسناء من
اكابر السيدات . ويظهر فيها مقام
الممثلين في تلك البلاد

الفصل الاول

كان في تلك الليلة حفلة رقص في منزل الكونت كفلد سفير ايطاليا في لندن . وبينما كانت ايلينا زوجته تكتب كتاباً في المساء وخدامها يعدون آخر المعدات لتلك الليلة واذ

(١) مما سرّنا في تعريب هذه الرواية ان معربها استوفى في تعريبها شروط التعريب فجاء تعريبه جامعاً لمحاسن الاصل ومعانيه البليغة وافكاره الجميلة . فالقارىء يقرأ فيها افكار دياس نفسها مسبوكة بقالب جميل كقالبها الاصلي . والذي حملنا على نشر هذه الرواية رغبتنا في ارضاء قراء اميركا على الخصوص لاننا رأينا اكثرهم يفضلون الروايات المفكهة على كل شيء . ولذلك ننشر لهم في كل جزء روايتين . وقلما وجد بين روايات دياس رواية مفكهة مطربة بما فيها من الحوادث الغرامية الادبية كهذه الرواية

اعلن الخادم قدوم الكونتس كسويل . فصاحت الكونتس ايلينا ادخلها ادخلها على عجل . فدخلت الكونتس كسويل وهي تقول لقد جئت ابنتها الصديقة قبل الجميع لنتحادث نصف ساعة معاً . فان لديَّ اموراً كثيرة احب اطلاعك عليها . واولها يا ايطاليتي الجميلة هو ان شعرك الاسود وعيناك السوداوان لهي بين شعورنا الشقر وعيوننا الزرق اجمل ما في قاعاتنا الآن

فاجابت ايلينا . هذا اذا تركنا جانباً عنقك الابيض الجميل ويديك البيضاوين الناعمتين وقامتك الميفاء التي هي زينة قاعاتنا الحقيقية . ولقد اصبحت بعد تعارفنا ابنتها العزيزة على رأي شاعركم الكبير الذي يقول « ان انكلترا انما هي عش كبير مملوءٌ بالاوز وسط بحيرة جميلة » انني اخاف الليلة على ضيوفي ان يفتنهنَّ جمالك . اجلسي يا عزيزتي امي

فقالت امي . نعم انني اجلس لانني تعبت تعباً شديداً . فقد كان عليَّ الذهاب الى نيو ماركت لحاجة لي فاضطررت ان انهض اليوم من فراشي عند الساعة العاشرة قبل الظهر . وكلما اهملت صحتي ونهضت في النوم في مثل هذه الساعة فانني ابقى طول النهار ضعيفة متألمة . وانتِ هل خرجتِ من منزلكِ امس . فاجابت ايلينا نعم قد ذهبت الى ملعب درري لن . فقالت امي وماذا كانوا يمثلون فقالت هملت و « حلم في احدى ليالي الصيف » فقالت ومن كان يمثل هملت . ثُيغ ام سواه . قالت كلاً وانما كان يمثله ادمند فان . فقالت امي وكيف كان تمثيل فان فقالت ايلينا غاية في العظمة والجمال . وانتِ لتعلمين ابنتها العزيزة اننا نحن الايطاليات لا وسط عندنا فاما اننا نغالي في الاستحسان واما اننا نغالي في الاحتقار

فقالت امي ضاحكة . اتعدينني بانك لا تضربينني ضرباً شديداً اذا ذكرت لكِ امراً هاماً . فقالت ايلينا تكلمي . فقالت امي تهيأي اذاً لتسمعي خبراً لم يُخترع قط خبر اشد غرابة منه . فقالت ايلينا تكلمي . فقالت امي ضاحكة بشيء من الدلال ولكنني لا اعلم كيف اذكره لك لانه خبر غريب مضحك . فقالت ايلينا بدهشة ما هذا الخبر الغريب تكلمي . فقالت امي هل يسمعنا احد . فقالت ايلينا انك تخيفينني بهذا الكلام فما مرادك

فقالت امي اسمعي يا صديقتي . ان الناس اصبحوا يلاحظون انك كثيرة التردد على ملعب درري لن

فضحكت ايلينا ضحكة اغتصابية وقالت . احقيق ما تقولين ؟ ولكن هذا الامر اذا كان حقيقياً جدير بان يفتخر به قومك لانه دليل على ولع الاجانب بروايات شاعركم شكسبير

فقالت امي ولكنهم يقولون انك في ذهابك الى الكنيسة لا تذهبين رغبة في الصلاة بل رغبة في الكاهن

فقالت ايلينا وقد ضغطت على عواطفها لاخفاء ما في نفسها . من اجل اي ممثل يظنون انني اذهب الى الملعب . امن اجل بنغ . قالت كلاً . قالت امن اجل مكردي . قالت كلاً . قالت امن اجل كبل . قالت كلاً بل من اجل فان

فهنا عضت ايلينا شفتها بغضب وقالت . انهم مجانين ومن يقول هذا القول

فاجابت امي . من ذا الذي يعلم مصدر اقوال كهذا القول ايتها العزيزة . فانها تنتشر بين الناس كانها خارجة من الارض او هابطة من السماء

فقالت ايلينا بتهكم . واذا مرت بها صديقة مخاصة التقطتها واذاعتها . أليس ذلك كذلك ايتها العزيزة . ولكن اخبريني ماذا يظنون ايظنون انني احب فان

فقالت حباً شديداً

فقالت ايلينا وهم يعنفونني على ذلك

فقالت امي لا يعنفونكِ فقط بل هم يشفقون عليكِ لان ميلك الى رجل نظير فان . . .

فقطعت ايلينا كلامها وقالت لم اعترف بانني احبه ايتها الكونتس لتقولي هذا القول . ولكني اسأَلك ما المانع من الميل الى ممثل نابغة كفان

فقالت امي . اولاً انه ممثل وانتِ تعلمين انه لما كنا لا نقبل هذا الفريق من الناس في قاعاتنا . . . (١)

(١) كذا كان مقام اشهر الممثلين في اوروبا . اما اليوم فقد ارتقى مقامهم وسمت منزلتهم فانه لما افتتح الممثل كوكلين منذ بضعة اشهر الملجاء الذي خصه بالعجزة والشيوخ الذين صرفوا حياتهم في التمثيل رضي رئيس الجمهورية المسيو فالليير ان يتولى رئاسة حفلة الافتتاح فذهب بنفسه وافتتح الملجاء واثنى على كوكلين فاجابه كوكلين بقوله ان زيارة الرئيس تمحو عن الممثلين العار الذي الصقه بصناعتهم بعض الناس ظلماً وعدواناً . ولكن لا تزال صناعة التمثيل في اوروبا معدودة عند بعض الطبقات صناعة منحطة فانه لما منح المسيو بريان وزير المعارف الفرنسوية الممثلة المشهورة ساره برنار في هذا العام وسام جوقة الشرف من درجة شفالية رفض مجلس ادارة جوقة الشرف الموافقة على هذا الانعام فكان لذلك جلبة شديدة في الجرائد الفرنسوية . ولا يزال المجلس مصرًّا على رفضه حتى الآن . وقد ردّ عليه اصدقاء ساره بانه قد وافق على منح وسام الشرف قبل الآن الى الممثلة مدام بارته المشهورة فكان جواب المجلس ان مدام بارته انما اعطيت وسام الشرف كمدرّسة للتمثيل في مدرسة التمثيل حيث تدرّس التمثيل لا كممثلة

فقالت ايلينا مكملة كلام ايمي : يجب ان لا نقبله في دهاليزنا وغرفنا الخصوصية . ولكن اظنك لا تجهلين انني رأيت يوماً مستر كبل في منزل الدوق اوف يورك

فقالت ايمي . نعم لا اجهل ذلك

فقالت ايلينا فاذا كان يجوز فتح الابواب في وجه احدهم فما المانع من فتحها في وجه آخر منهم

فقالت ايمي ولكن قان رديء السمعة ملوث الصيت ايتها العزيزة . فانه بطل من ابطال الفساد والخلاعة . وهو يتفانى في مناظرة لفلاس في كثرة النساء اللواتي يحببن ويوقعهن في شراكه . ولا يحجم عن مناظرة البرنس دي غالب في نفقاته . وبينما نراه في اوج العظمة مرتدياً بلباس هملت او ريشارد واذا به يخلع هذا الرداء ويرتدي لباس بحري من بحارة الميناء وينتقل من حانة الى حانة وعلى الغالب يعود الى منزله محمولاً لا ماشياً

فقالت ايلينا اتمي اتمي حديثك يا صديقتي

فقالت ايمي وعدا هذا فهو مثقل بالديون ولذلك يتجر بقلوب السيدات الرفيعات تخلصاً من دعاوي دائنيه

فقالت ايلينا . وهل خطر في بالهم انني احب رجلاً هذه صفاته كما تقولين ايتها العزيزة . ايصدق ذلك اولئك الناس

فقالت ايمي . كثيرون لم يصدقوا ذلك ايتها العزيزة وانا في مقدمتهم . وكذلك اللورد ديلور والسيدة ...

فقطعت ايلينا هنا بحث كلام ايمي وقالت . على ذكر اللورد ديلور اسالك شيئاً من اخباره ايتها العزيزة فكيف حاله

فبغتت الكونتس ايمي لما كان شائعاً عن علاقتها مع اللورد ديلور وقالت : تسالينني انا عن اخباره . ومن اين لي بها

فقالت ايلينا عفواً يا صديقتي فانني انما استخبر خبره من جميع الناس . فهو شاب ظريف لطيف انيق الملبس دمث الاخلاق ولا عيب فيه الا انه كثير الكلام لا يكتم سراً

فقالت ايمي مبغوتة . لا يكتم سراً

فقالت ايلينا . نعم هو كذلك ولكن من يصدقه ايتها العزيزة ؟ عفواً لقطع حديثك . بماذا كنا نتحادث

فقالت ايمي وقد ظهر عليها الاضطراب ذهب عني موضوعنا ايتها العزيزة . ها . لقد

نسيت ان احدثك عن مرقص دوق نورثمبرلند ، ثم اخذت تحدثها عن هذا المرقص ، ولا ريب ان القاري، قد ادرك الطريقة التي انتقمت بها ايلينا لنفسها

بنت من يهوى

بقلم جناب نقولا افندي الحداد نزيل نيويورك الآن

هي قصيدة عرلية لا ينقص نظمها جمالاً وقوة عن ابلغ الشعر العربي . ولا يتمالك قارئها بعد الاطلاع على لغتها الصحيحة ونظمها المتين ومعانيها الرقيقة ان يقول هكذا يكون الشعر والاّ فلا . وموضوعها محب يرى بنت من يهوى ووصفها ووصف عواطفها بدقة شعرية نادرة المثال حتى بين شعراء مصر والشام . وان كان في عواطف المحب الموصوف هنا شيء يسوء ففي جواب حسناء القصيدة من الاعتصام بالكمال والفضيلة ما يمحو كل سوء

رأى بنت من يهوى وقد جدّ وجدهُ ... وقطّع منه الصد قلباً متيماً
قضى ليله ما شام بارق وجهها ... فما كان ليلٌ منه ادجى واظلما
ولما رآها استوقفته وقد بدت ... لاقنوم من يهوى مثالاً لقنما
رشاً بنت خمس قد تبدَّت لطرفه ... تلاعب اترابا لها تشبه الدمى
فظلّ لديها حائر اللب هائماً ... يطيل اليها نظرة وتوسما
واذ همّ بالتساّل عنها اجابه ... فؤاد لديها بات ولهان مغرما
ألستَ ترى فيها ملامح غادةٍ ... غدوت بها من شدّة الوجد مسقما
فذي العينُ تلك العينُ والثغرُ ثغرها ... وقد شارعتها نظرةً وتبسما
وفي ناظريها السحرُ واللحظُ لفظه ... وقد كلّم القلبَ الشجيَّ فكلما
وفي ثغرها بيتُ القصيد وبحرهِ ... عذبٌ بعوم الدرّ فيه منظما
فذي نسخةٌ من رسم تلك مصغرا ... وحسبك هذا الحسن ان تتوسما

***

ولما تلقاها تجافت واجفلت ... وما ادركت من وجده ما تضرما
ولا علمت ما في حشاه من الجوى ... وانى لها سرّ الفؤاد لتعلما
فبشّ اليها ثم اوما تحبباً ... ورحّب اغراء وحيّا وسلما

ولكنها لم تجبه غير نظرة تفهّم فيها الف معنىً وترجما
وما هي تعني ما استفاد وانما توم عيني غيرها فتفهما
فلاطفها فاستانست بابتسامه ومازحها حتى تميل وتبسما
ترامت عليه والتبذّل عندها عفافٌ فلا تدري التأويل منهما
فؤادٌ كذاك القلب لكن بلا هوى تحلّ لها دلٌ على ذلك حرّما
فالوت اليه والدلال يميلها فضم ملاكاً طاهراً متجسما
ولاعبها مستنشقاً هدب ثوبها وضاحكها حتى ملا ضحكها الفما

***

رآني يا امي فتىً قد عرفته ويا امّ ما احلى الفتى ما ارقّ ما
وقصت عليها بنتها كلما جرى حديث صغير يجبر الامر مثلما
فقالت ومعنى قولها في ابتسامها وقد عرفتْ ذاك المحب المتيما
يمثل دوراً يجتنيه حقيقة وهيهات ما يبغيه قد عزّ مغنما

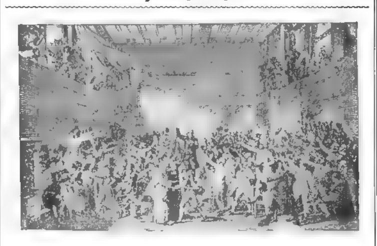
مشاهير المتقدمين والمتاخرين

ثلاثة رسوم

يمين قاعة لعب الكرة * الفتى يسوع بين الكتبة
والفريسيين في صغره * احراق الاحياء والاموات

﴿مجلس الدوما الفرنسوي والدوما الروسي﴾ وقع لاول مجلس دستوري اجتمع في فرنسا ما وقع لمجلس الدوما الروسي في هذا العام . ولكن المجلس الفرنسوي تغلب على الهيئة الحاكمة لان شعب باريز ثار يشدّ ازره وعجزت الحكومة عن كبح جماحه . ولذلك قال الناس حين حُلّ البرلمان الروسي ان مصير امره متوقف على الشعب الروسي . وقد ظهر بعد ذلك ان الشعب الروسي اضعف من حكومته

وبيان خبر « الدوما الفرنسوية » ان الملك لويس السادس عشر جمع نواب الولايات



يمين ملعب الكره

اول مجلس دستوري فرنسوي اراد الملك لويس السادس عشر حله بعد ثلاثة ايام من اجتماعه فاجتمعوا واقسموا يميناً انهم لا يتفرقون حتى يضعوا الدستور

لاصلاح الميزانية وضرب ضرائب جديدة وسن دستور للامة (١) فاجتمع النواب في ١٧ يونيو من عام ١٧٨٩ . ولكن لم تمر ثلاثة ايام على اجتماعهم حتى اقنع الامراء والنبلاء والاساقفة الملك لويس السادس عشر بمنع اجتماعهم لاسباب يطول شرحها . فاعلن المسيو درويروزه من حاشية الملك انه تقرر اقفال القاعة التي يجتمع فيها المجلس لرغبتهم في اعدادها لحفلة ملكية . فلما قدم اعضاء المجلس وجدوها مقفلة فذهب بهم رئيسهم العالم بالبي الى قاعة اخرى في شارع آخر لعقد جلستهم فيها فوجدوا عليها الحراس يحرسونها . فاقترح عليهم حينئذٍ الدكتور كليوتين « صاحب الكليوتين آلة الاعدام المشهورة » بان يعقدوا جلستهم في قاعة واسعة للعب الكرة كانت في شارع اوتل دي لورج . فهرع الرئيس والاعضاء الى هذه القاعة وعقدوا فيها جلستهم . واول عمل عملوه انهم اقسموا جميعاً الا واحداً منهم يميناً انهم لا يتفرقون حتى يضعوا دستوراً للامة الفرنسوية مهما اصابهم من اضطهاد الملك وحاشيته . والرسم المنشور هنا يمثلهم مجتمعين حول رئيسهم العالم بالبي وايديهم ممتدة يقسمون اليمين .

(١) هذا احد وجوه الشبه بين الدوما الفرنسوية والدوما الروسية

ولما جاءهم درو بروزه يطلب منهم باسم الملك والقانون ان يتفرقوا اجابه الخطيب ميرابو بجوابه المشهور « اذهب وقل لمولاك انا اجتمعنا في هذا المكان بارادة الشعب ولا نخرج منه الا والحراب في صدورنا » (١) — وهذا هو بدء الدستور الفرنسوي. ولذلك يعتبرون تلك القاعة التي كانت لعب الكره مهداً له وهي اليوم في باريز مزار للناس

والرسم المنشور هنا رسمه الرسام الطائر الصيت لويس دافيد ولوك اوليفيه مرسون . وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز وفي القاعة المذكورة آنفاً نسخة منه . وفي صدره الى يمين الرئيس الواقف في الوسط كاهنان وراعٍ بروتستنتي من الاعضاء اشارة الى اتفاق الشعب من جميع الطبقات والمذاهب يومئذ على الرغبة في الاصلاح والدستور . والى يسار بالي الرئيس رجل كبير الهامة رافع يده وهو الخطيب ميرابو المشهور . والناظر الى هذا الرسم يرى امامه مشاهير الرجال الذين كانوا مبدأ الثورة الفرنسوية



الفتى يسوع بين الكتبة والفريسيين
يباحثهم ويناظرهم في الكتب

✲ الفتى يسوع بين الكتبة والفريسيين ✲ يمثل الرسم الثاني الذي نشرناه في هذا الفصل يسوع في الثانية عشرة من عمره جالساً في المعبد بين الكتبة والفريسيين اليهود يباحثهم

(١) وفي رواية اخرى « الا بقوة الحراب » والرواية الاخرى اصح . ولما حُلت الدوما الروسية وطلب من الاعضاء الخروج من القاعة اجاب احدهم مثل جواب ميرابو هذا . وهو شبه آخر بين المجلسين

ويتاظوم . وهو رسم الرسام فليكس باريباس وقد اجاد في رسمه كل الاجادة في وصف الحماسة الجدلية والعطف الصبياني مقرونين بالقوة الناشئة عن رسوخ في الاعتقاد



احراق الموتى في الهند

الميت ممدود فوق الحطب ورجلان يضرمان النار فيه والدخان بدأ يرتفع منه

☙ احراق الاحياء والاموات ❧ كان فريق من سكان الهند يحرقون الاحياء مع موتاهم . فاذا توفي رجل عن امرأة قضي على زوجته بان تُحرق معه اكراماً له ورغبة في ان لا تبقى بعده. والارجح ان عادة احراق الموتى مأخوذة عن قدماء اليونان في جاهليتهم. وقد وصف هوميروس احراق جثة باتروكلوس القائد الشجاع فذكر انهم احرقوا معه بعض اسرى الحرب اكراماً له . واذا كان التمدن الحديث قد ابطل في الهند وغير الهند احراق الاحياء فقد قام في اوروبا جمعيات وعلماء يقولون ان عادة احراق الموتى لهي خير من عادة دفنهم . وقد اذنت لهم الحكومات الاوروبية بانشاء افران خصوصية رسمية لحرق الجثث التي يوصي اصحابها برغبتهم في احراق جثتهم بعد موتهم . اما فائدة هذا الاحراق عندهم فهي حفظ صحة الاحياء لان كثيراً من مكروبات الامراض والاوبئة تعيش في المدافن زمناً طويلاً ثم تنتشر منها بين الاحياء هذا فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة من القبور وافسادها الهواء . والاعتراض الذي يُعترض به على هذه العادة التي من حقها ان تجرح

العواطف الشرقية ان احراق الجثث يحول دون فحصها وتشريحها في المسائل الجنائية اذا ظهرت ضرورة لذلك بعد الموت والاحراق. هذا غير الاعتراض من الجهة الدينية الذي يعترض به اصحاب المذاهب الدينية . فانه لما طلب بعضهم في مصر الاذن بانشاء فرن لحرق جثث الموتى فيها اذنت الحكومة المصرية بذلك واصدرت به امراً رسمياً ولكنها اشترطت في هذا الامر ان لا يُقبل للاحراق في هذا الفرن جثة لمسلم. واول جثة احرقت في اوروبا كان احراقها في فرن في ميلان في ٢٢ يناير سنة ١٨٧٦ . وهذه العادة آخذة اليوم في الشيوع والانتشار وبعضهم يزعم انها ستكون شريعة للموتى في المستقبل. وكثيرون من خاصة العلماء يفضلون ان تحرق جثثهم بعد موتهم على دفنها

باب التقريظ والانتقاد

﴿ حواء الجديدة ﴾ أشرنا في الجزء الخامس الى هذه الرواية الجميلة التي وضعها جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني ومؤلف الكتب والروايات الاجتماعية المفيدة المنشور اعلانها في صفحة الاعلانات في هذا الجزء . وقد وصل حضرته الى نيويورك في منتصف الشهر الجاري فلقي من افاضل المهاجرين وادبائهم ما يستحقه فضله وادبه من الحفاوة والاكرام . وقد كتب الينا احد اصدقاء الجامعة الخصوصيين جناب شبل افندي دموس وهو كاتب فاضل من عقلاء السوريين في الداخلية يقول ضمن كتاب خصوصي « ان قدوم نقولا افندي حداد يجمل نصيب المهاجرين من رجال العلم والادب وافراً . وربما كانت نهضة المشارقة في الغرب اعظم منها في بلادهم في زمن قريب . واني بعد انتقال الجامعة الى نيويورك وقدوم حداد افندي اليها لاكثر رغبة في الاقامة فيها مني من قبل. اذ لي شغف باهل العلم دونه شغفي بالحسان في زمن الصبى »

قلنا والفضل يعرفه اهله وذووه . والذي يرتاح الى مصاحبة اهل العلم والادب وتنشيطها والاعتراف بمزاياها مع كساد بضاعتها عندنا بالقياس على رواجها عند الامم الراقية انما يدلّ على فضله وجودة طبعه وكرم اخلاقه . والعكس بالعكس

وآخر روايات حداد افندي رواية (حواء الجديدة) التي اشرنا اليها . وليس غرضنا في هذه الفقرة ان نبدي رأينا في هذه الرواية ولكن غرضنا ان ندلّ على منزلة مؤلفها من فنه عند افاضل كتاب مصر نفسها . واليك شيئاً مما كتبه اليه ثلاثة من الكتاب المشهورين في مصر بشأن روايته وقد جعلت هذه الكتب الثلاثة ذيلاً للرواية

قال صاحب مجلة المنار الاسلامية في مقدمة كتابه وهو في اكثر من ثلاث صفحات « رغبت اليّ ان اقرأ قصتك الجديدة (حواء الجديدة) واكتب اليك برأيي فيها واثرها فيّ بعد القراءة . اراك احسنت في التصوير والتخييل واعتصمت بحبوة النزاهة والادب في التعبير واراني استعبرت لغير ما عبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفاً عندي . قرأت وسمعت فيه شيئاً عن الافرنج وفكرت فيه كثيراً ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما سمعته عنهم »

وكتب حضرة الدكتور شبلي افندي شميل المشهور كتاباً في اربع صفحات قال فيه « لم تقع (حواؤك الجديدة) تحت نظري حتى استغوتني كما استغوت حواء آدم من قبل فقمت اطالعها ولا الوي على شيء حتى استنفدت في قراءتها بعض ليلة ويوم . وقد اعجبني جداً منهاجكم فيها اذ جعلتموها في اسلوب رواية اجتماعية حسنة السبك مؤثرة منبهة تشوق القارىء الى مطالعتها وتؤثر في عواطفه وقائعها وتستفز حميته مظالمها حتى اذا انتقل من ذلك الى اعمال الفكرة في نظام الاجتماع لم يقف عند هذا الحد من الحيف بل بدت له معائبه الكثيرة في شرائعه وعاداته واحكامه التي لم ينظر فيها الا الى تأييد جانب القوة وهضم حقوق الضعيف في كل اموره حتى جاء نظامه المصطنع مخالفاً لمبداء نظامه الطبيعي »

وكتب صاحب مجلة الهلال كتاباً في اربع صفحات منه « فلما جاءني روايتك لم ارَ بدّاً من قراءتها قياماً بالواجب فبدأت بتصفحها وانا اصبر نفسي على ذلك لاني اكثر رغبة في مطالعة كتب التاريخ والعلم مني في مطالعة كتب الفكاهة . ولكنني ما كدت اتصفح بعضها حتى خيل لي اني اطالع كتاباً فلسفياً علمياً اخلاقياً . فبعد ان كنت اصبر نفسي على المطالعة اصبحت لا اصبر عنها واستغرقت في الموضوع ولذّ لي اعمال الفكرة فيه فاعجبني ما تضمنه الكتاب من الادلة على فساد الرجل والحاقه عار فساده بالمرأة . فهو يأكل الحصرم وهي تضرس . فتمثلت لي فظاعة ذلك الامر تمثيلاً واضحاً . ولم اعجب من اجادتك في وصف العواطف وتشريح الاخلاق فقد عدتك من نوابغ هذا العصر في هذا الشأن ومؤلفاتك شاهدة على ذلك . وانما اعجبت ببراعتك في اسلوب تعبيرك عن حال ايفون

(في صفحتي ٤١ و ٦٤) وغيرها وانتقادك العادات الشائعة في الزواج وتربية البنات بين اظهرنا وتبيانك ما يقع على المرأة من الظلم في احكام الناس وما تقاسيه في سبيل المحافظة على شرفها وانها تشترك في الذنب مع الرجل وتحمل العقاب وحدها. سبكتَ ذلك في سياق رواية غرامية ضمنها من القواعد الاجتماعية والمبادىء الادبية الاحساسية ما يجدر ان يكون مثالاً يُنسج على منواله لا سيما في حالتنا الحاضرة وهيئتنا الاجتماعية في اوائل انتقالها الى نظام التمدن الحديث ولا يزال معظمها فوضى» الى ان قال « وبين ظهرانينا عشرات من العادات الاصيلة والدخيلة تفتقر الى اصلاح واصلاحها ميسور وقريب وانما نحتاج الى من ينبه اليها تنبيهاً موثرًا وليس افضل من الروايات للوصول الى هذه الغاية اما على المراسح او في الكتب لعكوف الناس على مطالعة الروايات كبارًا وصغارًا — فاقترح عليك باسم آداب هذه اللغة ان تؤلف الروايات في تقبيح الرذائل الشائعة كالكذب مثلاً ولا سيما المستتر منه وراء المجاملة مع الحث على اتباع الصدق ونحوه من الفضائل . ألف في بيان فظائع المقامرة والمسكر والبورصة وغيرها من الرذائل والمنكرات التي تئن تحت اعبائها — على ان الروايات على نحو ما بسطته لي « حواء الجديدة » كبيرة الاهمية وتفتقر الى قريحة وقادة وعلم واسع الخ ....

ويلي هذه الكتب كتاب من جناب المحامي الفاضل ابرهيم افندي جمال وقد كان كتابه اشد الكتب على ايفون مونار التي عليها مدار الرواية . وقد اثنت صحف مصر والشام في الشهر الماضي على الرواية ومؤلفها ثناء يجزيه عن تعبه في وضعها

هذه منزلة الكاتب الجديد الذي انضم الى جمهور المهاجرين هنا في صناعة الادب. والجامعة تعيد هنا ما نشرته في الجزء السابق من سرورها وسرور افاضل الناس هنا بانتقال كاتب حقيقي وشاعر حقيقي من كتاب مصر والشام المعدودين المفيدين الى دار هجرتهم لاننا بحاجة هنا الى رجال جد وعمل يكونون دماً قوياً جديداً في جسم الهيئة الشرقية المهاجرة

❋ الزهرة ❋ هي مجلة عمومية ادبية ظهرت في كليفلند من اعمال الولايات المتحدة لمنشئيها حضرات اسعد افندي خوري وسليم افندي عازار . فالجامعة ترحب بهذه الرصيفة الجديدة وترجو لها كل نجاح

❋ جمعية الاتحاد في سانتو ادواردو ❋ وردنا البيان السنوي لجمعية الاتحاد السوري في سانتو ادواردو في البرازيل وقد انشأها بضعة من ادباء السوريين هناك لغرض حميد وهو مساعدة المرضى والضعفاء مما يوجب لحضراتهم الثناء

كتاب جديد

كلمة شاعر في وصف خطب نادر

هو كتاب شعري عني بوضعه جناب الناظم الناثر البليغ امين افندي ضاهر خيرالله. وموضوعه نظم حادث الزلزال في سان فرنسيسكو متحدياً في نظمه ايلياذة هوميروس المشهورة اليونانية والعربية . وقد صدر عن نيويورك في آخر هذا الشهر

والعادة ان المجلات والجرائد تقرظ الكتب التي تهدى اليها بقول يجعلها كلها متشابهة متقاربة. وذلك اما لان تلك الكتب لا تستحق العناية بها فيرضي الكاتب صاحبها بشيء من التقريظ المبهم . واما لكسلنا نحن معاشر المقرظين للكتب فلا ننظر فيها . على انه من الظلم لهذا الكتاب الشعري الذي تعب امين افندي في نظمه تعباً ما وراءه تعب ان يفعل به ما يفعل بالكتب التي اشرنا اليها . فان الناظم تناول حادث الزلزال من اوله الى آخره واطلق العنان لقريحته في مضماره فلم يترك بحثاً في الموضوع الا طرقه من الجهة الادبية والعلمية والوصف الاخباري والعلمي فجاءت قصيدته تاريخاً للحادثة . وقد قسم القصيدة الى فصول كل فصل منها اربعة ابيات ومجموع فصولها ٢١ فيكون مجموع ابياتها ٨٤ بيتاً. والفصول المذكورة مشروحة ومفسرة تفسيراً مفيداً . واحسن ما اعجبنا فيها جمعه آراء العلماء في اسباب الزلزال المذكور ولعل هذا بيت القصيد . واذا كان شعر هذه القصيدة المفيدة يحتاج الى سمو الخيال الذي هو القوة الحقيقية للشاعر وبدونه لا يكون الشعر شعراً فان القارىء يعتاض في الكتاب عن هذا الامر بما اجاد فيه مؤلفه من نظم الحادثة بدقائقها الكلية والجزئية مقرونة بفوائد ادبية وعلمية ولغوية . ولو كان شعراء مصر المجيدون يجعلون دواوينهم ومنظوماتهم على هذا المنوال لكانت آثارهم الادبية اكثر رواجاً واجل فائدة

فنحث قراء الجامعة على اقتناء هذا الكتاب لفائدته وجزاء صاحبه عن تعبه فيه . وهو يطلب من مؤلفه في نيويورك او من ادارة الجامعة . وفي مصر يطلب من مكتبة امين افندي هنديه بالموسكي وثمنه نصف ريال

فلما رأت مريم يوليوس يسترسل في تسكين بالها والاعتذار اليها ابتسمت واجابت انك تظن انني ابكي يا يوليوس والحقيقة انني لا ابكي . ثم ضحكت ونادت باعلى صوتها : حنه ! حنه . وقالت له الا تريد توديع حنه قبل سفرك

فدخلت حنه وحيث يوليوس فاخبرتها مريم خبر سفره . وبعد برهة كان يوليوس على جواده عائداً الى اورشليم من حيث أتى

وفي عودته من البيت الاسود مرَّ بين الصبية الذين كانوا يلعبون على الطريق في سفح الاكمة فافسح له الصبية الطريق بخوف ورهبة خشية ان يكون احد الشياطين السبعة قد علق به في ذلك البيت . وكانت مريم قد خرجت من غرفتها الى الكرم طلباً للهواء النقي لانها شعرت بثقل الهواء في غرفتها وضيق صدرها بعد حديثها مع يوليوس وسفره . فتبعتها حنه وشيشرون ليشاهدا جواد يوليوس يعدو . وكأن مريم شعرت بخطاءها في خروجها في ذلك الحين من البيت لازدياد المها فنكصت راجعة الى غرفتها . ولكنها لم تخطُ خطوتين حتى انطرحت على الارض مغمى عليها وهي تصرخ صراخاً شديداً واعضاؤها تتشنج تشنجاً مخيفاً

فهرعت اليها حنه مع شيشرون وهو يتوكأ على عصاه . ولم يفت هذا المشهد الصبية الذين كانوا يلعبون على الطريق . فلما شاهدوا مريم تنطرح على الارض وتصرخ متشنجة ذلك التشنج هلعت قلوبهم واصفرّت وجوههم واخذوا يعدون نحو القرية . ولما بلغوها اخذوا يقصون على اهلهم ما راوه بجانب البيت الاسود وهم يلهثون من التعب والذعر . فقال احدهم انه رأى ثلاثة شياطين ترقص فوق جثة المرأة وتضحك لصراخها . وقال آخر انه راى شيطاناً راسه في السحاب وقدماه على التراب بجانبها وهو يدوس بهما حيناً بعد حين على بطنها . وكان اليوم يوم سبت فاجتمع اهل القرية في معبدهم يقرأون الزبور والتوراة طلباً لله ان يبعد عن قريتهم هذه المرأة وشياطينها

الفصل الثالث

❊ سنيكا الاديب وسنيكا الفيلسوف ❊

ولما انصرف الجدليون من معبدهم قصدوا الخلاء خارج القرية وهم ينظرون شزراً الى البيت الاسود الذي كان قائماً على الاكمة امامهم . وكان الرجال والنساء يسيرون متلفتين

بخوف واضطراب نحو البيت ويتطاولون لرؤية ما فيه من بعيد اما الاولاد فكانوا يركضون لاعبين امامهم غير مبالين بشيء لان حوادث الدهر مهما جلت وعظمت لا تقيم في اذهانهم الصغيرة الخالية الا مدة قصيرة . فلما صار الجميع خارج القرية يتنعمون بنور الشمس والهواء النقي مروا ببغلين يرعيان العشب وبجانبهما مكاريان يتناولان طعاماً على عباءة فرشاها امامهما على العشب. وكان المكاريان صاحبينا يوسف وبولس. فاستوقفنا احد الاولاد وهما يا كلان وسألاه عن سبب الاجتماع . واذ علما به ضحك يوسف وارتعدت فرائص بولس . فقال ليوسف انك تغيظني بضحكك يا يوسف وانني اقسم بالزبور والتوراة ان هذه آخر سفرة لي الى هذه القرية الملعونة « المسكونة » (١) فازداد يوسف ضحكاً وقال ما قولك يا بولس اذا جاءك الآن احد يطلب منك اركابه بغلك الى هذا البيت اترد طلبه وتخسر الاجرة

فوثب بولس هنا عن الارض كما بدفع دافع وصاح بغضب . استعيذ بسيدنا داود وسيدنا سليمان من مزاحك البارد . وهل تظنني فقدت عقلي حتى التي بنفسي وبغلتي بين الشياطين . وماذا تعيدني الاجرة القليلة التي اقبضها لنقل رحل الى هذا البيت الملعون اذا علق بي او ببغلتي او بنا كلينا احد الشياطين السبعة الساكنين في الساكنة في هذا البيت . فان هذه الشياطين الملعونة تكره الاقامة في جوف امرأة قذرة فضلاً عن انها اعتادت التنقل ولا يمكنها الثبات في مقام . وكانك لا تعرف ايها المسكين ماذا يصيب الشخص الذي يسكنه شيطان فانا اخبرك خبره فقد سمعته من رفيقي المكاري اندراوس في جنيساره . فان المسكون يشعر اولاً ان شيئاً كقضيب من حديد محمي أدخل في جوفه من عجزه الى قمة راسه فيغيب عن الوجود ويغمى عليه لان الشيطان يقبض روحه بيده ويطير بها في اعالي الجو لتعذيبها هناك ويترك الجسم على الارض . ولذلك يأخذ هذا الجسم في الاختباط والتشنج والاضطراب لشوقه الى روحه ورغبته في استردادها . ولما يصير الشيطان مع الروح في الجو يأخذ الشيطان في تعذيبها وهو ضاحك مشروح الصدر . فتارة يضغط عليها بقبضتيه فيخنقها ثم ينفخ فيها فيعيد الحياة اليها . فتعذب الروح بذلك عذابين عذاب الموت وعذاب الولادة ثانية اي العود الى الحياة . وطوراً يأخذها من فوق السحاب ويقذف بها الى الارض بقوته الجهنمية فتصير قطعاً قطعاً . فيهبط اليها بجناحيه الهائلين كانه تنين هائل هابط من السحاب فيجمع قطعها بذنبه الطويل المخيف ثم يمسها مساً باصبعه فتعود كما كانت . وآونة يربطها بطرف ذنبه

(١) اي المسكونة من الشياطين وهو تعبير كان عامياً في ذلك الزمن ولا يزال كذلك اليوم في فلسطين والشام

ثم يديرها به في الهواء كما يدار المقلاع للرمي به وحين يبلغ دورانها اشده يرمي بها الى بعيد كما يرمى السهم فربما وقعت في اورشليم مثلاً اذا رميت من هنا . وبعد ذلك يكفي ان يمد اليها من اعالي الجو راس ذنبه ويحركه بعض الشيء ضاحكاً صافراً بفمه الهائل فترى تلك الروح المسكينة قد انجذبت اليه من تلقاء نفسها . واحياناً ينفخ عليها بنفسه الناري فيذيبها شيئاً فشيئاً كما يذوب الثلج بحر الشمس ثم يأخذ ذاتيها ويبدل نفسه الناري بنفس ثلجي وينفخ عليها فتعود كما كانت . فهل انت مجنون يا يوسف لتعتقد انني القي بنفسي وبغلي المسكين في هذه التهلكة الهائلة

ولم يكد بولس يتم كلامه حتى سمعت قهقهة من وراء فالتفت المكاريان فابصرا تحت شجرة على مسافة مائة متر منهما رجلين جالسين في ظل الشجرة وامامهما رجل ثالث واقف يحادثهما ويضحك . ثم نهض الرجلان وسارا يقصدان المكاريين يوسف وبولس . والرجل الثالث يتبعهما

وكان احد الرجلين شيخاً طاعناً في السن يقارب سنه الثمانين . والثاني شاباً يقارب سنه العشرين (١) وكانت ملامح وجهيهما متشابهة فالذي يراهما لا يشك في ان بينهما نسباً . فقد كانا طويلي القامة عظيمي الهامة شعرهما مسترسل على رقبتيهما ووجههما ضخم مستدير تلوح عليه لوائح الهيبة والسكون كأنهما ممن اعتادوا التامل والروية . ولاكبرهما سناً لحية بيضاء تطوق وجهه . ولكليهما جبين متسع تحتهما عينان قويتان هادئتان تدلان على نفس جمعت بين نقيضين : قوة الحركة والسكون (٢)

ولما بلغ الرجلان الى المكاريين انبرى الشاب وقال باللغة اللاتينية . اتؤجراننا بغليكما الى مسافة قريبة . ولما لم يفهم المكاريان كلامه انبرى الرجل الثالث الذي كان يتبعهما وقال لهما ذلك القول باللغة العبرانية السريانية لغة اهل فلسطين في تلك الايام . وكان هذا الرجل ترجماناً اسرائيلياً قدم مع الرجلين في سياحتهما

فنهض المكاريان مسرورين لاعداد بغليهما . ولكن بولس سال الترجمان الى اين

---

(١) ولد سنيكا الاب في سنة ٦١ قبل الميلاد وتوفي في سنه ٣٠ بعده . وهو تقريباً الزمن الذي شرع فيه يسوع يعلم . وولد سنيكا الابن في سنة ٢ بعد الميلاد وتوفي في سنة ٦٦ بعده وابتدأت حوادث هذه الرواية حين كان سن يسوع ٣٠ سنة

(٢) صفات سنيكا الاديب « الاب » وسنيكا الفيلسوف « الابن » هنا ماخوذة من تمثال برونزي لسنيكا في متحف نابولي ورسم للرسام المشهور روبان

يقصد سيداك الخنزيران · فعبس الترجمان وقال "اسكت ياملعون لانني اخاف ان يفهما كلامك· ثم اجابه انهما يقصدان الاكمة القريبة التي عليها ذلك البيت الاحمر ·

فلما سمع المكاريان هذا الكلام عبس بولس وانتفض من الغضب وضحك يوسف حتى قهقه · وقد ابى بولس اباء شديداً اركاب بغله الى تلك الاكمة · وبعد جدال شديد بينه وبين رفيقه يوسف اتفقا على ان يركباها الى سفح الاكمة وهناك يقبضان اجرتها وينصرفان · ولما علم الشيخ والشاب بهذا الشرط ضحكا لانهما كانا قد سمعا وهما تحت الشجرة حديث المكاريين · وقال الشيخ للشاب : لولا سني وضعفي لما كلفت هذا المسكين عناء نقلي الى مكان يحاذر الدنو منه · فانني اشفق ان تطير نفسه الساذجة شعاعاً لوهم يتوهمه هناك · فاجاب الشاب · علينا يا ابتاه نحن معاشر الرومان اسياد هذه البلاد ان نكون اوصياء على اهلها · فاوهامهم وخرافاتهم التي لا تزول باللين واللطف يجب علينا ازالتها بالقوة والعنف

فركب الشيخ والشاب وسار المكاريان والترجمان وراء البغلين · وبعد برهة قال الشيخ · ان ما قلته الآن يا لوسيوس مخالف لمبدإنا في سياسة الامم على خط مستقيم · فنحن لا نطلب امراً من الامم التي نملك بلادها غير الطاعة والجزية وتركها موالاة اعدائنا · اما اوهامها وخرافاتها واديانها ومبادئها فلا نتعرض لها (١) وفعلنا هذا حسن يا بني لعدة اسباب منها اننا اذا اردنا استئصال الاوهام والخرافات وجب علينا ان نبدأ بالتي عندنا في بلادنا بين قومنا

وكان بولس يسير وراء بغله خائفاً ونظره يتجه حيناً بعد حين نحو البيت الاحمر على الاكمة · اما يوسف فكان يسأل الترجمان عن الرجلين · فاخبره الترجمان ان الوالي الروماني في اورشليم لما علم بقدومهما الى هذه البلاد خف لاستقبالهما اعظم استقبال لانهما من عظماء رومه · وقد سار بنفسه يريهما آثار المدينة وشوارعها · وفي ذات يوم اخبراه عن رغبتهما في السياحة في داخل البلاد فحذرهما من هذا الامر بحجة ان المتحمسين منا كثيرون فيخشى ان يصيبوهما باذى خاصة في هذا الوقت الذي اشتد فيه الاضطراب وطمحت انظار شعبنا الى رجل يقوم لطرد الرومانيين من بلادنا واعادة سيادتنا على العالم · ولكن لما رأى اصرارهما على مشاهدة البلاد والعباد في هذه الارض التي يزورانها مبتسمين مزدريين بها دعاني اليه لما يعرفه من قدرتي على حمايتهما لدى قومنا وعهد الي السفر معهما · ثم قال لي « لم ارسل معكم جنداً لحراستكم لاننا لا نتخذ جنداً من هذه الامة · والجنود الرومانية اذا

(١) رنان « تاريخ المسيح وتاريخ بني اسرائيل » مونتسكيو « اسباب عظمة الرومان »

ظهرت ملابسها واسلحتها في داخل البلاد كان ظهورها سبباً في الهياج عليكم بدل حمايتكم »

ففتل هنا بولس شاربيه ورفع راسه وقال معتزاً أرايتم كيف يخاف هؤلاء الخنازير منا . آه لو كان سيدنا داود او سيدنا سليمان عائشاً في هذا الزمن فانه كان اغرقهم جميعاً في بحر طبريا وفتح بلادهم حتى رومه

فضحك يوسف وقال اذا كان جنده شجعاناً مثلك يخافون حتى من الدنو من هذه الاكمة فانه لا يقدر ان يفتح حتى باب قصره

فسخط بولس وقال أ بلغت بك الفحة وحب المزاح ان تهزأ حتى بسيدنا داود حقاً يا يوسف انك اصبحت ثقيلاً

فقال يوسف بجد كلا لا امزح ايها الابله وانما اقول الحق . أ تظن شعبنا مع ما طرأ عليه من الذل والضعف والتشتيت مراراً واهمال الرؤساء تربيته الاجتماعية العسكرية الاولى وفقده الحماسة والجامعة القديمة — اتظنه الان مع ما تقدم قادراً على الثبات امام جبابرة الرومان وجندهم الكثيف وقوادهم الابطال

فتحمس بولس وقال . انك مخطئ في قولك اننا فقدنا حماستنا . أما سمعت بعياس الذي قتل في ذلك اليوم رجلاً في طبريا كان يعترض على شريعتنا . فاية حماسة اشد من بذل انسان نفسه في سبيل الدفاع عن شريعته (١) واية جامعة افضل من هذه الجامعة . ثم ايها المسكين أتنسى « جشوان . مشيا » (٢) الذي ننتظره لانقاذنا واعادة مملكتنا . فهل تزعم ايضاً انه اذا جاء الان ملكنا جشوان يعجز عن قهر خنازير الرومان وطردها عنا

فهم يوسف بالجواب ولكن الشاب لوسيوس نادى في هذا الحين الترجمان والمكاريين فدنوا منه فقال الشيخ للترجمان ان لوسيوس راى خوف هذا المكاري « واشار الى بولس » من الدنو من الاكمة والبيت الاحمر الذي عليها لاعتقاده ان الشياطين تسكنه وتسكن المراة المسكينة المقيمة فيه . وبناء على ذلك يرغب في ان تكون ترجماناً بينه وبين هذا المكاري ليحدثه حديثاً بنفسه . فترجم بينهما

فقال الشاب لوسيوس ما اسم هذا المكاري فاجاب الترجمان اسمه بولس . فقال لوسيوس . بولس بولس . انني اجد هذا الاسم جميلاً . وقد حلمت امي يوماً بان الناس

(١) كانوا يسمون هؤلاء القتلة « غنايم » او « القتلة الدينيين »

(٢) معنى جشوان بالعبرانية « جيوفاه المخلص » وجيوفاه الله . ومشيا المسيح . وكلا الاسمين يطلق على المنتظر عند اليهود وكانوا كثيري اللهج به في تلك الايام

سيكذبون عليّ في آخر حياتي ويصنفون عن لساني رسائل الى شخص يدعى بولس (١) وقد خافت ان يكون ذلك لدسيسة سياسية . فسل بولس عن لسانهم ابن علم ان المرأة التي رآها صبية القرية تخبط وتتشنج على الارض امام بيتها يسكنها سبعة شياطين . فاجاب بولس علمت ذلك من رفيقي يوسف ومن احد اولاد القرية . فقال لوسيوس انك علمت منها انها تخبط وتتشنج في حال غيبوبتها . وهي مشاهدة حقيقية . ولكن الا يمكن ان يكون لذلك علة غير الشياطين . ففتح بولس فاه كمستغرب وقال وما عسى ان يكون سبب ذلك غير الشياطين . وكيف تذهب روحها منها وتغيب عن الوجود اذا لم يخطف الشيطان روحها ساعة او نصف ساعة . فاجاب يوليوس انني الآن اذا نزلتُ عن بغلي والتقطتُ هذا الحجر الذي هناك وضربتك به على رأسك ضربة شديدة فانك يغمى عليك وتغيب عن الوجود فهل ذلك دليل على انه دخلك شيطان ام يكون سبب غيبوبتك ضربك بالحجر على رأسك . فسكت بولس ولم يجب . فقال لوسيوس وهل تظن ان الشياطين موجودة في هذه البلاد دون غيرها ام توجد في غيرها . فاجاب بولس لا اعلم . فقال لوسيوس انني اعرف رجلاً يونانياً (٢) رأى في بلاده كثيرين من الرجال والنساء الذين يُصرعون ويقولون عنهم ان الشياطين تسكنهم . وقد كتب في هذا الموضوع كتاباً تقدّم به آراء العلماء في المستقبل وسأترجم لك شيئاً منه اذا اردت عند عودتنا من الاكمة لانه بين امتعتي في محمل . وهو يقول ان ذلك الصرع « او الشياطين كما تقولون » علة تصيب الجسم وداء ناشئ عن هياج الدم والاعصاب . وهو يسميه « العلة المقدَّسة » لانه كثيراً ما يصيب المجانين ولبعض الناس راي في تقديس المجانين . فهذه المرأة المسكينة التي اخذتنا الشفقة عليها بعد ما سمعناه من حديثك مع رفيقك وما استفاده ترجماننا من اولاد القرية وما بلغنا عنها في غير هذا المكان — انما هي مصابة بداء بشري ومرض اصبح اليوم سببه معروفاً . ولا دخل للشياطين فيه

فبهت هنا بولس وصار ينظر الى يوسف ويوسف ينظر اليه مدهوشاً ايضاً . فاستأنف

(١) اشارة الى ثلاث عشرة رسالة يزعم بعضهم ان سنيكا فيلسوف الرومان العظيم « وهو هنا الابن » كتبها من رومه الى الرسول بولس ولكن المحققين يرجحون انها رسائل مختلقة . على ان اختلاقها قديم جدّاً لان القديسَين اوغوسطينوس وجيروم يشيران اليها في كتاباتهما

(٢) هو ابوقراط المشهور ولد سنة ٤٦٠ قبل الميلاد

لوسيوس كلامه قائلاً . وسترانا الآن بعد وصولنا الى البيت نغسل يد تلك المرأة المسكينة ونرش وجهها وصدرها بالماء ونقيم في البيت ما اردنا دون ان نخاف شراً ولا ضراً . فهل فهمت الآن سبب علة هذه المرأة

فهز بولس راسه وقال . كان شرطنا ان نركبكم الى سفح القرية . فادخلوا انتم البيت وجسوا يد صاحبته وآخوا شياطينها اذا شئتم . اما انا وبغلي فلا نخطو نحو البيت خطوة واحدة

فقال الشيخ الاب : هل رأيت يا لوسيوس مبلغ تأثير درسك في نفسه . فانك شرحت له سبب هذه العلة شرحاً جلياً فلم يصدقك ولا بالى بكلامك وربما استصغر عقلك واستقل فهمك . فيابني دع البشر السذج في اوهامهم واحلامهم التي ورثوها مع دمائهم ورضعوها مع الحليب منذ نعومة اظفارهم . وليكن استعمالك العلم والحقيقة كما يستعمل الزارع البزور التي يبزرها في حقله . فانها قد تقع في ارض جيدة فتنمو وتجود . وقد تقع في ارض شائكة جافة رديئة فتموت . ولا يخطر حينئذٍ في بال الزارع ان يرغم هذه التربة الرديئة بان تقبل بزرته وتنميها لعلمه ان ذلك فوق طاقتها . الا اذا اصلحها واعد تربتها لذلك الانماء من جديد . وليس البشر كالتربة فانه متى انعقدت الواحهم وخشنت عظامهم لم يبق سبيل لتغيير نفوسهم

الفصل الرابع

الفيلسوفان بجانب فراش مريم

ولما انتهى البغلان الى الاكمة ترجل الشيخ والشاب حسب الاتفاق واشارا الى المكاريين ان ينتظراها في السفح . ثم صعدا الاكمة نحو البيت يتبعهما الترجمان

و يظهر ان من في البيت ابصروا من النافذة الرجال الثلاثة قادمين نحوهم فهرعت حنه الى النافذة ثم قالت لشيشرون بعد ان انعمت النظر في القادمين — لا اعرف هؤلاء الرجال

فدنا شيشرون من النافذة وراى منها دون ان يُرى فيها ثم قال مستغرباً . اظنهم من قومي الرومان على ما ارى في ملابسهم

وكان الشيخ اديب رومه وصاحب البيان فيها يصعد الاكمة الموبئاة وهو يلهث تعباً من ثمانين سنة كانت تُثقل كاهله

ان الثمانين وقد بُلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

وكان يسير وهو يقول لابنه فيلسوف رومه الاعظم في الغد . استاذ نيرون . وعظيم حكماء الرومان

انظر يا بني هذا البيت الحقير الذي امامنا . انه يضم داءين داء الصرع وداء الفساد . واظن ان التبعة فيهما واقعة على رومه التي تريد ان تكون سيدة العالم . اجل يا بني ان هذا الشعب الساذج الصغير كان يعيش في بلاده الساذجة الصغيرة بسكينة وخمول . وكانت حالته ومعيشته منطبقة على اخلاقه وصفاته فكان هادئاً ساكناً راضياً . ولكن ارادة رومه اقتضت احتلال بلاده وادخال مدنيتها وزخارفها وفنونها اليه . فجاء الرومان من كل صوب يعرضون فيه ازياءهم وزيناتهم ويتمتعون على مرأى منه بثرواتهم وخيراتهم وملاذهم المحللة والمحرمة . فماذا يفعل هذا الشعب بازاء هذه المظاهر . انه ولا شك يلتمس الاقتداء بها والنسج على منوالها . ولذلك تنحلّ في نفسه مبادئه وآراؤه القديمة في الحياة تعلقاً بمبادىء وآراء حديدة لا توافق مزاجه . فينشأ في نفسه عن رغبته في الحياة الرومانية وعجزه عن البلوغ اليها اضطراب داخلي يجعل اعصابه متهيجة على الدوام . فيكثر فيه عدد المتهيجين والمجانين والمصروعين مرضى وغير مرضى . ولكنّ هذا الهياج والانفعال انما هو مرض واي مرض . اذ به تتبدل اخلاق الشخص وتسوء فيتدرج من هوة الى هوة وربما بلغ اعمق الهاويات ولم ينتبه الى نفسه ولا راى حالته امراً اداً . ولعل هذا اصح تعليل لحالة هذه المرأة المسكينة ودائها اللذين اشرتُ اليهما . فعلى رؤوسنا نحن الرومانيين تقع تبعة هذه المفاسد الاجتماعية ومنا يجب ان تكون اول تعزية واول كلمة حلوة توجَّه الى امثال هذه المرأة الساقطة المنبوذة من الارض والسماء (١)

(١) على هذا النسق كان كلام سينكا الاديب لانه كان مشهوراً بالتمحل والكلفة في خطبه وكتاباته . ولا غرابة في تحليله هذا التحليل هنا لانه اشتهر في كتابه « المجادلات » بوصف اخلاق عصره وصفاً لم يجاره فيه احد ولا يوجد في غير كتاباته

الجزء التاسع



السنة الخامسة

مجلّة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٦ ٢٩ رمضان سنة ١٣٢٤

الروايات العربية وانفعها لنا

التاريخية أم الاجتماعية

نشرنا الفصل التالي في صدر (رواية الكوخ الهندي) التي صدرت عن نيويورك في منتصف هذا الشهر كمقدمة للطبعة الثانية . ونوجه الانظار خاصةً الى ما جاء في آخره عن ترتيب المبادىء والاصول في الآداب الكتابية والمذاهب الفلسفية في الشرق بين آراء كتّابه

ان الكوخ الهندي ثاني كتاب اشتغل المعرّب بوضعه . اما الكتاب الاول فهو (المرأة في القرن العشرين) للفيلسوف جول سيمون وهو كتاب ادبي فلسفي اجتماعي يعين وظيفة المرأة في هذا القرن ولم يُنشر بعد مع ان مؤلفه رحمه الله اذن قبل وفاته للمعرّب بنشره في كتاب خصوصي منه . وقد عرّب المعرّب الكوخ الهندي في سوريا في سنة ١٨٩٥ اي منذ احدى عشرة سنة . ولما نُشر هذا الكتاب في مصر سرّ به القراء سروراً عظيماً . وكتب الينا

بعضهم يقول انه لم يقع له قط في حياته انه تأثر بمطالعة كتاب تأثره بالكوخ الهندي ومبادئه الجليلة . لانه شعر بعد مطالعته انه اصبح افضل وارق منه قبل مطالعته

ولم نذكر هذا الامر هنا بياناً لفضل مبادىء هذا الكتاب فانها في غنىً عن ثناء المعرّب . ولا يلذ لنا في جميع الكتب التي نشرتها الجامعة كتاب اكثر مما يلذنا هذا الكتاب . ولذلك كلما وقع تحت يدنا اتفاقاً تناولناه وقرأنا فيه الحوار بين العالم الانكليزي والحارجي ومرد الخارجي تاريخ حياته . ويخيل لنا حين قراءة تلك الفصول انها صورة حقيقية لعالم الكمال الذي ينشده الفلاسفة واهل العقول

وانما ذكرنا ما تقدم استطراداً الى ذكر السبب الذي اوجب ارتياح القراء اليه . وهو موضوع يجرّنا الى بسط وظيفة الروايات وانواعها والغرض منها . والذي حملنا على طرق هذا الموضوع في هذه المقدمة ما نقرأه احياناً لبعضهم من الكلام في الروايات وانفعها للشرق وابنائه

بسطنا في غير هذا المكان (١) رأينا في وظيفة الروايات والشروط اللازمة لواضعها فلا نبحث هنا فيها . وانما نبحث في اهم الروايات وانفعها لنا . ومتى قلنا « اهم الروايات وانفعها لنا » خرجت منها الروايات التي يُقصد بها التفكهة وقطع الوقت وهي التي يتجر بها اصحاب المكاتب والمطابع الصغيرة . وانحصر كلامنا في الروايات التي يضعها مؤلفوها لفائدة يقصدونها . وبحثنا هنا في امرين

(الاول) ما هي الفائدة التي نحن اشد احتياجاً اليها في الشرق

(والثاني) اي نوع من انواع الروايات يوصلنا الى هذه الفائدة

الامر الاول — كلما نبحث في داء الشرقيين ودوائه . وكل واحد منا يشخص العلة من وجه ويصف لها الدواء الذي يراه . فبعضهم يقول داؤنا السياسة وغيره يقول داؤنا الرئاسة . وآخر يقول داؤنا انحطاط التجارة والصناعة والزراعة وعدم وجود قوة سياسية تحميها في داخل الامة وفي خارجها . وغيرهم يقول ان داءنا تعدد عناصرنا ومذاهبنا واستحكام الانقسام والبغض في نفوسنا . وآخر يقول لا بل داؤنا تربية مدارسنا فان دروسها وتربيتها لا تنطبق على حاجاتنا واخلاقنا . وآخر يقول لا بل داؤنا منازعة الاجانب لنا « الرزق والسيادة » في بلادنا منازعة تحول دون اصلاح شؤوننا

(١) نشرت الجامعة في الجزء الثامن للسنة الخامسة مقالة عنوانها (انشاء الروايات العربية والشروط الواجب اجتماعها في واضعها)

على ان المتامل البصير الذي الف النظر في اخلاق الامم ومعرفة الاسباب التي ترفعها وتحطها يرى بعد اعمال الفكرة في جميع الوجوه التي تقدّمت ان هنالك سبباً فوق جميع تلك الاسباب . ولا مشاحة في ان تلك الاسباب اسباب حقيقية للانحطاط ولكنها في الحقيقة اسباب فرعية اي مسببات لا اسباب . واما السبب الذي اشرنا اليه هنا فهو الاصل الذي تتفرّع منه جميع بلايا المشرق وهو (عدم وجود الشخصيات الراقية بين ابنائه)

قد يمكن ان ترتفع الاسباب السياسية والدينية . قد يمكن ان تروج التجارة والصناعة والزراعة . قد يمكن ان تتحد عناصر الامة ومذاهبها بتأثير يد قوية تحسن ادارة ازمة الاحكام . قد يمكن ان تعود اوروبا الى رشدها فتنظر الى بلاد الشرق نظرها الى امم تريد لها الحياة لا الى مستعمرات . كل ذلك قد يمكن ان يقع باعجوبة او بغير اعجوبة . ولكن وقوعه وحده لا ينيل الشرقيين ما يتمنونه من صيرورة امهم اُمماً عزيزة راقية . بل يبقون حينئذٍ على دورانهم في دائرة الانحطاط التي كانوا يدورون فيها حين كانوا اذلاّء ضعفاء فقراء . تراهم يركضون ويجدّون ويجمعون المال أكداساً الى اكداس فتخالهم صاعدين مرتقين والحقيقة انهم ما زالوا يدورون ضمن تلك الدائرة . انهم كانوا من قبل فقراء منحطين فاصبحوا بعد رواج اعمالهم اغنياء منحطين . وربما زادهم الغنى انحطاطاً لان الثروة تبطر صاحبها اذا لم يكن اهلاً لها فضلاً عن انها تسهل له من اتيان الكبائر والصغائر ما كان عاجزاً عنه قبل الوصول اليها

بعد ما تقدم تتضح لنا الاسباب في وجود مسائل نشكو ونعجب منها جميعاً . فاننا نعلم بعده لماذا لا نعتبر اممنا اُمماً مجموعة بجامعة يحترمها الجميع ويخدمها الجميع بل نعتبرها افراداً متفرّقين ولكل واحد منهم مصلحة خاصة يسعى اليها . ولماذا يبتسم كثرنا مرددين ضاحكين حين يسمعون كلمة (المصلحة العمومية) . نعلم لماذا الذين اصبحوا منا قادرين على النفع بثروتهم التي حصلوها (بطرق مختلفة) ليس لهم همّ الاّ التمتع بها بوقاحة وبلهٍ دون ان يعملوا شيئاً نافعاً للامة التي خرجوا منها وتحمل كل اثقالهم . نعلم لماذا حكامنا ورؤساؤنا مدنياً ودينياً متى وُلّوا شأناً عمومياً استخدموه لجرّ النفع الى انفسهم لاعتبارهم الرعية بقرة حلوباً . نعلم لماذا نرى الاقوال عندنا كلها سامية جميلة والاداب الاجتماعية والسياسية في ارقى مظاهرها في الظاهر ولكن الافعال والبواطن مما يُضحك ويُبكي . نعلم لماذا لا نقدر على الاجتماع والتعاون ففقدنا بذلك اعظم القوات والعوامل في رفع الامم كانشاء الجمعيات المختلفة للعلم والأدب والزراعة والصناعة والتجارة التي عليها مدار الارتقاء في هذا العصر وبدونها لا يقدر

الفرد ان يصنع شيئاً عظيماً او يحصل حقاً ضائعاً . حتى قال بعضهم في اوروبا ان جمعيات العملة والزراعة والتجارة والصناعة هي التي تسوق اليوم السياسة والساسة في سبيل الارتقاء بقضيب من حديد

فالدعوة الى « ايجاد شخصيات راقية » في الشرق وتسهيل السبيل لها هي خير ما يُخدم به الشرق وابناؤه . وهذه الشخصيات الراقيــة توجد اما في الهيئة الحاكمة وحينئذٍ ترقى الامة وتوجد فيها شخصيات راقية طوعاً او كرهاً واما في الهيئة المحكومة فتلزم الهيئة الحاكمة سبل الرشاد والسداد طوعاً او كرهاً . وارتقاء كل امة انما يقاس بعدد الشخصيات الراقية التي فيها . وهي نتيجة تهذيب النفس والعقل وثمرة اختيار المبادىء الكريمة فيها وتأثير الوسط الذي يعيشان فيه جيلاً بعد جيل . وما « الاصلاح الاجتماعي » الذي يدوي صداه في آذان الناس في هذا العصر الا هذا الاصلاح

على ان مقدمة رواية كهذه المقدّمة لا تحتمل هذا البحث وليس هو من مواضيعها . وانما جرّ الكلام اليه ما قصدناه من بيان المبداء الاول الذي يحتاج الشرق اليه وبدونه لا تقوم له قائمة لانه يبني على غير اساس . فانفع المطالعات لابناء الشرق ما كان موضوعه « الاصلاح الاجتماعي » الذي تقدّم ذكره . الذي اهم اغراضه ومراميه « ايجاد شخصيات راقية »

الأمر الثاني — « ايُّ انواع الروايات توصلنا الى الفائدة التي تقدّم ذكرها في مقدمة الكلام » . وهذا هو موضوع هذه المقدمة الحقيقي

ان في الطبيعة البشرية عادة مألوفة وهي « جرّ الانسان الحبل لصوبه » كما يقول العوام . فكل انسان يدعو الى مبداءه ومذهبه ويقبح راي غيره . واحياناً يكون هذا التقبيح مضحكاً واحياناً يكون مقبولاً . وانما يكون مضحكاً متى كان المقبح لا يرى الا بعين واحدة فاما ان يجهل ما في رأي غيره من الصواب واما ان يتجاهله لترويج بضاعة او لاعتقاده حقيقة انه غير صواب . ومذهب « الجامعة » ومبادئها في رواياتها وغير رواياتها معروفة عند قرائها فلا حاجة الى بسطها لتبيان فضل « الروايات الاجتماعية » عندها على سائر الروايات . ولكننا مع هذا لا نجرُّ الحبل كثيراً لصوبنا لكراهتنا هذا الخطاء الذي قد يقع فيه غيرنا

ان الروايات التي تُنشر الآن في اللغة العربية بعضها موضوع للفكاهة والخلاعة وهذا النوع لا ننظر فيه لانه لا يستحق نظراً . وبعضها معرّب والقصد منه ابراز احاسن الروايات الافرنجية وهو نادر جداً وقلما يكون مستوفياً شروط تلك الروايات . وبعضها تاريخي .

وهذا النوع التاريخي قسمان . فقسم منه يتضمن تاريخ الامم الاوروبية وقسم يتضمن تاريخ بعض امم المشرق . اما القسم الاول فلا يستحق النظر ايضاً لاننا في غنى عن تاريخ امم اوروبا ومن يُبرز منه شيئاً عندنا فلا يُبرزه الاَّ للفكاهة . واما القسم الثاني وهو تاريخ بعض امم المشرق فالكلام فيه حسن لانه يوقف اهل ذلك التاريخ على تاريخهم ولكن يتوجه على الروايات التاريخية اربعة اعتراضات

❋ الاعتراض الاول ❋ انها امر « كمالي » بالنسبة الينا . فان التاريخ لا يخرج عن كونه عبارة عن ذكر ايام مضت وحوادث خلت . والامم التي لم تكون بعد اوالتي تكوَّنت وانحلَّت لا يفيدها تاريخها شيئاً سوى تذكيرها بعظمة ساقطة ومجد ذاهب . وهي قبل كل شيء تحتاج الى قوات تنهض بها وتوجد « الشخصيات الراقية » التي اشرنا اليها اضعاف حاجتها الى تاريخها . وان علم التربية وعلم الاجتماع والنشاط والحماسة للعمل ونصب اغراض شريفة امامها وحثها على السعي اليها وجمع كلمتها عليها بتأليف رأي عام منها كل هذه مقدَّمة فيها على جميع علوم التاريخ البشرية والالهية . بل ان اصغر مبادىء الزراعة الاولى واحقر مبادىء الصناعة الاولى مفضلة فيها على جلال التاريخ وعظمته . فالذي يصرف فكرها الى حوادث تاريخها الماضية بكتبه ورواياته قد يفيدها ولكن فائدتها من ذلك لاتكاد تُذكر لان مَثلها حينئذٍ يكون مثل فقير ذي اطمار يعلق في ثوبه ساعة وسلسلة من نضار . قال برناردين دي سان بيير مؤلف هذه الرواية (الصفحة ٣٩) « اية حاجة بنا الى التاريخ وكتبه واي تأثير للتاريخ في سعادتنا في الارض . بل اية علاقة بين السعادة وذكر حوادث مضت وايام خلت . ان تاريخ ما كان لهو تاريخ ما هو كائن وما سيكون » وقال الفيلسوف نيتش في كتابه (ما وراء الخير والشر) « ان المؤرخين لكثرة تفكيرهم في الماضي وتنقيبهم فيه ينتهون الى ان ينزلوا التاريخ منزلة كل شيء فيصير مثلهم مثل السرطان الذي يمشي الى وراء وهو يحسب انه يمشي الى امام » يريد بذلك انهم يتأخرون وهم يحسبون انهم يتقدمون

❋ الاعتراض الثاني ❋ ان الروايات التاريخية هي سمٌّ للتاريخ قتَّال وذلك لانها تكون مزيجاً من الحوادث المخترعة والحوادث التاريخية وفي ذلك افساد التاريخ بدل تحقيقه . ولا بأس من ورود التاريخ في الروايات ولكن يجب ان يكون وروده عرضاً والعمدة تكون على ما في الرواية من الافكار والمبادىء الاجتماعية التي هي غرض الرواية الحقيقي . لان الروايات الخطيرة الهامة في هذا العصر انما هي روايات اجتماعية

الاعتراض الثالث ان كتب التاريخ تُكتب للخواص فالكاتب يجد في نفسه شيئاً من الجرأة على الجهر بما يرى الجهر به حقاً في التاريخ وان ساء بعضهم لان في افاضل الخواص من كل الامم ميلاً لمسامحة الكاتب ومعذرته اذا كانوا يعتقدون اخلاصه . اما روايات التاريخ فاكثر اعتمادها في رواجها على العوام والسذج وهؤلاء لا يسامحون ولا يعذرون . ولذلك يضطر الكاتب الى مجاراتهم ترويجاً لبضاعته فيشوه التاريخ في رواياته بكتمان ما كان الجهر به من اول شروط التاريخ وبتحسين وتزيين امور تزيد السذج تمسكاً باوهامهم واغلاطهم . خصوصاً اذا كان الكاتب من امة والقراء من امة وعلى الاخص في بلاد الشرق . وبذلك يكون وجود تلك الروايات وعدمها سيين اذ الفائدة الحقيقية في الروايات هي ما فيها من الجرأة والقوة الادبية التي تحمل قراءها على ترك ضعفهم واوهامهم لا زيادة تمسكهم بها

الاعتراض الرابع قال المسيو ادوار رود منذ سنتين في مقالة افتتاحية في جريدة الفيغارو في اثناء كلامه عن التاريخ وكبار المؤرخين الفرنسويين كتيبرس وتان ورنان وميشله وغيرهم ما خلاصته : انه يجب على الناس ان يعلموا ان كتب التاريخ التي يقرأونها باللغة الفرنسوية وغير الفرنسوية لا يُركن اليها مهما ادعى اصحابها التحقيق والتدقيق . وذلك لسببين . الاول انهم يتخذون فيها طرق الاستنتاج والقياس وفي اكثر الاحيان يجيء استنتاجهم وقياسهم فاسدين ولذلك ترى آراءهم في التاريخ متخالفة متباينة ينقض بعضها بعضاً . وكل مؤرخ منهم يكتب التاريخ كما يتراءى له . والثاني ان المصادر التي يعتمدون عليها ويستقون منها اكثرها خطأ لان رواتها اخطأوا في النقل والرواية . وانك لترى المؤرخين الذين عاشوا في الزمن الاخير اذا كتبوا تاريخه اختلفوا في رواية حوادثه وتفسيرها فكيف بهم اذا راموا كتابة تاريخ زمن لم يشهدوه ولا علموا شيئاً عنه غير ما نقلته الكتب لهم . وليس في التاريخ شيء ثابت يمكن الوثوق بصحته غير الحوادث والارقام والاوراق الرسمية التي وصلت الينا من تلك الازمنة البعيدة . قلنا . وكل من تصفح كتب المؤرخين العربية والافرنجية ورأى فيها تناقض الآراء والحوادث والارقام لا يسعه الا ان يسلم بصحة هذا القول الذي ساء مؤرخي اوروبا ولكنه صحيح . وما التحقيق في التاريخ خصوصاً التاريخ القديم وبالاخص الشرقي منه الا خرافة ودعوى لا يقوم عليها دليل . وليس هنالك تاريخ بل آراء مختلفة وظيفة الباحث فيها (الترجيح بينها) لا (تحقيقها) . وانزال تلك الآراء والحوادث منزلة رفيعة من الاهمية وبذل الانسان قوته

ونشاطه وعمله ووقته فيها انما هو من قبيل الاشتغال بشيء مشكوك به وفائدته لا تعدل التعب فيه . ولذلك قال رنان قبل وفاته : انني آسف لانني صرفت عمري بكتابة تواريخ قلّ من يتصفحها احد بعدي . قال ذلك مع انه اذا لم يكن في كتبه شيء غير جمال انشائه في كتاباته فان هذا كافٍ كما قال بعض كتاب الفرنسويين لان يبقى جميع ما كتبه خالدًا بين ايدي الناس ومقصدًا لطلاب الجمال وحلاوة القلم

فبعد ما تقدم لا نرى للروايات التاريخية وظيفة سامية بين الروايات . الاّ اذا كان المقصود بها مجموعة قصص وفكاهات لتسلية الخاطر وترويح النفس في ساعات الفراغ . وظاهرٌ بنفسه بعد هذا ان الوظيفة العليا بين انواع الروايات هي للروايات الاجتماعية الفلسفية

وقد ذكرنا كل ما تقدم لغرض لم نذكره حتى الآن وهو الدفاع عن الروايات الاجتماعية والفلسفية . فان بعض الكتاب رأى ان هذه الروايات « روايات كمالية » لا نحتاج اليها في هذا العصر بل نحتاج الى روايات Pratique وربما وجد قوله هذا موافقين ومصدقين له دون ان ينظروا في لباب هذا الموضوع لان الناس اعتادوا موافقة من يعتقدون فيه اصالة الرأي وصدق النظر . وقد تقدّم اثبات ان الروايات الغير الاجتماعية هي الروايات الكمالية

وقد يستغرب القارىء اهتمامنا بهذا الموضوع الصغير وتخصيص بضع صفحات به . ولكن الكاتب الذي تتبع آراء الشرقيين ومطبوعاتهم بانتباه وامعان لا يعدّه موضوعًا صغيرًا بل كبيرًا . وربما يراه اكبر موضوع اذا نظر في ما يلي

ان كثرة الكتاب في الشرق وتعدّد الآراء وتنوّع اللغات والتربيات قد جمعت في كتبه ومجلاته وجرائده جميع الآراء الفلسفية ومذاهب الادب الكتابي . قد اجتمعت متناقضة متضاربة واصبحت خليطًا من جميع المذاهب في الكرة الارضية . فترى فيها مذاهب سبنسر وكوت ودروين وماركس والقديس توما وافلاطون وارسطو وابيقور (الكلبي كما يسميه جمال الدين الافغاني) وفلاسفة الاسكندرية وشوبنهور ونيتش وفنت وزولا وهينو ومذاهب القرآن والتلمود والتوراة والانجيل والفيدا — كلها اي كل هذه المذاهب المختلفة تراها فيه متجاورة مشتبكة اشتباك الاسل . وليس هذا بالامر الغريب العجيب فان بابل وجدت قبل اليوم على ما جاء في التوراة . واما الغريب العجيب امران . الاول اجتماع المتناقضات من هذه المذاهب في حيز واحد دون ان يفطن صاحب هذا

الحيز لها . والثاني تسفيه صاحب احد هذه المذاهب لمذهب آخر منها من وجه مذهبه وبطرق مذهبه بدل ان يسفهه من الوجه الخاص بهذا المذهب. وغني عن البيان اننا نتكلم هنا عن المذاهب الكتابية والفلسفية والادبية لا المذاهب الدينية . فترى مثلاً بعضهم يكتب يوماً كانه على مبادىء كونت صاحب الفلسفة الوضعية Positivisme السائد روحها اليوم في اوروبا واميركا ويوماً تراه يكتب كانه على مبادىء قنت وشوبنهور الايديالستية. تراه يوماً ينهج منهج زولا في كتاباته الناتوراليستية (تقليد الطبيعة) ويوماً ينهج منهج فيكتور هيغو في كتابته الرومانتيكية الايديالستية. وقد قرأنا يوماً في جريدة يومية مصرية كلاماً عن الوطنية قالت فيه ان الوطنية اثر من آثار الهمجية القديمة مع ان الرصيفة تدافع عادة اشد دفاع عن جميع المبادىء التي هي عماد الوطنية ودعامتها. وعلة هذا الاختلاط والاختباط عدم وضوح المبادىء بعد لابناء الشرق للاجتماع حولها احزاباً احزاباً كل حزب يعرف اصل مبداءه وفروعه ويجعل خطته الدفاع عنه وعنها لموافقتها مزاجه واخلاقه وآراءه. واليك مثالاً لهذا الاختلاط والجهل باصول المبادىء

قال بعض الكتاب ان الروايات الاجتماعية والفلسفية (روايات كالية) والاهم منها روايات Pratique وبعدهذا القول قال ان احوالنا تحتاج الى اصلاح وخير سبل الاصلاح تقبيح الرذائل الشائعة كالكذب والخداع والمجاملة والمقامرة والمسكر والبورصة وغيرها من الرذائل والمنكرات التي تئن تحت اعبائها

فالذي وقف على اصول المبادىء الفلسفية والادب الكتابي يستغرب هذا القول. لانه يعلم ان الادب الكتابي في الفلسفة نوعان Idealiste و Realiste فالادب الايديالستي مشتق من قوى النفس والعقل . والادب الرياليستي او الناتوراليستي مشتق من الطبيعة. الاول يعتمد في التأثير والاصلاح على قوى نفس الانسان ويقدّم تأثيرها على كل تاثير . والثاني يعتمد على الطبيعة وقواتها وتقليدها . الاول يقول صوروا ما هو اسمى من الطبيعة لرفع النفوس به . والثاني يقول ان ما هو اسمى من الطبيعة خيالي وهمي او كالي وحسبنا الطبيعة وتقليدها وتصويرها لان فوائدها Pratique فاذا عدتَ الان الى الاعتراض الذي تقدّم وجدت ان المعترض يقول ان المذهب الايديالستي امر كالي. وهو اعتراض جائز مثلاً لمن كان رياليستياً كالفيلسوف نيتش الذي ادمى الايديالست نقداً وتهكماً . ولكن متى سفّه المعترض المذهب الايديالستي ذلك التسفيه ثم عاد فقال الفوا في اجتناب الكذب والخداع وما اشبهها من النقائص الاجتماعية فانه يخلط بين المبادىء

دون ان يشعر . ذلك لان توقع الاصلاح من محاربة الكذب والخداع وما اشبههما هو من مذهب الايدياليست . ومذهب الرياليست يتساهل احياناً مع الكذب والخداع وقد قال نيتش انهما حق للضعيف ومن ملازمات العمران . فالنتيجة التي تخرج من هذا هي ان المعترض يسفه من جهةٍ مذهب الايديااليست لانه خيالي وهمي في رايه ومن جهة اخرى يدعو الى اصلاح البشر به . وهو منتهى السذاجة والجهل بالاصول

وليس غرضنا في هذا الفصل شرح مذهب الايديااليستيين والرياليستيين واظهار آثارها في المجتمع البشري ومبلغ تاثير كل منها في اصلاح الارض فان ذلك بحث فلسفي طويل متشعب الطرق كثير الفروع . وسنغتنم اول فرصة لابداء رايتا في هذين المذهبين . انما غرضنا هنا ان نوجه الانظار الى وجوب فصل المبادئ في الشرق وترتيبها ووضع كل واحد منها في مرتبته وبابه تسهيلاً للنظر فيها واختيار افضلها لنا . فضلاً عن ان الخلط بينها دليل على الجهل بها . والجهل بها دليل على انحطاط العلم عندنا وكونه لا يزال في طفوليته

اما رواية الكوخ الهندي التي قدمنا لها هذه المقدمة فمذهبها ايديااليستي محض . ولنا في مبادئها نظر سنذكره في فرصة اخرى

نبي جديد للطقس

(اكتشاف نبتة اميركية تنبئ عن تغيير الطقس)

لا يخفى ان ما اتصل اليه العلم الى الآن من الوسائل المنبئة عن الطقس وبعض الاعراض الجوية والارضية لا يروي غليلاً لانه لا ينبئ قبل وقوع العرض بمدة طويلة وكثيراً ما تكذب نبوءته . على ان عالماً نمساوياً من علماء الظواهر الجوية الآن يدعى «ج . ف . نواك» زعم انه اهتدى الى ما يقضي هذا الوطر ويقال ان حكومته جهزته بالمال في ما مضى لتحقيق اكتشافه

وتحرير الخبر ان هذا العالم صادف في اميركا نبتة تدعى بالاصطلاح النباتي اللاتيني Abrus Praecatorius L. nobilis N. وقد دعاها نبتة الطقس وهي تشبه النبات الحساس



Abrus Praecatorius L. nobilis N.

﴿ النبتة التي تنبئ عن تغيير الطقس ﴾
مستنبتة في مختبر العالم نواك

الذي يرى نادراً في بعض الحدائق الخصوصية في الشرق · ولاحظ مرة ان وريقاتها التفت على نفسها وظهرت كانها جفت وذبلت واصبحت بلا حياة فلم يلاحظ سبباً لذلك ولكنها بعد بضع ساعات انبسطت وانتعشت وعادت الى حالتها الطبيعية · وبعد اعمال الفكرة في سبب ذلك وتحريه تأكد ان تأثر اوراق هذه النبتة لم ينجم عن تغير في تأثير النور او الرطوبة بل عن سوابق تأثير زوبعة عنيفة حدثت بعد ثلاثة ايام· صادف العالم نواك هذه المصادفة سنة ١٨٨٦ ومن ثمَّ جعل يجري تجرباته الدقيقة التي افضت به الى النتيجة المرغوبة وكان معظم تلك التجربات في حديقة كيو "Kew Gardin" في لندن · وذلك انه كان يلاحظ جيداً وريقات تلك النبتة ولونها والعرق الذي تتصل به (وهذه الوريقات تختلف بين ١٢ ــ ١٧ زوجاً) ويستقرىء العوارض التي تحصل بعدها الى ان اصبح يستدل منها على نوع وقوة وجهة تلك العوارض التي تحدث في برهة ثلاثة ايام (بعد التأثير الذي يظهر على النباتة) وعلى بعد ٧٥ ــ ١٠٠ كيلومتر (٤٧ ــ ٦٢ ميلاً) · وكان يلاحظ على الخصوص ان قلة ضغط الجو (باصطلاح البارومتر) اي خفة الهواء يستدل عليه قبل ثلاثة ايام من توتر وريقات النبتة واتجاه حركة اعصابها الى فوق والعكس بالعكس · وكان يستدل من ذلك ايضاً على حالة المطر على مسافة لا تقل عن ٣ آلاف كيلومتر (١٨٦٤ ميلاً)

على ان اهمية التأثرات التي تبدو في وريقات تلك النبتة انما هي في الدلالة السابقة

على اضطرابات الطبيعة العظمى كالعواصف والزوابع والسيول العرمة والزلازل والفجار البراكين والمناجم الخ قبل نحو ٢٤ ساعة على الاقل وعلى بعد نحو ٧ آلاف كيلومتر من جميع الجهات

يرتئي بعض العلماء مثل اندره وزنجن وبلباري ان للعوارض الجوية والانفجارات البركانية علاقة بكلف الشمس فهذا الراي حدا العالم نواك الى تعليل دلالات هذه النباتة على تلك العوارض بعلاقة لها مع كلف الشمس ايضاً لان تلك الكلف ليست مواضع باردة في الشمس كما كان يظن وانما هي عواصف شمسية هائلة تضطرب لها الكهربائية الجوية والمغنطيسة الارضية وكذلك تتأثر منها تلك النبتة الشديدة الاحساس (اذا كانت مزروعة في حالة خاصة)

وقد عني العالم نواك في ملاحظة كلف الشمس ايضاً لكي يعلم متى تكون في منتصف القرص فرأى ان تلك الكُلَف (البقاع) لا تجمل ثورة في جو الشمس الا بعد ٢٤ — ٢٨ يوماً من ظهورها وحينئذٍ تقابلها اضطرابات الارض الناجمة عن تأثيراتها ولاحظ ان تلك النبتة الحساسة اول ما يتأثر من تلك الاضطرابات وان موضع الاضطرابات التي تحصل في العالم الارضي يُستَدلّ عليها من اتجاه الحركة التي تبدو في عرق النبتة المورق ويستدل على شدتها من ظل لون الوريقات اي ان اشباع اللون يدل على شدة الاضطراب

وقد اجتهد العالم نواك مع بعض زملائه في دراسة النباتات في اوستريا وفرنسا وانكلترا وجمع ملاحظاتهم ووحدها في نظام واحد ينبئ عن العوارض الطبيعية المختلفة · وهو يقول ان اختباراته وملاحظاته تبرهن على ان بين تلك النباتة في حالات خاصة والاضطرابات الناشئة في الجو وقلب الارض علاقة (ولعله يريد بها جامعة التأثر من اضطراب الجو الشمسي كما مرَّ تعليله)

ويقال ان العالم نواك كان في الشهر الماضي في لندن ينشئ مركزاً « لنبي الطقس الجديد » وسينشئ مركزين آخرين ايضاً في نيويورك وطوكيو (اليابان) وفي مدينة اخرى في الجنوب لكي تُعرَف من تلك المراكز الاربع جميع الاضطرابات الارضية والجوية في كل نقطة في العالمين · وعند ذلك يتسنى له ان ينشر في كل اقطار المسكونة نشرات يومية تنبئ عما يأتي :—

١° التقلبات الجوية المنتظرة قبل ٣ ايام في دائرة تبعد عن المركز نحو ٣ آلاف كيلو متر · ٢° سقوط الامطار او الصحو قبل ٣ ايام في نفس الدائرة المذكورة · ٣° اضطرابات

الطبيعة الخطيرة كالمواصف والزوابع والسيول العرمة والطوفان والزلازل قبل ٢٤ يوماً في دائرة تبعد عن المركز نحو ٧ آلاف كيلومتر · ٤ً الطقس المحلي على بعد ٧٥ ــ ١٠٠ كيلومتر قبل ٧ ايام

ولاجل هذا الغرض انتخب من كوبا عدة اصناف من هذا النبات لكي يستنبتها في انكلترا (٠٠٠)

عجائب اميركا وفكاهاتها

مشاهدات عيانية في البلاد الاميركية

ان كلامنا عن المدنية الاميركية وآثارها العمرانية والسياسية يحتمل موضوعين · الاول بحث في اعماق المدنية الاميركية واسباب نهضتها وعظمتها في السياسة والتجارة والصناعة والزراعة · والامور التي يُخشى منها على عظمتها في المستقبل · والثاني سرد ما فيها من عجائب وفكاهات لا توجد في امة اخرى غيرها وهي تُدهش الاوروبيين انفسهم · ولذلك رأينا ان نقسم كلامنا عن اميركا ومدنيتها الى قسمين · الاول « درس في المدنيَّة الاميركية » ونضمّنه بحثاً اجتماعياً فلسفياً · والثاني « عجائب اميركا وفكاهاتها » ونضمّنه كلاماً اخبارياً عن فكاهاتها وغرائبها · وبذلك نتمكن من نشر فصلين في شؤون اميركا في كل جزء دون ان يمل القارىء لتنوّع البحث وتعدد مواضيعه · ومتى استوفت الجامعة الكلام عن اميركا ومدنيّتها في سنة او سنتين تكون ابحاثها هذه في هذا الموضوع الجليل اول كتاب عربي جدي كُتب في المدنيَّة الاميركية باللغة العربيَّة · ونعاهد القراء ان لا نترك فائدة او غريبة في المدنيَّة الاميركيَّة الا ونقيّدها في هذا الكتاب · وسيحتوي كل جزء من

الجامعة على البابين اللذين تقدمت الاشارة اليهما. احدهما «درس في المدنيَّة الاميركيَّة» والثاني «عجائب اميركا وفكاهاتها» وهذا هو الباب الثاني

بنك البنوك

بنك لا وجود لمثله في غير اميركا

في نيويورك بنك لا مثيل له في العالم . واسمه Clearing House اي بيت «التصفية» ونحن نسميه (بنك البنوك) وهو جمعية مالية انشأتها بنوك نيويورك العامة وعددها ستون بنكاً واليك الغرض من انشائها

ان الناس هنا يتعاملون بحوالات على البنوك اي « شك » فكل صاحب مصلحة او مال يودع ماله في احد البنوك وافضلها المضمون من الحكومة ويأخذ من بنكه دفتر حوالات ومتى اراد ان يدفع مالاً لأيٍّ كان كتب حوالة على البنك في دفتر الحوالات « الشك » ودفعها لدائنه . والمال هنا يُدفع بهذه الطريقة اذا كان مقداره مائة ريال او ريالاً واحداً وربَّ رجل يأكل في مطعم ويدفع ثمن الطعام حوالة على بنكه (١)

ولكن كيف يقبض هذه الحوالات الذين اخذوها . هل يقبضونها من البنك الذي حُوّل عليه . كلاَّ فان لكل واحد بنكاً وهذا البنك يدفع اليه اذا كان معروفاً عنده قيمة هذه الحوالة اي يقيدها له في حسابه ويتولى تحصيلها من البنك المحوّل عليه ولكن كيف يحصلها من البنك المحوّل عليه ؟ لو اراد كل بنك ان يُرسل محصلين الى البنوك التي عنده حوالات عليها لاقتضى ذلك تعباً شديداً وزمناً طويلاً . ولذلك اتفقت البنوك وانشأت الجمعية التي اشرنا اليها لدفع هذه الحوالات وقبض قيمتها . فكل بنك يُرسل كل يوم الى كلارين هوس « مركز ادارة الجمعية » نائبين عنه يحملان الحوالات التي وردت على بنكها وهناك يلتقي ممثلو البنوك جميعها ليتحاسبوا . فيعلن الرئيس في الساعة العاشرة صباحاً

(١) هذا اذا كان معروفاً عند صاحب المطعم . ولكن بعضهم يغتنم فرصة ثقة الناس بعضهم ببعض ويزوّر حوالات باسم غير اسمه فلا يدفعها البنك الذي اسمه في الحوالة . وان في مطعم مارتين الفرنسوي الذي هو من اشهر مطاعم نيويورك لوحاً معروضة فيه جميع الحوالات التي دُفعت للمطعم ثمناً للطعام ولم يدفعها البنك ولم يُعرف اصحابها بعد ذلك ولهذا لا تُقبل هذه الحوالات الاَّ من اناس لهم مكاتب معروفة

افتتاح الجلسة . وفي اقل من نصف ساعة يعلم ممثل كل بنك قيمة الحوالات المسحوبة على بنكه فيدفعها وهو واقف الى الجمعية والجمعية توصلها الى البنوك التي دفعت تلك القيمة عن ذلك البنك . واذا تأخر البنك عن دفع القيمة الى ما بعد الساعة الواحدة ونصف بعد ظهر ذلك اليوم أُعلن افلاسه . وكل واحد من مستخدمي « بنك البنوك » يغلط مرة في حساب الارقام يُطرَد في الحال . وتبلغ قيمة الحوالات المقبوضة والمدفوعة كل يوم على هذه الطريقة ١٢٠ او ١٥٠ مليون ريال . وهو اختراع مالي جميل لانه يساعد على الاقتصاد في الوقت والتعب شأن الاختراعات الاميركية

خزينة المستودعين

مال لا يناله نار ولا لص ولا طوفان ولا ثورة

قال الفيلسوف جول سيمون في كتابه « المرأة في القرن العشرين » يصف وهن الحياة وتقلباتها انه ليس في الدنيا ثروة يقدر الانسان ان يثق كل الثقة بامتلاكها . فان اموال الاغنياء تذهب بعواصف البورصة والتجارة والثورات شر مذهب . حتى ان رئيس الامة نفسه ليس في مأمن من عواصف الشعب . ولكن يلوح لنا ان الاميركيين قد اخترعوا طريقة تقي المال من عواصف الحياة وتريد بها « خزينة المستودعين »

خزينة المستودعين « باستيل المال » في نيويورك اخترعها الاميركيون واخذها عنهم الاوروبيون وهي مستودع واسع تحت الارض يحتوي على ٢٥ الف صندوق حديدي بعضها صغير جدًا وبعضها كبير كالبيت يمشي فيه الانسان منتصبًا (١) ولكل انسان حق في استئجار احد هذه الصناديق واجرتها تختلف بين ٥ ريالات و ٨٠٠ ريال . ومتى استأجر انسان احدها وضع فيه اثمن ما عنده نقدًا واوراقًا وحلى او سبائك فضة يخزنها الى حين ارتفاع سعرها . واصبح في امن عليها من طوارىء الحياة . فان المكان يخفره خفراء خصوصيون في النهار والليل وهم يطوفون دهاليزه وغرفه في ساعات معينة . وسقفه وجدرانه مصفحة بالفولاذ فلا تفعل فيها النار واذا اغلق بابه امتنع دخول الماء اليه ولو كان طوفانًا . واذا ثار الشعب ورام الدخول اليه تُفتح « حنفيات » فوق الباب فيندفع منها بخار كاوٍ يملأ المكان كله ويميت جميع من دخل اليه . وامام الباب بساط من « كاوتشو » لمسح الاقدام والحقيقة انه وضع هناك ليستر سلكًا كهربائيًا ممدودًا الى الداخل . فاذا مرّ احد على هذا البساط

(١) ان ارتفاع صندوق المستر كولد الغني المشهور ثلاثة امتار وهو كجبل من حديد

قُرع جرس في الداخل بمجرَّد المرور عليه تنبيهاً الى قدوم قادم

وصاحبة هذا المستودع شركة تُدعى (Safe Deposit Company) وهي تضمن ايضاً خزائن المال الموضوعة خارج مستودعها هذا في البنوك والبيوت التجارية الكبرى . ولكنها في هذه الحالة توجب على صاحب الخزانة المضمونة عندها ان لا يفتح خزانته الا في الساعة التي يُتفق عليها بينه وبينها وان يكون احد مستخدميها شاهداً فتحها . وهي تضمن اليوم خزانة المستر مرغن Morgan الغني المشهور . وميعاد فتحه خزانته كل يوم في الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ صباحاً الا يوم السبت فانه يفتحها في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر . وبين الخزانة المضمونة وادارة هذه الشركة سلك كهربائي ممدود فكلما فُتحت الخزانة علمت ادارة الشركة بفتحها حال فتحها . فاذا لم يكن فتحها في الساعة المتفق عليها علمت الشركة ان الذي فتحها لص فتنبهت اليه في الحال

والصناديق كلها اي التي عندها والتي في الخارج لا تُفتح الا باتفاق ثلاثة مفاتيح بحسب اصطلاحات خصوصية

ليسوا باميركيين فلا تتشبهوا بهم

قلنا في فصل سابق ان نيويورك « مدينة الغرباء ولا غريب فيها » اشارة الى ان كل غريب ينزل فيها يصبح كواحد من اهلها . وهذه الحقيقة يحتاج الى معرفتها كل قادم الى نيويورك بل اميركا كلها . فانه كثيراً ما يرى القادم الجديد في الشوارع مناظر مدهشة قلما يراها في ارض اخرى . فقد يرى مثلاً امرأة في ساحة عمومية جالسة على مقعد بين الناس وهي تدخن سيكاراً . . ويرى اخرى معربدة ثائرة وهي جالسة على مقعد امام المارة تمسح عن جبينها ووجهها دماً جارياً لان رأسها شج حين سقوطها على بلاط الشارع وهي سكرى . ويرى بعض الرجال والنساء جالسين في ليالي الحرّ ازواجاً ازواجاً على تلك المقاعد والمرأة معانقة الرجل او الرجل المرأة خداً الى خد او فماً على فم ورجال البوليس يمرون بهم ضاحكين . والعادة في ليالي الحرّ ان تغص الساحات العمومية برجال ونساء واولاد ينامون طول الليل على العشب تحت اشجار تلك الساحات ولا يبقى على العشب والمقاعد موضع قدم فارغاً . فربما نام الخليل وخليلته هناك متعانقين حتى الصباح . واغرب من هذا ما رأيته يوماً في شارع غرنويش في الساعة التاسعة مساء فقد كان ثلاثة شبان سائرين نحو الحديقة « باتري بلاس » التي على شاطىء الميناء واذا بفتاتين سن الواحدة منها ١٨ سنة او ٢٠

قادمتين من تلك الحديقة وهما من بنات العيلات لا من بنات الهوى . فلما وصلت الفتاتان الى الفتيان الثلاثة انفردت احداها ودنت منهم واظهرت انها لا تزاحم في طريقها ثم دفعت بكتفها احدهم في صدره كما يفعل « الجدعان » بعضهم ببعض للمزاح والمطايبة . فالتفت الشاب المدفوع فرآها تلتفت اليه وتضحك فعاد اليها وعادت اليه واخذا في السلام والكلام

فالرجل الغريب يظن ان جميع من تقدم ذكرهم اميركيون وان هذه العادات مباحة عند الاميركيين فيتساهل ويتسامح بشأنها . والحال ان ٩٥ في المائة منهم غرباء مهاجرون وهم من اضعف الطبقات في بلادهم . فنحب للسوريين المهاجرين ان لا يتركوا عادات سيئة كهذه العادات تؤثر على اخلاقهم بحجة انها عادات اميركية مباح العمل بها والجري عليها

البورصة في الحانة

يمكنك وانت جالس في الحانة (١) في نيويورك ان تطلع على جميع اخبار البورصات في العالم . ذلك لان في زاوية في كل حانة او قهوة كبرى صندوقاً صغيراً من زجاج ضمنه آلة تلغرافية كآلات التلغراف الاعتيادية وقصاصة ورق التلغراف تخرج منها بالتدريج وعليها اخبار آخر ساعة عن اسعار الاوراق والشركات المالية في جميع البورصات فتأمل

مناظرة في التفاضل والمساواة

ردّ لجناب شبل افندي نصيف دموس

تحت هذا العنوان نشرت الجامعة في عددها الثالث وما تلاه مقالات لاحد كتاب مصر الافاضل الذين نعرفهم بشهرتهم فقط وهو نقولا افندي حداد . فرأتها فرايت كاتبها يرى التفاضل امراً ضرورياً وواجباً وهذا راي نخالفه فيه على خط مستقيم وربما كان السبب وجودنا في ارض الحرية والمساواة حيثما جرت مبادئها في عروقنا مع الدم وامتزجت بارواحنا امتزاج الماء بالماء

وقد قسم صاحب المقالات موضوعه الى اربعة اجزاء هي التفاضل الشرعي فالدستوري

(١) « الصالون » هنا و « البار » في مصر

فالاقتصادي فالاجتماعي وتكلم عن الثلاثة الاول فاشبع غير اننا اما لتصلب في قلوبنا لم نقتنع او لاننا نرى الامور بغير ما يراها حضرة الكاتب . وكيف كانت الحال فنحن نرى المساواة في الحقوق والواجبات الشرعية والدستورية امرًا مقدسًا واجب الاعتبار والتنفيذ لاننا نعلم ان كل انسان مخلوق تحت نظام طبيعي واحد نعني من ذكر وانثى تحت ظروف طبيعية واحدة وان كل انسان يعيش متغذيًا من محصولات هذه الارض الواحدة في محيط من هواء واحد تحت شمس واحدة ومتى مات يزج جسمه تحت اديم ارض واحدة وان له نفسًا معطاة من خالق واحد وهي باعتبار كل اديان العالم خالدة ولها ثواب وعقاب واحد ونعلم ايضًا ان كل انسان يشعر باللذة الواحدة والالم الواحد نفسانيًا وجسديًا ولذلك نرى ان لا مزية لواحد على الآخر البتة . وما هو الواجب على الانسان الواحد واجب على كل انسان آخر وما هو حق الواحد هو ايضًا حق الآخر . وبكلمة اخرى اننا نرى بموجب هذه الاوليات ان تكون الحقوق واحدة والواجبات واحدة ايضًا ومتى توحدت الحقوق والواجبات وجبت المساواة ومنع جواز التفاضل بتًا . ومتى وجدت المساواة الحقيقية في امة من امم الله عظم شان تلك الامة وشاهدنا على هذا هذه البلاد العظيمة التي بلغت بحكمة الذين وضعوا دستورها الآمر بالمساواة وسنوا شرائعها الاولية الى درجة من العمران والمنعة ليست لغيرها من بلاد الله . فهي لم تصل الى ما وصلت اليه الا لان المساواة السياسية التي يتولد عنها المساواة في الشرع والاقتصاد والاجتماع كانت ولم تزل اساسًا لكل نظام وقانون سرى اهلها عليهما منذ بدء تاريخها حتى الان

وربما كان حضرة صاحب المقالة الفاضل يرى رأينا في الامرولكنه يظن ان المساواة اسم بلا مسمى بدليل ما اورده من الشواهد التي لا نستطيع ان نفسرها الا بغير المعنى الذي يقصده لاننا في اميركا نرى المساواة والتفاضل بغير ما يراه اخواننا فيمصر وسوريا كما سيجيء

اما التساوي في الشريعة فهذا واجب دينيًا وطبيعيًا واجب دينيًا لان كل انسان مخلوق على نفس النظام الواحد وله العقاب والثواب الواحد كما ذكرنا سابقًا وواجب طبيعيًا لان الطبيعة تقضي ببقاء الجنس قضاء لا يرد وهذا لا يتم الا بالتكافوء والتعاضد منعًا للانقراض وهذان لا يكونان الا بالمحافظة على القانون وتنفيذه في الذين وضع من اجلهم . والمحافظة على القانون وتنفيذه لا يتمان الا برضاء الكل عنه والرضاء لا يكون الا متى كانت الحقوق مرعية ومصانة فان ميزت الشريعة بين انسان وآخر قضي على الصغير ان يتلمه الكبير حتى تصبح الخليقة كلها في جوف رجل واحد وهذا الاخير في جوف اسد او وحش مفترس .

وقد ذكر حضرة صاحب المقالة حادثة جرت له في مصر مع بائع شمام يراجعها القارىء في الجزء الرابع من الجامعة بنى عليها حضرته الحكم في وجوب التفاضل صيانة لابن الادب من بائع الشمام وهي حادثة لا يجوز بموجبها حكم فقد رأينا مرأى العين حوادث كثيرة تخالف تلك الحادثة . منها ان واحداً من ابناء البيوتات الكبيرة في سوريا رام ان يشتري بطيخة من بائع خضرة فقير الحال فاتاه مساوماً ثم تم البيع على بطيخة وبعد قطعها وجدت « قرعاء » تافهة فرام ردها وابى الدفع فكلمه الفقير بالحسنى فازداد الشريف كبراً وتيهاً فقال الفقير . اتتقاوى على فقير مثلي . ثم رفس صاحبنا طبقه وعليه تين فاندلق على الارض وتقدم فلطم الفقير على وجهه فذهب هذا الى الحاكم فقابله هذا بالشتم فما قول حداد افندي بالقانون الذي اضاع حق ذلك الفقير . ثم نحن لا نشك في ان بائع الشمام كان لئيماً ولكن العدالة عمياء فهي لم ترَ ما جرى ولكنها تسمع وتحكم بالقسط لدى ورود الادلة ولكنها لا تسمع بالتلفون نعني يجب ان يقف امامها الخصمان وانا لا نرى عضاضة من وقوف كل ذي نفس حية امامها . وليس من الحيف ان يحاكم رجل مع رجل آخر

اما التساوي في الدستور فهو ضروري ايضاً لا بل واجب صيانة لمصلحة الافراد في سن الشريعة العادلة المساوية بينهم ومصلحة الافراد كما لا يخفى هي مصلحة الامة لان هذه تتألف من اولئك . وواجب ايضاً لاجل صيانة الشريعة من النقض بالثورات الدموية التي تهلك الامة وتضعفها بازاء نفسها وبازاء باقي الامم الاخرى . ففي اميركا يقضي الدستور بانتخاب مشترعين من افراد الامة لسن نظامات توافق احوالها وهم منتخبون من جميع افراد الشعب بدون تمييز فكل ذكر وطني بالغ الحادية والعشرين من عمره ابيض كان او اسود له صوت واحد فقط لا يتجاوزه والمنتخبون نواب عن المنتخبين يقومون بكل المواعيد التي عاهدوا منتخبيهم على القيام بها . وقد برهن فعلياً هذا الدستور المبني على المساواة بانه خير دستور يحفظ راحة الامة وافرادها وخير كافل لسعادتهم وسعادتها والمنتخَب لا يفضل منتخبه مثقال ذرة ومركزه السياسي ليس سوى منصب يقوم بواجباته فيه ويتقاضى عنه اجرة كالكاتب في المحل التجاري وما شاكله . والامتيازات المعطاة لهم شرعاً من مثل عدم القاء القبض على النائب في الاوقات المعينه للالتئام مع رفاقه ليست الا لقصد صيانة الحكومة من النقض بالمؤامرات والدسائس كما حدث في فرنسا يوم نشأت الامبراطورية الثانية بعد ما زج في السجون انصار الجمهورية من اعضاء مجلس النواب وهي التي يسمونها Coup d'Etat

اما قوله فيما جاء في الكلام عن امتيازات النبلاء عن العامة في بلاد الانكليز وهو

(ولكن اذا انعمنا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة وفي نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان حقيقته ليست في تكافوء النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي تنجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وصيانتها) فهذا فيه نظر لان حفظ مجد المملكة حقيقة لا يقوم بوجود نبلاء والقاب شرف فيها وهذه الولايات المتحدة وفرنسا اكبر شاهد على صدق قولنا هذا لانهما مجيدتان بدون مساعدة هذا الصف من البشر ونحن نعتقد ان وجود مثل هذه الطبقة في مملكة مما لا يصون مجدها بل يخذلها و يضعفها لان الممالك انما تقوم بالشعب الراقي الشبعان الراضي عن شرائع بلاده على حد قول توماس جفرسون في منشور الاستقلال الاميركي (ان الحكومات تستمد قوتها من رضاء المحكومين) وهؤلاء الاشراف حمل ثقيل على كاهل الشعب يأكلون زاده بدون تعب يقاسونه فان جاء يوم وحصلت فيه مجاعة يثور هذا الشعب كما ثار في فرنسا وفي غيرها من قبل ومن بعد وكما هو ثائر الآن في روسيا. يثور على الدستور لانه غير عادل اذ يوجب الامتيازات ويثور على الشريعة لانها غير عادلة اذ تحلل للقليل ما تحرمه على الكثير

اما التفاضل في الاقتصاد فهذا بلا مسوغ البتة انما هو اذا كان موجوداً حقيقة فهو وهم باطل لا يضرّ بمصالح الافراد ولا ينفع ومع ذلك فاذا كان من فضل في ايجاد الثروة فالفقير موجدها لانه هو العامل في مناكب الارض وفي المعامل وفي بناء القصور وبناء المراكب الخ . اما قوله في انصراف الاغنياء الى مجتمعات خاصة دون الفقراء فهذا لا يبرهن تفاضلاً البتة اذ ان لهؤلاء مجتمعات يجوز لهم فيها ما يجوز لاولئك في اجتماعاتهم وركوب القطارات في الدرجة الاولى لا يبرهن افضلية صاحبه على راكب الدرجة الثالثة لان هذا المقعد يشرى بمال وكلما يشرى بمال يكون مشاعاً للجميع على السواء و يبطل حينئذٍ التفاضل حتى اذا حرم شرعا على قوم وحلل لآخرين فهناك يجوز القول حينئذٍ بوجود التفاضل ويكون ثمة نقص في الشريعة تأباه نفوس الامم الحرّة ويكون بسببه ثورة عظيمة في ارض الشعوب الغير خاملة

اما قوله عن الولايات المتحدة ان كثيرين من اهلها يتطاولون الى نيل الالقاب وان الغنيات يطلبن الزواج بنبلاء اوربا لنيل الشرف وهلم جرّاً فهذا لا يبرهن وجود التفاضل الاجتماعي والاقتصادي ولا وجوبها لان هولاء الكثيرين قليلون جدّاً بالنسبة لعدد السكان وعلى القليل النادر لا يبني حكم وما هؤلاء القلائل الذين يطلبون الامتيازات الموروثة التي جاءت اصحابها من طريق المدنة الاقوم في نفوسهم بقية من همجية الاجيال

الماضية متغلبة في طباعهم فهم يطلبون في بلاد اجنبية ما تمنعه بلادهم وشرائعها العادلة الآمرة بالمساواة . والقابهم التي يحصلونها لا تغير من مراكزهم مثقال ذرة فهم تحت القانون مساوون لبقية الناس فان لطمت الغنية الشريفة خادمتها الفقيرة كان جزاءها السجن او غرامة التعويض المالية وان شمخت بانفها في الهواء فانما هي تشمخ في الهواء كما يخور الثور ليس الا

اما ما يقدمه الفقير من التزلف الى الغني فهذا لا يبرهن حق الواحد على الاخر ولا افضليته اذ مرجع الامر الى واحد هو نيل غرض يوازي لدن صاحبه مقدار ذلك التزلف وخلاصة القول ان لا تفاضل الا متى وجدت امتيازات شرعية مختصة باناس محرمة على اخرين وهذا التفاضل قضي على بعضه في البلاد المتمدنة بعد ثورة انكلترا ثم قضي على بقيته بعد ثورة فرنسا حتى ان العبد الاسود الذي ولد في العبودية منذ عهد لا يعرف قدميته الا الله قد تحرر الان وصار له جميع حقوق سيده بالامس فهو يولي الحكام مراكزهم وهو بعبارة اخرى يامر بما يأمر و يطيع ما يفرض

اما تفاضل اهل العلم على اهل الجهل فهذا يكون بالنسبة الى ما تستفيد منه الاكثرية من عمل الفرد غير ان هذا التفاضل لا يتجاوز حد كلمات المديح فقط لانه لا يجوز للعالم اكثر مما يجوز للجاهل من التمتع بالسعادة والراحة ولا يستطيع ذاك ان يستعبد هذا اذ كلاهما امام القانون في المركز الواحد انما هذا يمدح وهذا يهمل امره او يذم بالنظر لاهمية النفع او الضرر الذي يصدر من كل منهما وهذان المدح والذم هما ثمن الفائدة او المضرة التي تلحق بهم

اما تفاضل امة على اخرى كتفاضل الانكليز على ابناء مصر فهذا موجود ولكنه ليس شرعياً ولا دستورياً ولا هو واجب دينياً ومدنياً انما هو تفاضل القوة الحيوانية التي ليست على الانسانية منه شيء . وفي حادثة دنشواي حيف وجور فقد حدث في مدينة نيواورليانس ما يعاكسها تماماً وذلك ان بعض الايطاليان قتلوا رئيس البوليس فقبضت الحكومة على الجانين واودعتهم السجن على امل محاكمتهم ولكن الشعب الاميركي ثار على الفور فدخل السجن عنوة واخرج السجناء واماتهم بالرصاص ولو امكنت حكومة ايطاليا من قاتلي ابنائها في اميركا لكانت فعلت فعل انكلترا واذ عز عليها الانتقام انهت المسالة سياسياً واخذت تعويضاً مالياً . اما انكلترا حاكمة مصر فقد فعلت فعل القوي ومصر ضعيفة بازائها . واما ذل ابناء مصر للمحتلين فهذا الذل لا يطول امره لان وراءه امراً سيدوس هذا التفاضل تحت

قدميه فان لم يكن اليوم او غداً فسيكون في الذي يليهما سعياً وراء المساواة التي هي حق كل مخلوق موروث من الله خالقه

مهاجر سوري في اميركا

يدعو المهاجرين الى الزراعة

والجامعة تعضد دعوته

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الغراء

ما كان ابطائي في الجواب على اسئلة الجامعة بشأن دعوة المهاجرين الى الزراعة في اميركا المنشور في الجزء السابع الا لانتظاري ريثما ارى هل احد من المهاجرين يعترض على هذه الدعوة. ولما لم ارَ في الجزء الثامن اعتراضاً جئت بسرور للمجاوبة على تلك الاسئلة. واملي ان تستطيع الجامعة شيئاً فشيئاً توجيه انظار المهاجرين الى هذه الصناعة الشريفة الرابحة في هذه البلاد

السؤال الاول ـ ما هو الراسمال اللازم لاصلاح وزراعة المائة وستون اكراً (١)

(والجواب ان الزراعة هي كالتجارة فيمكن للتاجر ان يتعاطى تجارة ما براسمال صغير حتى المائة ريال كما انه يقدر ان يتاجر بالوف ريالات ولكن كلما زاد الراسمال ووُجد رجال ذو حزم وعزم تزداد الارباح. وهكذا الفلاح هنا فانه يقدر ان يباشر العمل براسمال صغير حتى مائتي وخمسين ريالاً فبهذه القيمة يشتري زوج خيل او بغال وآلات الزراعة كويغن (عرَبة) (Wagon) وسكة حديدية نقالة ويبتدئ بفلاحة ارضه. ويلزمه بعض آلات احياناً يستعيرها من الجيران الى ان يُنتج من عرق جبينه ثمنها ويكبر اشغاله شيئاً فشيئاً. على ان الفلاح القادر اذا اتقن الفلاحة وكان عنده اربعة من جياد الخيول وسكة وجميع آلات الفلاحة فتكون ارباحه مضاعفة

السؤال الثاني ـ هل يستطيع الزارع الذي لا يكون بيده راسمال ان يستقرض المال

(١) راجع باب الرسائل في الجزء السابع

على الارض ام على تعب يدبه فيها من اناس قريبين منها . فالجواب هنا (مزدوج). اولاً انه لا يقدر ان يستقرض على الارض التي اعطته اياها الحكومة ولا له حق التصرف بها الاَّ بعد مدة خمس سنوات كما تقدم . ولكنه يقدر ان يحوّلها لاحد غيره باتفاق من الفريقين بثمن معلوم . والذي تحوَّل باسمه ثانياً تبتدىء مدته من حين تسلمه لها . لهذا لا يقدر الانسان ان يستقرض على الارض . و يوجد طريقة اخرى وهو اذا احب الانسان ان لا يبقى في الارض مدة خمس سنوات فيمكنه ان يسكن فيها اربعة عشر شهراً و يشتغل بها بتلك المدة ثم يدفع للحكومة ريالاً وربعاً ثمناً لكل اكر فتصبح له ملكاً . كالذي يقيم فيها خمس سنوات

اما الاستقراض على تعب اليدين فاذا كان مستقبل المزروعات والارض جيداً فالفلاح يقدر ان يستقرض من التجار او من البنك برهن المزروعات . ومتى صار للزارع معاملة مع التجار او الصيارفة فيقدر على سد عوزه دون رهن . وليس للنصابين والمحتالين خبز بهذه الانحاء

السؤال الثالث — هل الامن سائد في هذه الجهات . والجواب نعم فانه اينما سار الانسان في الولايات المتحدة تحت راية النجوم الزاهرة فالامن سائد . واقدر ان اقول انني اخشى على نفسي من المرور نهاراً بشارع واشنطن في نيويورك في بعض الايام ولا اخشى المسير ليلاً في هذه الانحاء حتى بدون رفيق

السؤال الرابع — اذا اراد الزارع ان يأخذ لنفسه اكثر من ١٦٠ اكراً هل يؤذن له بذلك . والجواب كلاَّ لا يقدر الاَّ اذا اتفق مع شريك واخذ كل واحد لنفسه ١٦٠ اكراً انما يؤذن له بان يشتري بقدر ما اراد من الاراضي المسجلة باسم اصحابها بعد اقامتهم بها خمس سنوات . ويلزمه اولاً ان يتجنس بالجنسية اميركية ويكون سنه فوق ٢١ سنة والنساء كذلك . فالرجل وزوجته والاخ واخته كل منهما يقدر ان يأخذ ١٦٠ اكراً

السؤال الخامس — هل من ضريبة للحكومة على الاراضي . الجواب نعم انما هي قليلة جداً وهي تدفع سنوياً . فيأتي المخمن ويخمن الموجودات التي على الارض مثل بيوت ومواشٍ واثاث ويقيدها بربع قيمتها الاصلية ثم يفرض عليها ضريبة في المائة ٣ ونصف فالضريبة اذاً هي على الموجودات لا على الارض اذ لا تأخذ الحكومة ضريبة عنها الاَّ بعد خمس سنوات

السؤال السادس — بكم تُقدر نفقة الشخص الواحد في السنة بقطع النظر عن نفقة الارض . فالجواب على سؤالكم هذا يتوقف على ذات الشخص . والاشياء هنا لا تفرق

اسعارها عن نيويورك الا قليلاً

السؤال السابع ـ هل يمكن لمحترف الزراعة ان يحترف حرفة اخرى . والجواب نعم يمكنه ذلك فانه يقدر ان يشتغل باي شغل اراده فيمكنه ان يسكن البلدان المجاورة و يذهب الى ارضه ولو اسبوعاً كل ستة اشهر وبهذه المدة يلزمه ان يشتغل بالارض كي لا تضيع الارض منه وكثيرون هنا ممن لهم اراضٍ وحرفتهم الزراعة ينتهزون الفرصة للتجول وبيع البضائع وبعضهم لهم محلات تجارية

واني كي ازيدكم ايضاحاً اقول : ان اكثر الاراضي في هذه الجهات تسوى قيمتها من ١٥ الى ٣٠ ريالاً الاكر الواحد ولا يقدر الانسان ان يأخذ ارضاً كما اخذناها نحن انما توجد الان اراضٍ في تكساس west Texes على حدود هذه الولايات Oklahoma تُباع باسعار زهيدة جداً وذلك بسعر ٥ الى ١٠ ريالات الاكر والحكومة تسجلها لمن يرغب الاتجار بها . ويمكن للانسان ان يشتري من ١٠ الى ١٠٠٠ اكر وهذه الاراضي ستصبح بعد مدة قريبة عامرة كهذه الانحاء وفي طي كتابي قصاصة من جريدة اميركانية تعلن عن مبيع اراضٍ في الجهات العامرة بتكساس بسعر ٢٥ ريالاً الاكر . لكن في نيو مكسكو New Mexico اراضٍ تعطى للاهالي مجاناً الى خمس سنوات مثلا اخذناها نحن هنا . وهي ارض خصبة جداً

شاكر سالم الخوري

ضيق صفحات المجلة لصدورها مرتين في الشهر أشرنا في صفحة اخرى في هذا الجزء الى ضيق صفحات المجلة عن جميع موادها وابوابها بسبب قسمتها الى جزئين وصدور كل جزء في ١٥ يوماً . واقرب مثال لذلك ان هذا الجزء الذي صدر في نحو ٥٠ صفحة قد صدر بنقصه (درس في المدنية الاميركية) و (تتمة رواية قان) وباب الرسائل والمسائل وتقريظ عدة كتب و باب الاخبار العلمية وباب تدبير الصحة والمنزل وتذكارات مصر والشام . وباب الديموقراطية واخبارها الذي لم نتمكن بعد من فتحه . فضلاً عن قصيدتين واحدة لنقولا افندي حداد في (تأثير المهاجرة على العقول القاصرة) . وواحدة لامين افندي ظاهر خيرالله في رواية ابن الشعب . ولكن لو كانت المجلة تصدر مرة في الشهر لامكن التوسع في ابوابها لاتساع نطاقها واستيفاء جميع موادها ونشر الرسوم الكثيرة فيها . وهذا ما عزمنا على الشروع فيه كما ذكرنا في مكان آخر . فتكون الجامعة كل شهر كتاباً كبيراً جامعاً لاشتات الفوائد الناضجة بالدرس والروية مستوفية جميع ابوابها وموادها ومتسعة للرسوم الجميلة العديدة

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

دينونة المصريين * الراحة في مصر

﴿ دينونة قدماء المصريين ﴾ وُجد هذا الرسم منقوشاً على هيا كل المصريين القدماء . وهو يمثل طريقة الدينونة بعد الموت عندهم . فاذا توفي الرجل قُبضت نفسه الى سماء (اوزيريس) الاله الاعظم ويقدمه اليه الاله انوبيس والالاهة (مايت) الاهة الحقيقة. واوزيريس جالس على عرشه كما ترى في الرسم وحوله ٤٢ الهاً من مساعديه . فيأخذ الاله انوبيس قلب الميت ويضعه في كفة ميزان الدينونة وتضع الالاهة (مايت) في الكفة الثانية الريشة التي هي شعارها. ثم يأخذ الميت في القاء خطبة صغيرة يُنكر فيها انه ارتكب ذنباً من الذنوب التي تسوء الالهة . فاذا كانت كفة القلب اخف من كفة الريشة أُدخل الميت الى عالم اوزيريس حيث يتمتع بالسعادة واذا كانت اثقل نُبذ من عالم السعادة . والاله توت هو الذي يُبلغ نتيجة هذا الوزن الى الاله اوزيريس كما ترى في الرسم



﴿دينونة النفس عند قدماء المصريين﴾
يوضع قلب الانسان في ميزان الدينونة امام الالهة المصطفة فاذا كان خفيفاً قُبل في سماء السعادة والا نُبذ منها

﴿ الراحة في مصر ﴾ هو اسم يُطلقه المصورون على رسم ليسوع والعذراء ويوسف في مصر بعد فرارهم من فلسطين اليها كما جاء في الانجيل . على ان المؤرخين يقولون ان يوسف والعذراء لم يسافروا قط بيسوع الى مصر . وفي مصر تقليد انهم استراحوا تحت شجرة في المطرية والناس لا يزالون يتبركون بهذه الشجرة حتى اليوم . على ان هذه الشجرة قد

تحطم بعضها في الشهرين الماضيين لهبوب زوبعة شديدة عليها . والرسم المنشور هنا يمثل يوسف والعذراء والطفل يسوع يستريحون بعد مشقة السفر . والملائكة هبطت لملاعبة الطفل وتقديم الازهار اليه . وهو رسم للرسام دومي موجود الآن في متحف يتي في فلورنسا



﴿ العذراء والطفل يسوع ويوسف في مصر ﴾
يستريحون من مشقة السفر بعد هربهم من فلسطين من وجه هيرودس

باب التقريظ والانتقاد

الشعراء والاحتلال المصري

﴿ قصيدتان بشأن مصر ﴾ الاولى لحافظ افندي ابرهيم الشاعر المشهور ونشرتها جريدة المؤيد الغراء . وقد نظمها استقبالاً لجناب اللورد كرومر حين عودته الى مصر في هذا العام يعرب له فيها عن عواطف فريق من المصريين المعتدلين بعد حادثة دنشواي . ومن دررها التي هي كدراري السماء تألقاً وسمواً قوله يخاطب قصر الدوباره مقام اللورد في مصر

اهلاً بساكنك الكريم ومرحباً بعد التحية انني اتعتب

وقوله ان ارهقوا صيادكم فلعلهم للقوت لا لمسلمين تعصبوا

ولعل هذا البيت ابلغ ابيات القصيدة · راجع ما كتبناه في هذا الشأن في الجزء الخامس الصفحة ١٩٠ وقوله عن المستشار القضائي في اثناء الحادثة

يختال في اثنائها متبسماً والدمع حول ركابه يتصبب

ثم القى تبعة الحادثة على المستشارين (وبذلك وضع جناب اللورد فوق الاحزاب) تخلصاً الى استعتابه كان حضرات المستشارين يأتمرون بغير امره

كُنْ كيفَ شئتَ ولا تكلْ ارواحنا لمستشار فانَّ عدلك اخصبُ

وانضْ على بوند اذا ولي القضا رفقاً يهش له القضاة ويطربُ

قد كان حولك من رجالك نخبة ساسوا الامور فدرَّبوا وتدرَّبوا

اقصيتهم عنا وجئتَ بفتيةٍ طاشَ الشباب بهم وطارَ المنصبُ

ثم رمى قلب مصر بسهمين لم يرمها بمثلها احد قبل الآن · ولكن للابن (خصوصاً اذا كان كحافظ) دالة على الام وهو معذور في تهييه الغريب · والكنانة اسم لمصر

واذا سُئلتَ عن (الكنانة) قل لهم هي امةٌ تلهو وشعبٌ يلعبُ

فاستبقِ غفلتها ونم عنها تنم فالناس امثال الحوادث قُلَّبُ

وقد سمى رصيفنا المؤيد هذه القصيدة (قصيدة القرن العشرين) ونحن نستحسنها اشد استحسان ولا غبار عليها عندنا سوى قول بعضهم ان الشاعر (قد اكثر فيها من تقبيل اليد التي تقيد وطنه بالسلاسل)

اما القصيدة الثانية فهي لاحمد افندي كاشف شاعر القرشية في مصر · وهي دون قصيدة حافظ قوة وجمالاً الا ان فيها صرخة عالية في حق مصر كانما خرجت من اعماق نفس متألمة · وقد ذكّرتنا هذه الصرخة بصرخات فيكتور هيغو من منفاه يهزّ بها عرش نابوليون الثالث يوم استبدّ بالجمهورية · ولم تنشر جرائد مصر هذه القصيدة لتطرّفها فطبعها ناظمها على حدة وبعث الى الجامعة بنسخة منها · فرأينا ان نشير الى اهم ابياتها لكي لا يُحرَم جزاء تعبه فيها وان كانت تحتوي على ابيات هو والجامعة فيها على طرفي نقيض ونستغرب صدورها عن اديب مطلع مثله · وهذه الابيات ضربنا صفحاً عنها

قال يستقبل الجناب الخديوي كما استقبل حافظ جناب اللورد · وكان الجناب العالي عائداً من الاستانة وفيه اشارة الى مرض جلالة السلطان

هل بعد مـا حادثه وشهدته جذلان يحسبه العداة عليلا

لا نعلم لماذا يعدّ الانسان عدوًّا اذا قال ان جلالة السلطان مريض

هبه مريضاً كان اياماً امـا كان اللقاء على الشفاء دليـلا

يصف للرعية كيف مكّن عرشه في المشرقين وشيّد الاسطولا

ومن قوله يذكر ما قالته انكلترا من انها تدافع عن حقوق الخديوي في حادثة طابه ·
واشار بعد ذلك اشارة جميلة الى اصلاح الجناب الخديوي بين الفريقين

قالوا استعان بنـا على سلطانه من ان يمـدّ يدا اليـه طولى

هل تستغيث بضيفك المحاول من اهليـك والمولى الاعز قبيـلا

اصلحت بين الحوت يخطر مائجاً والليث دون الغيل يحمي الغيلا

ابقيت هذا في الباب مرابطاً ورددت هذا في العباب جفولا · · ·

ومن قوله حملته الشديدة على جناب هلباوي بك المحامي في قضية دنشواي · والغلو في
مثل هذا المقام من ملازمات الاحزاب

واشدّ ما انتقموا به هذا الذي تخذ الرياء من الوفاء بديلا

هل كان يعوزهم سلاح فابتغي بلسـانه لسلاحهم تكيـلا

باع المواثق والعهود بشر ما امسـ تبقى به المشروب والمأكولا

فكانـه لم يغزنا يومـاً بهم الاّ ليغريهم بنـا وُبنيـلا

ثم حمل على جناب اللورد كرومر حملة كهذه ولكن دون ان يجرأ على تسميته

ما بال« وهاب الامان » كما ادعى امسى يرى في كل فج غولا

واذا ازاغ الله باصرة امرىء ليخيفه ظن الذبابة فيـلا

هل مل مصرفنا اليه ام رأى معروفنـا عبئاً عليه ثقيـلا

ام شاقه ما تصنع الابطالـ في قبض النفوس فكان عزرائيلا

كلمة(معروفنا) في البيت الثالث نظن انه لا محل لها من الاعراب

ثم قال يخاطب الجناب الخديوي مشيرًا الى الحكم في قضية دنشواي

لو لم يصوغوا الحكم باسمك لم نجد صبرًا على هذي الخطوب جميلا

الله ادبنـا باكبر خلقه فعلاً وانقذ في البرية قيـلا

كثر النضار ولا نصيب لنا وان اضحى على اعنـاقنـا محمولا

في البيت الثاني تصريح جميل بنتيجة حمول الشرقيين واحقية العقاب على هذا الخمول ·

وفي البيت الثالث اشارة الى خصب مصر وتمتع الاجانب بهذا الخصب . ثم قال في الخاتمة ابيات ابيات في التأني وتربية الجيل المصري الحاضر ومعرفة مصر جيل الاحتلال بعد زواله واجتناب هذا الجلاء بثورة . والخطاب للجناب الخديوي

كلهم الى الدهر القدير فانه	ما زال عنك بما تريد كفيلا
واذا هممتَ بنا الى غاياتنا	فالحزم ان لا نطلب التعجيلا
ومن المحال نجاتنا ان لم نكن	ارقى نفوساً منهم وعقولا
ولقد تطلعنا اليها شمخاً	فارفع على الاجيال هذا الجيلا
هي غاية الآمال شق سبلها	طوبى لمن تخذ السلام سبيلا
يا حسنهم اذ ينجلون ولا نرى	الاّ الوداد اليهم موصولا
ان يذكروا اذعاننا نذكر لهم	درساً تلقته البلاد جليلا
فليخرجوا شم الانوف ويتركوا	ما شيَّدوه معالماً وطلولا
واذا اشترينا بالدم استقلالنا	هاجرتُ كي لا اشهدن قتيلا
ضيق السجون ولا تملق خائن	لا يحسن التأويل والتعليلا

وقد نشرنا هنا خلاصة هاتين القصيدتين للدلالة على حالة النفوس في مصر من الوجه السياسي . وهما عبارة عن تاريخ تلك النفوس في برهة مرّت ولعلها لا تتجدد . ونودّ من كل قلبنا ان يكون تعيين حضرة القاضي الحازم والعالم العاقل سعادتلو سعد بك زغلول وزيراً للمعارف في مصر وعناية اخواننا المصريين بانشاء المدرسة الكبرى التي دعوها (الجامعة المصرية) (١) بدء نشأة جيل جديد في مصر وميل جديد في سياسة الاحتلال الى الرفق واللين وزيادة التوفيق بين الحاكمين والمحكومين

﴿ صدور الكوخ المندي ﴾ صدرت رواية الكوخ المندي مطبوعة اجمل طبع ومزينة برسوم عديدة وتُطلب من ادارة الجامعة وثمنها نصف ريال

---

(١) اتفقت اللجنة التي شرعت في مصر في انشاء (الكلية) وجمع المال لها على تسميتها (الجامعة المصرية) وهو اسم يسرّ مجلة الجامعة لمشاركتها لها فيه . اما العرب فكانوا يسمون امثال هذه المشروعات الجليلة باسم آخر . فكانوا يقولون دار العلوم مثلاً . ومنها (دار الصناعة) التي كانت مشهورة في الاندلس



صدورها يومية

(بشرى لقراء الجامعة في اميركا والخارج)

(١) ستصدر الجامعة سياسية اخبارية تجارية « كل يوم »

(٢) وستستمر على صدورها علمية اجتماعية « كل شهر »

قلنا في جزئين سابقين ان قراء الجامعة سيسمعون عنها في زمن قريب اخباراً تسرهم. والآن نخبرهم مرادنا بهذا القول

﴿ سبب بقاء الجامعة في اميركا ﴾ قلنا في المنشور الذي وزعناه من مصران الذي اقنعنا بنقل الجامعة من مصر الى نيويورك امران . الاول الرغبة في مشاهدة اميركا والمعيشة حيناً من الدهر في وسط مدنيتها العظيمة . والثاني الرغبة في ضم عمل تجاري في اميركا الى عمل صحافي . ولما قدمنا الى اميركا واصدرنا الجامعة فيها رأينا الصعوبة الكبرى في الاشتغال بالتجارة والجامعة معاً لانه على ما جاء في الامثال (لا تُمسك بطيخنان في يد واحدة) ولذلك عدلنا عن الاشتغال بالتجارة وانصرفنا الى الجامعة وحدها . وهذا العدول عن التجارة ابطل احد السببين اللَّذين اقنعانا بالانتقال من مصر الى اميركا . بل أبطل السببين معاً لانَّ مشاهدة اميركا ودرس احوالها لا يقتضيان اكثر من شهر او شهرين . فكان في امكاننا الاقامة هنا ثلاثة اشهر فقط ثم العودة بعدها الى مصر . لان القراء الذين يقرأون الجامعة هم هم سواء صدرت في اميركا او في مصر . ومهما زاد عدد قرائها الكرام في الولايات

المتحدة فان زيادتهم لا تعدل عند منشئها مشقة الانتقال وخسائره

فبقي انه كان لنا غرض في بقائنا في اميركا · ولولا هذا الغرض لما بقيت الجامعة فيها · وهذا الغرض هو خدمة الجامعة والمهاجرين بجريدة يومية كبرى على نسق جرائد مصر اليومية الكبرى · وهذا اوان الشروع في هذا المشروع الكبير الذي يسرّ ولا شك اخواننا المهاجرين في جميع الاقطار الاميركية

﴿ الجامعة اليومية ﴾ سيكون اسم الجريدة اليومية التي عزمنا على انشائها (الجامعة اليومية) او (جريدة الجامعة اليومية) وهي تصدر كل يوم بين الظهر والساعة الواحدة بعده وعدد صفحاتها ثماني صفحات كبرى طافحة بالمقالات والابواب والاخبار السياسيّة والادبيّة والتجاريّة والصحيّة

﴿ الجامعة الشهرية ﴾ ومما لا بد من الاشارة اليه ان صدور الجامعة يوميّةً لا يؤثر اقل تأثير على (مجلة الجامعة) بل سيكون انفع لها وادعى الى زيادة نشرها · ولكن عزمنا منذ اليوم على ادخال تغيير صغير فيها · فاننا كثيرًا ما شكونا وشكى قراؤها معنا من ضيق حجم المجلة بعد اصدارها مرتين كل شهر ولذلك لم تكن صفحاتها تسع جميع ابوابها وكنا نضطر احيانًا الى الاختصار في مقالاتها وابوابها ورسومها · ولكنها لو صدرت كل شهر مرة لكان حجمها اوسع كثيرًا وامكن ان نضمّنها الابحاث الطويلة · وهي كانت تصدر في مصر مرة في الشهر ايضاً فاذا اعدناها الآن الى الصدور مرة في الشهر فاننا نعيدها الى اصلها · ولذلك سنجعل صدورها مرة في الشهر ونزيد في تحسينها زيادة تجعل قراءها في غاية الرضى عنها كما سيرون ذلك في اول جزء منها يصدر شهريًا · وستبقى اشغالها ومراسلاتها واشتراكاتها منفصلة عن اشغال الجامعة اليومية ومراسلاتها واشتراكاتها

﴿ تحريرها ﴾ ورغبة في جعل مواد الجامعة اليومية وفوائدها من الطراز الاول بين الجرائد العربية في مصر وغير مصر فقد جعلنا التحرير فيها مشتركاً بين اربعة كتاب . فقد اتفقت الجريدة مع جناب الكاتب الفاضل والشاعر المجيد نقولا افندي حداد المشهورة آثاره الادبية بين كتاب مصر والشام على ان يتولى تحرير الجريدة بمساعدة محرر معه . وعدا ذلك يحرر في الجريدة كل يوم صاحب مجلة الجامعة . وتتولى صاحبة مجلة السيدات المدموازل روزا انطون القادمة الى نيويورك في هذا الشهر المباحث العائلية والنسائية في الجريدة . هذا عدا عن مقالات صحية يكتبها للجريدة حيناً بعد حين احد الاطباء الافاضل

﴿ مراسلاتها ﴾ وما عدا هذا فقد عينت الجريدة مراسلاً لها في مصر يوافيها باخبار مصر السياسية والادبية في مقالات غاية في الطلاوة والفائدة . وعينت في سوريا ولبنان عدة مراسلين سيبعثون اليها باخبار سوريا ولبنان بتفصيل وافر وشرح كاف فلا يفوت القارىء شيء من اخبارها الكبيرة والصغيرة . ولها فضلاً عما تقدم مراسلون ووكلاء في جميع الجهات التي تصل اليها الجامعة كتونس والجزائر ومراكش والهند والقوقاز وروسيا على الخصوص . وسيكون لها مراسل خصوصي في الاستانة يوافيها بالاخبار التي تنشرها جرائدها والتي لا تنشرها

﴿ لاميركا الشمالية والجنوبية ﴾ وستكون الجامعة جريدة يومية ليس فقط لاميركا الشمالية بل ستكون ايضاً جريدة يومية لاميركا الجنوبية . ففي البرازيل وكولومبيا والارجنتين وفنزويلا وغيرها لمجلة الجامعة مئات من القراء والمحبين سيبذلون عنايتهم للجامعة اليومية كما بذلوها للمجلة . ولا شك عندنا في ان الاقبال عندهم على الجامعة اليومية سيكون كاقبالهم على الجامعة الشهرية لان مبادىء الجامعة اليومية وخطتها واسلوبها في الكتابة والسياسة مبنية على مبادىء مجلة الجامعة واسلوبها وخطتها التي اعتادها قراؤها

﴿ شركة الجامعة اليومية ﴾ وقد ابقينا الى الخاتمة اهم خبر في هذا المشروع الجديد . وهو ان الجامعة اليومية ستنشأ شركة بين صاحب مجلة الجامعة وصديقه رشيد افندي سمعان التاجر في نيويورك شقيق جناب الوجيه العاقل الخواجه انطون سمعان التاجر

المشهور هنا . ولقد عرفتُ الصديق رشيد ثاني يوم وصولي الى نيويورك وقد مرّت اليوم على صداقتنا خمسة اشهر عرفتُ في اثنائها من اخلاقه وحسن تربيته انه سيكون الصديق الموافق والرفيق الصادق في عمل عظيم اذا اقدمنا عليه معاً . وان اول شرط في الشركة بين الشركاء اتفاق الاذواق والاخلاق والاراء . وهذا ما سرني في رفقته وصداقته اكثر من اي امر سواه

هذا ما رأينا ان نقوله الآن في هذا الاعلان الاول بشأن الجامعة اليومية . وسيكون ظهورها في خلال شهر كانون الاول (دسمبر) . وحين ظهورها سنرسلها الى قراء الجامعة في اميركا الشمالية والجنوبية هدية الى اسبوعين . وبعد انقضاء الاسبوعين على صدورها يرى القارىء رأيه في الاشتراك او عدم الاشتراك فيها . وانّ املنا في اقبال جمهور المهاجرين في الاقطار الاميركية على الجامعة اليومية عظيم جداً ليساعدوا في دار هجرتهم على انشاء جريدة كبرى نحب ان نجعلها لهم جامعة لشروط الصحافة الحقيقية من كل وجه

ولا يسعنا قبل الختام الآن ان نذكر بالخير رصفاءنا اصحاب الجرائد في اميركا الشمالية والجنوبية الذين اكرموا وفادة الجامعة وعاملوها بما في طباعهم من مكارم الاخلاق . واحب شيء الى الجامعة الشهرية واليومية ان تكونا يداً واحدة مع رصيفاتها الكريمات في الخدمة النافعة وترقية صناعتنا في اميركا ترقية تُكسبها احترام الناس لها . وهي ستبذل جهدها في اجتناب كل ما يسوء احداً منهم . فاننا نحن اصحاب الصحف يجب علينا ان نكون مثالاً لقرائنا في كل ما ندعوهم اليه من سبل الاصلاح والارتقاء . ولذلك تصافح الجامعة اليومية جميع رصفائها في اميركا الشمالية والجنوبية قبل ظهورها مصافحة وداد واخاء . وهي لا تنسى وداد الرصيفات في مصر والشام لها قبل انتقالها الى اميركا وبعده . وانما اول تحيّة لها وهي جنين في ضمير الايام هي الى تلك الرصيفات الكريمات

ولما دخل سنيكا الأب وسنيكا الابن الى بيت مريم كانت مريم مستلقية في فراشها دون وعي وبجانبها حنه . وكان الترجمان اليهودي يتبع الشيخ والشاب مستغرباً جرأتهما على الدخول الى هذا البيت دون ان يخافا كلام الناس . ولكنه قال في نفسه انهما غريبان والغريب لا يبالي بكلام الناس لجهلهم بحقيقة امره فضلاً عن ان ما رآه في اخلاق الشيخ وتأدبه ابعد كل ظن سيء فيه . واذا تكللت قمة الانسان العاقل باكليل الشيب وصفت نفسه من كدورات المادة واصبح على شفا القبر فهو يضع يده في اقذر يد لامرأة فتطهرها بمجرد مسها لها ولا تتنجس يده منها

اما الشيخ فمذ اشرف على سرير مريم اختلس النظر الى ابنه ليرى تأثير منظر تلك المرأة الجميلة في نفس الشاب . فرأى لوسيوس ينظر الى تلك المرأة الفتنة التي كانت كأنها على فراشها برج فضة بعينين متقدتين باحثتين . ولكن الاب كان يعلم ان الشاب الذي عاشر سيدات رومه الظريفات الجميلات وشهد بهاء كبيرات الرومانيات وبذخهن ودلالهن لا تروقه بعد ذلك فروية من امة ضعيفة منحطة مهما كانت جميلة . اذ لاتفاق الاذواق والتربية والاخلاق ابلغ تأثير في اتفاق القلوب . ولكن عند القلوب الحامية هذا النظر نظر شيخ شبع من الايام لا نظر شاب يتطلع الى جميع ضروب الجمال وافانين الرقة المختلفة التأثير والاجتذاب في الجنس الانثوي

وكانت مريم راقدة في سريرها بعد النوبة التي اصابتها ووجهها الناصع البياض منتفخ تحت شعرها الاشقر الجميل كأنه ملطخ بالدماء من تأثير النوبة . وكانت احدى يديها الناعمتين البيضاوين على صدرها تقبض بها على ثوبها الابيض الناصع بتشنج شديد ويدها الاخرى تقبض بها على خشب سريرها . وكانت اجفانها مطبقة الا انها كانت ترتجف . وصدرها العريض البارز يخفق خفقاناً منتظماً . اما سائر جسمها فقد كان يابساً كأنه قطعة واحدة

فلما وقع عليها نظر الشيخ علم من حالتها هذه ان نوبتها لم تفارقها بعد . فاسرع اليها واخذ بيده الجليلة يدها البيضاء الناعمة ليجس نبضها

في هذا الحين فتحت مريم عينيها . وكانتا زرقاوين نجلاوين (١) وفي اشفارها وطف (٢) كأنها هي نبال مغروسة في اجفانها . وكانت هذه الاجفان مكحولة كحلاً طبيعياً فكان لزرقة

(١) واسعتين (٢) عن الثعالبي « الوطف طول الاشفار وتمامها » وفي الحديث انه « صلعم » كان في اشفاره وطف

عينيها تحت سواد اجفانها منظر رائع يعاكس بعضه بعضاً ولكن يكمل بعضه بعضاً. ذلك لان الزرقة في عينيها كانت تجعل لها نظراً لطيفاً ضعيفاً ولكن السواد في اجفانها كان يمدّها بقوّة وحماسة غريبة . فالناظر اليها لا يتمالك من الدهشة لاجتماع هذين النقيضين فيها

ولما فتحت مريم عينيها نظرت بهما على غير هدىً الى ما حولها وهما ثائرتان منتفختان محمرّتان. واذ وقع نظرها على اشخاص غرباء في غرفتها وثبت كما بدفع دافع وانتصبت جالسة في فراشها وقد جذبت يدها من يد الشيخ بقوة . ثم ضحكت ضحكة شديدة . ضحكة ألم واشمئزاز واحتقار وصاحت باعلى صوتها ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر ؟

فلم يفهم الشيخ كلامها ولكن الترجمان اسرع فتقدّم وهمّ بالكلام ليشرح لمريم سبب زيارة هذين الرجلين لها . فاتمّت مريم كلامها بغضب شديد دون ان تسمع كلام الترجمان. وكانت حنّة في اثناء ذلك تحاول تسكينها واِنامتها

ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر ؟.. قبحاً لك ولشيبك ... روماني ايضاً ؟.. قه قه قه .. شكراً لك ... قد كفاني ما رأيته منكم ايها الرومان اللئام .. انني انا المرأة الساقطة الدنيئة لا افعل ما تفعلونه ... انتم كبار عظام ولكن في نكث العهود واخلاف الوعود ... قه قه قه. جئتم تمدنوننا وتعلموننا النظام . فهلاّ بدأتم بنفسكم ...

ثم استجمعت قواها ورفعت ذراعيها في الهواء واغمضت جفنيها كانها تسبح في عالم غير هذا العالم وقالت متهتهة و يداها ممدودتان نحو الشيخ

ـ تعالَ .. تعالَ اليّ يا حبيبي الشيخ القذر .. تعالـَ واسرع جبهتك التسعينية في صدر اطهر من لحيتك ..

وكأنّ قواها نفدت بعد هذا الكلام فاستلقت دون هدىً على فراشها وعاودتها نوبتها في اشدّ حالاتها

ولم يترجم الترجمان شيئاً من هذا الكلام لسنيكا وابنه ولذلك لم يفهما شيئاً منه. فسأله الشيخ ماذا تقول المرأة. فهمّ الترجمان ان يصنّف له كلاماً من عنده واذا بقزم تقدّم الجميع نحو فراش مريم وقال باللغة اللاتينية بشيءٍ من النزق

ـ اظن انكم تحسنون صنعاً اذا تركتم هذه المرأة المسكينة وشأنها ايها الاخوان

فلما سمع الشيخ والشاب الكلام بلغتهما من ذلك القزم التفتا اليه بكبرياء رومانية وقال له لوسيوس ابن الشيخ

ـ وما شأنك انت هنا

فاجاب القزم بغضب

ــ شأني هنا ارفع من شأنك . نحن من وطن واحد وجنس واحد وانني لأخجل من ان يقال ان الرومانيين يأتون ما تأتونه الآن في هذا المكان بجانب فراش امرأة ساقطة مسكينة من التلذذ بمرأى عذابها وشقائها . انني فررتُ من رومه لكي لا ارى امثال هذه القسوة والاعمال تصدر عن « الرومانيين مهدّ في العالم » فانا الآن باسم المدنية الرومانية التي تدّعونها و باسم الوطن الروماني والاسم الروماني ادعوكم الى الخروج من هنا

وكان الشيخ عابساً في اثناء هذا الكلام . اما ابنه فابتسم واجاب

ــ لا شك عندك في اننا ندنس الاسم الروماني في وجودنا في هذا المكان . ولكن انت ايها الروماني الشريف لماذا جئت الى هنا . لعلك جئت تصلي . . .

فاجاب القزم ولا ريب ان القارىء قد ادرك انه شيشرون الذي تقدم ذكره

ــ جئت الى هنا لامر افضل من الصلاة عندي . وانني اقدر ان امس يدي بد هذه المرأة وتبقى يدي طاهرة اطهر من يدك

وكأن الشيخ ملّ هذا الخصام بين ابنه وذلك القزم او انه رأى الحق في جانبه في ملاحظته . فقال لابنه . لوسيوس لا تجاوب . ثم التفت الى شيشرون وقال بسكينة العقلاء

ــ ما اسمك يا بني . فاجاب شيشرون ــ اسمي ابن الارض

فابتسم الشيخ وقال ــ كلنا ابناء الارض يا بني ولكني احب ان اعلم اسمك لانني سررت بانني وجدت في مكان كهذا المكان رومانياً يقول ما تقول

فقال شيشرون وكان لا يزال في نزقه . وانت ما اسمك ياسيدي

فاجاب الشيخ ضاحكاً . اسمي سنيكا يا بني

فلما سمع شيشرون اسم « سنيكا » تراجع الى وراءه مدهوشاً . فلمح الشاب دهشته فابتسم قليلاً . اما الشيخ فقال بجدّ متلطفاً

ــ لا عتب عليك يا بني لانك لم تعرفنا . نعم انا سنيكا المعلم في رومه وهذا ابني لوسيوس وقد جئنا الى هذه البلاد للسياحة فيها ترويحاً للنفس من عناء المعيشة في رومه وجوّها المضطرب . ولما وصلنا الى مجدل سمعنا بخبر هذه المرأة وَ بلغنا الساعة سقوطها امام بيتها بنوبة عصبية فجئنا نفتقدها شفقة عليها ورغبةً في مشاهدة اثر من آثار الشقاء البشري في هذا الزمان

فلما تحقق القزم شيشرون ان الرجل الذي اقدم على اهانته بمثل ذلك الكلام هو

سنيكا المشهور اديب رومه الذي كان يقرأ كتاباته بلذة تحت نخلة بجانب بيت مريم كما ذكر لما ذلك في ما تقدم اسقط في يده وحار في امره . وبعد ان تلعثم قليلاً تقدم باحترام من الشيخ الجليل وقال

— عفواً يا مولاي عن جرأتي وغضبي . ومثلك يعفو عن مثلي . وقد اثر بي قولك انك لا تؤاخذني بما قلتُ وفعلتُ لاستحسانك قولي وفعلي . فان هذه الشهامة خليقة باديب الرومان وعظيم البيان . ثم التفت الى لوسيوس ابن الشيخ وقال : وانت يا سيدي لستَ باقل شهامة من ابيك الكريم . ولا عجب في ان يكون هذا الشبل من هذا الاسد . وانني كمغرم بالادب والبيان اتمنى ان تكون خليفته في رومه وسيد البلغاء والحكماء فيها . فعفواً عن جرأتي ووقاحتي

ثم التفت شيشرون الى الشيخ وقال . هل يأذن لي مولاي بان اطلعه على السبب الذي جعل هذه المرأة المسكينة في هذه الحالة . فاجاب الشيخ نعم انني احب الاطلاع عليه ولكن يجب علينا اولاً ان ننظر في مداواة علتها واذهاب آلامها

فالتفت شيشرون الى مريم وهي على فراشها وقال . اظنها استراحت الآن لانني لا ارى عوارض الالم والنوبة في جسمها كأن نوبتها انتهت باستفراغها وسمها في غضبها

وفي الواقع ان مريم كانت في هذا الحين راقدة براحة وهدوء في سريرها وقد ذهبت عن وجهها وجسمها دلائل الاضطراب التي كانت فيها

فدعا شيشرون الشيخ والشاب الى شجرة في الكرم خارج البيت قائلاً وهو يبتسم

— ان هواء هذا المكان ثقيل رديء فلنخرج يا سيدي الى تلك الشجرة فانني كثيراً ما جلستُ تحتها اقرأ كتاباتك السامية

ولما صار الثلاثة تحت الشجرة اخذ شيشرون يقص على سنيكا وابنه قصة مريم قبل سقوطها ويصف له نفسها واحوالها ويسرد له كثيراً من الاحاديث التي حدثته بها وهما على انفراد . فاعجب الشيخ والشاب بحالة نفس مريم وافكارها . والتفت الشيخ الى ابنه وقال له : اما قلتُ لك يا لوسيوس ان هذا كان نتيجة مبادئنا ومدنيتنا . ثم انتهى بشيشرون الكلام الى قصة يوليوس ومريم وكيف خدعها وهجرها بعد ان وعدها ان يعيش معها طول عمره معيشة شرف وكرامة . وانه يظهر ان مريم تحب يوليوس حباً شديداً فاصابتها هذه النوبة الشديدة بعد هجره اياها . قال شيشرون . وقد هجرها يا مولاي بحجة انه مدعو الى رومه لامر هام والحقيقة انه سافر الى اورشليم ليتزوج هناك فتاة رومانية ذات مال طائل وقد كتمَ هذا عن مريم

الجزء العاشر — الجامعة — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر الشرق مدنية الغرب والغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٦ — ١٥ شوال سنة ١٣٢٤

روميو وجوليت



(رسم الرسَّام جالابر وفيه العاطفة الحبية في ارق مظاهرها)

رواية روميو وجوليت من اشهر روايات شكسبير وقد اصبحت رواية عمومية تمثلها جميع المراسح الاوروبية والاميركية وقد كتبها قبل شكسبير لويجي دي بورتو والشاعر

كليزيا دي فرون وماتيو باندللو وارثور بلاك الذي نظمها شعرًا في سنة ١٥٦٢ والارجح ان شكسبير اخذ موضوعها عنه . والقصة بين فتى وفتاة تحابا وكانت الضغائن السياسية تفرّق بين عيلتيهما وتحول دون زواجهما . فتزوّجا سرًّا زواجًا اسميًّا ثم انتحر روميو لظنه ان جوليت ماتت وانتحرت جوليت بعد ذلك لانتحار روميو . وكثيرون يقولون ان هذه الحادثة وقعت حقيقة وغيرهم ينكر تفاصيلها ويثبت اصلها . ولا يزال في فيرونه تابوت من رخام يعتبره الناس قبرًا لروميو وجوليت وقد قرأنا تفصيلاً له منذ عام في جريدة المائن . وقد ابلغ شكسبير في هذه الرواية الحب الطاهر اعظم مبلغ موثر في النفوس . والرسم الذي نشرناه هنا رسم روميو وجوليت متعانقين بعد الزواج رسمه المصوّر جالابر وتاريخه سنة ١٨٥٧ . وقد اجاد المصوّر كل الاجادة في رسم عذاب الحب والشغف على وجهيهما كما ترى في الصورة . وقد تُرجمت رواية (روميو وجوليت) الى اللغة العربية ترجمتين واحدة بقلم المرحوم الشيخ نجيب الحداد وواحدة بقلم نقولا افندي رزق الله مدير ادارتي الاهرام والبيراميد في مصر . ولكل واحدة منهما مزية على الاخرى من وجه

الحكومات والاحتكار

«المستر ركفلر»

من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٩٠٦

الى سنة ١٩٣٨

﴿ ثروته ﴾ كانت ثروته سنة ١٨٦٥ تبلغ خمسة الاف ريال . فما انقضى عليها عشر سنوات في تجارة الاخشاب حتى بلغت خمسمائة الف ريال . وفي سنة ١٨٩٠ ابتدأ في تجارة زيت البترول فبلغت ثروته بها مائتي مليون ريال . وفي سنة ١٩٠٤ بلغت ٤٠٠ مليون ريال . وفي هذا العام « ١٩٠٦ » بلغت ستمائة وخمسة عشر مليون ريال

وقال طبيبه الخاص ان المستر ركفلر قادر ان يعيش حتى مائة سنة فاذا عاش الى المائة اي حتى سنة ١٩٣٨ تبلغ ثروته ٢٥ بليون (١) وسبعمائة واثنين وثلاثين مليون ريال وهذا المبلغ اضعاف الموجود في البنوك والمحلات التجارية وايدي الناس في العالم ذهبًا وفضة ثلاث مرات . واذا اراد احدان يعد هذا المبلغ يقتضي عده مائتي و٩٥ سنة وخمسة اشهر واسبوعين

(١) ٢٥ الف مليون ريال

وست عشرة ساعة وخمساً وثلاثين دقيقة وثلاثاً وثلاثين ثانية بدون انقطاع ... اما عمره الآن فهو ست وستون سنة

﴿ هباته ﴾ وقد وهب سنة ١٩٠٥ احد عشر مليوناً وستمائة وعشرين الف ريال لبناء مستشفيات ومدارس وكنائس وللجمعيات . ووهب نصف مليون ريال الى كلية الطب في شيكاغو وعشرة ملايين ريال للمشروعات الوطنية مثل اصلاح طرق وبناء جسور . وستة ملايين ريال الى ورش مادكيال كولج . ونصف مليون ريال لبارندر كولج ومليوناً وربع مليون ريال الولايات الجنوبية لبناء مدارس داخلية عالية ومليون ريال لبالو كولج . ومليون ريال لهارفرد كولج . ونصف مليون ريال لمدارس نيو يورك وستمائة وخمسة وعشرين الف ريال حسنات للفقراء

وهو لا يحب ان ينقل ساعة او خاتماً ثميناً ولا ان يفرش بيته باثاث ثمين لكنه مولع بالتحف القديمة يشتريها باغلى الاثمان في اثناء سياحاته في اوروبا

﴿ كلمة في هبات الاغنياء ﴾ واذا كانت حياة رجل كركفلر هي مثال الناس في الجد والاقدام وحسن التدبير والنشاط فهي ايضاً يجب ان تكون مثالاً للحكومات في العالم . فان اجتماع ثروة الامة في افراد قلائل الى هذا الحد لما يفسد الاحكام ويضعف حرية الاتجار ويعطل مصالح الناس . فاذا ذكرنا هبات هؤلاء الاغنياء للامة التي خرجوا منها وجب علينا ان نذكر ايضاً الطرق الرديئة التي حصلوا ثروتهم بها من دماء تلك الامة وتعب ابنائها وخراب بيوت تجارها المتوسطين والاصاغر . ولذلك ستكون مسألة الاغنياء الكبار في اميركا من اهم مسائل السياسة في هذه البلاد . وربما دارت عليها وحدها رحى الحرب السياسية في الانتخاب الرئيسي الآتي (١)

قال شاعر لاتيني « ليس للذهب رائحة » ويعني ان الناس ينظرون الى صاحبه ويقبلون هباته دون ان يشموا رائحته ليعلموا هل هي كريهة لصدورها عن مصدر كريه ام

---

(١) مما يدل على ان مقاومة الحكومة لشركات الاحتكار مقاومة قانونية تؤثر في تقليص سلطة هذه الشركات وايقاف نموها ان المستر ركفلر الذي عليه الكلام في هذا الفصل قد نقصت ميزانية اشغاله في احتكار زيت البترول في هذا العام ١٤٠ مليون ريال عن ميزانيته في السنة الماضية . وهذا برهان على فساد قول القائلين انه لا تأثير لمداخلة الحكومة في تقليص مصالح المحتكرين وذلك لحرية التجارة . فان هناك فرقاً بين حكومة تغض الطرف عن الاحتكار والمحتكرين وحكومة تراقبه وتراقبهم مراقبة شديدة

المتحدة فان زيادتهم لا تعدل عند منشئها مشقة الانتقال وخسائره

فبقي انه كان لنا غرض في بقائنا في اميركا . ولولا هذا الغرض لما بقيت الجامعة فيها . وهذا الغرض هو خدمة الجامعة والمهاجرين بجريدة يومية كبرى على نسق جرائد مصر اليومية الكبرى . وهذا اوان الشروع في هذا المشروع الكبير الذي يسرّ ولا شك اخواننا المهاجرين في جميع الاقطار الاميركية

﴿ الجامعة اليومية ﴾ سيكون اسم الجريدة اليومية التي عزمنا على انشائها (الجامعة اليومية) او (جريدة الجامعة اليومية) وهي تصدر كل يوم بين الظهر والساعة الواحدة بعده وعدد صفحاتها ثماني صفحات كبرى طافحة بالمقالات والابواب والاخبار السياسيّة والادبيّة والتجاريّة والصحيّة

﴿ الجامعة الشهرية ﴾ ومما لا بد من الاشارة اليه ان صدور الجامعة يوميّة لا يؤثر اقل تأثير على (مجلة الجامعة) بل سيكون انفع لها وادعى الى زيادة نشرها . ولكن عزمنا منذ اليوم على ادخال تغيير صغير فيها . فاننا كثيرًا ما شكونا وشكى قراؤها معنا من ضيق حجم المجلة بعد اصدارها مرتين كل شهر ولذلك لم تكن صفحاتها تسع جميع ابوابها وكنا نضطر احيانًا الى الاختصار في مقالاتها وابوابها ورسومها . ولكنها لو صدرت كل شهر مرة لكان حجمها اوسع كثيرًا وامكن ان نضمّنها الابحاث الطويلة . وهي كانت تصدر في مصر مرة في الشهر ايضاً فاذا اعدناها الآن الى الصدور مرة في الشهر فانما نعيدها الى اصلها . ولذلك سنجعل صدورها مرة في الشهر ونزيد في تحسينها زيادة تجعل قراءها في غاية الرضى عنها كما سيرون ذلك في اول جزء منها يصدر شهريًا . وستبقى اشغالها ومراسلاتها واشتراكاتها منفصلة عن اشغال الجامعة اليومية ومراسلاتها واشتراكاتها

تحريرها ورغبة في جعل مواد الجامعة اليومية ومواضيعها من الطراز الاول بين الجرائد العربية في مصر وغير مصر فقد جعلنا التحرير فيها مشتركاً بين اربعة كتاب. فقد اتفقت الجريدة مع جناب الكاتب الفاضل والشاعر المجيد نقولا افندي حداد المشهورة آثاره الادبية بين كتاب مصر والشام على ان يتولى تحرير الجريدة بمساعدة محرر معه. وعدا ذلك يحرر في الجريدة كل يوم صاحب مجلة الجامعة. وتتولى صاحبة مجلة السيدات المدموازل روزا انطون القادمة الى نيويورك في هذا الشهر المباحث العائلية والنسائية في الجريدة. هذا عدا عن مقالات صحية يكتبها للجريدة حيناً بعد حين احد الاطباء الافاضل

مراسلاتها وما عدا هذا فقد عينت الجريدة مراسلاً لها في مصر يوافيها باخبار مصر السياسية والادبية في مقالات غاية في الطلاوة والفائدة. وعينت في سوريا ولبنان عدة مراسلين سيبعثون اليها باخبار سوريا ولبنان بتفصيل وافٍ وشرح كافٍ فلا يفوت القارئ شيء من اخبارها الكبيرة والصغيرة. ولها فضلاً عما تقدم مراسلون ووكلاء في جميع الجهات التي تصل اليها الجامعة كتونس والجزائر ومراكش والهند والقوقاز وروسيا على الخصوص. وسيكون لها مراسل خصوصي في الاستانة يوافيها بالاخبار التي تنشرها جرائدها والتي لا تنشرها

لاميركا الشمالية والجنوبية وستكون الجامعة جريدة يومية ليس فقط لاميركا الشمالية بل ستكون ايضاً جريدة يومية لاميركا الجنوبية. ففي البرازيل وكولومبيا والارجنتين وفنزويلا وغيرها للجامعة مئات من القراء والمحبين سيبذلون عنايتهم للجامعة اليومية كما بذلوها للمجلة. ولا شك عندنا في ان الاقبال عندهم على الجامعة اليومية سيكون كاقبالهم على الجامعة الشهرية لان مبادىء الجامعة اليومية وخطتها واسلوبها في الكتابة والسياسة مبنية على مبادىء مجلة الجامعة واسلوبها وخطتها التي اعتادها قراؤها

شركة الجامعة اليومية وقد ابقينا الى الخاتمة اهم خبر في هذا المشروع الجديد. وهو ان الجامعة اليومية ستنشأ شركة بين صاحب مجلة الجامعة وصديقه رشيد افندي سمعان التاجر في نيويورك شقيق جناب الوجيه العاقل الخواجه انطون سمعان التاجر

المشهور هنا. ولقدعرفتُ الصديق رشيد ثاني يوم وصولي الى نيويورك وقد مرّت اليوم على صداقتنا خمسة اشهر عرفتُ في اثنائها من اخلاقه وحسن تربيته انه سيكون الصديق الموافق والرفيق الصادق في عمل عظيم اذا اقدمنا عليه معاً. وان اول شرط في الشركة بين الشركاء اتفاق الاذواق والاخلاق والاراء . وهذا ما سرني في رفقته وصداقته اكثر من اي امر سواه

هذا ما رأينا ان نقوله الآن في هذا الاعلان الاول بشأن الجامعة اليومية . وسيكون ظهورها في خلال شهر كانون الاول (دسمبر) . وحين ظهورها سنرسلها الى قراء الجامعة في اميركا الشمالية والجنوبية هدية الى اسبوعين . وبعد انقضاء الاسبوعين على صدورها يرى القارىء رأيه في الاشتراك او عدم الاشتراك فيها. وانّ املنا في اقبال جمهور المهاجرين في الاقطار الاميركية على الجامعة اليومية عظيم جداً ليساعدوا في دار هجرتهم على انشاء جريدة كبرى نحب ان نجعلها لهم جامعة لشروط الصحافة الحقيقية من كل وجه

ولا يسعنا قبل الختام الآن ان نذكر بالخير رصفاءنا اصحاب الجرائد في اميركا الشمالية والجنوبية الذين اكرموا وفادة الجامعة وعاملوها بما في طباعهم من مكارم الاخلاق . واحب شيء الى الجامعة الشهرية واليومية ان تكونا يداً واحدة مع رصيفاتها الكريمات في الخدمة النافعة وترقية صناعتنا في اميركا ترقية تُكسبها احترام الناس لها . وهي ستبذل جهدها في اجتناب كل ما يسوء احداً منهم . فاننا نحن اصحاب الصحف يجب علينا ان نكون مثالاً لقرائنا في كل ما ندعوهم اليه من سبل الاصلاح والارتقاء . ولذلك تصافح الجامعة اليومية جميع رصفائها في اميركا الشمالية والجنوبية قبل ظهورها مصافحة وداد واخاء . وهي لا تنسى وداد الرصيفات في مصر والشام لها قبل انتقالها الى اميركا وبعده . وانما اول تحيّة لها وهي جنين في ضمير الايام هي الى تلك الرصيفات الكريمات

ولما دخل سنيكا الأب وسنيكا الابن الى بيت مريم كانت مريم مستلقية في فراشها دون وعي وبجانبها حنه . وكان الترجمان اليهودي يتبع الشيخ والشاب مستغرباً جرأتهما على الدخول الى هذا البيت دون ان يخافا كلام الناس . ولكنه قال في نفسه انهما غريبان والغريب لا يبالي بكلام الناس لجهلهم بحقيقة امره فضلاً عن ان ما رآه في اخلاق الشيخ وتأدبه ابعد كل ظن سوء فيه . واذا تكللت قمة الانسان العاقل باكليل الشيب وصفت نفسه من كدورات المادة واصبح على شفا القبر فهو يضع يده في اقذر يد لامرأة فتطهرها بمجرد مسها لها ولا تنجس يده منها

اما الشيخ فمذ اشرف على سرير مريم اختلس النظر الى ابنه ليرى تأثير منظر تلك المرأة الجميلة في نفس الشاب . فرآى لوسيوس ينظر الى تلك المرأة الغضة التي كانت كانها على فراشها برج فضة بعينين متقدتين باحثتين . ولكن الاب كان يعلم ان الشاب الذي عاشر سيدات رومه الظريفات الجميلات وشهد بهاء كبيرات الرومانيات وبذخهن ودلالهن لا تروقه بعد ذلك قروية من امة ضعيفة منحطة مهما كانت جميلة . اذ لاتفاق الاذواق والتربية والاخلاق ابلغ تأثير في اتفاق القلوب . ولكن عند القلوب الحامية هذا النظر نظر شيخ شبع من الايام لا نظر شاب يتطلع الى جميع ضروب الجمال وافانين الرقة المختلفة التأثير والاجتذاب في الجنس الانثوي

وكانت مريم راقدة في سريرها بعد النوبة التي اصابتها ووجهها الناصع البياض متنفخ تحت شعرها الاشقر الجميل كانه ملطخ بالدماء من تأثير النوبة . وكانت احدى يديها الناعمتين البيضاوين على صدرها تقبض بها على ثوبها الابيض الناصع بتشنج شديد ويدها الاخرى تقبض بها على خشب سريرها . وكانت اجفانها مطبقة الا انها كانت ترتجف . وصدرها العريض البارز يخفق خفقاناً منتظماً . اما سائر جسمها فقد كان يابساً كانه قطعة واحدة

فلما وقع عليها نظر الشيخ علم من حالتها هذه ان نوبتها لم تفارقها بعد . فاسرع اليها واخذ بيده الجليلة يدها البيضاء الناعمة ليجس نبضها

في هذا الحين فتحت مريم عينيها . وكانتا زرقاوين نجلاوين (١) وفي اشفارها وطف (٢) كانما هي نبال مغروسة في اجفانها . وكانت هذه الاجفان مكحولة كحلاً طبيعياً فكان لزرقة

---

(١) واسعتين (٢) عن الثعالبي « الوطف طول الاشفار وتمامها » وفي الحديث انه « صلعم » كان في اشفاره وطف

عينيها تحت سواداجفانها منظر رائع يعاكس بعضه بعضاً ولكن يكمل بعضه بعضاً . ذلك لان الزرقة في عينيها كانت تجعل لها نظرًا لطيفاً ضعيفاً ولكن السواد في اجفانها كان يمدّها بقوّة وحماسة غريبة . فالناظر اليها لا يتمالك من الدهشة لاجتماع هذين النقيضين فيها

ولما فتحت مريم عينيها نظرت بها على غير هدىً الى ما حولها وهما ثائرتـان متنفختان محمرّتان . واذ وقع نظرها على اشخاص غرباء في غرفتها وثبت كما بدفع دافع وابتوت جالسة في فراشها وقد جذبت يدها من يد الشيخ بقوة . ثم ضحكت ضحكة شديدة . ضحكة ألم واشمئزاز واحتقار وصاحت باعلى صوتها ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر ؟

فلم يفهم الشيخ كلامها ولكن الترجمان اسرع فتقدّم وهمّ بالكلام ليشرح لمريم سبب زيارة هذين الرجلين لها . فاتمت مريم كلامها بغضب شديد دون ان تسمع كلام الترجمان . وكانت حنة في اثناء ذلك تحاول تسكينها وإنامتها

ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر ؟.. قبحاً لك ولشيبك ... روماني ايضاً ؟.. قه قه قه .. شكرًا لك ... قد كفاني ما رأيته منكم ايها الرومان اللئام .. انني انا المرأة الساقطة الدنيئة لا افعل ما تفعلونه ... انتم كبار عظام ولكن في نكث العهود واخلاف الوعود ... قه قه قه . جئتم تمدنوننا وتعلموننا النظام . فهلاّ بدأتم بنفسكم ...

ثم استجمعت قواها ورفعت ذراعيها في الهواء واغمضت جفنيها كانها تسبح في عالم غير هذا العالم وقالت متهقهة ويداها ممدودتان نحو الشيخ

ـ تعالَ .. تعالَ اليّ يا حبيبي الشيخ القذر .. تعالَ وامرغ جبهتك التسمينية في صدر اطهر من لحيتك ..

وكأنّ قواها نفدت بعد هذا الكلام فاستلقت دون هدىً على فراشها وعاودتها نوبتها في اشدّ حالاتها

ولم يترجم الترجمان شيئاً من هذا الكلام لسنيكا وابنه ولذلك لم يفهما شيئاً منه . فسأله الشيخ ماذا تقول المرأة . فهمّ الترجمان ان يصنّف له كلاماً من عنده واذا بقزم تقدّم الجميع نحو فراش مريم وقال باللغة اللاتينية بشيء من النزق

ـ اظن انكم تحسنون صنعاً اذا تركتم هذه المرأة المسكينة وشأنها ايها الاخوان

فلما سمع الشيخ والشاب الكلام بلغتهما من ذلك القزم التفتا اليه بكبرياء رومانية . وقال له لوسيوس ابن الشيخ

ـ وما شأنك انت هنا

فاجاب القزم بغضب

ــ شأني هنا ارفع من شأنك . نحن من وطن واحد وجنس واحد وانني لأخجل من ان يقال ان الرومانيين يأتون ما تأتونه الآن في هذا المكان بجانب فراش امرأة ساقطة مسكينة من التلذذ بمرأى عذابها وشقائها . انني فررت من رومه لكي لا ارى امثال هذه القسوة والاعمال تصدر عن «الرومانيين ممدني العالم» فانا الآن باسم المدنية الرومانية التي تدّعونها وباسم الوطن الروماني والاسم الروماني ادعوكم الى الخروج من هنا

وكان الشيخ عابساً في اثناء هذا الكلام . اما ابنه فابتسم واجاب

ــ لا شك عندك في اننا ندنس الاسم الروماني في وجودنا في هذا المكان . ولكن انت ايها الروماني الشريف لماذا جئت الى هنا . لعلك جئت تصلي . . .

فاجاب القزم ولا ريب ان القارىء قد ادرك انه شيشرون الذي تقدم ذكره

ــ جئت الى هنا لامر افضل من الصلاة عندي . وانني اقدر ان امس بيديّ يد هذه المرأة وتبقى يدي طاهرة اطهر من يدك

وكأن الشيخ ملَّ هذا الخصام بين ابنه وذلك القزم او انه رأى الحق في جانبه في ملاحظته . فقال لابنه . لوسيوس لا تجاوب . ثم التفت الى شيشرون وقال بسكينة العقلاء

ــ ما اسمك يا بني . فاجاب شيشرون ــ اسمي ابن الارض

فابتسم الشيخ وقال ــ كلنا ابناء الارض يا بني ولكني احب ان اعلم اسمك لانني سررت بانني وجدت في مكان كهذا المكان رومانياً يقول ما تقول

فقال شيشرون وكان لا يزال في نزقه . وانت ما اسمك ياسيدي

فاجاب الشيخ ضاحكاً . اسمي سنيكا يا بني

فلما سمع شيشرون اسم «سنيكا» تراجع الى وراء مدهوشاً . فلمح الشاب دهشته فابتسم قليلاً . اما الشيخ فقال بجدّ متلطفاً

ــ لا نعتب عليك يا بني لانك لم تعرفنا . نعم انا سنيكا المعلم في رومه وهذا ابني لوسيوس وقد جئنا الى هذه البلاد للسياحة فيها ترويحاً للنفس من عناء المعيشة في رومه وجوّها المضطرب . ولما وصلنا الى مجدل سمعنا بخبر هذه المرأة وَ بلغنا الساعة سقوطها امام بيتها بنوبة عصبية فجئنا نتفقدها شفقة عليها ورغبةً في مشاهدة اثر من آثار الشقاء البشري في هذا الزمان

فلما تحقق القزم شيشرون ان الرجل الذي اقدم على اهانته بمثل ذلك الكلام هو

سنيكا المشهور اديب رومه الذي كان يقرأ كتاباته بلذة تحت نخلة بجانب بيت مريم كما ذكر لما ذلك في ما تقدم اسقط في يده وحار في امره . وبعد ان تلعثم قليلاً تقدم باحترام من الشيخ الجليل وقال

— عفواً يا مولاي عن جرأتي وغضبي . ومثلك يعفو عن مثلي . وقد اثر بي قولك انك لا تؤاخذني بما قلتُ وفعلتُ لاستحسانك قولي وفعلي . فان هذه الشهامة خليقة باديب الرومان وعظيم البيان . ثم التفت الى لوسيوس ابن الشيخ وقال : وانتَ يا سيدي لستَ باقل شهامة من ابيك الكريم . ولا عجب في ان يكون هذا الشبل من هذا الاسد . وانني كمغرم بالادب والبيان اتمنى ان تكون خليفته في رومه وسيد البلغاء والحكماء فيها . فعفواً عن جرأتي ووقاحتي

ثم التفت شيشرون الى الشيخ وقال . هل يأذن لي مولاي بان اطلعه على السبب الذي جعل هذه المرأة المسكينة في هذه الحالة . فاجاب الشيخ نعم انني احبُّ الاطلاع عليه ولكن يجب علينا اولاً ان ننظر في مداواة علتها واذهاب آلامها

فالتفت شيشرون الى مريم وهي على فراشها وقال . اظنها استراحت الآن لانني لا ارى عوارض الألم والنوبة في جسمها كأنَّ نوبتها انتهت باستفراغها وسمها في غضبها

وفي الواقع ان مريم كانت في هذا الحين راقدة براحة وهدوء في سريرها وقد ذهبت عن وجهها وجسمها دلائل الاضطراب التي كانت فيها

فدعا شيشرون الشيخ والشاب الى شجرة في الكرم خارج البيت قائلاً وهو يبتسم

— ان هواء هذا المكان ثقيل رديء فلنخرج يا سيدي الى تلك الشجرة فانني كثيراً ما جلستُ تحتها اقرأ كتاباتك السامية

ولما صار الثلاثة تحت الشجرة اخذ شيشرون يقص على سنيكا وابنه قصة مريم قبل سقوطها ويصف له نفسها واحوالها ويسرد له كثيراً من الاحاديث التي حدثته بها وهما على انفراد . فاعجب الشيخ والشاب بحالة نفس مريم وافكارها . والتفت الشيخ الى ابنه وقال له : اما قلتُ لك يا لوسيوس ان هذا كان نتيجة مبادئنا ومدنيتنا . ثم انتهى بشيشرون الكلام الى قصة يوليوس ومريم وكيف خدعها وهجرها بعد ان وعدها ان يعيش معها طول عمره معيشة شرف وكرامة . وانه يظهر ان مريم تحب يوليوس حباً شديداً فاصابتها هذه النوبة الشديدة بعد هجره اياها . قال شيشرون . وقد هجرها يا مولاي بحجة انه مدعو الى رومه لامر هام والحقيقة انه سافر الى اورشليم ليتزوج هناك بفتاة رومانية ذات مال طائل وقد كتمَ هذا عن مريم

الجزء العاشر — الجامعة — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٦ — ١٥ شوال سنة ١٣٢٤

روميو وجوليت



(رسم الرسّام جالابروفيه العاطفة الحبية في ارقّ مظاهرها)

رواية روميو وجوليت من اشهر روايات شكسبير وقد اصبحت رواية عمومية تمثلها جميع المراسح الاوروبية والاميركية وقد كتبها قبل شكسبير لويجي دي بورتو والشاعر

كليزيا دي فرون وماتيو باندللو وارثور بلاك الذي نظمها شعرًا في سنة ١٥٦٢ والارجح ان شكسبير اخذ موضوعها عنه . والقصة بين فتى وفتاة تحابا وكانت الضغائن السياسية تفرّق بين عيلتيهما وتحول دون زواجهما . فتزوّجا سرًا زواجًا اسميًا ثم انتحر روميو لظنه ان جولييت ماتت وانتحرت جولييت بعد ذلك لانتحار روميو . وكثيرون يقولون ان هذه الحادثة وقعت حقيقة وغيرهم ينكر تفاصيلها ويثبت اصلها . ولا يزال في فيرونه تابوت من رخام يعتبره الناس قبرًا لروميو وجولييت وقد قرأنا تفصيلاً له منذ عام في جريدة المائن . وقد ابلغ شكسبير في هذه الرواية الحب الطاهر اعظم مبلغ موثر في النفوس . والرسم الذي نشرناه هنا رسم روميو وجولييت متعانقين بعد الزواج رسمه المصوّر جالابر وتاريخه سنة ١٨٥٧ . وقد اجاد المصوّر كل الاجادة في رسم عذاب الحب والشغف على وجهيهما كما ترى في الصورة . وقد تُرجمت رواية (روميو وجولييت) الى اللغة العربية ترجمتين واحدة بقلم المرحوم الشيخ نجيب الحداد وواحدة بقلم نقولا افندي رزق الله مدير ادارتي الاهرام والبيراميد في مصر . ولكل واحدة منها مزية على الاخرى من وجه

الحكومات والاحتكار

«المستر ركفلر»

من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٩٠٦

الى سنة ١٩٣٨

ثروته كانت ثروته سنة ١٨٦٥ تبلغ خمسة الاف ريال . فما انقضى عليها عشر سنوات في تجارة الاخشاب حتى بلغت خمسمائة الف ريال . وفي سنة ١٨٩٠ ابتدأ في تجارة زيت البترول فبلغت ثروته بها مائتي مليون ريال . وفي سنة ١٩٠٤ بلغت ٤٠٠ مليون ريال . وفي هذا العام « ١٩٠٦ » بلغت ستمائة وخمسة عشر مليون ريال

وقال طبيبه الخاص ان المستر ركفلر قادر ان يعيش حتى مائة سنة فاذا عاش الى المائة اي حتى سنة ١٩٣٨ تبلغ ثروته ٢٥ بليون (١) وسبعمائة واثنين وثلاثين مليون ريال وهذا المبلغ اضعاف الموجود في البنوك والمحلات التجارية وايدي الناس في العالم ذهبًا وفضة ثلاث مرات . واذا اراد احدان يعد هذا المبلغ يقتضي عده مائتي و٩٥ سنة وخمسة اشهر واسبوعين

(١) ٢٥ الف مليون ريال

وست عشرة ساعة وخمساً وثلاثين دقيقة وثلاثاً وثلاثين ثانية بدون انقطاع .. اما عمره الآن فهو ست وستون سنة

﴿ هباته ﴾ وقد وهب سنة ١٩٠٥ احد عشر مليوناً وستمائة وعشرين الف ريال لبناء مستشفيات ومدارس وكنائس وللجمعيات . ووهب نصف مليون ريال الى كلية الطب في شيكاغو وعشرة ملايين ريال للمشروعات الوطنية مثل اصلاح طرق وبناء جسور . وستة ملايين ريال الى ورش ماد كيال كولج . ونصف مليون ريال لبارندر كولج ومليوناً وربع مليون ريال للولايات الجنوبية لبناء مدارس داخلية عالية ومليون ريال ليالو كولج . ومليون ريال لهارفرد كولج . ونصف مليون ريال لمدارس نيو يورك وستمائة وخمسة وعشرين الف ريال حسنات للفقراء

وهو لا يحب ان ينقل ساعة او خاتماً ثميناً ولا ان يفرش بيته باثاث ثمين لكنه مولع بالتحف القديمة يشتريها باغلى الاثمان في اثناء سياحاته في اوروبا

﴿ كلمة في هبات الاغنياء ﴾ واذا كانت حياة رجل كركفلر هي مثال للناس في الجد والاقدام وحسن التدبير والنشاط فهي ايضاً يجب ان تكون مثالاً للحكومات في العالم . فان اجتماع ثروة الامة في افراد قلائل الى هذا الحد لما يفسد الاحكام ويضعف حرية الاتجار ويعطل مصالح الناس . فاذا ذكرنا هبات هؤلاء الاغنياء للامة التي خرجوا منها وجب علينا ان نذكر ايضاً الطرق الرديئة التي حصلوا ثروتهم بها من دماء تلك الامة وتعب ابنائها وخراب بيوت تجارها المتوسطين والاصاغر . ولذلك ستكون مسألة الاغنياء الكبار في اميركا من اهم مسائل السياسة في هذه البلاد . وربما دارت عليها وحدها رحى الحرب السياسية في الانتخاب الرئيسي الآتي (١)

قال شاعر لاتيني « ليس للذهب رائحة » ويعني ان الناس ينظرون الى صاحبه ويقبلون هباته دون ان يشموا رائحته ليعلموا هل هي كريهة لصدورها عن مصدر كريه ام

(١) مما يدل على ان مقاومة الحكومة لشركات الاحتكار مقاومة قانونية تؤثر في تقليص سلطة هذه الشركات وايقاف نموها ان المستر ركفلر الذي عليه الكلام في هذا الفصل قد نقصت ميزانية اشغاله في احتكار زيت البترول في هذا العام ١٤٠ مليون ريال عن ميزانيته في السنة الماضية . وهذا برهان على فساد قول القائلين انه لا تأثير لمداخلة الحكومة في تقليص مصالح المحتكرين وذلك لحرية التجارة . فان هناك فرقاً بين حكومة تغض الطرف عن الاحتكار والمحتكرين وحكومة تراقبه وتراقبهم مراقبة شديدة

هي طيبة لصدورها عن مصدر طيب اساسه فقط الجد والنشاط وحسن التدبير · ولم يسمع عن جمعية او مصلحة عمومية ردّت هبات الاغنياء اليهم لانها مصبوغة بدماء الناس وعرقهم الاّ جمعية واحدة في اميركا · وخليق بالامة التي ينشأ فيها اغنياء كبار الى هذا الحد ان يصدر عنها مثل هذا التقريع والتنبيه الى اساس نظام الكون جرجي ابرهيم حداد

شيء عن رأيهم في الجامعة

« سرَّ القراء ظهور الجامعة بعد احتجابها عنهم زماناً شعروا فيه بانهم فقدوا شيئاً من اعز الامور لديهم · ولا عجب في هذا فانهم كانوا يرون منها انشاء يدخل اعماق النفس في احساسها والقلب في اشواقه والعقل في تأملاته · فهي كرم يوافق كل جرح او كمطلب ينطبق على كل ذوق وشوق · ويقيننا انهم رأوا من نفثاتها وهي بنت العالم الجديد فوق ما كانوا يرونه منها وهي في عالمها هذا القديم · وفي هذا ما يعوض عليهم ما فات ويدعوهم الى زيادة الترحيب بها في ما هو آتٍ· على ان الذين نعرفهم من قرائها في مصر استقبلوها كلهم بترحاب عظيم وقد قامت لديهم حسناتها شفيعة عن طول غيابها · ولكننا نرجو ان لا يتناسوا هذه الحقيقة وهي انها ككل كائن آخر لا يعيش الاّ على مبدأ تبادل المنفعة والامداد فلا يستقبلونها بوجوه باشّة وأيدٍ مغلولة الى الاعناق او كما يقال عندنا في مصر « كالوز حنوٌّ بلا برّ » · وعارٌ على المتأدبين الذين يفهمون ما يقرأُون ان يكونوا في حاجة دائمة الى مثل هذا التذكير · وما قيل عن علاقة المشتركين بالجامعة في هذا الصدد يصح قوله عن علاقتهم بكل جريدة اخرى علمية او سياسية ما دام انها تصدر تحت سماء الشرق وتستمد قواها من الشرقيين »

مجلة المحيط المصرية

تأثير المهاجرة

على العقول القاصرة

(يوسف وندى بين اميركا والشام)

نظم جناب نقولا افندي الحداد

هي حكاية حال رجل متزوّج هاجر من الشرق الى اميركا ووصف تأثير اميركا على نفسه وعلى أخلاقه ادبيًا وبسيكولوجيًا . وليس هذا التأثير عامًا بل خاصًا تبعًا لاستعداد النفس له. لان المهاجرة على وجه الاجمال ترقي اكثر المهاجرين وتجعلهم افضل مما كانوا قبلها من عدة وجوه وان كان هناك امور سيئة كثيرة تحق الشكوى منها

لعينيكِ مشغوفَ الفؤاد الملوَّعِ ... فلا تقطريهِ قلبي بهذا التفجعِ
ادمعًا واشراقُ ابتسامكِ مغنم ... اضحي له بالمقلتين ومسمعي
اعيذكِ يا معنى حياتي من الاسى ... وافديكِ من شر المصاب المصدّعِ
فقالت وقد عادت يجد بها البكا ... وتغرق فيه مثل طفلٍ مروَّعِ
أتحبس عيناي الدموعَ دوافقًا ... ويبقى فؤادي هادئًا بين اضلعي
اذا انتَ ازمعتَ الرحيلَ وبيننا ... بحارٌ وبلدانٌ وعهد تضعضعِ (١)
وشرٌّ شماتٍ باقي بك أولعت ... وشذّت على رغم الاب المتمنّعِ
فما جهدُ ذاتِ الخدرِ في الشرقِ ان دجا ... عليها الشقا يومًا سوى ذرف ادمع

***

فقال لها والحزن يسحق قلبه ... وحرمة عهدٍ قط لم يتزعزعِ
وعينيكِ والمعنى المردّدِ فيهما ... بمسمعِ قلبي الهائم المتسمعِ
لاجلك ابغي السعي للرزق والثرا ... واجهد نفسي فيه اجهاد مُزمِعِ (٢)

(١) الذلّ والفقر

(٢) ثبات العزم على الامر ولا يكون بمعنى العتيد كما يظنون (محيط المحيط)

الم تنظري ان الحياة هنا غدت تسيرُ مسيرَ القانط المتفزّعِ
وقد كثرت هذي البلاد باهلها فتأبى عليهم اي ريٍّ ومشبعِ
تمدّ بهم ميد الحرون تغيظاً اذا ما امتطاه فارس غير اروعِ
وتقذفهم للغرب تحت يد القضا وتدفعهم في البحر اي تدفعِ
الم تعلمي ان الزمانَ لضيقٌ بحالتنا والعصر عصر توسّعِ
ومورد هذا الرزق اصبح ناضباً على حين ان الآن عهد التمتعِ
دعيني اذاً امضي الى حيث اهتدي الى موطن عذب الموارد ممرعِ
فاطلقَ للنفس الطموع عنانها لتجري كما تبغي ورا كل مطمعِ
واجمعَ من مجنى العزيمة ثروة وارجع في عامين افضل مرجعِ
وننفقَ انفاق الكرام ونقتني رياشاً ونختارَ الذرى خير مرتعِ
وتُكسي جلابيبَ الحرير ثمينةً وتقني نفيسات المصوغ المرصّعِ
ونقضي حياة العز والصفو والمنا ونأمن يأسَ المُعدِمِ المتوقعِ
فقالت له اقضي اذا طال ذا النوى وما من عزاء فيه غير التفجّعِ
فقال لها لا عشتُ الاّ معذّباً اذا كنت اسلو ما تركتُ وما معي (١)
اما انا في حبيكِ ارثي فقيدتهُ وخاصمتُ اصحابي وغاضبتُ مربعي
فدونك مني كل شهر رسالةً مدبجةً بالاصفر المتنوّعِ
وعانقها مستعطفاً متهيّباً وقبّلها يبكي بكاء المودّعِ

***

مضى وهي مدلاةٌ بخيطٍ من الرجا ضئيلٍ الى جبٍّ من البؤس مترعِ
تهبُّ عليها النائبات عواصفاً مهدِّدةً خيط الرجا بالتقطعِ
مضت اشهرٌ لم يأتِ من بعلها سوى كتابٍ وجيزٍ بعدَ طول التوقعِ
واثقلها الحملُ المبرّحُ منذراً باهوالِ وضعٍ مؤلمٍ ومروّعِ
ووافى لها غلاً شديداً وليدُها فعزّ عليها الرزق من ايّ مصنعِ
فباعت حلاها والعقار ولم تدع سوى عرضها الباقي وديعة مودعِ
تنازعها المفوونَ والفقرُ والعنا ولكنها استقوت بحبٍّ مضيّعِ

(١) اي اذا كنتُ اسلو قلبي الذي تركته معكِ وقلبكِ الذي معي

وظلّتْ تصد النائبات شُجيمة ... وتلقى عزاء في الدّعا والتضرّع

***

وهاجر للارض الجديدة يوسف ... كهجرة اهل العُدم من كل بلقعِ
فاذهله فيها مفاخر اهلها ... غرائب لم تخطر على بال اصمعِ
وشاهدهم يجرون خلف رِبالها ... سباقاً سراعاً جري سرب مفزّعِ
فيصطدم العمال في كل منتحى ... تصادمَ جيشٍ في الوغى متدفّعِ
ويُصرع مكسالٌ ويسقط عاجزٌ ... فتسحقه اقدام كل سميذعِ
وينتهب المنالُ من كف كادحٍ ... ويدّخرُ المطاع من لم أقطع
ويستاقُ ذو المال الفقير فيغتدي ... على عملٍ تشق به ذاتُ اربع
وينعم معتزًّا بمعظم ربحه ... ويعطيه بعضَ الاجرِ كالمتبرّع
وتخرج من اخدارهن نساؤهم ... ينازعنَ اهل السعي في كل موضع
فيا لك جيلاً ما له من عواطفٍ ... ولولا اقتضاه الرزق لم يتجمّع
ويا لنظامٍ صامتٍ بات اهله ... يدورون فيه مثل آلات مصنع

***

رأى كل هذا يوسفٌ متحيّرًا ... ولم يرَ بدًّا من وجوب التتبع
فاسرع خلف القوم يبغي دراكهم ... فادركهم في منزعٍ إثر منزع
فما فيه حب النفس لكن ضميره ... نقي فاظلّ الحق في ظلّهِ يرفع
وكان له قلبٌ يلين كشمعة ... متى مسّه الفكر المؤثّر يُطبَع
وتصهره نار الحنان اذا ذكت ... ويغريه صوت البائس المتضرع
فقسّته فيه عبرة بعد عبرة ... وامسى كصنج بين كفي موقع
يردّد نفس الصوت مع اي عازف ... سواءٌ بحالي فرحة او توجع
وباع بحب المال كلَّ فضيلة ... ومَّ غدا ذا متجرٍ متوسع
وكان غناه موقظاً لغروره ... وشر غرورٍ ما استتم باربع
ثراءٌ بلا نُبلٍ وسير بلا هدى ... وحرية مع جاهل وهو مدّعٍ
وقصدٌ الى العليا بغير طريقها ... وربٌّ غرورٍ يتقي بالتطبع
تهالك في حب الوجاهة والعلى ... فضاجر اهل الفضل في كل مجمع
وفاخرهم في لبس كل نفيسة ... يظن التحلّي سلّماً للترفع

ونافسهم في الشرب واللعب والندى   واسرف في حب الحسان المصنع

***

وعزّ له ان يستمر مفاخرًا   ويختال عجبًا بين اهل واربع
فباع بخس السعر حانوته الذي   تجاهد في انشاه مدّة اربع
وسافر يحدوه التباهي بماله   ويبغي بافق الفخر افضل مطلع
فحلّ بدار الاهل كالنجمة التي   تحلّ على اهل التقى والتخشع
وعانقه ابنٌ طالما اشتاق قربه   لما عوّدته امه من توقع
وضمته زوجٌ (١) لم تصدق رجوعه   وعزّ بلقيا رهطه المتجمع
فقضى ذلك العام الطويل مدللاً   يحفّ به خلانه اينما دُعي
يتيه عليهم آنفًا متجرفًا   ويشمخ فيهم شمخة المترفع
يعيرهم بالجهل جبنًا كانه   تلقن كل العلم من لم لوذعي
ويدعوهم همجًا خلوا من تمدّن   ويقدحُ فيهم قدح واشٍ مشنع
ويحسب ما يأتي ولو كان منكرًا   نموذج ذوقٍ او مثال تورّع
ويا طالما استزرى (ندى) فتذرّعت   الى عطفة منه جميل التذرّع
فكان يباهيها ببنت اميركا   ويمدح هذي شارحًا شرح مصقع

***

وفاخرهم يومًا ببنيان منزلٍ   يحف به الزهر الشديد التضوّع
فانفق في عامٍ جنى العمر كله   واصبح ذا عسرٍ ومن قلّ (٢) يخضع
فصمم ان يرتدّ من حيث قد اتى   مخافة ملقى شامتٍ او مقرّع
فهبت اليه زوجه مستشيطة   تسدّد في افعاده كل مقنع
وقالت له حسبي الفراق الذي مضى   وما سمتُ فيه من عنا وتوجّع
فوالله ما غادرت دارك لحظة   وما انت عني باعد قيد اصبع
فقال لها ما لارتحالي ندحة   فما عدت ارجو طيب عيشي بمرتعي
وفارقها لا يلتوي لنحيبها   وراح ولم يعبأ به من مودّع

***

(١) زوج مؤنثة بمعنى زوجة

(٢) قلّ الرجل اذا نفد ماله او قلّ

ولكن ندى ظلت تهدّ بطلها ... وتوغل في تفكيرها المتوزّع
تخامرها ظنٌ اطار صوابها ... واذكى بها وجد الغيور الملوّع
فما لبثت ان سافرت تستفزها ... بلابل لبٍّ موجس متفعفع
وقد باغتته ساكناً مع خليلة ... يدللها ما شاء تدليل مولع
ويبذل في ارضائها جني كفه ... وما لندى في قلبه شبه موقع
فما عتمت ان بادرت بمدس ... تزمجر غيظاً مثل ليثٍ مجوّع
وقد افرغته فيها وغليلها ... يروّيه مرأى مصرع تلوَ مصرع
ويوم القضا احتجّت وكان احتجاجها ... كقاعدةٍ في حكم كل مشرّع
اذا خانني من رام مني امانةً ... ودنّس عرضي من بني طهر مضجعي
تحلّل لي نفسي اقتضاب حياته ... وايّ فظيع لا يكافا بافظع

مناظرة في التفاضل والمساواة

ردّ جناب نقولا افندي الحداد

لم اتوقع ان يوء من القراء الكرام على كل رأي ابديه في هذا الموضوع الذي كتبت فيه ثلاث مقالات في الجامعة الغراء لانه موضوع حيوي اجتماعي يمس كل طبقة من الهيئة الاجتماعية بل كل فرد من المجموع فلكل فرد رأيه الخاص فيه. على انه اذا تأمل القارئ ما كتبته ادرك ما ادركه منشئ الجامعة من اني لم ابد رأياً في اي الوجهين احق — التفاضل او المساواة . وانما شرحت الواقع منهما مما قضت به طبيعة الحال واظهرت في بعض المواضيع استحساني لاحقية ما هو جار. ولا انكران ما كتبته دار بالاكثر على بيان التفاضل واستحسان بعض مواضعه على ان السبب في ذلك ان المساواة امرٌ بديهي وهي اسبق من التفاضل في الطبيعة فلا تستوجه النظر ولكن التفاضل ينشأ من تنوعات الطبيعة وتفاوت مظاهرها فينبه الذهن اليه ولهذا لا يفطن الناس للمساواة الا متى راوا تفاضلا واذا راموا اثباتها حملوا على التفاضل

والذي يلوح لي ان حضرة الاديب شبل افندي دموس توهم ان ما كتبته في الموضوع انما هو صفوة آرائي فيه وآخرها فعني بأن يفنده ويسفهه مع ان المتأمل يدرك اني مقتصرٌ على شرح امور واقعة وتعليلها · وكأني به يدعوني في ما كتبه الى ابداء آرائي كلها في اي الامرين احق — التفاضل ام المساواة — في حين ان هذه المواضيع الاجتماعية والادبية معترك الباحثين ومختلف اهل النظر والراي لانها مختلفة الوجوه متنوعة المظاهر وكل منهم ينظر فيها الى وجه · على اني لا اتردد ان ابدي رأيي في هذا الموضوع لما اعلمه من موافقته لاجماع السواد الاكبر من اهل النظر

قلت ان المساواة امرٌ بديهي واسبق في الطبيعة من التفاضل فان كل شيء ابتداء في الخليقة مستوياً ولكن في الطبيعة ناموس الحركة الذي لا يدع امرًا على استواء بل يدفع اجزاءها فيسابق بعضها بعضاً · ولا مندحة من التبسط في هذه القاعدة الطبيعية العامة · خذ اي مظهر من مظاهر الطبيعة تجد ان القوة المحركة تنقض الاستواء · خذ نوعاً من النبات كالليمون مثلا فان التاريخ الطبيعي ينبئنا انه كان في الاصل جنساً واحدًا في اقليم واحد فلما انتقل الى الاقاليم المختلفة ووقع تحت تأثيرات البيئات الجديدة تنوّع فصار بعضه افضل من بعض · واذا علم القارئ ان البلان الشائك والورد واللوز من فصيلة نباتية واحدة فلا ينكر ان التفاضل بين هذه الاخوات حصل بحكم الطبيعة · واظن معظم القراء يعلمون ان النمر والهر من عائلة واحدة ويسلمون بان تفاضلها في القوة جاء بحكم الطبيعة واذا علموا ان الوطواط الطائر والحمار والحصان من عائلة واحدة لتماثلها في التركيب فلا يعجبون لانهم يعلمون بالبداهة ان الطبيعة تلعب باجزائها لعب الصبية بالاكر فترفع هذا وتحط ذاك · وليس من ينكر ان المدني والهمجي والافريقي والاوربي والهندي الاميركي والابيض الاميركي كلهم بشر ولكن من الجهة الاخرى لا احد ينكر ان بين الهمجي المتوحش والحضري المتمدن تفاضلا عظيماً

وحاصل ذلك كله ان الطبيعة تقضي بتفاوت اجزائها او ان التفاضل بين الانواع ناموس طبيعي وهذا الناموس متمشٍ على الانسان كما هو متمش على سائر الاحياء

بل على الجاد

ولا يخفى ان ما تقضي به الطبيعة يدعوه الناس صواباً او حقاً وما يخالف نواميسها ويشذ عنها يسمونه خطأ او غير حق

ثم ان فواعل الطبيعة تختلف باختلاف مظاهرها فهناك فواعل مادية كالحرارة والنور الخ وفواعل عمرانية وفواعل اجتماعية وفواعل ادبية وفواعل سياسية وهي كلها مفعول الطبيعة والانسان واقع تحت كل هذه الفواعل ولا مناص من تأثره بها كلها معاً ولذلك لا بد من تفاوت افراده في جميع احوالهم وهذا هو منشأ التفاضل بينهم في قوام الجسدية والعقلية والمدنية فترى الهمجي اقوى جسماً من المدني والاوربي اقوى عقلاً من الافريقي واسلم ذوقاً من معظم الامم الشرقية الى غير ذلك من وجوه التفاضل

واذا كان هذا التفاضل مقتضى ناموس طبيعي محتوم فلا مشاحة في انه صواب لان مصدر الصواب الطبيعة نفسها كما تقدم بيانه · وليس من ينكر ان حق المدني في التمتع من ملاذ الطبيعة اكثر من حق الهمجي لانه ارقى منه وقد اتصل الى هذا الحق باجهاد قوى عقلية ومدنية · والطبيعة نفسها تؤذن للمتمدن ان يتمتع اكثر من الهمجي وهما في ارض واحدة كما هو الحال هنا فان البيض اتوا الى هذا العالم الجديد وهم ارقى جداً من هنوده الهمج فعمروا البلاد وجعلوا يستغلونها ويتمتعون بغلتها ويتلذذون اضعاف لذة هنودها فهل تذم الطبيعة على تفضيل اولئك على هؤلاء وتوفير اللذة للبيض وحرمان السود منها ؟ بالطبع لا بل بالاحرى اذا تسنى للهندي الاميركي ان يتمتع كنفس التمتع الذي يتمتعه الابيض في حين انه احط منه جداً كان ذلك عسفاً في الطبيعة وشذوذا عن نواميسها

على انه ليس هذا موضع البحث في التفاضل والمساواة لان جل قصدي في ما تقدم ان ابين انه لا خلاف البتة عند جهور الناس في ان مبدأ التفاضل ناموس طبيعي محتوم جار في كل مظهر من مظاهر الطبيعة من المادة الى العمران الى الاجتماع الى العالم العقلي بلا تميز او زيغان · ولكن موضع البحث في هذين النقيضين انما هو

في الاجتماع البشري فقط لان تحاسد البشر وتنازعهم وجهادهم في سبيل الحياة كل ذلك افضى الى تنازع هذين المبدئين — التفاضل والمساواة — ونبه اهل الفكر والتحقيق الى البحث في ,, هل ان ما بلغ اليه الان التفاضل في الاجتماع البشري حق وصواب او انه شذوذ عن نواميس الطبيعة وعسفٌ '' لان جمهور الناس ولا سيما اهل النظر منهم يسلمون بوجوب تفاضل الافراد في تمتعهم وحقوقهم بحسب تفاضلهم في قواهم وعقولهم وافعالهم وانما يختلفون مثلا في هل ان ما بلغ اليه تفاضلهم امام القانون حق او غير حق وهل ان تفاضلهم الحالي في السكنى والاكل والشرب حق او غير حق او هل تفاضلهم في الثروة صواب الى غير ذلك . واذا طالبوا بالمساواة في امر من الامور فلا يطالبون بها مطلقة . فالاشتراكيون مثلا يطالبون بتوزيع الريع او الربح من كل عمل على المشتغلين به بالنسبة الى ما يبذلونه فيه من القوى ويسمون هذا التقسيم مساواة مع انه بالحقيقة ليس مساواة مطلقة وانما هو تعادل بين الربح والقوى المبذولة للحصول عليه . وكذلك لما قام الناس في انكلترا وفرنسا وبعض ممالك اوربا يطالبون بتوزيع قوة الحكومة عليهم لكي يكونوا شركاء فيها ومتساوين لم يقصدوا المساواة المطلقة بل طلبوا ان يكون حق الانتخاب لطبقة خاصة من الناس يحدها ويميزها عن غيرها ما تملكه من الارض مثلا او ما تشغله من دوائر الشغل من علمية او دينية الخ . ومع ذلك سموا هذا الاشتراك في قوة الحكم مساواة . والاميركان انفسهم الذين هم اكثر الشعوب تقرُّباً من المساواة لا يخولون الدخيل في جنسيتهم كل حقوق الاصيل فليس للسوري او غيره من الاجانب المتجنسين بالجنسية الاميركية ان يُرشح لرئاسة الجمهورية ومع ذلك يفخر الاميركيون بتأييد مبدإ المساواة

فترى مما تقدَّم ان مبدا المساواة المطلق لا يقوم في العالم الاجتماعي كما انه لا يقوم في سواه لان الطبيعة نفسها تميل الى التفاضل . وانما جل غرض الداعين الى المساواة الأ يدعوا التفاضل يتمادى او ان يكبحوا جماحه كما فعلوا في اوربا بعد ان تجاوز حده في القرون الوسطى . مع ان تجاوزه الحد لم يكن مخالفاً للطبيعة لان

الجهل كان سائداً فاعتصم بالقوة افراد من اهل الذكاء وجعلوا يتنازعونها ولكن لما استنار الناس بنور المعرفة اصبح ذلك التفاضل شاذاً عن الناموس الطبيعي فقاموا يعدلونه ويقومونه فاستردوا معظم السلطة ووزعوها على الافراد بقدر ما يصيب الفرد منهم وبقدر ما يمكنه ان يحتفظ بنصيبه

وما اشرت اليه في مقالاتي السالفة عن التفاضل انما هو التفاضل الجاري الان الذي قضت به الطبيعة وجعلته في موضع الصواب · ولا انكر ان هناك مواضع للتفاضل شاذة تحتمل المحاربة ولما كانت هذه المواضع موضعية اي خاصة بكل بلد او مملكة دون اخرى لم اتعرّض لها وانما اقتصرت على المواضع العامة وهي ما عني حضرة الاديب شبل افندي دموس ان يبرهن عن عسفها كلها بلا استثناء كانه لا يقصد ان يصل الى حقيقة بل يحاول ان يهدم حقيقة

اما ما يراه من استواء الناس „تحت نظام طبيعي واحد" فليس حقيقاً لان عوامل الطبيعة لم تدع للناس تساوياً بل جعلتهم متفاوتين في قوام كما تقدم بسطه فوجب ان تتفاوت واجباتهم وبتالي وجب ان تتفاوت حقوقهم · اما التساوي امام الشريعة فواجب متى تقارب الناس في المعرفة والمدنية والقوى العقلية ولكنه يستنكر جداً ان يتساوى الهمجي الافريقي والابيض المتمدن امام قانون العقوبات فاذا عوقب المتوحش على الضرب والنهب بالحبس ثلاث سنين لا يستعظم هذا العقاب ولا يعده حاملاً على التوبة ولا يكون عبرة لسواه في حين ان المتمدن يذوب وجلاً من هذا العقاب ويتجنب الشرور لكيلا يقع عليه مثله

بعد استيلاء الانكليز على السودان حدث ان جماعة من السودانيين سطوا على قافلة للحكومة وانتهبوها فحاكمتهم محكمة مديريتهم حينئذ وحكمت على بعضهم بالاعدام وعلى بعضهم الآخر بالاشغال الشاقة المؤبدة على انها لا تحكم على البيض مثل هذا الحكم العنيف القاسي ولو كان الجرم اعظم · وسر ذلك التمييز ان الهمجي لا يهاب القانون ولا يقدر العقاب كما يقدره المتمدن ولهذا يجب ان يكون عقابهما متفاوتاً كتفاوتهما في عقليهما وادابهما واحساساتهما

واذا تاملت في حكايتي الشمامة والبطيخة وجدت بينهما فرقاً عظيماً وهو ان شاري البطيخة ليس ارق ادباً واحساساً وضميرًا من بائعها ولهذا وجب ان يتساويا امام القضاء

,,اما التساوي في الدستور فهو ضروري'' كما يقول حضرة صاحب الرد على شرط ان يتساوى او يتقارب (لان التساوي المطلق مستحيل) الافراد في جميع قوام العقلية والادبية والعمرانية والاجتماعية الخ. والا فلماذا لا يبيح الاميركيون لهنودهم حق الانتخاب المطلق مع انهم اصحاب البلاد الاصليين. وما ظنه في مجلس نواب في السودان موءلف من السودانيين هل يحسن تعمير البلاد كما يعمرها الآن المجلس الموءلف من البيض

واما ما انكره حضرته من فحوى قولي ان وجود طبقة النبلاء في انكلترا سبب لحفظ مجد انكلترا وصيانتها — فهو قول خاص بانكلترا وحدها ولا ادري ان كان ينطبق على غيرها . ويوءيد هذا القول كتاب تاريخي موضوعه نشوء ,,الحكم الذاتي'' في انكلترا منذ ١٤ جيلا الى الآن اذ استتم في شكل المجلس النيابي (البارلمنت) الحالي . وقد عرّبت هذا الكتاب حديثاً وظهر في مصر. فاذا قرأه القارئ والمقدمة التي مهدت بها اليه يحكم من نفسه ان مجد انكلترا الخارجي موءسس على مجلس اللوردات ومجدها الداخلي على مجلس العامة . وفرنسا نفسها التي يستشهد بها حضرته ليست اكثر ديموقراطية من انكلترا اي ان الحكم الذاتي فيها غير متوزع على افرادها بالتساوي والناس غير متساوين فيها امام الدستور. واذا قرأ كتاب ,, سر تقدم الانجلوسكسون '' تعريب سعادة فتحي بك زغلول القاضي في مصر يعلم ان انكلترا اكثر ديموقراطية من فرنسا . ثم ان الدستور في اميركا يساوي الناس امامه ولكن الواقع خلاف القانون لان ذوي الاموال هم المستقلون بالحكم كما لا يخفى ولا ريب ان طبيعة الاجتماع هنا قضت بذلك ولا يُرجع الى تنفيذ الدستور فعلا الا متى تفاقم الشر الناجم عن الشذوذ عنه

هذه اهم النقط الجوهرية التي يعتصم بها حضرته بقي التفاضل في امر الاقتصاد

واراه ينفيه بتاتاً فان كان هذا رأيه فيه فله ان يرتئي ما يريد وان كان يقصد الجول فيه فاني لم اقل بشأنه شيئاً الى الآن فارجو منه ان يتمهل ريثما انشر قولي فيه

على انه لا يستفاد من كل ما تقدم ومن المقالات السابقة اني افضل التفاضل بين الامم وبين الافراد على المساواة وانما قصدت فيه ان ابين ان ما كان من التفاضل قد ساقت اليه الاحوال سوقاً • على اني اتمنى ان تسود المساواة شيئاً فشيئاً وتتغلب علي التفاضل وان لم يتسنَّ لها أن تنفيه • ولكن هذه الامنية لا تنال الا اذا تساوى الناس في قواهم العقلية والادبية وما تفرّع منها • ولذلك علينا ان نتذرع الى حق المساواة بان نطالب بهذا الحق—اي حق تهيئة قوى الضعفاء الى تقلد حقوق الاقوياء — وعلى الاقوياء ان يأخذوا بأيدي الضعفاء ويقووهم مثلهم وثم يحسن ان يشركوهم بحقوقهم وعلى الفقراء ان يقاوموا الكبراء الذين يدوسون الضعفاء تحت اقدامهم وهم يتقدمون • عليهم ان يقاوموهم قبل ان يطالبوهم بحق المساواة

ولكن اذا قام جمهور الانام يطالبون بحكم يؤيد المساواة في الحقوق قبل ان تتم المساواة بالاهلية كان ذلك الحكم اولاً كأنه يكبح جماح ذوي الاهلية الى الوراء لان القوي في عقله وعمله وحسن ادارته اذا رأى نفسه مساوياً بالحقوق للضعيف مهما اجتهد ينثني عزمه — وثانياً كأنه يرضي القاصر والكسول بنفسه لانه متى رأى هذا نفسه مساوياً بالحقوق لمن هو اعظم اهلية منه يتقاعد عن السعي الى ان يبلغ مبلغه— هذا مجمل رأيي في قضية التساوي والتفاضل فاذا تدبره جيداً حضرة الصديق الاديب دموس افندي رآه خلاف ما توهمه في ما سبق وعلى كل اشكر له عنايته في انزال بحثي منزلة قول يستحق النقد

المسكينة جاني

وريشار الجاني

قصيدة في رواية ابن الشعب . لحضرة صاحب التوقيع . والكلام عن لسان جاني

يا رسولَ البقاء اهلاً وسهلاً سِرْ بروحي الى ديار البقاء
لستُ ارضى في هذه الارض مهلاً من برجي مهلاً بارض الشقاء
قد انارت مني الحوادث عقلاً فأرتني مظالم الاحياء

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائبْ

آه ريشار هل ذكرت زمانا عشت بالعزّ في حمى والديَّا
تجتني منهما رضىً وحنانا آملاً ان تكون قلباً حيا
آه امسيت غادراً خوّانا وبلا جنحة . اسأت اليَّا

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائبْ

اذكر الموقف الذي كنتَ فيه ساجداً كي تحظى بنيل رضايا
وكلاماً كطعمةٍ تلقيه صيده كان مستكنّ حشايا
آه قد بان كلُّ ما تخفيه آه ما انتَ مخلص بهوايا

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

اخواتي بنات حواء سمعا لعظات تلقى من الامهاتِ
كم تغرُّ الشبان قولاً وصنعا بالاماني ساذجات البنات
ان ريشار حينما صرت شرعا زوجة قد امرَّ حلو حياتي

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

قلب امي منبه ضمن فلكٍ خاض بحر الحياة ذي الامواج

من الوف الاميال خشية هلك　　نبَّه العقل من بلاء مفاجي
فاتركتُ انتصاحه شرَّ تركٍ　　فاقتبلت الزواج شر زواجِ
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

قد تزوجته كنسرٍ تسامى　　باقتناص البزاة يمتاز فخرا
وانا كنت في الوداع حماما　　يا لتعس الحمام قارن نسرا (١)
فاختلاف الاميال اولى انفصاما　　واراني الحياة مكرًا وشرًا
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

كان يبغي ولست ادري عروسا　　زينتها الاموال والالقابُ
وتناسى حقي وحبي النفيسا　　هكذا هكذا تخونُ الشبابُ
فخذوا يا بنات نوعي دروسا　　بحياتي لمَّا عراني المصابُ
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

اخواتي كم من كلام كقطر　　والاماني كلها للمالِ
فلنحاذر . هذي كهواة شرٍّ　　مجتناها منها عظيم الوبالِ
فاعتمادي التفريط في بدء امري　　قد دعاني احيا باتعس حالِ
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

انظروا ان من اطاع هواهُ　　ودعاه غرَّار قول فلبَّى
سيوافيه من حبيب بغاه　　ما يريه الحياة همًّا وكربا
ان ريشار اذ حوى مشتهاه　　من زواجي قد شابه الصخر قلبا
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

(١) الوداع المسالمة

ايها المرء ان خلعت المداله كان منك الذكاء ادهى اذيه
فاجعل الرشد تابعاً للنباله تسعدِ الناس بالاماني الشهيه
هاك ريشار حين جافى اعتداله قد عرتني منه الخطوب القويه
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

رُمْتُ احيا لديه مثل وصيفه ليظلّ المعزّز المتعالي
فابى لي تلك الاماني الشريفه وقضى جوزهُ على أَميالي
بتُّ من بعد خيبتي مثل جيفه ايُّ روح للفاقد الآمالِ
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائبْ

رام نفيي كمن اتى الامر ادًا وذنوبي اخلاص ودٍ مقيم
وأبت لي الصروف ما رام قصدا كم صروف مخيات المروم
فالتظى كالبركان غيظاً وحقدا وابتغى ان يزجني في الجحيم
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

قال صلّي دنا اوان الحِمامِ اذ دنا موعداً قدوم عروسي
لم تطيعي امري فذوقي انتقامي ذا جزاء المرؤوس عاصي الرئيسِ
فسقاني على نقيّ غرامي من كؤوس العذاب مرّ الكؤوسِ
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

انما في السماء عينٌ رعتنا فأبت ان تنيله ما راما
اذ دنا من احرازه ما تمنى شام ما رامه سحاباً جهاما
فالعجاب العجيب ما كان منا بعد ما رام ان اذوق الحماما
وبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

عاد نحوي يودُّ حفظ حياتي وحياتي انحلّت من الاغلالِ
نادماً تائباً عن السيئات صدرت عنه من تباع الضلالِ
مالئاً مسمعيَّ من كلماتٍ قد روت مهجتي كريَّ الزلال
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب
يا حبيبي صفحتُ عما اجترمتا لا اجازيك اساءةً باساءه
طِبْ باهل لقيت مجداً ووقتا فهو مما يولي فؤادي هناءه
فالى الاهل يا حبيبي بُؤْنا وحلا لي انا لاهلي المباءه
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب
غفر الله يا حبيبَ ذَنْبَكْ فلقد جدتَ لي بقول الودادِ
فأتِ بالوفاء لا المجد لبَّكْ ذا ذرورٌ على جراح فؤادي
بعد ما خامر التأثر قلبَكْ لستُ اشكوك لاجتلاب رقادي
بل بدا لي الرقاد اشهى الرغائب
بعد هذا الصفح الجميل تولّت لديار البقاء والثغر باسم
ايها القارىء الرواية جلّت ما حوت من مكارم ومآثم
اترى العدل يرتضي ما استحلّت ام ترى رفقها يزيد الجرائم
لاعتبار السماح اشهى الرغائب
انني لو أُعطَى قضاءً عليه لم اكن صافحاً على ما جناهُ
كنتُ اقضي بان يُساقَ اليه كلُّ ما فيه بؤسُهُ واذاهُ
آمرًا اولاً بقطع يديه اذ رمتها من الاعالي يداهُ
لاعتباري الانصاف اشهى الرغائب

امين ظاهر خيرالله

علم من الله واذا اراد الله امرا مكن الانسان من الوصول اليه فلا يحول دونه حائل ''
ذلك ما ذكره في فصله عن تاريخ الطباعة في مصر وذكر احد السياح الالمان انه
مرّ بالقاهرة في سنة ١٨٠٩ فوجد آثار المطبعة في القلعة ولم يجد مطبعة في مصر
« الاهرام »

الفلاحة العربية

في الاندلس وافريقيه والعراق

« جاء في العدد الثالث بعد الثمانمائة من جريدة الحاضرة الزاهرة ان المسيو ليك والمسيو رولان الفرنسويين من متوظفي الجزائر اصدرا كتاباً سمياه « كتاب الفلاح » لبيان الدرجة القاصية التي بلغ اليها فن الزراعة والفلاحة من الاهتمام والشأن على عهد الدول الاسلامية العربية - ومما جاء في مقدمة الكتاب قوله :

كان للفلاحة العربية عصر من الترقي والفخر دلت عليه التآليف التي صنفوها في فن جلب المياه وتوزيعها لدى المزارع وري الارض ببلاد الاندلس والاوطان الجنوبية من الديار الفرنسوية

ومن شواهد ذلك الكتب التي تركها من بعدهم علماؤهم ومهندسوهم في علم الفلاحة وهي التي اقتدى بها ونسج عليها علماء هذا الفن من المتأخرين

فكتاب الفلاحة النباتية الذي هو كشكول قواعد هذا الفن القديم كان ظهوره في القرن العاشر وقد تكلم على تسميد الارض بانواع الاسمدة والتربة ونقل المياه وتقوية النبات خصوصاً ذوات الحبوب وغراسة الاشجار كقصب السكر والعود الرقيق ونبات النسج وغيرها وفي استنبات النباتات بالطرق الصناعية وخصوصاً التين والنخيل وامراض النباتات وخدمة القطن وزراعته وتسميد الاراضي المالحة الخ

ثم بعد ذلك اي في القرن الثاني عشر بعد ابن وحشية وابن الخير والحاج احمد الغرناطي وغيرهم من علماء الفلاحة ألف ابن العوّام كتابه في علم الفلاحة وهو كتاب جامع لشتات هذا الفن جمع فيه كل ما كان معلوماً وكل ما حصل عليه هو بنفسه من باب تقسيم الزراعة وتركها للراحة على الطريقة المعهودة الى غير ذلك من المسائل التي استأنف النظر والبحث

فيها على المنهاج العلمي المتعارف بيومنا هذا بين علماء الفن فانهم في غالب الاحوال لم يشرحوا الا القواعد والعوائد التي كان عليها عمل اولئك المتقدمين . نعم وسعوا لها في العمل مجالاً افسح وزادوها نفعاً وتعمياً بما اوضحوه من التعاليم والبيان

ولم تكن هذه الآثار الخالدة الشاهدة بعلو مكانة المسلمين بافريقية وتقدم الفلاحة في ربوعهم قاصرة على البلاد الافرنجية والاندلس بل لمسلمي ممالك افريقية الشمالية من قبله في هذا الباب خدمات جليلة تذكر . فلهم في فن جلب المياه لسقي المزارع والاشجار مآثر مشهورة واعمال مأثورة قاموا بها والحال انهم لم تكن بيدهم الآلات الفخمة والوسائل المتينة الموجودة بيومنا . في بعض الجهات الجدبة نحتوا طبقات واسعة محفوتة تحت الارض تجري بها المياه وضبطوا بها المياه النابعة تحت الارض ايضاً فاستعملوها في الري وحفروا اباراً ارتوازية بدون مسبار حيث لم يكن معلوماً عندهم وقتئذ واحيوا كثيراً من موات الارض

وهم الذين غرسوا بساتين الزيتون والنخيل التي لا زالت سبب خيرات بلاد افريقية الشمالية ولكن يد الدهر قضت على جميع هذا العمران بالاعفاء من عصور خالية بسبب ما طرأ على البلاد من الفوضى والفساد وليس بعزيز على الحكومة الفرنسوية ان تسعى في احياء الزراعة العربية بعد ذبولها واعادة شبابها « مجلة البيان في الهند »

الجامعة

الشروع في الجامعة الشهرية واليومية

(١) ستصدر الجامعة سياسية تجارية اخبارية « كل يوم »

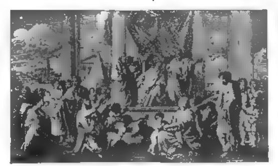
(٢) وستستمر على صدورها علمية اجتماعية تاريخيه « كل شهر »

❋ الجزء التالي من الجامعة ❋ ان الجزء التالي من الجامعة سيصدر في رأس السنة الجديدة لان الجامعة بعد اليوم بدأت تصدر كل شهر مرة . وذلك لان « الجامعة اليومية » ستصدر في رأس السنة . طبقاً للترتيب الذي اعلناه في الجزء السابق

فقراء الجامعة بعد الآن يقرأون في « رأس كل شهر » مجلة الجامعة طافحة بالمقالات والابواب والفوائد والرسوم العديدة . فضلاً عن تحسين ورقها وزيادة اتقانها . وفي « كل يوم » يقرأون الجامعة اليومية الكبرى التي سيكون ظهورها في اميركا بدء تاريخ جديد للصحافة والآداب العربية في الاقطار الاميركية

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

﴿ بطليموس فيلادلفيوس وحريةُ اليهود ﴾ هو ابن انطونيوس وكليوباتره عاش في النصف الثاني من القرن الاول قبل المسيح وقد وهبه ابوه انطونيوس مُلك سوريا وفينيقيا وسيليسيا وما وراء الفرات ولكن بعد سقوط انطونيوس وانتصار اغسطس سقط بطليموس. وقد سيَّره اغسطس في حفلة انتصاره وهي حفلة كان الرومانيون يقيمونها للمنتصر. والرسم الذي نشرناه هنا يمثل بطليموس على كرسي الملك وامامه جمهور من اليهود يثنون عليه ويحمدون الله اليه لانه منحهم الحرية . وهو من رسم كوبيل



بطليموس
واليهود امام عرشه يحمدون الله اليه لانه منحهم الحرية

﴿ ماذا تفعل الآلهة بالعزاب ﴾ كان بيكاليون في الخرافات اليونانية نقاشاً يونانياً مجيداً من جزيرة قبرص . وكان هذا النقاش قد عاهد نفسه على ان يعيش عازباً طول عمره وذلك في قولهم لاحد سببين . اما انه رام الانقطاع الى فنه انقطاعاً مطلقاً واما انه كره النساء كرهاً شديداً لما كان يراه من تهتك نساء اماتونته في هيكل اقيم فيها للزهرة

الآهة الجمال وما كان يقع في هذا الهيكل من الفواحش . وكان بيكماليون قد نحت تمثال امرأة من عاج نحتاً بالغاً غاية الاتقان وسماه « غالاتيا » . فلما رأت الزهرة الاهة الجمال كرهه الشديد للنساء ارادت الانتقام منه فجعلته يولع بجمال تمثاله ولعاً شديداً و يشغف به شغفاً مضنياً . ثم ان الزهرة بعد التماسه ورجائه الشديد رأت ان ترفق به فنفخت في التمثال « غالاتيا » روح الحياة فاصبح التمثال امرأة متناهية في الرقة والجمال . فتزوجها بيكماليون فولدت له ابناً سماه « بافوس » وابنه هذا بنى مدينة باسمه « بافوس » وجعلها مدينة الحب



النقاش بيكماليون

جعلته الزهرة يولع بتمثال صنعه انتقاماً منه لكرهه النساء

والرسم المنشور هنا رسم بيكماليون جاثياً امام التمثال غالاتيا وقد قتله الحب . وقد رسمه الرسام داو وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز

تدبير الصحة والمنزل

فوائد صحيّة وبيتيّة

وقاية الاسنان

ترد الآفات على الاسنان من اسباب مختلفة وليس الغرض من هذه النبذة ان نلمّ بكل الآفات وانما نورد اهمها واكثرها عرضة ولا سيما حيث يعيش الناس

عيشة المدنية الحديثة المزخرفة · فلا يخفى ان الاسنان ولا سيما ظاهرها اقل الاعضاء في الجسم الانساني مرونة بل تكاد تكون خلواً منها فهي لولا صلابتها كالزجاج القصم ولذلك تتأثر بكل ما يتأثر منه الزجاج بنسبة صلابتها الى صلابته · ومن ذلك انها تتأثر من تعاقب الحرارة والبرودة عليها · فاذا افرغت ما في الزجاجة من الماء السخن وملأتها في الحال ماء مثلجاً تشققت ووقعت في مكانها شظايا عديدة· فاذا انتبه المدنيون الى هذه الحقيقة ادركوا في الحال انهم وهم يأخذون (الايس كريم) (البوظه · او الجيلاتي) والشاي الواحد تلو الآخر يعرضون اسنانهم للتشقق فاذا لم ينشق السن او الضرس في المرة الاولى او الثانية فلا يأمن التشقق في احدى المرات الاخرى وحينئذ يتطرق اليه من الجراثيم العفنة ما يستعمر فيه وينخره· وفي باطن السن والضرس كما لا يخفى من المواد العضوية كالاعصاب وغيرها ما ليس في ظاهره · والسوس يعيش على تلك المواد في حين انه لا يقدر ان يعيش على المادة العاجية التي تكلل الضرس لتصون باطنه

بياض البشرة ونعومتها

يبالغ الذين يحرصون على بياض الجلد ونعومته في الغسل بالصابون والدهن بالطيوب والبعض يفرطون بذلك لظنهم انه انجع لحفظه البشرة بيضاء ناعمة · وما اعكس ما يظنون · ذلك لان الصابون قلوي · وزوال الادران والاوساخ ناشيء عن فعل قلويته لانها تذيب المواد الدهنية وغيرها · ولها غير هذا الفعل انها كاوية فتاكل المواد العضوية وتحلها وبالتالي يفعل الصابون في البشرة هذا الفعل فتكمد في حين يقصد أن تبيض · ولذلك لا يستحسن استعمال الصابون الا لازالة ما على البشرة من الاوساخ فقط والمبالغة في ذلك خطاء

اما ضرر الافراط في الطيوب فناجم عن وجود الكحل (السبيرتو) فيه ذلك لان الكحل يخثر المواد الزلالية اي يجمدها ويقلصها وما من خلية من خلايا الجسم الا تشتمل على زلال ولذلك متى دهنت البشرة بالطيوب الكحلية جفت بعد هنيهة

وتجعلت في حين يبتغى ان تنعم · والافضل أن يستعمل بدل تلك الطيوب الغليسرين او الفاسلين المطيبين لان الجلد يتمصهما ويلين بهما · ويشار باستعمالهما في جميع حالات تخشن الجلد وتجعده العرضي · واذا لم يكن بدٌّ من استعمال الطيوب المعتادة فالافضل ان يضاف اليها ما يساوي ضعفيها من الماء

استعمال السيدات المساحيق

وعلى ذكر الطيوب نذكر شيئاً عن المساحيق (البودره) التي تستعمل للتطرية في حالات التبرج · فلا يخفى ان معظم هذه المساحيق بل كلها تقريباً تشتمل على بعض الاملاح السامة واهمها املاح البزموت والرصاص وندر ان تكون من مسحوق النشاء الصرف مع انها اثمن من هذا · وسبب ايثار هذه الاملاح في تلك المساحيق انها تعلق على الجلد وتثبت فيه عهداً طويلاً وتتوغل في مسامه (واخيراً تتطرق الى دواخل الجسم) وان النشاء فلا يلبث ان يسقط عنه · ثم انها اشد نعومة ودقة من كل مسحوق ولهذا يسهل اضطناعها · ولا ترى السيدات المولعات بالتطرية وذر المساحيق على الوجه مندحة عن المساحيق السامة · واهم اضرار هذه المساحيق باد على اللواتي يدمنَّ استعمالها في وجوههنَّ المجعدة المكمدة واسنانهنَّ المسودَّة · ومن جملة سيئات هذه المساحيق انها عرضة لفعل بعض الغازات التي لا تخلو منها الاندية الحافلة بالناس فتحولها سوداء او تجعلها قاتمة على الاقل · ولهذا ترى السيدات في الحفلات والمراقص يدخلن كل هنيهة الى غرفة التبرج (التوالت) ويجددن الطلاء

وافضل ما تنصح باستعماله السيدات اللواتي لا يستغنين عن المساحيق ان يقتصرن على مزيج مسحوقي النشاء واكسيد الزنك وان لم يكن مما يجعل غباراً رشيقاً كغبار المساحيق المعتادة · ولا بد من مزاولة استعماله بضع مرات لكي يحسن ذره على الوجه

تأخرت ملزمة رواية (مريم قبل التوبة) الى الجزء التالي

رسائل ومسائل

ملكة سبا وسليمان

« بتسبرغ ـ بانسلفانيا » خليل افندي حنا

هل حقيقي ما ورد في التوراة ان ملكة تُدعى ملكة سبا زارت سليمان بن داوُد واين بلادها وكيف كانت علائقها به

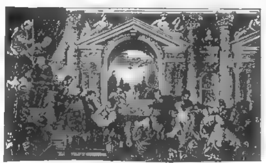
﴿ الجامعة ﴾ ان التاريخ لا يذكر شيئاً عن هذه الملكة ولكن في رواية التوراة ان ملكة جميلة لمملكة سبا سمعت بحكمة سليمان ومجده بعد بنائه قصره العظيم في اوروشليم وكان يومئذٍ في اوج السلطة والعظمة فرحلت من بلادها اليه تحمل له هدايا نفيسة . ولما دخلت عليه (ابلغته كل ما كان في نفسها فشرح لها سليمان كل ما اقترحته عليه) وقد قالت له : لم اصدق ما سمعته عن حكمتك ولكني لما رأيتك فاق الخبرُ الخبَرَ . وبعد ان قدّمت اليه هداياها اقامت عنده مدّة ثم عادت الى بلادها

وقد اختلف المفسرون في شأن هذه الملكة وموقع مملكتها . والعرب يسمونها (بلقيس) ويقولون انها كانت ملكة في احدى ممالك العرب يومئذ . ومنذ مدة اكتشفت آثار مناجم ذهبية قديمة في ما وراء بلاد الترنسفال في افريقيا فذهب بعضهم الى انّ ذلك الموقع كان موقع مملكة سبا . على ان الاحباش اليوم يدّعون الانتساب الى هذه الملكة . فانهم يقولون ان ملكة سبا كانت ملكتهم وتُدعى (ناجشتا آذب) اي ملكة الجنوب . ولما سارت الى اوروشليم تزوجها سليمان وعادت من اوروشليم حاملة فوضعت ابناً ولما شبّ ابنها ارسلته الى ابيه فصرف عنده بضع سنوات وقد كرسه ابوه في الهيكل وسماه باسم جده داود . ثم عاد الفتى من اوروشليم الى الحبشة وملك فيها وعلم اهلها الديانة اليهودية . وانه هذا هو السبب في وجود كثير من العادات والتقاليد اليهودية في العادات والاحتفالات

الحبشية . ولعلَّ هذا هو السبب في قول النجاشي سلطان الحبشة في اوامره الرسمية (من الاسد الخارج من سبط يهوذا)

وهذا الرأي ضعيف كجميع الآراء التي لا دليل عليها سوى التقليد . واذا كان وجود التقاليد اليهودية في الاحتفالات الحبشية هو الدليل الوحيد على انتساب الاحباش الى ملكة سبا فقد يمكن نقضه بقولنا ان اليهود انشأوا في افريقيا في الزمن القديم مستعمرات بلغت شأواً كبيراً في الحضارة والارجح ان جميع التقاليد اليهودية الموجودة في افريقيا مقتبسة من تلك المستعمرات القديمة

وقد قلنا في مقدّمة الكوخ الهندي التي نشرناها في صدر الجزء التاسع لهذه السنة ان البحث في تحقيق امثال هذه المسألة التاريخية كالبحث على صفحات الماء . فلا تلتفتوا الى مسائل قديمة كهذه المسائل ولا تطلبوا حلاً لها لانها مستورة بحجب القدم وظلمات الدهور



الملك سليمان في قصره العظيم

حوله اكابر مملكته وملكة سبا داخلة عليه بالهدايا

وهو رسم الرسَّام بولس فيرونيز ويوجد في متحف تورين

ولعلَّ هذه اول مرة او ثاني مرة تجيب فيها الجامعة عن امثال هذه المسائل التي لا فائدة منها ولا سبيل الى معرفة حقيقتها . ولولا الرسم الجميل الموجود عندنا لما نشرنا سؤالكم

الجامعة اليوميَّة
وصدورها على رأس السنة

ما انتشر بين المهاجرين في اميركا خبر الاستعداد لاصدار (الجامعة اليوميَّة) حتى سرى هذا الخبر بين جميع طبقات المهاجرين بسرعة البرق وتوالت على ادارة مجلة الجامعة الرسائل من كل صوب تُعرب عن سرور المهاجرين بان يروا في دار هجرتهم (جريدة يوميَّة كبرى مستوفية شروط الصحافة الحقيقية من كل وجه) وقد قال احد الاصدقاء في الداخلية في كتابه (الآن تمَّت امنيتنا وحصلنا على جريدة راقية كبرى يحق للمهاجرين ان يفاخروا بها جرائد مصر والشام . وسيكون يوم ظهورها تاريخاً محفوظاً في تاريخ الصحافة والآداب العربية في البلاد الاميركية) وقال مراسل آخر (لم اشترك في جريدة عربية قبل الآن . ولكن يوم صدور « الجامعة اليومية » ارجو ان تعدّوني من مشتركيها) وقال مراسل آخر (اصبح الخوف عظيماً على بعض الجرائد العربية في اميركا الشمالية لان ظهور جريدة كبرى يومية مستوفية شروط الصحافة الحقيقية مما يقتل تلك الجرائد ولذلك استاء اصحابها من خبر ظهورها)

قلنا وقبل الجواب على ما تقدم نشكر لحضرات المراسلين الذين احسنوا ظنهم بالجامعة اليومية قبل ظهورها . وهي تعدهم بانها ستحقق آمالهم من كل وجه ولا تدع لهم سبيلاً للقول لها هل من مزيد . اما قول بعضهم بان خبر ظهور الجامعة اليومية قد ساء الجرائد العربية في اميركا الشمالية فهو قول لا نصدّقه لسببين . الاول ان زملاءنا قد ذكروا بالخير خبر ظهور الجامعة اليومية ورحبوا بها ترحيب الكرام والثاني ان جميع الجرائد زملاء متضامنون في صناعتهم . وان ترقية صناعتهم وتشريفها واكسابها احترام الناس لها مما يسرّهم لانهم مشتركون في فائدته . ولذلك نعتقد انه يسرّهم ظهور جريدة راقية في دار هجرتهم نظير الجرائد المصرية اليومية الكبرى

وفصلاً عن هذا فمن يعلم المستقبل ؟ اننا نتمنى ان توفَّق (الجامعة اليومية) بعد سنة او اقل او اكثر الى توحيد جميع الجرائد العربية في اميركا الشمالية وانقاذ المهاجرين من كثرتها والخلاص من اختلافاتها التي تُضطر احياناً اليها بحكم تنازع البقاء . وقد تكلم معنا اكثر الزملاء هنا في ذلك منذ مدَّة ورأينا منهم ميلاً اليه . ولا شك ان هذا الميل سيزيد في المستقبل فنكون جميعاً يدًا واحدة وجيشاً جرارًا في خدمة هذه الصناعة خدمة نافعة حقيقةً ويزول من بينهم التحكك والتحرش والتحامل والحسد الامور التي لا سبب لها غير

الضعف والحرص على البقاء. والتي تضر بالصعاليك وصناعتهم اكثر مما يضرهم قطع اشتراكاتهم

﴿ تغيير عنوان الجامعة ﴾ بسبب ضيق ادارة الجامعة والعزم على انشاء « الجامعة اليومية » نقلت ادارة مجلة الجامعة من شارع ٦٢ برود الى شارع وست نمره ٤٠ في طابق مقسم للجامعة اليومية وادارتها وهو مشرف من جهة على شارع وست بجانب الميناء ومن جهة اخرى على شارع واشنطون ويُدخل اليه من الشارعين . فنرجو من مراسلي « مجلة الجامعة » ان يجعلوا مراسلاتها باسم « صاحب مجلة الجامعة » بالعنوان التالي

F. ANTONE
40 West & 60-62 Washington Sts.
New York City
U. S. A.

واما مراسلات « الجامعة اليومية » فنرجو ان تكون بالعنوان التالي

F. Antone & R. Simon
40 West & 60-62 Washington Sts.
NEW YORK CITY.
U. S. A.

والرجاء من المراسلين والمشتركين والوكلاء الانتباه لفصل مراسلات واشتراكات المجلة عن الجريدة تسهيلاً للاشغال

﴿ اشتراكات مجلة الجامعة ﴾ نرجو من مشتركي مجلة الجامعة في جميع الجهات ان يبعثوا اليها بقيمة الاشتراك رأساً الى ادارتها او دفعها للوكلاء في جهاتهم بموجب وصولات مخصية . والامل ان لا تضطر الادارة الى تذكير الذين لم يرسلوا اشتراكهم بعد ذلك برسائل خصوصية لان اشغالها كثيرة في هذا الحين مشتركو الجامعة لا يحتاجون الى تذكير . كما اننا نرجو من كل من يطلب المجلة من جديد ان يقرن طلبه بقيمة الاشتراك

باب التقريظ والانتقاد

﴿ ديوان الرافعي في اميركا ﴾ صدر الجزء الثالث من ديوان الرافعي الذي نشره حضرة الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي فكمل به هذا الديوان الذي جعل ناظمه في مقدمة شعراء مصر شهرةً لمتانة لغته وجودة سبكه وجمال نظمه . وان المتأدبين

في اميركا كثيرون في جمهور المهاجرين والمقبلون منهم على نظم الشعر كثيرون ايضاً . ولا ريب عندنا في ان ديواناً كديوان الرافعي مما يليق بكل طالب للشعر ان يدرس هذا الفن به فيكتسب من حسن سبكه وبلاغته ورقة تصوراته ما يهذب قريحته ويجعله عالي الكعب في هذا الفن - وقد بعث صاحب الديوان بعدة نسخ من ديوانه الى ادارة الجامعة في نيويورك وثمنه كاملا « ثلاثة اجزاء » ريال ونصف ريال . فمن شاء اقتناءه فليطلبه من ادارة الجامعة

اما موضوع الديوان فيشتمل على مباحث مختلفة في الادب والسياسة والعمران مما خص بشؤون مصر والشام وغيرهما وسنعود الى هذا الديوان في فرصة أُخرى ونقتطف لقراء الجامعة شيئاً من شعره ومواضيعه الفكاهية والادبية مما لا ارق ولا اصفى منه في شعر الشعراء في مصر والشام في هذا الزمان

﴿ بديعه وفؤاد ﴾ هي رواية ادبية تأليف حضرة الفاضلة السيدة عفيفه كرم في اميركا . وهي مطبوعة في مطبعة الهدى طبعاً متقناً في ٣٦٨ صفحة على ورق جيد . والرواية ادبية يتخللها كثير من الفوائد البيتية والادبية كما يُنتظر من روايات الجنس اللطيف . وقد احسنت حضرة الكاتبة في اهدائها روايتها اذ قالت في المقدمة انها تحذو حذو مؤلف اميركي اهدى كتابه هكذا

اولا — الى امهاتنا اللواتي بنين البيوت التي استقبلتنا اول دخولنا هذا العالم

ثانياً — الى زوجاتنا اللواتي يبنين لنا البيوت التي نسكنها الآن

ثالثاً — الى بناتنا المزمعات ان يبنين البيوت للذين يأتون بعدنا

رابعاً — الى القراء الذين تلطفوا باعتبار كتاباتنا الماضية وهم غير متحولين عما تفضلوا علينا به من قبل

خامساً — الى الذين لهم بيوت سعيدة والذين يحتاجون اليها

فنثني على حضرة الكاتبة لخدمتها الآداب

﴿ مونتوكريستو ﴾ اعادت ادارة مطبعة جريدة لبنان طبع رواية مونتوكريستو المشهورة وهي من افكه روايات دياس وهي تُطلب من ادارة جريدة لبنان في بعبداء ومن ادارة الجامعه في اميركا

﴿ الكوخ الهندي ﴾ طبعت رواية الكوخ الهندي طبعة ثانية نظيفة على ورق جيد جداً وزينت برسوم كثيرة وهي تُطلب من ادارة الجامعة وثمنها نصف ريال

الجزء ١١ و١٢



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٧ — ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٤

مبادىء المستر هرست

وتأثيرها على اميركا في المستقبل

اشتهر المستر هرست في العالم بترشيحه في هذا العام لمنصب والي ولاية نيويورك فوق اشتهاره بجريدته (نيويورك جورنال) ومجلاته وجرائده الاخرى التي تُنشر في الولايات المتحدة . والرجل غني ورث من ابيه ثروة طائلة واقدم على الصحافة والسياسة ينفق ثروته فيها . قالت جريدة التيمس : ان المستر هرست بدء جيل جديد اخذ في الظهور في العالم . وتريد بهذا الجيل اناساً يملكون ثروات طائلة ويبذرون ثروتهم على السياسة ومناصبها توصلاً الى القبض على ازمتها

*** راي الاوروبيين والاميركيين *** ولما كان في هذا العام انتخاب الوالي لولاية نيويورك لم يفز المستر هيوز على المستر هرست الا باكثرية قدرها نحو ٥٠ الف صوت . فادهشت هذه النتيجة الاوروبيين وعدُّوها دليلاً على ثلاثة امور . (الاول) استفحال امر المبادىء التي يدعو اليها المستر هرست في جرائده العديدة في هذه البلاد (الثاني) بلوغه منزلة رفيعة في عيون الشعب الامركي خلافاً لقدح خصومه فيه (الثالث) ازدياد كراهة

الشعب للاحتكار والمحتكرين والغنى والاغنياء

وقد طعنت الجرائد الاوروبية المحافظة طعناً شديداً على المستر هرست في اثناء الانتخاب وبعده . اما جرائد الاشتراكيين والغلاة في الجمهورية والحرية لم تطعن عليه لان مبادئها قريبة من مبادئه

اما الاميركيون فرأيهم في المستر هرست منقسم انقساماً عظيماً . و يظهر ان الطبقات العليا اكثرها عليه ولكن حزب الشعب اكثره معه

واليك الآن شيئاً من مبادئه التي تُنشر في جريدته . فقد القى المستر شو ناظر المالية في اميركا خطبة منذ حين قال فيها ان نجاح اميركا باهر في هذا العام فردّ عليه (نيو يورك جورنال) بمقالة هذه ترجمتها . ومنها تُعرَف مبادىء الجريدة وصاحبها

❊ أحقيقٌ ان النجاح باهرٌ ❊ اوشك المستر شو ناظر المالية في الولايات المتحدة ان يخلي وظيفته للمستر « كورتلون » وهو الرجل الذي اغدقت عليه الشركات والبنوك والمضاربون الاموال لكي يؤيد بها الحزب الريبلكي (لانه زعيم هذا الحزب) وسيتسنى له بعد الان ان يوفيهم تلك الاموال من عرق جبين الامة (وهو يعني بذلك ان المستر كورتلون سيتعين بوظيفته على تمهيد السبل لهم لكي يمتصوا دماء العباد بمشروعاتهم المالية الخطيرة وذلك في مقابل الاموال التي بذروها في تأييد الحزب الريبلكي و بشراء الاصوات في الانتخابات ونحو ذلك)

وقبل ان يخلي المستر شو وظيفته بسط على مسمع من زمرة بعض الاغنياء ما تعني به الجرائد بقولها « الانذار الخطير » . فقال لهم ان بلادنا اصبحت باهرة النجاح . اننا اصبحنا اغنياء بسرعة عجيبة . ولا ريب انه كان جادًّا لا هازلاً في اشارته بايجاز الى ثروة الشعب

فماذا يظن الشعب بذلك ? حينما نقول الشعب لا نعني اولئك الافراد الذين يتبوأون عروش المصارف والمتاجر ولا اولئك الافراد المضاربين بالبورصة الذين سرّب الى جيوبهم المستر « شو » عشر ملايين من اموال الشعب لكي يضاربوا بها في صفقات خطيرة . ولا نعني بالشعب رؤساء الشركات الضخمة الذين لا يبطئون عن ان يمدوا يد الاسعاف للمستر « شو » اذا احتاج الى مساعدتهم

بل حينما نقول الشعب نعني ثمانين مليوناً من الاميركان . نعني اولئك الذين يشتغلون مدى النهار ويحرقون الارَّم تغيظاً في الليل . نعني اولئك الذين ينظرون الى الاحداث

بعين الحب والاشفاق من جهة وبالقلق والاضطراب على مستقبلهم من الجهة الاخرى فماذا يظن هذا الشعب برأي المستر «شو» في نجاح الامة الباهر ؟

احقيق ان الامة باهرة النجاح حين يُقضى على ملايين من الاولاد ان يشتغلوا في المناجم والمصانع والمعامل لكي يرزقوا في حين انهم يفتقدون نعيمهم المنتظر في هذه الحياة ؟. هل تعد الامة باهرة النجاح اذا كان نصف التلامذة يؤخذون من المدارس قبل ان يستوفوا الاثني عشر ربيعاً ويُزجون في دوائر العمل لكي يتعيشوا ؟. هل يقال ان الامة باهرة النجاح اذا كان ٣ فقط بالمئة من تلامذة المدارس العمومية يتسنى لهم ان ينتقلوا الى المدارس العليا لكي يستوفوا العلوم اللازمة ؟ . هل تُعد الامة باهرة النجاح حين لم يكن بد من سن شريعة خاصة لمنع استخدام النساء في دوائر العمل في بحر الليل وحين يقرر قضاة الديوان الاعلى بلا خجل — واسفاه — ان هذا القانون مخالف لروح الدستور

تسعون بالمئة من الامهات في اميركا يتحرمن من مطالب حاجيات منازلهن فهناك مطالب شركة الغاز ومطالب الجزار الخ لاتدع اجفانهن تسترق غمضة وهنا غلاء الحليب يغل ايدي المرضعات منهن عن اشباع اطفالهن واحداثهن . ونفقات الثلج الباهظة في الصيف تحول بين الالوف وبين حياتهم . ذلك ما يعنى به النجاح الباهر لشركتي الحليب والثلج . ولكن يا ايها المستر «شو» ليس ذلك بالنجاح الباهر للشعب .

ان رجل العمل الذي يشتهي ان يوسع نطاق عمله ويزيد غنى البلاد ويجيب مطالب العمال لقد ضاق ذرعاً في التوسل الى المال الذي هو دم الحياة للعمل وعجز عن الحصول على القرض اللازم لاشغاله بالشروط السهلة الممكنة . فهل هذا يُعد نجاحاً باهراً ؟

ان الرجل الذي يود ان يرسل ابنه الى المدارس الموافقة المهذبة وثم الى الكليات العليا لا يرى بدّاً من ان يزجه بين العملة صغيراً افهذا من نتائج النجاح الباهر

ايها المستر «شو» انك تنظر الى احوال هذه البلاد بعين الخطاء . تاخذ عشر ملايين من اموال الامة وتدفعها في شارع وول (وهو الشارع الذي يشتمل على ام المصارف وابنية الاغنياء ومكاتبهم وهو قرب البورصة) لكي تمدّ المضاربين الذين يخدعون الناس في حيلهم البورصية ويستنزلونهم الى المضاربة . انك تقابل المتمولين صاحبي مئات الملايين وتجيز على نفسك تمليقاتهم وتدليساتهم . انك ترى بعيني

راسك المضاربات الجسيمة التي يضاربها القلائل لكي ينتهبوا اموال الكثيرين فتنذهل من هذه القوى التي يبدونها وتحير من هذا النجاح الباهر الذي يصادفونه

فبالله انظر الى من هم دونهم انظر الناس الذين هم الشعب الحقيقي . انظر الى الملايين الذين لم تفتكر بهم قط . هم الذين يدفعون ماهيتك وهم الذين وظفوا الرجل الذي وظفك

سلهم ماذا يظنون ؟ هل هم ناجحون حقيقةً

سل الفتاة المبكرة الى عملها كفريسة للشركات التي استملكت الاسواق والشوارع (يعني الترامواي) والتي لا تترك شغلها الا وقد غذَّت تلك الشركة من دمها . غذتها بالسنتات الخمس التي تكسبها بشق النفس . فهل هي الناجحة النجاح الباهر ؟ اذهب الى غرفتها الزرية وانظر ماذا تاكل وماذا تلبس واعلم ما اشد وطأة البرد على بدنها الرخص المقشعر وما اعظم صبرها على هذا العناء . واحكم حينئذٍ بنفسك كيف يكون ولدها في المستقبل — كيف يكون الولد الذي لم تشبع امه خبزًا ولا استدفأ جسمها في ايام الزمهرير — اعلم ذلك جيدًا وحينئذٍ ترى ان البلاد مقاسية امرَّ الشقاء من هذا النجاح الباهر

الولايات المتحدة تشكو من « توزيع الثروة » تريد الثروة موزعة على الافراد بالعدالة والانصاف . كل النوابغ في بلادنا كرسوا حياتهم لجمع الاموال . كم من ركفلر عندنا ذوي الوف ؟ ملايين عندنا روجرس وفندربلت ومورغان وجماعة المضاربين والمحتكرين ذوي مئات الملايين

لقد فهمنا جيدًا معنى الجمع للنفس او حب الاثرة وتقاسم ركام الثروة ونجاح المملكة وبلغنا ذلك المعنى ولكننا لم نفطن قط لمعنى « توزيع الثروة »

في الاوقيانوس ماء عظيم جدًا ولكنه لا يروي الصحراء بقطرة . في الجيوب القليلة الوف الملايين ولكنها لا تسد رمق الفقير

مسألة المسائل الاميركية « توزيع الثروة » . على كل اميركيان يفكر بهذه المسألة دائمًا

حينما ننتقد الخطاء الذي يرتكبه اتحاد العملة احيانًا — حينما ننتقد تطرفه العرضي — يجب ان تذكر حينئذٍ ان اتحاد العملة عظيم القيمة لانه هو القوة الرئيسية لتوزيع الثروة

لسنا في حاجة الى نظار مالية يبحثون في نجاح البلاد . وانما نحتاج الى رجل يرأس

الامة والى رجال دونه يلقون انظارهم الى الثمانين مليون نسمة »

﴿رأي مؤرخ انكليزي والاشتراكية في اميركا﴾ وقد نشرت جرائد لندن بعد الانتخاب لولاية نيويورك كتاباً كتبه منذ سنوات مؤرخ انكليزي مشهور الى احد اكابر الاميركان اذ سأله رايه في مصير الامة الاميركية ومدنيتها. قالت الجريدة التي نقلنا عنها هذا الخبر بعد نشرها صورة هذا الكتاب : ان راي المؤرخ الانكليزي كان عبارة عن نبوءة تمت او ستتم في المستر هرست. وخلاصة هذا الكتاب ان اميركا ومدنيتها لم تبنيا على اساس وطيد . فان دستورها ضعيف متقلقل اذ لا دعامة له . فاذا قام مثلاً رجل مقدام مطاع ذو تأثير واستفز الشعب على الاغنياء واراهم كيف يتمتعون بالثروة والملاذ على حين انهم هم يضنون جوعاً وفقراً فانه لا يلبث ان يرى جيشاً كثيفاً من الشعب يلتف حوله للاخذ بناصره والائتمار بامره . واذا قويت سلطة هذا المطاع وحزبه تمكنوا في وقت قريب بثورة او بغير ثورة من القبض على ازمة الاحكام والتصرف بالدستور والشرائع كما يريدون . ولكن لو كان في الدستور الاميركي قوة تحول دون وقوع مثل ذلك لما كان الخوف عظيماً على مستقبل اميركا

والمؤرخ يعني بقوله هذا ان توجد طبقة عليا يُدعم بها الدستور ويكون مصلحته من مصالحها كطبقة اللوردات في انكلترا . كانه يقول ان كل امة ليس فيها ارستوقراتية امة ضعيفة الدستور . وهو زعم لانصار مبدإ الملكية

والظاهر ان مبادىء المسترهرست ستكون اولى دعائم الاشتراكية في البلاد الاميركية. ومن العجب العجاب ان تكون اميركا متأخرة من حيث مبادىء الاشتراكية حتى عن المانيا البلاد الامبراطورية

فلسطين واشهر بلدانها

لحضرة نجيب افندي ابرهيم نصار في طبريا

الجليل

« الولاية التي نشأ فيها يسوع »

﴿ كلام اجمالي ﴾ الجليل بلاد كثيرة الجبال العالية والهضاب ذات السطوح المستوية والمروج الواسعة والاودية المنفرجة يمر نهر الاردن فيها من الشمال الى الجنوب ملتوياً في عدة جهات ويخلف لها بحيرتي الحولة وطبريا الجميلتين في واديه الغريب في وسط بقاع جميلة · وفيها عدة أنهر أُخر صغيرة تنساب فيما بين جبالها انسياب الافاعي وسط الادغال كاليرموك وقيشون والنعامين وغيرها وفي حقولها انواع متعددة من الازهار والنباتات البرية جديرة بنظر علماء النبات· وجمالها منبه لخواطر الشعراء

﴿ تربتها ﴾ هي زكية غنية حرية بان تسمى ينبوع ثروة القسم الواقع غربي الاردن من البلاد السورية · فيها ايدٍ عاملة لا تعرف التعب · روى يوسيفوس في كتابه حروب اليهود (٣ : ٣ : ٢) ان سكان الجليل شديدو العزم وان اراضيها غنية خصبة وان فيها من جميع انواع الاشجار وان غنى حاصلاتها كان يُنهض همم الكسالى ويحرك فيهم الرغبة في العمل في الزراعة الى حد انه لم يكن يبقى شيء من اراضيها متروكاً او مهملاً · فكثرت والحالة هذه فيها المدن والقرى وغصت بالسكان حتى لم يعد يقل سكان اصغرها عن الخمسة عشر الفاً · ولا ريب ان في هذا شيئاً من المبالغة · واشار في مواضع أُخر الى كثرة اهتمام الجليليين بزراعة الزيتون وتربيته وقال انهم يستسهلون تربية الوف من اغراسه على تربيةولدواحد·وما زال في بعض القرى غابات صغيرة حسن حالها دليل

كاف على ولع الاقدمين بزراعته • ويفهم من التواريخ القديمة ان الزيت كان كثيرًا كالماء في هذه البلاد حتى كانوا يغلونه في اوقات الحصار ويسكبونه على رؤوس الاعداء كما كانوا يدنون من الحصون • والخلاصة ان الاقدمين غالوا في وصف خصب اراضي الجليل وشهرة غور الاردن بحاصلات الحنطة والتمر والحناء وقصب السكر الذي لم تزل بقايا طواحينه في اماكن كثيرة الى يومنا هذا• اما الشؤون الزراعية الحالية فهي في حاجة الى التهذيب الفني والفلاح يحتاج الى التعليم والتنشيط وتعزيز مقامه في الهيئة الاجتماعية لكي يتقن ويحسن استخراج كنوز الارض المدفونة ويسعد بها

﴿اسمها﴾ الجليل كلة عبرانية معناها الحلقةاو الدائرةويقابلها الكوره فياصطلاحنا (والديرة) في اصطلاح اهل البداوة وهو اسم كانوا يطلقونه على كل مقاطعة واضحة الحدود فكانوا يسمون احدى المقاطعات في جنوبي غور الاردن جليل الاردن كما كانوا يسمون هذه جليل الامم

﴿ حدودها ﴾ اختلفت الحدود القديمة من جهتي الشمال والجنوب لاختلاف الدول والازمان - اما الحدود التي كانت معروفة في ايام السيد المسيح والتي يعول عليها علماء الدين فهي من الشمال نهر الليطاني او القاسمية الفاصل بين جبالها وجبال لبنان ومن الجنوب جبال السامرة ومن الشرق جبال باشان وكور الجدريين والجرجسيين والجولان وهذه من ملحقات قضائي القنيطرة وعجلون التابعي ولاية سورية الجليلة • ومن الغرب اطراف فينيقية الجنوبية وجبل الكرمل القائم سدًّا حصينًا يمنع تدفق بحرالروم على مرج ابن عامر الخصيب•وهذهالحدود لا تختلف اختلافًا جوهريًا عن الحدود التي يسميها يوسيفوس • والجليل كلها من ملحقات ولاية بيروت ما عدا قضاء الناصرة فانهانسلخ عنهاوا ُلحق بمتصرفية القدس منذ عهد قريب •

ولما قسم يشوع الارض بالقرعة بين بني اسرائيل وقعت انصبة الاسباط يساكر وزبولون ونفتالي ودان في الجليل غير ان قبائل العرب والامم المجاورة

لما كانت تخاصمهم عليها وتطردهم منها او من بعض اقسامها في احيان كثيرة ولذلك دعاها اليهود جليل الامم . ولم تتم لهم السيادة عليها ولا تسنى لهم ان يتوطنوا فيها آمنين حتى ايام هركانوس في القرن الثاني للمسيح الذي طرد الامم منها بتاتاً ووطد سلطته فيها ومنذ ذلك الحين دعيت الجليل فقط . ولم تعد كلمة الامم تذكر مع اسمها وبدأت تشاطر اليهودية في الشهرة الدينية اذ صارت وطناً لمؤسس النصرانية وموقعاً لاعماله وتعاليمه

﴿ اقسامها ﴾ تقسم الجليل طبيعياً الى اربعة اقسام (١) الجليل العليا او الشمالية وهي عبارة عن سلسلة جبال ممتدة من نهر الليطاني شمالاً الى طرف بحيرة طبريا الشمالي جنوباً يتخللها عدة اودية ويختلف علوها من الالفين الى اربعة الاف قدم (٢) الجليل السفلى وهي سلسلة جبال اكثرها مستوي السطوح تمتد من نواحي طبريا شرقاً الى فينيقية غرباً ولا يزيد ارتفاع اعلاها عن الف وتسمائة قدم (٣) وادي الاردن يمتد من اسفل جبال الجليل العليا شمالاً الى نواحي بيسان جنوباً ومعدل علوه (١) سبعمائة قدم تحت سطح البحر (٤) مرج ابن عامر (وهو ثروة الجليل) ينخفض عن سطح البحر مائتي وخمسين قدماً وكان يدعى قديماً تارة وادي يزرعيل واخرى وادي مجدو . قال بعضهم ان وادي يزرعيل كان يطلق على القسم الاسفل منه الواقع جنوبي يزرعيل واسم مجدو على ما بقي والله اعلم . طوله اربعة وعشرون ميلاً وفيه عدة مزارع يسكنها الفلاحون الذين يحرثون اراضيه ويزرعون فيها القمح والشعير والذره والسمسم والقطاني وكلها تخرج حاصلات وافرة . وقال السيد في مثل الزارع ان بعضه أعطى مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين ولا ريب ان هذا الخصب هو سبب المنازعة بين الاسرائليين والامم على اراضي الجليل

وبعض السهل ملك لاهله والبعض الآخر ملك لبعض تجار بيروت وغر

---

(١) هذا معدل علو القسم الشمالي من الغور الواقع في الجليل وهو يهبط كلما امتد جنوباً حتى يصير عند البحر الميت اقل ارتفاعاً من سطح بحر الروم بالف وثلثمائة قدم

فيه الان من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي شعبة الخط الحديدي الحجازي الصاعدة من مينائه (حيفاء) الى مدينة دمشق الشام ولها فيه ثلاث محطات في تل الشمام والغولة وبشطة

﴿ اديب يحرق روايته ﴾

بعد اطلاعه على المقالة التي نشرتها الجامعة في الجزء التاسع بشأن (انشاء الروايات العربية)

حضرة المؤلف البليغ فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة

اكتب اليكم وامامي الجزء الثامن من مجلتكم (الجامعة) الزاهرة التي خدمت العلم والآداب أجل خدمة

بدأت في قراءة عنوانات المواضيع التي صدر بها هذا الجزء كعادتي تشوقاً الى ما تحويه بين جنبيها فوقع نظري على مقالة (انشاء الروايات العربية) فتاقت نفسي الى مطالعتها لانني كنتُ شارعاً في طبع رواية ألفتها عنوانها (الغزال الشارد) فما اتيت على آخر المقالة حتى شعرت بروح جديدة ونشاط نادر وعزمت على احراق روايتي هذه واعادة كتابتها حتى ألمّ ببعض ما جاء في مقالتكم من الصفات اللازمة للروائي ليصح ان يكون ما يكتبه معدوداً في جملة الروايات الصحيحة · وبالفعل احرقتها ولم أبق منها غير المقدمة اذ لا علاقة لها بالقصة·

ولا عجب فما هذه وحرمة الادب اول مرة أثرت في نفسي روح الجامعة هذا التأثير

ويا حبذا لو ان حضرتكم اتبعتم في مجلتكم هذه طريقة النقد لاظهار عيوب الروايات ومحاسنها فتعلون بذلك منار الروايات في الشرق وتحيون هذا الفن الجليل والسلام ·

ثابت سيدهم

في مدرسة الحقوق الخديوية

هل نحن اسعد من آبائنا

كلام عن سعادة الشرقيين في الماضي والحال

القى احد علماء اوربا خطبة جاء فيها ما خلاصته: ان المعيشة في العالم اصبحت في غاية الجمال واللذة . فالناس يتخاطبون من اطراف الدنيا الى اطرافها كأنهم في غرفة واحدة والصناعة والزراعة والكيمياء تخرج للانسان خيرات الارض وتصنع عجائب وغرائب فيها . والعلم يكشف الغطاء عن اسرار الطبيعة سرًّا بعد سرّ وسيقبض عليها جميعها . والعالم يظهر جميلاً جميلاً كأنه روضة فيحاء غرستها يد الخالق العزيز لمسرّة الانسان وهنائه . فلو قام اجدادنا الاولون الذين كانوا يعيشون في المغاور والكهوف وشاهدوا ما نحن فيه من السعة والسعادة وجمال المعيشة لغبطونا وحسدونا على ذلك حسداً ما بعده حسد

الا اننا في نسخة الجريدة التي اطلعنا فيها على هذه الخطبة اطلعنا على ردّ عليها من كاتب مشهور يتهكم على جمال معيشة اليوم وسعادة ابناء المدنية الحاضرة تهكماً مضحكاً . ومن جملة ما قاله انه لو بُعث اجدادنا الاولون الذين عناهم حضرة الخطيب في خطبته لما كان لهم ان يغبطونا ولا ان يحسدونا على شيء مما نحن فيه . فان زخارف المدنية وبهارجها التي تغزّل بها الخطيب قد اشتراها البشر اليوم بثمن فادح وكثيراً ما كان هذا الثمن شرف الانسان وذمته وصحته وراحته . وفضلاً عن هذا فان المدنية الحاضرة تجعل الحياة جهاداً هائلاً لا يقوم منه الا الاقوياء واما الضعفاء فيداسون دوساً . بل الاقوياء انفسهم مستاؤون من هذا الجهاد لانه كلما كثرت اسباب المدنية كثرت حاجاتهم وبالتالي زاد تعبهم وعناؤهم في تحصيل هذه الحاجات والوصول اليها . اما في حالة اجدادنا الاولين سكان المغاور والكهوف فالحاجات الضرورية قليلة وتحصيلها سهل لسذاجة معيشتهم ولذلك كان تعبهم اقل وراحتهم اكثر من راحة ابناء التمدن الحديث

قالت الشاعرة العربية

ولبس عباءة وتقرَّ عيني احب اليَّ من لبس الشفوفِ
وبيت تلعب الارياح فيه أحب اليَّ من قصرٍ منيفِ

فلما فرغت من مطالعة هذه الخطبة والرد عليها رأيت انها تصحُّ ان تكون خير مدخل الى هذه المسألة (هل نحن معاشر الشرقيين أسعد حالا من آبائنا)

على انه يجب اولاً حصر هذا الموضوع في نقطة للتمكن من حل هذه المسألة حلاً حقيقياً· وفراراً من اطالة الكلام فنقول ان مدار هذه المسألة الحقيقي هو المعيشة العائلية الاجتماعية · وقبل كل شيء نحب ان نعرّف المادتين اللتين يقوم عليهما هذا الموضوع قيامه على دعامتين· المادة الاولى (السعادة المقصودة هنا) والمادة الثانية (العائلة) ومتى عرفنا هاتين المادتين وحددناهما سهل الحكم في هذا الموضوع ولكن اذا لم نحددهما كان بحثنا بلا جدوى ولو بحثنا العمر كله

﴿ تعريف السعادة ﴾ واول ما نتصدى الى تعريف السعادة نرى في وجهنا خلافاً عظيما ذلك لانه لم يُختلف في مادة كاختلاف الناس في (السعادة وماهيتها) الا ان جميع وجوه الخلاف في هذا التعريف يمكن ردُّها الى اصلين تتفرع عنهما باقي وجوه الخلاف · وهذان الاصلان هما تعريف (الروحيين) للسعادة وتعريف (الماديين) لها · فالروحيون مع رجال الدين يعرّفون السعادة بانها ,, شعور الانسان بالسلام الداخلي وراحة النفس والقناعة حتى في وسط المتاعب '' ومن اقوالهم المأثورة ,, ان سعادة الانسان كائنة في ان يجعل غيره سعيداً '' واما الماديون ومن حذا حذوهم فللسعادة عندهم تعريف آخر · قال في تعريف السعادة الفيلسوف الالماني الأكبر فردريك نيتش الذي قيل فيه ,, انه هو وبسمارك هما اللذان صاغا المانيا الحديثة واعطياها ما فيها الان من قوة نفس وبدن '' ما نصه ,, ان السعادة كائنة في شعور الانسان بازدياد قوته وسلطته '' فالقارئ يرى الخلاف العظيم الكائن بين هذين التعريفين · فان الاول يشتق السعادة من (عواطف الانسان) والثاني يشتقها من (نشاطه وعمله) · الاول ايدياليست

محض والثاني رياليست محض في تعريفه • فاذا أردنا الان الحكم على العائلة الشرقية والنظر في هل كانت بعد دخول المدنية اليها أسعد حالاً مما كانت قبله ‹‹ أنحكمُ عليها بالنظر الى تعريف الروحيين ام بالنظر الى تعريف الفيلسوف نيتش ؟ من هنا بدأت معنا الصعوبة في الحكم في هذه القضية حكماً قاطعاً • الا انه بعد هذا البيان بدأت معنا سهولة في ارجاع حكم كل متكلم في هذه المادة الى احد التعريفين المذكورين آنفاً • فالذين سيحكمون ان العائلة السورية والمصرية كانت قبل التمدن الحديث أسعد منها الان ينظرون الى السعادة من جهة (الروحيين) لانهم يرون ان سذاجة المعيشة والسكينة والرضى بالقليل والاقتصاد والتدبير والطاعة الزوجية والبنوية لرئيس العائلة وقلة الحاجات — كل ذلك كان في العائلة القديمة ظاهراً اشدظهور ولا يكاد يبقى منه أثر اليوم بعد اندفاع العائلات الشرقية في اثر العائلات الافرنجية • والذين يحكمون ان العائلة السورية والمصرية هي اليوم أسعد منها قبل دخول المدنية الحديثة اليها ينظرون الى السعادة من جهة التعريف (النيتشي) لانهم يرون ان الرجل والمرأة في العائلة الشرقية الجديدة اصبحا أكثر شعوراً بحقوقهما وقوتهما مما كانا يشعران به من قبل واكثر تمتعاً بثروة الدنيا وخيراتها وأشد علماً بالحياة وشؤونها • وهذا الكلام يجرّنا الى (تعريف العائلة) للنظر اليها من هذين الوجهين وبذلك نحيط بجميع اطراف الموضوع

﴿ تعريف العائلة ﴾ العائلة او العيلة في اللغة زوجة الرجل واولاده • ونحن

نضيف الى هذا التعريف « ومنزله » فانه ليس بعجيب من العرب القوم الرحل ان يهملوا ذكر (المنزل) لان منازلهم كانت ضعيفة متنقلة ولئن كانوا يربون فيها رجالاً ويستميتون في الدفاع عنها • اما اليوم (ففن تدبير المنزل) مساوٍ في الاهمية لفن تربية الزوجات والاولاد

فالعائلة اذاً تتألف من اربعة عناصر

(١) الزوج

(٢) الزوجة

(٣) الاولاد

(٤) المنزل

ونحن نلقي الآن على كل من هذه العناصر الاربعة نظرًا سريعًا لنرى أهو اليوم عندنا اسعد حالا مما كان من قبل ونجمل نظرنا اليه من جهة التعريفين معًا . اي من جهة تعريف الروحيين للسعادة ومن جهة تعريف نيتش لها على ما تقدم .

نبوغ واختلال

او

﴿ رواية قان ﴾ (١)

تعريب « احد الكتاب المجيدين »

هو قان Kean نابغة ممثلي الانكليز في القرن التاسع عشر وشمس ملاعب التمثيل وقمرها . وموضوع الرواية بيان ما يرافق نوابغ الرجال من اختلال الاحوال ووصف بعض طبقات الانكليز العليا وما كان يقع بينها من الحوادث الغرامية والخلاعة التي تدل على حالة ذلك العصر واخلاقه

ولما انتهى بالسيدتين الكلام الى هذا الموضوع دخل الكونت كفلد زوج الكونتس ايلينا . وفي دخوله قال لسكرتيره بصوت رفيع

---

(١) خلاصة ماتقدم في الفصل السابق ان ايلينا زوجة الكونت كفلد كانت تستعد لاحياء ليلة حافلة في قصرها واذ دخلت عليها صديقتها الكونتس كسويل فدار بينهما حديث طويل ذكرت فيه الكونتس كسويل لصديقتها الكونتس كفلد ان الناس يتحدثون كثيرًا بترددها على ملعب دروري لن لمشاهدة تمثيل قان وانهم يؤكدون انها تحبه

- ابعث في الحال بهذه الرسائل مع اول سفينة شراعية تقلع من هنا ولا تؤخر ارسالها لانها ضرورية

فالتفتت اليه الكونتس ايمي وقالت : اما آن للسياسة الاوروبية ان تترك للكونت كفلد حيناً للراحة ومشاهدة الاصدقاء

فقال الكونت . ان كونت كفلد قد اهمل جميع ملوك اوروبا واخر شؤونهم الى الغد ليتمكن من تخصيص سهرته هذه بالكونتس ايمي كسويل الجهلة ملكة انكلترا الحقيقية اليوم

فقالت ايمي . اني اتأسف لانني لا اقدر ان اصدق كلمة مما تقول

فقالت ايلينا . بل صدقيه يا عزيزتي لانه قال الساعة انه قطع هذه الليلة علائقه بالسياسة

فقالت ايمي . ولكن العادة طبيعة ايتها العزيزة

فقال الكونت . فاذا كنتِ لا تصدقين ما اقول فانني ساقول فيكِ ايتها الكونتس كل ما اريد من كلام السوء . فمن البسكِ هذا الثوب القبيح الذي يجعل لقامتكِ منظراً قبيحاً . اخبريني الآن هل تصدقين ما قلت

فقالت ايمي . لا اصدق هذا كما اني لم اصدق ذاك

فقال الكونت . فما تصدقين اذاً

فقالت ايمي . انني اصدق كل ما لا تقول

فضحك الكونت وقال . انني اتأسف لان النساء لا يدرنَ ازمة السياسة

فقالت ايمي . ولماذا

فقال الكونت . لانهنَّ بارعات في صناعة الجدل ولا يستطيع احد ان يكتم عنهنَّ سرًّا

فغيّرت ايمي الحديث والتفتت الى ايلينا وقالت . ما اجمل هذه المروحة التي في يدك ايتها العزيزة

فقالت ايلينا . انها هدية من البرنس دي غال

فقالت ايمي . اريني اياها

فقال الكونت لايمي . الا يحضر اللورد مويل سهرتنا الليلة

فقالت ايمي . لا يستطيع ان يحضر الليلة لانه يساعد اللورد مويل في زواجه

فقال الكونت . آه لقد اصبتِ . فان اللورد مويل انما يتزوج في هذه الليلة بتلك الفتاة الغنية التي يعتمد على (دوطتها) لاصلاح شؤونه المختلّة . ما اسم هذه الفتاة ايتها

الكونتس

فقالت امي : اسمها على ما اظن مس حنه دمبي

فقال الكونت لزوجته ايلينا . نعم هي تلك الفتاة الجميلة التي تجلس في لوج مقابل للوجنا في ملعب درري لن والتي لاحظتِ انها تحضر التمثيل كل ليلة هناك كما انها لاحظت هي ايضاً على ما اظن انكِ تحضرين التمثيل كل ليلة

فقالت ايلينا . عرفتها

فقالت امي . على ذكر التمثيل يا حضرة الكونت اخبرك انني سألت الكونتس مكاناً في لوجها عند اول مرة يمثل فيها فان . فانهم يقولون انه ممثل عظيم ونابغة من النوابغ

فضحك الكونت وقال اتريدين مشاهدته

فقالت امي . انني شديدة الرغبة في مشاهدته من مكان قريب منه . ولوحكم على المرسح فاذا جلستُ فيه فلا تفوتني حركة من حركاته ولا لامحة من لوائح وجهه

فقال الكونت . طيبي نفساً ايتها الكونتس فانه يسرني ان اخبرك انني سابلغك ما تحبين . فانني ساريكِ فان من مكان اقرب من لوجي اليه

فقالت امي . احقاً تقول . واين هذا

فقال الكونت . على مائدتي هنا فانني دعوته الى سهرتي في هذا المساء

فبغتت ايلينا وقالت . كيف فعلت هذا يا سيدي دون ان تسألني عنه

فقالت امي مدهوشة ايضاً . انك دعوت فان ؟

فقال الكونت . وما المانع من دعوته فان ولي العهد يدعوه الى منزله . فضلاً عن اننا انما ندعو اناساً كهؤلاء الناس للمزح والمطايبة . فاننا سنجعله يمثل لنا احد الفصول ونتسلى

فقالت ايلينا وقد زادت دهشتها . ولكنني اسألك مرة ثانية يا سيدي كيف فعلتَ هذا دون ان تسألني عنه

فقال الكونت . كان مرادي مباغتة ولي العهد بهذه الدعوة زيادة في استمالته لان تعليمات حكومتي تقضي عليَّ باستمالته ومجاملته . ولقد بحتُ بسري قبل اوانه فهل تقولون بعد الآن انني سياسي

وهنا دخل احد الخدم يحمل كتاباً وقال .

حقوق العمال واصحاب المال

توزيع الثروة

نبذٌ اقتصادية وهي تتمة البحث في التساوي والتفاضل

لجناب نقولا افندي الحداد

وعدتُ قراء الجامعة الكرام بتتمة البحث في « التساوي والتفاضل » من الوجهة الاقتصادية. وقد ارجأت وفاء الوعد الى ان انتقلت من عالم المدنية القديم الى العالم الجديد لكي اطلع على اهم ما كتبه علماء الاقتصاد المحدثون بهذا الموضوع لان مدينة مثل نيويورك غنية بكل شيء لا بد ان يعثر المطلع فيها على كل ما يتمناه من المؤلفات. ولهذا قصدت الى بعض مكاتبها العمومية — وهي من فضل سيادة المبدإ الديموقراطي هنا عديدة وطافحة من الكتب في كل فن ومطلب والناس يتوافدون اليها مستعيرين من كتبها مجاناً ورادين — قصدت الى بعض تلك المكاتب واطلعت على ما كتبه ووكر وآبوت وآدم سمث وهنري جورج وغيرهم ثم رجعت الى نفسي وعانيت الخوض في لجة هذا الموضوع العميقة

تساؤل الجمهور

الناس كلهم ولا سيما عامتهم متفقون على تساؤل واحد وقد تحيروا في امر الجواب عليه وهو ان غنياً مثل ركفلر او كارنجي مثلاً يجمع في حياته ثروة لو توزعت على مئة الف نسمة او على عائلات مدينة واحدة مثل مصر مثلاً لكان كل رب عائلة صاحب ثروة ولعدّه الناس غنياً — في حين ان مئات الالوف من البشر يتعبون ويشقون ولا يكادون يحصلون على بلغة تسد الرمق. فهل بذل ركفلر من القوى العقلية والبدنية مليون ضعف ما بذله العامل؟ وان لم يبذل في حياته من القوى اكثر مما بذله عشرة عمال او مئة او الف عامل فما السر في انه جمع من الثروة ما لم يجمعه مليون من العمال. وهب ان الفرق بينه وبين العمال الذين يشقون لكي يحفظوا بقاءهم في حدة الذكاء فما هذا الذكاء الذي يجعل قيمته مليون ضعف من قيمة العامل. وهل هو حقيق انه لا يوجد بين الانام الذين لم يثروا افراد يساوون ركفلر في ذكائه. وان كان يوجد مثله اذكياء كثيرون فلماذا لم يثروا اثراءه مع ان كل الانام ساعون وراء المال؟ وسواء كانت اسباب هذا التفاوت او التفاضل في الثروة بين

ركفلر وسائر العمال اقتصادية او اجتماعية او شرعية فهل في حق ? — هذه الاسئلة وامثالها يتساءلها عامة الناس وهم حيارى لا يدرون اسرارها . وربما اثارت الحيرة غضب بعضهم فنقم على الاغنياء يريد ان ينتزع منهم هذه الثروة ويوزعها على افراد البشر لان الاغنياء جمعوها من تعب العمال الفقراء

ولا بدع ان يحكم المتأمل ان هذا التفاوت المالي غير عادل لان ركفلر او غيره من الاغنياء لم يستطع ان يجمع تلك الثروة الطائلة لو لم يشتغل بها العمال بل انه لولا عمل العمال لما استطاع هو او غيره من اهل المال ان يأكلوا رغيفاً من العيش . وبالاجمال يقال ان ثروة البلاد عموماً هي نتيجة فكر اذكيائها وعمل عمالها ولذلك يحكم الضمير بالبداهة بوجوب توزيعها على الانام بالنسبة الى القوى التي بذلوها في تحصيلها

✲ مناظر ثلاثة ✲

— الاقتصادي والحقوقي والاجتماعي —

ولا يخفى على القارىء اللبيب ان موضوعاً كهذا يُنظر فيه من ثلاثة اوجه على الأقل

✲ الوجه الاول ✲ — ما السبب الذي اوجب هذا التفاوت المالي حتى يستفحل زيد في غناه فيجمع الملايين و يعيش متنعماً في حين ان عمراً يكد و يكدح اكثر منه ومع ذلك يكاد يقنع بالبقاء حياً ولو في شقاء . فان كان سبب ذلك ان « المال يجرّ المال » اكثر مما يجرّه العمال فمن اين للمال هذه القوة العجيبة التي تفوق قوة العمال مع انه ليس الاّ معدناً اصم اخرس او ورقاً لا قيمة اصلية له . وهذا الوجه من خصائص الاقتصادي الذي ينظر الى الامور المالية كما ساقتها طبيعة العمران تحت ادارة القوانين المدنية والسياسية وتحت فاعلية ناموس التنازع وعليه لا ينسب للقوة الاقتصادية العاملة في السياسة المالية شيئاً من العواطف والاحساسات اي انه لا يسلم ان للناس عاطفة الرفق والتسامح في التعامل بل يفرض ان ما يسمونه تعاوناً لا يقصد به ان يساعد الانام بعضهم بعضاً بل ان يتبادلوا النفع وكل منهم يجتذب من المنفعة الى نفسه ما استطاع . فاذا قلت له ان عمال السكة الحديدية يتعبون و يشقون فلماذا يتقاسم المساهمون في شركتها القسم الاعظم من دخلها مع انهم لم يشتغلوا شيئاً فيها قط و ربما لم يطأها بعضهم البتة ولا عرف شيئاً من ادارتها . قال

لك ان المساهمين متمولون فاذا لم يدفعوا المال لا تنشأ السكة الحديدية واذا لم يكن لاموالهم ربح يرضيهم فلا يدفعونه لانشائها مجازفين به ولماذا يدفعون المال مجاناً لمشروع ما؟ انهم يستوفون ربحاً جزاء حرمانهم انفسهم التمتع بذلك المال اذا لم يدفعوا المال لا تنشأ السكة الحديدية فلا تعمر البلاد ولا يزداد الربح وتتوفر الثروة . واذا قلت له سلمت ان ثروة البلاد لا تزيد وربح الارض لا يتوفر اذا لم تنشأ السكة الحديدية بمال الاغنياء ولكني ارى ان ما يزداد من الثروة يتسرّب معظمه الى جيوب الاغنياء ولا يصيب العمال الفقراء الا الجزء اليسير منه فما الفائدة للجنس البشري من ازدياد الثروة على هذا النحو . قال لك ان الغاية الاقتصادية هي ان تزداد ثروة البلاد بأي الطرق او ان يستخرج البشر ما يستطيعون استخراجه من خيرات الطبيعة ولا فرق في ان يستولي على تلك الخيرات الاغنياء وحدهم او الفقراء معهم . واذا شئت ان تطالب باقتسام الثروة بانصاف فطالب قوانين الحكومة واستعن على ذلك بمبادئ الاجتماعي لانها هي التي توحي للمشترع المنصف نص القانون والشريعة

﴿ الوجه الثاني ﴾ — هل ان الطرق التي يتعامل بها البشر منطبقة على القوانين المدنية والنظامات المحلية والسياسات الدولية او انها مخالفة لها . وهذا الوجه من خصاص الحقوقي وهو يفرض ان القوانين عادلة فاذا تسنى لزيد ان يثري حتى تصبح ثروته مليون ضعف ثروة عمر ومن غير ان يخترق القانون او يدوس الشريعة فله ذلك بل اذا قدر ان يتنعم بتعب زيد وعرق جبينه من غير ان يخالف القوانين فله ذلك . فاذا قلت له ان صاحب المعمل اغتنم فرصة فاقة العمال وشدة حاجتهم فاستخدمهم بنصف الاجرة المعتادة قال لك انه حرّ في ان يعرض عليهم الاجرة التي يريدها وهم احرار في ان يشتغلوا او لا يشتغلوا . وان قلت له ان المرابي اغتنم فرصة فاقة الفلاح واقرضه برهن ولكن اتفق معه على ان يدفع له تسعين ويحسبها مئة وحسب عليه الفائظ القانوني ٩ فاصبحت الفائدة ١٩ قال لك ما دام الصك ينص على انه اقترض مئة بفائدة ٩ فقط فالقضاء يوجب عليه ان يدفع المئة وفائظها وان كان لم يقبض من الدائن سوى التسعين والا فلماذا رضي بهذه المراباة ووقّع على الصك

﴿ الوجه الثالث ﴾ — هل ان الطرق التي يتعامل بها البشر والطريقة التي بها يتقاسمون الربح الذي يشتركون كلهم في تحصيله حق ؟ وهذا الوجه من خصائص الاجتماعي الادبي وهو يفرض ان كل افراد الهيئة الاجتماعية افراد عائلة واحدة يشتغلون معاً باجتهاد

متفاوت وقوى متفاوتة لان اشتراكهم بالعمل يضاعف المكاسب ولهذا يجب عليهم ان يكونوا منصفين في الاقتسام بحيث يصيب كل واحد منهم جزاء تعبه . فاذا قلت لماذا ركفلر لم يتعب في الهيئة الاجتماعية مليون ضعف تعب العامل فلماذا تكون ثروته مليون ضعف من ثروة هذا قال لك العيب في القوانين المدنية ونظامات الحكم فعلينا ان نصلح هذه النظامات لكي نرد الذئب عن الغنم ـ علينا ان نعملها بشرط ان لا نعرقل سير العمران ولا نوقف مجرى التقدم المالي

فترى ان الاجتماعي افضل من الآخرين لانه يسند قوله الى حكم محكمة الضمير ويبتغي تعميم الخير للجنس البشري كله وتعادل الناس في الهناء بالنسبة الى اجتهادهم ومواهبهم . وفي هذه العجالة اجتهد ان اجمل الثلاثة حول الموضوع

مصادر الريع ومقاسموه

افرض ان رجلاً نبيهاً نشيطاً خطر له ان يشتغل بزراعة القطن فذهب الى صاحب حقل فسيح واستأجره منه الى بضع سنين على شرط ان يفيه الاجرة عن كل عام في نهاية الموسم . ثم ذهب الى متموّلٍ واستدان منه مبلغاً من المال لكي يشتري البذار والبهائم والعدد على شرط ان يوفيه في نهاية الموسم ثم استأجر الفلاحين والعمال لكي يشتغلوا في الارض تحت امرته على شرط ان يستوفوا اجرتهم في نهاية الموسم ايضاً

ولما نضج القطن وجمع جاء صاحب الارض واخذ منه قسماً يساوي اجرة الارض عن ذلك العام . ثم جاء الدائن واخذ من القطن قسماً يساوي ماله وفائدته . ثم جاء العمال واخذوا من القطن ما يساوي اجرتهم والباقي كان جزاء صاحب المشروع او ربحه وان كان القطن لم يكف ذوي الحقوق من صاحب الارض والدائن والعمال نازعوه والزموه ان يوفي من ماله الخاص ان كان عنده مال

والغاية من هذا الافتراض الكثير الوقوع كل يوم على صور مختلفة في جميع دوائر العمل واصنافه هي ان يعلم القارىء ان الذين لهم ايد في تحصيل الريع وبالتالي لهم حقوق فيه هم اربعة اصناف :

١ ـ اصحاب الاراضي ولهم اجرة الارض وربما سمّيت « المرابعة » تساهلاً

٢ — اصحاب الاموال ولهم فائدة اموالهم

٣ — العمال ولهم اجرتهم اليومية او ماهياتهم الاسبوعية او الشهرية

٤ — اصحاب المشروعات ولهم ارباح المشروع

ولا يندر ان يجتمع صنفان او ثلاثة او اربعة في واحد فكثيرًا ما يكون صاحب المشروع هو صاحب المال كالتاجر الذي يتاجر بماله من غير ان يستدين او كالمزارع الذي يستأجر الارض وينفق على المزرعة فيها من ماله . وقد يكون صاحب الارض صاحب المشروع والمال ايضاً فيدير زراعة ارضه بنفسه من غير ان يؤجرها . او كالتاجر الذي يتاجر بماله وحانوته في ملكه . وقد يكون صاحب الارض صاحب المشروع وصاحب المال والعامل معاً كاسكاف القرية الذي يشتغل وحده في غرفة من منزله ويشتري الجلود والادوات من ماله

ولكن لا يغرب عن فطنة القارىء انه ولو اجتمع اصناف القائمين بالعمل في شخص واحد كالاسكاف الذي يمثل بنفسه صاحب الارض وصاحب المشروع وصاحب المال والعامل فان نصيب كل صنف يبقى متميزًا عن انصبة الباقين فذلك الاسكاف مثلاً اذا لم يكن منزله ملكه اضطرَّ ان يستأجر دكانًا ويدفع من اصل كسبه اجرتها واذا لم يكن ذا مال ليشتري جلودًا وادوات لصناعته اضطرَّ ان يستدين من غيره لهذه الغاية ويدفع من اصل كسبه فائدة ذلك المال واذا لم يقرضه احد لعدم الثقة به ولم يكن حسن التدبير بحيث لا يستطيع ان يشتغل مستقلاً اضطرَّ ان يشتغل عند غيره من صانعي الاحذية باجرة زهيدة وبالطبع لا يستخدمه احدٌ ما لم يطمع بربح جزاء حسن التدبير الذي اتاه في سبيل تشغيله عنده . فترى مما تقدَّم ان الاسكاف الذي يشتغل في محل هو ملكه ويشتري بماله المواد اللازمة له يجمع من صنع الاحذية نصيب صاحب الارض ونصيب المرابي ونصيب صاحب المشروع الذي يحسن التدبير ونصيب العامل

ولا يخفى على الفطن المستبصر ان ما اقتضاه ارتقاء العمران من تنوع الاشغال وتوزعها على العمال بحيث صار الرغيف لا يصل الى يد الآكل ما لم يمرَّ على يد الزارع والتاجر والطاحن والخابز والبائع ـ قضى في كثير من الاعمال ان يتخصص الاصناف الاربعة الآنفة الذكر ويتميزوا كل صنف في افراد اخصاء . بل قضى بان يتنوع كل صنف منهم تنوعات مختلفة

وفي النبذات التالية ابحث في كل صنف منها على حدة وابين ما يصيبه من لربح الذي يشترك فيه مع البقية

جبل الطور

« الذي تجلى عليه المسيح »

جبل الطور . طور طابور . جبل التجلي . هو جبل جميل مخروطي الشكل قائم في السهل كتمثال عظيم في ساحة فسيحة وارتفاعه الفان وثمانية عشر قدماً وهو مركب من طبقات صخرية كلسية تغطي اقساماً منها تربة حمراء في بعض الاماكن عميقة ويغطي بعضه شجر البلوط الذي تتفيأ اغصانه طيور السماء . ويستر البعض الآخر انواع من نبت الشيح الجميل . فالناظر اليه والى حرمون الكبير الشاهق القائم قباله عند الافق لا يلبث ان يردد ما قاله داود النبي (طابور وحرمون باسمك يهتفان) ولا يعجب من قوله تعالى بلسان ارميا ص ٤٦ عـ ١٨ (حي انا يقول الملك رب الجنود اسمه كطابور بين الجبال) والراقي اليه ينشرح صدره بمناظره الجميلة الشاسعة وتنعش نفسه روائح ازهاره الربيعية الزكية وتطرب مسامعه بانغام الطيور الشجية التي تمثل مظاهر الطبيعة فيخال له انه راقٍ من عالم الشقاء الى سماء السعادة الخيالية ويتمنى ما تمناه بطرس من الاقامة في ذلك الوسط الشعري السعيد ولو في مظالّ يقطع اخشابها بيديه ويظللها بما توفر لديه . فان تلك الحالة المدهشة انسته ما كان يلاقيه من اكرام الناس له وحفاوتهم به وانسته آماله ببلوغ مراتب السيادة والسعادة التي كان يرجوها من نفوذ سيده في الشعب . ولا غرو فقلّ من يرقى الى طور طابور ولا يسحره ما سحر بطرس من اجتماع غرائب الطبيعة في هذا الجبل

﴿ تاريخه ﴾ كانت على سطحه مدينة حصينة صعبة المرتقى تدعى طابور (اخبار الايام الاول ص ٦ عـ ٧٧) وقعت في قرعة زبولون . اتخذها باراق ودبورة معسكراً لهما تجمعا جيشهما ورتباه فيها في مأمن من غدر العدو وهجماته وانحدرا منها الى السهل لمحاربة سيسرا رئيس جيش يابين ملك كنعان الذي لاقاهما من حروشة الامم الى طرف سهل يزرعيل الشمالي . وهناك التحم الجيشان واعتركا اعتراكاً شديداً فانهزم الكنعانيون من

حول سيسرا فلم يعد يستطيع الثبات فترجل وفرَّ مختفياً حتى جاء بيت ياعيل امرأة حابر القيني الذي كان مخيماً في سفح الكرمل بجانب نهر قيشون . فاستقبلته ياعيل بالاكرام ووعدته بالحماية فدخل وامن لانه كان مواليًا لزوجها واعطته لبنًا بدل الماء ليشرب وانتظرته حتى نام فقتلته وخانت بذلك عهد الولاء وحقوق الضيافة المقدسة بين قبائل البلاد العربية الى يومنا هذا . فبدل ان يقتلها باراق ودبورة بجيانتها هذه افتخرا بها وباركتها دبورة على النساء كما هو مذكور في الاصحاح الخامس من سفر القضاة . ان هذه مسألة فيها نظر

وقد دعا كتبة اليونان والرومان هذه البلدة اتابيريون Atabyrion وحاربها انتيوخوس الكبير واستولى عليها بالحيلة وفي سنة ٥٣ للمسيح حاربها غابينوس الروماني وقتل عشرة آلاف من اهلها وهدم اسوارها فاعاد بناءها يوسيفوس وحفر حولها الخنادق ولكن الرومان حاربوها تحت امرة فسباسيانوس وجروا حاميتها بالحيلة الى السهل وبطشوا بهم واستولوا على المدينة بعد ذلك ودمروها ولم يعد يُعرف منها شيء حتى ايام يوسيبيوس وجيروم . ولقد ذكر انطونيوس الشهير في القرن السادس الكنائس الثلثة التي بنيت هنالك تذكارًا للمظال التي اشار اليها بطرس في الانجيل وذكرها اركولفوس ايضاً في القرن السابع وساولف في القرن الثاني عشر . وفي سنة ١١٨٣ هاجمت فرقة من جنود صلاح الدين الاديرة هنالك فصدها الرهبان بمعاونة من كانوا مختبئين عندهم من الاهالي. وفي سنة ١٨٨٥ يقول فوكاس ان جيوش صلاح الدين خربت ديري الروم والكاثوليك الذين كانا على الجبل . اما الملك العادل فبنى قلعة على الجبل نكاية بالمسيحيين هاجمتها جيوش النصارى في سنة ١٢١٧ دفعتين وارتدت عنها

وعلى سطح الجبل الان دير للروم الارثوذكس واخر للكاثوليك وكنيستان للطائفتين. ولم يزل كثير من اثار السور والخندق ظاهراً للعيان . وبقايا الكنائس الثلاث التي اشار اليها انطونيوس الشهيد موجودة ضمن دائرة دير الكاثوليك وفي دير الروم قطع حجارة حفر عليها باللغة العربية تواريخ من زمن الملك العادل . ولقد قال الارشيمندريت مكاريوس الذي كان رئيساً لدير الروم انه اكتشف مغارة كبيرة على مقربة من الباب الخارجي المؤدي الى الدير كان مرسوماً على جدرانها صورتان كبيرتان هما (كما فهم من كتابة بجانبهما) صورتا ابرهيم وملكي صادق . هكذا يقول وهو يزعم ان هذه المغارة هي التي لجاء اليها ملكي صادق كما تقدم في مقالتنا عن بيت المقدس

في مجلة الجامعة العدد الثالث لسنتها الرابعة . وقد طمست هذه الصور بتأثير الرطوبة والهواء . والله اعلم بامرها

﴿ اين مكان جبل التجلي ﴾ ان الكنيسة المسيحية الشرقية تعتقد منذ بداية القرن الخامس بان هذا هو الجبل الذي ظهر مجد السيد عليه لتلاميذه بالتجلي على ما ورد في الاصحاح التاسع لمرقس . ولا ريب في ان الكنيسة الشرقية تلقت خبر هذه الحادثة بالتواتر عن المسيحيين الاولين الذين كانوا يحفظون مثل هذه الاخبار المهمة على صفحات قلوبهم بدل صفحات الكتب ويسلمونها بعضهم لبعض من جيل الى جيل حتى قام يوسيبيوس وجيروم اشهر كتبتهم فدونوها في بطون التواريخ . وقد قبلتها منهم الكنيسة الكاثوليكية بدون ادنى مخالفة مع ما هو معلوم من الخلاف الواقع فيما بين الكنيستين على امور كثيرة مهمة . وبقي هذا الاعتقاد سائدًا ومسلمًا به من جميع العالم المسيحي الى عصرنا هذا اذ اعترض عليه بعض كتبة البروتستانت وفي مقدمتهم روبنصن Robinson المشهور الذي حاول استبدال هذا الجبل بجبل حرمون الكبير مستندًا في تقريره الى ما ورد في العدد السابع والعشرين من الاصحاح الثامن لمرقص من ان السيد المسيح كان في ذلك الاثناء في نواحي قيصرية فيلبس الواقعة في اسفل جبل حرمون . غير ان هذا البرهان لا يكفي وحده لاثبات حقيقة كهذه وافساد اعتقاد الكنيسة الشرقية المؤسس على تقارير قديمة محفوظة منذ القرون المسيحية الاولى لا سيما وان كتبة الانجيل لم يدققوا في اسفار المسيح ولا اهتموا بتعيين الازمنة لان ذلك كان خارجًا عن غرضهم الديني . فيستدل من ذلك ان اعتراض روبنصن على هذا المكان وعلى كنيسة بيت لحم وغيرها من الامكنة التي لا يرتاب المدقق في صحتها انما كان يقصد به استلفات الانظار الى كتاباته واكتساب الشهرة (كذا) بالمخالفة

طبريا نجيب نصار

الشيخ جمال الدين الافغاني

الشيخ محمد عبده

محمد عبده والافغاني

رغب الينا كثيرون من قرآء الجامعة ان تنشر لهم رسمي الشيخ جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده . فنشرناهما في هذا الجزء . ونغتنم هذه الفرصة لنقول كلمة في ما نشرناه في الاجزاء السابقة بشأن هذين العلامتين

كتب الينا حضرة وكيلنا في طنطا (مصر) كتاباً يقول فيه ان احد تلامذة جمال الدين الافغاني ومريديه من اخواننا المصريين قال له بعد اطلاعه على المقالات التي نشرناها بشأن جمال الدين الافغاني ، اني كنت تلميذاً للشيخ جمال الدين ومن المعجبين به . وعندي رسم له حين كان في شبابه . فبعد اطلاعي على مقالات الجامعة بشأن مبادئه وفلسفته صغر في عيني وما عدت اريده استاذاً لي . وهذا رسمه الذي احفظه عندي كأثر مقدس ادفعه اليك لتبعث به الى الجامعة

فلما قرأنا هذه الفقرة رأينا انه يجب علينا ان نقول كلمة في هذا الشأن . فانه يُفهم منها ومن انتقادات لبعض صحف مصر ان غرض الجامعة مما نشرته كان (تصغير) الافغاني والحط من منزلته . ولكن معاذ الله ان يكون هذا الغرض غرضها . اننا لا نجهل ما يجب على المتأخرين من الاحترام والرعاية للمتقدمين . واذا لم يكن لهم من فضل سوى انهم كانوا اول من وضع حجارة الاساس في بناء الشرق الجديد فكفى بذلك فضلاً لهم يوجب علينا احترامهم والاعتراف بجميلهم أصابوا ام اخطأوا . اذ في هذه المسألة كما في جميع المسائل الادبية والعلمية والاجتماعية انما العمدة على سلامة النية

فعليَّ ان أسعى وليس عليَّ ادراك النجاح

واذا كان الافغانيُ قد اخطأ في ادارته (دفة) امته وأمم الشرق معها فحسبه انه كان اول استاذ للنشاط والحماسة والنهوض في الامة المصرية والسورية

في عصر كانت فيه الحمية خامدة والعقول جامدة والنفوس باردة والهمم قاعدة

قال الفيلسوف رنان في كتابه (القديس بولس) حين مقابلته بين المسيح وبولس ما خلاصته : يقولون ان بولس هو الذي نشر الدين المسيحي في اقطار الارض وانه صاحب الفضل على غيره في بقائه الى اليوم . ولكن الحقيقة ان الفضل للمؤسس المبتكر . وهذا المؤسس وان لم يفعل شيئاً سوى رسم الخطة الاولى وايحاء المبادئ الاصلية التي تبنى عليها تلك الخطة فانه يبقى معدوداً صاحب الفضل الاول

وهكذا نقول في الافغاني وكل من جاء بعده وفي جملتهم الاستاذ محمد عبده . فانه اذا كان محمد عبده قد فاق استاذه الافغاني في المنزلة العليا التي نالها في الهيئة الاجتماعية فانه لم يفقه بالعلم وسعة الاطلاع واصالة الرأي — فان كل هذه امور قلما يبلغ بها المرء في الدنيا منصباً رفيعاً . وانما فاقه (بالسياسة) فان الاستاذ رحمه الله كان داهية من دواهي الدهر في سياسة الافراد والجماعات فلم يكن احد يدخل عليه او يتعرف اليه كبيراً او صغيراً الا ويخرج من عنده راضياً . فبينه وبين جمال الدين الافغاني ما بين الفيلسوف النفعي والفيلسوف الايديالستي على ما ذكرناه في الجزء الرابع . فقد كان جمال الدين متحمساً لمبادئه لا يقبل فيها جدالاً ولا اعتراضاً . شديداً عجولاً في طلب الوصول اليها غير مجامل ولا متسامح في سبيلها . واما الاستاذ الشيخ محمد عبده فقد عرف ان التصلب والجمود لا يفيدان شيئاً وانه خير للشجرة ان تحني اغصانها تحت الزوبعة لتمر عليها بدل ان تصلب وتقف في وجهها لتكسرها

وقد جرّنا الكلام هنا الى الشيخ محمد عبده فعلينا ان نقول كلمة في الفصول التي نشرتها الجامعة بشأنه بعد ان قلنا كلمة في الفصول التي نشرتها بشأن الافغاني

ورد في احدى رصيفاتنا في البرازيل ورصيفة عربية في الهند واثنتين من الجرائد المصرية وعدّة رسائل خصوصية وردتنا من مصر — مؤاخذة وعتاب

لان الجامعة نشرت ما نشرته بشأن الاستاذ . وقال لنا الاخ نقولا افندي حداد بعد وصوله الى نيويورك انه حين كان في مصر لم يكن احد من ادبائها يقابله الا ويذاكره في تلك الفصول . وكتب الينا حضرة وكيلنا في الاسكندرية انه حين وصول الجامعة الى الاسكندرية لم يكن لادبائها حديث الا في هذا الشأن . وان كثيرين من وجهاء المصريين وافاضلهم لاموا الجامعة لتعرضها لهذا الموضوع

فالحق ان هذه الزوبعة من أجل لا شيء قد ساءتنا جدًّا . وانما ساءتنا لانها دلت على ان اصحابها لم يريدوا ان يدركوا غرضنا مما نشرناه . وكل ما وجدوه هو ان رجلاً كبيراً مات والجامعة قامت بعد موته تذكر عنه شيئاً لا يسرّه ولا يسر مريديه . وانتقادهم هذا يدور على امرين . الاول نشرها الرسائل التي دارت بينها وبينه . والثاني قولها عن المنشور الذي خُتمت به مناظرته مع الجامعة بشأن ابن رشد وفلسفته

ولم نجاوب على اعتراضاتهم قبل الآن لاننا أردنا ترك الزوبعة تمرّ وتسكن. فنجيب الآن

انا نشرنا رسائل الاستاذ لانها من رجل كبير عمومي بلغ اسمى المنازل في الهيئة الاجتماعية الشرقية . وللناس الذين يحملون الرجال العظام العموميين على اكتافهم في حياتهم ولا يرون منهم الا ظواهرهم من حقهم ان يروا بواطنهم بعد مماتهم . فانك اذا اردت ان تعرف تاريخ حياة رجل وتحلل آراءه والعناصر التي رُكبت منها نفسه فلا يجب ان تكتفي بما ينشره بين الناس بل يجب ان تتعقبه في جميع اطوار حياته وتتبع افكاره وآراءه حتى في ابعد الزوايا وأعمقها. وانك لتجد احياناً في رسالة خصوصية يكتبها على غفلة منه ما لا تجده في كتاب ضخم ينشره بين الناس فيما يدل على اخلاقه وحالة نفسه . انه في منشوراته العمومية يظهر كما يجب ان يكون ولكنه في رسائله الخصوصية يظهر

كما هو · ولذلك تعد رسائله الخصوصية في جملة حياته العمومية · وهي ملك لجميع الناس

لما مات فيكتور هيغو قام الكتاب من كل صوب ينبشون حياته · فقصوا صغائرها وكبائرها حتى حبه لممثلة وسكوت زوجته عن هذا الحب مع معرفتها به · ولما توفي ايبسن في العام الماضي قاموا ينشرون له رسائل خصوصية كتبها في شيخوخته قبيل وفاته الى فتاة جميلة كانت تحبه حباً شديداً لقراءتها رواياته وكان في كتبه يفرغ منها · وفيها ما يدل على انه بدأ يحبها ولكنه كان يخشى عاقبة هذا الحب · ومذكرات البرنس دي هوهنلوه نشرت منذ ثلاثة شهور وفي بعضها كلام مهين في حق الامبراطور غليوم حتى من امه · والجامعة بحمد الله لم تنشر شيئاً مهيناً في حق الاستاذ الجليل رحمه الله ولا يمكن ان تنشر شيئاً مهيناً في حق اي شخص كان · وقد وضعت في مقدمات تلك الفصول الاستاذ في منزلة الرجال العظام الذين يحق للمشرق ان يفخر بهم اذ ليس فيه اعظم منهم · ولكننا نحن الشرقيين كما ذكرنا في فصل سابق قد اعتدنا الغلو والاختلال في كل شيء · وعلى كل شيء نحكم (بعواطفنا) لا بعقولنا · واعتيادنا عبادة الملوك والامراء والكبراء والوجهاء يجعلنا نعد جناية وتهجماً عمل كل من يريد الدنو منهم لمشاهدتهم من مكان قريب والحكم عليهم كما هم دون تزلف ولا تحامل لا كما يريدون ان يظهروا للناس · ومع ذلك فان الشرقيين يروون وينشرون كل يوم عن اعاظم الغربيين وامرائهم وعلمائهم نقداً يطير الفراخ ويصم الصماخ · أفليس هؤلاء بشر ويجب علينا احترامهم احياء وامواتاً كما يجب علينا احترام رجالنا · ام الآداب والشهامة تقضي باحترام القريب دون الغريب · وان رجلاً كالاستاذ رحمه الله في غنى عن دفاع اي شخص كان · فان بعض الكبار اذا دنوت منهم وفحصتهم ملياً وجدتهم صغاراً · ولكن محمد عبده قلما يخسر شيئاً اذا دنوت منه وفحصت نفسه ملياً

ولعل السبب في سوء ظن بعضهم في ما نشرته الجامعة بهذا الشأن

ان الناس اعتادوا ان لا يروا مدحاً او ذماً في احد الا ورأوا للمادح والذام غرضاً خصوصياً . والجامعة لا تبرئ نفسها من هذه التهمة لان قراءها الذين لا غرض لهم يعرفونها

بقي الامر الثاني وهو (المنشور) الذي ختمت به المناظرة . فقد توهم بعضهم ان هذا المنشور يحتوي على كلام مهين في حق الاستاذ ولذلك سكت الاستاذ خوفاً من الاهانة . ما شاء الله ؟ .. لقد كنا في غنى عن ايضاح هذه المسألة اعتماداً على حسن ظن القراء في الجامعة وانفة من الرد على سوء ظن كهذا . ولكنا اثرنا الايضاح للذين سألونا ذلك

ما زال لدينا نسخة من هذا المنشور لمن يريد الاطلاع عليه ليتحقق انه لا يحتوي على كلمة تسوء الشيخ محمد عبده . وخلاصته الرغبة اليه في انهاء المناظرة واثناء من يلوذون به عن التحامل على الجامعة والمطاعن والمسبات التي كانوا يوجهونها اليها . فان لم يفعل الاستاذ ذلك اعتقدت الجامعة ان الاستاذ راضٍ عن تلك المطاعن والمسبات وانها تنشر بموافقته فيصبح الامر بينه وبينها لا بينها وبينهم . والمنشور مكتوب للاستاذ باحترام لاننا فضلاً عن احترامنا الشخصي له نحترم فيه منصب الافتاء العالي

هذا ما رأينا الآن نشره ليكون تتمة وايضاحاً لما تقدم نشره في الاجزاء السابقة .

درس في المدنية الاميركية

الخطر على اميركا

من اربعة امور

كتاب لعالم فرنسوي ساح في اميركا

نرى عظمة اميركا وغناها الذي جاوز الحد فتدهشنا ثروتها وحالتها . ويخيل لنا ان ان هذه العظمة والثروة مطّردة ستبلغ منتهاها وانه لا حائل يحول دون نموها . ولكن هذا النظر نظرٌ قاصر لانه يجب البحث في اساس تلك الثروة والعظمة والنظر في الوسط الجديد الذي انتقلت اليه والذي يتغير عاماً فعاماً للحكم في اطرادها او عدم اطرادها

وقد ساح في اميركا عالم فرنسوي ونشر رأيه في المدنية الاميركية في كتاب ظهر في العام الماضي وكان له دوي في اوروبا واميركا معاً . وخلاصة رأيه ان ثروة اميركا وعظمتها لا تطرّدان بل مثالهما خذلان في التقهقر في مستقبل الزمان

ومن اقواله انه يجب ان لا نستغرب نهضة اميركا الحاضرة لانها مبنية على اسباب طبيعية وقتية . ومتى زالت هذه الاسباب زالت معها العظمة الاميركية . وهو يقول

(١) ان الولايات المتحدة بلاد بعيدة عن العالم المتمدن فهي مضطرة ان تستخرج من ارضها جميع حاجاتها الغذائية لانها لا تقدر ان تجلبها من الخارج

(٢) انها بلاد زراعية متسعة الاراضي والزراعة فيها من اهم حاجاتها ولذلك تصرف عنايتها الى اتقانها والاثراء منها

(٣) ان الارض فيها تزيد عن حاجات السكان . فلزم عن ذلك انها تضطر الى المتاجرة بحاصلاتها الكثيرة ومن هنا منشاء تجارتها الواسعة

(٤) ان زراعة الاراضي وتعميرها يقتضيان مد السكك الحديدية فيها . ومد السكك الحديدية فيها يؤدي الى قيام بلدان وقرى على ممر السكة وفي المزارع الكبرى . فمن الزراعة والتجارة تلزم الصناعة بحكم الضرورة للتمكن من القيام بالحاجات

(٥) ان الجوّ باردٌ يدعو الى النشاط والمهاجرون الذين يفدون عليها لا غرض لهم غير جمع المال تشبهاً باهلها . فينشأ عن ذلك نشاط طبيعي في العمل وهو النشاط الاميركي المشهور

(٦) ان الولايات المتحدة بعيدة عن معترك العالم القديم ودوله التي تفني قواها في التسلح والاستعداد للحرب . وليس لها جيران اقوياء ينازعونها البقاء ويمنعون نموها كما تفعل الدول الاوربية بعضها ببعض . بل يداها مطلقتان في العمل لمنفعة شعبها وانفاق امواله في تحسين شوءونه

ذكر الكاتب هذه الاسباب الطبيعة في نمو الولايات المتحدة ثم ذكر اربعة اسباب ستوءدي الى سقوطها في رأيه

﴿الاول اجتماعي﴾ وهو فناء نشاطها او ضعفه بامرين .الاول مسألة الزنوج والثاني مسألة المسكرات

اما مسألة الزنوج فهو يرى فيها ان الزنوج ملتفون على عنق الولايات المتحدة كافعى تمتص دماءها . فان زنوج اميركا واجدادهم في افريقيا مشهورون بالكسل والتراخي وعدم النظام. وهذا الكسل والتراخي وعدم النظام قد اخذوا يدخلونها في الدم الاميركي و بذلك يفنون نشاطه .وكيف يدخلونها اليه ؟ انهم يصبونها صباً في نفوس الاميركيين وشرايينهم. فان عدد الزنوج الذين يتزوجون بالبيض قد اخذ يتكاثر تكاثرًا مدهشًا فنشأ من هذا الزواج جيل جديد اسمر لا هو بزنجي ولا هو بابيض . وهذا الجيل الجديد يسهل امتزاجه بالاميركان تزاوجاً وتعاملاً لان الفرق بينهما في السحنة يكاد لا يُرى . ولهذا الجيل الجديد جميع عيوب الزنوج ونقائصهم لانه ورثها من اجداده. ويبلغ عدد ابناء هذا الجيل ملايين من النفوس وهم آخذون في الازدياد . وسيكون عن يدهم فساد الدم الاميركي وفناء نشاطه

واما مسألة المسكرات فليست باقل اهمية . وهي شرّ هادم للنشاط والقوى الحيوانية . ومن راي الكاتب ان اقبال الاميركيين على المسكرات في السنوات الاخيرة نساء ورجالاً سيوءدي الى ضعف النشاط في اولادهم و بذلك يزول اعظم مزاياهم .

﴿الثاني دستوري﴾ وهو يعني بهذا السبب انقسام الولايات المتحدة الى ولايات مستقلة بعضها عن بعض . فيقول ان لكل واحدة من هذه الولايات مصالح خصوصية تخالف مصلحة الاخرى وفي كل منها ساسة طامعون واحزاب . فسيأتي يوم تحتك فيه مصالح هذه الولايات واطماع ساستها فلا يفض النزاع بينها حكم غير حكم السيف . وان اتحادها الآن اتحاد ظاهري لا باطني

﴿ الثالث سياسي ﴾ وهو النزول في احدور الاستعمار . فان الولايات المتحدة اصبحت مضطرة بعد دخولها في ميدان الاستعمار ان تنفق القناطير المقنطرة من الذهب والفضة على تسليح بلادها وتعبئة جيش عظيم وانشاء اسطول قوي . ونهوض دولة كاليابان تنازعها السيادة والسلطة في الاوقيانوس الباسيفيكي مما يغير وسطها السياسي ويهدم سور عزلتها الماضية . ولذلك ستدخل في طور تبديد الاموال وتبذيرها على التسلح وتلهو عن اصلاحاتها الداخلية

﴿ الرابع اقتصادي ﴾ وهو من الاهمية بمكان . فان الصناعة والزراعة والتجارة اس عظمة اميركا . واس هذه الفنون الثلاثة العمال . وقد بدأت المبادىء الاشتراكية تنمو في الولايات المتحدة وكثر فيها عدد المحرضين على اصحاب الاموال والمنبهين للعمال ان يطالبوهم بنصيب من ثروة اميركا اوفر من نصيبهم الحالي

وفي كل امة تقوى فيها الصناعة والتجارة والزراعة تقوى فيها سلطة العمال . فمتى انفتحت عيون العمال وقاموا يناهضون اصحاب الاموال كما يفعلون في اوروبا تأخرت في اميركا الصناعة والزراعة والتجارة تأخراً عظيماً . ان لم نقل انهم يحدثون ثورة تهدم العمران

هذه خلاصة راءي هذا السائح . وللقارىء اللبيب ان يحكم فيه . ولعله لم يخطىء محجة الصواب في كثير منه

الى

حضرات قراء مجلة الجامعة

﴿ الجامعة اليومية ﴾ صدرت الجامعة اليومية في اول السنة الجديدة طبقاً لما اعلناه لقراء الجامعة في الجزء التاسع والعاشر . وقد استقبل القراء الجامعة اليومية احسن استقبال وانتشرت في جميع الاصقاع التي تصل اليها مجلة الجامعة . ولا تزال طلبات الاشتراك فيها تتوارد علينا كل يوم من جميع جهات اميركا الشمالية والجنوبية والاقطار الخارجية



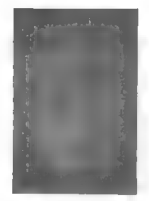
﴿ المستر هرست ﴾

صاحب جريدة نيو يورك جورنال

في العالم الجديد

المرأة رجل

وفي العالم القديم الرجل امرأة



نشرنا في هذا الفصل رسم رجل والحقيقة انه رسم امرأة مرتدية بلباس الرجال وهي مس ريلان وقد توفيت منذ مدة في فنيكس (ولاية اريزونه) في مزرعتها التي كانت عاكفة فيها على تربية المواشي والاتجار بها وقد جمعت ثروة طائلة من تجارتها ٠

وكان اسمها المعروف في شيكاغو «المستر لنجل» وكانت سكرتير القنصل الروسي فيها ٠ وكان القنصل يجهل حقيقة امرها كل الجهل ويظنها رجلاً ٠ وقد ادهش خبرها النزالة الروسية في شيكاغو حين علموا به لانهم يعرفونها حق المعرفة

وقد نقلت جرائد باريز في هذا الشهر خبراً غريباً كهذا الخبر٠ فان مديرة مدرسة الولادة في ديجون وردها في ذات يوم كتاب دون توقيع مؤداه ان احدى تلميذاتها التي تُدعى مدموازل رنه كوتره هي رجل لا امرأة ٠ فاضطربت المديرة وفحصت في السر فوجدت ان مدموازل رنه كوتره تكثر من الوقوف امام اسرة بعض الفتيات وتطيل الحديث معهن وانها في كل صباح تشتغل بازالة شعر من وجهها ٠ فاستدعت الطبيب وسلمتها اليه ليطلعها على حقيقة الأمر فعاد الطبيب اليها اصفر

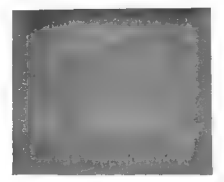
الوجه واخبرها انها « تلميذ » لا تلميذة. وعادت « المس رنه » وحمرة الخجل تعلو وجهها . وقد خافت السجن ولكنهم اطلقوا سراحها . ولم يصبها مكروه بسبب هذه الحادثة سوى انها استدعيت الى العسكرية لتنخرط في سلك الجيش بحسب النظام العسكري الذي يوجب على كل شاب الخدمة سنتين في الجيش . فذهبت الى محل القرعة العسكرية بثوب امرأة

واصل هذا الخطاء ان القابلة « الداية » اخطأت حين ولادة هذه الابنة في ذكر جنسها فنشأت كابنة . وقد رأينا رسمها في احدى جرائد باريز وارسلناه الى معمل صنع الرسوم هنا فاجاب انه يتعذر صنعه لانه غير واضح وضوحاً تاماً

وانه لأمر مضحك ويدعو الى التأمل والانتباه ان الرجال في العالم القديم يميلون الى ان يكونوا نساء . والنساء في العالم الجديد يملن الى ان يكنّ رجالاً . ولعل للوسط تأثيراً في هذا الشان

السامرية

« المسيح ومريم السامرية »



عثرنا اتفاقاً في مكتبة في الشارع الرابع عشر على رواية شعرية للشاعر الفرنسوي المشهور « ادمون روستان » عنوانها « السامرية » وهي من خيرة الروايات التي تمثلهـا

الاجواق الاوربية الكبرى وقد نظم فيها مؤلفها أشهر مبادىء الانجيل «تعاليمه في سياق رواية مدارها على المسيح ومريم السامرية التي لقيها على بئر قرب شكيم «نابلس» وسألها ان تسقيه . وقصتها هذه مشهورة في الانجيل فلا فائدة من اعادتها

ولم يجد المؤلف في روايته اجادة فوق المألوف الا في الحوار الذي جرى بينها وبين شعب نابلس حين عادت من البئر الى المدينة . فانه بينا كان الشعب مجتمعاً في الساحة والباعة ينادون ويعرضون سلعهم للبيع صاحت السامرية بهم : يا شعب نابلس لقد جاء النبي الذي تنتظرونه . انه هناك على البئر وقد قص عليّ تاريخ حياتي كلها . فضحك منها الشعب وتصدّى لها الكاهن السامري وقال اذهبي «وتمتّري وتخطّطي» واجلسي على باب بيتك فان هذا مما يليق بك لا الكلام في النبوّة والانبياء . فصاحت السامرية . انا استحق ما تقول من التقريع ولكن نفسي قد تغيّرت . فدهش الناس وقالوا : حقاً ان اعترافها هذا امر غريب ناشئ عن اعتقاد عجيب

ولما دنا منها صديقها الذي كان يعيش معها ليلومها على ابطائها على البئر صاحت به «عد عني ولا تقربني فاني اعرف كذب حبك ووادك» واخيراً يتبعها الشعب الى البئر بعضه يذهب مصدقاً وبعضه يذهب «للفرجة» ويقطفون في طريقهم اغصاناً وازهاراً ليستقبلوا بها النبي

وحين يرى المسيح هذا الجمع قادماً نحوه يلتفت الى مريم السامرية ويقول لها : انك ستكونين انت والتي ستمسح الطيب بشعرها عن قدمي خير تلامذتي «يعني بالمرأة الثانية مريم الجدلية التي تنشر رواية في الجامعة في موضوعها عنوانها «مريم قبل التوبة»

وقد قال رنان ان المسيح لفظ امام مريم السامرية على البئر اسمى قول خرج من فمه . فانها حين قالت ان السامريين يقولون ان عبادة الله يجب ان تكون على جبل غريزيم . وانتم «تعني اليهود الذين كانوا يكرهون السامريين ويقولون بنجاستهم» تقولون ان العبادة في اورشليم — اجابها

«ايتها المرأة قد جاءت الساعة التي يُعبد الله بها في كل مكان بالحق والروح»

قال رنان . هذه هي الديانة الابدية . وحين فاه المسيح بهذه الكلمة كان حقاً ابن الله . واذا كان في الاجرام السماوية اجرام مأهولة فان ديانتهم لا تكون

ارقى من الديانة التي وضعها المسيح في قوله هذا مهما كانت راقية
والرسم الذي نشرناه في هذا الفصل يمثل المسيح وهو يقول للسامرية هذا القول

الفيلسوف ابن رشد

ما كفى انهم اضطهدوه في حياته حتى قاموا يضطهدونه في مماته (١)

نشرت رصيفتنا الغراء مجلة البيان العربية التي تطبع في الهند فصلاً لجناب محمد الفاوق الهاشمي قرّع فيه تقريعاً شديداً الفيلسوف ابن رشد اعظم فلاسفة الاسلام ومؤسس الفلسفة الاوربية بعد ارسطو. ويظهر ان سبب تقريعه هذا اقتراح بعض علماء الهند تدريس كتب ابن رشد في دار علوم الندوة في الهند. واليك كلام الكاتب. قال

ان ابن الرشد هذا قد نسب الفرقة الاشعرية الى الغيّ والضلال. ولم يكترث بخرق اجماع كرام الرجال. ولم يبالِ بان يأتي ما لا يسعه الافئدة بالذكر ولا يطيق التحمل بالتفوّه به السنة المقال. حيث ذكر في كتاب (الكشف عن مناهج الادلة)

« قد رايت ان افحص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي حمل الجمهور عليها ونتحرّى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم بحسب الجهد والاستطاعة فان الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة كل واحد منها يرى انه على الشريعة الاولى وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح الدم والمال. وهذا كله عدول عن مقصد الشارع. وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة. واشهر هذه الطوائف في زماننا هذا اربعة. الطائفة التي تسمى بالاشعرية وهم الذين يرى اكثر الناس اليوم انهم اهل السنّة والجماعة. والتي تسمى المعتزلة. والطائفة التي تسمى الباطنيّة. والطائفة التي تسمّى بالحشوية »

(١) راجع كتابنا (ابن رشد وفلسفته)

ولا يخفي على المتبصّر الذي اتقن الكتب المتداولة ان ما اتى به هذا الرجل مخالف لما بين ايدينا من تحقيقات علمائنا شكر الله مساعيهم

وقال في مقام آخر بشأن بعض الاشاعرة « هم الكافرون الضالون في الحقيقة»

وهذا الكلام من ابن الرشد قد بلغ منتهى الغي عن الصراط السوي، ونهاية الهوي عن منازل المسلك القوي. فاذا اوتي كتابه في مدارس الطلبة وجرى على السنة الطلبة ما فيه من الهفوات والخرافات وقع الناس في شغب وهياج فانهم معترفون بعظمة شأن العلماء الكاملين من اهل دهلى ولكنه كمولانا عبد العزيز ووالده الكريم الشيخ ولي الله والفاضل عبد العلي والمولى نظام الدين رحمهم الله تعالى . والذين استحسن هؤلاء العلماء كتبهم في الدرس والتعليم كالقاضي عضد السعد التفتازاني والشريف الجرجاني وغيرهم. وهم مصرّحون بان الفرقة الناجية هم الاشاعرة قال في المواقف . اما الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم هم الذين ما انا عليه واصحابي فهم الاشاعرة والسلف من المحدّثين

فاذاً يرسخ في اذهان الطلبة بتعليم كتابه (كتاب ابن الرشد) في « دار علوم الندوة » ان الحق خلاف الاشاعرة فيرفضوا طريق السنّة والجماعة ويسيئوا الظن بعامة العلماء والفقراء (الصوفية) ويعودوا الى اهل الزيغان والالحاد

وهذا الرجل قد شمّر عن ساق الجد في ذم الامام الغزالي وقال « والذي يجب على ائمة المسلمين ان ينهوا عن كتبه التي تتضمن العلم الا من كان من اهل العلم . » وقال « هو اشعري مع الاشاعرة وفيلسوف مع الفلاسفة ولم يلزم مذهباً معيناً » واني ساوضح سخافة رأيه الفاسد ووهمه الكاسد في العدد القادم ان شاء الله تعالى » قلنا . ونحن ننتظر تتمة مقال الكاتب

﴿ الجامعة الاسبوعية في مصر وسوريا ﴾ كل قارئ من قرآء مجلة الجامعة لا تصله (الجامعة الاسبوعية) نرجو ان يطلبها منا او من وكلاء مجلة الجامعة لتقدّم اليه هدية مدة شهر وبعد ذلك تقطعها اذا شاء

ونرجو من حضرات القرآء في مصر ان يطلبوا (الجامعة الاسبوعية) هدية مدة شهر من وكيل الجامعة في القطر المصري جناب شمس الدين افندي الصحن في سوق الميدان بالاسكندرية فترسل اليهم حالاً

باب التقريظ والانتقاد

﴿ دولوروس ﴾ هي رواية غرامية ادبية تأليف الكاتبة كارلوتا برايمه عربها جناب الفاضل اسكندر افندي شمعون وطبعت بمطبعة رصيفتنا جريدة السلام

﴿ روايتان ﴾ الاولى دمعة محرقة بقلم جناب الفاضل جرجس افندي عساف والثانية (الجندي القديم) بقلم جناب ابرهيم افندي شحاده فرح . والروايتان طبعتا على نفقة جريدة ابي الهول هدية الى قرائها

﴿ وقائع الحرب ﴾ هي اربع قصائد في تاريخ حرب الروس واليابان نظمها جناب فارس افندي الخوري واهداها الى صديقه الدكتور حسيني افندي حيدر

﴿ تذكار راغب وصبري ﴾ هو ديوان لجناب الشاعر الناثر رشيد افندي مصوبع نشره تذكاراً لولائه لعطوفتلو ادريس بك راغب وسعادتلو اسمعيل باشا صبري وهما من اكارم المصريين وفي الديوان ابيات جميلة اخصها قصيدته في سوق احسان اقامها العذارى الاسرائيليات في اوتل كونتيننتال في مصر

﴿ اللآلىء السنية ﴾ هو كتاب وضعه جناب عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران واهداه الى سيادة المطران اثناسيوس عطا الله مطران حمص تذكاراً لحوادث الانتخاب البطريركي في سنة ١٩٠٦

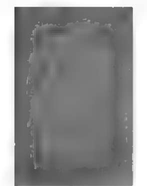
﴿ مدرسة رجاء الوطن ﴾ هي مدرسة في بشمزين (الكوره لبنان) انشأتها جمعية (رجاء الوطن الخيرية) واقامت لها ثلاثة معلمين لتعليم العربية والانكليزية والحساب والجغرافيا والخط وعينت لها ناظراً من اعضاء الجمعية . ولا شيء يسر انصار التقدم في الشرق مثل العناية بتعليم الناشئة الجديدة تعليماً منطبقاً على حاجاتهم ولذلك يحق لمديري تلك الجمعية الكريمة واعضائها النشيطين كل شكر وثناء

﴿ البحر المتوسط والتمدن ﴾ هو خطاب نفيس القاه جناب الفاضل انطون افندي الجميل محرر جريدة البشير في بيروت ومدرّس البيان في كلية اليسوعيين من قبل

باب الاخبار العلمية

الجهاز العصبي

طبيب في فيلادلفيا يشتغل سنة بتشريح جثة واستخراج الجهاز العصبي منها



من الاعمال الشاقة التي تدل على ثبات وصبر غريب ما عمله الدكتور روفوس وافر من اساتذة مدرسة هنمن في فيلادلفيا « الولايات المتحدة » فانه صرف سنة كاملة في تشريح جثة ميت لاستخراج الجهاز العصبي منها حتى ادق الشرايين كما ترى في هذا الرسم الذي يمثل الدكتور والجهاز الذي استخرجه . وهذا منتهى صبر العلماء . ولعلها اول مرة استُخرج بها الجهاز العصبي بهذه الطريقة من جثة بشرية

﴿ العلم يخلق الحياة ﴾ ألقى العالم المسيو لدوك خطبة في باريز قال فيها انه بدأ يظن ان العلم سيقدر على ايجاد الحياة . وقد جرَّب امام سامعيه تجربة بهذا الشان . فانه صبَّ في اسطوانة ملأى بالجلاتين الممزوج بقليل من فورسيانير البوتاسيوم والملح بضع ذرات مؤلفة من سلفات النحاس والسكر فاخذت هذه الذرات تنمو بسرعة غريبة بعضها بشكل اوراق نباتية دقيقة سريعة العطب وبعضها بشكل سوق كسوق النبات وبعضها بشكل النبات البحري . وقد قال الخطيب ان للنباتات التي

يوجدها بهذه الطريقة ثلاث مزايا خاصة بالجسم الحيّ . وهي التغذي وانتظام التركيب والنمو . وهي حساسة لان النور والحرارة يؤثران عليها . واذا خدشت تلتئم جراحها . ولا ينقصها الا مزية التنوع

وقد عرض العالم ديلاج على أكاذمية العلم في باريس تجربة له في ايجاد الفراخ من البيض الغير الملقح لانه من المشهور ان البيض لا يفقس عن الفراخ الا اذا كان ملقحاً . وقال انه ربى فراخاً بهذه الطريقة وان لم تعش مدة طويلة وقد ادهشت تجربته الاكاذمية

فاذا اطّردت هذه التجارب وكانت مبنية على اساس صحيح انكشف للبشر سرّ الحياة الذي افنوا عقولهم في البحث فيه

❊ الشيخ ابرهيم اليازجي ❊ لقد وفت الجامعة اليومية هذا الفقيد الكريم حقه من التأبين والترجمة في عدة اعداد فلم يبقَ لمجلة الجامعة الا ان تعرب عن اسفها العظيم لفقد اللغة العربية شيخها الجليل وعالمها الكبير والمجلات العربية صحافياً اشتغل بها في طلب العلم لذاته ولذلك لم يربح منها ربح من اشتغلوا بها لارباحها المادية . على ان الفقيد الكريم مع فشله في الصحافة لم يغير الفشل شيئاً من نفسه الكبيرة بل بقي حتى آخر ايامه مكتفياً بنفسه راضياً بمنزلته عندها . وسيبقى اثره خالداً فيها وان لم يضع ما كان في استطاعته ان يضعه فيها من الكتب المفيدة التي هو وحده قادر عليها . رحمه الله تعالى وعزى آله وتلامذته في مصابهم الجلل .

❊ الدرر ❊ هي منتخبات الطيب الذكر المرحوم اديب اسحاق الكاتب المشهور وقد اعاد طبعها جناب شقيقه الفاضل وعني بها عناية تستحقها . وقد صدر منها الآن الجزء الاول وهو يحتوي على منظومات الفقيد ورسائله وخطبه ورواية اندروماك . ولا ريب ان الادباء يقبلون على اقتناء هذه الطبعة الجديدة التي هي خير طبعة لدرر الاديب

❊ مريم قبل التوبة ❊ لم ننشر (رواية مريم قبل التوبة) في هذا الجزء وموعدنا بها الجزء التالي

مؤلفات (فرح انطون) صاحب الجامعة

❋ ابن رشد وفلسفته ❋ وفيه ترجمة فيلسوف الاسلام العظيم ابن رشد وتاريخ نفيه لاشتغاله بالفلسفة وتاريخ فلسفته في اوروبا وعند اليهود ورسمه ورسم قرطبة مدينة الفلسفة وردود المفتي محمد عبده على الجامعة وردود الجامعة عليه. ثمنه ريال وربع وعدد صفحاته ٢٢٨ صفحة

❋ اورشليم الجديدة — او فتح العرب بيت المقدس ❋ هي رواية غرامية تاريخية فلسفية اجتماعية فكاهية فيها تاريخ فتح العرب بيت المقدس وتاريخ سلطنة بزنطية (القسطنطينية) واسباب ضعفها وسقوطها وتتخلل ذلك مباحثات سياسية ودينية واجتماعية في احوال الامم الثلاث اليهود والمسيحيين والمسلمين. ثمن الكتاب ريال وربع وعدد صفحاته نحو ٢٠٠ صفحة

❋ الوحش الوحش الوحش — او سياحة في ارز لبنان ❋ رواية اجتماعية فلسفية ادبية فكاهية موضوعها سياحة في ارز لبنان وفيها وصف الارز الذي يتقاطر الناس لمشاهدته من اميركا واوربا ورسمه وتتخللها قصة فكاهية ادبيه ورد فيها كثير من وصف عادات لبنان. ثمنها نصف ريال

❋ تاريخ المسيح ❋ معرب عن الفيلسوف رنان تعريباً مختصراً يزيل منه كل ما لا يجب نشره وفيه مقدمة طويلة لصاحب الجامعة. ثمنه ريال

❋ الدين والعلم والمال ❋ فيه بحث فلسفي في المسألة الاجتماعية باسلوب رواية وذكر ما بين الدين والعلم والمال من التنازع ثمنه نصف ريال

❋ الكوخ الهندي ❋ رواية فلسفية مزينة برسوم موضوعها اين نجد الحقيقة وكيف نجدها وفيها وصف بلاد الهند وبراهمتها. ثمنه نصف ريال تحت الطبع

❋ بولس وفيرجيني ❋ رواية طبيعية ادبية فلسفية حبية مزينة برسوم عديدة موضوعها اين نجد السعادة الحقيقية وهي اشهر رواية في القرن الثامن عشر. ثمنها نصف ريال

❋ رواية ابن الشعب ❋ هي رواية سياسية اجتماعية يمثلها جوق الشيخ سلامه في مصر وقد لخصناها في الجامعة

❋ نهضة الاسد ❋ هي اربعة اجزاء في اسلوب رواية سياسية غرامية تبحث في تاريخ الثورة الفرنسوية واعمال اعاظم رجالها

❋ البرج المائل ❋ هي رواية سياسية غرامية يمثلها جوق الشيخ سلامه في مصر وتمثل ما كان في فرنسا في عهد الملكية من المظالم


Google





تلميذ ياباني وتلميذة اميركيةً

في مدارس سان فرنسيسكو

وضعوا هذا الرسم لتمثيل اصل الخلاف بين اليابانيين والاميركيين في سان فرنسيسكو. فهو يمثل تلميذًا يابانيًا بالغًا ضخم الجثة وفتاة اميركية نحيفة لا تتجاوز السنة الخامسة من عمرها · وقد قصدوا به تحريم ان يتعلم هذا التلميذ الضخم البالغ مع تلك التلميذة الصغيرة على مقعد واحد مع ما في عمريهما واخلاقهما من الاختلاف · فكان هذا اصل ثورة اهل سان فرنسيسكو على اليابانيين مع اسباب اخرى غيره

بحث مفيد

في

موضوع جديد

بقلم

جناب العالم الفاضل الاستاذ جبر ضومط

مدرس البيان في الكلية الاميركية في بيروت

اتحف جناب الاستاذ ضومط قراء الجامعة برسائل متناهية في الاهمية في موضوع مبتكر لم يطرقه كاتب قبله وهو يشمل التاريخ القديم ومنه التاريخ الاسلامي . وليست رسائله هذه الا تمهيداً لرسائله في الدول الاسلامية وقيامها وما طرأ عليها . ولا ريب ان قراء الجامعة يشتركون معها في شكر حضرة المؤلف الكريم لتفضله عليها بهذه المباحث الجليلة ويرون ان ما ذكره في مقدمته عن استعجال الجامعة له واعتذاره اليهم انما هو من اتضاع العلماء المشهور ليس الا . واليك الملزمة الاولى من هذه الرسائل

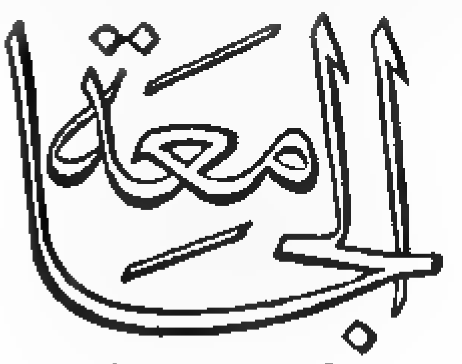


—* المستر روزفلت *—

رئيس جمهورية الولايات المتحدة

تذكار احترام لنزاهته وجرأته على محاربة التنين في بلاده

اطلب خطبته في الصفحة «٤٠٨»



الجزء ٧ السنة الخامسة

مجلّةٌ اجتماعيةٌ علميّةٌ تهذيبيةٌ تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٧ ٢٤ رجب ١٣٢٥

تعليل جديد للزلازل

رأي عالم اميركي يقول فيه ان السبب في حدوث الزلازل تغير محوَر الارض

(لكاتب فاضل)

قرأت مقالة لاحد علماء الاميركان المستر كارت سرفس يعلل فيها بعض الاضطرابات الارضية كالزلازل والهزات ونحوها بتغيير محوَر الارض فرأيتُ ان انقلها لقراء مجلة الجامعة لحسن التعليل الذي تضمنه وقربه الى حكم العقل . ولما كانت هذه المقالة موجزة التعبير كأنها لم تُكتب الا لاهل العلم آثرت ان اتصرف بها بعض التصرف لاقربها الى افهام العموم الذين ليس لهم اطلاع على العلوم الفلكية والجيوية ونحوها مما اسند اليه المستر سرفس تعليله . ولهذا امهد الى الموضوع بمقدمات بسيطة عن بعض حركات الارض الدورية وعن بعض الحقائق الجوية الراهنة . وثم ابسط في تعريب المقالة المذكورة مدمجاً في خلاله شرح ما لا بد من شرحه

شكل الارض

كلٌّ يعلم ان شكل الارض كروي . ولكنه ليس كرويًا تامًّا مثل كروية الطابة التي يلعب بها الاحداث بل هي « مبعوجة » من القطبين ومنتفخة من الوسط ولكي تتمثلها جيدًا خذ تفاحة وانظر اليها وتصوَّر ان الارض مثلها تقريبًا فكان عرقها ومكان زهرتها هما قطباها . أفلا تراها انها ممتخة وان قياسها من العرق الى الزهرة اطول من قياسها من بطنها الواحد الى بطنها الآخر الذي يقابله . هكذا الارض

اما انتفاخ الارض وانبعاجها عند قطبيها فسببه

دورتها المحوريَّة

وقبل تعليل الانتفاخ نبسط للقاري، الدورة المحورية وهي دوران الارض على نفسها. ادخل سلكًا قاسيًا في التفاحة من عرقها الى زهرتها وادرها باصبعك حول السلك فتتمثل لك الارض دائرة على محورها . وما محوَر الارض كالسلك الذي ادخلته في التفاحة بل هو خط وهمي نتخيله ممتدًّا من قطب الى قطب والارض تدور عليه . ولهذا نقول الارض تدور على نفسها

انتفاخ الأرض

اما سبب انتفاخ الارض فهو دورتها على محوَرها او على نفسها ولكي يتضح لك السبب خذ قضيبًا قاسيًا من حديد او خشب وخذ سلكًا رقيقًا مرنًا والوه على شكل قوس نصف دائرة والوِ طرفيه على شكل حلقتين ثم ادخل القضيب في الحلقتين وامسك اسفله بيدك والحه بحيث يدور ذلك السلك المقوَّس بسرعة حول القضيب فترى انه كلما اسرع دوران السلك حول القضيب تقاربت حلقتاه وبعد ظهره عن القضيب وذلك لان ظهره وهو يسرع في الدوَران يحاول ان يرتمي عن القضيب لو يستطيع

هكذا الارض وهي تدور على محوَرها يحاول ظهرها ان يرتمي عن مركزها . وربما نقول ان الارض قاسية لا مرنة حتى تنتفخ هذا الانتفاخ اقول انها ما اخذت هذا الشكل وهي يابسة بل اخذته يوم كانت مواد مصهورة ذائبة كمادة الشمس فبرزت على هذا الشكل ولو توهمنا الآن انها وهي يابسة جعلت لداع من الدواعي تسرع في دورتها اضعافًا بحيث تنتفخ اكثر مما هي منتفخة لتكسَّر سطحها الذي هو قشرة متجمدة حول داخلها الذائب

دورة الارض الفلكيَّة

ثم ان الارض بينما تكون دائرة على محوَرها او على نفسها تكون سابحة في طريق في الفضاء وهذا الطريق الذي تسبح فيه انما هو دائرة (تقريباً) وهمية حول الشمس ويسمى فلك الارض حول الشمس. قلنا « تقريباً » لان تلك الدائرة التي تخطها الارض في الفضاء حول الشمس ليست مستديرة تماماً بل مستطيلة لاسباب لا محل لذكرها هنا . ولكي نتمثل دورة الارض حول الشمس تصوَّر ان تفاحة موضوعة في ماء بركة مستديرة عند حائط البركة وتصورها تسبح الى جانب الحائط المستدير وفي وسط البركة عمود واصل الى قرب سطح الماء وعلى رأسه كرة غاطسة الى نصفها في الماء فهذه الكرة تمثل الارض لك الشمس والتفاحة السابحة على بعد عنها اي عند حائط البركة تمثل لك الارض تدور حول الشمس

ميل الارض

ثم افرض ان التفاحة التي في البركة ثقلت عند جانب من جوانبها قرب عرقها . وعليه يكون عرقها الى اسفل وزهرتها الى فوق الماء وبما انها مثقلة من جانب تكون زهرتها مائلة نحو الماء اي انك لو ادخلت سلكاً رقيقاً من زهرتها الى عرقها لما كان السلك عمودياً على الماء بل مائلاً

هكذا الارض وهي تدور في فلكها حول الشمس يكون محوَرها مائلاً على ذلك الفلك وقطب مبتعد عن الشمس وقطب مقترب

تمايل الارض

يقول المستر مرفس ان الفلكي الاميركي المستر تشاندلر اثبت ان الارض تتمايل بطيئاً في اثناء دورتيها المحورية والفلكية اي ان ميلانها على فلكها يختلف حيناً بعد آخر اختلافاً زهيداً فتارة يكون ميلانها على الفلك متزايداً وطوراً يكون ميلانها متناقصاً كأنها تبتغي الاعتدال على فلكها فاذا تصوَّرناها تتمايل هكذا وهي دائرة دورتها تصورنا لها حركة مغزلية اي كحركة المغزل الذي تفتله الغازلة فلا يعتدل في دورانه على نفسه حالاً بل يتمايل قليلاً وهو مسرع في دورانه

وبتعليل المستر مرفس لهذا التمايل علل لنا تعليلاً بديعاً جداً اسباب اضطرابات الارض وهاك شرح تعليله

تفصيل رأْي العلاَّمة سرفس

ان هذا التمايل الذي لوحظ في محوَر الارض نبه الانظار حيناً بعد آخر الى ملاحظة اخرى وهي انه كان لذلك التمايل شأن في الايام الاخيرة في الاضطرابات الارضية كالزلازل وثوران البراكين ونحوها

وبقطع النظر عن هذه الملاحظة نجد ان اختلاف المحوَر وتنقل القطبين من مكانهما درسٌ مستقل يلذ لمحب الاطلاع والمعرفة فضلاً عن انه يريبنا ان الارض خاضعة لاضطرابات لم يكن يحلم بها في الاجيال السابقة وتؤيد الرأي في ان محوَر الارض تغير من مكانه مراراً في الاجيال الغابرة ويمكن ان يقاسي مثل تلك التغيرات في الاجيال المقبلة

وقد ثبت ان الاراضي الباردة في المناطق المتجمدة تمتعت في الاجيال الغابرة بطقس داف وكان يأهلها جانب من الحيوانات والنباتات التي لا تعيش فيها الآن . فهذه الحقيقة لا تعلل الا بان محوَر الارض كان يتخذ جهة اخرى غير جهته الحاضرة . واي تغير في اتجاه محوَر الارض يفضي الى تأثيرات عظيمة على سطحها فانه ينقل الطقس الواحد من بقعة الى اخرى اي ان البقعة التي تكون باردة جدًّا تدفأ قليلاً والتي تعد ادفأ منها تصبح ادفأ ايضاً والتي وراءها قد تشتد برداً . ولا يبعد ان تغير المحوَر يرفع قعر البحار ويخفض قمم الجبال وربما غير نظام سطح الارض وتاريخ حياتها

ولهذه الاسباب يلذ لنا ان نبحث عن التغيرات الملاحظة في موقعي القطبين وهي ما اتفق الفلكيون اليوم على تسميتها « بتغير خطوط الطول » وقد ثبت منذ عشرين سنة ان خطوط الطول تتغير حيناً بعد آخر . والفضل في ثبوت ذلك لابحاث الفلكي الاميركي تشندلر . على ان سبب هذا التغير لم يتحقق جيدًّا ولكن ظنَّ انه ناجم عن تنقل الثقل في قلب الارض او على سطحها او عن اختلاف الكثافة في احدهما

والارجح ان نقل الهواء الثلوج الى اليابسة في القطبين هو احد الاسباب وربما كان اجلها . فان الهواء يمتص الماء من المناطق الحارة بخاراً ويمضي به الى المناطق الباردة حيث يتقلص وينعصر فيتساقط الماء ثلجاً وهناك لا يذوب لشدة البرد فيتراكم على مرور الاحقاب

وقد ثبت من الاكتشافات والتحقيقات القطبية ان قطب ابرد بقعة في نصف الكرة الشمالي غير متفق مع القطب الجغرافي اي ان القطب الحقيقي غير ما حسبه الفلكيون قطباً للارض وربما كان الامر كذلك في القطب الجنوبي وهذا الاختلاف واقع في القطب

المغنطيسي ايضاً

فلنفرض اذاً ان مقداراً عظيماً من الثلج والجليد تجمع على جانب واحد من القطب الشمالي (اي على اليبس لانه في البحر يغرق قسم منه ويدفع الماء الى الجنوب) فتجمعه الكثير هناك يفضي بلا محالة الى تغير مركز الثقل في الكرة الارضية · كما لو اضفت الى جهة من دولاب متوازن الجهات ثقلاً فلا يتوازن الدولاب « كما كان قبلاً ما لم تقرب محوره قليلاً الى جهة الثقل » وهكذا ينتقل محور الارض من نقطة الى نقطة · ولا ريب ان زيادة الثقل على جانب من الارض يضطرها بسبب قوة الانتفاخ عن المركز ان تدور على محورها الاول و بالتالي يصبح القطب نفسه الذي كان ثابتاً يدور حول نقطة اخرى جديدة صارت مركز الدائرة ومنتهى المحور

لتفهم ذلك جيداً اذا رجعت الى الدولاب او القرص الذي يدور على محور وهو متوازن حول ذلك المحور فاذا اثبت في جنب منه جسماً ثقيلاً كرصاص اوغيره وجعلت الدولاب يدور على محوره المعتاد فتراه يحاول ان يقتلع محوره من مكانه الى الجهة التي يندفع فيها الثقل المثبت بالدولاب · واذا كانت سرعة الدور عظيمة والجسم المضاف اليه ثقيلاً جداً فلا بد ان يخلع المحور من مكانه او يكسره

ولكن لما كانت الارض حرة في دورتها في اي الجهات وليس لها محور مثبت في جانبي الفضاء لتدور عليه فتأثير اختلاف الثقل على جانبها يوجب تغير اتجاه محورها لكي يحفظ موازنتها حوله و بالتالي يصبح كل من قطبيها دائراً حول قطب آخر ومحورها الاول يدور حول محورها الجديد دورة مغزلية

على ان هذه الدورة المغزلية التي اكتشفها الفلكيون زهيدة جداً · على انها مهما كانت زهيدة فانها كافية لان تفضي الى نتائج محسوسة على سطح الارض وفي قلبها

اما تغير اتجاه المحور فيستدل عليه من ملاحظة النجوم · خذ النجم القطبي مثلاً واعتبر انه في مقابل القطب الشمالي فاذا انجذب القطب الى جانب آخر بسبب تغير قوة الانتفاخ والمحور الناجم عن زيادة الثقل على جانب من القطب دون جانب فلا يبقى نجم القطب متجهاً الى القطب كما كان سابقاً بل يصبح القطب كأنه يرسم دائرة حول ذلك النجم

وهذا التغير في انتفاخ الارض ومحورها وقطبيها يفضي طبعاً الى تغير خطوط الطول « الجغرافية » ايضاً اذ تنحرف من مواضعها تبعاً لانحراف القطبين وكذلك تنحرف خطوط العرض · وقد لوحظ من جراء التحقيقات الفلكية شيء من هذا الانحراف

وقد عُرف ان القطب لم ينتقل من مكانه اكثر من ٣٠ الى ٤٠ قدماً فقط وفي بعض الاحيان كان انتقاله ابعد من ٤٠ قدماً واحياناً اقرب من ٣٠ وعليه كانت الدورة المغزلية كبيرة بعض السنين وصغيرة بعض السنين . ولو كان هذا التغير اميالاً لا اقداماً كما رأينا لكان تأثيره على سطح الارض مخيفاً جداً

وقد احتجَّ بعضهم على ان هذا التغير يؤدي الى الزلازل ونحوها . ولا يخفى ان هذا الموضوع لا يزال يحتاج الى بحث دقيق للبت والجزم فيه . وبالنظر لما حدث في الماضي وما يمكن ان يحدث في المستقبل يقال انه قد ثبت انه في الدور الجليدي قد تجمع جبال من الثلج في نصف الكرة الارضي الشمالي وكانت لذلك الحين اميركا الشمالية الى تخوم نيويورك مدفونة تحت الوف الاقدام من الثلج والجليد أفلا يمكن ان هذا الثلج العظيم المجتمع على جانب من الارض يغير توازنها ؟ من غير بد يغيره اذا كان على جانب واحد من القطب

وعليه يجب ان يحسب حساب للعصر الجليدي الذي كانت فيه اصقاع عظيمة مغطاة بالثلج والجليد احقاباً طويلة وقد اصبحت الآن يبساً . وفي رأي كرول الذي علل الدور الجليدي ان هذا التجمع لا بد ان يحدث مرة اخرى في المستقبل ايضاً . ولكن الاسباب التي تدعو اليه ستكون بطيئة جداً

وهناك اسباب اخرى غير نظامية تؤثر على الارض ويجهلها العموم وتحير الفلكيين . فامثال ذلك نيوكم مثلاً فانه نبه الافكار الى ان الارض كانت في احيان اسرع دوراناً من احيان . وكذلك للقمر حركات غير نظاميه فانه كان في احيان اسرع دوراناً حول الارض من احيان . فاذا حسبنا حساباً لان الارض تقلصت تارة وتمددت اخرى (على نحو ما تقدَّم تبيانه) من غير ان تزيد مادتها او تنقص ودورانها كان متغيراً والقمر يقرب اليها تارة ويبعد اخرى فسرعة كل منها في دورته يمكن التبحر تعليلها . على ان هذه التغيرات دقيقة جداً ولكن ملاحظتها تدل على دقة ملاحظة الفلكيين وحساباتهم

فلسطين واشهر بلدانها

لجناب نجيب افندي نصار في طبريا

جلبوع

« حيث قتل شاوُل ورثاه داوُد »

اما الطريق من جنين الى الناصرة شمالاً فتمرّ بجانب سراي الحكومة فمستودع العسكرية في اول السهل على مشهد من جبال جلبوع الى اليمين وهي من اطراف جبال السامرة المتدلية الى السهل . وامامها وقعت الواقعة الدموية بين الفلسطينيين والاسرائيليين فانهزم هؤلاء شر هزيمة ولم يلووا الى الوراء وقُتل اول ملوكهم شاوُل وولي عهده يوناثان على هذه الجبال إذ فرّا اليها ليختبئا في احد كهوفها واوديتها عن عيون الاعداء فرثاها داوُد برثاته المشهورة التي قال فيها « يا جبال جلبوع لا يكن طل ولا مطر عليكنّ ولا حقول تقدمات لانه هناك طُرح مجن الجبابرة الخ » وفي اسفل هذه الجبال من جهة الشرق نبع ماء غزير يتدفق من مغارة كبرى و يجري الى الجهة الجنوبية الشرقية حتى بيسان فيسقي حقولها و بساتينها وهو يدعى

نبع الجالود

واقد اجمع الكتبة على انه نبع جدعون بن يواش خامس قضاة الاسرائيليين الذي ضرب مديان وعماليق بثلثمائة رجل ولغوا من هذا الماء بالسنتهم كما هو مذكور في الاصحاح العاشر من سفر القضاة وانتقام لذلك جدعون من العشرة آلاف بطل الذين وصلوا معه الى هذا النبع وصرف الباقين وهاجم معسكر الاعداء بهؤلاء الثلثمائة بحيلة دلت على ذكاء جدعون من وجه ومن وجه آخر على الضعف الانساني الذي يستسلم للخوف و يؤخذ بالدهشة فيلقي بنفسه الى التهلكة دون تروٍّ او مداومة

زرعين

وبعد مسير نحو ساعتين من جنين شمالاً تصل الى قرية زرعين التابعة لقضاء جنين واسمها محرّف من يزرعل لسبط يساكر وبلدة الملكة ايزابل ابنة ابثيعل ملك صيدا وامرأة اخاب سابع ملك من ملوك المملكة الشمالية . وهي بلدة ذات مركز متوسط في السهل قائمة على دكة صخرية هي طرف جبال جلبوع تُشرف عليه كله و يقابلها من الجنوب بيسان وحصنها ومن الشمال جبال الجليل السفلي والناصرة ومن الغرب جبل الكرمل ومن الشرق جبال عجلون . وقد بنى فيها اخاب قصراً انيقاً واغتصبت ايزابل كرم نابوت اليزرعيلي وجعلته بستاناً امام القصر بعد ان قتلت نابوت رجماً بالحجارة . وزهت يزرعيل في ايام آخاب وامرأته ايزابل كثيراً حتى فاقت جميع مدن المملكة الشمالية ولكنها ما لبثت ان تقلص مجدها بعد موتها . وورد ذكرها في سفر يهوديت باسم « ازدي يلون » ولم يعلق الكتبة اهمية عليها ومن ذلك يُفهم انها خسرت كل شهرتها . اما اليوم فهي بلدة حقيرة يسكنها نحو مائة وخمسون عيلة من المسلمين المزارعين في بيوت حقيرة مبنية بالحجارة الصغيرة والطين وهي قذرة جداً ونظن ان مزبلتها الشاهقة قائمة في مكان قصر ايزابل الانيق . ووراءها من جهة الشرق مدافن اسرائيلية منقورة في الصخور و بقايا معاصر عنب و بالقرب منها آثار رومانية

شولم

على مسافة نحو ساعة الى الشمال الشرقي من زرعين والطريق اليها تمرّ بخط شعبة خط حيفا الحديدي بلد لبساكر ايضاً واسمها محرّف عن شونم القديمة بلد المرأة الشونمية العاقر التي بحسب رواية العهد القديم « سفر الملوك الثاني الاصحاح الرابع » رزقها الله تعالى ولداً من اجل حسن ضيافتها لنبيه اليشع . وبعد ما كبر الولد مات واعاده لها اليشع حياً . وورد ذكر شونم ايضاً في العدد الثالث عشر من الاصحاح السادس لانشاد سليمان . وهي اليوم قرية زراعية صغيرة فيها نبع ماء جيد وبساتين صغيرة وكثير من الصبير

حرمون الصغيرة

اما الجبل القائم وراءها من جهة الشرق فيدعى الدحي نسبة الى احد اولياء المسلمين المسمى بهذا الاسم وهو مدفون على قمة الجبل . وقد غلط جيروم فيه فظنه جبل حرمون فصار الكتبة منذ ذلك العهد يسمونه حرمون الصغير

نين

اصل اسمها نايين واقعة في سفح الجبل من جهة الشمال على مسافة نحو ساعة من سولم وهي بلد الارملة التي اقام فيها السيد المسيح ولدها من الموت على ما رواه لوقا في الاصحاح السابع من انجيله وهي بلدة زراعية صغيرة في ضواحيها عدة من مدافن صغيرة منها مغاور مالوف ذات المدافن المتعددة المنقورة في صخر واحد

اندوز

واسمها في التوراة عين دور بلدة ساحرة شاول التي جاءها قبل محاربة الفلسطينيين لتقيم له صموئيل النبي من القبر وقد كانت في سبط يساكر ولكنها وقعت في نصيب منسي (يشوع ١٧ : ١١) قال يوسيبيوس في القرن الرابع انها كانت بلدة كبيرة اما اليوم فهي قرية زراعية واقعة في لحف الدحى الشرقي

اما الطريق من سولم الى الناصرة فتمر بجانب جبل الدحي من الجنوب الى الشمال قبالة قريتي ,, الغولة والمغولة " احدى محطات الخط الحديدي الحجازي ويرجح من موقعها ووجود المياه الارتوازية فيها انهما حفا رايم . وهو الاسم العبراني للحفرتين اللتين ورد في يشوع انهما من قرى يساكر

سيدات مصر وسيدات نيو يورك

السوريات

بقلم المدموازل روزا انطون صاحبة مجلة السيدات

السيدات اينما كن هن ملكات ومالكات بكل معنى الكلمة . ويملكن باستحقاق وحيثما حللن تحلّ السعادة والهناء . فكيف يكون العالم لو لم تكن فيه

تلك الملكات ؟

لا شك ان سيدات نيويورك يروق لهن سماع اخبار اخواتهن في وادي النيل كما يروق لاولئك سماع اخبار سيدات نيويورك . واحب شيء اليَّ ان اكون واسطة تعارف بين الطرفين . فأبداء كلامي هنا عن سيدات مصر ثم اتكلم عن سيدات نيويورك . ولا شك ان سيدات مصر يسمحن لي ان اقول بحرية كل شيء لانهن هكذا عودنني . السيدات في مصر كما في كل مكان ثلاث طبقات عليا ومتوسطة ودانية وبوجه الاجمال اقول ان كل سيدات هذه الطبقات عائشات براحة وسكينة وهدوء عائلي وهنَّ مسرورات سعيدات قانعات باحوالهن وبمقامهن في الهيئة الاجتماعية . وقد نالت المرأة في وادي النيل مقاماً سامياً بواسطة علمها وتهذيبها فهي معززة بهذا المركز فترى الامر والنهي لهن في كل الامور الا فيما يحط من شأنهن ومنهن تتألف الهيئة الحاكمة في الاذواق فاذا اغضبهنَّ امر اصبح ذلك الامر مبتذلاً من الجميع . اما الطبقة العليا من الغنيات فهي الطبقة العليا المترفعة المتأنقة المتفرنجة فتجد سيداتها لا يعاشرن الا من كانت مثلهن ويتجنبن كل اعمال اليد والاشغال البيتية . فترى للسيدة منهن الطباخين والخدامين والمربيات والمرضعات والمعلمات . ولذلك لا تعرف السيدة شيئاً في البيت الا اصدار الاوامر لجيش الخدامين . وبنات هذه الطبقة يتعلمن اللغة الافرنسية والانكليزية اما العربية فلا نصيب لها بينهن بل قد استعضن عنها باللغة الافرنسية . فترى الجميع لا يهتمون بتعلمها ولا التكلم بها حتى اصبحت البنات حين يتكلمن باللغة العربية كانهن اجنبيات يتلفظن اللغة العربية . فكل حديث الصالونات (اي قاعات الاستقبال) هو بالافرنسية لان اللغة العربية « موضة قديمة » . وهذه الطبقة تتمسك بكل ما هو افرنجي

وتتقنه فتراهن يحسنّ الكلام بهذه اللغة كالافرنسيات ويتقنّ الرقص الافرنجي والبيانو واشغال اليد الجميلة وآداب السلوك على نسق اوروبي . واعرف جيشاً من البنات من عمر ٥ سنوات فصاعداً يذهبن الى مدرسة خصوصيــة لتعلم الرقص والغناء ويرقصن كاميرات الراقصات . وهكذا ترى بيوتهن وترتيبهن وتربيتهن وعاداتهن ولبسهن وزياراتهن على نسق اوروبي محض وقلما تجد عندهن العادات السورية القديمة

اما الطبقة الوسطى فانا نجد بينهن المتعلمات والمحافظات على بعض عاداتنا الشرقية ولكن هؤلاء يقتبسن عن سيدات الطبقة الاولى اكثر تصرفاتهنّ وتانقهنّ فما هنّ الا صورة صغيرة للطبقة العليا . اما الطبقة الدانية اي الثالثة فهي الطبقة التي لا صوت لها ولا كلام وكل همها محصور في اشغالهن البيتية وشؤونهنّ المنزلية بنشاط وامانة

والمعيشة سهلة للطبقة الدانية اينما وجدت لانها لا تبالي بأمر والطبقة العليا يسهل عليها المعيشة ايضاً اينما وجدت لانها لا يهمها امر بقيت الطبقة المتوسطة التي لا يمكنها ان تبلغ شأو الطبقة العليا ولا يمكنها ان تعمل اعمال الطبقة الدانية ولذلك هي مظلومة ليس في مصر فقط بل اينما وجدت

انما الامر الذي تشترك فيه الطبقة العليا والمتوسطة بمصر هو التقليد الاعمى كالازياء ولعب البوكر فترى السيدات من طبقات مختلفة تجمعهنّ طاولة البوكر فالغنية تخسر ١٠٠ جنيه (٥٠٠ ريال) في الجلسة الواحدة ولا يهمهـا امرها في حين ان المتوسطة تخسر جنيهاً او جنيهين فيهمها ذلك . وعلى هذا قس كيفية تقليد الطبقة الوسطى للعليا وضررها وظلمها

وضربة لعب البوكر ضربة شديدة بهذا المعنى خصوصاً . وما قصدي هنا

ان اوضح ضرر البوكر لان سيدات مصر يلعبن به وهن عارفات ضرره كل المعرفة · وقد قالت لي احدى اللاعبات المشهورات انني اعرف ضرر البوكر كل المعرفة واكثرنا يعرف ذلك ولكن مع معرفتنا هذه نلعب لنقطع الوقت فان ذلك افضل من ان نقطعه في الكلام بالنميمة بفلانة وفلان · فماذا تظن سيدات نيويورك ؟ هل هنَّ مصيبات ؟

ولكن سيدات مصر كفين الناس شرهنَّ ولكن لم يمنعن خيرهنَّ مع لعبهنَّ بالبوكر · فانهن بالرغم من صرف كل وقتهنَّ باللعب فانهنَّ يستطعن تخصيص وقت يعملن به اشرف الاعمال وافضلها · فان لهنَّ جمعيات خيرية متنوعة منها جمعية خيرية للسيدات تأسست بالاسكندرية منذ سنتين وجميع اعضائها من الفتيات الذكيات ربات الذوق والجمال · وهن يجتمعن كل يوم ثلاثاء من كل اسبوع للخياطة في بيت احدى الاعضاء العاملات فيجتمع اكثر من ٥٠ سيدة في غرفة واحدة فيخطن ثياباً لكسوة المساكين فترى اغنى السيدات التي لم تمسك بيدها قط خياطة ثيابها تمسك (البستونه) (والخام) وفي وسطها (مريول) ليحفظ ثيابها من الغبار وهي تشتغل بكل قواها حتى الساعة الثامنة مساء · ولجمعيتهن اعمال عظيمة ومساعدات كبيرة · فان كبيرات هذه الجمعية واغناهن يتركن بيوتهن ليلة الاعياد الكبرى كعيد الميلاد ورأس السنة ويطفن على منازل الفقيرات المنزويات في بيوتهن بدون ان يعلم احد بهن ويفرقن عليهنَّ حلوى ودجاجاً لغذاء العيد وملابس · ولا يسمعن باحدى الفقيرات وبتركنها بدون مساعدة و يبحثن عن محل هؤلاء ليساعدوهنَّ · وترى ازواج هؤلاء السيدات يساعدون الجمعية بكل الوسائل الممكنة · ومن النوادر بهذا الشأن ان الخواجه امين كرم زوج نائبة الرئيسة نظر زوجته تخيط على الماكنة (آلة

الخياطة) ثياب الفقيرات بغير وقت الخياطة المعينة في الجمعية فبدل ان يقول لها لماذا تتعبين نفسك باشغال كهذه طلب منها ان تقوم عن الماكنة وجلس هو مكانها وقال عليني لاكمل (تنبيت) هذا الثوب ففعلت مدامته ذلك فصارت السيدات يضحكنَ ويقلنَ : ياسعد من ستلبس هذا الثوب . . .

وقد جمعت هذه الجمعية مبلغاً يُذكر من المال وهي شغل لهنَّ فعسى ان يستمررن في طريقهن الخيرية الحسنة ولا يضجرن منها في المستقبل

وعليه نرى ان سيدات مصر السوريات في طبقة عليا من الرقي مادياً وادبياً · ولهنَّ مكانة عظمى عند العائلات الاوروبية · وهنَّ يعاشرنهنَّ ويعاملنهنَّ معاملة النظير للنظير · ومن يترك مصر ويأتي نيو يورك يعلم ان السيدات السوريات حيث وجدن هنَّ قادرات ان يجدن طريقهنَّ بحسب ما تقتضيه الحال واحوال البلاد بدون ان تقف عثرة في سبيلهنَّ

وصلت الى نيويورك فوجدت السيدات بانهماك وافتكار لتأسيس جمعية نسائية وقد فهمت ذلك من اول زيارة لحضرة السيدة الفاضلة مسز نعمه تادرس التي هي مثال الزوجة الفاضلة والسيدة الكاملة · وقد افتتحت حضرتها هذا المشروع بدعوة الى منزلها فكانت تلك الدعوة فاتحة جلسات الجمعية وبدء تأليفها · وساخصص مقالتي التالية بسيدات نيويورك الكريمات

هذه اول رسالة اكتبها بعد تركي مصر العزيزة وفيها ارسل اذكى السلام الى القارئات الكريمات فيها

(روزا انطون)

القديس جاورجيوس

يصرع التنين

— ام التنين يصرعه —

المستر روزفلت ومصارعته الشركات

كما نهض جاورجيوس في الاساطير الدينية لمحاربة التنين الهائل وتمكن من قتله كذلك نهض المستر روزفلت رئيس هذه الجمهورية العظمى لمحاربة شركات السكك الحديدية وشركات الاحتكار الصناعية

ولكن هل تصرعه ام يصرعها ؟

ذهب الرئيس روزفلت في ٢٠ آب „ اغسطس " الماضي الى بروفنستون من اعمال ولاية ماستشوتس للاحتفال باقامة تذكار لدخول اول نزالة انكليزية حلت في ماستشوتس في القرن السابع عشر وكانت من المذهب البوريتاني وقد طردها الانكليز من انكلترا · فالقى الرئيس خطبة كان يتوقعها الناس منذ زمان طويل · فبعضهم كان يقول ان الرئيس روزفلت بعد ما رآه من هبوط الاوراق في بورصة نيويورك بسبب حملاته السابقة على الشركات سيخفف في هذه الخطبة لهجته · وبعضهم كان يقول انه لا يخفف منها شيئاً ·وقد صدق حدث الفريق الثاني · واليك خلاصة هذه الخطبة التي سُجلت في تاريخ الولايات المتحدة كشهادة باستقامة الرئيس وجرأته واقدامه على الامور العظام· قال

انه لا يرجع في شيءٍ مما قاله بهذا الشأن · فانه يرى ان من مصلحة الولايات المتحدة العمومية ان تنفذ الشرائع التي وضعها الكونكرس بشأن الشركات حرفاً ومعنىً · وان سقوط الاورق الذي حصل في بورصة نيويورك لم يكن سببه

مسلك الحكومة مع الشركات بل كانت الاسباب عمومية لانها عمت البورصات الاوروبية • ثم قال : ربما اجترأ بعض „ الاشقيا" " الذين يملكون ثروات طائلة على إسقاط الاسعار في البورصة مقاومة للحكومة التي تقاومهم • وربما قدروا ايضاً على اقناع بعض سليمي النية بان الحكومة ستعدل عن خطتها هذه معهم • ولكني اريد ان اجهر هنا بالقول الفصل في هذا الشأن فاقول انني مع حكومتي لا يُقصدنا أمر قطعياً عن انفاذ شريعة البلاد انفاذاً صارماً نزيهاً في الاشهر الثمانية عشر الباقية لنا • ذلك لانني ارى ان المعركة التي بدأت بيننا وبين الشركات سيتوقف عليها حل مسألة حيوية لنا وهي ان نعلم هل حكومة البلاد تكون في يد الشعب ام في يد جماعة دأبهم الوقاحة والجرأة واستعمال ثرواتهم استعمالاً ذا خطر على البلاد متخفين تحت ستار شركات بلا شخصية اذ لا مديرين لها مسئولين عنها

وانني لارغب في نفي كل التباس في هذا الموضوع • فانه من العبث ان يسألوني ان اضرب صفحاً عن محاكمة المجرمين أياً كانوا اغنيا ام فقرا • ولكني ارغب ايضاً في ان لا يقع التباس في أمر آخر وهو اننا لا نعمل شيئاً بقصد الانتقام من أحد او الحاق الضرر بمساهمين سليمي النية لا يستحقون الخسارة او بالشعب نفسه اجمالاً "

﴿ صدى الخطبة ﴾ وقد اشتغلت جرائد اوروبا بهذه الخطبة وعلى الخصوص جرائد الماليين فيها • قالت جريدة الديبا وهي منها • ان الرئيس روزفلت حسن القصد سليم النية في حملته على شركات الاحتكار وهو ينوي خيراً بنزاهته المعروفة • ولكنه يفتح بشدته وحدته هذه طريقاً للسياسيين الذين يعيشون من السياسة ممن ليسوا بنزهاء ولا مستقيمين فيتخذوا الحملة على الشركات سبيلا للوصول الى اغراضهم واثارة الشعب عليها

قلنا ما اقصر هذه الحجة وما اضعف هذا البرهان · وهل يجب الكف عن محاربة الشر اذا كان بين الناس من يحارب الشر العام توصلاً الى الشر الخاص

على انه كان لخطبة الرئيس تأثير عظيم على البورصة فهبطت الاوراق وازدادت البنوك ضيقاً · ولكن الشركات اخذت تنشر المنشورات رداً على الحكومة بعنف وحدة لعلمها انه لا يفل الحديد الا الحديد

مجلة الجامعة وقراؤها

اعتذار

مجلة الجامعة والجامعة الاسبوعية بدل اشتراكهما في الولايات المتحدة ٥ ريالات و ٧ في الخارج

لا نعلم ما نقول لقراء مجلة الجامعة الكرام وعلى الخصوص خارج اميركا · فان اكثر مشتركيها في اميركا كانوا يقرأون (الجامعة اليومية) واما اكثر مشتركيها خارج اميركا فقد انقطعت عنهم مجلتهم لانهماكنا بالجامعة اليومية وانصراف كل قوانا اليها منفردين بالعمل فلم نتمكن من الاشتغال بالمجلة · اما الآن وقد أبطلت الجامعة اليومية لان شريكنا فيها انسحب منها مع انها نجحت في ستة اشهر نجاحاً باهرًا ما كنا نتوقعه لها في سنين فقد ساءنا هذا الانسحاب وسرّنا · ساءنا للاسباب التي بسطناها في مقدمة الجامعة الاسبوعية · وسرّنا لانه يحفظ قوانا للمجلة التي هي عمدتنا واثمن شيء عندنا وعند قرائها · وقد اضطررنا الى انشاء جريدة غير المجلة لاننا نعيش من هذه الصناعة الضيقة وعلينا توسيعها بما في الامكان ليمكن الاستفادة منها · فنرجو من حضرات قرائنا الصفح والعفو عما مضى · والعذر عند كرام الناس مقبول

﴿ الجامعة مجلة وجريدة ﴾ بعد اقفال الجامعة اليومية اصدرنا الجامعة مجلة شهرية وجريدة اسبوعية · ذلك لان القراء الكرام في الولايات المتحدة

يحبون الجرائد ومطالعة اخبارها · وقد جعلنا قيمة الاشتراك في الاثنتين معاً ٥ ريالات في الولايات المتحدة وملحقاتها و٧ في الخارج · فكل مشترك في مجلة الجامعة يحق له ان يطلب الجامعة الاسبوعية· واذا كان مقيماً في الولايات المتحدة وملحقاتها فيدفع بدل اشتراكه في الاثنتين ٥ ريالات فقط واذا كان في الخارج فيدفع ٧ ريالات دون ان يمكن انقاصها قطعياً · واما الاشتراك في المجلة وحدها دون الجريدة فيبقى كما كان قبل انشاء الجريدة بلا زيادة ولا نقصان

﴿ زيادة ايضاح ﴾ وزيادة في ايضاح مركز الجامعة الجديد لقرائها ليطمئنوا عن مجلتهم ويعلموا ان ما وقع لها في الاشهر الماضية طارئ عرضي لا يمكن ان يطرأ عليها مرة أخرى ننقل لهم هنا ما نشرته الجامعة الاسبوعية بهذا الشأن في عددها الصادر في ٢٤ آب (اغسطس) وهذا نصه

لما قدمت الجامعة من مصر الى هذه البلاد استقبلها كرام نيويورك والداخلية وافاضل تجارها وقرائها بالاكرام وقدّموا لها كل مساعدة ادبية تمهيداً لسبيلها لان حضراتهم من اهل الخبرة والفضل فهم لا يجهلون مشاق هذه الصناعة باللغة العربية وضيق مواردها · واني اغتنم هذه الفرصة لاظهار عواطف امتناني القلبي لهم هنا لغيرتهم وحميتهم · ولكن شهمين من اكابر تجارهم وخلاصة فضلائهم حلا في منازل الفضل اسمى منزلة واشتهرا بين المهاجرين بالعقل الراجح والغنى الواسع والشعور الادبي الحيّ انفردا بصاحب الجامعة وقالا له : اننا نعلم انك لا تملك مالاً وصناعتك شاقة وقد كُتب لك في كتاب القضاء والقدر ان تفد على هذه البلاد فاعتمد علينا في إصدار مجلة الجامعة لحد مبلغ كذا ونحن على ثقة بان المهاجرين سيستفيدون منها · فلما اقتُرح عليّ هذا الاقتراح علمتُ ان بين اخواننا المهاجرين الكرام رجالاً واسفتُ لانني اشتغل بصناعة

تحتاج للتثقيل على افاضل الناس وكرامهم لا ادبياً فقط بل مادياً ايضاً . ذلك لانها صناعة كمالية طفلة قلما قامت في الشرق بذاتها لان الاغنياء اصحاب المال لا يشتغلون بها ولا سبيل لتأليف شركات لها لقلة ربحها والجمهور العربي ضيق الدائرة بالقياس على الجمهور الاوروبي والاميركي . وهذه المساعدة الاولية تراها في تاريخ تأسيس كل جريدة عربية في الشرق من الاهرام الى المقطم الى المؤيد الى اللواء وغيرها

فبدأت بالمجلة معتمداً على الصديقين الكريمين المشار اليهما جناب الخواجه نعمه تادرس اكبر تجار السجاد السوريين في اميركا وجناب الخواجه سليم شحفه التاجر المشهور

ولما توقفت الجامعة اليومية وكنت قد خسرت ما خسرت فيها وهو كل ما املكه مما هو للصديقين الفاضلين لا لي اقترح الصديق الخواجه نعمه تادرس على شركائي القدماء ان يقدم للجامعة اليومية اربعة الاف ريال اذا كانوا يرضون بمتابعة العمل فيها الى نهاية ميعاد الاتفاق . ولما لم يقع الاتفاق على اعادة الجامعة اليومية وعزمتُ على الرحيل من هذه البلاد قال لي الصديق الخواجه نعمه ما خلاصته

« لدينا جرائد سياسية اسبوعية ونصف اسبوعية وثلث اسبوعية و يومية فالجامعة اليومية كانت مفيدة وحسنة ولكن افضل منها مجلة الجامعة التي اضطررت الى إهمالها بانشائك الجامعة اليومية . فلنا غنى عن الجامعة اليومية ولكن ليس لنا غنى عن الجامعة المجلة . انشيء الآن المجلة للمباحث العلمية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية التي اعتادها قراؤها . واجعلها تصدر كل شهر مرة . وبما ان قراءك قد تعودوا ان يطالعوا في الجامعة اليومية الاخبار

السياسية والمحلية فانشيء لهم نسخة اسبوعية من الجامعة . واجعل الجامعة الشهرية والجامعة الاسبوعية اشتراكاً واحداً تعويضاً لهم عن الجامعة اليومية . وانا اتبرع للجامعة الشهرية والجامعة الاسبوعية بنفقاتها بمساعدة صديقي الخواجه سليم شحفه . وانت تردّ لي المال من بدلات الاشتراك حين قبضها . اذهب وانشر منشوراً على قراء الجامعة واخبرهم ان الجامعة لا تطالبهم باشتراك الا بعد استحقاقه اي في نهاية السنة . واذا دفع قبل نهاية السنة اصدقاء المجلة المخصوصون ومحبوها الادباء بدلات الاشتراك مع تصريحك هذا لهم فاخبرهم عن لساني ان كل ريال يُدفع الى الجامعة من قيمة الاشتراكات بعد الآن هو بضماني وذلك لكي يعلموا ان مركز الجامعة راسخ لا يتزعزع ابداً ولا يمكن ان يطرأ عليها طارىء بعد الآن »

اقول ان الذي جرّني الى هذا التصريح في الجريدة الآن هو ما ذكره لي بعض الوكلاء الافاضل في الداخلية من ان كثيرين من المشتركين في الجامعة لا يدفعون اليها بدلات اشتراكهم الا بعد انتهاء سنتها الاولى اي بعد خمسة اشهر ونصف تتمة لسنة الجامعة اليومية الاولى . فكتبت ما تقدم لاخبر حضراتهم ان الاصدقاء والادباء الذين يتفضلون بمعاملتها معاملة ودادية من ارسال بدلات الاشتراك الآن او بعد شهر او اكثر لهم شكرها وودادها الخاص وخالص امتنانها لحسن ظنهم بها . والذين يريدون انتظار آخر السنة هم معذورون عندها بعد ماجرى فيها ولذلك لا تطالبهم بقيمة اشتراك الا في آخر السنة للسبب الذي تقدم ولهم شكرها ووداها ايضاً لمساعدتهم بالاقبال عليها

بقي ان اقول كلمة في عمل الصديق الكريم الخواجه نعمه تادرس وشهامته مع الجامعة وقرائها شهامة مكنتني من حفظ حقوقهم . وكذلك بشأن الصديق

الكريم الخواجه سليم شحفه · ولكنني أعلم انهم لا يحبون الاشارة الى هذا الموضوع والطنطنة على صفحات الصحف بذكر اخلاقهم الكريمة وطباعهم المستقيمة وربما ساءهم كلامي هنا الان عنهم · اما انا فلم اذكر ما ذكرت الا لاطلع قراء الجامعة ومحبيها على مركزها الجديد الذى قلت عنه في العدد الماضى انه اصبح الان « راسخاً رسوخاً لم يكن للجامعة منذ انشائها » ليطمئنوا بشأنها وتسهل معاملاتهم معها

ولست اجد ما اقوله في شكر جناب الصديق الخواجه نعمه تادرس وفضله على الجامعة لان كل شكر قاصر دون شهامته معها · وحسبي ان اقول رضي عن كلامي هنا او لم يرضَ ان كل قارىء للجامعة في الشرق والغرب سيذكر اسمه في تاريخ الصحافة العربية في الشرق بالتجلة والاحترام لشهامته الفريدة في تاريخ الصحافة · واذا لم يكن له من فضل عليَّ سوى تمكيني بمساعدته الجامعة من حفظ حقوق المشتركين الذين دفعوا بدلات الاشتراك حرصاً على اسم الجامعة فهذا الفضل عندي اعظم فضل · اضف الى ذلك سروري ببقائي بين اخواني المهاجرين في بلاد عظيمة بين ادباء وفضلاء يقدرون العلم والادب قدرهما ولا يدخرون وسعاً في تنشيطهما جزاهم الله خيراً ·

باب التقريظ والانتقاد

المستر برزباين والجامعة

وترجمة المؤيد الاغر مقالاته

يعرف القراء في اميركا المستر ارثر برزباين الكاتب الاميركي المعروف رئيس

تحرير (نيو يورك جورنال) المشهورة بتكبير الاخبار حتى عدوها زعيمة الصحافة الاميركية الصفراء . ويعرفه ايضاً القراء في مصر لان جريدة المؤيد الغراء عربت بعض مقالاته بعنوان (المقالات الاميركية) ودعته ,, أشهر كتّاب الاميركان ‘‘ وقد كنا تصفح بعض مقالات المستر برزباين المنقولة الى العربية فيدهشنا ما فيها من الآراء الضعيفة المرجوحة مع ما فيها من آثار البراعة التي شوهتها الترجمة تشويهاً ظاهراً حتى لمن لا يُحسن الانكليزية . ولم يكن هذا الامر مما يستحق الالتفات لانه من المشهور ان المسائل الادبية والاجتماعية تحتمل النزاع والاختلاف لاحتمالها وجهين . ولكنا رأينا للمستر برزباين مقالة عنوانها (صفحة من التاريخ — التعليم وروسو) وقد ورد فيها ان تلك القصة حكاية تاريخية واقعية . وبما اننا نُعنى بكل ما يُكتب عن روسو اخذنا في تصفح هذه المقالة اي ترجمتها العربية . فدهشنا وأي دهشة مما وردفيها منسوباً الى المستر برزباين (أشهر كتاب الاميركان) ولم يسعنا حينئذ السكوت

وخلاصة تلك المقالة ,, ان رجلاً متنكراً وقف في ذات يوم بمركبة للاجرة امام منزل حقير في قرية موغرانسي الفرنسوية وكان هو منزل الفيلسوف جان جاك روسو . فرأى عند باب المنزل امرأة واقفة وكانت هي تريزا ليفاسور رفيقة الفيلسوف . فاظهرت المرأة للزائر من الشراسة والخشونة والاستخفاف بزوجها روسو ما ادهشه . ثم دخل الزائر المتنكر الى المنزل بعد ان دفع الى المرأة ذهباً فرنسوياً وقابل روسو في غرفته وهو يشتغل بنسخ العلامات الموسيقية ليعيش بنسخها . فعرف روسو انه الامبراطور يوسف الثاني امبراطور النمسا . . . . فشكا اليه روسو حاله وكساد سوق الادب في بلاده وتنبأ له بوقوع الثورة وقتل الملك لويس السادس عشر في حديث طويل مدهش . . . . ثم ارتعد الفيلسوف لسماعه صوت تريزا خوفاً من ان تؤنبه لاضاعته الوقت في محادثة الزائر والالتهاء عن العمل الذي فيه رزقه ورزقها . فدفع الامبراطور الى خارج غرفته فسمع الامبراطور بعد خروجه من المنزل صوت تريزا توبخ الفيلسوف لانه لم ينجز نسخ الاوراق . . . . . ‘‘

قلنا وقد تصفحنا في السنوات الخمس عشرة الماضية كل ما كُتب عن جان جاك روسو وما كتبه نفسه . وقرأنا تاريخ حياته الذي كتبه بخط يده . — ولم نرَ في ذلك اثرًا لمقابلة يوسف الثاني امبراطور النمسا لهذا الفيلسوف . وحادثة كهذه الحادثة لا يسكت عنها روسو في تاريخ حياته لانه اشتغل بسرد حوادث اصغر واحقر منها . ولذلك استغربنا مقالة المستر برزباين . ومما زاد استغرابنا تصويره بقلمه روسو تصويرًا شنيعًا لا يصدر الا عن اعدائه . فكتبنا اليه في ١٧ اغسطس (آب) الكتاب التالي

حضرة المستر ارثر برزباين رئيس تحرير نيو يورك جورنال

ارجوكم ان تسمحوا لي ان اخاطبكم بالفرنسوية لا بالانكليزية لانني قدمت حديثًا من مصر للاقامة في بلادكم العظمى ولم اتمكن بعد من درس اللغة الانكليزية درسًا يجيز لي ان اخاطبكم بها . انني قرأت باللغة العربية ترجمة مقالة لكم عنوانها (روسو والتعليم) وقد ذكرتم فيها مقابلة يوسف الثاني امبراطور النمسا متنكرًا لجان جاك روسو في منزله وحديثه معه . على انني طالعت اكثر ما كُتب عن روسو باللغة الفرنسوية وقرأت ايضًا كتبه اخصها تاريخ حياته الذي سرد فيه كلياته وجزئياته ومع ذلك فلم أجد أثرًا البتة لهذا الحديث وهذه المقابلة . فجئت ارجو من حضرتكم ان تتفضلوا باخباري عن المصدر الذي استقيتم منه تلك المقابلة وهذا الحديث لعنايتي بكل ما يُكتب عن فيلسوف جنيف وتفضلوا الخ . . .

وقد مرت حتى كتابة هذه السطور ١٠ ايام دون ان يردني جواب من المستر برزباين او ان يشير الى هذا الموضوع في جريدته . فلم أجد لسكوت حضرته عن تحقيق مسألة تاريخية كهذه الا واحدًا من ثلاثة اسباب . الاول ان كتابي ضاع ولم يصل اليه . الثاني انه لم يلتفت اليه حين رآه باللغة الفرنسوية لافتراضي انه لا يعرفها . والثالث ان كتابي وصله وترجمه له احد مترجمي ادارته ولكنه لم يجد شيئًا يُثبت به هذه المقابلة وهذا الحديث فاختار السكوت . ولست اتهمه بتصنيف مقالته تصنيفًا بل اظن انه قرأ مواد مقالته في رواية لا في كتاب

تاريخ فظن الرواية تاريخاً

وبهذه المناسبة نذكر كلمة للمستر بربازين مشهورة بين الكتاب في نيويورك وهي قوله يوماً في احدى مقالاته انه يجب على الجرائد تعمد الاخبار الغريبة التي تستفز القراء الى قراءتها والاقبال عليها . مثلاً اذا قيل (عضَّ كلب رجلاً) فلا يلتفت احد الى هذا الخبر . ولكن اذا قيل (عضَّ رجل كلباً) فجميع الناس يقبلون على الجريدة ويعنون بالخبر . يعني ان الاختراع والتصنيف ضروريان في بعض الاحيان لترويج كتابات الكاتب

بقي للمستر برزباين عذر وهو ان يقول مثلاً انني كتبت تلك المقالة تصنيفاً واختراعاً لا اعتماداً على التاريخ . وقصدت بها ما اعتاده كثير من الكتاب وهو تصنيف قصة صغيرة لتأييد مبادئ تدمج فيها ويكون غرضها نشر تلك المبادئ وان كانت القصة نفسها كاذبة . وبعبارة اخرى اقول انني قصدت وضع رواية صغيرة اشرح فيها ما اعتقده في روسو فظن المترجم انني اتكلم في التاريخ ولذلك سمى (روايتي) (صفحة من التاريخ وحكاية تاريخية واقعية) فأي ذنب لي هنا . فالجواب ان هذا هو المخرج الوحيد لحضرته على ما نعلم . ومع ذلك فروح (روايته) لا يبرئه تماماً لانه انما اراد ان يثبت بها ان روسو مع كونه سيء التربية قد كتب اسمى مبادئ التربية . فهذه القضية انما تثبت او تنقض بالتاريخ لا برواية

رواية

مريم قبل التوبة

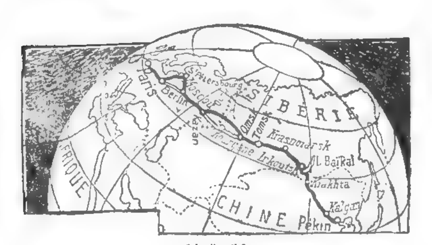
المنشورة في ذيل المجلة وخلاصة ما تقدم نشره

شرعنا منذ ابتداء المجلة هنا في نشر هذه الرواية (مريم قبل التوبة) من تأليف صاحب الجامعة وهي كما قلنا رواية اجتماعية فلسفية غرامية مدارها على مريم المجدلية

المعروفة في الانجيل (بمريم الخاطئة) وقد قسمناها الى قسمين القسم الاول (مريم قبل التوبة) والقسم الثاني (مريم بعد التوبة) · وستحتك فيها جميع المبادئ والمدنيات القديمة حتى عصر الرومان والعصر المسيحي ويظهر فيها المسيح وتلامذته · وقد نشرنا منها ملزمة في هذا العدد وخلاصة ما تقدمها ان مريم المجدلية كانت تعيش في بيتها معيشة اليسر والشقاء الاجتماعي وكان يتردد عليها شاب روماني من اكابر الرومانيين يُدعى يوليوس وقد أظهر لها ان في عزمه الاقتران بها ثم تركها وسافر لتتزوج بفتاة ذات دوطة طائلة معتذراً بان اولى أمره استقدموه الى رومه · فأصيبت مريم بنوبتها العصبية الاعتيادية فقام من جراء ذلك هرج ومرج في القرية · واتفق ان مرَّ يومئذ في هذه القرية الاديب الروماني المشهور سنيكا وابنه الذي سيكون بعد تاريخ هذه القصة اعظم حكماء رومه فسمعا بقصة هذه المرأة فقصدا منزلها فوجدا فيه رومانياً أحدب مشوه الخلق يُدعى شيشرون وكان يتردد على مريم لهدايتها · فجرى لشيشرون مع سنيكا وابنه قبل ان عرفهما نزاع شديد ثم لما عرفهما اعتذر وأكبر وقاحته واقترح عليهما خدمته وقص عليهما قصة تلك المرأة التعيسة · وفي اثناء ذلك انتبهت مريم من غيبوبتها فلما رأت الشيخ سنيكا في منزلها ثارت ثورة الاشمئزاز وصاحت به بذهول (وانت ايضاً ايها الشيخ القذر) · ثم رحل الشيخ وابنه وقلبهما يقطر دماً لمصاب هذه المرأة · وفي الصفحات المنشورة في ما يلي تتمة القصة ومن هنا تبدأ الرواية الحقيقية لان ما تقدم كان تمهيداً لها



— * المستر تفت * —
المنتظر ان ينتخب رئيساً للولايات المتحدة
خلفاً للرئيس روزفلت



عجائب الصناعة

سباق من بكين (الصين) الى باريز على اوتوموبيل

اطلب الصفحة ٤٧٣ والطريق التي سار عليها المتسابقون مرسومة في هذه الخريطة بخط عريض كما نرى بين بكين في طرف الكرة تحت وباريز في طرفها الآخر فوق وفي الخط ايضاً المحطات التي كان المتسابقون يقفون فيها

الجزء ٨



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٧ ٢٤ شعبان ١٣٢٥

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

المستر تفت

المنتظر ان يُنتخب رئيساً للولايات المتحدة

نسخة من اخلاق كبار الاميركان

ان ترأس المستر ثيودور روزفلت لحكومة اميركا الكبرى بضع سنين اثبت ان هذا الرجل نابغة زمانه وبرهن على انه سياسي واداري وعلامة وكاتب وخطيب و بطل وفوق ذلك فاضل حتى صار عاشقوه يظنون انه اذا أبى الانتخاب التالي فلا يجدون مثله · والحقيقة ان بين الثمانين مليوناً الذين يؤلفون هذه الامة العظيمة عدداً ليس بالقليل من الرجال الذين أياً تنتدبه منهم يكون روزفلتاً

روزفلت ريبلكي الحزب . وأهم انصار هذا الحزب هم اصحاب الثروة والمشروعات الكبيرة . ولكنّ سياسة روزفلت تخالف اميال حزبه وتوافق مبادئ الحزب الديموقراطي . وقد اشتهرت بكونها اشتراكية الروح وأن مآلها تقوية الضعيف لكيلا ينسحق تحت اقدام القوي . وظهرت بصورة مقاومة الشركات الكبرى التي تحاول خنق اصحاب الاعمال الصغار وامتصاص دم الشعب . وربما كان غرضه ان يتدرّج بهذه السياسة الى تأييد الحكومة على اساس الاشتراكية فعلاً وينزع الاعمال الكبرى من ايدي المتمولين الكبار ويضعها في يد الحكومة بحيث تكون خاصة الشعب

لا نبحث الآن ان كان هذا مآل سياسته ولا ان كانت سياسته هذه قويمة او خرقاء ولكننا نقول ان الرجل يعتقد ان سياسته هذه عدل وحق وخير للبلاد والعباد ولكن حزبه يأباها ولهذا قد لا يرشحه ثالثةً . ولذلك يجتهد روزفلت ان يرشح احد وزرائه المستر تفت لاعتقاده انه يستأنف السير على مجرى هذه السياسة ولظنه انه يعمل بارشاداته . ولهذا ليس بالكثير ان نخص هذه النبذة برجل ينتظر ان يقف ٤ اعوام على الاقل موقف ملك . وغرضنا من هذه النبذة ان نبين سرّ نجاح اميركا في مقدرة اعلامها وحسن صفاتهم واستقامتهم

من هو تفت

قالت مجلة المجلات الاميركية في وصفه انه : شخصية القوة . والآلة البخارية البشرية . وهو في شغل شاغل على الدوام . والشغل حتى الصعب منه لذة له . جميل الطلعة يجتذب الذهن اليه لاول لمحة . يبثّ مشيئة صالحة وملامحه تنبئ عن عاوية جسدية وعقلية وادبية . وبالرغم مما تتوسمه من وداعته ومزاحه وتخلفه عن الرسميات تشعر بوقار فيه وهيبة في مجلسه وتدرك انه ذو قوة

دماغية وأحدُ الرجال القلائل الذين كما خبرتهم عشقتهم · ولما سئل الكبتن سث رأيه في تفت قال ,, هو الرجل الذي لا تتعرَّف به مرتين ''

وقد عُرف تفت بحرية الضمير فاذا اعتقد بأمر خطأ صرَّح به ولو ناقض مصلحته · ولما ترأس موتمر حزبه الربلكي في اوهايو دعته الضرورة ان يقرّع بنفس الحزب الممثل في سنسناتي الامر الذي يوْلم كثيرين من اصحابه الاعزاء ويضر بمستقبله لانه مسمى للرئاسة · ولكن لما كان يعلم ان سكوته في ذلك الموقف يُعدُّ رياءً وجبناً لم يتق ولم يذر من التقريع لاعتقاده انه حق

في الثلاثين من عمره تعين قاضياً في المحكمة العليا في سنسناتي وفي الخامسة والثلاثين تعين قاضياً في محكمة الولايات المتحدة وكانت نفسه تطمح الى المناصب العليا في الحكومة الكبرى · على انه ما لبث ان تعين حاكماً للفيلبين وفي غضون حاكميته استدعي للقاضوية في المحكمة العليا للولايات المتحدة وبذلك تمت له امنيته · على انه رأى أن الواجب مقدَّمٌ على هوى النفس وان انسحابه من الفيلبين يفقد ثقة الاهالي بالحكومة فأبى ان يلبي الدعوة التي تسرّه فأرسل تلغرافاً الى روزفلت يقول له فيه ,, ارجو ان تلاحظ الوقت الذي اقدر فيه ان اقبل هذه الوظيفة السامية فاذا لم يمكن تأجيل ذلك أضطر ان استعفي ''
فاجابه الرئيس ,, اني مُشرف على حقل العمل كله فارى الافضل ان تلبي ''

وقد ذاعت عنه قصص عديدة تدل على تقديره الاشخاص قدرهم وعلى وداعته نخوم من ذلك انه ذات يوم وهو يسمع قضية رأى خمسة تلامذة حقوق على مقعد خلفي يسمعون فقال لهم ,, هاتوا خمسة كراسي الى هنا '' واوعز الى كاتب اسراره ان يستدعيهم للجلوس الى جانبه ففعل الكاتب ولما استقروا الى جانبه قال لهم · اظن انكم تسمعون المرافعة هنا افصح '' · وفي ذات يوم ايضاً قدَّم اليه محامٍ من كنتوكي ورق قضية فوجد ان النص فيه سقيم قد يفضي

الى خسرانه القضية فقال له ,,امهلك ريثما تصلح النص،، على ان المحامي التبس عليه الخطاء من الصحيح في ورقه فتناوله تفت منه وضرب بقلمه على بعض الجمل وافهمه كيف يجب ان يصلحها و بالتالي ربح القضية

وبما ان الرجل ممن يثبتون على كلمتهم فلا يستصعب ان يقرّ بغلطه اذا عرفه ومن ذلك ان رُفعت اليه قضية من مقاطعة هملتون في ولاية اوهايو على شركة سكة حديد فدعاه الامر ان يعنف حاكم البلدة فارتعد الحاكم من تعنيفه وفي ابان حيرته انتهى اليه كتاب من تفت يعتذر له عن شدة تعنيفه

ومع انه يعزّ اصدقاءه جدًا فلا يحابي معهم ضد الحق٠ومن شواهد ذلك ان رفعت اليه قضية جنائية على شيخ طاعن في السن صديق له فقابله ابن الشيخ مقابلة خصوصية والتمس منه ان يرفق بالحكم اما تفت فلم يدع الصداقة تؤثر عليه فحكم على الشيخ الحكم الذي يستحقه

و بالرغم من رسوخه في جانب العدالة فلا يعدم عاطفة الرحمة عند الاقتضاء فقد روي انه حكم على رجل يُدعى فرنك فلان بسجن ٦ اشهر لانه داس الشريعة في تهييج عمال السكة الحديدية للاضراب عن العمل٠وكان تفت قبل الحكم يُهدَّد بخطف روحه اذا حكم على الرجل ولكنه لم يعبأ بالتهديد ٠ و بعد انتهاء مدة الحكم كان عمال السكة الحديدية المضربين عن العمل في ضيق شديد فمضى فلان الى زيارة عائلاتهم ومساعدتها وكان اول من استصرخه من المحسنين لمساعدة تلك العائلات البائسة هو تفت نفسه الذي قضي عليه ٠ فقوبل في الحال بلا تلجلج و بكل ترحاب ٠ وسأله تفت ماذا اقدر ان افعل لك ? فقال له فلان : ايها القاضي لم ادرك مقدار الضرر الذي جلبته حتى زرت عائلات المضربين عن العمل وشعرت بما يقاسونه فها انا اود أن اعاقب بسجن ٦ اشهر أُخرى اذا كنت تعيث هؤلاء الناس لانهم كلهم فعلوا تحزبًا لي من غير حق

فتري مما تقدم ان فلان الذى قاسي من حكم تفت رأى تلك السحنة الرهيبة تختبئ تحتها ملامح الاشفاق

هذه نسخة مصغرة من صور بعض صفات الرجل الذي اشتغل في القضاء مدة وحكم الفيلبين برهة والآن يتولى وزارة الحربية وينتظر ان يكون رئيساً للولايات المتحدة في المدة التالية — وهذا يطلع القراء شيئاً من نجاح هذه البلاد

كاتب

من بكين الى باريز

على اوتوموبيل

قطع البرنس مورغيس الايطالي هذه المسافة على اوتوموبيله في ٦٠ يوماً منها ٤٠ سير و٢٠ راحة

وُضعت جائزة قدرها ١٠٠ الف فرنك على يد جريدة الماتين الفرنسوية لمن يسبق في سباق على الاوتوموبيل من بكين عاصمة الصين الى باريز . فانبرى لهذا السباق الهائل الذي لم يسبق له مثيل عدة من اصحاب معامل الاوتوموبيل في فرنسا وايطاليا وغيرهما فكان السابق البرنس مورغيس الايطالي فانه قطع المسافة بين بكين وباريز في ٦٠ يوماً منها ٤٠ سير و٢٠ راحة . وكان يصحبه في هذا الشوط الذي سيكون له أعلى ذكر في تاريخ وسائل النقل والسير صحافي ايطالي يُدعي لويجي برزيني

وقد نُقلت مركبات الاوتوموبيل الى الصين نقلاً وفي ١٥ حزيران (يونيو) الماضي خرجت من بكين . فاجتازت مركبة البرنس بورغيس المسافة بين بكين وخلكان وهي ١٦٠ كيلومتراً في اربعة ايام ونصف في وسط طريق هائلة لا

تهتدي فيها القطا . وقد وصل الى هذه المدينة متقدماً سائر مسابقيه بيوم واحد . فبرحها واندفع في صحراء غوبي المشهورة حيث لقي من الزوابع والزعازع ما كاد يفني عزمه . فبلغ خلختا في ٢٤ حزيران (يونيو) . وفي اول تموز (يوليو) صار على بحيرة بيكال . وفي ثاني تموز بلغ ايركوتسك اعظم مدن سيبيريا . وفي ٩ منه بلغ بلدة كرسنويارك . وفي ١٠ منه اتشنك . وفي ١٦ منه وصل الى اومسك

ثم ترك البرنس آسيا ودخل الى اوروبا فوصل في ١٩ منه الى يكاترينبورج . وبلغ الى برم في ٢٢ منه والى نيجني نوفكورود في ٢٥ منه والى موسكو في ٢٧ منه والى بطرسبرج في ٣ آب ,, اغطس " والى برلين في ٥ منه والى بيلفيلد في ٧ منه والى ليبج في ٨ منه والى بلدة ,, مو " في اليوم الثاني وفي العاشر من آب ,, اغسطس " دخل الى باريز

وكان البرنس يلقى في اوتوموبيله في شوطه هذا الاحتفال والاكرام حيثما حلّ واينما سار . وقد أقيم له في موسكو وبطرسبرج وبرلين احتفالات عظمى . اما الاحتفال الذي اقيم له في باريز يوم دخوله اليها فحدث عنه ولا حرج . فان مائة الف شخص هرعوا لمشاهدته حين دخوله واشترك في استقباله جميع الطبقات العالية والدانية . ولا ريب في ان هذا السباق وهذه الاحتفالات كانت اعظم اعلان لجريدة الماتن التي اخذت تنحو منحى الاميركيين في اعلاناتها . على انها في هذا سبقت الاميركيين بمراحل

ويظهر ان الصناعة الايطالية قد أخذت تنزل في اسمى مقام في هذه الاعوام . فان المركبة التي ركبها البرنس بورغيس وسبق رفاقه عليها مركبة ايطالية من معمل ,, ايتالا " وفي السباق المظيم الذي أقيم منذ شهرين في دييب كان السابق ايطالياً على مركبة ايطالية . وفي اول ايلول ,, سبتمبر " أقيم في برسيا من اعمال

ايطاليا سباق الى (كأس فلوريو) فكان السابق ايطالياً على مركبة ايطالية ايضاً٠ وقد أكبرت الجرائد الفرنسوية هذه الامور وأنذرت اصحاب المعامل الفرنسوية ومقتني مركباتها بانحطاط سمعة صناعتهم التي لها المكان الاعلى والقدح المعلى اذا لم يحتاطوا للامر ويصونوا صناعة هم مخترعوها

ولما وصل البرنس بورغيس الى باريز كان مسابقوه لا يزالون بعيدين عنها مسافة ٤ الاف كيلومتر ٠ وقد نسبوا هذا الى ان البرنس استعمل الخيل في مسيره غير مرة اما هم فاضاعوا الوقت سدى

الحرب العوان

في جسم الانسان

اكتشاف غريب للدكتور ريط الانكليزي

استخرجه من الانكليزية نقولا الحداد

لا تبقى الآلة الميكانيكية سليمة عهداً طويلاً الا اذا دامت دائرة بانتظام٠ هكذا الجسم البشري لا يعيش عمراً مديداً الا اذا كانت اعضاؤه العاملة تعمل بانتظام ٠ ولا ريب ان معنى ذلك اتقاء المرض

ثبت منذ عهد باستور ان الجراثيم الحية سبب معظم الامراض ٠ وهذه الجراثيم تطرق الى الجسم من جهاته المختلفة وتنمو فيه وتفضي الى حتفه ٠ وقد أثبت التحقيق ايضاً ان وظيفة كريات الدم البيضاء الجهاد في تنقية الدم من تلك الجراثيم فما هي اذاً الا رجال شحنة (بوليس) الجسم تطوف فيه من قمة الرأس الى اخمص القدم فتتوزع في الشرايين والاوردة والانابيب الشعرية ٠

فاذا احتوى الجسم القدر اللازم منها واتمت عملها بالطريقة النظامية ينجو من اذاها

على ان لهذه الكريات اعمالاً غريبة وتصرفاً مستهجناً . والقليل منها احياناً تصنع العجائب تحت عدسية المجهر (الميكروسكوب) اذ يراها المجهري تلتف حول عدد عديد من الجراثيم وتلتهمها . ولكن في بعض الامتحانات الاخرى رئيت هذه الكريات مسالمة للجراثيم وجاثمة الى جوانبها جثوم الذئب الى جنب الحمل موءتلفين . وفي هذه الحالة لا المنبهات تهيج الكريات على الجراثيم ولا الجوع يجعل تلك خاثرة حين لا شهية لها لأكل هذه . والتحقيقات العديدة الماضية لم تنجلِ عن الوسيلة التي تحمّس هذه الشرطة للقبض على اعداء الجسم البشري اللهمّ سوى هواها الشخصي . فاذا امكن هواها ان يقاد اصبح الجسم البشري منيعاً لدى الامراض الجرثومية

ولكن اكتشفَ هذا السرّ العلامة الاستاذ ريط الباثولوجي الشهير بعد اذ دقق جدّاً في دراسة هذا الموضوع الذي تركه سواه كليلاً

الجراثيم سواء كانت كبيرة او صغيرة قتالة او غير موءذية لا مصلحة فيها لكريات الدم البيضاء ما لم تهاجم الدم بشرياً او حيوانياً . اذا أُلقيت الجراثيم في محلول من الدم ثم غُسلت جيداً ثم وُضعت مع كريات الدم البيضاء المغسولة جيداً ايضاً التهمتها هذه حالاً — هذا عمل الكتيريولوجي الذي تمرّس على مثل هذه الاختبارات فلا محل لشرحه هنا

ولما عرف الدكتور ريط هذه الحقيقة عزم ان يكتشف ماهية هذه المادة الغريبة التي تنبه شهوة الكريات لالتهام الجراثيم و بعد عدة اختبارات وجد انها شيء ينشأ من حويصلات الجسم نفسه . ومهما تكن فقد سماها ابصونين من الكلمة اليونانية Opsono ومعناها ,, أعد الغذاء ‘‘ . فحينما تفرز حويصلات الجسم

هذه المادة تتجمع حول الجراثيم حيثما تتربص وتؤلف حولها مثل غشاء · على ان هذا الغشاء نفسه لا يؤذي الجراثيم ولا يعرقلها لانها تمزقه وتنفث سمها وتملأ الجسم كانها لم تحتبس · ولكن حينما تعثر الكرية البيضاء بهذا العدو الدخيل يكون للابصونين فائدة لانه يقوي الكريات على التهامه · فبدلاً من ان يجتازه شرطي الكرية البيضاء ينتضي عليه حسام نواته (المسماة بروتو بلاسم) ويضمه الى احشائه ويلتهمه

واذا نظرت في المجهر (الميكروسكوب) الى الكرية البيضاء ملتهمةً الجرثومة وجدت هذه تحاول ان تخرج من احشاء تلك · ولكن للكرية قوة كقوة المهضم فتقتل الجرثومة وتتغذاها · وفي بعض الاحيان تحاول الكرية ان تلتهم اكثر من جرثومتين اذا كانت الجراثيم عديدة · وحينئذ يقال انها تمضغ اكثر مما تهضم وعليه فعوضاً من ان الكرية تأكل الجرثومة تأكل هذه تلك فتحل كرية اخرى محل الكرية المأكولة وهكذا تشب المعركة · فاذا كانت الجراثيم كثيرة تلقاء الكريات البيضاء او لم يكن لهذه شهية كافية يخسر البدن المعركة وتتغلب الجراثيم ويشتد المرض على الجسم واخيراً تنتهي الحرب بتسليم الجسم للموت

واحياناً تنشئ حويصلات الجسم كثيراً من الابصونين فيكون الدم قوي الشوكة اوقل شديد النهمة فيطوف في الجسم يلتهم ما يعثر عليه من الجراثيم · فالويل للجرثومة التي يغلّفها الابصونين اذ يجعلها لذيذة الطعم لكرية الدم البيضاء

هذا هو تعليل الدكتور ريط لمغالبة الجسم للجراثيم المرضية فهو ثمين في نظر العلم ولكنه بلا قيمة في نظر الانسانية اذا لم يصل الى الوسيلة التي تكثر الابصونين · وقد وجد اخيراً ان حويصلات الجسم تفرز كثيراً من الابصونين بسرعة حين يكون عدد عديد من الميكروب في الجسم وحين يقل الميكروب يقل افراز الابصونين للدم · وهكذا اذا حقن الجسم بالميكروب يزداد الابصونين

قد تعطل

والامر العجيب في هذا الاختراع هو اعادة الحياة للذي يموت من شدة البرد . ولكن تعليل هذا العجب هو ان الجسم لا يفقد الحياة بسبب البرد لان البرد ليس سبب الموت المباشر وانما سببه عدم وصول الاوكسجين الى الدم والانسجة . فكلما برد الجسم ابطأت الدورة الدموية وفقد الدم الاوكسجين ولا سيما في الاطراف والجلد وفي هذه الحال يزرق البدن ومن ثم يستولي الخدر ويطمس على الذهن ويموت في خلال سبات عميق . ولكن الحياة تعاد بعد هذا الموت اذا ادخل الاوكسجين الى الدم بواسطة جهاز الدكتور (بو) الا اذا كان الجسم قد ترك مدة طويلة في البرد بحيث تتلف بعض الانسجة الاعضاء الحيوية فحينئذ لا يفيد ادخال الاوكسجين شيئاً

وقد سجل الدكتور (بو) اختراعه هذا ويعتقد انه لابد ان تقتنيه المستشفيات والاندية والجميات والحمامات والخانات فضلاً عن الاطباء لان استعماله سهل جداً . وهو يولد الاوكسجين ويضغطه الى حد انه يصبح سائلاً ويبيعه لمن يستعمل الجهاز المذكور (.)

العائلة في اميركا

اما التضامن العائلي او الفساد

فيلادلفيا ٤ تشرين الاول

كنت مساء الامس ماراً في ستي هول فاستوقفني جمع غفير محتشد في الشارع فحاولت ان اخترقه غير مبال لاني اعلم ان الاميركيين يدهشهم قل مدهش ويستوقفهم اسخف معجب . ولكني ما لبثت ان غلغلت في وسطهم حتى وجدتهم يسوّرون فتاتين احداهما في نحو العشرين من العمر تلعب على آلة

موسيقية قد اصطلحنا على تسميتها (موزيكا) والاخرى تبلغ الثانية عشرة تضرب على مثلث معدنيٍّ رنان ايقاعاً مع تلحين اختها فقلتُ في نفسي : لقد صدق ظني ,, الكلب ميت والجنازة حامية '' فان هؤلاء الاميركين يعبأون بابسط الامور . أما ,, نعذت الموسيقى من انوفهم '' حتى انهم يتكأكأون مئات على فتاتين تعزفان وتغنيان ؟

لذَّ لي غناء الفتاتين فوقفتُ انوي وقفة هنيهه . وما زلت اعتقد ان سواد القوم يحيط بالفتاتين على بعد منهما لا طرباً بلحنهما بل لان لهم طبيعة النحل الذي اعتاد ان يتجمع بعضه على بعض في شكل عنقود فاذا تعلقت بضع منها في غصن تعلقت بها مئات النحلات.

وقفت الهنيهة بعد الهنيهة وانا اتأثر من موقف الفتاتين اكثر من غنائهما ولا سيما لان السعال كان ينتاب كبراهما بين لحن ولحن وافراد القوم يمرون بهما من جانب الدائرة الى جانبها و يسقطون في كف الصغرى بعض النقود

وكان الذين نفحوهما معدودين فقلتُ في نفسي اذا دارت الصغرى تستجديهم أجر غنائها جمعت منهم بضع ريالات . ولكن غنتا لحناً بعد لحن ولم تدر لتستجدي كأنها قانعة بالقليل الذي تُنفحه . ومتى كان من طبع طوافة القناعة ..

عند ذلك انبرى احد القوم وقبعته مقلوبة في كفه ودار في القوم يستندي اكفهم وقد سمعته يردد هذا القول (أني أعرف شيئاً من قصة هاتين الفتاتين فانهما تستحقان الاحسان)

وما كاد يطوف بنصف الجمهور حتى همت الفتاتان باختراق الحشد والخروج من وسط ذلك الزحام فنادى به البعض أنا تتمها قبل ان تبرحا فناداهما ان تقفا فاسمعتا نداءه فاضطر ان يتبعهما مغلغلاً واذ ادركهما افرغ ما جمعه في كف احداهما عند ذلك أحاط به القوم يستفهمرونه عن امرهما فلم يسعني الا ان ازج نفسي

بينهم لاسمع ما يقول—

سمعته يقول : ,, رأيتها غير هذه المرة في مثل هذا الموقف وفعلت حينذاك ما فعلته الان . وجل ما عرفته عنها انهما اثنتان من ثمانية بنين وبنات وقدمات ابوهم واما امهم فالسل يسلّ الآن روحها من جسدها وليس من يعولهم غير هاتين لان البقية صغار ''

اقول وسواءٌ كانت هذه القصة الوجيزة المؤثرة حقيقية او مخترعة لتدبير هذا المسترزق فان مثلها كثيرٌ في عهد هذه المدنية الجديدة وفي هذا القطر الذي أُوجد فيه كل فرد بالكره منه مستقلاً ومُلزماً باعالة نفسه غير متوقع من يرحمه

وسواءٌ صحت الحكاية او زُوّرت فلم يدفع الفتاتين الى هذا الباب للاسترزاق سوى الفقر المدقع . فلا بد ان تكون حاجياتهما وحاجيات اخوتهما (ان كان لهما اخوة) اوفر من دخل الكبرى اذا رامت ان تشتغل ما هي اهل له . اما الصغرى فلا يؤذن قانون البلاد ان تقوم بعمل لانها في دون العمر الذي يسوغ لها فيه ان تشتغل ولانها لم تزل تحت الواجبات المدرسية المحتومة والظاهر ان استجداء المحسنين بواسطة الموسيقى اغزرُ خيراً لهما

ليس من النادر ان يتيتم بضعة احداث اخوة ولا يكون لهم من يحك جلدهم غير ظفرهم . فلنفرض ان حكاية هاتين الفتاتين صحيحة لاحتمال حدوث كثير مثلها . فما يُنتظر ان تعمل الكبرى اذا كان سبعة اطفال وأم على شفا القبر معلقون بمنتها حتماً

ربما لم يتسنّ لهذه الفتاة ان تتعلم صناعة تستطيع ان تكسب منها ما يعول عائلة كبيرة كهذه فاذا اشتغلت شغلاً بسيطاً فلا تتقاضى سوى ٥ او ٦ او ٧ ريالات في الاسبوع وهذه لا تكفي الثانية نفوس خبزاً . عمها لا يعينها لان عنده عائلة يعولها ولان عادة اهل البلاد ان يهتم كلٌّ بنفسه . خالها كذلك لا يفعل

وقس عليهما سائر اقاربهما فماذا تفعل ٠٠٠

راعها أنين امها وصراخ اخوتها الجياع وقضمَ الجوع احشاءها فتأبطت معزفتها التي فتنها في عهد هنائها وفي ايام صفائها واصطحبت اختها التي وهبها الله هبة الصوت الجميل وهربت بها من وجه البؤس الذي ربض لها في ذلك المنزل الحقير وراحت تطوف في الشوارع تطرب القوم وبين شفتيها ابتسامة مزوّرة وفي قلبها لوعة بأساء لا تبرد

وهل تستغني من السنتات التي تجمعها من المحسنين ؟

بعد قليل تسأم هذا المسترزق وتنفتح عيناها فترى ان ما كسيته من اثواب الفضيلة والحشمة والطهارة غلَّ يدها عن تناول الريال وهي في فاقة اليه فتخلع ذلك الثوب وتمد يدها للريال

عمرك الله اذا اتاها يوماً صاحب ملهى وقال لها ان صوتك جميل وفي وسعك ان تنتفعي منه فلماذا تقتنعين بهذا القليل الذي تستعطينه في قارعة الطريق في حين انك اذا ظهرتِ في الملعب نوبة في كل ليلة جوزيت اضعاف ما تجمعين في اليوم وفي عهد قصير ترتقين في سلم هذا الفن وتنالين من ورائه حظ الاغنياء المتنعمين

ــ عمرك الله اذا مُنيت بهذا الوعد فماذا تقول

لا بدَّ انها تخلع ثوب الحشمة وترتقي الى الملعب وبعد ذلك تطرق في سبيل الفساد لا محالة

بعد ذلك يقال عنها ساقطة ويلعنها الناس وهم يجهلون تاريخ حياتها مثل تاريخ هذه تاريخ كل ساقطة تقريباً

ان ما يسمونه في هذا العهد استقلالاً شخصياً هو السبب الاساسي لكثير من المفاسد التي لا يزال يستنكرها الناس

تقولون ان فساد الفتاة سقم في الهيئة الاجتماعية وداء يؤدي الى هلاكها

ـــ وهو قول صائب ـــ ثم تقولون ان الفرد يجب ان يكون مستقلاً أي يجب ان يكون حرًا وبالتالي مسئولاً عن نفسه ـــ وهذا حسن ايضاً ـــ

ولكن مطلق الاستقلال يفضي الى الفساد لا محالة كما تمثل لنا في القصة الآنفة . فإما ان تتساهلوا بالفساد ولو افضى الى هدم اركان الهيئة الاجتماعية او ان تخففوا من غلوائكم في تأييد الاستقلال وتعودوا الى التضامن العائلي

ماذا تفضلون من هذين الامرين ?

المغالاة في الاستقلال اي في اطلاق الحرية لكل فرد ـــ ذكر وانثى وكبير وصغير ـــ والقاء مسأولية نفسه كلها على نفسه ـــ هذه المغالاة كلها فرّقت افراد العائلة بعضهم عن بعض وامانت عواطفهم وجعلتهم كالغرباء بنسبة احدهم الى الآخر . وبصريح العبارة هذه المغالاة في الاستقلال هدمت اركان العائلة حتى انه لم يبقَ من عائلة

ومتى خربت العائلة فماذا تظن بالهيئة الاجتماعية ؟

تصبح كالمعمل المؤلف من الجماد والدائر بقوة الكهرباء او البخار خلواً من الحياة . ولعلها اصبحت منذ الآن كذلك وصح فيها ما قلته في حين سابق

فيالك جيلاً ما له من عواطفٍ ولولا اقتضاء الرزق لم يتجمع
وبالنظام ثابتٍ بات اهله يدورون فيه مثل آلات مصنع

نقولا الحداد

قبل ان تتكلما

حادثة جرت في احدى قرى لبنان سنة ١٩٠٥

وذات عفاف يُخجل البدر وجهها لأنَّ جمال الشمس فيه تجسما
أحبت أميرًا مثلها وأحبها واصباهما وجدٌ أليمٌ وتيما

فقالت ولكن لم تنل ما توهمت ... ونال ولكن لم ينل ما توهما
وما اجتمعا حيناً علي حدة لكي ... يبلاّ بماء القرب ذلكم الظما
الى ان دناوقت الزفاف وأحضرت ... لوازمه والانس حلّ · وانما · · !
فبينا فتاة الحسن تمرح بكرةً ... أحست بحمّى تجعل الجسم مسقما
أتاها حبيب القلب وهي مريضةٌ ... فأبصرها جسماً عليلاً ومغرما
فعاد كسير الجفن والقلب خافقٌ ... ومدمعه ينهلّ كالقطر اذ همى
الى ان مضي ذاك النهار وحرّه ... فعاد بأحدى المركبات الى الحمى
فأبصرها صفراء · · واهية القوى ... تشير اليه · · واللسان تلعثما · · !
فدقّ بيمناه الشمال لانه ... رأى حبل آمال الفؤاد تصرّما
فقالت بصوتٍ خافت متقطع ... حبيبي خفف عنك لاتكُ موجما · ·
وأخلد الى الانصات حيناً لان في ... فؤادي سرّاً لا يزال مكتما
وقد فتحت فاها · · لتطلع حبها · · ... على السر · · ماتت قبل ان تتكلما · !
فياموت لِمْ لم تخشَ هدب جفونها ... أما نظرت عيناك مبسمها أما · ·
اذا كنت لم ترحم أباها وامها ... ألم ترحم الصبّ العليل المتيما
تربصت حتى كاد يبلغ قصده ... وأبعدته عمّن يحبّ تظلما
ألست تراه ساجداً عند قبرها ... يخاطبها والشوق كالنار أضرما
ألست تراه واقفاً عند رسمها ... يناجيه علّ الرسم يخبره بما · · ·
ألست تراه باكياً عند ذكره ... بها خدها والجيد والثغر واللمى
ولكنّ شعري لا يفيد لانه ... يفيد الذي يهوى عيوناً ومبسما
وما انت من اهل الغرام لتعرف الـ ... عذاب الذي يلقاه من كان مغرما
فيا ايها الجنس اللطيف ومعشر الـ ... محبين صلوا للطعينة كلما · ·
أتتها مُقبّلَ العرس دعوة ربها ... فطارت بمنطاد الغرام الى السما

سعيد فاضل عقل

الطوريون ٣٠ ايلول سنة ١٩٠٧ — الداموري

تدبير الصحة والمنزل

شركة طبخ

مؤلفة من نساء في نيوجرزي لتوزيع الاطعمة على المنازل واغنائها عن الطباخين

الاقتصاد حكمة من حكم الاجتماع الانساني واذا تأملت السبب الذي دعا الى انشاء الشركات ونحوها وجدت انه حكمة اقتصادية لان العمل العظيم المشترك فيه توفير لاصحاب العمل وللمستفدين لذلك المعمول

هذه الحقيقة لم تخفَ على بعض سيدات مونتكلار في ولاية نيوجرزي فانهنَّ عزمنَ على انشاء شركة كبرى لاجل الطبخ

وهذه الشركة تقدم للبيوت كل يوم حاجتها من الطعام ٣ مرات في النهار · تقدم صحفاً ملأى طعاماً وتسترد صحفاً فارغة · وليس على ربة المنزل من الشغل المنزلي الا ان تبسط المائدة وتزيينها وتصف الكراسي حولها فقط

ويقال ان الشركة تقدر ان تقدم للمنازل الاطعمة اللازمة ارخص مما تكلف في البيوت · وفي نية الشركة الا تقتصر على مواد الطعام فقط بل تجعل قسماً من عملها الغسل والكي · وتنظيف المنازل وخدمة الجنائن وغير ذلك من الاشغال المنزلية والذي دعاهنَّ الى هذا المشروع هو نصَبهن وعناؤهنَّ من جراء دلال الخدم والخادمات وغلائهم وندرتهم

وهنَّ يرين ان هذه الشركة تغنيهنَّ عن الخادمات والخدم او عن بعضهم وبالتالي توفر عليهنَّ كثيرًا من النفقات

فتأمل الى أي حد وصل (ناموس توزيع الاعمال) · الى حد الخدمة المنزلية ايضاً التي هي من اخص الامور الشخصية

باب التقريظ والانتقاد

مجلة المشرق والامبراطور غليوم

والدين والحكومة والمدرسة

من خطبة للامبراطور غليوم في مونستر من اعمال وستفالي

« قد استلمت زمام الاحكام منذ عشرين سنة · وبهذه الفسحة من الزمن قد تعاطيت اموراً هامة ذات شأن وتعاملت مع اناس عديدين وكثيراً ما اضطرني الامر ان أغمض الجفن على القذى · فانه قد توقع لي مراراً عديدة حدوث ما كنت امتعض منه غاية الامتعاض فتغلي اذ ذاك مراجل الغضب في داخلي وتلتهب نار الانتقام واود لو نكلت بمن خالفني او جاهر بما كنت الا اني ما كنت لاستسلم الى مثل هذه الافكار بل اعود الى نفسي وابحث عن وسيلة لاخماد نار غضبي وتحريك عوامل التودّد في قلبي فكنت اسمع صوتاً داخلياً يقول لي : انهم بشر مثلك ومهما كان الشر الذي فعلوا تذكّر ان لهم نفساً انتهم من الاعالي السماوية التي ستعود اليها يوماً وبهذه النفس هم صورة الخالق

« فمن كانت تلك افكاره يكون ولا ريب رحوماً شفوقاً على امثاله وغفوراً لهم واني من صميم الفؤاد اتمنى لو تيسر لي ان اغرز هذا الفكر في قلب الشعب الالماني كله فيكون كحجر الزاوية المتين بالنسبة الى الالفة والاتحاد . لكن هذا الاتحاد لا يكون موطد الاركان الا اذا تم على المثال السامي مثال مخلصنا الالهي الذي تنازل فدعانا اخوته وعاش بيننا ليكون لجميعنا قدوةً ومثالاً ولم يزل الى الان معنا وبيننا · فليوجه شعبي نظره اليه اذاً ويضع اساس الاتحاد على الصخر الذي لا تقوى عليه الزوابع والاعصار ···· »

(المشرق عن جريدة البشير)

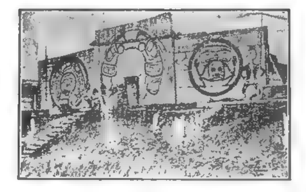
وقد نشر المشرق هذه الخطبة وصدّرها بقوله (على الذين يدّعون ان تقويض اركان الكنيسة وغسل الهيئة الاجتماعية من كل صبغة دينية هو من اسباب الارتقاء العصري ان يتأملوا هذه الكلمات الخطيرة التي لفظها جلالة الامبراطور

غليوم وجلالته أدرى الناس بما فيه خير الهيئة الاجتماعية) قلنا ٠ (اولاً) اننا نرى رصيفنا المشرق الاغر يُصارع الهوا٠ ٠ لاننا لا نعرف كاتباً في الشرق يقول (بتقويض اركان الكنيسة وغسل الهيئة الاجتماعية من كل صبغة دينية)ولكننا نعرف كتّاباً يقولون ان المبادئ الدينية مسيحية واسلامية يجب ان تُحصر في المنازل والكنائس والجوامع وان تُرفع من المدارس لتربية جميع أبناء الامة تربية واحدة غرضها تدريب الناشئة في ما ينفعهم في فتح طريقهم في الحياة بدلـــ مل٠ اذهانهم بالتصورات والخيالات ٠ اما الدين فيدّرس في المنزل او في الكنيسة او في دروس خصوصية يقيمها أهل الدين في مدارس خصوصية (كمدارس الاحد) للتلامذة التابعين لمذهبهم ٠ (وثانياً) ان قول الامبراطور هذا لا يعني (وجوب اتصال الدين بالحكومة) لان الفصل بينهما موجود في مدارس الحكومة الالمانية ولو قصده الامبراطور لقامت القيامة على رأسه في بلاده٠(وثالثاً) ان الامبراطور رئيس ديني ومدني في بلاده فهو اذاً خصمٌ وحَكم فلا يصحُّ اتخاذ رأيه حجة يُحتجُّ بها ٠ لا سيما وانه بدأ يشعر في السنوات الاخيرة بعد تقدم الاشتراكية والديموقراطية في بلاده بزلزال عرشه تحته فلم يجد خيراً من الدين آلة ووسيلة يسكّن بها ثائر البركان الذي يخشى انفجاره منعاً للشعب ان يميل الى مبادئ (حقوق الانسان) التي تستند الى تعميم الديموقراطية وابطال امتيازات الطبقة العالية الارستوقراطية والمالية ٠ فمصلحة عرشه وكل عرش مرتبطة ارتباطاً اصلياً بالدين الذي يعلّم الشعب الفقر والرضى بالكفاف أملاً في السعادة الاخروية بينما تلك الطبقات العليا ترضى بالسعادة الدنيوية ٠٠٠

باب الاخبار العلميّة

الفنون عند الهنود

كيف يصوّر هنود ألاسكا الرّجل الاميركي

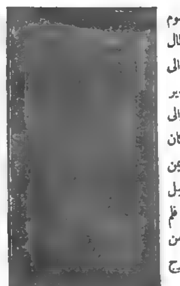


الفنون موجودة عند جميع الامم بصور مختلفة · وبها تقاس سلامة ذوق الامة ومبلغ ارتقائها · وكثيرون من الافرنج كانوا يحتقرون العرب وآثارهم ولكنهم لما شاهدوا فنون جامع قلاوون بك في القاهرة وقصر الحمراء في الاندلس دهشوا واخذوا ينادون بارتقاء ذلك التمدن الذي أنتج ذلك الاتقان الفني العظيم · وفي البريد الاخير وردت جريدة الفيغارو وفي صدرها مقالة جميلة للكاتب الفرنسوي بيير لوتي احد رجال الاكاذمية الفرنسوية عنوانها (جوامع القاهرة)وقد قال فيها ان جوامع السلاطين في القاهرة ستبقى دليلاً عظيماً على ارتقاء روح الامة العربية · ومتى اكملت مصر تمدنها وانقلابها واصبحت مدينة تجارية مادية محضة ستبقى تلك الفنون الجميلة في تلك الجوامع الاثر الوحيد الناطق في القاهرة بخلود الفن وجماله وكماله

وقد نشرنا في الصفحة السابقةرسماً يمثل العنون عند هنود الاسكا . وهو صورة نقلها سائح اميركي عن احد اكواخهم وقد قصد بها الاستهزاء بالاميركيين . فان الصورة صورة اميركي كما يتخيله الهنود وقد رسموها باسلوب مضحك (كاريكاتور) فدلوا بذلك على انهم يتسلون و يتمازحون في منفاهم البعيد في وسط ظلمة غباوتهم المطلقة

الى القطب الشمالي

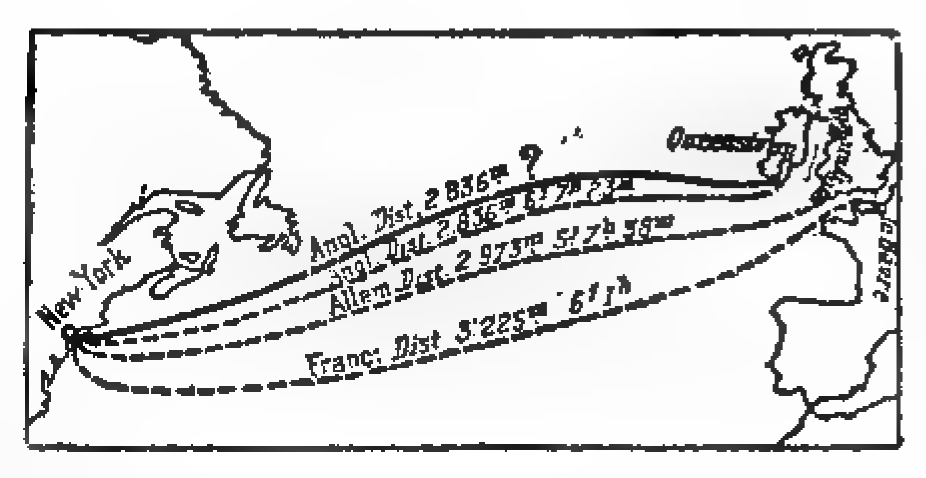
في منطاد (اميركا)



دفعنا هذا الرسم الى معمل حفر الرسوم لنذكر لقراء الجامعة أمر هؤلاء الابطال الذين عزموا على اعادة التجربة للوصول الى القطب الشمالي في منطادهم (اميركا) . ومدير هذه الحملة المستر ولمن وهو الى اليمين والى اليسار المستر هرفيو المهندس الهوائي . وكان في النية ان يسافر مع ولمن المستر هريمن والمستر ر يزنبرج . وقد حاول (ولمن) قبل هذا العام الوصول الى القطب في منطاد فلم يفلح فاعاد الكرة في هذا العام وقد مرَّ زمن طويل وهو ينتظر هدوء الجو في سبتزبرج فلم يهدأ الجو . و بعد ان دفعنا هذا الرسم الى المعمل نقل التلغراف ان زوبعة هبت على المنطاد (اميركا) وفيه (ولمن) ورفاقه فاردت المنطاد وركابه فذهبوا ضحية العلم والاكتشاف رحمهم الله . وهكذا الدنيا . فاناس همهم إشباع جيو بهم و بطونهم واناس همهم المجازفة بنفوسهم في سبيل التقدم والعلم

بين اوروبا ونيويورك

تغلب لوزيتانيا على دوتشلاند



أهم حوادث الشهر الماضي البحرية والتجارية خروج الاسبقية في الاتلانتيكي من يد الالمان الى يد الانكليز بواسطة الباخرة الانكليزية لوزيتانيا ۰ وقد نشرت الجامعة الاسبوعية وصف هذه الباخرة (عجيبة البحر في هذا العصر) بقلم الآنسة روزا انطون التي زارتها وبقلم الاخ نقولا افندي الحداد الذي زارها ايضاً

وفي سفر لوزيتانيا الاول لم تستطع ان تسبق الباخرة دوتشلند الالمانية التي تقطع المسافة بين بليموث ,, انكلترا " ونيويورك وهي ٢٩٧٣ ميلاً في ٥ ايام و٧ ساعات و٣٨ دقيقة ,, انظر الخط الثالث فوق " ولكنها في سفرها الثاني في ١١ الماضي سبقتها واستردت منها السيادة على الاتلانتيكي اذا قطعت المسافة بين كنستون ,, ايرلنده " ونيويورك وهي ٢٨٣٦ ميلاً في ٤ ايام و١٩ ساعة و٥٨ دقيقة ,, انظر الخط الاول وعليه علامة الاستفهام للسؤال عن مبلغ الزمن الذي تقطع فيه لوزيتانيا المسافة " اما البواخر الانكليزية الاعتيادية ,, انظر الخط الثاني " فتقطعها في ٥ ايام و٧ ساعات و٢٣ دقيقة ۰ واما البواخر الفرنسوية فتقطع المسافة بين الهافر ونيويورك وهي ٣٢٢٥ ميلاً في ستة ايام وساعة ۰

تاريخ المسيح

ومنشأ الديانة المسيحية

عدنا الى اتمام هذا الكتاب الذي بدأنا به منذ السنة الثالثة للجامعة . فقد لخصنا في تلك السنة (تاريخ المسيح) ولسنا ننسى حياتنا كلها اللذة التي وجدناها في ذلك التلخيص ولا الضرر الروحي الذي جره على نفس الملخص . وقد اتبعنا في تلخيصنا الطريقة التي سنتبعها في ما يلي وهي ترك كل ما يؤلم نشره ولا يفيد والاقتصار على ما يفيد من المسائل الاجتماعية والتاريخية التي تفسر نشأة الديانة المسيحية وتوضح حالة ذلك العصر الذي عاش فيه السيد المسيح وتلامذته دون ان تتعرض للمسائل الدينية بنفي او اثبات لان ذلك ليس من وظيفة الجامعة ولا تبحث فيه اصلاً . فالمسيحي وغير المسيحي يقرأ ان هذا التلخيص دون ان يجدا فيه ما يؤلم او يسوء . نعم انه مأخوذ مما كتبه الفيلسوف العلامة رنان خليفة افلاطون في الارض في عذوبة المعاني والالفاظ ورنان كتب في كتبه ما يسوء المسيحيين ولكن الجامعة كما قالت تسدل على هذه الكتابة التي تسوء ستار النسيان قصداً لكراهتها الدخول في المسائل الدينية كما تقدم . وانما غرضها تاريخي اجتماعي محض . ولسنا نجد ما يؤدي الى هذا الغرض في بسط احوال ذلك العصر القديم العظيم غير ما كتبه رنان عنه .

وقد انتهينا في تلخيص ما تقدم الى حادثة استشهاد اسطفانوس في (تاريخ الرسل) واليك التتمة

تأثير شهادة اسطفانوس

كان لرجم اسطفان تأثير عظيم على الطائفة الاولى . وقد احتفل ابناؤها بجنازته احتفالاً قرنوه ببكائهم ونحيبهم . فانفتحت بهذا الموت طريق (الاستشهاد المسيحي) الجديدة . نعم ان ابناء الديانة اليهودية كانوا في زمن انطيوخس ايفانيوس يثبتون في معتقدهم حتى الموت . ولكن الشهداء المسيحيين الذين كانوا يقبلون الموت بشجاعة ومسرة وأولهم اسطفانوس كان لهم تأثير خاص على العقل البشري في الارض . فانهم بهذه الاستماتة والشجاعة ادخلوا الى العالم الغربي

عنصراً كان ينقصه اعني (الايمان الخاص المطلق) الذي لا يخاف ولا يتغير والناشئ عن الاعتقاد بانه لا يوجد الا دين واحد صحيح فاضل وهو الدين الذي يدينون به · فمن هذا الوجه كان الشهداء أول من بدأ بايجاد طور التعصب وعدم التساهل · فانه قد يكون صحيحاً قولهم ان الذي يبذل دمه في سبيل ايمانه متى حكم وتسلط لا يكون متساهلاً · والمسيحية التي اجتازت ثلاثمائة سنة وهي تعاني آلام الاضطهاد أصبحت هي نفسها تضطهد اضطهاداً لم يضطهده دين غيرها حين صارت السلطة اليها · فان الانسان اذا بذل دمه في سبيل مبدإ لتأييده لا يحجم عند الضرورة عن سفك دم غيره لحفظ هذا المبدإ وصيانته

ولم يكتف اليهود يومئذ برجم اسطفانوس بل شرعوا باضطهاد الطائفة المسيحية كلها اضطهاداً عمومياً · وكان جل اضطهادهم موجهاً الى (اليهود اليونانيين والوثنيين) الذين دخلوا في المذهب المسيحي الجديد · فكان لهذا الاضطهاد تأثير مفيد على الطائفة · ذلك لانه اضطرها الى التفرق والتفكير في الخروج من اورشليم لحمل مذهبها الى باقي البلدان وذلك لعجزها عن الاقامة به في اورشليم · أي ان الاضطهاد اضطر المسيحيين الاولين الى جعل المسيحية (عمومية) بعد ان كانت خصوصية

الصلة بين كنيسة اورشليم والبحر المتوسط

فتفرق التلامذة وفروا من وجه اليهود · وكان فيلبس من اكثرهم تحمساً فسافر الى السامرة وعمد فيها كرنيليوس قائد المائة · وقد قال ان ملاكاً اوحى اليه ان يفعل ذلك · ثم سافر الى ازوت ومنها اتجه الى الشمال فبشر بالكلمة في كل الشاطئ حتى قيصرية حيث انشأ كنيسة هامة

وكانت قيصرية مدينة جديدة وكان لها المنزلة الاولى بين مدن اليهودية (١)

(١) يوسيفوس الفصل ٣ و ٤

وقد بناها هيرودس الكبير على آثار قامة صيداوية كانت تُدعى (برج عبدستراتس أو ستراتون) ودعاها (قيصرية) نسبة الى اوغسطس قيصر وما زالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم . وكانت أفضل وأهمّ موانئ فلسطين وكانوا يتوقعون ان تصبح عاصمة لها كلها . وكان الولاة الرومانيون قد سئموا المعيشة في اوروشليم فعزموا على الاقامة فيها (١) وكان معظم سكانها من الوثنيين (٢) ومع ذلك فكان عدد اليهود كثيرًا فيها وكان ينشأ بين الفريقين من حين الى حين نزاع وصدام (٣) وكانت اللغة المحكية عندهم اللغة اليهودية وكان اليهود انفسهم يصلون بعض صلاتهم بها (٤) وكان الكهنة في اوروشليم يعدّون قيصرية مكانًا دنسًا ويرون لليهودي خطرًا في الاقامة فيها لئلا يصبح وثنيًا . فلهذه الاسباب كلها سيكون لهذه المدينة اهمية عظمى في تاريخنا هذا لانها كانت الصلة الاولى التي اتصلت بها الكنيسة الاولى بالبحر المتوسط وما حوله من المدن والامم

وقد أُرسلت رسالات أُخرى مجهولة الى جهات أُخرى غير رسالة فيلبوس . وكانت السرعة التي أُنفذت بها السبب في نجاحها فلم تمضِ خمس سنوات على صلب المسيح (أي في سنة ٣٨) وسنة واحدة على رجم اسطفانوس حتى كانت جهات فلسطين فيما وراء الاردن قد سمعت كلمة البشارة من افواه المرسلين الذين سافروا من اوروشليم . ومن جهة أُخرى فان بلاد الجليل كانت تحفظ في قلبها البزور المقدسة وربما كانت تنشرها حولها وان كنا لا نعلم انها أرسلت ارساليات منها . وكان في دمشق في هذا الزمن مسيحيون (٥) فربما كان دخول المسيحية اليها بواسطة مرسلين من بلاد الجليل

وهنا وصلنا الى بولس (شاول) واضطهاده المسيحيين ثم دخوله في مذهبهم . والتتمة في الجزء التالي

---

(١) اعمال الرسل الفصل ٢٣ والمؤرخ تاسيت الفصل ٢ (٢) يوسفوس الفصل ٣ و٤ (٣) يوسفوس الفصل ٢٠ (٤) تلمود اوروشليم (٥) اعمال الرسل الفصل ١١ العدد ٩



الجزء ١٠ — السنة الخامسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخيّة

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك كانون الاول — (دسمبر) سنة ١٩٠٧ — ٢٦ شوال ١٣٢٥

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

ترجمة بولس الرسول

الذي هو أعظم شخص عملي في الكنيسة المسيحية
بعد المسيح وهي أول ترجمة علمية
له في اللغة العربية

تابع تاريخ المسيح الذي تنشره الجامعة
ملخصاً عما كتبه الفيلسوف رنان

اسم بولس * عيلته واصلها ولقبها *

انتهى بنا الكلام عن تاريخ المسيح والمسيحية في الجزء السابق الى بولس الرسول واضطهاده الكنيسة . وقد افردنا هذا الفصل لبولس الذي كان له الفضل الاعظم في نشر المسيحية بين الامم

في سنة ٣٨ للميلادشهدت الكنيسة الجديدة فتحاً جديداً غيرتلك الفتوحات · وفي هذه السنة على الارجح دخل فيها شاول (بولس) الذي كان السبب الاكبر في اثارة اليهود على المسيحيين في اضطهاد سنة ٣٧ · وقد كان له ضلع في رجم اسطفانوس · دخل شاول في الكنيسة المسيحية وأصبح أشد انصارها بعد ان كان أشدّ خصومها

ولد بولس في بلدة ترسه من اعمال سيليسيا في السنة العاشرة أو الثانية عشرة للميلاد (١) وكان يُدعى (شاول) الا ان أهل العصر صبغوا اسمه بصبغة لاتينية فجعلوه (بولس) كما كانوا يجعلون اسم يوسف (هجزيب) واسم يسوع (جازون) · وقال القديس جيروم ان بولس اقتبس اسمه من اسم الحاكم الروماني سرجيوس بولوس الذي اتصل به وكان السبب في دخوله اي سرجيوس في الدين المسيحي على ما قيل (ولكن رنان لا يسلّم بهذا الرأي) وفي كل حال فان شاول لم يتسمَّ (بولس) تسمياً مطلقاً الا منذ جعل نفسه (رسولاً للامم)

وكان بولس من دم يهودي محض وربما كان اصل عيلته من مدينة كيشالا في بلاد الجليل وكانت عيلته هذه تدعي النسبة الى قبيلة بنيامين (٢) وكان لابيه لقب (وطني روماني) اكتسبه من اجداده اما بشرائهم هذا اللقب او بخدمة خدموا الرومانيين بها · ومن المحتمل ان جده اكتسب هذا اللقب لاعانته بومبيوس في اثناء الفتح الروماني في سنة ٦٣ قبل المسيح

وكانت عيلة بولس من حزب الفريسيين لجميع العيال اليهودية الكريمة القديمة · فنشأ بولس نشأة صارمة في مبادئ هذا الحزب · ولما نبذ في ما تلا نشأته هذه

---

(١) اعمال الرسل الاصحاح ٩ العدد ١١ وسمي بولس نفسه في رسالته الى فيلامون التي كتبها في سنة ٦١ للميلاد « شيخاً » وفي كتابة كُتبت في سنة ٣٧ وُصف بولس بانه شاب

(٢) رسالة رومه الاصحاح ١١ العدد ١

مبادئ هذا الحزب الضيقة بقي له منها شدة الايمان والتحمس والقوة

كان العلم في مسقط رأسه زاهرًا كما كان في اثينا والاسكندرية * الدروس البيانية والكلاسيك فيه * تربية بولس ومعارفه *

قلنا ان بولس ولد في ترسه . وكانت ترسه في زمن اغسطس مدينة عامرة وكان اكثر سكانها من اليونانيين والاراميين الا انه كان فيها كثير من اليهود شأن كل مدينة تجارية . وكانت العلوم والآداب منتشرة فيها ولم يكن في الدنيا بلد يفوقها في عدد المدارس والمعاهد العلمية حتى الاسكندرية وآثينا نفسها (١) وكان عدد العلماء الذين خرجوا من ترسه او الذين تلقوا دروسهم فيها مما يُدهش الباحث (٢) . ولكن لا يُستنتج من هذا انه اعتني بتربية بولس تربية يونانية في مدارسها لان اليهود قلما كانوا يترددون على مدارس التعليم التي كانت لغيرهم من الامم (٣)وكانت مدارس البيان في ترسه أهم المدارس فيها(٤) وكانت الدروس اليونانية المدرسية ,, كلاسيك " في مقدمة دروسها . ولا يمكنا ان نصدّق ان رجلاً تلقى في هذه المدارس اصول النحو والبيان الاولية يكتب بتلك اللغة السقيمة المملوءة غلطاً الرسائل التي كتبها بولس .

وكان بولس يتكلم اليونانية بسهولة (٥) وكان يكتب بها او يملي الكلام على كاتب ولكن يونانيته كانت ضعيفة مضطربة لا يكاد يفهمها متأدبو ذلك العصر. وهو نفسه كان يعترف بضعفه هذا . اما اللغة التي كان (يفكر) بها فهي العبرانية و بهذه اللغة أتاه الصوت على طريق دمشق

وليس في كتاباته شيء يدل على مشاركة له في الفلسفة اليونانية . اما بيت

(١) سترابون الفصل ١٤ (٢) سترابون . وفيلوستراتوس في حياة ابولونيوس (٣) يوسيفوس (٤) فيلوستراتوس (٥) رسالته الى كورنثيوس ١ الاولى الاصحاح ١٥ العدد ٣٣

(تايبس) الذي وُجد في أحدى كتاباته فقد كان يومئذ مثلاً متداولاً على الالسن ويمكن اقتباسه دون الاطلاع على الاصل . وكذلك استشهاده بقولين واحد لايبمنيدوس والآخر لاراتوس (في الرسالة الاولى الى طيطس) فانه لم يثبت انهما له . فتربيته كانت يهودية محضة . ومصادره الاولى هي في التلمود لا في الدروس اليونانية المدرسية (الكلاسيك) فان براهينه لا مشاركة لها مع براهين ارسطو بل مع براهين التلمود . وهو اكثر اعتماداً على الالفاظ منه على المعاني . وربما بلغ اليه شيء من الآراء الفلسفية العمومية التي كانت تنتشر في كل مكان وتتداولها الالسنة دون ان يطلع على أحد كتبها

وقد أقرَّ أبوه منذ صباه على جعله معلماً في الشريعة الدينية . ولكنه حسب عادة اليهود علّمه صناعة الحياكة . وقد مارس بولس هذه الصناعة غير مرّة لانه كان لا يملك شيئاً . وكان له اخت ولاخته ابن أقام في اوروشليم . اما وجود أخ له وأهلٍ آخرين دخلوا في المسيحية فلم يقم دليل قاطع عليه

وجهه وجسمه ومزاجه واستاذه

وربما يُظن ان بولس لم يكن سليم الذوق مهذّباً تهذيباً كافياً لانه من افراد الشعب لا من الطبقة العليا . والحقيقة التي تشهد بها كتاباته بالرغم من اغلاطها البيانية انه كان ذا تهذيب راقٍ وعواطف عالية ووداد وتحفّظ في اقواله . ويظهر ان منظر وجهه كان لا ينطق على عظمة نفسه . فقد كان غير جميل الصورة قصير القامة كثيفاً محدوباً . وكانت كتفاه القويتان تحمل رأساً صغيراً أصلع . وكان وجهه الشاحب تحيط به لحية كثيفة وفيه أنف معقوف وعينان نفذتان وحاجبان أسودان يلتقيان في جبهته . وكان كلامه لجسمه نعني انه لم يكن له التأثير المطلوب لاول وهلة . فقد كان فيه شيء من الخشية والحيرة لا يدل على شيء من بلاغته قبل ظهورها بمظهرها . وكان لبراعته يردد

الكلام عن نقصه هذا وينتفع بكلامه عنه

وكان مزاج بولس غريباً كنظره الخارجي ٠ وبنيته التي كانت قوية لانها احتملت متاعب حياته في أسفاره وعذابه لم تكن سليمة من المرض٠ وكان يشير في كتاباته على الدوام الى ضعفه الجسدي ويذكر انه عليل سقيم لا تكاد تتردد أنفاسه٠ ويقول في رسالته الثانية الى كورنثيوس انه ابتلي بشوكة في جسمه شيطان يعذبه لئلا يتكبر ويتسامى ٠ وقد سأل الله ثلاث مرات ان ينقذه منها وثلاث مرات اجابه الله (تكفيك نعمتي) فمن المحتمل انه كان مصاباً بمرض(١) اما قولهم عن الشهوة الجسدية فغير محتمل لان بولس قال في رسالته الاولى الى كورنثيوس انه لم يكن لها تأثير على نفسه ٠ ويظهر انه لم يتزوج قط ٠ وكان فتور مزاجه وبنيته الناشيء عن تحمس دماغه تحمساً لا مثيل له مما يظهر في حياته كلها ٠ وكان يفتخر بذلك افتخاراً لا يخلو من التصنع الا انه كان صحيحاً وان كان ترديده ذكره غير مرة أمراً مجمزاً

وقد قدم بولس الى اوروشليم صبياً ودخل في مدرسة (اوطريقة) غمالائيل الشيخ ٠ وكان غمالائيل أعقل أهل زمانه في اوروشليم ٠ وكان يُدعى(فريسياً) لان هذا اللقب كان يُطلق عند اليهود على كل يهودي ذي أهمية كبرى وليس من أسرة كهنوتية ولذلك كانوا يعدّون غمالائيل من فريق الفريسيين ٠ ولكن لم يكن لغمالائيل ما كان للفريسيين من الفكر الضيق والاثرة ٠ فانه كان مستنيراً حرّ المبادىء يعرف اليونانية ويفهم حياة الوثنيين ٠ وربما كانت مبادىء غمالائيل هذه مما أثر في نفس تلميذه بولس واوحت اليه الافكار الواسعة التي علّم بها

---

(١) البعض يقولون انه داء الرومانزم وآخرون يقولون انه كان له خصم يتعقبه في جميع اقواله وافعاله وغيرهم يقول غير ذلك

اضطهاد بولس المذهب الذي دخل فيه بعدئذٍ وأصبح أول رسله

ولكن بولس لم يقتبس من استاذه التساهل كما اقتبس الافكار الواسعة . فانه وضع نفسه في مقدمة (حزب الفريسية الفتاة) (١) وأخذ يحرض حزبه والناس على اضطهاد المسيحيين وبلغ في اضطهادهم والتحريض عليهم من الشدة والحدة مبلغ الجنون . ولم يرد له ذكرٌ قبل صلب المسيح ولا حين صلبه بل لم يعرف بولس يسوع قط ولكنا رأيناه حين رجم اسطفانوس في مقدمة المحرضين والساعين في اضطهاد الكنيسة . ولم يكن يحلم في غير قتل المسيحيين واضطهادهم وكان يطوف اوروشليم من مجمع الى مجمع ويُلزم المترددين ان يجحدوا اسم يسوع فمن اطاعه نجا ومن عصيه جُلد وسُجن بحسب الاوامر التي كان بولس يحملها . ولما تفرقت كنيسة اوروشليم شتاتاً انصرف غضبه الى المدن القريبة التي دخلتها المسيحية وكان يلتهب غضباً وحدةً كلما سمع بانتشار هذا المذهب الجديد . فبلغه في ذات يوم انه تألف حزب صغير لهذا المذهب في دمشق (الشام) فاستصدر من رئيس الكهنة تيوفيل بن حنانيا الى مجمع دمشق اليهودي أمراً يخوله حق القاء القبض على اعضاء ذلك الحزب الذين ضلوا وإرسالهم الى اوروشليم مكبلين بالقيود

على طريق دمشق الشام

فخرج بولس من اوروشليم يقصد دمشق وفي يده هذا الأمر وعقله مضطرب متحمس منتهى التحمس . فعبر الاردن على الارجح عند جسر (بنات يعقوب) وكان في صحبته بضعة من رفاقه . وكان سفرهم مشياً على الاقدام على ما يظهر من كتاب (أعمال الرسل)

« البقية في الجزء التالي »

(١) تجوز لنا هذه الترجمة على ما نظن

مخترع سوري

باشمهندس جبل لبنان سابقاً

«الحركة الدائمة في اختراع صغير في كوفي آيلند كاختراعه» (١)

تباهى القرن التاسع عشر على عشرات القرون التي سبقته باتساع مجال الاختراعات الكهربائية فيه حتى صار البشر يطمعون بان تحل القوة الكهربائية في المستقبل القريب محل كل قوّة طبيعية وعضلية في انشاء الحركة اللازمة لآلات النقل والمعامل والمصانع . واذا عمّ استخدام قوات المياه المنحدرة لتوليد الكهربائية أمكن الاستغناء عن الفحم الذي يُخشى من نفاده وحينئذٍ يكون الانسان قد استولى الاستيلاء المطلق على قوات الطبيعة التي سلطه الله تعالى عليها

واهل العلم والاختراع لا يزالون يتوقعون اكتشافات واختراعات جديدة يتباهى بها القرن العشرون الحالي . فماذا عسى ان تكون

منذ نحو ٥ سنين تعرّفت بالمهندس السوري يوسف افندي الياس صاحب اختراع المحرك المائي المشهور وباش مهندس لبنان سابقاً واعجبت بدماثة اخلاقه ولكنه ما لبث ان برح الى باريس فعلمت من ذويه سرّاً انه قصد اليها لاجل اصطناع نموذج لاختراع مهم جدّاً كان قد توفق اليه وامتحنه في آلة صغيرة فنجح فيه فرام ان يصنعه في آلة كبيرة معدّة للعمل . وكان يبالغ في كتمان اختراعه هذا خيفة ان يسترقه منه أحد ويعزوه لنفسه كما حدث لغيره من المخترعين والمكتشفين . ولهذا كان في باريس يصنع اجزاء الآلة في معامل مختلفة لكيلا يفهم اصحاب المعامل شيئاً من عمله ولذلك لم تكن الاجزاء التي يصنعها لتتوافق فكان يعيد اصطناعها . وقد عانى في ذلك جهاد نحو ٥ سنين

(١) نُشرت هذه المقالة مناسبة لما نشرته جرائد مصر وسوريا الاخيرة عن نجاح اختراع المخترع

وقد اتفق لي وانا في مصر ان شاهدت صورة الآلة مع صديقي الاديب نسيبه يوسف افندي الشامي فوتوغرافي المحافظة ولكني لم اقدر ان افهم من اسرارها شيئاً لانها عديدة الاجزاء · على اني فهمت من صديقي حينئذ ان حضرة المخترع يستخدم ضغط الهواء لانشاء الحركة وانه اهتدى الى ناموس في الهواء لم يُعلم قبلاً فاستعان به على اختراعه · اما ما هو هذا الناموس وكيف تتولد القوة المحركة منه فلم نعرف · على ان القوّة تنشأ من غير استخدام بخار او حرارة ولا مقتضي فيها لاحراق الفحم ولا استنفاد سواه من القوات الطبيعية التي بثمن · ولذلك تدور الآلة بنفسها ولا نفقة عليها غير ثمن موادها فكأنها هي الحركة الدائمة

هذا جلّ ما فهمته من هذا الاختراع · وفهمي لهزاد استغرابي بل إفكاري لاني اعلم من نواميس الطبيعة انه لا يمكن توليد قوّة من غير بذل قوة أخرى في مقابلها من صنف آخر · مثال ذلك لا تتولد قوة كهربائية بواسطة (الدينمو ماشين) ما لم تُدر بقوة الآلة البخارية التي تساويها والآلة البخارية تستنفد فحما

ولولا اني اعلم ان يوسف افندي الياس مهندس يفهم النواميس الطبيعية لكنت اقول انه مغرور

ولكني قرأت اليوم في بعض جرائد سوريا ان حضرة المخترع السوري انجز آلته وعما قليل يعرضها للعالم و يقدمها لدار العمل لكي تُستخدم لادارة كل آلة ميكانيكية تحتاج الى قوّة مثل القطرات الحديدية والمعامل والمصانع

فاذا تحقق هذا الخبر الذي قرأناه ولنا كبير الأمل انه يتحقق كان اختراع يوسف افندي الياس موضوع الفخر للقرن العشرين وربما كان آخر ما يبتغيه الانسان من الطبيعة

متى أمكنت ادارة عجلات القطرات وآلات جميع اصناف المعامل والمصانع والسفن الخ من غير استنفاد قوة ذات ثمن كالفحم مثلاً حصل اضطراب

اقتصادي وقتي في جميع اقطار المسكونة اذ تكثر المصنوعات وتهبط اثمانها وترخص اجور النقل وحينئذ لا يعلم البشر الى حد يتمتعون

ولكن هل تستوي السعادة بين البشر ؟ هذه مسألة لا تتوقف الاختراعات المادية الى حلها لانه متوقف على الاختراعات الاجتماعية في التشريع وتطبيق القوانين المدنية على قواعد المساواة في الحقوق والواجبات

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر كان اختراع يوسف افندي الياس يفكرنا باختراع الماني بسيط للحركة الدائمة شاهدناه باعيننا في ,, كوني آيلند " (نيو يورك) من جملة العابها الغريبة والصبيانية المدهشة

وليس في الامكان وصف هذا الاختراع بالتدقيق ما لم يؤخذ رسمه ويُشار الى كل جزء من اجزائه الامر الذي لم يتسنَّ لنا في حينه · على اننا لاحظنا انه يدور بموجب ناموس المخل في الطبيعيات · وهو عبارة عن دولاب سمتي الوضع ذي اضلاع بلا اطار وكل ضلع تتصل بها ضلع مجوفة تتحرك عند طرفها بواسطة مصراع وفي تجويفها كرة ثقيلة تجول فيها حتى متى مالت الضلع عن موقعها الافقي تدحرجت الكرة الى الطرف وانقلبت الضلع الاضافية حتى تصير كأنها استمرار للضلع الاصلية فتطول هذه في حين ان الضلع التي تقابلها في الجانب الآخر قصيرة لان الضلع الاضافية تتحد بها وهي صاعدة · ومتى كان جانب من الدولاب مترامٍ اكثر من جانب ثقل جانبه هذا المترامي فهبط · وعلى هذا النحو يدور الدولاب على الدوام بلا انقطاع · وقد انعمنا النظر في هذا الاختراع فلم يتبين لنا سبب لدوران الدولاب غير ذلك الناموس · ولكن لاحظنا ان الفائدة منه جزئية لانه لا تمكن استفادة قوة منه لعمل صغير الا اذا كان الجهاز ضخماً جداً

نقولا الحداد

السفر والحرب في الهواء

المناطيد وحالتها اليوم

لكاتب فاضل

في الحادي والعشرين من تشرين الاول الماضي (اكتوبر) جرى سباق المناطيد (البالونات · او السفن الهوائية) الدولي في سنت لويس (مزوري) وكان في السباق ٩ مناطيد تمثل اربع دول اميركا وفرنسا والمانيا وانكلترا

نهضت المناطيد بالتتابع من سنت لويس واتجهت الى الشمال واقضت في نحو يومين في جهات مختلفة وفي اوقات متفاوتة فكان المنطاد بومارين الالماني اسبقها اذ قطع ٨٨٠ ميلاً في ٤٠ ساعة ولذلك استحق الجائزة وهي كأس فضية قدمها المستر تجايمس غردون بنت

هذا هو السباق الدولي الثاني للمناطيد · وفي العام التالي يكون السباق الثالث في المانيا

وقد ظهر من هذا السباق ان السفر على متن الهواء أصبح من الممكنات القريبة جداً فان معدل المسافة التي يقطعها المنطاد يقارب معدل المسافة التي تقطعها سفن البحر في الوقت الواحد وذلك نحو ٢٢ ميلاً في الساعة وقد امكن بعض المناطيد ان تقطع نحو ٣٠ ميلاً في الساعة

على ان السفن الهوائية لم تزل اقل سلامة من السفن البحريه ولهذا لا يُنتظر ان يُعدل الى السفر في الريح الا متى صارت السفن الهوائية تقطع الاوقيانوسات مضمونة السلامة كالسفن البحريه

ولكن من نكد الطالع على الهيئة الاجتماعية انه قبل ان يُفتكر بفائدة هذه المناطيد للجنس البشري جعلت الدول تفتكر باستخدامها في تدابير الهلاك والتدمير

ولهذا كان من جملة مباحث المؤتمر الذي يسمونه (مؤتمر السلام) البحث في شروط استعمال المنطاد في الحروب · وقبل ان يُبنى منطاد للسفر او للنقل او لاي سبب عمراني بنت بعض الدول مناطيد للحرب

فمن ذلك ان فرنسا بنت ثلاث سفن هوائية حربيه وهي (ليبودي الثاني) و (لاباتري) و (ريببليك) والآن تبني سفينة رابعة ايضاً

والمانيا عندها الآن (زبلين) وهو اكبر منطاد بُني حتى الساعة و (غروس) و (بارسفال)

وانكلترا أتمت حديثاً بناء المنطاد الحربي (نولي سكوندوس)

اما (ليبودي الثاني) فقد بناه آل ليبودي على طرز المناطيد القديم وقد دلت الامتحانات على انه صالح للطيران والسير السريع وصعد بانوه فيه مراراً وقطعوا مسافات مختلفة من ١٠ الى ٣٠ ميلا فأعجبت به النظارة الحربية وابتاعته للخدمة الحربية في الجو · وبعد ذلك تقرر بناء ٣ مناطيد أخرى للغرض نفسه فبني (باتري) و (ريببليك) والثالث على اهبة النجاز

اما (باتري) فسعته ١١١١٩٥ قدماً مكعبة وقطره ٣٣ قدماً وطوله ١٩٦ قدماً وفيه آلة مسيرة كهربائية (موتور) قوتها ٧٠ حصاناً تدير (رفاصين) · وهو يستطيع ان يرفع مع ثقله ٢٨٠٠ رطلاً اميركيًا او مصريًا وسرعته في الساعة ٣٠ ميلاً وهو أتقن منطاد حتى الآن ويُدار بحسب أرادة راكبه كما يشاء

وأكبر منطاد في العالم هو المنطاد (زبلين) الذي بناه الكونت فن زبلين الالماني وباعه للحكومة الالمانية · قطره ٤٠ قدماً وطوله ٤٢٠ قدماً وفيه آلتان قوتهما ٨٠ حصاناً وكل واحدة منهما تحرك رفاصين على جانبيها · ويقال انه بالرغم من ثقله يحمل ٣ اطنان · وقد أمتحن في الصيف الماضي وثبت انه سريع جدًا ويقضي الوطر · ففي احدى رحلاته قطع ٣٣ ميلاً في الساعة وهو

يصادم الريح · وفي رحلة اخرى بقي في الجو ٧ ساعات وقطع ٢٢٠ ميلاً وذلك على معدل اكثر من ٣٠ ميلاً في الساعة

اما (غروس) ,, لالمانيا ايضاً " فسعته ٦٤٠٠٠ قدم مكعبة وقطره ٣٩ قدماً وطوله ١٣٠ قدماً وفيه آلة قوتها ٣٥ حصاناً وسرعته ٢٩ ميلاً في الساعة

واما (بارسفال) فاكبر من غروس سعته ١٠٦٠٠٠ قدم وفيه آلة قوتها ٩٠ حصاناً وسرعته تناهز الثلاثين ميلاً في الساعة · ومن مزاياه ان لشفرات رفاصه شرائط تدور دوراناً انتفاخياً لتنظيم معدل سرعته على مبدإ (الوالي) في الآلات البخارية

وفي الشهر الغابر امتحن جنود الهواء الانكليز منطادهم الحربي (نولي سكوندس) فدل الامتحان على نجاحه وقطره ٣٠ قدماً وطوله ١٠٠ ويحمل ٤ رجال وسرعته نحو ٢٠ ميلاً في الساعة

اما وظيفة المناطيد في الحروب فعظيمة جدًّا لسفاكي الدماء ومدمري الهيئة الاجتماعية وهي التجسس ولا سيما حين تكون الريح مطاوعة والجو صافياً يحلّق المتجسسون في الجو الى علو لا تبلغ اليه قنابل الاعداء مهما قذفت الى العلى ويطوفون فوق المكامن والحصون والمعسكرات ويطلعون على اسرار العدو ويصورون بالفوتوغراف كل ما يرون وبالاجمال يفضون اسرار عدوهم

اما استخدام المطاد الحربي لرمي المواد المتفجرة كالديناميت ونحوه فغير مضمون النجاح لان المعاينة منه صعبة فقد تقع القنبلة المنفجرة في غير المكان المقصود · ولكن اذا اخترعت بنادق تصوب الى اسفل وتسهل المعاينة منها كانت فعالة لانها تكتسب وهي ساقطة زخماً فوق زخمها

اما في اميركا فقد قررت الحكومة الاميركية ان تنظم سلاحاً هوائياً وارسلت وفداً الى اوروبا لشراء المناطيد اللازمة وعينت جنوداً للتدرب على المناورات الجوية

والفضل الاكبر في رقي المناطيد وتقدم فن الطيران هو لفرنسا صاحبة قصب السبق في اختراع الاوتوموبيل والغواصات والمدافع السريعة الطلقات ايضاً وعلى يدها صارت التحسينات في هذه الاختراعات وغيرها من تحف العصر الجديد

سنة الجامعة الجديدة

وهديتها الى مشتركيها الكرام

في رأس السنة

قلنا في صدر الجزء الماضي للمجلة اننا عزمنا على اخراج رواية (أتالا) الجميلة الى اللغة العربية كما أخرجنا (بولس وفرجيني) و(الكوخ الهندي) اليها . واليوم نقول اننا سنهدي هذه الرواية البديعة (أتالا) التي هي أجمل رواية كُتبت عن الولايات المتحدة خارج الولايات المتحدة الى حضرات مشتركي الجامعة (المجلة والجريدة)وذلك في منتهى السنة الحاضرة التي تنتهي في اول السنة الجديدة

سنة مجلة الجامعة عشرة اجزاء وكتاب هدية

وقد سنَّت بعض رصيفاتنا من المجلات في مصر سنَّةً فيها فائدة لاصحاب المجلات والجمهور . وهي ان تكون سنَةُ المجلة عشرة أجزاء بدل ١٢ والجزآن الباقيان تعوَّض عنهما المجلة بكتاب هدية . وقد عملت بهذا الترتيب رصيفاتنا الهلال والضياء للمرحوم اليازجي والمقتبس وما زالت تعمل به حتى اليوم . وفي هذا الترتيب فائدتان الاولى استفادة الجمهور بكتاب جديد يضعه صاحب المجلة في تلك الفرصة ولولاها لما تمكن من ذلك . والثانية استراحة الكاتب قليلاً من التعب وكدّ الذهن تفرغاً لاعداد مواضيع هامة لسنة مجلته الجديدة لان صاحب المجلة قضي عليه ان يعمل بنفسه لمجلته كل شيء في صحافتنا التعيسة بينا أصحاب المجلات

الاوروبية والاميركية يقتصرون على ملاحظة المواد التي تنشر في مجلاتهم بأقلام مجيدي الكتبة وهم لا يكتبون في كل جزء منها اكثر من مقالة واحدة · وهنا نعطي مجلة الهلال حقها من الشكر لوضعها هذه الطريقة وابتدائها بها

فهذا الجزء من المجلة الذي هو الجزء العاشر هو خاتمة سنة المجلة الحاضرة · وفي الشهر التالي أي أول كانون الثاني تصدر (رواية أتالا) التي جعلناها هدية المجلة والجريدة الى المشتركين فيهما وتتمة لسنة المجلة الحاضرة وهي الخامسة · وسنطبعها على ورق جميل طبعاً متقناً ونزينها برسوم جميلة لتكون ترجمتها العربية مما يليق بالاصل

اما الجريدة فلا تنتهي سنتها الا في رأس السنة الجديدة ·

وقد ذكرنا في الجزء السابق أهمية الرواية التي جعلناها تتمة للمجلة في هذا العام بين كتب الادب في جميع أقطار العالم

حبة قمح بقدر بيضة

والقيصر

حكاية بقلم الفيلسوف الروسي
الكونت تولستوي المشهور

اقتبس تولستوي مبدأها من مبدإ هنري
جورج الاجتماعي الاميركي المشهور

بينما كان الاولاد في احدى القرى يلعبون في وادٍ صغير وجدوا فيه شيئاً شبيهاً بحبة القمح ولكنه بقدر بيضة · فمرّ سائح في تلك القرية وابتاع هذه التحفة الغريبة النادرة ببضع قطع من النقود الصغيرة ثم ذهب وباعها من القيصر

بثمن غالٍ .

فأخذها القيصر وعرضها في قصره على حكمائه ومدبري شؤونه فلم يعلم أحد منهم هل كانت بيضة أم حبة قمح · فوضعها القيصر في نافذة غرفته فمرّت بها دجاجة واذ أبصرتها نقدتها وفتحت ثغرة فيها لتأكل منها · فلما نظر القيصر في الثغرة تحقق القيصر ان الحبة كانت حبة قمح

فدهش القيصر وأصدر أمره الى علماء بلاده ان يبحثوا ويفتشوا أين نبت هذا الصنف من الحبوب ومتى نبت · فحار العلماء في الجواب وقالوا انهم لا يعلمون شيئاً ولم يروا قط قمحاً بهذا الحجم وأشاروا عليه ان يسأل الفلاحين · فأمر القيصر بان يؤتى اليه بفلاح خبير عركه الدهر وحنكه الزمان · فجاؤا اليه بشيخ أكل الدهر عليه وشرب واناخ عليه الزمان بكلكله · وكان محني الظهر ضعيف السمع والبصر لا يمشي الا مستنداً الى عودين من خشب · فاراه القيصر الحبة الغريبة وقال : انظر يا عم هل تعلم أين ينبت هذا القمح ؟ وهل زرعت وحصدت منه في صباك ؟ وهل اشتريت منه في حياتك

فلم يفهم الفلاح كلام القيصر الا بصعوبة فاجابه وهو يقلب الحبة بين يديه : لم أرَ في زماني قمحاً كهذا القمح وجميع الحبوب التي زرعتها او اشتريتها كانت كالحبوب التي تزرع الان · فسل أبي يا قيصر لعله رأى او ابتاع في زمانه حباً كهذه الحبة ·

فبعث القيصر في طلب أبيه · فجاء ابو الفلاح · فدخل الأب على القيصر وكان أسلم جسماً وأشد نشاطاً وأصح سمعاً وبصراً من ابنه · فأعاد القيصر عليه السؤال الذي ألقاه على ابنه · فأخذ الأب الحبة في يده وقلّبها مدهوشاً والقيصر وراءه ينظر اليه ثم قال

— كلا يا قيصر لم أزرع ولم أحصد في حقلي في كل حياتي قمحاً كهذا القمح ·

ولم أشتر منه لاننا في كل زماننا ما كنا نعرف النقود ولا نتعامل بها · فان كل واحد منا كان يعيش من الحاصلات التي كان يُخرجها من الارض واذا وقع ضيق او حدثت أزمة فكنا نساعدبعضنا بعضاً · نعم ان قمحنا كان أكبر وأخصب من قمح هذا الزمان ولكنه كان بعيداً عن ان يشبه هذه الحبة · فسل أبي يا قيصر فانني سمعت منه غير مرة ان القمح في زمانه كان أكبر وأخصب منه اليوم ·

فامر القيصر باحضار أبيه · فدخل الفلاح الجدّ على القيصر بنشاط كنشاط الاولاد وكان صحيح الجسم والنظر وعيناه تبرقان كأنه ابن اربعين · فأراه القيصر الحبة وألقى عليه سؤاله · فأخذ الجد الحبة وشمها وضمها وعضها بعض الشيء بنواجذه ثم قال

— هذا هو · هذا قمحنا القديم · فانني كنت ازرع وأحصد منه حياتي كلها

فدهش القيصر وقال : وأين كنتم تجدونه يا عم

فقال الجدّ ان هذا القمح كان موجوداً في كل مكان في بلادنا وكان هو قمحنا الاعتيادي الذي كنا نقتات به نحن واولادنا

فقال القيصر وقد أراد زيادة التحقيق وهل اشتريت منه من مكان مخصوص

فابتسم الفلاح الشيخ ابتسام الشفقة واجاب

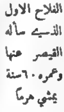
— في زماني لم يكن أحد يجترئ على ارتكاب جناية بيع القمح · وما كنا نعلم كيف تكون النقود ولا ما هو شكلها · وكان لكل منا من القمح ما يكفيه ويكفي عيلته · فما كنا نحتاج بيعاً وشراء · وانني بيدي هذه قد زرعت وحصدت وطحنت قمحاً كهذا القمح

فزادت دهشة القيصر وقال ، ولكن أين زرعته وأين كان حقلك

فاجاب الشيخ الفلاح وقد اتخذ وجهه هيئة جدية

﴿ حبة قمح بقدر بيضة ــ بين القيصر والفلاحين ﴾

الفلاح الاول الذي سأله القيصر عنها وعمره ٦٠ سنة يمشي هرماً







الذي اشترى حبة القمح التي هي بقدر بيضة يفحصها بالمكرسكوب

ابوه الفلاح الثاني وعمره ٩٠ سنة وهو انشط من ابنه واقوى جسماً





القيصر حائر في أمرها هل هي بيضة ام حبة قمح

جدهُ الاول عمره ١٢٠ سنة وهو اقوى منهما ــ جوابه للقيصر



الدجاجة حلت المشكلة

ــ ان ارض الله كلها كانت حقلي ... فحيثما كنت أفلح التربة وأُصلحها وازرعها كان يحق لي استخراج القمح منها ... فان الارض كانت حرة مطلقة للجميع وما كان أحد يجترئ ان يدعيها ملكاً له . وما كان أحد يقدر ان يسمي شيئاً (ملكه) غير ثمرة تعبه التي كان يستخرجها من الارض بعرق جبينه

فقال القيصر : لي اليك سؤالان آخران يا عم . الاول لماذا كان القمح في زمانكم كبيراً خصيباً الى هذا الحد وهو اليوم جديب صغير . والثاني

لماذا حفيدك ضعيف يتوكأ على عكازين ليستطيع المشي وابوه ابنك اقوى منه مع انه اكبر سناً وانت أقوى منهما كليهما مع انك اكبر سناً منهما

فاجاب الشيخ الجد عابساً

— كل هذا الانقلاب سببه ان الناس الذين يعيشون في هذا العصر لا يعيشون من عملهم وتعبهم بل يطمعون في اعمال غيرهم وتعبه · فهم يسخرون غيرهم للعمل والتعب ويتنعمون بثمار هذا العمل وهذا التعب وهم مستريحون · ففي زماني كان الناس يعيشون بحسب شريعة الله وهي (بعرق جبينك تاكل خبزك) لا بحسب شريعة هذا الاستثمار والابتزاز · وكان كل واحد منا راضياً بما عنده مكتفياً به غير طامع في عمل غيره وتعبه'' انتهى

﴿ الجامعة ﴾ وقد تناقلت جرائد اوروبا واميركا هذه القصة الصغيرة التي نشرها تولستوي ولكنها لم تشر الى المصدر الذي اخذ تولستوي عنه هذه المبادئ · على ان الذي طالع كتابه (البعث) الذي هو أجل كتبه كلها والذي لخصناه تلخيصاً في السنة الثالثة للجامعة يرى ان تولستوي اقتبس مبدأه هذا من مبادئ هنري جورج الاشتراكي الاميركي المشهور · ومما قاله في ذلك الكتاب ,, ان الارض لله ولا يصح ان تكون ملكاً لاحد · وان هنري جورج الاميركي حلّ العقدة الاجتماعية بدعوته الناس الى جعل الارض وقفاً لا يجوز ان يُشرى ويُباع بل ينتفع به العامل فيه · وانهم في اميركا قتلوا مبادئه هذه بالسكوت عنها وعدم العناية بنشرها · على ان تولستوي أحياها بيناً مذهبه عليها كما جهر بذلك في كتابه''

ولكن هل في هذه المبادئ اصلاح الهيئة الاجتماعية أم فسادها · وهل العمل بها من الممكنات ؟ هذه هي العقدة التي لا يحلها الا الاختبار ومرور الزمان

العلم واسرار الحياة

الفردوس الارضي في القطب

عالم فرنسوي سائر لاكتشافه في سفينة يبنيها الآن على نفقة الحكومة الفرنسوية * وهو يقول بخطاء مذهب النشوء والتحول اذا صدق حدسه

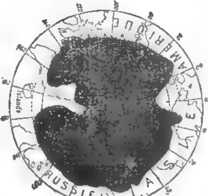
﴿ لماذا لا ﴾ Pourquoi Pas هذا هو اسم السفينة الغريبة الشكل التي سيركبها بعد ثمانية اشهر الرحالة شركو الفرنسوي المشهور ويقصد بها القطب الجنوبي . وقد دعاها (لماذا لا) اشارة الى أمله في الوصول الى هذا القطب واكتشاف قارة جديدة فيه . فكأنها تقول (لماذا لا اصل) الى القطب ولماذا لا اكتشف تلك القارة . وسيرافقه في السفينة ٢٠ شخصاً من بحارة ورفاق يساعدونه في البحث . ويصطحب عدة اوتوموبيلات تزلق على الثلج زلقاً بدل المركبات التي تجرها الكلاب . وهو الآن يبني سفينته بطريقة تجعل جدرانها مما يصبر على ضغط الثلوج اذا تراكمت عليها . وقد سلّحها بآلة تكسر الثلج في طريقها وجعلها تسير بالبخار والشراع معاً وسيخزن فيها ١١٠ اطنان من المؤن وسيكون محولها ٨٠٠ طن وقوة آلتها البخارية ٥٠٠ حصان . وقد جملت له الحكومة الفرنسوية والمجامع العلمية اكثر من ٥٠٠ الف فرنك للقيام بنفقة رحلته . على انه يقول انها تقتضي ٨٠٠ الف فرنك واكثر . لان الحملة الجديدة التي سيسيرها الانكليز في نفس ذلك التاريخ على التقريب سينفقون عليها ضعف هذا المبلغ

﴿ سر الحياة في القطب الجنوبي ﴾ قال الدكتور شركو صاحب هذه الرحلة لاحد محدثيه وقد اراه الخريطة التي نشرناها هنا . انظر الى القطب الشمالي تجد ان البشر كادوا يكتشفونه كله . ولم يبق منه الا جزء يسير (وهو

السواد القليل في البياض الكثير في الرسم الاول) · اما القطب الجنوبي فلا يزال مجهولاً كما ترى في الرسم الثاني · والسفر الى القطب الشمالي صعب جداً لان الزوابع تكتسح آفاقه وما هو الا جزائر صغيرة متفرقة في اوقيانوس من الجليد · واما القطب الجنوبي فالطريق اليه اهدأ وآمن وربما كان كله يابسة · فاذا صدق هذا الظن كان في القطب الجنوبي قارة خامسة مساحتها تعدل مساحة اوروبا واوستراليا معاً

السواد في هذه الدائرة هو الباقي من (القطب الشمالي) مجهولاً

ثم تحمس الدكتور فقال لجليسه: وما ادراك انني لا اكتشف هناك سرّ الحياة والكائنات في الارض · فان القطب الجنوبي الذي (مات) في الارض منذ ازمنة بعيدة ودُفن تحت الجليد الدائم لهو على ما يظهر اقدم قطر في الارض لانه شاخ قبل جميع اقطارها · وهو تحت كفنه الثلجي رابض على الارض يخبأ في جوفه اسرار الحياة ويهزأ بعجزنا عن الوصول اليه توصلاً اليها · فربما عثرتُ منه وفي يدي بقايا الحيوان الاول الذي



السواد في هذه الدائرة هو الباقي من (القطب الجنوبي) مجهولاً بالنسبة الى المجهول من القطب الشمالي

نشأ منذ ابتدأت الحياة وهيكل عظام الانسان الاول الذي نطلبه ولا نجده (الحلقة المفقودة) وانموذج النبات عند اول ظهوره في الارض · فانه من الممكن ان القطب الجنوبي كان في بدء الحياة أول منشأ الانسان

ومن جهة أخرى فان الذين حفروا الارض في باتاغونيا واوستراليا ومدغسكر قد كشفوا انواعاً من الحيوان والنبات متشابهة في الجهات المختلفة ولبعضها صور هائلة لا مثيل لها في جهات اخرى · فيظهر ان هذه الجهات البعيدة قد أثر فيها في العصور التي تقدمت التاريخ مؤثرات متشابهة أدت الى هذه النتائج المتشابهة وبالتالي يثبت انها كانت كلها جزءًا من قارة واحدة · ويثبت ايضاً ان الفاعل الذي فعل فيها هو فاعل خصوصي لم يفعل في غيرها من الجهات وهذا أمر عظيم فيه نقض مبدإ النشوء والتحول كما يفهمه اليوم العلماء · ذلك لانه يصبح في حكم الثابت ان المؤثر في الكائنات فاعلان لا فاعل واحد وان جرثومة الحياة الاولى لم تكن واحدة بل كانت غير واحدة

هذا ما يجول في نفس الدكتور شركو وهو سائر الى القطب الجنوبي · فالوداع مقدماً يا استاذ · اننا ندعو لك بالسلامة فزت بمرادك ام لم تفز · فان سفراً محفوفاً بالخطر كهذا السفر لما يجدر به الاعلان على هذا المثال ويحمد صاحبه اذا عاد سالمًا وان لم يفز ورضي من الغنيمة بالاياب

رجال سوريا

يسقط رجال سوريا في هذا العام سقوط ورق الخريف · ونعني هنا برجال سوريا رجالها القدماء المحنكين النافعين · فقد ذهب المرحوم اليازجي في اول العام وتلاه المرحوم السيد الدبس وتلاها المرحوم سليم شحاده وكلهم من علية رجال سوريا · وفي البريد الاخير نعى الينا مراسلنا في لبنان و بيروت المرحوم خليل افندي الخوري مدير الامور الاجنبية في ولاية سوريا عن ٧٥ عاماً · وكان الفقيد منشيء اول جريدة عربية في

سوريا . والكاتب الشهير المعلم رشيد شرتوني قضى عن ٤٣ عاماً صرفها بين المحابر والاقلام والتأليف والتعريب في مجلة المشرق وجريدة البشير وله كتب وآثار نافعة تبقى له ذكراً جميلاً بين بني وطنه

رحمهم الله رحمة واسعة وعزى آلها وابناء وطنهما وعوضهم خيراً

بين ركفلر والفيلسوف تولستوي

يا ركفلر وزع مالك واتبعني
هكذا يقول له تولستوي في كتابه

يُجِلُّ الاميركيون الفيلسوف تولستوي وله لديهم شهرة طائرة ككاتب مفكر وكشارح للانجيل شرحاً مبنياً على ايمان واعتقاد . وقد القى عليه المستر ركفلر منذ حين سؤالاً هذا محصله . (كيف يكون وجود الثروة مطابقاً للتعاليم المسيحية وما هي أشرف طريقة لانفاقها انفاقاً فيه خير الانسانية) فاجابه تولستوي بالكتاب التالي

,, جواباً على سؤالك اقول — بقطع النظر عن تعليم الانجيل — ان وجود الثروة لا يقترن بحياة صالحة صلاحاً مطلقاً (يعني ان هذا لا يطابق ذاك) وقد أبنت ذلك في كتابي (ماذا علينا ان نفعل)

,, فان المال الذي اصونه في جيبي او في خزينتي او في البنك انما يمثل قوة لي على من لا يملك شيئاً اعني الفقير أناله بها متى شئت . والحصول على هذه القوة لانفاذها حين الاقتضاء او للتهديد بانفاذها اظهاراً لسلطتي انما هو شر للهيئة الاجتماعية لا خير. هذا هو رأي العقل السليم في وجود المال

,, وإذا نُظر الى المال من جهة المبادئ المسيحية فان مسألته تزداد جلاءً . فان الكلام عن اباطيل الاهتمام للغد وعن جمع الثروة والتحريض على التشبه

المستر ركفلر

الفيلسوف تولستوي

(بلعازر الفقير لا بالغني الذي كان يجمع القمح في مخازنه) انما هو سار سريان الدم في جميع تعليم الانجيل وروحه · وقد قيل فيه (طوبى للفقراء وتعساً للاغنياء) وان الانسان (لا يستطيع خدمة ربين الله ومون أي المال) وانه (يجب إعطاء كل من يطلب ولا يُسترد منه) وغير ذلك مما يشبهه

,, هذا هو روح المسيحية العام · ولكن ما ورد في الانجيل من مَثل الغني الشاب يجلو هذه المسألة جلاءً لا تقبل التأويل بعده · فقد ورد فيه في خطاب ذلك الغني (اذا شئت ان تكون كاملاً فوزع اموالك واتبعني) وان قيل ان قوله (اذا شئت ان تكون كاملاً) يجعل ترك الثروة من صفات الكمال وقوله بعد ذلك (ان الذي لا يستطيعه الانسان يستطيعه الله) يجعل هذا الترك فوق طوق الانسان ويهيئ له عذراً عن عدم فعله · فالجواب ان معنى (اذا شئت ان تكون كاملاً) هو (اذا شئتَ ان تكون تلميذي) ومعنى (ان الذي لا يستطيعه الانسان يستطيعه الله) هو ان توزيع الثروة ممكن عند الانسان الذي فيه روح الله وان كان مستحيلاً عند من ليس فيه هذا الروح

,, وانني لاشعر بخجل حقيقي لدى بياني ما هو بيّن بنفسه عند كل رجل

ذي مبادئ دينية مخلص في اعتقاده سواء كان يعتقد بان أصل الانجيل الهي ام لا لاون تولستوي

قلنا . هذا رأي الفيلسوف تولستوي في الاغنياء وثروانهم اذا أرادوا تطبيقها على الانجيل . على اننا كنا نود لو اطلعنا على رأيه في روءساء الدين وثروانهم التي يجمعونها من سذاجة الشعب بطرق مختلفة لنرى كيف يوفق الفيلسوف بينها و بين المبادئ الانجيلية التي يعلّم الروءساء بها اسماً لا فعلاً

باب الاخبار العلمية

(تقتبل ولا تجاوب) ان محطة التلغراف اللاسلكي في الدار البيضاء (مراكش) لا تستطيع مجاوبة محطة التلغراف اللاسلكي المنصوبة في برج ايفل (باريز) لا اذا رُفع القضيب الذي يقتبل امواج الكهرباء في الدار البيضاء الى علو ٢٠٠ متر. فهي الآن تقتبل الاوامر من باريز ولا تستطيع المجاوبة عليها الا اذا رفعت الجهاز الكهربائي في منطاد (بلون) الى علو مائتي متر . وقد قيل انهم سيتخاطبون قريباً بين برج ايفل ونيو يورك بالتلغراف اللاسلكي . فتوصلاً الى ذلك تجب اقامة سارية في نيو يورك تبلغ ارتفاعها مئات من الامتار لتتمكن نيو يورك من مجاوبة باريز عن ذلك البعد الشاسع . وربما اكتفي بارتفاع أقل فان محطة نوين الالمانية التي تخاطب بطرسبرج (روسيا) عن بعد ١٣٠٠ كيلومتر لا يتجاوز ارتفاعها ١٠٠ متر

(اختراع الماس) وجد العالم بورداس الفرنسوي طريقة لتغيير الوان الماس الطبيعي فقامت الجرائد تصيح انه اكتشف طريقة لاختراع الماس وانشأت الفصول الطوال وليس الامر كذلك

فلما سمع بجانبه وقع اقدام ترك ما كان فيه من التأمل ورفع رأسه · فوقعت عينه على ذلك الاحدب · فعرفه الاحدب لانه رآه أمس يفرُّ من امام مريم وهي في الحقل حين مروره بها · فثارت نفس شيشرون لمنظر هذا الرجل لظنه انه أساء أمس الى مريم او قصدها بسوء · فرام الانصراف عنه باحتقار ولكن نفسه الرومانية منعته من ذلك وأوجبت عليه الانتقام من ذلك الرجل

وقد علم القارئ ان ذلك الرجل كان يوسف الذي وقع له ما وقع مع مريم في اليومين الماضيين ·

فدنا منه شيشرون بانفته الرومانية وقد رفع رأسه فوق حدبته رفعاً مضحكاً · ولما صار عنده جلس وقال · قد حللتَ محلي ايها الشاب فان هذه الشجرة شجرتي وقد اعتدتُ المطالعة تحتها

فاستوى يوسف جالساً وقال وهو يتأمل في جسم شيشرون المضحك ، اظنها تكفيني وتكفيك · تفضل واجلس

فلم يجاوب شيشرون وقال · أرى بجانبك كتاباً وهذا أمر مدهش منك · اذ كيف يمكن الجمع بين (الكتاب والكَعَاب) (١)

فتوردت وجنتا يوسف وأخذ كلمح البصر يضرب أخماساً باسداس · فمرَّ في نفسه ان مريم أطلعت هذا الاحدب على ما وقع له معها او انه هو نفسه رآه أمس واول أمس يجول حول المنزل او ابصره في الحقل بجانبها · ولكنه تجلد في كل حال وأجاب متهكماً · من السهل الجمع بين الكتاب والكعاب اذا كان الكتاب قصة لان النساء القصص القصص

فعبس شيشرون وقال · تعني بكلامك هذا انك تعاشر هذه المرأة ولا تخشى

فعبس يوسف وقال · من أين لك ان تناقشني الحساب يا هذا في

(١) الكَعَاب من النساء التي تَهِدُ ثديها أي ظهر وأشرف

شؤوني الخصوصية · ولماذا تنظر القذى الذي في عين غيرك ولا تنظر الخشبة التي في عينك · أما انتَ الذي نادتك أمس في ذلك الحقل وراء هذه الاكمة

فاستشاط شيشرون غضباً وصاح يالك من لئيم دَنس

فانتصب يوسف بكبرياء وعظمة وقد سكت بضع ثوانٍ ثم نطق فقال — لست اقابل اهانتك بالاهانة ايها الروماني المهذَّب · فحسبك انك اسأت الى من لم يسئ اليك ولا الى أحد غيرك

ثم تناول يوسف كتابة وهمَّ بالانصراف

فتعلق به شيشرون اما لان غضبه سكن لدى هدوء يوسف وتأدبه واما لانه كان يرى انه لم يستوفِ انتقامه بعد · فامسك بثوبه وقال · لا تذهب فانني اريد اتمام هذا الحديث معك

ولكن شيشرون لم يأتِ على هذا الكلام حتى صاح صوت من اكمة الى يمينه : ما هذا ياشيشرون · هل أصبحتَ شرساً الى هذا الحد·

فالتفت شيشرون ويوسف الى جهة الصوت فابصرا مريم واقفة تضحك وبجانبها الفارس الرومانيّ الاول الذي تقدم ذكره في الفصل السابق · وكان الفارس منبسط الاسرة باسم الثغر يهمس في اذن مريم ومريم تبتسم وتنظر في جهة ذينك الشابين الحقيرين · اما شيشرون فمذ ابصر مريم والفارس في هذه الحالة ارتخت عزائمه واضطربت نفسه مع ما فيها من القوة الرومانية · وسبب ارتخاء عزائمه رؤيته ان هذه المرأة لا تستحق الحماسة التي كان يدافع عنها بها · واما يوسف فقد انخلع قلبه وغار دمه وكلل العرق جبينه وكاد يهوي الى الارض· فجذب ثوبه من يد شيشرون وقال دعني فانني لا اقيم في هذا المكان

فدنا منه حينئذٍ شيشرون وقال بلطف مخالف لشراسته فيما تقدم· ياصاحب لا تلمني فقد غضبتُ وقلما اغضب في حياتي ·هلمَّ بنا نذهب من هنا ونتحادث

بهدوء واتفاق لانني لا أرى هذه المرأة اهلاً لان يغضب رجل كريم من أجلها

فسكت يوسف ولم يجب وسار بجانب شيشرون يضرب اخماساً باسداس ويتساءل عن سبب انقلاب هذا الاحدب الغريب بعد ظهور مريم

اما مريم فقد ابصرتهما يسيران دون ان يلتفتا اليها فقهقهت واستندت الى الفارس رفيقها ثم سلكت معه طريقاً آخر وهي تهزل وتضحك وتقطف ازهار البرية وتغرسها في شعرها وصدرها

وما خطا يوسف وشيشرون بضع خطى حتى قال شيشرون · هل انت ابن هذه القرية يا صاحب · فقال يوسف كلا فاني ضيف فيها منذ اربعة ايام · فقال وما هذا الكتاب الذي في يدك · قال هذا كتابنا المقدس (التوراة) · فقال شيشرون قد اطلعت عليه وكثيراً ما لذتني المطالعة فيه · وهل قرأت فيه هذه المرأة امامك

فالتفت اليه يوسف بنزق وقال أما زلت تعتقد انني عرفت هذه المرأة قبل الآن

فقال شيشرون ولكنك كنت أمس معها في الحقل · فقال يوسف · اسمع يا صاحب · لو سألتني بلطف في بدء كلامك لعلمتَ انه لا علاقة لي بهذه المرأة ولا اريد ان يكون لي علاقة بها · فانت وشأنك معها كما تريد فان فكري منصرف الى الله الجمال لا الى جمال ملوث بالاوحال

فرفع شيشرون رأسه وقال انني اردُّ اليك نفس سؤالك · هل تظن ان لي علاقة بهذه المرأة · لقد اخطأت يا صاحب

ثم شرح كل واحد منهما قصته للآخر دون ان يذكر يوسف شيئاً عن ميله الى مريم واقتفائه أثرها أول أمس · فتفاهما وزاد اتفاقهما على ما يظهر · وكانا قد بلغا الى صخرة نائتة فوق الوادي ومشرفة على الرمانة التي تداعبت فيها بلابل

مريم يوم التقائها بيوسف . فانحدرا نحو الرمانة

الفصل الحادي عشر

(الخطبة في الوادي (١))

بين يوسف وشيشرون * ثم بين شيشرون ومريم
مجيء سكرى وغضبي كلبوة

وكان الحر شديداً في ذلك النهار . والريح ساكنة . والطيور هادئة في الاشجار لجأت اليها فراراً من الحر وتركت العشب والزهر . والغنم هجرت مرعاها ولجأت الى الظل . وراعيها استلقى تحت ظل شجرة بعيدة وقدسكت مزماره

فجلس يوسف وشيشرون في ظل الرمانة وهما ساكتان الا انه كان في نفس كل واحد منهما (شيءٌ) يتكلم . وهذا (الشيء) واحد وهو (مريم)

فلما جلس يوسف تحت الرمانة تنهّد ونظر في اغصان الرمانة لانه تذكر البلابل التي سمع هو ومريم تغريدها هناك . ومرّ في خاطره حينئذ الدمع الذي رآه يجري على وجنتيها في ذلك الحين فقابل بينه و بين ضحكها وخفتها منذ عشر دقائق فتألمت نفسه وحارت في أمر هذه المرأة التي هي لغز من الالغاز . فتنهد وقال

— أليس من دواعي الأسف والحزن العظيم ان الطبيعة والكائنات كلها تستريح في هذه القرية في هذا الوقت : وكائن واحد يتعذّب

فالتفت اليه شيشرون وقد تجاهل مراده وقال — ماذا تعني يا صاحب

(١) نشرنا في روايتنا « اورشليم الجديدة » « الخطبة على الجبل » للراهب الشيخ عنائيل وفي هذه الرواية ننشر « الخطبة في الوادي » لشيشرون الروماني . وكلتاهما على طرفي نقيض عند من يغوص على المعاني و يحسن فهم الكلام

فقال يوسف . أنني أرى الآن السماء ثابتة . والارض جامدة . وما على الارض ساكن في راحة مطلقة . فالريح هادئة . والاشجار والنباتات مستقرة تستريح من الحركة . والطيور مطمئنة فيها تتمتع بنعمة الراحة الالهية . والمواشي تحتها نعيمة البال تجترّ وتهضم غذاءها بلذة حيوانية . وكل شيء حولنا ساكن مستريح مطمئن الا تلك المرأة الشقية

فسكت شيشرون بضع ثوانٍ ولم يُجب . ثم قال وهل انت متحقق يا صاحب انها كلها ساكنة مطمئنة مستريحة (راحة مطلقة) كما قلتَ

فقال يوسف وقد أشار الى ما حوله . أما ترى

فقال شيشرون

ــ يا صاحب قد سرّني انني لقيتك وعرفتك . فانني كنت في حاجة الى صديق مثلك في دار غربتي هذه . ولقد اسأتُ اليك الساعة ولكن قلبك الكريم الذي خبرته في هذا الزمن القصير يصفح عن اساءتي لا سيما وانك علمتَ ان سببها كان سوء التفاهم بيننا . ولاشكَّ في انك تحترمني وتصفح بعد ان عرفتَ أصل هذا السبب . يا صاحب انني أراك فتىً في نحو العشرين أو اكثر قليلاً . وانت كثير الاحلام قليل الكلام . ولم اجد في كلامك ما يدلّ على انك ذو صناعة . فهل انت مثلي

فحار يوسف في الجواب وعجب من هذا السؤال فقال . جاءت الآن نوبتي في ان اسألك ماذا تعني يا صاحب

فقال شيشرون اعني انني (مقطوع) الهيئة الاجتماعية . فهل انت (مقطوعها) مثلي

فدهش يوسف وفتح عينيه وقال . كيف انت مقطوع الهيئة الاجتماعية وأية علاقة لهذا الكلام بالسؤال الذي القيته عليك

فابتسم شيشرون ابتسامة لا يعرف معناها أحد غير الآلهة أو الشياطين وقال

ـ لا تخف يا صاحب . فلستُ جانياً فاراً من السجن او من المحكمة . ولا اخا دنيئة منفياً من وطنه . ولكني (مقطوع) من ارض وطني وانا قطعتُ نفسي بنفسي . انظر يا صاحب انني لم احدث احداً في ما احدثك به الآن غير مريم الشقية كما دعوتها . والذي دعاني الى محادثتك هذه الكتابُ الذي رأيته في يدك وما سمعته من ملاحظاتك الآن ومنذ اول التقائي بك . انني روماني ولدتُ في رومه مهد الشرائع وعاصمة الدنيا وامّ الامم . فعشت فيها الى سن العشرين راضياً هنيئاً . وفي الثانيةوالعشرين بدأتُ اضطرب ضمن معيشتها المضطربة . وفي الثلاثين شرعتُ في محاربتها . وفي الثانية والثلاثين تركتها و(انقطعتُ) عنها غير آسف عليها .

فقال يوسف حقاً يا صاحب انني لم افهم مُرادك بعد بقولك انك (مقطوع) و (انقطعت) . فهل مرادك انك هجرتَ وطنك وان كل من يهجر وطنه انقطع عنه

قال شيشرون انني ابسط لك مرادي بعبارة اوضح . ان (المقطوع) عن قومه هو الذي انقطعت ما بين فكره (١) وافكار بني وطنه صِلات المبادئ التي كانت تجمعها من قبل . فيصبحون وهم يرون الحياة وسننها واغراضها وطرقها مخالفة للسنن والاغراض والطرق التي يراها هو . واحياناً يكون الحق في جانب ذلك الفرد والخطأ في جانبهم وذلك حين يكون الفرد نابغة من نوابغ الارض . وتارة يكون الحق في جانبهم والخطأ في جانبه وذلك حين يكون هذا الفرد من ضعفاء العقول والادعياء في الارض . فانا (مقطوع) عنهم ولكن من أيّ فريق أنا

قال شيشرون هذا الكلام وأطرق بانكسار كأنه علم انه تجاوز الحدود في

(١) لا نقول « نفسه » لان رنان يقول في كتابه في تاريخ بني اسرائيل ان الرومانيين كانوا لا يفهمون التفريق بين النفس والجسد كما اصطلح عليه المسيحيون في عصرهم

كلامه . ولكنه كان يرى انه يخاطب فتىً قليل الخبرة فلم يهتم كثيراً لما بدر منه . اما يوسف فاجاب على حسب فهمه فقال

— أما أنا يا صاحب . فلستُ (بمقطوع)ولكني (لا تابع ولا متبوع)

فالتفتَ اليه شيشرون بنزق لظنه انه يهزأ بكلامه وقال أتهزأ بالمصائب يا صاحب ؟

فتوردت وجنتا يوسف الصفراوان وقال معاذ الله ياصاحب .انني اجدّ ولا امزح . انني (لا تابع ولا متبوع) ولكنني ايضاً لستُ (بمقطوع) فانا مثلك ضعيف فقير أرى رذائل قومي واغلاطهم وفسادهم ولا استطيع هدايتهم — فلا انا أتبعهم ولا هم يتبعونني — . ولو كنتُ في مكانك بين قومك لانقطعتُ عنهم كما انقطعتَ اذ لا صلة خالدة بينك و بينهم . اما انا فلا استطيع هذا الانقطاع لان بيني و بينهم صلة خالدة مصنوعة من حديد تربط نفسينا بعضها ببعض . فبها انا متصل و بدونها انا منقطع .

فقال شيشرون بعجب . وما هذه الصلة

فمدّ يوسف يده بنزق وحدّة الى التوراةالتي كانت بجانبه على الارض ورفعها بوجه شيشرون وقال . هذه هي الصلة

فضحك شيشرون وقال . فهمتُ مرادك . وكلامك هذا يردّنا الىالسؤال الذي القيته عليّ بشأن مريم . وانا ما ألقيتُ عليك سؤالي وذكرتُ لك ما ذكرت الا لارجعك اليه

فاتم يوسف كلامه قائلاً . نعم هذه هي الصلة الباقية بيني و بين قومي . في هذا الكتاب ماء الحياة فمن شرب منه لا يظمأ ومن استند اليه لا يسقط . فهو اولاً يعلّمنا وجود (اله) قادر على كل شيء منه اتينا واليه نعود . وثانياً يضع لنا سنن حياتنا الاجتماعية على اسس العدل والانصاف والحق ومحبة بعضنا

بعضاً وفعل الخير والرحمة والشفقة . وثالثاً ينبئنا بظهور (المسيح) فينا لاصلاح فسادنا واعادة صلاحنا وقوتنا الينا . فلو كان عندكم مثل هذا الكتاب الحق لرأيت ان الصلة بينك وبين قومك لا تنقطع بل تطلب به صلاحهم واصلاحهم وتوثيق الصلات بينك وبينهم

فابتسم شيشرون وسكت . وبعد بضع ثوان قال . ان كلامك ياصاحب ككلام رجال ديننا. فهم يعتقدون ان كتبهم وعبادتهم جوبيتير وديانا وسائر آلهتهم حقٌ كما تعتقدون ان كتبكم وعبادتكم آلهتكم حق . وليس غرضي ان احكم بين الفريقين فاهذا موضوعنا . فان موضوعنا سؤالي الذي القيته عليك (هل انت مقطوع مثلي) فانني رأيت ملاحظتك بشأن (راحة الطبيعة والكائنات) راحة مطلقة حالة كون تلك المرأة الشقية تعذب وحدها — مما يدل على انك متألم من الهيئة الاجتماعية تألماً شديداً . ولما كنتُ متألماً منها مثلك سألتك هل انت (مقطوع) مثلي . فعلمت من جوابك الآن انك لست (بمقطوع) ولكنك (مخدوع) . ولا عتب عليك ولا لوم فانك لا تزال في سن الانخداع

والآن اجيبك على سؤالك بنفس السؤال الذي القيته عليك فيما تقدم . وهو . هل انت متحقق ان الطبيعة والكائنات التي ذكرتها هي مطمئنة مستريحة راحة مطلقة كما قلت .

لا تستغرب يا صاحب تعلقي بهذه الملاحظة التي صدرت عنك فان الجواب عنها أساس فلسفتي ومبادئي كلها . فكأنك بهذه الملاحظة نقلتني من افقي الصغير المحدود في بلادكم هذه الى افق الفلسفة المتسع المنبسط فوق الارض كلها يحيط بجهلتها الاربع لان نواميسه متسلطة على جميع ما فيها

قلتَ ان السماء ثابتة . والارض وما عليها من الكائنات هادئة ساكنة . وأهل هذه القرية كلهم مستريحون — الا مريم تعذب وحدها . فقتضى قولك هذا